فرانسيس ستونور سوندرز

من الذي دفع الثمن ؟

وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية والحرب الباردة الثقافية

الوثائق السرّية





ترجمة: أسامة اسبر

فرانسيس ستونور سوندرز

من الذي دفع الثمن؟

وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية والحرب الباردة الثقافية

ترجمة : أسامة إسبر

العنوان الأصلي للكتاب: Who Paid the Piper?
The CIA and the Cultural Cold War
اســـــم المؤلفـــــة: Frances Stonor Saunders

عنوان الكتاب: من الذي دفع الثمن؟
السي آي إي والحرب الباردة الثقافية
اســـم المؤلف: فرانسيس ستونور سونديرز
اســـم المترجم: أسامة إسبر

الطبعة الأولى . 2002

دار الطليعة الجديدة

سوريا ـ دمشق ـ ص.ب 34494
تلفاكس: 2311378

السماح بالطباعة صادر عن مديرية الرقابة في وزارة الإعلام رقم: 70260 تاريخ:2001/9/5

إخراج: هالة قطوم

صمم الغلاف: جمال سعيد

"أي قدر أو حظ قادك
إلى هذا المكان، قبل يومك الأخير؟
من الذي أرشد خطاك؟
أجبته: "هناك في الأعلى، في العالم الواضح في طريقي،
"ضعت في واد من الكآبة،
وقبل أن يكتمل عمري، ضللت."

دانتي، الجحيم، النشيد XV

أعرف أن هذا سرٌّ، ذلك أنه هُمس في جميع الأمكنة.

وليم كونجريف، الحب من أجل الحب

مقدمة

إن طريقة القيام بالدعاية الجيدة هي ألا تظهر أنك تقوم بها مطلقاً.

ريتشارد كروسمان

في أوج الحرب الباردة حشدت الحكومة الأمريكية موارد ضخمة من أجل برنامج سري للدعاية الثقافية في أوروبا الغربية. وكانت السمة الأساسية لهذا البرنامج هي إنكار وجوده. لقد أدارته وكالة الاستخبارات المركزية، الذراع التجسسية لأمريكا،بسرية كبيرة. وكانت وسيلة هذه الحملة السرية هي المنظمة من أجل الحرية الثقافية، التي أدارها عميل السي آي إي مايكل جوسيلسون من 1950 إلى 1967. وكانت إنجازاتها - إن لم نقل استمراريتها - جديرة بالاعتبار. وقد امتلكت المنظمة من أجل الحرية الثقافية، في أوج نشاطها، مكاتب في خمس وثلاثين دولةً، ووظّفت دزينات من الأشخاص، وأصدرت أكثر من عشرين مجلة، وأقامت معارض فنية، وامتلكت مؤسسات إعلامية وسينمائية، ونظّمت مؤتمرات دولية ضخمة، وكافأت الموسيقيين والفنانين بجوائز وحفلات جماهيرية. كانت مهمتها إبعاد أنتلجنسيا أوروبا الغربية عن افتتانها الطويل بالماركسية نحو مواقع أكثر انسجاماً مع الطريقة الأمريكية.

وبالاعتماد على شبكة واسعة، وذات تأثير قوي، من رجال المخابرات، والاستراتيجيين السياسيين، والشركات، وروابط العصبة الجامعية، بدأت السي آي إي الناشئة، منذ عام 1947، ببناء اتحاد مالي كانت مهمته تلقيح العالم ضد عدوى الشيوعية، وتسهيل حرية مرور المصالح السياسة الأمريكية في الخارج. وكانت النتيجة شبكة محكمة من البشر عملت إلى جانب الوكالة لتعزيز فكرة أن العالم بحاجة إلى سِلْم أمريكي، إلى عصر جديد من التنوير يُدعى العصر الأمريكي.

وكان الاتحاد المالي الذي أسسته السي آي إي - المؤلف مما وصفه هنري كيسنجر بـ 'أرستقراطية مكرسة لخدمة هذه الأمة من أجل مبادئ تتجاوز المشايعة' - سلاح أمريكا السري في صراع الحرب الباردة، وهو سلاح، أحدث في الحقل الثقافي ردود فعل واسعة. كان هناك قلة من الكتاب، والشعراء، والفنانين، والمؤرخين، والعلماء أو النقاد في أوروبا ما بعد الحرب لم تكن أسماؤهم مرتبطة، بطريقة ما، بهذا المشروع السري سواء سمعوا به أم لم يسمعوا، عرفوه أم لم يعرفوه. إن هذه المؤسسة الأمريكية التجسسية، التي لم يتم الارتياب بها أو اكتشاف هويتها، لأكثر من عشرين عاماً، شغّلتْ في الغرب، ومن أجل الغرب، جبهة ثقافية معقدة، أُنفق عليها بسخاء، باسم حرية التعبير. وهذه المؤسسة التي عرّفتْ الحرب الباردة بأنها 'معركة من أجل

امتلاك عقول البشر خزنتْ ترسانة ضخمة من الأسلحة الثقافية تضمنت مجلات، وكتباً، ومؤتمرات، وندوات، وعروضاً فنية، وحفلات موسيقية وجوائز.

شملتْ عضوية هذا الاتحاد المالي مجموعة متجانسة من المتطرفين السابقين، والمفكرين اليساريين الذين تحطم إيمانهم بالشيوعية بسبب الكليانية الستالينية. خارجين من العقد المعتدل للثلاثينات، الذي ندبه آرثر كويستلر قائلاً إنه 'ثورة مجهضة للروح، ونهضة مختلّة، وفجر تاريخ مزيّف'[1]، ترافقت خيبة أملهم مع استعداد للانضمام إلى إجماع جديد، لإعلان نظام جديد يكون بديلاً لقوى الماضي المستهلكة. وتم التخلي عن تراث المفكر المنشق والمتطرف، الذي يدعو المفكرين إلى فحص الأساطير، واستجواب الامتيازات المؤسساتية، وإزعاج السلطة، لصالح دعم 'الفرضية الأمريكية'. وقد أصبحت هذه المجموعة غير الشيوعية، التي ناصرتها وموّلتها مؤسسات قوية،' مثل كارتل في الحياة الفكرية للغرب مثلما كانت الشيوعية قبل ذلك ببضع سنوات (وضمت كثيراً من البشر أنفسهم).

يقول شارلي سترين، الراوي في كتاب صول بيلو، *موهبة همبولت*: جاء وقتٌ... بدا فيه كأن الحياة فقدت قدرتها على ترتيب نفسها. وكان خليقاً بها أن تُرتَّب. وقد أخذ المفكرون هذا العمل على عاتقهم. وكان هذا الترتيب، من زمن ماكيافيللي إلى زمننا الحالي، المشروع العظيم والبهي والمعذب والمضلِّل والكارثي. وكان رجل مثل هبمولت، الملهم، والداهية، ومختل العقل، يرى أن المشروع الإنساني، الكبير والمتنوع للغاية، لابد أن يديره الآن أشخاص استثنائيون. لقد كان شخصاً استثنائياً، وبالتالي، مرشحاً مؤهلاً للسلطة. حسناً، لِمَ لا؟'[2] ومثل كثيرين من نوع همبولت، فإن أولئك المفكرين الذين خانهم وثن الشيوعية وجدوا أنفسهم يتطلعون إلى إمكانية بناء فايمر جديدة، فايمر أمريكية. وإذا كانت الحكومة – وذراع عملها السرية، السي آي إي – مستعدة للمساعدة في هذا المشروع،فما الذي يمنع؟

كان ضم اليساريين السابقين إلى المشروع برعاية من السي آي إي أكثر قابلية للتصديق مما يبدو. كان هناك تماثل في المصلحة والإيمان بين الوكالة وأولئك المفكرين الذين تم استئجارهم، حتى دون علم منهم، ليخوضوا الحرب الباردة الثقافية. كتب مؤرخ أمريكا الليبرالي البارز آرثر شليسنغر قائلاً إنه لم يكن نفوذ السي آي إي ' دوماً، أو غالباً، رجعياً وشريراً[3]. فبحسب تجربتي كانت قيادتها متنورة سياسياً ومحنكة'[4]. أما وجهة النظر التي ترى أن السي آي إي ملاذ لليبرالية فقد عملتْ كإغراء قوي للتعاون معها، أو، إذا لم يكن هذا، فعلى الأقل، للخضوع لأسطورة أن دوافعها حسنة. ومع ذلك، فقد ترافق هذا الإدراك بشكل غير مريح مع سمعة السي آي إي كأداة للقوة الأمريكية في الحرب الباردة، قوة تدخلية، لا ترحم، ولا مسؤولة بشكل مخيف. وهي المنظمة التي دبّرتْ الإطاحة برئيس الوزراء مصدق في إيران في 1953، والإطاحة بحكومة آربينز في غواتيمالا في 1954، وأدارت عملية خليج الخنازير الكارثية في 1961، وبرنامج فونيكس الشهير في فيتنام. وتجسستْ على عشرات الآلاف من الأمريكيين، وضايقت باستمرار قادة انتخبوا ديموقراطياً في الخارج، وخططت للاغتيالات، وأنكرت هذه النشاطات أمام الكونغرس، وأثناء تنفيذ عملياتها، ارتقت بفن الكذب إلى ذروات جديدة. فبأية خيمياء غريبة

إذن، استطاعت السي آي إي أن تقدم نفسها لمفكرين من ذوي الأذهان الرفيعة مثل آرثر شليسنغر على أنها الإناء الذهبي لليبرالية المدللة؟

وسّعت مؤسسة أمريكا التجسسية نطاق عملها إلى حدود بعيدة ليشمل الشؤون الثقافية لحلفائها الغربيين، وعملت كميسّر، غير معترف به، لسلسلة واسعة من النشاط الإبداعي، واستخدمت المفكرين وأعمالهم كبيادق شطرنجية تدخل في اللعبة الكبيرة، وقد شكل كل هذا تراث الحرب الباردة الأكثر تحريضاً. ولم يتصدّ أحد حتى الآن، وبشكل جدي، للحجج الدفاعية التي قدمها أوصياء الفترة والتي تستند إلى الزعم بأن استثمار السي آي إي المالي القوي جاء دون شروط.

كان هناك بين الدوائر الفكرية في أمريكا وأوروبا الغربية استعداد متواصل لتصديق أن السي آي إي لم تكن مهتمة إلا بتشجيع التعبير الثقافي الحر والديموقراطي. ويقول خط الدفاع هذا، وهو أشبه بشيك على بياض: 'لقد قدمنا المساعدة إلى الناس فحسب كي يقولوا ما كانوا سيقولونه بأية طريقة'. وتضيف الحجة أنه إذا كان المستفيدون من تمويل السي آي إي يجهلون الحقيقة، وإذا كان سلوكهم بالتالي لم يجر تعديله، فلا يمكن إذن أن يكون استقلالهم كمفكرين نقديين قد تأثر.

غير أن الوثائق الرسمية المرتبطة بالحرب الباردة الثقافية فضحت بشكل منظّم أسطورة الإيثار هذه. وكان من المتوقع أن يعمل الأفراد والمؤسسات الذين موّلتهم السي آي إي كجزء من حملة إقناع واسعة، ومن حرب دعائية، عُرِّفتْ فيها الدعاية بأنها 'كل جهد منظّم أو كل حركة تهدف إلى نشر معلومات أو عقيدة معيَّنة عن طريق الأخبار، والحجج الخاصة أو بواسطة مغريات مصممة للتأثير في أفكار وأفعال أية مجموعة محددة'[5]. وكان العنصر الأساسي في هذا المسعى هو 'الحرب النفسية'، التي عُرِّفتْ بأنها 'استخدام طاقات الأمة المخطط للدعاية ولأنشطة أخرى غير المعركة من أجل إيصال الأفكار والمعلومات المفبركة للتأثير في آراء، ومواقف، وعواطف، وسلوك الجماعات الأجنبية بأساليب تسهّل إنجاز الأهداف القومية'. وعُرِّفَ أيضاً 'النوع الأكثر فعالية من الدعاية' بأنه ذلك الذي يجعل ' التابع *يتحرك في الاتجاه الذي ترغب به لأسباب يعتقد أنها أسبابه*'[6]. لا فائدة إذن من تفنيد هذه التعريفات. فحقائق الدبلوماسية الثقافية الأمريكية لما بعد الحرب مبعثرة في الوثائق الحكومية.

عملت السي آي إي بلا تردد، من أجل تمويه استثمارها، وفق فرضية تقول إن المداهنات سوف تُرْفَض إذا قدمت بشكل علني. أيّ نوع من الحرية يمكن أن يقدمه خداع كهذا؟ ولم تكن هناك بالطبع حرية من أي نوع على جدول الأعمال في الاتحاد السوفييتي، فقد تم حجز أولئك الكتاب والمفكرين الذين لم يرسلوا إلى معسكرات العمل لخدمة أهداف الدولة. وكان من المشروع بالتأكيد، معارضة ذلك المناخ من اللاحرية. ولكن بأية طرق؟ هل كان هناك أي مسوّغ حقيقي لافتراض أن مبادئ الديموقراطية الغربية لا يمكن بعثها في أوروبا ما بعد الحرب وفقاً لآلية أوروبية داخلية؟ أو لعدم افتراض أن الديموقراطية يمكن أن تكون أكثر تعقيداً مما هو متضمن في تمجيد الليبرالية الأمريكية؟ إلى أية درجة كان مسموحاً لدولة أخرى أن تتدخل

سراً في العمليات الأساسية للنمو الفكري العضوي، وللجدل الحر، ولتدفق الأفكار غير المكبوح؟ ألا يجازف هذا في أن ينتج، بدلاً من الحرية الحقيقية، حرية ذيلية، يعتقد فيها البشر أنهم يتصرفون بحرية، بينما هم في الحقيقة مقيدون إلى قوى لا يمتلكون سيطرة عليها؟

يثير انخراط السي آي إي في الحرب الثقافية أسئلة أخرى مزعجة: ألم تُشَوِّه المساعدة المالية العملية التي يتطور من خلالها المفكرون وأفكارهم؟ ألم يتم اختيار الناس لمراكزهم على أسس غير الكفاءة الفكرية؟ ما الذي عناه آرثر كويستلر حين سخر من 'دائرة بغايا الهواتف الأكاديمية الدولية' في المؤتمرات والندوات الدولية؟ هل كانت السمعة مضمونة أو محمية من خلال الانضمام إلى اتحاد السي آي إي المالي؟ كم من هؤلاء الكتاب والمفكرين الذين اكتسبوا جمهوراً عالمياً لأفكارهم كانوا في الحقيقة كتاباً من الدرجة الثانية، ووكلاء دعاية سريعي الزوال، وكان من المحتوم أن تدخل كتبهم أقبية مكتبات الكتب المستعملة؟

في 1966، ظهرتْ سلسلة من المقالات في *نيويورك تايمز* كشفت عن المدى الواسع من العمل السري الذي قامت به المنظمات الاستخباراتية الأمريكية. وبعد أن نشرت الصحيفة قصص محاولات الانقلاب - كانت معظمها غير متقنة - والاغتيالات السياسية على الصفحات الأمامية، بدأت حملة لتصوير السي آي إي كفيل متشرد، يشق طريقه بصخب عبر أدغال السياسة العالمية، لا يعيقه أي إحساس بالمسؤولية. ومن بين هذه الفضائح التآمرية الأكثر درامية تفاصيل حول كيفية اعتماد الولايات المتحدة على مثقفي النخبة في الغرب كي تعطي وزناً فكرياً لأفعالها.

وقد ولّد الاقتراح القائل بأن إملاءات صانعي السياسة الأمريكية شجعتْ كثيراً من المفكرين بدلاً من أن تشجعهم المعايير المستقلة' الخاصة بهم، ولَّد اشمئزازاً واسع الانتشار. فالسلطة الأخلاقية التي تمتعتْ بها الأنتلجنسيا في أوج الحرب الباردة تم تشويهها الآن بشكل جدي، وغالباً ما جرت السخرية منها. وراح الإجماع البيروقراطي يتداعى، ولم يعد المركز يستطيع أن يتماسك. وبينما هو يتداعى، أصبحت القصة نفسها متشظية، وجزئية، ومعدَّلة - أحياناً بشكل فاضح - على يد قوى من اليمين واليسار رغبتْ أن تُحَرِّفَ حقائقها الفريدة لتحقيق غاياتها. أما الظروف التي جعلت الكشف ممكناً، فقد أسهمتْ، بشكل مثير للسخرية، في جعل دلالته الحقيقية غامضة. ولما كانت حملة أمريكا المهووسة المضادة للشيوعية في فيتنام، قد جرتها إلى حافة الانهيار الاجتماعي، وبعد فضائح بمستوى **أوراق البنتاغون**، ووترغيت، كان من الصعب دعم الاهتمام أو دعم العنف في الصراع الثقافي، والذي بدا بالمقارنة تافهاً علاوة على ذلك.

كتب أرشيبالد ماكليش: 'إن التاريخ شبيه بقاعة حفلات موسيقية سيئة البناء، ذات زوايا ميتة لا يمكن أن تُسمع منها الموسيقى'[7]. وهذا الكتاب يحاول أن يكشف تلك الزوايا الميتةَ. إنه يبحث عن صوت مختلف، ويعزف لحناً مختلفاً عن ذاك الذي عزفه فنانو الفترة الرسميون. إنه تاريخ سري، بقدر ما يؤمن بأهمية قوة العلاقات الشخصية، وبالعلاقات والمؤامرات 'السهلة'، وأهمية دبلوماسية الصالونات وسياسة المخادع. يتصدى لما وصفه غور فيدال بالروايات

الرسمية التي اتفقت عليها أطراف كثيرة مهتمة، وكل طرف يمتلك ألف يوم كي ينصب أهراماته المضللة، ومسلاته التي تهدف إلى تحديد زمن الشمس'. ذلك أن أي تاريخ كان يقوم باستجواب تلك 'الحقائق المتفق عليها'، لابد له، كما قال تزفيتان تودوروف، أن يصبح 'فعل تجديف'. إنه ليس عن الإسهام في عبادة الأبطال والقديسين. بل عن الاقتراب قدر الإمكان من الحقيقة. يشارك في ما دعاه ماكس فيبر 'تحرير العالم'، وهو يوجد على الطرف الآخر من الوثنية على الطيف. إنه كتاب عن تناول الحقيقة من أجل الحقيقة نفسها، وهو لا يستعيد صوراً اعتبرت مفيدة للحاضر'[8].

الفصل الأول

الجثة الأنيقة

زمنان: سابق ولاحق

في مكان سخط

ضوءه باهت.

ت. س. إليوت، "بيرنت نورتون"

استيقظت أوروبا على فجر قارس بعد الحرب. كان شتاء 1947 أسوأ ما عرفته وسجلته. فقد اجتاح الصقيع منذ كانون الثاني وحتى أواخر آذار كلاً من ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وبريطانيا، وتقدم بلا رحمة. وسقط الثلج على سانت تروبز، وكوّمتْ رياح هوجاء ركاماً يصعب اجتيازه، واندفع الجليد الطافي إلى مصب نهر التايمز، أما القطارات التي تحمل مؤن الطعام فقد تجمدت سريعاً على السكك، وقيّد الجليد الشراعيات التي تنقل الفحم إلى باريس. حتى دب الهلع في أوصال الفيلسوف إشعيا برلين من برودة المدينة، 'الخاوية، والجوفاء، والميتة كجثة أنيقة.

وفي جميع أنحاء أوروبا انهارت مرافق المياه، والصرف الصحي، ومعظم وسائل الراحة الأساسية الأخرى. قلتْ المؤن، وانخفض احتياطي الفحم الحجري بشكل كبير، وعبثاً كان المعدِّنون يصارعون لتشغيل أجهزة الرفع فقد تجمّدت وتصلّبت. وذاب بعض الثلج تبعه مزيد من التجمد أغلق القنوات والطرق تحت طبقة سميكة من الجليد. وفي بريطانيا، ارتفعت البطالة إلى مليون عامل في شهرين. وغاصت البلاد والصناعة في الثلج والجليد. وبدت الحياة نفسها كأنها تجمدت ونفق أكثر من مليون رأس من الغنم وثلاثون ألف رأس من الماشية.

وفي برلين شهد فيلي برانت، المستشار المستقبلي، 'رعباً جديداً يستولي على المدينة التي كانت ترمز أكثر من غيرها إلى انهيار أوروبا. أما البرد القارس فقد 'هاجم الناس مثل وحش مفترس، دافعاً بهم إلى منازلهم. ولكنه لم يمهلهم هناك. إذ لم يكن للنوافذ ألواح زجاجية، فثبّت إليها ألواح خشبية وجصية بالمسامير. وكانت الجدران والسقوف مليئة بالشقوق والثقوب، فغطاها الناس بالأوراق والأسمال. وتدفؤوا بحطب المقاعد التي أخذوها من الحدائق العامة ... وتجمد الشيوخ والمرضى حتى الموت في أسرّتهم وكان عددهم بالمئات.'[1] وكإجراء طوارئ، خُصِّصَتْ لكل عائلة ألمانية شجرة للتدفئة. وفي أوائل 1946، قُطعتْ التييرغارتين Tiergarten إلى

جذوع، وتُركتْ تماثيلها منتصبة في عراء من الطين المتجمد، وفي شتاء 1947، قُطعت غابات غرونوالد Grunewald المشهورة. أما الانجرافات الثلجية التي دفنت حطام مدينة مدمَّرة فلم تستطع إلا أن تظهر الإرث التدميري لحلم هتلر الأسطوري - الهوسي من أجل ألمانيا. كانت برلين، مثل قرطاجنة المدمرة، مكاناً يائساً، وبارداً، ومسكوناً: كانت مهزومة، ومغزوة، ومحتلة.

وحمل الطقس بضراوة الحقائق المادية للحرب الباردة إلى الوطن، شاقاً طريقه إلى الطبوغرافيا الجديدة لأوروبا ما بعد يالطا، التي كانت أراضيها القومية قد شُوهت جغرافيتها، وتحطَّمت بنية سكانها. وانخرطت حكومات الاحتلال المتحالفة في فرنسا، وألمانيا، والنمسا وإيطاليا في التعامل مع ثلاثين مليوناً من البشر المرحَّلين، والمشردين، والمسرَّحين. وفاقم المشكلة العدد المتزايد من ملاكات قوات الحلفاء التي كانت تنتشر في المناطق المحتلة. وكان ألوف من البشر يخرجون من منازلهم كي ينضموا إلى أولئك الذين ينامون في القاعات، وتحت الأدراج، وفي الأقبية ومراكز القصف. أما كلاريسا تشرشل، التي كانت ضيفة على مفوضية التوجيه البريطانية في برلين، فقد وجدت نفسها محمية جغرافياً ومادياً في آن من التأثير الكاسح للفوضى والبؤس في المدينة. استيقظت في غرفة النوم الدافئة التي كانت سابقاً منزلاً لأحد النازيين، متحسسة الأغطية ذات الحواف المخرمة، متلمسة رف الكتب، هذه التجارب البسيطة قدمت لي لوحة مفعمة بالخوف من الإثارة التي شعر بها الغزاة، والتي كانت نزهة قصيرة في الشوارع أو زيارة إلى شقة ألمانية دون تدفئة تجعلها تتلاشى على الفور'.[2]

كانت تلك أياماً للمنتصرين. ففي 1947، كان ثمن صندوق السجائر الأمريكية ستين سنتاً في قاعدة أمريكية، وألف وثمانمائة مارك ألماني في السوق السوداء، أو مائة وثمانين دولاراً أمريكياً بحسب القيمة القانونية لسعر الصرف. وبثمن أربعة صناديق من تلك السجائر، تستطيع استئجار فرقة موسيقية ألمانية مساء. أو يمكنك الحصول على سيارة مرسيدس من عام 1939 بسعر أربعة وعشرين صندوقاً. أما شهادات البنسلين Penicillin و Persilscheine (الأكثر بياضاً من البياض)، التي تعفي حاملها من أية شبهة صلات مع النازيين، فقد بيعتْ بأكثر الأسعار ارتفاعاً .وفي أوضاع اقتصادية متردية كهذه، استطاع جنود من أبناء الطبقة العاملة من إداهو أن يعيشوا كقياصرة عصريين.

وفي باريس، تمكن المقدَّم فيكتور روتشيلد، أول جندي بريطاني وصل في يوم التحرير بسبب براعته كخبير في تفكيك القنابل، من استعادة منزل أسرته في جادة دو ماريغني، الذي صادره النازيون. واستمتع مع ضابط الاستخبارات الشاب مالكولم مكيريدج بشمبانيا معتّقة. وقال كبير خدم العائلة، الذي عمل مع الألمان، بأنه ما من شيء قد تغير بالنسبة له. واستضاف فندق ريتز الذي صادره ضابط الاستخبارات المليونير جون ويتني، ديفد بروس من سكان برينستون وهو صديق للروائي ف. سكوت فيتزجيرالد، وقد ظهر مع إرنست همنغواي وجمع خاص من المحررين، وطلب من مدير الفندق خمسين كأساً من شراب المارتيني. أما همنغواي، الذي قاتل، مثل ديفد بروس، في الجهاز السري الأمريكي وقت الحرب، مكتب الخدمات الاستراتيجية، أقام مع زجاجات الويسكي الخاصة به في فندق الريتز، وهناك، استقبل وقد تعتعه السكر إريك بلير

(جورج أورويل) قلقاً، وسيمون دو بوفوار، الأكثر صراحة، مع عشيقها جان بول سارتر (الذي شرب حتى الثمالة، وعانى أسوأ آثار الخمرة في حياته).

وأصبح مشهد الفيلسوف وضابط المخابرات إي. جي. فريدي آير، مؤلف كتاب *اللغة، الحقيقة والمنطق*، مشهداً مألوفاً في باريس وهو يتنقل مسرعاً في عربة بوجاتي كبيرة يقودها سائق، مزودة بمذياع عسكري. و'استبد السكر' بآرثر كويستلر وعشيقته مامين باجيت وهما يتناولان على العشاء، مع أندريه مالرو، الفودكا، والكافيار، والبلينيس، والسوفليه السيبيري. وكذلك أقامت سوزان ماري ألسوب في باريس، وهي زوجة دبلوماسي أمريكي شاب، سلسلة من الحفلات في 'منزلها الجميل، المليء بسجادات أوبوسون والصابون الأمريكي الجيد.' ولكن حين خطت خطوة إلى الخارج، شاهدت الوجوه قاسية ومنهكة وناطقة بالمعاناة. لم يكن هناك من طعام في الحقيقة إلا لمن يستطيع شراءه من السوق السوداء، ولم يكن هذا متوفراً بكثرة. حوانيت المعجّنات فارغة – ويرى المرء في واجهات المطاعم – مثل مطعم رومبلماير – كعكة كرتونية مرسومة أو علبة شكولاتة فارغة، مع لافتة كتبت عليها كلمة نموذج! ولا شيء آخر. وفي واجهات الحوانيت في فاوبورغ سانت أونوريه عرض بأبهة زوج من الأحذية عليهما علامة جلد حقيقي أو كلمة نموذج وتحيط بهما أشياء مخيفة مصنوعة من القش. وخارج فندق الريتز ألقيتُ عقب سيجارة فوثب عليه سيّد يرتدي ثياباً أنيقة'.[3]

وفي الوقت ذاته تقريباً، ألقى الموسيقي الشاب نيكولاس نابوكوف، ابن عم الروائي فلاديمير، عقب سيجارة في القسم السوفياتي من برلين: فقفز شكل من الظلمة والتقط السيجارة التي رميتها'.[4]

وبينما كانت السلالة المتفوقة تُنَقِّبُ في القمامة بحثاً عن أعقاب السجائر أو الخشب أو الطعام، تُرك حطام غرفة الفوهرر المحصنة تحت الأرض دون معالم لا يكاد يلاحظه البرلينيون. ومع ذلك ففي أيام السبت كان الأمريكيون، الذين خدموا في الحكومة العسكرية، يستكشفون بالمشاعل أقبية مقرات الرايخات، ويسرقون لقى غرائبية: مسدسات رومانية، لفافات سميكة من العملة نصف المحترقة، صلباناً حديدية، وزخارف أخرى. واكتشف أحد اللصوص حجرة قبعات ومعاطف السيدات وانتزع بعض الرقع النحاسية التي نقش عليها النسر النازي وكلمة قنصلية الرايخ Reichskanzlei. واتخذ مصور الموضة لي ميلر، الذي كان ذات مرة ملهماً لمان راي، وضعية أنيقة مرتدياً كامل ثيابه في بانيو غرفة هتلر المصفحة.

وسرعان ما تلاشت التسلية. أما برلين المقسمة إلى أربعة أقسام، والتي كانت تتوضع كعش غراب في بحر من الأرض التي سيطر عليها السوفيات، فقد أصبحت 'صورة مجازية عن ويلات الحرب الباردة'.[5] والقوى الأربع، التي عملت بشكلٍ ظاهر، في مقر قيادة التحالف، لإتمام تطهير ألمانيا من النازية، وإعادة توجيهها، فقد صارعت ضد هبوب الرياح الإيديولوجية مما أثار موقفاً دولياً كئيباً. كتب مايكل جوسيلسون، الضابط الأمريكي، الذي هو من أصل إستوني روسي، قائلاً: 'لم أشعر بعداوة للسوفيات. وفي الحقيقة لم أكن سياسياً في تلك الفترة وهذا سهّل عليَّ بناء علاقات شخصية ممتازة مع معظم الضباط السوفيات الذين عرفتهم'.[6]

غير أنه على إثر فرض الاتحاد السوفياتي للحكومات 'الصديقة' في مجال نفوذه، وبسبب مشهد المحاكمات الجماعية، وانتفاخ معسكرات العمل في روسيا نفسها، اختبرت هذه الروح المتعاونة بشكل حاد. وفي شتاء عام 1947، أي بعد أقل من عامين على عناق الجنود الروس والأمريكيين على ضفاف نهر الإلبي، تحول ذلك العناق إلى زمجرة. كتب جوسيلسون: بعد أن أصبحت السياسات السوفياتية عدوانية بشكل علني، وتحولت الأعمال الوحشية التي ترتكب في منطقة الاحتلال الروسي إلى حدث يومي ... وصارت الدعاية الروسية معادية للغرب بشكل فظ، استيقظ ضميري السياسي'.[7]

كان مقر مكتب الحكومة العسكرية الأمريكية يُعْرَف بـ OMGUS، واعتقد الألمان في البداية أنه يعني 'الباص' في الإنكليزية لأن الاسم كان يكتب على جانبي الباصات ذات الطابقين والتي صادرها الأمريكيون. كان ضباط هذا المكتب، حين لا يقومون بالتجسس على القوى الثلاث الأخرى، يكونون خلف مكاتب فوقها أكوام مرتفعة من استمارات الاستخبارات Fragebogen ذات الحضور الكلي، والتي كان جميع الألمان الذين يبحثون عن عمل مجبرين على ملئها، وأن يجيبوا على أسئلة تتعلق بالجنسية، والدين، والسجل الجنائي، والتربية، والمؤهلات المهنية، والوظيفة والخدمة العسكرية، والكتابات والكلمات، والدخل والأرصدة، والسفر إلى الخارج، وبالطبع، الاتجاهات السياسية. كانت غربلة جميع سكان ألمانيا للبحث عن أدنى أثر من 'النازية والروح العسكرية'، مهمة بيروقراطية قاتلة، وغالباً محبطة. وبينما كان من الممكن أن يوضع اسم حاجب على القائمة السوداء لأنه كنس ممرات مقر الرايخ، أعادت القوى المتحالفة كثيراً من صناعيي هتلر، وعلمائه، ومدرائه، وحتى ضباطه ذوي الرتب العليا، بهدوء، إلى وضعهم السابق في محاولة يائسة لمنع ألمانيا من الانهيار.

وبالنسبة لأحد ضباط المخابرات، لم يكن ملء الاستمارات التي لا نهاية لها طريقة للتعامل مع الإرث المعقد للنظام النازي. فقد تبنى مايكل جوسيلسون مبادرة مختلفة. وتذكر الفيلسوف ستيوارت هامبشاير، الذي كان يعمل في ذلك الوقت في الإم آي سيكس (MI6) في لندن: 'لم أعرف جوسيلسون آنذاك، لكنني سمعتُ عنه. فقد ذاع صيته عبر أقنية الاستخبارات الأوروبية. كان المدبر الكبير، والرجل الذي يستطيع فعل أي شيء. فإذا أردت أن تدخل الحدود الروسية، وكان هذا أمراً مستحيلاً، فإن جوسيلسون سيدبِّر الأمر. وإذا احتجت إلى فرقة موسيقية سيمفونية، فسيرتب جوسيلسون الأمر'.[8]

مثّل مايكل جوسيلسون، الذي يتحدث أربع لغات دون أدنى أثر للكنة، رصيداً قيِّماً في صفوف ضباط الاحتلال الأمريكي. وفضلاً عن ذلك، كان يعرف برلين من الداخل والخارج. ولد في تارتو، إستونيا، في 1908، ابناً لتاجر أخشاب يهودي، ووصل إلى برلين للمرة الأولى في أوائل العشرينات، منجرفاً مع الشتات البلطيقي الذي تبع ثورة 1917. وبعد أن قتل البلاشفة معظم أفراد عائلته المقربة، كانت العودة إلى تارتو مستحيلة، فأصبح من أبناء ذلك الجيل من الرجال والنساء الذين وصفهم آرثر كويستلر بأنهم 'حثالة الأرض'.وهم بشر حطم القرن العشرون حياتهم ومزَّق هوية انتمائهم إلى أوطانهم. دخل جوسيلسون جامعة برلين، لكنه تركها

قبل حصوله على الشهادة كي ينضم إلى متاجر جيمبلز - ساكس التنويعية كوكيل مشتريات، ويصبح ممثلاً لها في باريس. وفي 1936 هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد ذلك بوقت قصير أصبح مواطناً أمريكياً.

بعد تجنيده في الجيش في 1943، جعلته خلفيته الأوروبية مرشحاً مفضّلاً إما للعمل المخابراتي أو للحرب النفسية. وعُيِّن كما ينبغي في قسم الاستخبارات التابع لفرقة الحرب النفسية(PWD) في ألمانيا، حيث انضم إلى فريق استجواب مؤلف من سبعة رجال (سمي مجموعة روزنبرغ المقاتلة، على اسم قائده النقيب جي. روزنبرغ). وكانت مهمة الفريق هي استجواب مئات السجناء الألمان أسبوعياً، من أجل هدف 'الفرز السريع للنازيين الأقوياء عن غير النازيين، الأكاذيب عن الإجابات الصادقة، والثرثارين عن الشخصيات المعقودة اللسان'.[9] وبعد أن سُرِّح في 1946، ظل جوسيلسون في برلين ضمن الحكومة العسكرية الأمريكية كضابط شؤون ثقافية، ثم في وزارة الخارجية والمفوضية الأمريكية العليا كضابط شؤون عامة. وبسبب مقدرته عُيِّن 'لغربلة العاملين' في الصحافة الألمانية، والإذاعة، ووسائل التسلية، والتي أوقفت كلها 'أثناء تطهيرها من النازيين'.

وكان من العاملين في القسم نفسه نيكولاس نابوكوف، وهو مهاجر روسي أبيض عاش في برلين قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 1933. وكان نابوكوف الطويل، والأنيق، والصريح، رجلاً ناجحاً بنى صداقات - وحظي بزوجات - بسهولة وسحر كبيرين. وفي العشرينيات، أصبحت شقته في برلين مركزاً للحياة الثقافية للمهاجرين، ضم خليطاً فكرياً من الكتاب، والباحثين، والفنانين، والسياسيين، والصحفيين. وكان بين هذه المجموعة الكوزموبوليتية من الكتاب مايكل جوسيلسون. وفي منتصف الثلاثينات، ذهب نابوكوف إلى أمريكا، حيث كتب ما وصفه بتواضع بأنه 'الباليه الأمريكي الأول، *يونيون باسيفيك*، مع أرشيبالد ماكليش. واستأجر أستوديو صغيراً مع هنري كارتيير بريسون في نيويورك لفترة قصيرة، حيث لم يكن الاثنان يملكان نقوداً. وكتب نابوكوف فيما بعد:'كانت الحركة الشيوعية بالنسبة لكارتيير بريسّون حاملة التاريخ، ومستقبل البشرية... شاطرته كثيراً من وجهات نظره، ولكنني، رغم الحنين الموجع إلى مسقط رأسي الروسي، لم أستطع قبول اعتناق كثير من المفكرين الأوروبيين الغربيين والأمريكيين للشيوعيّة. شعرت أنهم كانوا عمياناً بنحو يثير الاستغراب حيال حقائق روسيا الشيوعية، وكانوا يمثلون رد فعل على المد الفاشي الذي جرف أوروبا في أعقاب الوهن الاقتصادي فحسب. وشعرت،إلى درجة معينة، أن الافتتان بالشيوعية في منتصف الثلاثينات كان زياً عابراً، غذّته، بذكاء، أسطورة عن الثورة البلشفية الروسية رسمتها أجهزة الدعاية السوفياتية'.[10]

وانضم نابوكوف في 1945، مع دبليو. إتش. أودن و جي. كي. جالبريث، إلى قسم التوجيه المعنوي التابع لوحدة مراقبة القصف الاستراتيجية في ألمانيا، حيث التقى بالعاملين في الحرب النفسية، وحصل على عمل في قسم التحكم بالمعلومات، إلى جانب أحد معارفه القدماء، مايكل جوسيلسون. وكموسيقي، عُيِّنَ نابوكوف في قسم الموسيقى، حيث كان يُنتظر منه أن 'يعد أسلحة

ثقافية وسيكولوجية جيدة لتدمير النازية وخلق رغبة أصيلة من أجل ألمانيا ديموقراطية'.[11] كانت مهمته 'إبعاد النازيين عن الحياة الموسيقية الألمانية ومنح رخص لأولئك الموسيقيين الألمان – تمكنهم من ممارسة عملهم – من الذين اعتقدنا أنهم ألمان 'نظيفون'، وليسيطر من خلالها على برامج الحفلات الألمانية ويمنعها من التحول إلى مناسبات قومية'. وقدم أحد الجنرالات الأمريكيين نابوكوف في حفلة قائلاً: 'إنه ملم بالموسيقى ويعلّم الذين لا يعرفونها جيداً كيف يلمون بها؟'[12]

كان جوسيلسون ونابوكوف متجانسين، حتى ولو بشكل غير محبّذ. فقد كان نابوكوف متطرفاً عاطفياً، ومعبّراً جسدياً، وبطيء الحركة دوماً، بينما كان جوسيلسون متحفظاً، رفيع المبادئ، وكثير الشكوك والوساوس. لكنهما اشتركا في لغة المنفى نفسها، والارتباط بالعالم الجديد، أمريكا، التي اعتقد الاثنان أنها المكان الوحيد الذي يمكن ضمان مستقبل العالم القديم فيه. وراقت دراما وخداع برلين بعد الحرب لجانب ما في داخل كلا الرجلين، ومنحهما هذا فرصة كبيرة لممارسة موهبتهما كداهيتين ومبدعين. كتب نابوكوف قائلاً، أنه وجوسيلسون 'قاما بعمل جيد في اصطياد النازيين وجمدا بعض قادة الفرق الموسيقية المشهورين، وعازفي البيانو، والمغنين، وعدداً من أعضاء الفرق الموسيقية (معظمهم استحق ذلك وبعضهم يجب أن يكونوا كذلك اليوم)'.[13] وهذان الرجلان، اللذان غالباً ما كانا يتجهان ضد التفكير الرسمي الفطري، تبنيا وجهة نظر براغماتية حيال 'تطهير النازيين'. رفضا قبول فكرة أن أفعال الفنانين في ألمانيا النازية السابقة يمكن أن تعامل كظاهرة فريدة، وبأن يصدر الحكم وفق تفسير الاستمارة. وشرح زميل له فيما بعد: 'لقد رأى جوسيلسون أن دور المفكرين في ظرف عسير جداً يجب ألا يقرر فوراً. لقد فهم أن النازية في ألمانيا كانت كلها مفارقة عجيبة ومضحكة. ولم يمتلك الأمريكيون فكرة عنها، بشكل عام. بنى غاصوا فيها وأشاروا بإصبعهم فحسب'.[14]

في 1947، كان مدير الفرقة الموسيقية فيلهيلم فورتفانجلر موضوع سخرية وازدراء. وعلى الرغم من أنه تحدى بشكل علني وصم بول هنديميث بأنه شخص 'منحط'، إلا أنه وصل فيما بعد إلى تسوية مع النظام النازي ذات منفعة متبادلة. ففورتفانجلر، الذي عُيِّنَ مستشار دولة بروسي، وشغل، بالإضافة إلى ذلك، مناصب أخرى رفيعة منحها له النازيون، واصل إدارة فرقة برلين الفيلهارمونية وأوبرا برلين التابعة للدولة أثناء الرايخ الثالث. وفي كانون الأول 1947، بعد سنة ونصف من توجيه انتباه مفوضية المراقبة التابعة للحلفاء، كان من المتوقع ظهور هذا المدير أمام محكمة الفنانين المجتمعة في برلين، وقد استمرت مرافعات القضية لمدة يومين. كانت النتيجة غامضة، ودرستْ المحكمة ملفّه طوال شهور. ثم برأته قيادة الحلفاء بشكل مفاجئ، وقالت إنه حر في إدارة فرقة برلين الفيلهارمونية في 25 أيار 1947 في قصر التيتانيا الذي صادره الأمريكيون. وبين الأوراق التي تركها مايكل جوسيلسون هناك ملاحظة تشير إلى دوره في ما سماه المطلعون بـ 'قفزة' فورتفانجلر. كتب جوسيلسون: 'لعبتُ دوراً رئيسياً في منع إدخال فيلهيلم فورتفانجلر في عملية التطهير من النازية رغم حقيقة أنه لم يكن مطلقاً عضواً في الحزب النازي'.[15] نفّذت المناورة بمساعدة من نابوكوف، ورغم أن موقف الاثنين كان، بعد

سنوات، غامضاً حيال تفاصيل القضية. فقد سأل نابوكوف جوسيلسون في 1977: 'أتساءل إن كنت تتذكر متى كان موعد مجيء فورتفانجلر إلى برلين الشرقية حين عقد مؤتمراً صحفياً هناك مهدداً بالذهاب إلى موسكو إذا لم نبرئه على الفور. يُخيّل إلي أنه كانت لك علاقة بإحضاره من القسم السوفياتي إلى مسكني. أتذكر غضب الجنرال مكلور – رئيس قسم التحكم بالمعلومات – الهادئ من سلوك فورتفانجلر آنذاك...'[16]

وكان رد فعل أحد المسؤولين الأمريكيين غاضباً حين اكتشف أن أشخاصاً مثل فورتفانجلر قد 'تمت تبرئتهم'. ففي نيسان 1947، طلب نويل جينكز، الذي عينته الحكومة العسكرية الأمريكية رئيساً لشؤون المسرح والموسيقى في وورتمبرغ – بيدن، طلب بغضب تفسيراً 'لكيفية أن كثيراً من النازيين البارزين في حقل الموسيقى لا يزالون نشيطين'. بالإضافة إلى فورتفانجلر، برأت لجان الحلفاء هيربرت فون كاراجان وإليزابيث شوارزكوف في الحال، رغم سجليهما القذرين. ولاسيما فون كارجان، بنحو غير قابل للجدل في الحقيقة. فقد كان عضواً في الحزب منذ 1933، ولم يتردد مطلقاً في افتتاح حفلاته بنشيد هورست فيسيل Horst Wessel Lied المفضَّل للنازية. ولقد لقبه أصدقاؤه بـ ' العقيد فون كاراجان'. ولكن رغم انحيازه للنظام النازي، فقد تمت إعادته بسرعة، كملك لا يُنازعه أحد، إلى فرقة برلين الفيلهارمونية، التي تأسست في سنوات ما بعد الحرب كحصن رمزي ضد الكليانية السوفياتية.[17]

وأما إليزابيث شوارزكوف فقدّمت حفلات موسيقية للقوات المسلحة على الجبهة الشرقية، ومثّلت في أفلام غوبلز الدعائية، وصنّفها في قائمة الفنانين 'الذين باركهم الرب'. كان رقمها الحزبي في الحزب الاشتراكي الوطني هو 7548960. سألت عازفها المصاحب نصف اليهودي، بيتر جيلهورن الذي اضطر هو نفسه للفرار من ألمانيا في الثلاثينيات: 'أيجب على الخبّاز أن يتوقف عن صناعة الخبز إذا كان لا يحب الدولة؟' وبالتأكيد، كلا.

برأت لجنة المراقبة التابعة للحلفاء شوارزكوف، فحلّقت في مهنتها. وفيما بعد جعلوا منها سيّدة الإمبراطورية البريطانية.

إن مسألة كيف يجب أن يحاسب الفنانون على الانغماس في سياسة زمانهم لا يمكن أن تُحل مطلقاً ببرنامج تطهير من النازية يصيب ويخطئ. وكان جوسيلسون ونابوكوف واعيين جداً لحدود برنامج كهذا، وهكذا يمكن أن يُنظر إلى دافعهما في القفز فوق إجراءاته كشيء إنساني، وشجاع. ومن ناحية أخرى، كانا ضحية فوضى أخلاقية: فقد خلقت الحاجة لخلق تعبئة مضادة للشيوعية ضرورة سياسية ملحة – وخفية – لتبرئة أولئك الذين يشتبه بأنهم كانوا يجاملون النظام النازي. وولّد هذا تسامحاً في تقريب المشتبه به بالفاشية إذا كان يمكن توظيفه ضد الشيوعية: يجب على شخص ما أن يستخدم هراوة ضد السوفيات. وتكشف رسالة نابوكوف المرسلة في 1977 إلى جوسيلسون أنهما كانا بالفعل مضطرين إلى انتزاع فورتفانجلر من السوفيات (الذين عرضوا على مدير الفرقة هذا أن يتولى شؤون أوبرا Unter Den Linden)، بينما كان فورتفانجلر نفسه يناور على الطرفين معاً. وأشار ظهوره في أيار 1947 في قصر التيتانيا إلى أن السوفيات لن يبقوا في مؤخرة المسرح 'في معركة الفرق الموسيقية'. وبحلول

1949، سُجِّلَ فورتفانجلر بين الفنانين الألمان المسافرين إلى بلدان أجنبية في إطار برامج ثقافية ترعاها أمريكا. في 1951، أدار الفرقة السمفونية في افتتاح مهرجان بايروت Bayreuth الثاني، الذي أعيد تسليمه إلى عائلة فاغنر، رغم الحظر الرسمي على ريتشارد فاغنر (بسبب نزعته القومية).

وقد قال وليم دونوفان، رئيس الاستخبارات الأمريكية المعروف في وقت الحرب: 'سوف أضع اسم ستالين في جدول الرواتب لو ظننتُ أن هذا سيساعدنا في هزيمة هتلر'.[18] وفي عملية معاكسة بالغة السهولة، صار ملحوظاً آنذاك أن الألمان 'يجب أن يصبحوا أصدقاءنا الجدد، بينما يصبح المخلصون الروس أعداءنا'. وكان هذا بالنسبة لآرثر ميلر 'أمراً حقيراً'. وبدا لي في السنوات اللاحقة كأن هذا التحول المشوِّه، هذا النزع لرقع الخير والشر عن أمة ولصقها على أخرى، أدى إلى ذبول فكرة عالم أخلاقي حتى على المستوى النظري. فإذا كان صديق الشهر الماضي يمكن أن يصبح بسرعة عدوَّ هذا الشهر، ففي أي عمق واقعي يمكن للخير والشر أن يحصلا؟ إن العدمية – وبشكل أسوأ، التسلية المتثائبة – تجاه مفهوم الضرورة الأخلاقية نفسه، والتي ستصبح صفة للثقافة العالمية، قد ولدت في تلك السنوات الثماني أو العشر من عملية إعادة التنظيم بعد موت هتلر؟'[19]

كانت هناك بالطبع أسباب جدّية لمعارضة السوفيات، الذين كانوا يتحركون بسرعة خلف جبهة الطقس البارد. استلم الشيوعيون السلطة في بولونيا في كانون الثاني. وترددتْ في إيطاليا وفرنسا إشاعات عن انقلابات شيوعية. وكان الاستراتيجيون السوفيات سريعين في استثمار عدم الاستقرار الواسع الانتشار في أوروبا في فترة ما بعد الحرب. وبطاقة وسعة حيلة•ظهر أن نظام ستالين،رغم أحاديته العنيدة، استطاع أن يطوّر نفسه بنشاط خيالي لم تستطع الحكومات الغربية مجاراته، نشر الاتحاد السوفييتي مجموعة من الأسلحة غير التقليدية لكي يؤثر في الوعي الأوروبي، ويليِّن الرأي العام لصالحه. وتم تأسيس شبكة واسعة من الجبهات، بعضها جديد، وبعضها الآخر تم إحياؤه من حالة هاجعة منذ موت ويلي مونزنبرغ في 1940 وهو الدماغ الذي كان وراء حملة الإقناع السرية التي شنها الكرملين واستهدفت جميع نقابات العمال، والمؤسسات الثقافية، والصحافة، والنشر.

وفعل السوفيات، الخبراء في استخدام الثقافة كأداة للإقناع السياسي، الكثير في تلك السنوات الأولى من الحرب الباردة كي يؤسسوا نموذجهم المركزي كنموذج ثقافي. أما نظام ستالين، الذي كان يفتقر إلى قوة الولايات المتحدة الاقتصادية، وكان لا يزال دون قدرة نووية، ركَّز على ربح 'المعركة في داخل عقول البشر'. وكانت أمريكا، رغم جهد ضخم لتنظيم الفنون في فترة البرنامج الجديد، لا تمتلك خبرة في ممارسة الصراع الثقافي الدولي. وفي أوائل 1945، تحدث ضابط مخابرات عن التكتيكات غير التقليدية التي كان السوفيات قد تبنوها. وقال في تقرير إلى رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية، الجنرال دونوفان: 'سيسبب اختراع القنبلة النووية تبدلاً في التوازن بين الأساليب 'السلمية' و'الحربية' في ممارسة الضغط الدولي. ويجب أن نتوقع زيادة واضحة جداً في أهمية الأساليب 'السلمية'. سيكون أعداؤنا أكثر حرية من قبل

في ممارسة الدعاية، والتخريب، والتدمير وممارسة... الضغوط علينا، ونحن أنفسنا سنصبح أكثر رغبة في تحمل هذه الإهانات وننغمس في طرق كهذه - بسبب تلهفنا لتجنب مأساة الحرب المفتوحة مهما كانت الكلفة، ستصبح التقنيات 'السلمية' أكثر حيوية في أوقات التهدئة قبل الحرب،وفي الحرب الفعلية العلنية، وفي أوقات التحكم بعد الحرب.'[20]

يظهر هذا التقرير نفاذ بصيرة استثنائياً. ويقدم تعريفاً للحرب الباردة كصراع نفسي، ولصناعة القبول بطرق 'سلمية'، ولاستخدام الدعاية لإنهاء المواقع المعادية. ومع النشاط المتزايد لافتتاح الأنشطة في برلين، كان لابد أن يكون 'السلاح العملياتي' هو الثقافة. لقد بدأت الحرب الباردة الثقافية.

ووسط الانحطاط صممت القوتان المحتلتان حياة ثقافية مدروسة بنحو غير طبيعي وأوقفتاها على قدميها فيما هما تتنافسان للحصول على نقاط دعاية جديدة. وفي بداية 1945، 'حين كانت رائحة الجثث البشرية ما تزال عالقة في ركام الأنقاض'، قدّم الروس افتتاحاً رائعاً لأوبرا الدولة بأداء لـ 'أورفيوس' من تأليف غلاك Gluck، في قصر الأدميرال، جميل الإضاءة، وذي البلش الأحمر. وابتسم الضباط الروس القصار، ذوو الأجسام الممتلئة، والشعر المدهون، معتدين بأنفسهم، لضباط الجيش الأمريكي وهم يصغون سوية لأداء يوجين أونجن Eugene Onegin أو لتفسير Rigoletto مضاد للفاشية على نحو واضح، وكان رنين الأوسمة يتردد مع الألحان.'[21]

وكان من مهمات جوسيلسون الأولى استرجاع آلاف النماذج التي تنتمي إلى أوبرا الدولة الألمانية السابقة - شركة أوبرنهاوس، المنافس الجدي الوحيد لأوبرا الدولة الروسية - والتي خزنها النازيون، على نحو آمن، في قاع منجم ملح خارج برلين في منطقة الاحتلال الأمريكي. وفي يوم كئيب ماطر، انطلق جوسيلسون مع نابوكوف للاستيلاء على تلك النماذج. وفي طريق عودتهما إلى برلين، اصطدمت سيارة جوسيلسون الجيب، التي سبقت مرسيدس نابوكوف المصادرة، بحاجز سوفياتي وهي في السرعة الكاملة. ونقل جوسيلسون الذي كان فاقداً للوعي ومصاباً بالجراح الكثيرة والكدمات إلى مستشفى عسكري روسي، حيث ضمدت الضابطات الروسيات الطبيبات جراحه وأعدنه إلى حالته السابقة. وحين تحسّنت صحته أعيد إلى منزله العسكري في المنطقة الأمريكية، الذي كان يشاركه فيه ممثل طموح يُدعى بيتر فان إيك. ولكن، لولا عناية أطبائه السوفييت لما كان جوسيلسون قادراً على أن يعيش ليُصبح دياجيليف Diaghilev حملة أمريكا الدعائية الثقافية المضادة للسوفيات. لقد أنقذ السوفيات الرجل الذي فعل، في العقدين التاليين، الكثير لتدمير محاولاتهم من أجل الهيمنة الثقافية.

في 1947، أطلق السوفيات طلقات مدفعية جديدة حين افتتحوا 'منزل الثقافة' في شارع Unter den Linden. ولقد أذهلت المبادرة ضابط شؤون ثقافية بريطاني رفع تقريراً ذكر فيه، بحسد، أن تلك المؤسسة 'تتجاوز كل ما فعله الحلفاء الآخرون وتضع جهدنا القليل والفقير في الظل تماماً... لقد جُهِّزَ البناء، بشكل أكثر ترفاً، بأثاث جيد، أكثره أثري، وبسجاد في جميع الغرف، وأضواء متألقة، وكان مدفأ أكثر مما ينبغي، ودهن كل شيء من جديد... لقد حقق

الروس كل ما أرادوه فحسب... وهناك بار وغرفة للتدخين... و يبدو جذاباً جداً وفاخراً بسجاده الناعم وثرياته... إن هذه المؤسسة الثقافية المهيبة سيصل تأثيرها إلى الجماهير الواسعة وتفعل الكثير لتلغي الفكرة المقبولة هنا بشكل عام بأن الروس غير متحضرين. إن هذه المغامرة الأخيرة مقلقة أكثر مما نظن، ذلك أن إسهامنا في هذا المجال قليل جداً إذ يقتصر على مركز معلومات واحد وبضع غرف للقراءة تُغلق أحياناً بسبب عدم توفر الفحم الحجري!... ينبغي أن يحثنا هذا الدخول السوفياتي الأخير إلى الصراع الثقافي على الرد بخطة جريئة مقابلة من أجل نقل الإنجازات البريطانية إلى برلين'.[22]

وفيما كان البريطانيون يفتقرون إلى الفحم من أجل تدفئة غرفة قراءة، تشجَّع الأمريكيون لرد النار على السوفيات بافتتاح البيوت الأمريكية Amerika- Hauser. وقدمت هذه المؤسسات التي شُيِّدَتْ 'كقواعد أمامية للثقافة الأمريكية'، ملاذاً من قسوة الطقس فيها غرف قراءة مؤثثة بشكل جيد، وعروض أفلام، وأمسيات موسيقية، ومحاضرات ومعارض فنية، وكل هذا 'يؤكد على أمريكا إلى حد بعيد'. وفي كلمة عنوانها 'من خارج الحطام' أكد مدير التربية والعلاقات الثقافية لموظفي هذه البيوت على الطبيعة الملحمية لعملهم: 'قلة من الناس فحسب حصلت، مثلكم، على امتياز كونها جزءاً من مهمة أشد خطورة أو أكثر تحدياً، أو مهمة مليئة بالأشراك، أنتم، الذين تم اختياركم للقيام بإعادة توجيه فكرية، وأخلاقية، وروحية، وثقافية لألمانيا مهزومة، ومفتوحة، ومحتلة'. لكنه نوَّه أنه 'رغم الإسهام الكبير الذي قامت به أمريكا في الحقل الثقافي، فهو غير معروف بشكل عام حتى لألمانيا ولبقية العالم. فثقافتنا يُنظر إليها على أنها مادية وغالباً ما يسمع المرء تعليقاً يقول: نحن نمتلك المهارة، والأدمغة، وأنتم تملكون النقود'.[23]

وبتأثير الدعاية الروسية، نُظِرَ إلى أمريكا على نحو واسع بأنها فقيرة ثقافياً، أمة وجدت لمضغ العلكة، والمطاردة بالسيارات، وللمتسابقين على المادة ذوي الثياب الفاخرة، وقد فعلت البيوت الأمريكية كل ما في وسعها كي تلغي هذا الرأي المسبق السلبي. وكتب مدير المشروع المتحمِّس: 'هناك شيء واحد مؤكد بشكل مطلق، المادة المطبوعة المنقولة من الولايات المتحدة... تحدث تأثيراً عميقاً في تلك الدوائر الألمانية التي اعتقدت، طوال أجيال، أن أمريكا متخلفة ثقافياً والتي أدانت الكل بسبب أخطاء بضعة أجزاء. وهاجم برنامج الكتب الجيدة الكليشيهات القديمة المستندة إلى افتراض تاريخي مسبق عن تأخر الثقافة الأمريكية، لأن تلك الدوائر نفسها التي أيَّدتْ هذه الافتراءات يبدو الآن أنها 'متأثرة تماماً وبعمق'.[24]

كانت هناك بعض الكليشيهات التي يصعب إزالتها. فحين قدم أحد محاضري البيوت الأميركية وجهة نظر حول 'الوضع الحالي للزنوج في أمريكا'، قوبل بأسئلة 'لم يكن بعضها صادراً عن الإرادة الطيبة'. رد المحاضر بحيوية على السائلين ، الذين ربما كانوا شيوعيين أو لم يكونوا. ' ولحسن حظ المنظِّمين، فقد تبع المحاضرة 'أغان أدّاها موسيقيون ملوَّنون. واستمر الفنانون الزنوج في الغناء طويلاً بعد موعد الإغلاق الرئيسي... وبدت روح المناسبة ملائمة للفرص بحيث اتُخذ قرار لدعوة هذه المجموعة الزنجية لتكرار الأداء.'[25] واستغلت الدعاية

السوفياتية مشكلة العلاقات العرقية في أمريكا كثيراً، وجعلت كثيراً من الأوروبيين يرتابون في قدرة أمريكا على ممارسة الديموقراطية التي تزعم الآن أنها تقدمها للعالم. وقد ساد الاعتقاد بأن تصدير الأمريكيين الأفارقة للغناء في أوروبا سيزيل ملاحظات مؤذية كهذه. إذ يكشف تقرير للحكومة العسكرية الأمريكية في آذار 1947 خططاً 'للحصول على مطربين أمريكيين زنوج لإحياء الحفلات في ألمانيا... فظهور ماريان أندرسون أو دوروثي مينور أمام الجمهور الألماني سيكون كبير الأهمية'.[26] وسيصبح تشجيع الفنانين السود أولوية ملحة لمحاربي الحرب الثقافية الباردة.

وبدأ الرد الأمريكي على الهجوم الثقافي السوفياتي يستجمع أنفاسه. فقد تم نقل الترسانة الكاملة للإنجاز الأمريكي إلى أوروبا ووضعت في خزانات العرض في برلين. واستوردت مواهب أوبرالية جديدة من أكاديميات أمريكا الأكثر عراقة: الجوليارد، الكورتيس، الإيستمان، البيبودي. وسيطرت الحكومة العسكرية على ثماني عشرة فرقة موسيقية ألمانية، وعلى القدر نفسه من شركات الأوبرا. وبعد منع كثير من الموسيقيين المحليين، ازداد طلب السوق واستهلاكه للمؤلفين الأمريكيين مثل ساموبل باربر، ليونارد برشتاين، إليوت كارتر، آرون كوبلاند، جورج جيرشوين، جيان كارلو مونيتي، فرجيل تومسون. وقدم هؤلاء مع كثير من الموسيقيين الألمان أعمالهم في أوروبا تحت رعاية الحكومة العسكرية.

وبالتعاون مع الأكاديميين، وكتاب المسرح، والمخرجين الأمريكيين، تم إطلاق برنامج مسرحي ضخم أيضاً. وقُدِّمَتْ مسرحيات لكل من ليليا هيلمان، ويوجين أونيل، وثورتون وايلدر، وتينيسي ويليامز، ووبليم سارويان، وكليفورد أوديتز، لجماهير متحمِّسة، احتشدت في مسارح باردة كانت الكتل الجليدية فيها تتدلى بخطورة من السقف. وقد وضعوا نصب أعينهم مبدأ شيللر للمسرح كنظام أخلاقي Moralische Anstalt، حيث يستطيع البشر أن يشاهدوا مبادئ الحياة الأساسية معروضة أمامهم، وهيأت السلطات الأمريكية قائمة ناجحة من الدروس الأخلاقية المرغوبة. وهكذا، وتحت شعار 'الحرية والديموقراطية' عُرضت مسرحية إبسن *Peer Gynt*، ومسرحية شو *تابع الشيطان*، ومسرحية روبرت شروود *آبي لنكولن في إلينوي*. وجرى التعبير عن 'القوة والإيمان' في مسرحية *فاوست* لغوته، ومسرحيات ستريندبرغ، وشو. وكانت 'مساواة الإنسان' رسالة تُستخلص من عمل مكسيم غوركي الحضيض ومسرحية فرانز جريلبارزر *ميديا*. وتحت شعار 'الحرب والسلام' جاءت مسرحية أريستوفانيس ليسيستراتا، ومسرحية ر. سي. شيريف *نهاية الرحلة*، ومسرحية ثورتون وايلدر *جلد أسناننا*، ومسرحية جون هيرسي *جرس لأدانو*. وكان 'الفساد والعدالة' موضوعاً لمسرحية *هاملت*، ومسرحية غوغول *المنقِّح*، ومسرحية بومارشز *عرس فيجارو*، ومعظم أعمال إبسن. وإلى ما هنالك، مروراً بـ 'الجريمة لا تعاقب'، 'الأخلاق، والذوق والأسلوب'، و'مطاردة السعادة'، وانتهاء بالحاجة الأكثر غموضاً 'لفضح النازية'. أما 'جميع المسرحيات التي تقبل السيطرة العمياء للقدر وتقود بشكل محتوم (كذا) إلى الدمار والدمار الذاتي، مثل الأعمال الكلاسيكية اليونانية، فقد اعتبرت غير ملائمة 'للوضع الذهني والنفسي الحالي للألمان'. ووُضِعَتْ كذلك على القائمة السوداء مسرحية *يوليوس قيصر*

ومسرحية *كوريولانوس* (تمجيد الديكتاتورية)، ومسرحيات برينز فون هامبورغ وكليست (بسبب الشوفينية)، ومسرحية تولستوي *الجثة الحية* (النقد الفاضل للمجتمع يقود إلى غايات غير اجتماعية)، وجميع مسرحيات هامسون (إيديولوجيا نازية فاضحة)، ومسرحيات أي شخص آخر 'انتقل إلى خدمة النازية'.[27]

وانتبه أصحاب المشروع إلى نصيحة دزرائيلي بأن 'الكتاب يمكن أن يكون شيئاً عظيماً كالمعركة'، فأطلقوا برنامجاً ضخماً للكتب، هدف بشكل رئيسي إلى 'تقديم الرواية الأمريكية للقارئ الألماني بأكثر الأساليب الممكنة فعالية'. وضمنت حكومة الاحتلال التي راقت للناشرين التجاريين تدفقاً مستمراً من 'الكتب المتنوعة' والتي اعتبرت 'أكثر قبولاً من المطبوعات التي تشرف عليها الحكومة العسكرية، لأنها تخلو من أثر الدعاية'.[28]

ولكن الهدف منها كان هو الدعاية بالتأكيد. ووصلت الترجمات التي قامت بها فرقة الحرب النفسية التابعة للحكومة العسكرية الأمريكية إلى مئات العناوين، وتسلسلتْ من كتاب هوارد فاست *المواطن توم بين*، إلى كتاب آرثر م. شليسنغر جي آر *تنفيذ البرنامج الجديد*، إلى كتاب متحف الفن الحديث *بُني في الولايات المتحدة*. وصدرت كذلك طبعاتٌ ألمانية لكتب 'مناسبة للأطفال في السن الأكثر تأثراً'، مثل كتاب ناثانييل هوثورن *حكايات عجيبة*، وكتاب مارك توين *يانكي من كونيكيت في بلاط الملك آرثر*، وكتاب لورا إنجالز وايلدر *بلدة صغيرة في المروج*.

وعززت برامج النشر سمعة كثير من الأمريكيين في ألمانيا بعد الحرب (ومناطق أخرى محتلة). وحلّق ختم الثقافة الأمريكية من خلال توزيع أعمال من تأليف لويزا مي ألكوت، وبيرل بيك، وجاك بارزون، وجيمس برنهام، وويلا كيثر، ونورمان كزينز، وويليم فوكنر، وإلين جلاسكو، وإرنست همنغواي، وف. أو. ماتهيسن، ورينهولد نيبور، وكارل ساندبرغ، وجيمس ثيربر، وإديث وارتون، وتوماس وولف.

وتمّ تشجيع الكتاب الأوروبيين أيضاً كجزء من 'برنامج مضاد للشيوعية' بصورة واضحة. وكانت النصوص المناسبة هي التي تحوي 'أي نقد نجده موضوعياً، ومكتوباً بشكل مقنع، ضد سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية وضد الشيوعية كشكل من أشكال الحكم'.[29] ولقد حقق هذه المعايير كتاب أندريه جيد عن تجاربه المخيبة للأمل في روسيا، *العودة من الاتحاد السوفييتي*، وكتاب آرثر كويستلر *ظلمة في الظهيرة*، *واليوغاني والمفوّض*، وكتاب *خبز وخمر* لإغنازيو سيلوني. وبالنسبة لكل من كويستلر وسيلوني، كان هذا أول ظهور متكرر لهما تحت جناح الحكومة الأمريكية. وسحبت الموافقة على نشر بعض الكتب وكانت الضحية الأولى كتاب جون فوستر دلس، المنطوي الآن على مفارقة تاريخية، *روسيا وأمريكا: جارتان باسيفيكيتان*.

وفي الفن، ظهرتْ السيدة موهولي – ناغي أمام الجمهور الألماني لتتحدث عن عمل زوجها المتوفى لاسلو Laszlo، وعن الاتجاه الجديد الذي سلكه الباوهاوس الجديد The New Bauhus في شيكاغو. وكتب صحفي متعاطف أن محاضرتها 'كانت إسهاماً غنياً في المفاهيم المحدودة التي نمتلكها عن الثقافة والفن الأمريكيين'.[30] وتم تشجيع هذه المفاهيم من خلال إقامة معرض 'للوحات غير الموضوعية' من متحف ككينهايم. وكان هذا هو الظهور الأول لمدرسة نيويورك،

المعروفة باسم التعبيرية التجريدية،تحت رعاية الحكومة. وبسبب الاعتقاد أن الجديد صادمٌ جداً، عولج الجمهور بمحاضرات عن 'أفكار أساسية في الفن الحديث' استخدمت، بأريحية، لوحات قروسطية لتقديم 'الإمكانيات التجريدية للتعبير الفني'.

ولأن ذكرى معارض 'الفن المنحط Entartekunst وسفر الخروج اللاحق لكثير من الفنانين إلى أمريكا، لا يزالان طريين، كان الانطباع الآن يتركز على ثقافة أوروبية حطمتها الفاشية، وتطهرت على شواطئ بيزنطة الجديدة: أمريكا. وزُعم إن الجماهير، التي شهدت المهرجانات الحاشدة في نورمبرغ، أرعبتها محاضرة واحدة 'تحدثتْ عن حفلات سيمفونية ضخمة في الهواء الطلق في الليل يحضرها جمهور لايتجاوز عدده عدد أولئك الذين يحضرون فقط وقائع رياضية خاصة في مدرَّجاتنا'.[31]

لم تكن جميع الجهود من العيار الكبير. وترك إصدار الطبعة الإنكليزية من كتاب إليري كوين *مجلة اللغز*، أشخاصاً مثل مايكل جوسيلسون باردين كالحجر. ولم يكن الجميع مقتنعين أن نادي بيل كلي هو الأداة الأفضل للبرهنة، دون أي شك، على 'الأهمية الكبرى للفنون في المقررات الجامعية كترياق ضد الجماعية، وسيطرة الدولة'.[32] وحتى مدرسة دارمشتات بدأت بداية مضطربة. 'فدروس العطلة للموسيقى الجديدة في دارمشتات '، والتي كانت مبادرة جريئة من الحكومة العسكرية الأمريكية، انتهتْ تقريباً إلى شغب بعد خلاف حول موسيقى جديدة ملئت بعداوة مفتوحة. وأكد تقييم رسمي واحد: هناك تسليمٌ عام بأن كثيراً من هذه الموسيقى بلا قيمة ومن الأفضل ألا تُعزف. وظهر شعور بالندم على التأكيد المفرط على الموسيقى ذات الاثني عشر لحناً. ووصف أحد النقاد الحفلات بأنها 'انتصار للهواة'... وبقي الطلاب الفرنسيون بعيدين عن الآخرين وتصرفوا بطريقة متعالية، وجسَّد أستاذهم ليبوفيتز Leibowitz أكثر أنواع الموسيقى تطرفاً، ولم يقبل بصلاحية غيرها، وكان مزدرياً علناً لأي نوع آخر. ولقد حاكى تلاميذه موقفه. وشعر بشكل عام أن منهاج العام التالي يجب أن يتبع نموذجاً مختلفاً أكثر كاثوليكية'.[33] وبالطبع أصبحت دارمشتات قلعة التجريب التقدمي في الموسيقى بعد بضع سنوات.

ولكن جميع حفلات السيمفونيات والمسرحيات والمعارض لم تستطع أن تخفي الحقيقة الواقعية الصارخة لذلك الشتاء القاسي والطويل في 1947 :كانت أوروبا على شفا الافلاس. أما السوق السوداء المستشرية، والاضطراب الأهلي، وسلسلة الإضرابات التي أدَّتْ إلى الشلل – التي رتَّبتها النقابات التجارية الشيوعية– فقد أنتجتْ مستويات من الانحطاط والحرمان تساوي كل ما جُرِّبَ في أثناء لحظات الحرب الأكثر ظلمة. ففي ألمانيا فقدت النقود قيمتها، وصار من المستحيل الحصول على الدواء والثياب، وعاشت أسر كاملة في غرف تحت الأرض دون ماء أو ضوء، وقدم الفتيان والفتيات الشابات الجنس للجنود الأمريكيين مقابل قطعة من الشوكولاتة.

وفي الخامس من حزيران 1947، قام الجنرال جورج كاتليت مارشال، رئيس أركان الجيش الأمريكي في زمن الحرب، والذي كان آنذاك وزير خارجية ترومان، بالإعلان عن خطة للتعامل

مع 'الأزمة الكبيرة'. ففي حفلة التخرج في هارفارد، المئتين وستة وتسعين، والتي حضرها عالم الفيزياء النووية روبرت أوبنهايمر، والقائد العام عمر برادلي، وت. س. إليوت - وكانوا كلهم، مثل مارشال، يتلقون درجات شرف-، ألقى مارشال خطاباً استمر عشر دقائق، وحدَّد لحظة محفزة في تاريخ أوروبا بعد الحرب. فبعد أن حذَّر من أن 'العالم كله ... وطريقة الحياة التي عرفناها لم يستقرا بعد'، دعا العالم الجديد إلى مد يد المساعدة من خلال برنامج عاجل من الاعتمادات المالية والمساعدة المادية الضخمة، كي تتم حماية العالم القديم من الانهيار. وصرَّح مارشال:' هناك عدم استقرار واسع الانتشار. وثمة محاولات يجري التخطيط لها لتغيير وجه أوروبا الذي نعرفه، مضادة لمصالح بشرية حرة، وحضارة حرة. فإذا ترك الأوربيون لن يكون هناك مفر من عوز اقتصادي متزايد، واستياء اجتماعي عنيف، وفوضى سياسية واسعة الانتشار بحيث أن القاعدة التاريخية للحضارة الغربية، والتي نشكل نحن جزءاً لا يتجزأ منها بالمعتقد والإرث، ستأخذ أشكالاً جديدة في صورة الطغيان الذي قاتلنا لتدمره في ألمانيا'.[34]

وبعد أن نطق بهذه الكلمات فحص الجنرال مارشال وجوه الطلاب في شعاع شمس الربيع وشاهد، مثل جون كراو رانسوم أمامه، 'العزّاب الناشئين لهارفارد/ مضائين كالمشاعل، يتدافعون كي يتفرقوا كجمرات لا هدف لها يثير انطفاؤها الشفقة.'[35] ولم يكن من قبيل المصادفة أنه قرر إلقاء خطابه هنا، بدلاً من أن يلقيه من على منصة حكومية رسمية. ذلك أن هؤلاء الرجال هم المرشحون كي يدركوا 'مصير أمريكا القادم'، هم النخبة المسؤولة عن تنظيم العالم حول القيم التي كانت الظلمة الشيوعيةُ تهدِّدُ بالقضاء عليها. وكان تنفيذ مشروع مارشال، كما أصبح معروفاً، إرثهم.

ولقد صُمِّمَ خطاب مارشال كي يدعم دعوة ترومان الإيديولوجية إلى السلاح التي أطلقت قبل بضعة شهور، والتي سُميت على الفور عقيدة ترومان. فيما كان ترومان يخاطب الكونغرس في آذار 1947 عن الموقف في اليونان، حيث كان يُهَدّدُ انقلاب شيوعي، دعا بلغة متوعدة، إلى عصر جديد من التدخل الأمريكي، مصرّحاً:'في هذه اللحظة الحاضرة من تاريخ العالم يجب أن تختار جميع الأمم تقريباً بين طريقتين متغايرتين في الحياة. وغالباً ما يكون الخيار غير حر. طريقة حياة تستند إلى إرادة الأغلبية... والثانية... تستند إلى إرادة أقلية مفروضة بالقوة على الأغلبية. تعتمد على الإرهاب والقمع، وعلى الصحافة والإذاعة الخاضعتين لهذه الأقلية، وعلى الانتخابات المزوَّرة وقمع الحريات الشخصية. وأعتقد أن الولايات المتحدة ينبغي أن تتبنى سياسة لدعم الشعوب الحرة التي تقاوم محاولات الإخضاع من قبل الأقليات المسلحة أو الضغط الخارجي. أعتقد أن علينا أن ندعم الشعوب الحرة كي تقرر مصيرها بطرقها الخاصة.'[36]

بعد خطاب ترومان، أخبر وزير الخارجية دين أشيسون أعضاء الكونغرس:'لقد وصلنا إلى موقف لا مثيل له منذ الأزمنة القديمة. إذ لم يحدث منذ روما وقرطاجنة استقطاب للقوة على الأرض كهذا الذي نشهده. وفضلاً عن ذلك، تفصلُ بين القوتين العظميين هوة إيديولوجية لا تُردم'.[37] أما جوزيف جونز، مسؤول وزارة الخارجية، الذي أعد مناشدة ترومان للكونغرس، فقد

فهم التأثير الضخم لكلمات الرئيس، وقال:'لقد أزيحت بالفعل جميع الحواجز أمام الفعل الجريء'. وشعر صانعو السياسة أن 'فصلاً جديداً في تاريخ العالم قد فُتِحَ، وكانوا أكثر البشر تمتعاً بهذا الامتياز، بسبب مشاركتهم في دراما نادراً ما تحدث حتى في الحياة الطويلة لأمة عظيمة'.[38]

أما الإحساس المتصاعد بالأبعاد الكلاسيكية لدور أمريكا بعد الحرب، والذي حث عليه خطاب ترومان، فقد شكل السياق البلاغي لخطاب الجنرال مارشال الأقل وضوحاً في عدائه للشيوعية. وأرسل مزيج الخطابين – صفقة المساعدة الاقتصادية مرتبطة بضرورة عقائدية – رسالة غير غامضة: إن مستقبل أوروبا الغربية، إذا كان لأوربا الغربية مستقبل، يجب أن يُسخَّر الآن للسلِّم الأمريكي.

وفي 17 حزيران هاجمت صحيفة البرافدا السوفياتية اقتراح مارشال على أنه توسيعٌ 'لخطة ترومان من أجل ممارسة الضغوط السياسية بالدولارات، وبرنامج للتدخل في الشؤون الداخلية لدول أخرى'.[39] وعلى رغم أن مارشال وجه دعوة للسوفيات للمشاركة في برنامجه الإنعاشي الشامل لأوروبا، إلا أن العرض كان، كما قال جورج كينان، 'ماكراً، ومصمَّماً كي يُرْفض'.[40] وكما هو متوقع، رفض السوفيات أن يكونوا جزءاً من المشروع. ربما كان رفضهم مبالغاً به، ولكن السوفيات كانوا في الجوهر، على صواب في ربط النوايا الإنسانية للمشروع ببرنامج عمل سياسي أقل وضوحاً. وبعيداً عن فكرة التعاون مع الاتحاد السوفياتي، كان مصمماً في إطار روح حرب باردة تهدف إلى وضع إسفين بين موسكو وأنظمتها التابعة'.[41] وكتب دينيس فيتزجيرالد، المصمم لمشروع مارشال، فيما بعد قائلاً: 'كان مفهوماً ضمناً طول الوقت أنه كان من المهم أننا لم نمنح الشيوعيين الفرصة كي يقحموا مجاذيفهم في هذه الأمكنة. كانت هناك دوماً حجة جاهزة تقول إنه إذا فشلنا بأن نخمن بشكل كامل متطلبات إكس، وواي، وزد، فسوف يستفيد الشيوعيون من هذا الموقف لتدعيم مصالحهم'.[42] ودعم نائب مدير المشروع، ريتشارد بيسيل، وجهة النظر هذه قائلاً: 'حتى قبل نشوب الحرب الكورية، كان مفهوماً أن مشروع مارشال لم يقصد منه مطلقاً أن يكون مسألة حب للغير بشكل كامل. وكان الأمل هو أن دعم اقتصاد البلدان الأوروبية الغربية سوف يعزِّز وزنها كأعضاء في حلف الناتو، وسيمكنها في النهاية من تولي مسؤولية دفاعية في دعم جهود الحرب الباردة'.[43] وكان من المتوقع، سرياً، أن تتولى هذه البلدان كذلك مسؤوليات أخرى 'في دعم جهود الحرب الباردة'، ومن أجل هذه الغاية بدأت أموال مشروع مارشال تتدفق في الحال لتعزيز الصراع الثقافي في الغرب.

في الخامس من تشرين الأول، 1947، عقد مكتب المعلومات الشيوعي اجتماعه الأول في بلغراد. وكان الكومنفورم، الذي شُكِّل في أيلول الماضي في موسكو، قاعدة ستالين العملياتية الجديدة للحرب السياسية، والذي حلَّ محلَّ الكومنترن الميت. وكان الهدف من اجتماع بلغراد أن يرسل تحدياً مفتوحاً لعقيدة ترومان ومشروع مارشال، ويشجبهما كخدعتين 'عدوانيتين لتحقيق تطلعات أمريكا من أجل السيادة على العالم'.[44] وخاطب أندريه جدانوف، 'مهندس سياسة ستالين الثقافية التي لا ترحم، الشيوعيين في أوروبا الشرقية بأنهم إذا 'كانوا مستعدين

لقيادة جميع القوى الجاهزة للدفاع عن الشرف القومي والاستقلال في الصراع ضد المحاولات الهادفة إلى إخضاع بلدانهم اقتصادياً وسياسياً، فلن تنجح أية خطة تهدف إلى إخضاع أوروبا'.[45] ومثلما اختار مارشال أن يخاطب مركز أمريكا، دعا جدانوف أنتلجنسيا العالم كي توظف أقلامها تحت راية الشيوعية، وتستخدم حبرها ضد الإمبراطورية الأمريكية. 'وقد حققت أحزاب أوروبا الشيوعية نجاحاً هاماً في إدارة العمل بين صفوف الأنتلجنسيا. والبرهان على ذلك هو حقيقة أن أفضل رجال العلم، والفن، والأدب في هذه البلدان كانوا ينتمون إلى الحزب الشيوعي، ويترأسون حركة الصراع التقدمي بين الأنتلجنسيا، ويكسبون من خلال صراعهم الإبداعي الذي لا يكل، المزيد من المفكرين إلى جانب القضية الشيوعية'.[46]

وفيما بعد، خلال ذلك الشهر، اجتمعت قوات العاصفة الإيديولوجية للكومنفورم في مؤتمر الكتاب في برلين الشرقية في صالة مسرح كامسبيل. وحين انتهى الجدل - الذي لم يكن جدلاً صرفاً، بالطبع- اقتحم المنصة شاب أمريكي، لحيته مدببة ويبدو أشبه بلينين، وأمسك الميكروفون. ثم تحدث بلغة ألمانية صحيحة، متمسكاً بموقعه لمدة نصف ساعة وخمس دقائق، ممتدحاً أولئك الكتاب الذين امتلكوا القوة للتحدث ضد هتلر، وعارضاً الشبه بين النظام النازي والدولة الشيوعية البوليسية الجديدة. كانت تلك أزمنة خطيرة. وكانت مقاطعة محاضر الجلسات والتشكيك بزخم الدعاية الشيوعية فعلاً جنونياً أو شجاعاً، أو كليهما. كان ميلفن لاسكي قد وصل.

وميلفن لاسكي الذي ولد في 1920، في ذ برونكس، ترعرع في ظل 'الحضور الشبحي' لجد يتكلم اليبدية، كان رجلاً ملتحياً، ومتعلماً، ربّى الشاب لاسكي على نصوص من أساطير اليهود. وكواحد من 'أفضل خريجي نيويورك سيتي كوليج وأكثرهم تألقاً'، بزغ لاسكي من خلال نقاشاتها الإيديولوجية الحارة معادياً قوياً للستالينية يمتلك ميلاً إلى المجابهة الفكرية، وبين حين وآخر، المجابهة الجسدية. انضم إلى الخدمة المدنية وعمل كدليل سفر عند تمثال الحرية، قبل انضمامه إلى هيئة مجلة سول ليفيتاس المعادية لستالين، *نيو ليدر*. وحين طلب للخدمة العسكرية، أصبح مؤرخاً مقاتلاً في الجيش الأمريكي السابع في فرنسا وألمانيا، وفيما بعد سُرِّح في برلين، حيث أصبح مراسلاً في ألمانيا لكل من مجلة *نيو ليدر* ومجلة *بارتيسان ريفيو*.

كان لاسكي، القصير، والممتلئ الجسم، معتاداً على شد كتفيه إلى الخلف ودفع صدره إلى الأمام، كأنه مشحون لخوض معركة. مستخدماً عينيه الشرقيتين لإصدار لمعان مهلك، اكتسب من الجو الخشن للسيتي كوليج خشونة نادراً ما فارقته. تنطبق عليه صفة أطلقها هو على شخص آخر: إنه 'راسخ مثل صخرة جبرالتار'. وقرَّر لوبين بحزم أن لاسكي سيكون قوة يُحسب لها حساب وهو يشق طريقه باندفاع عبر الحملات الثقافية للحرب الباردة. وكسب له احتجاجه الانفجاري في مؤتمر الكتاب في برلين الشرقية لقب 'أبو الحرب الباردة في برلين'. وأزعج تصرفه السلطات الأمريكية التي هَدَّدتْ بطرده. ولرعبه من جبن رؤسائه، قارن برلين ' ببلدة حدودية في الولايات المتحدة في منتصف القرن التاسع عشر حيث الهنود في الأفق، وعليك أن تجعل البندقية في متناول اليد وإلا فسوف تُكشط فروة رأسك. وفي تلك الأيام كانت البلدات

الحدودية ملأى بالمقاتلين الهنود... هناك قلة قليلة من البشر تمتلك شجاعة ما، وإذا كانوا يمتلكونها فإنهم في العادة لا يعرفون إلى أين يوجهون بنادقهم'.[47]

لكن لاسكي كان يعرف الشريف، وبعيداً عن كونه هرب من البلدة، فقد وُضِعَ الآن تحت جناح الحاكم العسكري، الجنرال لوسيوس كلي. احتج لاسكي أمامه قائلاً بينما تسافر الكذبة السوفياتية حول الكوكب بسرعة البرق، فإن الحقيقة يجب أن تنتعل حذاءها الآن. وشرح قضيته بهيام في وثيقة مناقشة قُدِّمَتْ في السابع من كانون الأول إلى مكتب كلي، وأدَّتْ إلى اهتزاز راديكالي في الدعاية الأمريكية. فهذه الوثيقة التي أشير إليها بـ'اقتراح ميلفن لاسكي'، شكَّلت برنامج لاسكي الشخصي لخوض الحرب الثقافية الباردة. وقد قال فيها: 'أعمتنا الآمال الرفيعة من أجل السلام والوحدة العالمية عن حقيقة أن حرباً سياسية مدبّرة ضد الولايات المتحدة قد جُهِّزتْ ونُفِّذَتْ، وليست أكثر نشاطاً في أي مكان أكثر مما هي عليه في ألمانيا. فالصيغ القديمة المضادة للديموقراطية، والمضادة لأمريكا نفسها(كذا) التي تربَّتْ عليها كثير من الأجيال الأمريكية، والتي أوصلتها إلى الأوج آلة الدعاية النازية بقيادة جوبلز، تعاد صناعتها الآن. حرفياً: الأنانية الاقتصادية المزعومة للولايات المتحدة (العم سام مثل شايلوك)، ورد فعلها العميق المزعوم (صحافة رأسمالية مرتزقة'، الخ.) وتقلبها الثقافي المزعوم 'الجاز وهوس السوينغ'، والإعلانات الإذاعية، و'تفاهات' هوليود، و'فطيرة الجبن'، وفن الساق'، ونفاقها الأخلاقي المزعوم (مسألة الزنوج، المحاصصون، العمال الزراعيون)، الخ، الخ....'[48]

وفي لغة استثنائية، تابع لاسكي كي يُعَرِّفَ التحدي: 'إن الصيغة الأمريكية التي شرَّفها الزمن والتي تتلخص في: 'سلِّط الضوء وسيجد الناس طريقهم الخاص'، تبالغ حول وجود إمكانيات في ألمانيا (وفي أوروبا) من أجل تحول سهل... سيكون من الغباء توقع فطام متوحش بدائي عن إيمانه بأعشاب دغل سرية من خلال نشر المعلومات الطبية العلمية الحديثة فحسب...فنحن لم ننجح في مجابهة العوامل المتنوعة، السياسية، والنفسية، والثقافية، التي تعمل ضد سياسة الولايات المتحدة الخارجية، وبخاصة ضد نجاح مشروع مارشال في أوروبا'. ما نحتاج إليه الآن، تابع لاسكي دون توقف، هو 'حقيقة 'فاعلة'، حقيقة جسورة بما يكفي 'للدخول إلى الصراع'، لا حقيقة تتحرك مثل 'متفرج في الألعاب الأولمبية'. وحذَّر قائلاً: 'لا ترتكبوا أي خطأ، إن جوهر الحرب الباردة هو جوهر ثقافي في الأصل. وقد استغل أعداء السياسة الخارجية الأمريكية هنا فراغاً جدياً في البرنامج الأمريكي... والفراغ ... حقيقي ومهلك'.[49]

وكان الفراغ 'الحقيقي والمهلك' الذي أشار إليه لاسكي هو الفشل في 'كسب الطبقات المتعلمة والمثقفة التي، تقدم على المدى الطويل، قيادة أخلاقية وثقافية للقضية الأمريكية. وأضاف أنه يمكن تلافي هذا النقص من خلال إصدار مجلة جديدة 'تخدم كمنبِّه بنّاء للفكر الألماني - الأوروبي'، وتظهر أن هناك، خلف الممثلين الرسميين للديموقراطية الأمريكية، ثقافة عظيمة وتقدمية، حافلة بإنجازات غنية في الفنون، والأدب، والفلسفة، وفي جميع مظاهر الثقافة والتي تُوحِّد التقاليد الحرَّة لأوروبا وأمريكا'.[50]

وقدم لاسكي بعد يومين نشرة تمهيدية لمجلة تُدعى *أمريكان ريفيو* كان هدفها بالتأكيد 'دعم الأهداف العامة للسياسة الأمريكية في ألمانيا وأوروبا من خلال توضيح خلفية الأفكار، والنشاط الروحي، والإنجاز الأدبي والفكري، التي تستمد منها الديموقراطية الأمريكية إلهامها.' وقال إن مجلة *ريفيو* سوف تظهر أن 'أمريكا والأمريكيين أنجزوا انتصارات عظيمة في جميع مجالات الروح الإنسانية المشتركة لكل من العالم القديم والجديد'، وبالتالي فإنها ستُشكِّلُ المحاولة الحقيقية الأولى 'لكسب أقسام كبيرة من الأنتلجنسيا الألمانية وإبعادها عن التأثير الشيوعي'.[51]

وكانت النتيجة ظهور مجلة *دير مونات Der Monat* وهي مجلة شهرية مصممة لبناء جسر إيديولوجي بين المفكرين الألمان والأمريكيين، وأيضاً، كما وضّح لاسكي، لحماية مصالح السياسة الأمريكية الخارجية من خلال دعم 'الأهداف العامة للسياسة الأمريكية في ألمانيا وأوروبا'. وهذه المجلة التي تم تأسيسها بدعم من الجنرال كلي تحت رئاسة تحرير لاسكي في الأول من تشرين الأول 1948، طبعت أولاً في ميونيخ ونقلت إلى برلين بطائرات الشحن التابعة للحلفاء واعتمدت عليها المدينة أثناء الحصار. ومع مرور الأعوام، تم تمويل *دير مونات* من خلال 'الأموال السرية' لمشروع مارشال، ثم من خزينة وكالة الاستخبارات المركزية، ثم من أموال مؤسسة فورد، ثم مرة أخرى من أموال السي آي إي. وبسبب تمويلها فقط، كانت المجلة مُنْتجاً ونموذجاً لاستراتيجيات الحرب الباردة الأمريكية في الحقل الثقافي.

كانت *دير مونات* معبداً لترويج الاعتقاد بأن نخبة متعلمة تستطيع أن تمنع عالم بعد الحرب من الانقراض. وهذا ما وحَّد لاسكي، وجوسيلسون ونابوكوف سوية من خلال ارتباطهم بحكومة الاحتلال الأمريكية. ومثل جان كوكتو، الذي سيُحذِّر أمريكا في الحال: 'لن تنقذك الأسلحة، أو النقود، وإنما نخبة مفكِّرة، لأن العالم يلفظ النفس الأخير، لم يعد يفكر بعد الآن، بل ينفق فقط'،[52] فهموا أن دولارات مشروع مارشال لن تكفي: يجب أن يُكمل المساعدة المالية برنامج حرب ثقافية مكثَّف. وهذا الثالوث المثير للفضول – المقاتل السياسي، لاسكي، وكيل المشتريات السابق في المخازن المتنوعة جوسيلسون،، والموسيقار نابوكوف – وقف برباطة جأش على الحافة الحادة لما سيصبح، بدفع منهم، إحدى أكثر العمليات السرية طموحاً في الحرب الباردة: كسب الأنتلجنسيا الغربية لصالح القضية الأمريكية.

الفصل الثاني

الذين اختارهم القدر

ليس هناك شيء مثل البراءة. فالبراءة التي تمسها الخطيئة هي صفقة جيدة تستطيع الحصول عليها.

مايك هامر، في قبّلني، بشكل مهلك، لـ ميكي سبيلاني.

تم توضيح القضية الأمريكية سابقاً في عقيدة ترومان ومشروع مارشال. أما الآن فقد ابتدأت مرحلة جديدة من الحرب الباردة بعد تأسيس وكالة الاستخبارات المركزية، منظمة أمريكا الاستخباراتية الأولى في زمن السلام. ووكالة الاستخبارات، التي تأسّست بمقتضى مرسوم أصدره مجلس الأمن القومي في 26 تموز 1947، كان الهدف منها بالأصل هو تنسيق المعلومات العسكرية والدبلوماسية. وسمح لها كذلك، على نحو حاسم – وبلغة غامضة جداً – بأن تُنَفِّذَ 'خدمات غير محددة ذات اهتمام مشترك' و 'وظائف أخرى كهذه وواجبات' وفق إرشادات مجلس الأمن القومي (الذي تأسس بالمرسوم نفسه). يقول تقرير حكومي فيما بعد: 'ليس هناك في مرسوم 1947 ما يوضح أن السي آي إي مخولة بشكل واضح لجمع المعلومات أو للتدخل سرياً في شؤون الأمم الأخرى. لكن العبارة المرنة 'وظائف أخرى كهذه' استخدمها رؤساء متعاقبون لدفع الوكالة إلى التجسس، والعمليات العسكرية، وجمع المعلومات التقنية'.[1]

ومثّل تأسيس السي آي إي فحصاً دراميـاً للنماذج التقليدية للسياسة الأمريكية. فالمصطلحات التي تم تأسيس الوكالة وفقاً لها مَأْسَسَتْ مفهومي 'الكذبة الضرورية' 'والإنكار القابل للتصديق' كاستراتيجيتين مشروعتين في زمن السلام، وأنتجت على المدى الطويل، طبقة حكومية خفية كانت قدرتها على التخريب، في الداخل والخارج، تخلو من أي إحساس بالمسؤولية.

جَسَّدَ تجارب النفوذ اللامحدود البطل الرمزي لعمل نورمان ميلر الهام *شبح هارلوت*. يقول هارلوت: 'نستخلص معلومات عن كل شيء. فإذا كانت المحاصيل الزراعية أداة للسياسة الخارجية، نكون ملزمين بمعرفة طقس العام القادم. وتواجهنا هذه الحاجة نفسها أينما نظرنا: المال، الإعلام، علاقات العمل، الإنتاج الاقتصادي، النتائج الفكرية للتلفزيون. أين ينتهي كل ما يمكن أن نهتم به بشكل شرعي؟... لا أحد يعرف كم لدينا من مصادر للأخبار والمعلومات في مواقع مختارة بعناية، كم لدينا من أصحاب المناصب الرفيعة في البنتاغون، ومن العمداء

البحريين، ورجال الكونغرس، والبروفيسورات في مؤسسات متنوعة، وأخصائيي تآكل التربة، وقادة طلاب، ودبلوماسيين، ومحامي شركات، وجميعهم يمنحوننا المعلومات'.[2]

وبامتلاك السي آي إي للخطوط الجوية، والمحطات الإذاعية، والصحف، وشركات الضمان والعقارات، فقد نما حضورها في شؤون العالم بشكل غير عادي مع مرور العقود مما جعل البشر يشتبهون بوجودها خلف كل دغل. وشكا عضو في الوكالة فيما بعد: 'مثلما قالت دوروثي باركر، تتلقى السي آي إي الثناء أو اللوم من أجل ما تفعله ومن أجل أمور كثيرة لم تفكر حتى بالقيام بها'.[3] ولقد نفذّت عمليات كارثية مثل خليج الخنازير لم تُحَسن صورة السي آي إي العامة. وظهر رأي مسبق سلبي عن سي آي إي مليئة بأمريكيين سيئين، وجزويتيين، لا يرحمون، شوّهتْ نظرتهم إلى العالم مجموعة من المرايا.

من المؤكد أن التاريخ واصل المصادقة على هذه الرواية. فعقيدة ترومان ومرسومات الأمن القومي التي ألهمتها حظرتْ الأعمال العدائية والتدخل في الخارج. لكن مستوى قرصنتها ساهم في تعتيم حقائق أقل كارثية حول السي آي إي. في البداية، نشّط ضباطها حس المهمة: – 'إنقاذ الحرية الغربية من الظلام الشيوعي' – الذي قارنه أحد الضباط 'بنظام كنظام فرسان الهيكل'.[4] وكان النفوذ الأول المهيمن هو 'لأرستقراطية' الشاطئ الغربي وعصبة آيفي،وهي رابطة أخوية Brudenbund من المحنكين المحبين للإنكليز وجدوا مبرراً قوياً لأفعالهم في تقاليد التنوير والمبادئ المصانة في إعلان الاستقلال.

على هذا الصعيد أخذت السي آي إي شخصيتها من المنظمة التي سبقتها في فترة الحرب، أي مكتب الخدمات الاستراتيجية (أو. إس. إس)، الذي تأسس في 1941 في أعقاب بيرل هاربور وتمّ حلّه في 1945 من الرئيس ترومان، الذي قال في ذلك الوقت إنه لا يريد 'جستابو' في زمن السلم. وعكس هذا الخوف البدائي بعض حقيقة مكتب الخدمات الاستراتيجية، الذي حصل على اسم اجتماعي جداً' بسبب تقليده المألوف بارتياد النوادي ولعلاقته بالكليات. ووصف كاتب العمود الصحفي درو بيرسون عناصر هذا المكتب بأنهم 'أحد أكثر الجماعات، التي شهدتها واشنطن، ترفاً، والمؤلفة من دبلوماسيين هواة، وصرافي وول ستريت، ومحققين ناضجين'.[5] وذكر توم برادن، الذي عمل عن قرب مع رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية، ويليم 'وايلد بيل' دونوفان، – الذي اكتسب الاسم بسبب مآثره ضد بانتشو بيا– : 'كان جميع أعضاء مكتب الخدمات الاستراتيجية يحملون علبة فيها بندقية صغيرة، وبعض القنابل اليدوية، وبعض القطع النقدية الذهبية، وجرعة للموت. وقد ترك دونوفان ذات مرة جرعته في درج في فندق دورشستر وطلب من ديفد بروس أن يرسل برقية من فرنسا كي ترسلها له خادمة الفندق. كان بيل دونوفان شخصية حقيقية، أسطورة زمانه. قال لي مرة: برادن، إذا حُصرْتَ في بقعة ضيقة أخرج مديتك واطعن مباشرة خصيتي خصمك'.[6]

إن أعضاء مكتب الخدمات الاستراتيجية المحكومين بتشريع، وعدم إقرار أي شيء في الحقيقة، وجدوا أنفسهم يطوفون في أوروبا مثل قناصل رومانيين عصريين. وكان أول رجل من مكتب الخدمات الاستراتيجية وصل إلى بوخارست بعد الانسحاب الألماني في خريف 1944 قد

أصبح ضيفاً منتظماً في اجتماعات مجلس الوزراء الروماني، وقد تباهى أمام زملائه قائلاً: 'قبل أن يصوتوا على أي شيء، يطلبون رأيي ...يصدرون جميع قراراتي بشكل اجماعي. لم أعتقد أن إدارة بلد سهلة هكذا'.[7] لكن إدارة أي بلد كانت بالضبط ما تم تحضير أعضاء مكتب الخدمات الاستراتيجية للقيام به. وتشكل جهاز منتخب تطوّع من قلب مؤسسة أمريكا السياسية، والأكاديمية، والثقافية المتحدة، وجاء من أقوى مؤسسات وعائلات أمريكا. واحتل أعضاء أسرة ميلون مواقع تجسسية في مدريد، ولندن، وجنيف، وباريس. واشتغل بول ميلون لدى مدير العمليات الخاصة في لندن. أما شقيقته أليسا (التي وصفت مرة بأنها أغنى امرأة في العالم) فقد تزوجت من قائده، رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية في لندن، ديفد بروس، وهو ابن سيناتور أمريكي ومليونير بحكم حقه الشخصي. وكان ولدا جي. بي. مورغان، كلاهما، في مكتب الخدمات الاستراتيجية كما كانت عائلات فاندربيلت، ودوبونت، وأرشبولد (ستاندارد أويل)، رايان (إكويتابل لايف إنشورانس - ضمان حياة منصف)، ويل (متجر ميسي)، ويتيني، كلها ممثلة في صفوف جيش دونوفان السري.

وتطوع كذلك في مكتب الخدمات الاستراتيجية الناشر والدليل السياحي يوجين فودور، والصحفي من نيويورك مارسيلو جيروسي، الذي أصبح فيما بعد منتج أفلام إيطالية وأمريكية مثلتْ فيها صوفيا لورين، وإليا تولستوي، الحفيد المهاجر للروائي، الذي كان أحد أعضاء العمل في مكتب الخدمات الاستراتيجية في لاسا Lhasa، وجوليا مكويليمز تشايلد، والتي أصبحت فيما بعد رئيسة طهاة مشهورة، وقد حافظت على ملفات مكتب الخدمات الاستراتيجية الاستخباراتية في شُنغكينغ Chungking. وكان من بين المتطوعين أيضاً ريموند جيست، العضو البارز في المجتمع ولاعب البولو، وابن عم وينستون تشرشل، الذي نشط كثيراً في عمليات مكتب الخدمات الاستراتيجية في فرنسا والبلدان الاسكندنافية. وكان أنطوان دي سينت أكزوبيري صديقاً حميماً ومتعاوناً مع دونوفان، كما كان إرنست همنغواي، وابنه جون أيضاً في مكتب الخدمات الاستراتيجية.

ورغم أن أحد النقاد شكا من الموظفين الكثيرين، 'الذين بدوا شباناً بحماسة جامعية، ربما كان مكتب الخدمات الاستراتيجية بالنسبة لهم مهرباً من خدمة العلم الروتينية ونوعاً من اللهو'،[8] فقد كان هناك افتراض أيضاً بأن جميع أعضاء مجموعات خدمة دونوفان العليا 'جازفوا بمناصبهم المستقبلية كصرافين، أو أوصياء، أو سياسيين في مناصب رفيعة بسبب وضع أنفسهم في موضع انتهاك القانون والاستقامة'.[9] وبعد حل مكتب الخدمات الاستراتيجية، عاد كثيرٌ من الصرافين، والأوصياء، والسياسيين المستقبليين إلى الحياة المدنية. أما آلن دلس، نائب دونوفان المتألق، الذي تولى مسؤولية عمليات مكتب الخدمات الاستراتيجية في أوروبا، فقد عاد إلى نيويورك لممارسة مهنة المحاماة، حيث حصل على مركز كادر غير رسمي بين مدراء الحملات من أجل استخبارات أمريكية دائمة. وشملتْ هذه المجموعة التي لُقِّبَتْ بـ 'رعاة بقر بارك أفينيو' كيرميت 'كيم' روزفلت، حفيد تيودور، وتروسي بارنز (الذي ساعد آلن دلس في استعادة يوميات سيانو Ciano المشهورة من الكونتة سيانو)، وريشتارد هيلمز وفرانك ويزنر،

الذين ساهموا جميعاً في جمع وقائع مثيرة من استخبارات الجيش في ألمانيا المحتلة، ورويال تيلور الذي سيصبح على الفور رئيس مكتب باريس التابع للبنك الدولي.

وبعيداً عن المجازفة 'بمكانتهم المستقبلية'، فقد عزّزت فترة خدمتهم في مكتب الخدمات الاستراتيجية سمعتهم، وقدمتْ لهم شبكة أخرى لها صلة مع المدرسة القديمة التي جمعتهم سوية في المقام الأول. وبالإضافة إلى شروعهم في مخالفة القانون، وعدم الاستقامة، فقد شكلوا مصدراً غنياً لـ 'السي آي إي'. وكانت هذه النخبة التاريخية، من أعضاء عصبة آيفي، التي فرضت نفوذها على غرف أمريكا الداخلية، ومؤسساتها الأكاديمية، وصحفها الرئيسية وإعلامها، وشركاتها القانونية وحكومتها، هي التي تقدمت الآن إلى الأمام لكي تملأ صفوف الوكالة الناشئة. وقد جاء معظمهم من معسكر يقع في واشنطن مؤلف من حوالي مائة أسرة ثرية، معروفة باسم 'سكان الكهف'، دافعت دوماً عن القيم الأسقفية والمشيخية البروتستانتية التي أرشدتْ أسلافهم. وهؤلاء الذين درسوا مبادئ فكر متطرف، وبراعة رياضية، ومبادىء تهذيب صارمة، ولباقة عريقة، وأخلاقاً مسيحية متشدّدة، أخذوا مثالهم من رجال مثل إنديكوت بيبودي المبجَّل، الذي كانت مدرسته، جروتون، تدار على نمط إيتون، وهارو، و وينشستر، الكلية الأم لكثير من القادة القوميين. فهؤلاء الذين دُرِّبوا على الفضائل المسيحية، وواجبات الامتياز، ظهروا مؤمنين بالديموقراطية لكنهم حذرون من المساواة بين البشر، غير المؤكدة. عاكسين تصريح فيلي برانت المشهور: 'نحن الذين انتخبهم الناس ولسنا المختارين'، كان هؤلاء هم المنتخبون الذين لم ينتخبهم أحد.

أما الذين لم يخدموا في مكتب الخدمات الاستراتيجية فقد خاضوا الحرب وترفعوا في مراتب وزارة الخارجية، ومكتب الشؤون الخارجية. وتحلّقوا حول شخصيات مثل تشارلز 'تشيب' بوهلن، الذي أصبح فيما بعد سفيراً في فرنسا. وفي أوائل الأربعينيات كان منزله في جادة دومبارتون في جورجتاون بؤرة فكرية ظهر في محورها جورج كينان وإشعيا برلين، الذي كان يُبَجَّلُ في دوائر واشنطن ويُسمى 'النبي'. ووصف أحد المراقبين كينان، وبوهلن، وبرلين بـ'ثلاثي متجانس'. كان بوهلن أحد مؤسسي فرع جديد من البحث الحديث يُدعى الكرملينولوجيا (نسبة إلى الكرملين). عاش في روسيا، وعرف قادتها وبيروقراطييها، ودرس أدبها الإيديولوجي، واستطاع أن يقتبس من أعمالها الكلاسيكية. ولقد شهد عمليات التطهير والمحاكمات في أواخر الثلاثينات، والتأثير الكامل لـ 'سياسات جدانوف الثقافية'. كان بوهلن مولعاً بقول يردده دائماً: 'هناك عبارتان أخيرتان مشهورتان، الأولى هي: الكحول لا يؤثر بي، والثانية: أفهم الروس'. ومن أجل فهم أفضل كان يلجأ إلى إشعيا برلين ونيكولاس نابوكوف، الذي كان يعمل آنذاك في وزارة العدل. واعتاد بوهلن أن يشير إلى نابوكوف كـ 'رصيد سيكولوجي'، وأعاد نابوكوف الإطراء ملقباً بوهلن: 'نموذجي، ومصدر نصيحتي'.

وكتب نابوكوف فيما بعد قائلاً: 'كان لدى هؤلاء الأصدقاء بعض الأوهام، هذا إن كانت لديهم أية أوهام، عن 'العم جو'. وبأكثر من طريقة، كانوا مجموعة تنطوي على مفارقة تاريخية في واشنطن تلك الأعوام، وربما حتى في أمريكا كلها. كانت أمريكا في فورة حب للسوفيات، لم

يشترك به أحد من المنزل الذي في جادة دومبارتون. وغيّر الرأي العام الأمريكي مرتين في ثلاث سنوات مشاعره نحو روسيا. فقد كان ضدها أولاً بعد تقسيم بولندا والحرب الفنلندية 'الوحشية'. بدا ستالين في رسوم الصحف الكاريكاتيرية كأنه مزيج كريه من ذئب ودب. ثم، انقلب الرأي بشكل مفاجئ لصالح روسيا بعد الغزو النازي لروسيا في 1941. وجُمِّلَ ستالين فجأة، وتم تصويره كفارس يرتدي درعاً يدافع عن الكرملين ضد حشد من التيوتونيين الألمان، أو أعيد إنتاجه عبر الصور الجانبية المؤلهة والمصفّرة لبوركي وايت. وفي 1943، عززت ستالينغراد الشعور الداعم لروسيا. وقال أمريكيون موثوقون: 'سترون، لن تعود الشيوعية إلى روسيا مطلقاً كما كانت. ستكون بلاداً مختلفة بعد الحرب. ألم يعد ستالين بطريرك روسيا من المنفى؟ وكذلك الكتاب والشعراء؟ ثم ألم يعد ستالين تأسيس صفوف الضباط؟ ويسترجع سيرة الأبطال القوميين التاريخيين، وحتى بعض القياصرة والقديسين، مثل أليكساندر نيفسكي وبطرس الأكبر؟' لماذا لا يفكر المتشككون في جادة دومبارتون بهذه الطريقة. كانوا يعرفون، كما قال كينان مرة، بأنه من المتعذّر إلغاء الستالينية'.[10]

وانضم إلى متشككي جادة دومبارتون ديفد بروس، وآفيريل هاريمان، وجون مكلوي، وجوزيف وستيورات ألسوب، وريتشارد بيسيل،و والتر ليبمان، والأخوة بندي. وفي مناقشات طويلة، حمّاها الهيام الفكري والكحول، بدأت رؤيتهم لنظام عالمي جديد تأخذ شكلاً. كان هؤلاء الرجال العالميون، الأجلاف، والأكفاء، يمتلكون إيماناً لا يتزعزع بنظام قيمهم، وبواجبهم الذي يقتضي تقديم هذا النظام للآخرين. كانوا نبلاء العصر الحديث، والأبطال الأسطوريين للديموقراطية، ولم يجدوا أي تناقض في ذلك. كانوا هم النخبة التي أدارت السياسة الأمريكية الخارجية وصاغت التشريع في الداخل. وفي المؤسسات، وإدارات العضوية في أندية السادة، توحد هؤلاء الموظفون الكبار من خلال روابطهم المؤسساتية وعبر إيمان مشترك بتفوقهم. وكانت وظيفتهم تأسيس سِلْمٍ أمريكي بعد الحرب وتبريره. ولقد كانوا داعمين أقوياء لـ 'السي آي إي'، التي امتلأت، بسرعة، بأصدقائهم من المدرسة، والعمل، أو من 'العرض القديم' لمكتب الخدمات الاستراتيجية.

كان المنسق الأول للمعتقدات المشتركة لنخبة أمريكا هو جورج كينان، الباحث الدبلوماسي، مهندس مشروع مارشال، ومدير هيئة أركان تخطيط سياسة وزارة الخارجية، وأحد آباء السي آي إي. في 1947 شجّع التدخل العسكري المباشر في إيطاليا في ما رآه بأنه انهيار وشيكٌ يؤدي إلى حرب أهلية يدعمها الشيوعيون. وقال لوزارة الخارجية: 'ربما سيؤدي هذا إلى كثير من العنف، وإلى تقسيم عسكري لإيطاليا على الأرجح. لكنه يمكن أيضاً أن يكون مفضلاً على فوز للشيوعيين بالانتخابات غير دموي، لا نعارضه نحن، لكنه سيقدم للسوفيات شبه الجزيرة بكامله في انقلاب واحد ويرسل أمواجاً من الذعر إلى جميع المناطق المحيطة'.[11] ولحسن الحظ، لم يأخذ ترومان بهذا الاقتراح المتهور، لكنه أجاز التدخل في الانتخابات الإيطالية بدلاً من ذلك. وفي تموز 1947، كان كينان قد عدّل وجهات نظره – ليس في طبيعة التهديد السوفياتي وإنما في كيفية التعامل معه. ففي مقالته الشهيرة، المقالة إكس،التي نشرتْ في مجلة فورين *أفيرز*

(الشؤون الخارجية)، قدم الفرضية التي هيمنت على الأعوام الأولى من الحرب الباردة. زعم أن الكرملين يخطط للهيمنة على 'كل ركن وشق متاح ... في حوض القوة العالمية' بإيديولوجيته التعصبية'، واقترح سياسة 'قوة مضادة لا تتبدل' و 'احتواء قوياً يقظاً'. وكجزء من سياسته، شجع على تطوير تقنيات الدعاية والحرب السياسية إلى أعلى حد'،[12] ولقد عُيِّنَ، بشكل متقن، كي ينجز هذا التطوير، كمدير لهيئة تخطيط السياسة (المصممة للإشراف على الاحتواء السياسي والإيديولوجي لأوروبا). وفيما بعد كتب عن هذا المكتب:'كان العالم محارتنا'.

وفي خطاب ألقاه في الكلية الحربية القومية في كانون الأول 1947، كان كينان هو الذي أدخل مفهوم 'الكذبة الضرورية' كعنصر تأسيسي حيوي للدبلوماسية الأمريكية في فترة ما بعد الحرب. وقال إن الشيوعيين كسبوا 'موقعاً قوياً في أوروبا، يتفوق على موقعنا بشكل هائل... عبر الاستخدام الماهر وغير المخجل للأكاذيب. لقد صارعونا بالكذب، باللاعقلانية. وسأل: هل نستطيع مقارعة هذا الكذب، بنجاح، بالعقلانية، والحقيقة، والشرف، والمساعدة الاقتصادية حسنة النية؟'[13]. كلا، إن أمريكا بحاجة إلى معانقة حقبة جديدة من الحرب السرية كي تحقق أهدافها الديموقراطية ضد الخداع السوفياتي.

وفي التاسع عشر من كانون الأول 1947، اكتسبت فلسفة كينان السوفياتية سلطة شرعية في مرسوم أصدره مجلس الأمن القومي التابع لترومان (NSC - 4A). وفي ملحق شديد السرية لهذا المرسوم، أمر مجلس الأمن القومي مدير الاستخبارات المركزية بأن يقوم 'بنشاطات سيكولوجية سرية' لدعم سياسات أمريكا المعادية للشيوعية. وكان هذا الملحق المبهم بشكل مدهش حول الإجراءات التي يجب إتباعها لتنسيق أنشطة كهذه أو للتصديق عليها، هو التخويل الرسمي الأول بعد الحرب من أجل العمليات السرية. وأبطله في 1948 مرسوم جديد – أكثر وضوحاً – أعده جورج كينان،(NSC-10|2). كانت هذه الوثائق هي التي أرشدت الاستخبارات الأمريكية داخل المياه المتلاطمة للحرب السياسية في العقود القادمة.

إن هذه التوجيهات التي أُعدت بسرية تامة 'تَبنَّتْ مفهوماً واسعاً لمتطلبات أمن أمريكا يتضمن عالماً مصنوعاً بشكل جوهري على صورتها'.[14] منطلقاً من فرضية أن الاتحاد السوفياتي وبلدانه التابعة كانت تُنَفِّذُ برنامجاً من الأنشطة السرية 'الشريرة' كي 'تُشوِّهُ سمعة الولايات المتحدة وبلداناً غربية أخرى وتعيقُ أهدافها ونشاطاتها'، قدَّم مجلس الأمن القومي 2/10 الموافقة الحكومية الأشد إجماعاً على كثير من العمليات السرية:'الدعاية، الحرب الاقتصادية، الفعل الوقائي المباشر ويتضمن التخريب، التخريب المضاد، إجراءات التدمير والإخلاء، الإطاحة بسلطات دول معادية ومساعدة حركات المقاومة السرية، حروب العصابات ومجموعات تحرير اللاجئين'.[15] إن جميع هذه النشاطات، بحسب كلمات مجلس الأمن القومي – 2/10، يجب أن 'تُخَطَّط وتُنَفَّذ بحيث تكون مسؤولية أية حكومة أمريكية عنها غير واضحة لأشخاص غير مسموح لهم بذلك وإذا كُشفتْ فإن حكومة الولايات المتحدة تستطيع أن تنكر بشكل قابل للتصديق أية مسؤولية عنها'.[16]

وشكَّل مجلس الأمن القومي 2/10 هيئة خاصة للعمليات السرية، داخل السي آي إي ولكن بسياسة وملاك خاضعين لإشراف هيئة أركان تخطيط السياسة الخارجية في وزارة الخارجية (بكلمات أخرى، تحت سيطرة كينان). وسميت هذه الهيئة في النهاية مكتب تنسيق السياسة (OPC)، وهو لقبٌ حميدٌ مصمّمٌ 'لضمان قابلية التصديق بينما لا يكشف عملياً أي شيء عن هدفه'.[17] وعُرِّف العمل السري بأنه أي 'نشاط سري يهدف إلى التأثير على الحكومات الأجنبية، والأحداث، والمنظمات أو الأشخاص الداعمين لسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ويدار بطريقة يكون فيها تورط الولايات المتحدة غير ظاهر'.[18] وفعلاً، كان مكتب تنسيق السياسة، غير المقيد بمدى نشاطه وسريته، لا يضاهى في أمريكا في وقت السلام. وهذا هو قسم الخدع القذرة الذي كان آلن دلس ورعاة بقر بارك أفيينو يقودون حملة من أجله. وظهر من صفوفهم فرانك ويزنر، الذي اختير من قائمة من المرشَّحين قدمها جورج كينان، كي يرأس هذه العملية الجديدة. وفرانك ويزنر، المحامي السابق في وول ستريت، وذو اللهجة المسيسيبية، والمزية غير العادية في كونه بطلاً في الوثب المنخفض في جامعة فرجينيا، كان متطوعاً في حملات مكتب الخدمات الاستراتيجية في أنحاء أوروبا، ورئيس فرعه الاستخباراتي السري. ولأنه بقي في الاستخبارات العسكرية بعد الحرب، فقد عُيِّن مسؤولاً عن الارتباط بمنظمة جيهلن Gehlen، وحدة الاستخبارات العسكرية التابعة للجيش الألماني، التي أبقاها الأمريكيون سليمة لكي تتجسس على روسيا. ولم يكن ويزنر رجلاً تعيقه الحجج الأخلاقية. وكما شرح فيما بعد هاري روسيتزكي، الزميل المقرب في مكتب الخدمات الاستراتيجية، ثم في السي آي إيه: 'كان من المهم استخدام أي وغد مادام معادياً للشيوعية'.[19] وكان تعليق آلن دلس على علاقة ويزنر مع الجنرال راينهارد جيهلن في قوات البوليس الخاصة النازية: 'لا يحتاج المرء إلى أن يطلب منه المجيء إلى ناديه'.[20]

استقال ويزنر غاضباً من الاستخبارات العسكرية حين انتقد رؤساؤه طلبه لبعض الدراجات الإضافية لمكاتبه. ثم انضم إلى وزارة الخارجية، وتابع من هناك إدارة ما كان بالفعل مجموعته الاستخباراتية الخاصة، المؤلفة من مناطق لصيد الأرانب يتبع بعضها بعضاً وتحتجب عميقاً داخل بيروقراطية الحكومة. وكانت هذه المجموعة هي التي دُمِجَتْ الآن في السي آي إي تحت مكتب تنسيق السياسة. ولم تتوقف محاولات ويزنر لاستئجار النازيين حين تولى إدارة مكتب تنسيق السياسة. وشرح زميلٌ له في السي آي إي فيما بعد: 'كان ويزنر يحضر حمولة كاملة من الفاشستيين بعد الحرب، بعضهم في الحقيقة أناس قذرون. كان يستطيع فعل ذلك لأنه كان قوياً. كان مفتاحاً لأمور عظيمة كثيرة، ورجلاً متألقاً، وقوياً، بسحر وخيال فائقين، وبإيمان بأن أي شيء يمكن أن يُنجز وأنه يستطيع إنجازه'.[21]

وتحت إدارة ويزنر، أصبح مكتب تنسيق السياسة القسم الأكثر نمواً في السي آي إي. وبحسب إدجار آبلوايت، وهو نائب مفتش عام في السي آي إي، فقد قام موظفوه 'بانتحال قوة كلية لأنفسهم، دون مانع. كان باستطاعتهم أن يفعلوا ما يريدونه، طالما أن 'السلطة العليا'، التي هي الرئيس، لم تمنعهم علناً. كانوا أرستقراطيين في ادعاءاتهم، وضيقي التفكير حيال العلاقة

بين الرجال والنساء، ورومانسيين جداً، ومتعجرفين. كان لديهم أمر أرسلته السماء ولا يعلم إلا الله، أية فرصة سانحة ليستغلوها'.[23]

ولكي يُسهِّل عمليات مكتب تنسيق السياسة، أصدر الكونغرس مرسوم وكالة الاستخبارات المركزية لعام 1949، والذي سمح لمدير السي آي إي بأن ينفق أموالاً دون حساب النفقات. وفي الأعوام القليلة القادمة نمت أنشطة مكتب تنسيق السياسة – نطاق عملياته، وطاقته البشرية وميزانيته – مثل هيدرا. ونمت قوة ملاكه من 302 في 1949 إلى 2812 في 1952، بالإضافة إلى عقود مع ملاك خارجي يبلغ عدده 3142. وفي الفترة نفسها، ازدادت ميزانيته من 4,7 مليون دولار إلى 82 مليون دولار. وكان أحد العوامل التي أسهمت في هذا الاتساع هو الترتيب التنظيمي الذي خلق حاجة داخلية إلى المشاريع. ولم تبرمَج نشاطات مكتب تنسيق السياسة حول نظام مالي، وإنما حول المشاريع. وكان لذلك تأثيرات داخلية مهمة، وفي النهاية وبيلة: 'كان الفرد داخل مكتب تنسيق السياسة يحكم على أدائه الخاص، ويحكم عليه الآخرون، وعلى أهمية وعدد المشروعات التي عمل فيها وأدارها. وكانت النتيجة تنافسٌ بين أفراد وأقسام مكتب تنسيق السياسة لخلق العدد الأكبر من المشروعات'.[24]

في البداية، كان مقر السي آي إي مجموعة من الأبنية المؤقتة، المعروفة بـ 'الأكواخ'، مبعثرة حول الكابيتول وواشنطن مول. وهناك، في الممرات المغبرَّة، كان المتطوعون الجدد يُستثارون 'بجو زمن الحرب وإلحاحية التعبئة. كانت القاعات مليئة بالرجال والنساء الجديين والقلقين، الذين يندفعون إلى الاجتماعات، ويتشاورون وهم مستعجلون، ويصدرون تعليمات حازمة لمساعدين يحاولون مجاراتهم. واختلط أناس جددٌ، متحمسون جداً، مع متطوعي مكتب تنسيق السياسة، واختلط زملاء جيدبيرغ Jedburgh مع نخبة عهد الحرب الباردة، الذين خرجوا لتوهم من المدن الجامعية لعصبة آيفي بستراتهم التويدية – ذات النسيج الصوفي الخشن – وغلايينهم، مفعمين بأفكار جريئة، وإبداعية، والذين تدفقوا إلى الوكالة التي رأوا فيها أكثر الأمكنة فاعلية لليبرالي غير شيوعي كي يقاتل ضد التهديد الشيوعي'.[25]

ولم يكن خط جبهة هذه المعركة مرسوماً بالطبع في واشنطن، وإنما في أوروبا. وبدا مكتب تنسيق السياسة، الذي فتح مكتباً في قاعدة تيمبهولف الجوية، على بعد نصف ساعة خارج برلين، بدا كأنه يفرّخ ضباطاً داخل ألمانيا. وبالإضافة إلى أقسام السي آي إي الأخرى، كان هناك 1400 من العملاء السريين المرتبطين بالمركز الألماني في ذلك الوقت.

وكان من أوائل متطوعي مكتب تنسيق السياسة في ألمانيا مايكل جوسيلسون. وفي ملاحظاته التمهيدية لكتابة مذكرات (لم تُنجز مطلقاً) كتب جوسيلسون:'كانت جولة مهمتي... ستنتهي في 1948. ولكن العودة إلى الحياة المدنية، والتي كانت تعني، بالنسبة لي، العودة إلى عالم البيع في المتاجر الأمريكية المنوعة، ليست مهنة ممتعة بشكل خاص، ولقد ملأتني باليأس. وفي ذلك الوقت قدمني صديق يعمل في الاستخبارات إلى أحد رؤساء 'المؤسسة' في ألمانيا. وتبع ذلك مقابلتان أو ثلاث في واشنطن، وملء استمارة لا تنتهي، ثم انتظار طويل بينما كانت الإف بي آي، تحاول، بطريقتها الخرقاء، أن تكتشف إن كان هناك أي شيء يحط من قدري في تاريخ

حياتي. وفي خريف 1948 جاءت موافقتي الأمنية وانضممت إلى 'المؤسسة' كرئيس لمركزها في برلين من أجل العمل السري (CA)، الذي يختلف عن الجانب التجسسي والاستخباراتي (FI). وباستثناء المظهر السري، كان ذلك في الواقع استمراراً للحرب النفسية، والموجهة فقط هذه المرة ضد السوفيات والشيوعيين في أوروبا الشرقية. كانت حركة دفاعية، بما أن السوفيات بدأوا شن الحرب النفسية الباردة منذ وقت طويل'.[26]

كان الذي طوّع جوسيلسون هو لورنس دي نوفيل، الذي كان عضواً في مكتب الخدمات الاستراتيجية، ووصل إلى ألمانيا مع الموجة الأولى من القوات الأمريكية في 1944. وحتى أوائل 1948، خدم كمستشار في الإدارة المدنية في برلين. ثم فاتحه جون بيكر، أحد ضباط السي آي إي الأوائل في ألمانيا، الذي أعلن عنه السوفيات فيما بعد بأنه شخص غير مرغوب 'لأنه انتهك بشكل منظم أعراف السلوك لدى الممثلين الدبلوماسيين'- أي قام بالتجسس - حين كان سكرتيراً ثانياً للسفارة الأمريكية في موسكو. وقال دي نوفيل فيما بعد :'لم أقدم أي طلب للانضمام إلى السي آي إي، أو أي شيء من هذا القبيل. كنت سعيداً جداً حيث كنت، أشتغل حسب الدستور، أساعد على تنصيب حكومة أديناور Adenauer. كان هذا مثيراً جداً. ولكن في أحد الأيام دخل جون بيكر إلى مكتبي وسألني إن كنت أحب الانضمام إلى الوكالة؟'[27]. قبل دي نوفيل العرض وعُيِّن في عمل 'سري' في مكتب المفوض الأمريكي الأعلى، جون مكلوي. وكان عمله الأول هو تطويع جوسيلسون، الذي جعله عمله في مدريد شيئاً كالأسطورة في دوائر الاستخبارات.

هل كان نيكولاس نابوكوف مدركاً لوظيفة صديقه الجديدة في ذلك الوقت؟ كان مايكل جوسيلسون رجلاً متكتماً جداً، مناسباً بشكل مثالي لعالم المخابرات. وحين نجح بعض الأقرباء الذين يعيشون في برلين الشرقية في تحديد مكانه في أوائل 1949، صرفهم بفظاظة طالباً منهم ألا يتصلوا به مرة أخرى. فافترضوا، متألمين، أن ابن عمهم 'المؤمرك' يشعر الآن أنهم أدنى منه. وفي الحقيقة، كان مهتماً بأمنهم. ذلك أنه إذا كان للبرلينيين الشرقيين قريبٌ في الخدمة السرية الأمريكية فإن هذا يعرضهم للخطر الفوري. لكن نابوكوف كان يمتلك، على الأرجح، فكرة جيدة عن اتجاه جوسيلسون الجديد. كان هناك جواسيس في مدريد في ذلك الوقت أكثر من الدراجات التي تسير في الشوارع، ولقد عمل نابوكوف إلى جانب كثير منهم.

وفي الحقيقة، تبيَّن أنه تمت مفاتحة نابوكوف للانضمام إلى السي آي إي. ففي 1948 قدّم طلباً لوظيفة لدى الحكومة. ولأنه لم يكن بيروقراطياً بطبيعته، فمن غير المحبَّذ أن يهتم بالانضمام إلى وزارة الخارجية - التي أخذ عليها جميع متطوعي السي آي إي قائلين بأنها 'كلها سياسة بدون تمارين ضغط'- وبما أن آلن دلس له علاقة بطلبه يمكن الظن، بشكل معقول، أنه كان يحاول الحصول على عمل في الاستخبارات. لكن طلبه تعرض لمشكلات وفشل في الحصول على موافقة أمنية. فكتب إليه راعيه، جورج كينان، المتضايق جداً، ناصحاً إياه بأن يسحب طلبه: 'أنا أقدم لك هذه النصيحة - التي تسبب لي حزناً كبيراً وقلقاً حقيقياً- فقط لأنني لست قادراً على إقناع نفسي بهذه المسألة وأستطيع أن أؤكد لك بأنه سيصيبني المزيد من

الانزعاج إذا تابعت خطتك للعمل مرة أخرى مع الحكومة... لا أملك إلا أن أقول: إن تصرف الحكومة بخصوص هذه المسألة، إذا نُظِرَ إليه ككل، لا يفهم إلا بنحو سيىء، قصير البصر، غير عادل، ولا يتلاءم مع أية رغبة للانتفاع من بشر حساسين، وأذكياء ويمتلكون قيمة... أعتقد أن الحكومة صادرت أي حق للاستفادة من نصيحتك، ولو كنت مكانك لأسقطت المسألة برمتها في هذا الوقت'.[28] والآن، على الأقل، تُرك نابوكوف في البرد.

وماذا عن ميلفن لاسكي؟ ألم يكن مرشحاً مثالياً للانضمام إلى الصفوف المنتفخة للسي آي إي؟ سيجري الزعم فيما بعد أن لاسكي صار عميلاً. لكنه أنكر هذا باستمرار. ومثل ثاكستر في كتاب *موهبة همبولت*، 'أضافت الشائعة بشكل كبير غموضاً إلى غموضه'. لكن حضوره المتواصل على الجبهة الأمامية لحرب السي آي إي الثقافية الباردة في العقدين التاليين لن يمر بدون ملاحظة.

الفصل الثالث

ماركسيون في الولدورف

هكذا أقول، لا الفاشية ولا الشيوعية، أقف إلى جانب الحب، وأضحك على أفكار البشر.

أنابيس نين

نيويورك، 25 آذار 1949، ثلاثاء شديد الرطوبة وموحل. خارج فندق ولدورف أستوريا في بارك أفينيو والشارع الخمسين، شكلتْ مجموعة من المتظاهرين المتفرقين، ومعظمهم رجال يرتدون معاطف رمادية من القماش المتين، دائرة بطيئة الحركة على الرصيف. أما داخل الفندق فقد كانت الحركة مسعورة. على غير العادة في هذا الوقت من العام، كان الفندق مكتظاً، وكان حجز سرير واحد فحسب عملاً يسبب الصداع.

ومن الغرفة رقم 1042، في جناح مخصص لقضاء شهر العسل مترف في الطابق العاشر، كانت الطلبات تأتي كثيفة وسريعة طول اليوم. جاء طلب لتركيب هواتف إضافية تبعته فورة من البرقيات، التي أمليت على غرفة البرقيات في الفندق، وكانت هناك حاجة إلى المزيد من مصابيح المناضد، وإلى الكثير من كل شيء. وكانت الاتصالات بخدمة الغرفة تصدر كرشقة مدفعية: الهامبرغر، السلطة، الستيك تارتاري، طلبات جانبية، زجاجات الخمرة الفرنسية – بوردو – زجاجات بيرة، المزيد من الثلج، من فضلك! لم يكن رواد الغرفة هؤلاء من الزبائن العاديين الذين يمضون شهر العسل. وبينما كان الخدم يتهادون في الجناح، شاهدوا منظراً غريباً. كبلات الهاتف ملفوفة عبر الغرفة، وفي نهاية الكتلة المتشابكة كان المتصلون ينحنون بحيوية على جميع المستقبلات. وكان كل سطح يمكن الوصول إليه يحتله شخص أو أكوام متأرجحة من الأوراق. كان الجناح مليئاً بدخان السجائر. وكان سكرتيران يتلقيان الإملاءات، ومساعد يشغّل آلة نسخ وضعت في الحمام، الذي لم تظهر أرضيته تحت كومة من ورق النشاف. وكان هناك تدفق دائم للزوار داخل وخارج الفوضى.

وسط هذه الدعاية الصاخبة، كان بعض أعضاء الحفلة ينظرون بعصبية بينما يوازن الخدم صينياتهم الضخمة على حافة السرير ويحومون من أجل البقشيش. من الذي سيسدد الفاتورة؟ وبدا سيدني هوك، الفيلسوف الذي يعمل في جامعة نيويورك، والذي حجز الجناح، كأنه غير مهتم بالكلفة المتصاعدة للإقامة. وكان هناك في جناح شهر العسل، مع هوك، الكاتبة ماري

مكارثي وزوجها الثالث، الصحفي بودين برودووتر، والروائية إليزابيث هاردويك، وزوجها الشاعر روبرت لويل، ونيكولاس نابوكوف، والصحفي والناقد دوايت ماكدونالد، والصحفي الإيطالي، حليف مونزنبرغ السابق، نيكولا شيارومونتي، وآرثر شيلسنغر،و محرر *بارتيسان ريفيو* ويليم فيليب وفيليب راهف، وأرنولد بيتشمان، وهو صحفي عمالي صديق لقادة النقابة المعادين للشيوعية، وميل بيتزيلي، أخصائي في عمل آخر، ، وديفد دبنسكي من نقابة عمال ليديز غارمينتز. وعلى رغم نوعية عمله، بدا دبنسكي مرتاحاً بشكل كامل في هذا البرلمان الفكري الصغير والفوضوي.

وفي الأسفل، في قاعة رقص فندق ولدورف أستوريا، كانت هيئة الفندق الموسّعة تساعد في وضع اللمسات الدقيقة الأخيرة لغرفة تم إعدادها من أجل مؤتمر. رُتِّبَتْ الأزهار حول منصة شكّلتْ هلالاً عبر النهاية البعيدة للغرفة. وفُحصتْ الميكروفونات. ورفعتْ راية ضخمة كتب عليها 'المؤتمر الثقافي والعلمي من أجل السلم العالمي' على الحائط خلف منصة المحاضرين. كان بعض الموفدين الألف قد وصلوا إلى حفلة الافتتاح. وكان المتظاهرون في الخارج يمسكون بالضيوف، ويضايقونهم وهم يدخلون عبر الأبواب الدوّارة إلى قاعة الانتظار. وكانوا يصيحون: ضعفاء! فيما كانت ليليان هيلمان، وكليفورد أوديتس، وليونارد بيرنشتاين، وداشييل هاميت يصلون. وادُّخِرَ احتقار خاص للمليونير من عصبة الآيفي كورليس لامونت، الذي كان يعمل كراع للمؤتمر. أما لامونت، ابن رئيس مصرف الاستثمار جي. بي. مورغان و سي أو، المتعلم في أكاديمية فيليبس وهارفارد، فقد أظهر تحفظاً نبيلاً كافياً كي يتجاهل الإهانات التي قذفها عليه المتظاهرون الغاضبون.

نظم الاحتجاج تحالف يميني مؤلف من رابطة المحاربين القدماء الأمريكيين ومجموعة من الجمعيات الكاثوليكية والوطنية. وكانت شكواه أن المؤتمر، الذي رعاه المجلس القومي للفنون، العلوم والمهن، هو مجرد 'جبهة' للسوفيات: إن الشيوعيين هنا، ليس، كما زعموا، من أجل مصالح الإرادة الطيبة، والتبادل الفكري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وإنما من أجل نشر الأفكار في أمريكا. وفي النهاية، كانوا على صواب. كان المؤتمر مبادرة كومنفورم، خدعة جريئة للتحكم بالرأي العام في فناء أمريكا الخلفي. وكان الفريق السوفياتي الذي ترأسه إي. إي. فادييف، رئيس اتحاد الكتاب السوفياتي، والذي يضم الموسيقار ديمتري شوستاكوفيتش، مفخرة وفدهم، كان أيضاً مقيماً بشكل مريح في غرف بفندق ولدورف. وكان بوسع مربياته من الكي جي بي وأعضاء الحزب أن يهنئوا أنفسهم على هذا التطور المفاجئ في الأحداث. كان للمتظاهرين في الخارج وجهة نظر تقول: لم يكن الحمر تحت الأسرّة، إنما فوقها.

وكتب آرثر ميلر الذي قبل دعوة لترؤس إحدى مناقشات المؤتمر: 'نشرتْ أنباء مثيرة في الصحافة بأن جميع مداخل فندق ولدورف أستوريا يسدها صف من الراهبات اللواتي يصلين من أجل أرواح المشاركين، الذين شوش حواسهم الإغواء الشيطاني. وفي صباح المؤتمر كان عليَّ في الحقيقة أن أخطو بين أختين لطيفتين تركعان على الرصيف وأنا أتجه إلى باب ولدورف. وحتى آنذاك كان أمراً محيِّراً التأمل في هذا العالم من الإيماءات والأقوال الرمزية'.[1]

وعلى رغم أنهم فصلوا أنفسهم علناً عن المظاهرة التي في الخارج، 'كان الشيء الأكثر خطراً الذي نستطيع فعله... هو ترك مهمة فضح الجبهة الشيوعية للرجعيين'. وكان سيدني هوك ومجموعة الجناح الخاص بشهر العسل هناك للسبب نفسه. كان هؤلاء الماركسيون والتروتسكيون السابقون قد داروا في المدار الشيوعي نفسه مثل المفكرين والفنانين الأمريكيين الذين كانوا، في هذه اللحظة، يصلون إلى الطابق الأرضي لحضور المؤتمر السوفياتي. وفي الحقيقة، وُصِفَتْ نيويورك في الثلاثينيات بأنها 'الجزء الأكثر أهمية من الاتحاد السوفياتي'. ولكن اتفاقية عدم الاعتداء الروسية الألمانية في عام 1939 أدَّتْ إلى صدمة 'أعادتْ مدينة نيويورك، العنيفة والفاسدة أخلاقياً، إلى أمريكا'.[2] وفيما كان هوك وأصدقاؤه جزءاً من هذه الحركة، بعيداً عن الراديكالية الماركسية وأقرب إلى المركز السياسي أو اليمين، لم يكن بعض الزملاء الآخرين قد هجروا تعاطفهم مع الشيوعية بعد. وزعم المحرر والناقد جاسون إبشتاين فيما بعد: 'كان الستالينيون لا يزالون عصابة قوية جداً. كانوا مثل مجموعة التصحيح السياسي الآن. وبالتالي كان هناك سببٌ جيدٌ للتشكيك بالحق الستاليني في الثقافة'.[3] وبدا ظهور رفاق الطريق المتعاطفين في ولدورف كأنه يبرر خوف كثير من الأمريكيين الإيديولوجيين بأن سحر الشيوعية المغري لم يُحَطَّم، وأن الحلم الشيوعي ما زال يحوِّم رغم تجاوزات ستالين.

كتب آرثر ميلر فيما بعد: 'على أي حال، جسَّد المؤتمر، بالنسبة إلي، جهداً لمواصلة تقليد جيد كان مهدداً. فقد كانت السنوات الأربع من تحالفنا العسكري ضد قوى المحور إنقاذاً مؤقتاً فحسب من عداء طويل الأمد، بدأ في 1917 بالثورة نفسها واستؤنف حين سُحِقَتْ جيوش هتلر. ولكن لم يجر التفكير بمسألة أنه لولا المقاومة السوفياتية لغزت النازية أوروبا كلها بالإضافة إلى بريطانيا، مع احتمال أن تُجَبَّر الولايات المتحدة على انعزالية مغلولة في أحسن الأحوال، أو في أسوأها صفقة حرجة في البداية ولكن مريحة في النهاية مع الفاشية - أو هكذا ظننت. فالارتداد الحاد بعد الحرب ضد السوفيات ولصالح ألمانيا غير مطهَّرة من النازية، لم يبد حقيراً فحسب بل هدَّد بحرب أخرى يمكن بالفعل أن تدمر روسيا ولكنها ستسقط ديموقراطيتنا كذلك'.[4]

في الدور الأعلى في جناح شهر العسل، كانت الأمزجة مستثارة قليلاً. فمنذ أن اتُّخِذَ القرار، قبل ثلاثة أسابيع، لتعطيل المؤتمر، كانت هذه المجموعة الأولية تعمل بلا كلل كي تطور 'جهاز دعاية' خاصاً بها. و تمت مراقبة أنشطة 'العدو' التحضيرية، وتوزيع مهام تعطيلها بين أعضاء لجنة مفعمة بالحيوية منشأة لغرض خاص. و سُمِّيَتْ لجنة مضادة ، وضمَّتْ بينيديتو غروسي، ت. س. إليوت، كارل جاسبرز، أندريه مالرو، جاك ماريتين، برتراند رسل وإيغور سترافينسكي. ولقد تم إدخال حتى الحائز على جائزة نوبل الدكتور أبيرت شفايتزر ، وكان على ما يبدو غير متضايق من ظهور 'اسمه في معسكر العدو أيضاً كأحد 'الراعين' لمؤتمر ولدورف. والمجموعة التي استفادت من موقع حصانها الطروادي داخل ولدورف، اعترضت بريداً موجهاً إلى منظمي المؤتمر، وأحبطت محاولاتهم لكسب الصحافة من خلال التلاعب بالتصريحات والمواد المنشورة.

وقد أصدرت رشقات من المواد الصحفية تحدثْ المتحدثين ورعاة المؤتمر بأن 'يحددوا أنفسهم كأعضاء في الحزب الشيوعي أو أنهم متعاطفون مدمنون'. وبالنسبة لأولئك الذين فشلت ضمائرهم بأن توخز، سرَّع هوك وعصبته سير العملية من خلال كشف علني عن 'الاتصالات الحقيقية لقادة لقاء ولدورف'. وهكذا، كشفت عضوية ف. أو. ماتهيسن في مجموعة من منظمات الواجهة الشيوعية' (وبينها لجنة دفاع سليبي لاجون) في نشرة إخبارية. وأدرج هوارد فاوست كمؤلف 'روايات دعائية' وفضح كليفورد أوديتس (بطريقة أقل علمية) 'كعضو آخر في الحزب الشيوعي بحسب شهادة عضو هيئة سابق في *الديلي ووركر*'.

ومع اقتراب مراسم افتتاح المؤتمر، اختلفت الأفكار على نحو همجي حول الطريقة الفضلى لإفساد محاضر الجلسات (كما فعلت فيما بعد الوقائع المكتوبة عن المسألة). وأوجز هوك، الذي عيَّن نفسه مشيراً 'للجناح الصغير المعادي للشيوعية، أوجز لرفاقه في الحرب سبل النجاة من طرد إجباري من القاعة. فلكونهم مسلحين بالمظلات، كانوا يخبطون الأرض ليجذبوا الانتباه، ثم يقيدون أنفسهم إلى كراسيهم. وبهذه العملية كانوا يؤخرون إخراجهم من القاعة. وحين يمنعون من إلقاء خطبهم، كان صديقا هوك الحميمان، بيتشمان وبيتزيلي، يوزعان نسخاً مطبوعة للصحفيين.

وكما حدث، لم تكن هناك حاجة إلى هذه الاستراتيجيات الخاصة بالعصابات. ولدهشتهم، منح المؤتمر كل واحد من المخربين دقيقتين كي يتحدث، رغم أنه كان عليهم انتظار المتحدث الأول، وهو أسقف متقاعد من أوتاه، كي ينهي خطبته المنمقة اللانهائية. وأجَّلت ماري مكارثي سؤالها لباحث هارفارد المتألق ف. أو. ماتهيسن، مؤلف كتاب *النهضة الأمريكية*، الذي وصف رالف والدو إمرسون بأنه سلف للشيوعية الأمريكية. سألت: هل كان ماتهيسن يعتقد أنه سيسمح لإمرسون بأن يعيش ويكتب في الاتحاد السوفياتي؟ فأجاب ماتهيسن أنه لن يُسْمَح له، ثم أضاف – وهو ما اعتبر بأنه الاستنباط الخلفي في ذلك العام – بأنه لن يُسْمَحُ للينين بأن يعيش في الولايات المتحدة كذلك. وحين سأل دوايت ماكدونالد فادييف لماذا قبل 'الاقتراحات' النقدية للمكتب السياسي وأعاد كتابة روايته *الخفير الشاب*، أجاب فادييف: 'لقد ساعد نقد المكتب السياسي كتابي بشكل كبير'.

قرر نيكولاس نابوكوف أن يحضر مناقشة عامة كان فيها شوستاكوفيتش أحد المتحدثين. وكان بين الموسيقيين على المنصة أشخاص يعرفهم نابوكوف، وحتى أصدقاء. لوَّح بيده لهم، فاستجابوا له مبتسمين بعصبية. وبعد جلسة بليدة متوقعة، منح نابوكوف أخيراً دوره: 'بتاريخ كذا وكذا في العدد العاشر من صحيفة *برافدا* ظهرت مقالة غير موقَّعة تمتلك الصفات الكاملة لافتتاحية. وهي عن ثلاثة موسيقيين غربيين هم 'بول هينديميث، وأرنولد شوينبرغ، وإيغور سترافينسكي. وفي هذه المقالة اتُّهم الثلاثة بأنهم 'ظلاميون'، و'شكلانيون برجوازيون منحطون'، و 'أتباع للرأسمالية الإمبريالية'. وبالتالي يجب أن يمنع 'أداء موسيقاهم في الاتحاد السوفياتي'. هل يوافق السيد شوستاكوفيتش شخصياً على وجهة النظر الرسمية هذه كما هي منشورة في البرافدا؟'[5]

'تحريض!'صاحت الأدوات الروسية بينما كان شوستاكوفيتش يتلقى تعليمات مهموسة من 'مربيّته' من الكي جي بي. ثم نهض الموسيقار، قُدِّمَ له ميكروفون، واستدار وجهه الشاحب كشحوب الموتى كي يدرس ألواح الأرضية، وتمتم بالروسية: 'أؤيد بشكل كامل الآراء الواردة في *البرافدا* . '

كانت تلك حادثة مُرَوِّعة. ووصلت الإشاعات التي قالت إن ستالين أمر شوستاكوفيتش بحضور المؤتمر إلى اجتماع نيويورك. كان كبش الفداء، يظهر، كما قال أحد المراقبين، 'شاحباً، ضئيلاً، وهشاً، ومحدباً، ومتوتراً، ومنسحباً، دون ابتسامة، يوحي شكله المأساوي بأن قلبه توقف عن العمل. ووصفه آرثر ميلر بأنه 'صغير، وضعيف، وحسير النظر'، يقف 'منتصباً ومتصلباً كدمية'. كانت أية محاولة من قبله لإظهار الروح المستقلة مسألة حياة أو موت. من ناحية أخرى، كان نيكولاس نابوكوف مهاجراً روسياً أبيض أصبح مواطناً أمريكياً في 1939. كان آمناً. كان نابوكوف كمن يوجه اللكمات إلى رجل يداه مقيدتان خلف ظهره.

ودب الهلع في آرثر ميلر الذي كان رئيساً للندوة العامة الخاصة بالفنون التي حدثت فيها هذه المجابهة: 'إن ذكرى شوستاكوفيتش لا تغادر ذهني حين أفكر بذلك اليوم. أي حفل تنكري كان!... لا يعلم إلا الله بماذا كان يفكر في الغرفة، أي انشقاق حدث داخل روحه، أي إلحاح للصراخ وأي تحكم بالذات قمع صرخته خشية أن يمنح الراحة لأمريكا وحربها الجديدة على بلاده التي تجعل من حياته جحيماً'.[6]

بعد ثلاثين عاماً ظهرت مذكرات شوستاكوفيتش في الغرب، وروى فيها قصته عن مسألة ولدورف: 'لا أزال أذكر برعب رحلتي الأولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وما كنت لأذهب البتة لولا الضغط الشديد الذي مارسته شخصيات إدارية من جميع الرتب والألوان، من ستالين إلى الأسفل. يقول الناس أحياناً: إنها ستكون رحلة ممتعة، انظر إلى الطريقة التي أبتسم بها في الصور. كانت تلك صورة رجل محكوم. شعرت أنني رجل ميت. أجبت على جميع الأسئلة البلهاء بانبهار معتقداً أن الأمر سينتهي بالنسبة لي حين أعود. كان ستالين يحب السيطرة على أفعال الأمريكيين على نحو كامل بتلك الطريقة. سيريهم رجلاً – هو هنا، على قيد الحياة وجيد – ثم يقتله. حسناً، لماذا القول إنه يسيطر على الأفعال بشكل كامل؟ لقد قيل هذا بشكل قوي جداً. لقد خدع فقط أولئك الذين أرادوا أن يُخْدَعوا. فالأمريكيون لم يكترثوا بنا مطلقاً، وهم سيصدقون أي شيء من أجل أن يعيشوا ويناموا بعمق، '.[7]

استمر المؤتمر عدة أيام. أرسل ت. س. إليوت برقية تعارض المؤتمر. وجاءت برقية أخرى من جون دوس باسوس، الذي حثَّ الليبراليين الأمريكيين على فضح الطغيان السوفياتي بحيث أنه 'من خلال هذا الفضح سيهلك الطغيان بسمه الخاص'. أما توماس مان، الذي علَّق مرة بأن معاداة الشيوعية 'هي الغباء الأساسي للقرن العشرين'، فقد أرسل برقية لدعم المؤتمر. كانت 'النقاشات' طقسية وبليدة على نحو قاتل، متبلة فحسب بتدخل من نورمان ميلر الشاب (الذي وصفه أحد المعاصرين بأنه طالب لفرانك سيناترا')، الذي أدهش الجانبين حين اتهم كلاً من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بتبني برامج سياسة خارجية عدوانية قللت من فرصة

التعايش السلمي. وقال قبل الاختتام: 'طالما هناك رأسمالية ستكون هناك حرب. ولن تنعموا بالسلام إلا بعد أن تحصلوا على اشتراكية معقولة ومنصفة. وكل ما يستطيع الكاتب فعله هو قول الحقيقة كما يراها ومواصلة الكتابة'.[8] وكان لخطبة ميلر تأثير سحري وحّد الأعداء في أصوات ازدراء واستهجان.

وفي هذا الوقت صار عدد المتظاهرين في الخارج ما يزيد على الألف، وكانوا يلمعون بإعلاناتهم. واستغرب أحد المراقبين من أن 'كثيراً من الصاخبين والأجلاف الأشداء كانوا تحت تصرف اليمين المتطرف'. وكان هوك ذكياً بما يكفي كي يلاحظ أن الشيوعية داخل ولدورف، ونوع المعاداة للشيوعية المقاتلة في الخارج على الرصيف، كانتا تغذيان بعضهما بعضاً. وكانت حملة العلاقات العامة العدوانية، التي أدارها ميل بيتزيلي، قد بدأت تعض بأسنانها. أما ويليم راندولف هيرست، قطب الصحف، وعدو الشيوعية المصاب بجنون العظمة، فقد أمر جميع محرريه بأن يتبعوا قرع طبل هوك ويشجبوا المؤتمر الشيوعي و'المتعاطفين معه' من الأمريكيين.

وفي نيسان، أشرف هنري لوس، المحرر، والمالك لإمبراطورية *تايم لايف*، بشكل شخصي، على صفحتين متقابلتين في مجلة *لايف*، هاجمتا انحلال الكرملين و 'نسخه' الأمريكية. وكانت المقالة، التي تحتوي على خمسين صورة بحجم صور جواز السفر، هجوماً موجهاً إلى مشاعر المرء وأهوائه لا إلى عقله. صوّر مسبقاً القوائم السوداء للسيناتور مكارثي غير الرسمية. واتهم كلاً من دوروثي باركر، ونورمان ميلر، وليونارد برنشتاين، وليليان هيلمان، وآرون كوبلاند، ولانغستون هيوز، وكليفورد أوديتس، وآرثر ميلر، وألبرت آينشتاين، وشارلي شابلن، وفرانك لويد رايت، ومارلون براندو، وهنري والاس، اتهمهم جميعاً بالعبث مع الشيوعية. وكانت هذه مجلة *لايف* نفسها التي خصّصتْ، في 1943 عدداً كاملاً للحديث عن اتحاد الجمهوريات السوفياتية، واضعة صورة ستالين على الغلاف، ومادحة الشعب الروسي، والجيش الأحمر.

وتذكر آرثر ميلر قائلاً: 'كان من الخطير المشاركة في المحاولة المشؤومة لإنقاذ تحالف زمن الحرب مع الاتحاد السوفياتي في وجه ضغوط الحرب الباردة المتصاعدة، وكان المرء يعرف أن الجو أصبح، في ذلك الوقت، ساخناً من القتال... ولم يكن هناك تجاهل لإمكانية العقوبة ضد المشاركين بينما كان يوم افتتاحه يقترب... وبالفعل، ومع مرور الأشهر، أصبح 'تأييد مؤتمر ولدورف' أو 'المشاركة' فيه دليلاً هاماً على عدم إخلاص الشخص... وكان شيئاً جديداً في عالم ما بعد الحرب أن يُوَلّد لقاء للكتاب والفنانين ذلك الاشتباه والغضب العامين والواسعين'.[9]

وبالتأكيد كان الأمر خطيراً. فأولئك الذين اعتبروا مارقين في ولدورف – الفندق المشهور قبل الحرب 'ببروز أثداء فتياته' – كانوا الآن موضوع اهتمام مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي (الإف بي آي) ج. إدجار هوفر. ولقد أرسل مكتب تحقيقاته الفيدرالي عملاء لتغطية المؤتمر ورفع تقارير عن المشاركين. وفي مقر مكتب التحقيقات الفيدرالي تم إعداد ملف حول نورمان ميلر الشاب. وقد أعدتْ سابقاً في الثلاثينات ملفات عن لانغستون هيوز، وآرثر ميلر، وف. و. ماتهيسن، وليليان هيلمان، وداشييل هاميت، ودوروثي باركر – التي أدرجت بشكل متنوع

'كشيوعية سرية'، 'شيوعية علنية'، ومحبة للشيوعية، ولكن أفعالهم التخريبية الحالية قد سُجِّلت الآن.

وكان مكتب التحقيقات الفيدرالي يفعل أكثر من مراقبة 'شيوعيي' ولدورف في بعض الحالات. فبعد المؤتمر بوقت قصير، زار عميل لمكتب التحقيقات الفيدرالي مؤسسة نشر ليتل، براون، وأخبرهم بأن ج. إدجار هوفر لا يريد أن يرى رواية هوارد فاوست الجديدة، *سبارتاكوس*، على رفوف المكتبات.[10] أعادت مؤسسة ليتل براون المخطوط إلى مؤلفه، الذي رفض كتابه آنذاك سبعة ناشرين آخرين. أما ألفريد كنوبف فقد أعاد المخطوط دون أن يفتحه، قائلاً إنه لن ينظر إلى عمل خائن. وأخيراً ظهر الكتاب في 1950، بعد أن نشره هوارد فاوست بنفسه. ذلك أن حق 'الستالينيين' بالثقافة كان بالتأكيد معرضاً للهجوم.

وبتغطية من مجلة *لايف*، أصبحت الرقصة الثنائية، بين الشيوعيين والشيوعيين السابقين في الولدورف، مشهداً عاماً رئيسياً. وهنأ هوك نفسه لأنه أنجز أفضل المشاهد: 'لقد سببنا فشل أحد أكثر مشاريع الكرملين طموحاً'.

ولد سيدني هوك في كانون الأول 1902 في وليامسبرغ بنيويورك، في حي قذر للفقراء ببروكلن لم يكن يضاهيه في البؤس أي حي في تلك الأعوام. كانت تلك أرضاً خصبة للشيوعية التي أصبح هوك مشايعاً شاباً لها. وهوك الذي كان قصير القامة، بوجه صغير مؤطر بنظارتين مستديرتين، بدا كأنه حكيم مسكين. لكنه كان مفكراً متألقاً، ومماحكاً مستعداً على الدوام للوثوب في معركة. منجذباً إلى الوضعية الشيوعية العضلية والفظة، تحرَّك بسرعة بين فئاتها المختلفة، من الستالينية إلى التروتسكية إلى البوخارينية. وساعد في إعداد الترجمة الأولى من كتاب لينين *المادية والتجريبية* للحزب الشيوعي الأمريكي. وعمل فترة في مؤسسة ماركس وإنجلز في موسكو. ونشر سلسلة من المقالات حول الماركسية، كان أكثرها شهرة، والتي أثارت الحملة التي قادها هيرست لطرده من جامعة نيويورك، هي 'لماذا أنا شيوعي؟'

وعلى نمط كثيرين من مفكري نيويورك، بدأ إيمان هوك بالشيوعية يضعف بعد سلسلة من الخيانات: محاكمة ليون تروتسكي بتهمة الخيانة العظمى بين 1936 و 1937، اتفاقية عدم الاعتداء السوفياتية النازية في 1939، وسلسلة من الأخطاء الكارثية التي ارتكبها ستالين في التقييم، والنظرية، والسياسة. وبعد أن أصبح عدواً علنياً للحزب الشيوعي شُجِبَ 'كمتسلل مضاد للثورة'، وطُرد مؤيدوه الذين اتهموا بأنهم 'ديدان هوك' أي ديدان الأنسيلوستوما. وفي 1942 بلغ هوك مكتب التحقيقات الفيدرالي عن طريق الكاتب والمحرر مالكوم كاولي. وأصبح هوك الثوري الذي من وليامسبرغ محبوب المحافظين.[11]

وفي نهاية أصيل الثلاثاء، 27 آذار، 1949، طوَّق رجال الشرطة مجموعة في الشارع الأربعين بين الجادتين الرابعة والخامسة. ومن شرفة منزل لُقِّبَ بشكل مناسب بمنزل الحرية، لوَّح هوك وجيشه السري بأيديهم، بانتصار، لحشد كثيف في الأسفل في براينت سكوير. قال نابوكوف، الذي كان ملائماً جداً ليتنعَّم ببريق الشهرة: إن 'فريقه من المتعهدين ... قام بعمل رائع على صعيد الدعاية'. واستخدم نابوكوف هذه النهاية لحفلة المؤتمر كي يلقي كلمة عن 'محنة

الموسيقيين في الاتحاد السوفياتي وطغيان الجهاز الثقافي. خاطب نابوكوف جمهوراً محتشداً في قاعة الفريدوم هاوس، واستنكر الاستخدام الذي كان ضحيته الموسيقار ديمتري شوستاكوفيتش في 'مؤتمر السلام'. تصفيق رعدي. ثم شاهد نابوكوف 'وجهاً مألوفاً ينهض من الصف الخلفي ويأتي إليه. يقول نابوكوف كان شخصاً أعرفه من برلين، وعمل مثلي في المكتب العسكري التابع للحكومة الأمريكية. هنأني بحرارة قائلاً: لقد نظمت أمراً رائعاً أنت وأصدقاؤك. يجب أن نفعل شيئاً كهذا في برلين'.[12]

كان 'الصديق' الذي خطا إلى الأمام هو مايكل جوسيلسون. وألمح نابوكوف إلى أن حضور جوسيلسون في مؤتمر ولدورف أستوريا، ثم في مهرجان الفريدوم هاوس، يمكن أن يكون أي شيء إلا مصادفة بريئة. لقد جاء جوسيلسون إلى هنا بعد توجيهات سريعة من رئيسه فرانك ويزنر، ساحر العمل السري للسي آي إي. وموَّلتْ هذا 'العمل الرائع' مؤسسة ويزنر، وكان جوسيلسون موجوداً هناك كي يراقب الاستثمار. وبتعاون ذكي من ديفد دبنسكي – الذي كان حضوره في جناح شهر العسل دوماً شيئاً يشبه اللغز – هيأت السي آي إي معقل هوك في فندق ولدورف،وهدد دبنسكي بأن يطلب من النقابات أن تغلق الفندق إذا لم يؤو الفندق أصدقاءه المفكرين، دُفعَتْ الفواتير، وتلقى ناباكوف مقداراً وافراً وضخماً من دولارات السي آي إي من دبنسكي كي يأخذه إلى جناح شهر العسل، وضمن تغطية إعلامية واسعة ومتعاطفة.

وجاء من برلين كذلك ميلفن لاسكي كي يشاهد كيف كانت أنشطة هوك الدعائية تتشكل. ارتبط الاثنان في العام الماضي، حين كان هوك يعمل في برلين 'كمستشار تربوي' في المنطقة الأمريكية. أثير لاسكي من الطبيعة الصدامية لمؤتمر ولدورف، مبدياً احتقاراً خاصاً لشوستاكوفيتش. زعم فيما بعد: 'كان جبنه كبيراً. لم يرد أن يدافع عن أي شيء. ولكن كان هناك أولئك الذين يقولون: ثمة أمور أكبر منك يا شوستاكوفيتش، وأكبر من موسيقاك، ويجب أن تدفع أجر دخول، سواء أحببت ذلك أم لا، باسم هدف أسمى'.[13]

وشعر هوك وأصدقاؤه في الولدورف بأنهم دفعوا أجر دخولهم. لكن معظمهم لم يكن مشاركاً في الترتيب السري الذي جعل عملهم المضاد ممكناً. كان نيكولا شيارومونتي مشتبهاً بصلات هوك. حذّر ماري مكارثي بشكل سري طالباً منها أن تصمد أمام هوك وملازميه الأولين، الذين كانت موادهم الصحفية الكثيرة في ذلك الأسبوع المحموم تتضمن مقولات تدعم السياسة الخارجية الأمريكية بشكل واضح: 'ما يفعله الأولاد وهوك في التحليل الأخير، هو ألا نقول أنهم سعداء من موقف وزارة الخارجية، بل أنهم في النهاية مستعدون للخضوع لسبب ولمبرر وقوف أمريكا ضد الروس'. وتابع شيارومونتي قائلاً بأن هذا كان 'شكلاً من التكيف غير بناء جداً من وجهة نظر ديموقراطية.'[14]

إن الحساسية المبكرة كاشفة جداً، وجديرة برجل صقلت مداركه من خلال عمله كعميل سياسي لتروست موزنبرغ. ذلك أنه على رغم أن شيارومونتي لم يعرف ذلك بعد إلا أنه اقترب كثيراً من الحقيقة. ولو اقترب أكثر قليلاً لاكتشف أن وزارة الخارجية لم تكن هي الوحيدة المهتمة بهوك فحسب، وإنما مؤسسة أمريكا التجسسية في الوقت نفسه.

استشف آرثر ميلر أن مؤتمر الولدورف سوف يتحول إلى 'منعطف حاد في طريق التاريخ'. وكتب بعد أربعين عاماً: 'حتى الآن يظلل شيء مخيف ومظلم ذكرى ذلك اللقاء... حيث جلس الناس كما لو أنهم في لوحة رسمها سول شتاينبرغ، وفوق رأس كل منهم منطاد يحتوي خربشات لا يمكن فك شفرتها البتة. وهناك كنا، غرفة مليئة بالموهوبين وبضعة عباقرة حقيقيين، وأتذكر أنه لم يكن أي من الجانبين على صواب، لا المدافعون عن السوفيات ولا كارهو الحمر الغاضبون، ولكي أعبر عن ذلك ببساطة: السياسة خيارات، وليس من النادر ألا يكون هناك أية خيارات للاختيار، فلوح الشطرنج لا يسمح بمكان للحركة'.[15]

لكن مؤتمر الولدورف مثَّل بالنسبة لـ 'سي آي إي' فرصة للقيام ببعض الحركات الجديدة في اللعبة الكبرى. لقد كان، كما تذكر عميل السي آي إي دونالد جيمسون: 'حدثاً تحريضياً يشير إلى أن هناك حملة ضخمة شُنَّتْ في الغرب من أجل النفوذ الإيديولوجي على المستوى السياسي. . '. أرسل رسالة قوية إلى أشخاص في الحكومة من الذين فهموا أن الأساليب التقليدية لن تنهي الطبيعة القسرية للخداع الشيوعي. و'فهمنا الآن أنه كان من الضروري القيام بشيء ما حيال ذلك. ليس بمعنى قمع أولئك البشر، الذين كان كثيرون منهم من نوع نبيل. ولكن بالأحرى، كجزء من برنامج عام يتطلع، في النهاية، إلى ما ندعوه الآن بنهاية الحرب الباردة'.[16]

الفصل الرابع

دمنفورم الديموقراطية

كلما صرت فارساً مشعاً،
أحكمُ ارتداء درعي،
ثم أبحث حولي عن الأشياء،
وأهب للنجدة
والإنقاذ من عرين التنين،
وأقاتل جميع التنانين التي هناك.

إي. إي. ميلن. الفارس الذي يرتدي درعاً

كان مؤتمر الولدورف أستوريا مذلاً لمؤيديه الشيوعيين. قال أحد المراقبين: 'كان كابوساً دعائياً، فشلاً برهن أنه آخر حماسة لفكرة أن المصالح الإيديولوجية لروسيا الستالينية يمكن إدخالها في التقاليد التقدمية لأمريكا'.[1] كان الحزب الشيوعي في حال تراجع،و انخفض عدد أعضائه. وتلوثتْ هيبته بشكل يتعذر تغييره. و حين بدأت المزاعم بأن هناك مؤامرة شيوعية تُحكم سيطرتها، أدار استراتيجيو ستالين ظهورهم لأمريكا وركزوا، بدلاً من ذلك، على توسيع النفوذ وتحييد الأعداء في أوروبا.

أما حملة الكومنفورم لإقناع رجل الفكر الأوروبي بأن الخيار المفضَّل الوحيد الذي نشده الاتحاد السوفياتي كان 'سلمياً'، فقد شوهها جدياً حدثان حاسمان في 1949: أولاً، كانت هناك معاملة ستالين التي لا ترحم للقائد اليوغسلافي المارشال تيتو، الذي أدى رفضه للتضحية بالمصالح القومية من أجل تدعيم الهيمنة السوفياتية في البلقان، إلى هجوم عنيف شرير تحول إلى نزاع بين موسكو وبلغراد. سحب ستالين المستشارين الاقتصاديين والعسكريين من يوغوسلافيا كجزء من حرب إنهاك مصممة لإضعاف هذا الموقف المستقل. وافتتح تيتو، بدوره، المفاوضات مع الغرب كي يتلقى اعتمادات من مشروع مارشال لإنعاش اقتصاده المشلول. ووتَّر تأويل ستالين الوحشي 'للشيوعية العالمية' حماسة المتعاطفين الأوروبيين، الذين احتشدوا للدفاع عن تيتو. ثانياً، زاد من تشويه الدعوات السوفياتية إلى التعايش السلمي اختبار قنبلة نووية سوفياتية في آب 1949.

تأخر تبلور الجواب البريطاني على المزاعم اللفظية للدعاية الروسية. وكان قسم بحث المعلومات (IRD) الذي أنشأته في شباط 1948 حكومة كليمنت آتلي للهجوم على الشيوعية، القسم الأسرع نمواً في وزارة الخارجية. وشرح مهندس قسم بحث المعلومات، وزير الخارجية إرنست بيفن: 'لا نستطيع أن نأمل بشكل ناجح مقاومة الشيوعية فقط من خلال الانتقاص من قدرها على أرضيات مادية، يجب أن نضيف إغراء إيجابياً إلى المبادئ الديموقراطية والمسيحية، متذكرين قوة الوجدان الديني في أوروبا. ينبغي أن نقدم إيديولوجيا منافسة للشيوعية'.[2] وكان هذا في الحقيقة هو التحدي: لا تستطيع الحكومات الغربية الاعتماد على تشويه سمعة التجربة السوفياتية فحسب، بل من واجبها أن تقدم بديلاً مستقبلياً من داخل نظام - ديموقراطية رأسمالية - غالباً ما تتجاوز تبجحاته إنجازاته. وقال الدبلوماسي الجاسوس روبرت بروس لوكهارت: 'إن ما هو خطأ في العالم ليس قوة الشيوعية، التي خربها ستالين وشركاؤه وحولوها إلى أداة للتوسع السلافي بطريقة كانت ستصدم لينين، وإنما الخطأ هو الضعف الأخلاقي والروحي للعالم غير الشيوعي'.[3]

إن إغفالنا لدور الحكومة البريطانية في صناعة صورة مريحة لستالين أثناء تحالف زمن الحرب يعني أن نتجاهل إحدى حقائق الحرب الباردة الحاسمة: كان التحالف بين العالم الحر وروسيا ضد النازية هو اللحظة التي بدا فيها التاريخ نفسه وكأنه يتورط في وهم أن الشيوعية مقبولة سياسياً. فالأزمة التي واجهت الحكومة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية هي كيف سترتب إزالة الأكاذيب التي بنتها بشكل منظّم ودافعت عنها في الأعوام السابقة. قال آدم واتسون، وهو دبلوماسي شاب تطوع في قسم بحث المعلومات كقائد ثان له:'أثناء الحرب، بنينا هذا الرجل، رغم معرفتنا بأنه مريع، لأنه كان حليفاً. والمسألة الآن هي: كيف نتخلص من أسطورة العم العجوز الطيب جو التي بنيت أثناء الحرب؟'[4] ولقد عمل كثيرٌ من المفكرين والكتاب البريطانيين لدى الحكومة في أقسام الدعاية الخاصة بها أثناء الحرب: والآن تم استدعاؤهم لتحرير الجمهور البريطاني من تلك الأكاذيب التي عملوا، بابتكار، على حمايتها.

كان قسم بحث المعلومات، رغم لقبه الحميد، وزارة سرية للحرب الباردة. يسحب ميزانيته من الاقتراع السري (كي يتجنب التدقيق غير المرحب به لأية عمليات تتطلب عملاً سرياً أو شبه سري)، وكان هدفه 'إنتاج وتوزيع ونشر دعاية لا يمكن أن تُعزى إلى طرف محدد'، بحسب كريستوفر مونتي وودهاوس، وهو جاسوس عُيِّن في القسم في 1953. وكان قسم بحث المعلومات، الذي اعتمد نظرية التدفق البطيء للمعلومات، يجمع تقارير حقيقية عن جميع الموضوعات للتوزيع بين أعضاء الأنتلجنسيا البريطانية، الذين كان من المتوقع آنذاك أن يعيدوا استخدامها في عملهم الخاص. وكان عدم تحديد المصدر صفة محورية ومميزة لهذه الممارسة، مما جعل من الممكن الجمع بين ضرورتين متناقضتين بشكل جوهري: إنجاز أكبر توزيع ممكن لمادة قسم بحث المعلومات، بينما يتم الإبقاء على وجود حملة دعاية مضادة للشيوعية، محظورة رسمياً، وممولة سرياً، لا يعرف عنها الجمهور أي شيء. وكتب رئيس قسم بحث المعلومات الأول رالف موراي: 'من المهم ألا يولد في المملكة المتحدة أو في الخارج انطباع عام بأن وزارة الخارجية تُنظِّمُ

حملة معادية للشيوعية. فالتعرض لتهمة تلقّي مواد مضادة للشيوعية من هيئة شريرة ما في وزارة الخارجية منغمسة في فبركة الدعاية الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي سيضايق بعض الأشخاص المستعدين كي يقدموا لنا دعماً قيماً'.[5]

وقال آدم واطسون فيما بعد: 'إذا جعلت عملك يستند إلى تقديم الحقائق، يصبح أكثر صعوبة للدحض مما إذا كنت تقدم الدعاية فحسب. يتعلق الأمر بكشف تلك المظاهر من الحقيقة التي هي أكثر فائدة لك'.[6] وعملياً، كان هذا يعني أنه على رغم أن المقصود من قسم بحث المعلومات هو الهجوم على 'مبادئ الشيوعية وتطبيقها، وكذلك نقد عدم الكفاءة، والظلم الاجتماعي، والضعف الأخلاقي للرأسمالية غير المقيدة في آن'، فإنه لم يكن مسموحاً 'أن تهاجم أو تظهر بأنك تهاجم أي عضو في الكومنويلث أو الولايات المتحدة'.[7] وفكرة أن الحقيقة يمكن أن تخضع لضرورات كهذه، كثيراً ما تسلى بها نويل كوارد الذي استمتع، أثناء توليه القصير لمنصب ضابط استخبارات، بالإفراط في ختم الوثائق المعلّمة بأنها 'سرية للغاية' بـ 'صادقة للغاية'.

وكان أحد المستشارين المهمين الأوائل لقسم بحث المعلومات الكاتب المولود في هنغاريا آرثر كويستلر. وبتوجيه منه أدرك القسم فائدة إيواء أولئك الناس والمؤسسات الذين، في تراث السياسة اليسارية، أدركوا بشكل واسع أنهم معارضون لمركز السلطة. وكان الهدف من إيواء كهذا مزدوجاً: أولاً، للاقتراب من المجموعات 'التقدمية' من أجل مراقبة أنشطتها، وثانياً، لتخفيف تأثير هذه المجموعات من خلال السيطرة عليها من الداخل، أو شد أعضائها إلى منتدى مماثل، وأقل تطرفاً بشكل ماكر.

ولقد استفاد كويستلر أيضاً من حملات دعاية قسم بحث المعلومات. إن كتاب *ظلام في الظهيرة* الذي كان تصويره للقسوة السوفياتية أوراق اعتماد كويستلر كمعاد للشيوعية، انتشر في ألمانيا تحت رعاية القسم. وبمقتضى صفقة عقدت مع هاميش هاملتون، مدير دار النشر التي بهذا الاسم، وهو نفسه المرتبط عن قرب بالاستخبارات، أصدرتْ وزارة الخارجية ووزعتْ خمسين ألف نسخة من الكتاب في 1948. وعلى نحو ساخر، في الوقت نفسه، 'تلقى الحزب الشيوعي الفرنسي أوامر لشراء جميع نسخ الكتاب على الفور ولقد تم شراؤها كلها ولم يكن هناك سبب لدى الحزب لأن تتوقف إعادة طباعته، وهكذا كان كويستلر يزداد غنى بلا نهاية من أموال الحزب الشيوعي'[8].

لم يكن كويستلر يتصرف كمستشار للحملة الدعائية لوزارة الخارجية فحسب. ففي شباط 1948، انطلق في جولة محاضرات إلى الولايات المتحدة. وفي آذار التقى مع ويليم وايلد بيل دونوفان في منزل الجنرال، في ستون بليس بنيويورك. وكان دونوفان، مدير جهاز الاستخبارات الأمريكي أثناء الحرب، وكان في وقت قريب، أحد المهندسين الرئيسيين لـ 'السي آي إي' التي خُلقَتْ من جديد. كان عضواً مركزياً في نخبة الاستخبارات والسياسة الخارجية الأمريكية. وكان معادياً للشيوعية طول حياته، وظل يقظاً تماماً إلى لحظة موته في 1959، حين قيل إنه كان يحدد من وراء نافذته أمكنة القوات الروسية وهي تتقدم إلى مانهاتن عبر جسر الشارع

التاسع والخمسين. وكويستلر، الذي كان سابقاً أحد الأدمغة وراء شبكة الاتحاد السوفياتي من منظمات الواجهة في ما قبل الحرب (المعروفة بـ'تروست مونزنبرغ'، على اسم مديرها، ويلي مونزنبرغ)، كان يعرف بشكل أفضل أكثر من جميع الرجال الأحياء كيف تعمل آلة الدعاية الروسية من الداخل. وقبل وقت قصير من ذهابه إلى الولايات المتحدة كان كويستلر قد التقى بأندريه مالرو وشيب بوهلن، السفير المعين حديثاً في فرنسا، كي يناقش أفضل الطرق لمواجهة الهجوم 'السلمي' لـ 'الكومنفورم'. وعلى ظهر السفينة، بينما كان يعبر إلى أمريكا، قابل كويستلر كذلك، بالمصادفة، جون فوستر دلس، شقيق آلن دلس ووزير الخارجية المستقبلي، وناقش الاثنان المشكلة نفسها. ثم جلس كويستلر مع وليم دونوفان للتحدث عن كيفية مجابهة الدعاية السوفياتية. 'ناقشنا الحاجة إلى الحرب النفسية'، - نوّه كويستلر في يومياته، مضيفاً أن دونوفان كان يمتلك 'دماغاً من الدرجة الأولى'. ينبغي عدم التقليل من أهمية هذا اللقاء.

ولد آرثر كويستلر لأسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى في بودابست في 1905. بعد ارتداده عن آراء بولس، انضم إلى الحزب الشيوعي في أوائل الثلاثينات. وكتب فيما بعد أن قراءة ماركس وإنجلز تمتلك 'التأثير المسكر لتحرير مفاجئ'. وفي 1932 ذهب إلى روسيا حيث ألف كتاباً دعائياً مولته الأممية الشيوعية بعنوان *عن ليالي بيضاء ونهارات حمراء*. وهناك عشق، بشكل جنوني، موظفة تدعى ناديشدا سميرنوفا. أمضى معها أسبوعاً أو اثنين، ثم أبلغ عنها الشرطة من أجل مسألة تافهة. ولم يسمع عنها بعد ذلك مطلقاً. وبعد انتصار هتلر في ألمانيا انضم إلى المنفيين الألمان في باريس، حيث انتظم في فريق فيلي موزنبرغ. اعتقل كسجين سياسي، لكنه أنقذ حين تدخلت الحكومة البريطانية بعد النشاطات القوية لزوجته الأولى، دوروثي آسشر. وفي 1938 استقال من الحزب الشيوعي، شاعراً بالاشمئزاز من اعتقالات ستالين الجماعية ومحاكماته، لكنه كان لا يزال يؤمن بتحقيق اليوتوبيا البلشفية. وتوقف عن الإيمان بذلك حين رفع الصليب المعقوف في مطار موسكو تكريماً لوصول ريبنتروب كي يوقع اتفاقية ستالين - هتلر وعزفت فرقة الجيش الأحمر نشيد هورست فيسيل. وحين اعتقل في فرنسا أثناء الحرب، ألف كتاب *ظلمة في الظهيرة*، وهو تأريخ للانتهاكات التي مورست باسم الإيديولوجيا، والذي أصبح على الفور أكثر كتب الفترة تأثيراً. وحين أطلق سراحه شق طريقه إلى إنكلترا (من خلال الفيلق الخارجي الفرنسي) حيث، بعد اعتقال آخر انتسب إلى سلك الرواد. وفيما بعد انضم إلى وزارة الإعلام كأخصائي دعاية معادٍ للنازية، هذا العمل الذي كسب له الجنسية البريطانية.

وكانت جولة محاضراته في أميركا في 1948 مصممة لتحرير 'المتعلقين باليسار من دون تفكير'[9] من المغالطات والاختلاطات التي لا تزال تهيمن على أفكارهم. حض مفكري أمريكا على التخلي عن تطرفهم الصبياني والالتزام بمشروع ناضج من خلال التعاون مع بنية السلطة: 'إن مهمة الأنتلجنسيا التقدمية لبلدكم هي أن تساعد بقية الأمة على مجابهة مسؤولياتها الضخمة. إن وقت النزاعات الطائفية على أرض التطرف المثالي الجميلة قد ولّى'.[10] وهكذا دعا كويستلر إلى عهد جديد من الالتزام الذي يتولاه المفكرون كواجب لهم كي

يبرروا الجهد القومي، ويتحاشوا امتياز المسافة أو الانفصال القائم الآن على مفارقة تاريخية. وصرّح جان بول سارتر على الفور: 'بما أن الكاتب لا يمتلك طريقاً للهرب، لذا نريد منه أن يتمسك بحقبته بقوة. إنها فرصته الوحيدة، ولقد صُنِعَتْ من أجله وهو صُنِعَ من أجلها. فهدفنا هو أن نعمل سوية كي نحدث تغيرات معيَّنة في المجتمع الذي يحيط بنا'.[11] ولم يكن الخلاف بين سارتر وكويستلر هو نوعية الالتزام، وإنما موضوعه. وبينما بقي سارتر معارضاً بقوة لمؤسسات الحكومة كوسائط للحقيقة أو العقل، انضم كويستلر إلى زملائه كي يساعد نخبة السلطة في مهمتها من أجل الحكم.

وبعد وقت قصير من لقائه مع دونوفان في نيويورك سافر كويستلر إلى واشنطن، حيث حضر جولة من المؤتمرات الصحفية، ومآدب الغداء الصغيرة، وحفلات العشاء. ومن خلال جيمس برنهام، المفكر الأمريكي الذي قام بالرحلة من التطرف إلى مؤسسات السلطة بسرعة مذهلة، قُدِّمَ إلى عدد لا حصر له من مسؤولي وزارة الخارجية، ومساعدي الرئيس، والصحفيين، ومسؤولي النقابات التجارية. واهتمت السي آي إي على الأخص بكويستلر. فهو رجل يستطيع أن يخبرهم أمراً أو اثنين.

كانت الوكالة تلهو الآن بفكرة لبرهة من الزمن: هل هناك أفضل من الشيوعيين السابقين لمحاربة الشيوعيين؟ وباستشارة كويستلر بدأت هذه الفكرة تأخذ حجماً. قال إن تدمير الأساطير الشيوعية لا يمكن إنجازه إلا بتعبئة تلك الشخصيات اليسارية التي هي غير شيوعية في حملة إقناع. كان الأشخاص الذين تحدث عنهم كويستلر مصنَّفين سابقاً في وزارة الخارجية ودوائر الاستخبارات كمجموعة تُدعى اليسار غير الشيوعي. وبسبب ما وصفه آرثر شليسنغر بأنه 'ثورة هادئة'، صارت عناصر الحكومة تفهم بسرعة، وتدعم أفكار أولئك المفكرين الذين خيبت الشيوعية أملهم لكنهم لا يزالون مخلصين لمثل الاشتراكية.

وبالفعل، أصبحت استراتيجية تعزيز اليسار غير الشيوعي، بالنسبة لـ 'السي آي إي' 'الأساس النظري لعمليات الوكالة السياسية ضد الشيوعية في العقدين التاليين'.[12] كان الأساس المنطقي الإيديولوجي لهذه الاستراتيجية، التي أنجزت بها السي آي إي نقطة التقاء مع المفكرين اليساريين، قد قدمه آرثر شليسنغر في كتابه *المركز الحيوي*، أحد ثلاثة كتب رشيميّة ظهرت في 1949 (وكان الاثنان الآخران هما *الإله الذي فشل* ورواية أورويل *1984*). ولقد تحدث شليسنغر عن تدهور اليسار وشلله الأخلاقي النهائي في أعقاب ثورة 1917 الفاسدة، وتتبع تطور 'اليسار غير الشيوعي' 'كمعيار لحشد المجموعات التي تقاتل كي تؤسس مجالاً للحرية'. وداخل هذه المجموعة ستحصل 'عملية ترميم للعصب الراديكالي' دون ترك 'أي مصباح في النافذة للشيوعيين'. وأضاف شليسنغر بأن هذه المقاومة الجديدة تحتاج إلى 'قاعدة مستقلة للعمل من خلالها. تتطلب سرية، وأموالاً، ووقتاً، وورق صحف، وبنزيناً، وحرية تعبير، وحرية اجتماع، وتحرراً من الخوف'.[13]

تذكر شليسنغر فيما بعد: 'إن الفرضية التي نَشَّطتْ كل هذه التعبئة لليسار غير الشيوعي كانت إحدة الفرضيات التي دعمها بحماسة شيب بوهلن، وإشعيا برلين، ونيكولاس نابوكوف،

وأفيريل هاريمان، وجورج كينان. شعرنا جميعنا أن الاشتراكية الديموقراطية هي الحصن الأكثر فعالية ضد الكليانية. وصار هذا موضوعاً سرياً في السياسة الخارجية الأمريكية في تلك الفترة'.[14] وكان اليسار غير الشيوعي تصنيفاً أصبح في الحال استخداماً شائعاً في اللغة البيروقراطية لواشنطن. 'فهو تقريباً مجموعة تحمل بطاقة'، كما نوَّه أحد المؤرخين.[15]

وتم جمع هذه المجموعة الحاملة للبطاقة للمرة الأولى بين غلافي كتاب *الإله الذي فشل*، وهو مجموعة مقالات تتحدث عن فشل الفكرة الشيوعية. وكان روح الكتاب المنشطة هو آرثر كويستلر، الذي كان قد عاد إلى لندن في حال من الإثارة العالية بعد مناقشاته مع وليم دونوفان واستراتيجيي استخبارات أمريكيين آخرين. وخدم التاريخ التالي لنصبه كعارضة أفقية للعقد بين اليسار غير الشيوعي و 'الملاك الأسود' للحكومة الأمريكية. وفي صيف 1948، ناقش كويستلر الفكرة مع ريتشارد كروسمان، رئيس القسم الألماني لهيئة الحرب النفسية (PWE)، في وقت الحرب، الرجل الذي كان يشعر 'بأنه يستطيع أن يتلاعب بجماهير من البشر'، الذين 'يستطيعون أن يجعلوا منه رجل دعاية محترفاً'.[16] وكمدرس في نيو كوليج مع إشعيا برلين – الذي جمعته أيضاً صلات مع هيئة الحرب النفسية أثناء الحرب – وُصِفَ كروسمان مرة بأنه 'بدون مبادئ وطموح جداً'، شخص 'سيتسلق فوق جثة أمه كي يخطو خطوة نحو الأعلى'.[17] في كتابه *أفلاطون اليوم* (1937)، تساءل راوي كروسمان فيما إذا لم تكن الديموقراطية البرلمانية، في الجوهر، 'خدعة'، سياجاً خشبياً مدهوناً بشكل برّاق تختبئ خلفه الحكومة وآلة الدولة'. ويمكن أن يُقال الشيء نفسه عن كتاب *الإله الذي فشل*.

وفي السابع والعشرين من آب 1948، ورَّط كروسمان في المشروع متطوعاً آخر في الحرب النفسية، وهو الأمريكي سي. دي. جاكسون. 'أنا أكتب كي أطلب مشورتك. كاس كانفيلد من هاربر، وهاميش هاملتون، ناشراي هنا، يقترحان نشر كتاب في الربيع القادم يدعى *الأوهام الضائعة*، وتوليت أنا مسؤولية تحريره. سيتألف من سلسلة من صور وصفية أدبية كتبها مفكرون متألقون، يصفون كيف أصبحوا شيوعيين أو متعاطفين مع الشيوعية، ما الذي جعلهم يشعرون أن الشيوعية كانت أمل العالم، وما الذي خيَّب أملهم'.[18] وكانت نصيحة سي. دي. جاكسون هي أن يدعى الكاتب، والشيوعي السابق، لويس فيشر كي يُمثِّل الآمال الضائعة لأمريكا.

ثم فاتح كروسمان ميلفن لاسكي، الذي كان آنذاك الوكيل الرسمي للدعاية الأمريكية الثقافية غير الرسمية في ألمانيا، وأحد أوائل مناصري المقاومة الفكرية المنظمة للشيوعية. وحين تلقى كروسمان إسهامات للكتاب، أرسلها على الفور إلى لاسكي، الذي رتب ترجمتها في مكاتب مجلة *دير مونات*. وبحسب تقرير مفوضية تقييم عليا أمريكية في 1950 'كانت جميع الإسهامات في كتاب *الإله الذي فشل*، عدا واحدة، مواد مرسلة إلى *دير مونات*، أو مقالات فاوضت المجلة من أجل حقوق طبعها. وفي عددها رقم 25، أكملت *دير مونات* نشر جميع المقالات'.[19] حرَّر كروسمان النسخة الإنكليزية، التي نشرها في 1950 ناشر كويستلر، هاميش هاملتون. كان صديق كروسمان الحميم من مكتب معلومات الحرب، كاس كانفيلد (فيما بعد

ناشر آلن دلس)، مسؤولاً عن الطبعة الأمريكية. وبهذه الخلفية، كان كتاب *الإله الذي فشل* نتاج الاستخبارات بقدر ما كان من عمل الأنتلجنسيا.

وكان المساهمون هم إغنازيو سيلوني، وأندريه جيد، وريتشارد رايت، وآرثر كويستلر، ولويس فيشر، وستيفن سبيندر. وكتب كروسمان في مقدمته: 'لم نكن مهتمين بتاتاً بتضخيم طوفان الدعاية المضادة للشيوعية أو بتقديم فرصة للتبريرات الشخصية'.[20] مع ذلك أنجز الكتاب كلا من هذين الهدفين اللذين تم التنصل منهما. ورغم أن جميع المقالات تحدثت عن فشل اليوتوبيا الماركسية، إلا أنها كانت قصصاً شخصية عميقة، وتبريراً لسياسة الأفراد الذين تحركوا للتعبير عن تحررهم من الوهم والإحساس بالخيانة. والكتاب الذي هو اعتراف جماعي كان أيضاً شهادة تمرد، ورفضاً للستالينية في وقت كان لا يزال فيه كثيرون يعتبرون فعلاً كهذا هرطقة. كان كتاباً جديداً كشف عهد ما بعد الحرب، وعمل الظهور فيه كجواز سفر إلى عالم الثقافة الرسمية في العشرين سنة التالية.

ومن بين ستة مساهمين في كتاب *الإله الذي فشل*، كان ثلاثة منهم يعملون لويلي مونزنبرغ. وكويستلر، الذي قال مرة إن الإيمان كان مدهشاً، فهو ليس قادراً على تحريك الجبال فحسب بل 'على جعل المرء يعتقد أن سمكة رنكة هي حصان سباق في الوقت نفسه'، كان أحد حواريي مونزنبرغ الأكثر تعصباً. وفي الثلاثينات، حين كان معروفاً في أمريكا بشكل جيد كما كان إد مورو في الخمسينات، كان لويس فيشر رجلاً صاغت مهنته بشكل وثيق تجربته كشيوعي يعمل لمونزنبرغ. ولقد انضم إغنازيو سيلوني إلى الحزب الشيوعي الإيطالي في 1921. ومثل كويستلر كان ارتداده حقيقياً – 'أصبح الحزب هو الأسرة، والمدرسة، والكنيسة، والثكنة' – ورفعه على سلم الأممية الشيوعية وإلى ذراعي مونزنبرغ. ترك سيلوني النشاط الحزبي بهدوء بعد 1927، واستعاد 'الطعم الرمادي لشباب مهدور'. وجاءت الاستراحة الأخيرة في 1931، حين طلب منه الحزب الشيوعي أن يدلي بشهادة علنية تشجب تروتسكي، لكنه رفض فطرده الحزب كـ 'حالة مَرَضيه'. متحدثاً أمام مجموعة من الشيوعيين السابقين الألمان، الذين كانوا يعيشون مثله في منفى متعب في سويسرا أثناء الحرب، قال سيلوني: 'إن الماضي وجميع الجراح التي تركها فينا، يجب ألا يكون مصدر ضعف لنا. ينبغي ألا نسمح بأن تجردنا الأخطاء، والإهمال، والأمور الغبية التي تُقال أو تُكتب، من أخلاقنا. ما هو مطلوب منا الآن هو إرادة نقية بحيث يمكن أن تولد قوة جديدة مما هو أسوأ في أنفسنا: Etian Beccata'.[21]

وبين غلافي كتاب *الإله الذي فشل*، تمت إعادة استخدام هؤلاء الذين كانوا رجال دعاية سابقين للسوفيات، بعد أن نُظّفوا من لطخة الشيوعية، وعانقهم استراتيجيو الحكومات الذين شاهدوا في ارتدادهم فرصة سانحة لتخريب آلة الدعاية السوفياتية التي زيّتوها مرة. وأصبحت 'عصابة كتاب *الإله الذي فشل*' تسمية تبنتها السي آي إي، وتشير إلى ما سماه ضابط بـ'جماعة المفكرين الذين خاب أملهم، والذين يمكن تحريرهم من الوهم، أو الذين لم يختاروا موقعاً بعد، والذين يمكن أن يؤثر بهم نظراؤهم بخصوص الخيار الذي يختارونه'.[22]

ووزعت وكالات الحكومة الأمريكية كتاب *الإله الذي فشل* في جميع أنحاء أوروبا. وفي ألمانيا، بخاصة، تم دعمه بشكل قوي. ودعم الكتاب كذلك قسم بحث المعلومات. كان كويستلر سعيداً. ذلك أن خططه من أجل رد منظم على التهديد السوفياتي التأمت بشكل جيد. وبينما كان الكتاب يتدفق من المطابع، التقى مع ميلفن لاسكي كي يناقش معه شيئاً أكثر طموحاً، وأكثر ديمومة.

إذا كان كتاب *الإله الذي فشل* قد أظهر أن هناك ترحيباً حاراً بأولئك الذين رغبوا بالارتداد، فقد كان صحيحاً أيضاً أن الجميع لم يكونوا مستعدين كي يصبحوا متناولين للعشاء الرباني على مذبح العداء المنظم للشيوعية. كان الكومنفورم سريعاً في استغلال هذا التحفّظ. وبعد نزهة مؤتمر ولدورف أستوريا الكارثية، كان أكثر حذراً في تحضيراته للقائه التالي، مؤتمر السلم العالمي، المقرر عقده في نيسان 1949 في باريس. وتنبأت رسالة بالشفرة، سرية للغاية، من مكتب بحث المعلومات في آذار من ذلك العام: 'إن التقنية التي تم تصورها وتنظيم المؤتمر يشيران إلى أن جميع المحاولات تهدف إلى استخدامه كموافقة روتينية على كل ما يفكر به الاتحاد السوفياتي فحسب'.[23] وكان موضوع الكومنفورم، في الظاهر، هو أن تكون 'الولايات المتحدة والديموقراطيات الغربية هي الديموقراطيات المثيرة للحرب، وأن الفاشيين، والكرملين وأدواتهم هم الديموقراطيات المحبة للسلام'. وطلب من جميع المناصب الدبلوماسية أن 'تستكشف جميع الأعمال الممكنة التي يمكن أن تفسد القيمة الدعائية لهذا المؤتمر'.[24]

ولكن أبناء العم الأمريكيين في السي آي إي كانوا مسبقاً في اجتماع باريس السري. وبعد يوم من انتهاء مؤتمر ولدورف، سأل صديق فرانك ويزنر الحميم كارمل أوفي في وزارة الخارجية ما الذي تنوي فعله حيال مؤتمر باريس للسلام. كان أوفي مساعد ويزنر الخاص لشؤون العمل والمهاجرين، ويشرف شخصياً على اللجنة الوطنية من أجل أوروبا حرة، إحدى أكثر واجهات مكتب تنسيق السياسة أهمية، وكذلك على عمليات أخرى تتعلق بالمنظمات المعادية للشيوعية في أوروبا. وغالباً ما تعامل أوفي مع إرفنغ براون، الممثل الأوروبي لاتحاد العمل الأمريكي (AfL)، والذي لعب اسمه الظريف دوراً سياسياً له أهمية كبيرة في أوروبا بعد الحرب. ومن خلال براون، كانت مبالغ ضخمة من نقود دافعي الضرائب الأمريكيين، وأموال مشروع مارشال، تُضَخُّ كي تغطي العمليات.

كان أوفي، الذي عمل كضابط خدمة خارجية، شخصية شريرة بحسب جميع الروايات. وكان هذا الدميم جسدياً يضايق الرجال الآخرين بطريقة ساخرة بسبب شذوذه الجنسي من خلال قرص حلماتهم أثناء اجتماعات الهيئة. واعتقل مرة لأنه كان يتجول حول المراحيض العامة في حديقة لافاييتي، وهي حادثة جعلت اسمه الحركي من السي آي إي 'مونك' غير ملائم بشكل مثير للسخرية. ولقد طرد من الخدمة الخارجية بعد الحرب بتهمة استخدام الحقيبة الدبلوماسية من أجل عمليات تحويل العملة غير القانونية (وتعامل كذلك باللآلئ، وفي إحدى المناسبات، بتهريب شحنة من ثلاثمائة من سرطانات البحر الفنلندية). لكن كان لديه أصدقاء أقوياء. وكان شيب بوهلن وجورج كينان يعرفانه من أيام السفارة في موسكو، وكان بوهلن هو

الذي أقنع ويزنر بتطويعه. وبينما كان يعمل لدى مكتب تنسيق السياسة قيل عن أوفي إنه كان آخر رجل يرى قطعة ورق قبل أن تذهب إلى ويزنر، وآخر رجل يرى مليوني دولار قبل أن يختفيا.[25]

بدأ أوفي و ويزنر يخططان لرد متقن الإخراج على مؤتمر باريس، والذي تصورت وزارة الخارجية بتشاؤم أنه سيقنع الأبرياء بأن يتبعوا خطَّ الكرملين ويشتريهم لصالح حركة السلام الزائفة هذه'.[26] وأرسل ويزنر برقية إلى آفيريل هاريمان من إدارة التعاون الاقتصادي (مديرو مشروع مارشال)، طالباً خمسة ملايين من الفرنكات الفرنسية - تقريباً ستة عشر ألف دولار- لتمويل مظاهرة مضادة. وكان هاريمان، الداعم الكبير للدعاية والحرب النفسية، الأول بين كبار الموظفين السياسيين في أمريكا الذين فهموا أن روسيا أعلنت حرباً إيديولوجية على الغرب، وفكروا بطرق لمجابهة 'انفجار الفساد الذي كان يُحَرَّك من موسكو'.[27] كان أكثر من سعيد في تقديم أموال مشروع مارشال، التي أشار إليها ويزنر بأنها 'حلوى' للعمليات السرية.

ومن خلال إرفنغ براون وحلفائه في الصحيفة اليسارية المنفصلة فرانك تيرور Franc Tireur، اتصل مكتب تنسيق السياسة بالاشتراكي الفرنسي ديفد روسيت، الذي ألف كتباً عديدة عن معسكرات الاعتقال بينها *أيام موتنا* *Les Jours de Notre Mort* و*العالم كمعسكر تعذيب* *L' Univers Concentrationaire* ووافق روسيت على السماح بأن يجري تمويل صحيفة *Franc - Tireur* كراعية ليوم المقاومة الذي ألهمته السي آي إي.

بالنسبة للسوفيات، ظهر إليا إهرينبورغ وأليكسندر فادييف في المؤتمر الرئيسي - 'مسألة كومنفورم من البداية إلى النهاية' - سوية مع بول روبيسون، وهوارد فاست، وهيوليت جونسون، والمفوَّض الفرنسي للطاقة النووية فريديريك جوليو كوري، والكاتب الدانماركي مارتن أندرسين - نيكسو، والاشتراكي الإيطالي بيترو نيني. وأرسل شارلي شابلن رسالة دعم. وبارك كاهن أرثوذكسي روسيٌّ المؤتمر، وغنى بول روبيسون Ole Man River. وأطلق بيكاسو حمامة سلامه المشهورة، والتي استخدمت طيلة عقود قادمة كرمز الهيبة لحركة السلام الشيوعية. إذ عثر أحد منظمي المؤتمر، الشاعر والشيوعي العنيد لوي أراغون، على طبعة حجرية لحمامة بينما كان ينفض الغبار عن أحد ملفات أستوديو بيكاسو. كان للحمامة ريش يشبه الأحذية النصفية - الغيتر - يغطي مخلبيها. اعتقد أراغون أنها تبدو مثل حمامة، وبإذن من بيكاسو، أصبحت 'حمامة السلام' المشهورة. وسخرت منها حالاً حركة السلام والحرية المدعومة من السي آي إي قائلة أنها 'الحمامة التي تهدر' في رسم كاريكاتوري أعادت إنتاجه وكالات الحكومة الأمريكية، ووزعته في جميع أنحاء العالم في نشرات، وإعلانات وزعت باليد، وملصقات.

وعقد مؤتمر روسيت المضاد، مؤتمر اليوم العالمي لمقاومة الدكتاتورية والحرب، في الثلاثين من نيسان عام 1949، وناصرته رسائل دعم من إلينور روزفلت، وأبتون سنكلير، وجون دوس باسوس،الذي كان في طريقه ليصبح جمهورياً مخلصاً، والذي كان سابقاً، بحسب دوايت ماكدونالد، 'خائفاً بشكل عصبي من روسيا والشيوعية'، ومن جوليان هكسلي وريتشارد كروسمان. وكان بين الموفدين الذين جاءوا على نفقة مكتب تنسيق السياسة إغنازيو سيلوني،

وكارلو ليفي، وسيدني هوك كلي الحضور، مؤلف *Studs Lonigan*، وجيمس ت. فاريل، وفرانز بوركيناو، وفينير بروكوي. ولكن، رغم التخطيط الحريص، كان اليوم فاشلاً. وأفاد سيدني هوك: 'لم أسمع تفاهات وبلاغة فارغة مثل هذه منذ أن كنت طفلاً منذ ثلاثين عاماً، وأصغيت إلى الخطباء الذين يقفون على صناديق الصابون في ماديسون سكوير'.28 وفي مهرجان المساء الخطابي أمسكت مجموعة من الفوضويين بالميكروفون وشجبت اللقاء، وهذا قاد هوك إلى استنتاج أن المجانين أخرجوا من مستشفى الأمراض العقلية واحتل محاضر الجلسات 'جناح مضطربي العقل اليساريين'.

وزعم المؤتمر أيضاً أن ضحية أمريكا الأولى في النزاع الثقافي هو ريتشارد رايت، الذي، بحسب هوك، 'لمع باستخدام سارتر له كنوع من الهراوة ضد الثقافة الأمريكية بشكل مماثل لاستخدام الشيوعيين لروبيسون'.[29] ورغم أن رايت أسهم في كتاب *الإله الذي فشل*، إلا أن اللوبي المعادي للشيوعية اعتبره آنذاك مشبوهاً، لأن انفصاله عن الستالينية نُظر إليه على أنه ' شخصاني أكثر من كونه على أرضيات سياسية'، ولم يظهر 'فهماً لطبيعتها الحقيقية'.[30] كان رايت العضو الأول من مجموعة كتاب *الإله الذي فشل*، الذي خسر عضويته في مجموعة الحواريين تلك. وفي العقد التالي، راقبت السي آي إي ومكتب التحقيقات الفيدرالي حياته ونشاطاته في باريس، إلى أن مات في ظروف غامضة في 1960.

وخاب أمل ويزنر وحلفائه في وزارة الخارجية من مؤتمر باريس المضاد. وعلى رغم أنه جذب معارضين مميزين للستالينية وحرّض على هجمات عنيفة من الحزب الشيوعي الفرنسي، إلا أن نبرته كانت 'متطرفة وحيادية جداً'.[31]

والأسوأ من ذلك، كانت هناك معاداة لأمريكا تهب مع كل ريح. كتب هوك: 'إن الجمهور الفرنسي، على العموم، يجهل، بشكل صادم، الحياة والثقافة الأمريكيتين. فصورته عن أمريكا هي مركّب من الانطباعات المشتقة من قراءة روايات الاحتجاج والتمرد الاجتماعي (*عناقيد الغضب* لشتاينبك مأخوذة كقصة حقيقية وتمثيلية)، روايات الانحلال الأمريكي (فوكنر) والفراغ والتفاهة (سنكلير لويس)، ومن مشاهدة الأفلام الأمريكية، ومن التعرض لحاجز من النيران الشيوعية لم يتوقف، ووصل إلى الصحافة غير الشيوعية. *إن إعادة التربية الإعلامية للجمهور الفرنسي تبدو لي بأنها المهمة الأكثر أهمية وإلحاحاً بالنسبة للديموقراطية السياسية الأمريكية في فرنسا، التي لم يحدث فيها شيء على الخطوط الفعالة*'.[32]

أما فكرة هوك بأن المعاداة لأمريكا يمكن أن تتآكل من خلال تطهير العقول الأوروبية من الرؤى المشلولة لروائيي أمريكا البارزين، فقد بدت فائقة للعادة. وبالنتيجة، فإن ما كان يُدافع عنه هو التخلص من التعبير عن الحياة الأمريكية بتلك الطريقة، والتي حكم عليها بأنها في صراع مع 'السياسة الديموقراطية' للحكومة في الخارج. وكان هذا تشويهاً ضخماً لمبادئ حرية التعبير نفسها، التي لا يمكن أن تتصالح مع مزاعم الديموقراطية الليبرالية التي اقتُرِحَتْ تحت رعايتها.

لكن هوك كان مصيباً حيال شيء واحد: إن تفكيك إنسان الإرادة الطيبة لباريس السارترية سوف يكون صراعاً عسيراً. ومثل بريخت، الذي، بسبب راحة حياته ذات الامتياز في ألمانيا الشرقية، مدح ستالين قائلاً إنه 'قاتل الناس الذي يملك مبرراً'، وقد فشلت أنتلجنسيا الضفة الغربية في فهم أنها لم تعد 'باحثة عن الحقيقة وإنما مدافعة عن أرثوذكسية محاصرة ومتفتتة'. [33] وتابع سارتر تمجيد روسيا بأنها حارسة الحرية، بينما أنكر 'قديسه' جان جينيه وجود معسكرات العمل. وقال آرثر كويستلر إن هذه هي العاصمة العالمية للمتعاطفين، لأصحاب المهن الرشيقين من ذوي المواهب المتوسطة، مثل بيكاسو، وكامي، وآنوي، الذين ارتعبوا من المفكرين الأوروبيين الذين شخصهم كويستلر بأنهم يعانون من 'الأنفلونزا الفرنسية'. وقال كويستلر مازحاً: إن الحزب الشيوع يستطيع أن يهيمن على فرنسا بمكالمة هاتفية واحدة من باريس.

كان واضحاً لويزنر أنه لم يعثر بعد على المجموعة الصحيحة لتكون رأس حربة الحملة المضادة للشيوعية في فرنسا. وفي كلمات تُظهر أنه كان يفكر سابقاً بقاعدة دائمة لهذه الحملة، عبَّر عن قلقه بأن 'هذا النوع من القيادة لمنظمة دائمة سيؤدي إلى انحطاط الفكرة كلها (بالحصول على دمنفورم صغير) لدى مجموعة متنوعة من الماعز والقرود المجنونة والحمقاء والتي سيشوه سلوكها الغريب، بشكل كامل، عمل وشهادات الليبراليين الجديين والمسؤولين. يجب أن تكون لدينا مخاوف جدية من دعم عرض كهذا'. [34]

واجتمعت مجموعة من المفكرين الألمان، الذين كانوا في السابق من تروست مونزنبرغ، كي تدبِّر خطة وذلك بسبب رعبها من مناعة درع الدعاية السوفياتية. وفي لقاء مع ميلفن لاسكي في غرفة فندق في فرانكفورت في آب 1949، بدأت روث فيشر وفرانز بوركيناو (الذي كان مرة المؤرخ الرسمي للكومنترن)، بتوضيح فكرتهما حول بنية دائمة مخصصة للمقاومة الفكرية المنظَّمة. كانت فيشر شقيقة جيرهارت إيزلر، وهو عميل سوفياتي دعي في 1946 'الشيوعي رقم واحد في الولايات المتحدة' وحكم عليه في العام التالي بتهمة تزوير طلب فيزا. رقي جيرهارت منذ ذلك الوقت كي يدير مكتب الدعاية الألماني الشرقي، وهكذا سيكون مسؤولاً عن تنظيم الرد السوفياتي على خطط روث. وكانت روث نفسها قائدة للحزب الشيوعي الألماني قبل أن تُطرد مجموعتها بأمر من موسكو، مما أدى إلى انفصالها عن ستالين و(شقيقها). وكتبت عن خطتها إلى دبلوماسي أمريكي: 'أعتقد أننا تحدثنا عن هذه الخطة سابقاً أثناء مكوثي الأخير في باريس، ولكنني أملك الآن مقاربة ملموسة أكثر حولها. وبالطبع أعني تنظيم مؤتمر كبير مضاد لمؤتمر ولدورف أستوريا في برلين نفسها. يجب أن يكون تجمعاً لجميع الشيوعيين السابقين، بالإضافة إلى مجموعة جيدة من المفكرين الأمريكيين، والإنكليز، والأوروبيين المعادين للستالينية، تعلن عن تعاطفها مع تيتو ويوغسلافيا والمعارضة الصامتة في روسيا والدول التابعة، وتسلط على المكتب السياسي الجحيم عند بوابة جحيمه. ويتفق جميع أصدقائي بأن تأثيره سيكون ضخماً وسيصل إشعاعه إلى موسكو إذا نُظِّم بشكل ملائم'. [35]

هل حضر مايكل جوسيلسون مقابلة فرانكفورت؟ بالتأكيد، كان من أوائل من سمع بالخطة، والتي ناقشها على الفور مع لورنس دي نوفيل، الذي أرسل في الحقيبة الدبلوماسية مخطط

الاقتراح إلى كارمل أوفي في منتصف أيلول. وشرح دي نوفيل فيما بعد: 'جاءت الفكرة من لاسكي، وجوسيلسون، وكويستلر، وطلبت من واشنطن أن تقدم الدعم الذي تحتاجه. كتبت تقريراً إلى فرانك ليندسي (نائب ويزنر)، وخمنت أنه أخذه إلى ويزنر. كان علينا التوسل من أجل الموافقة. كان مشروع مارشال هو مال الرشوة التي كانت تستخدمه السي آي إي في كل مكان في ذلك الوقت، ولذلك لم يكن هناك مطلقاً نقص في الأموال. وكان الصراع الوحيد هو الحصول على الموافقة'.[36]

وما أصبح معروفاً بـ 'اقتراح جوسيلسون' وصل إلى مكتب ويزنر في كانون الثاني 1950. وفي غضون ذلك، دفع الخطة إلى الأمام بعد أن فقد صبره من انتظار الرد، مدرجاً إرنست رويتر، عمدة برلين الغربية، وعدداً من الأكاديميين الألمان البارزين، الذين ناصروا الفكرة ووعدوا بالدعم. ومعاً، شكلوا لجنة دائمة وبدأوا يصدرون الدعوات لمفكري 'العالم الحر' كي يأتوا إلى برلين ويقفوا ويتم إحصاؤهم. ولم يكن عمل لاسكي الحر، على أي حال، كله من أجل الخير. ذلك أن نشاطاته لصالح المؤتمر بينت لأكثر من مراقب الدليل على أن حكومة الولايات المتحدة وراء هذا الحدث كونه موظفاً في حكومة الاحتلال الأمريكية'.[37]

ودفع ضباط مكتب تنسيق السياسة خطة جوسيلسون إلى الأمام،وأنتجوا مخطط مشروع رسمي بميزانية من خمسين ألف دولار صادق عليها ويزنر في السابع من نيسان. أضاف ويزنر شرطاً واحداً: إن لاسكي وجيمس برنهام، اللذان كانا يمتلكان ما يمكن أن يوصف بأنه اهتمام مهني بالخطة، يجب أن يبقيا خارج البصر في برلين 'خوفاً من أن يقدم حضورهما ذخيرة للنقاد الشيوعيين'. دافع جوسيلسون عن لاسكي حين علم بتحفظات ويزنر: 'ليس هناك شخص آخر، بالتأكيد ليس هناك ألماني، يمكن أن يحقق نجاحاً كهذا'،[38] كتب في برقية. وكان لاسكي في تلك المرحلة بعيداً جداً بحيث يكبح جماحه. لقد أعلن عن نفسه بشكل واضح بأنه المدير العام للمؤتمر الوشيك، الذي سيسمى المؤتمر من أجل الحرية الثقافية، وأرسلت الدعوات باسمه واسم العمدة رويتر ونُظِّمَتْ البرامج. ومن أجل العلاقات العامة، انضم إلى لاسكي أرنولد بيشمان، الذي ظهر، في الوقت المناسب، في الولدورف.

في أمريكا، كان جيمس برنهام وسيدني هوك منشغلين بإعداد ترتيبات للوفد الأمريكي، وكان كلاهما واعياً لتدخل مكتب تنسيق السياسة (رغم أن هوك أهمل ذكر ذلك في مذكراته، ومن المحتمل أنه اعتقد بعدم أهميته). واشترى بطاقات المشاركين الأمريكيين مكتب تنسيق السياسة الذي استخدم 'عدة منظمات وسيطة كوكلاء سفر. وكانت وزارة الخارجية منخرطة أيضاً في هذه الترتيبات. وكانت مساعدة وزير الخارجية للشؤون العامة، جيسي مكنايت، متأثرة جداً من الأمر كله إلى درجة أنها حثت السي آي إي على أن ترعى المؤتمر على أساس ثابت حتى قبل أن يحدث الاجتماع السري في برلين.[39] وفي هذه المرة فحسب، لم يكن تفاؤل كهذا في غير موضعه.

الفصل الخامس

القيام بالحملة هو الفكرة

قالت لي أشباحي شيئاً جديداً
أنا أسير إلى كوريا
لا أستطيع أن أخبركم ماذا أفعل
القيام بالحملة هو الفكرة
واصلها أيها اليانكي، الخ.

روبرت لويل، 1952

في وقت متأخر من ليلة الثالث والعشرين من حزيران 1950، وصل آرثر كويستلر وزوجته مامين إلى غار دو ليست للحاق بقطار الليل من باريس إلى فرانكفورت. وبينما كانا يبحثان عن عربتهما، التقيا بجان بول سارتر، الذي كان يسافر في القطار نفسه، رغم أنه كان متجهاً إلى مؤتمر آخر. كان سارتر وحيداً على غير العادة، وارتاح كويستلر وزوجته من أن سيمون دو بوفوار (التي لقباها بـ'كاستور') لم تكن هناك. تناولا عشاء نزهة معاً، مع شرطي عُيِّن حارساً شخصياً لكويستلر من قبل جهاز الأمن الفرنسي بعد تهديدات بالقتل تلقاها من الشيوعيين (والتي تتوجت في الصحيفة اليومية الشيوعية *لومانتييه* التي نشرت خريطة تشير إلى فيرت ريف، فيلا كويستلر في فونتان لو بورت، قرب باريس). ورغم أن صداقتهما قد تدهورتْ كثيراً في السنوات الأخيرة، فقد كان هذان الخصمان الإيديولوجيان يشعران بولع متبادل إزاء بعضهما بعضاً، وكانا قادرين على تبادل المزاح بينما كان القطار يندفع في صيف الليل الحار. كان سارتر وألبير كامو قد تنصلا علنياً من مؤتمر كويستلر، ورفضا حضوره. لكن كويستلر شعر بالأسف حيال سارتر، الذي اعترف في تلك الليلة في القطار أن صداقاته تتبخر تحت حرارة سياسته هو ودو بوفوار.

وبينما كان كويستلر يصعد متن القطار، كان الموفدون الأمريكيون يبدأون رحلات تستغرق حوالي أربعاً وعشرين ساعة للوصول إلى ألمانيا. وعلى رغم أن الحصار السوفياتي لبرلين قد رُفِعَ مؤخراً، إلا أن الطريقة الوحيدة للوصول إلى القسم الغربي هي على متن الطيران العسكري. وكان هذا يعني أن الموفدين سيركبون طائرة سي 74 إس في فرانكفورات في المرحلة

الأخيرة مما أشار إليه كويستلر فيما بعد بأنه 'جسر جوي فكري'. وكان بينهم جيمس ت. فاريل، وتينيسي وليامز، والممثل روبرت مونتغوميري، ورئيس مفوضية الطاقة الذرية الأمريكية ديفد ليلينثال، ومحرر مجلة *نيو ليدر* سول ليفيتاس، وكارسون مكلرز، المحرر الأسود لـ '*بتسبرغ كورييز*' *Pittsburgh Courrier* وجورج شولبير، والصحفي الأسود ماكس يرجان. أما عالم الجينات الحائز على جائزة نوبل هيرمان مولر فقد أحضر معه حمولة غريبة: خمسة آلاف ذبابة ندى خاصة بالفاكهة كهدية للعلماء الألمان الذين فقدوا أثرها أثناء الحرب.

سافر آرثر شليسنغر جي. آ ر وسيدني هوك سوية من بوسطن، وكان هوك ثملاً على ما يبدو من فكرة كم سيكون خطيراً الذهاب إلى برلين. وتذكر شليسنغر: 'كان هوك يمتلك ذلك الوهم حول الهجمات الشيوعية من جميع الجوانب. كان مستثاراً جداً من ذلك كله. وأعتقد أن كثيرين منهم كانوا كذلك. فقد اعتقدوا أنهم سيكونون حيث كان الفعل وخاصة أولئك الذين لم يشاركوا في الحرب'.[1]

وبعد تذوقه الأول للدم في ولدورف أستوريا، كان هوك يحرض من أجل حملة كلية صائحاً: 'أعطني مائة مليون دولار وألف شخص مخلص وسأولد موجة من الاضطراب الديموقراطي بين جماهير - نعم، حتى بين جنود - إمبراطورية ستالين، ذلك أن جميع مشكلاته ستكون داخلية في المستقبل. أستطيع أن أجد الأشخاص'.[2] أما الآن، وفيما كان هوك يطير إلى مدينة محاطة من جميع الجوانب بالشيوعيين، توهم أن الروس سيتقدمون إلى المدينة، 'التي سيصبح فيها جميع الموفدين سجناء لدى الشرطة العسكرية الألمانية الشرقية في غضون بضع ساعات'.[3]

وصل نيكولاس نابوكوف إلى مدريد في أيار كي يساعد على تخطيط المؤتمر، مع زوجته باتريسيا بليك، في طائر مستأجرة تديرها شركة تدعى يوث أرغوسي، إحدى الشركات الوسيطة التي استخدمتها السي آي إي. وكان شيب بوهلن قد حث نابوكوف على الوصول إلى هناك في أسرع وقت كي يرفع الحواجز أمام الفنانين الذين كانوا 'على نحو متواصل أكباش الفداء الفتيان للسوفيات والنازيين'.[4] ووصل جيمس برنهام بعد وقت قصير من وصول نابوكوف، والتحق كلاهما بجوسيلسون، ولاسكي، وكويستلر، وبراون، وسيلوني كي يشكلوا الجهاز الحاكم للمؤتمر، والذي كان مقره منزل لاسكي.

وفي إحدى لقاءات المجموعة على العشاء، أخبرهم سيلوني أنه كان يطرد من حركة مقاومته أثناء الحرب أي شخص يظهر أنه عميل استخبارات أمريكي أو بريطاني، لأنه أراد أن يحارب بضمير صاف.[5] ليس بوسعنا إلا أن نتخيل كيف هضم جوسيلسون، وبرنهام، ولاسكي مقولته. ذلك أنهم كانوا يعرفون ما لا يعرفه سيلوني كما هو مفترض: بأنه صار جزءاً من حرب يديرها شخص ما آخر وغُلِّفَ موقف سيلوني بأناقة المفارقات المؤلمة لعصر صار ظالماً حيال نقاء مُثل البشر. وفي العشرينات، أدار شبكة سرية من أجل السوفيات، ثم ندم على ذلك. ومن 1928 إلى 1930 تعاون مع استخبارات موسوليني السرية OVRA (كانت الظروف الكامنة وراء هذه العلاقة أليمة: اعتقل الفاشيون شقيقه، وكان يمضي الوقت في سجن إيطالي، حيث مات فيما بعد). وكتب سيلوني عن قطع علاقته مع استخبارات موسوليني السرية في نيسان 1930،

شارحاً: قررت أن 'أزيل من حياتي كل ما هو مزيّف، ومنافق، وملتبس، وغامض'.[6] وكتب في 1942 أن 'أكثر مهامنا الأخلاقية أهمية اليوم هي تحرير أرواحنا من صخب نيران المدفعية، ومسار الحرب الدعائية، والهراء الصحفي بشكل عام'.[7] وفيما كان سيلوني في منفاه في سويسرا أثناء الحرب، فقد كان مصدر معلومات – أو على صلة مباشرة – لآلن دلس، الذي كان آنذاك رئيس التجسس في أوروبا. وفي تشرين الأول 1944 أرسل عميل مكتب الخدمات الاستراتيجية سيرافينو رومالدي إلى الحدود الفرنسية السويسرية بحجة إرسال أسلحة وذخيرة جواً إلى المقاومة الفرنسية. كانت مهمته الحقيقية 'المخططة خارج القنوات العادية'، هي أن يُهرِّبَ سيلوني إلى إيطاليا. والآن، في 1950 انجذب سيلوني مرة أخرى إلى العالم السري. قال المدافعون عنه إنه كان يجهل الرعاة المختبئين وراء مؤتمر الحرية الثقافية. لكن أرملته دارينا ذكرت أنه تردد في البداية في الحضور عندما اشتبه أنه كان 'عملية لوزارة الخارجية الأمريكية'. وبعد بضعة أيام، وأثناء المؤتمر، أخبر كويستلر، الذي لم يحب سيلوني مطلقاً، صديقاً له أنه 'تساءل دوماً إن كان سيلوني شريفاً أم لا. الآن أعرف أنه ليس شريفاً'.[8]

وكان الموفدون الإنكليز من متلقي الهبات أيضاً،وبينهم هيو تريفور روبر، جوليان آميري، إي. ج آير، هربرت ريد، هارولد دافيس، كريستوفر هوليس، بيتر دي مندلسون، الذين مَوَّلتْ وزارة الخارجية سرياً ذهابهم إلى برلين من خلال قسم بحث المعلومات. وجاء من فرنسا ريمون آرون، ودافيد روسيت، وريمي رور، وأندريه فيليب، وكلود مورياك، وأندريه مالرو، وجول رومان، وجورج أتمان، ومن إيطاليا جاء إغنازيو سيلوني، وجيدو بيفوني، وألتييرو سبينيللي، وفرانكو لومباردي، وموزيو مازوتشي، وبيونافينتورا تيكيتشي. وفي مساء الخامس والعشرين من حزيران، كانوا قد وصلوا هم ومعظم الموفدين الآخرين. وخُصِّصَ لهم المبيت في منازل مواطنين وفي فنادق في المنطقة الأمريكية، وأوى معظمهم إلى الفراش باكراً في تلك الليلة بعد الرحلة.

استيقظوا في اليوم التالي على أنباء تفيد بأن القوات الكورية الشمالية عبرت الخط المتوازي الثامن والثلاثين، وشنّتْ غزواً شاملاً للجنوب. واجتمعوا في ذلك الأصيل، في السادس والعشرين من حزيران، في قصر التايتانيا من أجل حفل افتتاح مؤتمر الحرية الثقافية، وعزفت لهم فرقة برلين الفيلهارمونية الألحان الكئيبة لمقطوعة إجمونت Egmont الاستهلالية، وهي مقطوعة ملائمة (ومختارة بعناية) لمستمعين رأوا أنفسهم مشاركين في دراما بطولية على نحو غامض.

وطلب عمدة برلين، إرنست رويتر – الذي كان شيوعياً سابقاً وعمل مع لينين – من الموفدين والمستمعين، الذين بلغ عددهم أربعة آلاف، أن يقفوا دقيقة صمت من أجل ذكرى أولئك الذين ماتوا وهم يقاتلون من أجل الحرية أو الذين لا يزالون يعانون في معسكرات الاعتقال. وفي كلامه الافتتاحي، أكَّد مغزى دراما برلين: 'إن كلمة حرية، التي بدت كأنها فَقَدَتْ قوتها، تمتلك دلالة فريدة للشخص الذي يجب أن يعرف قيمتها: الشخص الذي فقدها مرة'.[9]

وفي الأيام الأربعة التالية انتقل الموفدون من نقاش عام مفتوح إلى آخر، من رحلات موجهة إلى بوابة براندنبرغ، بوتسدامر بلاتس، والخط الذي يقسم برلين الغربية عن الشرقية، إلى

مؤتمرات صحفية، ثم إلى حفلات كوكتيل، ولاسيما الحفلات الموسيقية المنظمة. وتركزت المناقشات الخمس الرئيسية على 'العلم و الكليانية'، 'والفن، والفنانين والحرية'، 'والمواطن في مجتمع حر'، 'والدفاع عن السلام، والحرية'، و'الثقافة الحرة في عالم حر. وظهر في الحال استقطاب للفكر حول أفضل طريقة لمعارضة الشيوعيين، مغلفاً بشكل أنيق بالكلمتين اللتين ألقاهما آرثر كويستلر وإغنازيو سيلوني. دعا كويستلر إلى تشكيل الأنتجلنسيا الغربية في فرقة مقاتلة تتعهد بالإطاحة بالشيوعية. وتذكر لورنس دي نوفيل، الذي كان يراقب الأحداث عن كثب من أجل السي آي إي:'كان شليسنغر هناك، وأدلى بشهادة جافة كالغبار تخلو من العاطفة. وبعد ذلك كان لدينا كويستلر الذي تحدث من قلبه وأثر في كثير من البشر. كانت حملة عنيفة.لقد غيَّر كويستلر النبرة'.[10]

وجسَّد نبرة المحارب البارد العدوانية تمييز جيمس برنهام بين القنابل النووية 'الخيرة' و' الشريرة'، وهي فرضية طرحت أمام كويستلر وزوجته قبل شهر. في تلك المناسبة، شرح برنهام كيف تستطيع الولايات المتحدة أن تجعل روسيا عاجزة في يوم واحد وذلك إذا قصفت بالقنبلة المدن الروسية الرئيسية. 'بدا كأنه مسرور جداً من الفكرة'، كما نوَّهت مامين كويستلر – والتي أضافتْ كذلك بأن 'برنهام بدا عذباً جداً ولطيفاً... لكنه أقل وسوسة حول الوسائل من كويستلر' – وقال أيضاً 'إنه لن يرفض بالضرورة التعذيب في حالات معيَّنة'.[11] كذلك فإن برنهام، الذي استخدم لغة تُحَجِّرُ الواقع، و كانت عاملاً مساهماً في الحرب الباردة (على الجانبين)، أعلن أنه 'ضد هذه القنابل، المخزونة الآن، أو التي ستخزن فيما بعد في سيبيريا أو منطقة القوقاز، والمصممة لتدمير باريس، ولندن، وروما، وبروكسل، وستوكهولم، ونيويورك، وشيكاغو... وبرلين، والحضارة الغربية بعامة... لكنني... مع تلك القنابل التي صُنعَتْ في لوس ألاموس، وهانفورد، وأوك ريدج وحُرِسَتْ، لا أعرف أين، في الروكيز أو الصحارى الأمريكية، والتي دافعت طوال خمس سنوات – كانت الدفاع الوحيد – عن حريات أوروبا الغربية'.[12] مما جعل أندريه فيليب يجيب على ذلك قائلاً إنه حين تسقط القنابل النووية، 'فهي لن تُميِّزُ بين الصديق والخصم، بين العدو والمقاتل من أجل الحرية'.

وصبَّ كلٌّ من برنهام وهوك نارهما على أولئك الذين استخدموا التكافؤ الأخلاقي ليشككوا بشجب أمريكا للاتحاد السوفياتي، وصرخ هوك: 'إن سارتر وميرلو بونتي ،''للذين رفضا حضور المؤتمر كي يدافعا عن وجهة نظرهما هناك، كانا يدركان تماماً الظلم الفرنسي والأمريكي للزنوج حين انحازا إلى صف مقاومة هتلر. لكنهما لا يستطيعان رؤية أية عدالة في الدفاع الغربي ضد الاعتداء الشيوعي لأن الزنوج لم يحظوا بعد بمساواة في المعاملة'.[13]

ولم تكن هذه المساواة بعيدة جداً، بحسب جورج شويلر، الذي وزَّع تقريراً للموفدين، مليئاً بالإحصاءات، يوضح أن وضع السود في أمريكا لم يتوقف مطلقاً عن التحسُّن، وهذا بفضل قدرة النظام الرأسمالي المستمرة على التكيف مع التغيير. ودعمَ الصحفي الأسود ماكس يرجان تقرير شويلر بدرس في التاريخ حول تقدم الأمريكيين الأفارقة منذ عهد روزفلت.

إن برنهام، الذي قفز ببساطة في مساره من الشيوعية إلى اليمين فوق المركز المعتدل، لم يمتلك وقتاً لرجل اليسار الذي بلا عمود فقري. 'لقد سمحنا بأن تصطادنا وتسجننا كلماتنا، هذا الطعم اليساري الذي برهن أنه سمٌّا. لقد نهب الشيوعيون ترسانتنا البلاغية، وقيَّدونا بشعاراتنا نفسها. فالرجل التقدمي من 'اليسار غير الشيوعي' هو رعشة خطيئة دائمة أمام الشيوعي الحقيقي. والشيوعي، الذي يتلاعب بالبلاغة نفسها، ويعمل بجرأة وقوة، يظهر لرجل اليسار غير الشيوعي كأنه هو نفسه يمتلك جرأة'.[14] وبينما كان برنهام يقف هناك ويهاجم بعنف اليسار غير الشيوعي، سأل بعض المؤتمرين أنفسهم فيما إذا كان التفسير الأبيض أو الأسود للعالم الذي قدمه اليمين – الذي أسرته مناشدة كويستلر التوراتية 'اجعل نعمك تكون نعم، ولاءك تكون لا' – يهدد الديموقراطية الليبرالية كالتفسير الذي قدمه اليسار المتطرف.

وروَّعتْ هيو تروفر – روبر النبرة التحريضية التي استخدمها كويستلر وتبناها متحدثون آخرون. وتذكر: 'كان هناك القليل من المناقشة الجادة. ولم تكن هذه مناقشة فكرية على الإطلاق برأيي. أدركت أن الأمر كان جواباً بالأسلوب نفسه (على مؤتمرات السلام السوفياتية) وباللغة نفسها. ولقد توقعت وكنت آمل أن أسمع وجهة النظر الغربية تُقَدَّم ويُدَافَعُ عنها على أرضية أنها بديل أفضل وأكثر استمرارية. ولكنن بدلاً من ذلك، كان لدينا اتهامات. وهذا ترك انطباعاً سلبياً بأننا لا نملك شيئاً نقوله عدا: وجه إليهم لكمة! وألقى فرانز بوركيناو كلمة عنيفة جداً، هستيرية تقريباً. تحدث بالألمانية، وأعتذر عن القول بأنني حين كنت أصغي وأسمع الأصوات الناهقة للموافقة من الجمهور العريض، شعرتُ بأن هؤلاء هم البشر الذين كانوا على الأرجح منذ سبعة أعوام ينهقون بالطريقة نفسها لاتهامات ألمانية مشابهة تخرج من جوبلز؟؟؟ في قصر الرياضة. وشعرت أننا دعينا لنستدعي بعلزبول (رئيس الشياطين) كي يهزم الشيطان'.[15]

وهرع سيدني هوك إلى الدفاع عن كويستلر، لكن كان عليه أن يسلِّم أن صديقه 'استطاع أن يذكر حقائق جدول الضرب بطريقة جعلت بعض البشر يستاؤون منه'. وكانت لديه أيضاً تلك العادة المثيرة للغضب في التكشير 'مثل هرة من شيشير'، في كل مرة يحرز فيها درجة بلاغية. كان سيلوني أكثر مرونة بكثير، وقال إن روحاً مسيحية من الإصلاح الاجتماعي والسياسي في الغرب، سوف تسرق هي نفسها النار من إله الشيوعية. ومثَّل أندريه فيليب أيضاً وجهة النظر المعتدلة، داعياً إلى طريق وسط بين روسيا وأمريكا: 'فأوروبا اليوم ضعيفة بعد مرضها الطويل المؤلم. يرسل الأمريكيون إلينا البنسلين لمعالجة هذا المرض، والسوفيات يرسلون إلينا المكيروبات. وبشكل طبيعي، سَيُفضِّلُ أي طبيب مزيجاً من الاثنين. لكن واجبنا كأوروبيين هو أن نتعامل مع الميكروبات بالسرعة الممكنة بحيث لا نعود نحتاج إلى الدواء'.[16]

بالنسبة للمتشددين، لم تكن هذه المناصرة المتساوية البعد شيئاً يخلو من الهرطقة. وصرّحَ ميلفن لاسكي متبنياً صرخة روبرت مونتغوميري بأن 'السوفيات كانوا يرعون الحيادية كفكرة وكحركة. ولكن ليس هناك زاوية حيادية في غرفة الحرية! أما الوفد البريطاني الذي كان متردداً في الانضمام إلى حملة الخطابة العنيفة هذه، فاصطف إلى جانب تحذير تاليراند: لم

أستطع أن أفهم لماذا يجب إشعال العالم من أجل تطهير الخطيئة الشخصية لأشخاص مثل بوركيناو و كويستلر"[18]، – قال هيو تروفر روبر مختتماً كلامه.

وأصبحت ملاءمة المرتدين السياسيين لهداية العالم موضوعاً رئيسياً لمؤتمر برلين. قالَ سيدني هوك: 'ثم نهض شخص يدعى السيد جريمي، وهو كاهن من نوع رديء، بصوت كصوت مزمار الضباب، كي يقول إن جميع هذه الأسئلة الملموسة هي دينية في الأساس. تحدث بجعجعة فارغة وأصبح واضحاً فقط في النهاية حين هبط إلى الشخصيات وقام بتوجيه ملاحظة مزدرية حول كون كويستلر 'مرتداً' سياسياً يعارض الآن بشكل محموم ما دعمه مرة بشكل محموم، مظهراً بهذه الطريقة أنه لم يستسلم لماديته الجدلية'.[19]

كان كويستلر قد اكتشف سابقاً استياء أولئك الذين لم يكونوا شيوعيين بتاتاً من المرتدين السياسيين من أمثاله. وكتب كويستلر مردداً الحجج: 'إن الشيوعيين السابقين ليسوا متنبئين فحسب، كما كان اللاجئ المعادي للنازية، كانوا أيضاً ملائكة ساقطين امتلكوا ذوقاً رديئاً جعلهم يكشفون أن السماء ليست المكان الذي من المفترض أن تكونه. فالعالم يحترم المرتد الكاثوليكي أو الشيوعي، لكنه يشمئزُّ من الرهبان الذين بلا أردية من جميع الديانات. ولقد عُقلنَ هذا الموقف بوصفه كراهية للمرتدين. ومع ذلك، فإن المرتد، أيضاً، هو مرتد عن معتقداته السابقة أو عن كفره، ومستعد تماماً لاضطهاد أولئك الذين لا يزالون يمارسونها. مع ذلك لقد غفر له، ذلك أنه اعتنق 'إيماناً'، بينما الشيوعي السابق أو الكاهن السابق الذي فقد 'إيماناً' أصبح تهديداً للوهم مذكراً بالفراغ المقيت، والمهدِّد'.[20]

كانت مشكلة 'المتنبئين المضجرين' تزعج الدوائر الرسمية أيضاً. وشعر إدوارد باريت، مساعد وزير الخارجية لشؤون المعلومات الدولية، أنه ملزم بأن يشكك بحكمة 'التيارات الحالية في تكريم ... الشيوعيين السابقين ووضعهم على المنصات ليحاضروا لجميع المواطنين الذين يمتلكون إحساساً كافياً بأن لا يصبحوا شيوعيين مطلقاً في المقام الأول. يشك بعضنا بأن الشيوعي السابق النموذجي – وخاصة الشيوعي السابق حديث العهد – يملك قيمة كبيرة كمخبر وبائع معلومات سرية، ولكنه لا يكاد يملكها كمُقَدِّم لحقائق أبدية'.[21] وأصبح من الظاهر أن اعتناق الحكومة الأمريكية لليسار غير الشيوعي يجب أن يبقى محجوباً عن بعض صانعي سياستها المهمين.

بقي جوسيلسون بعيداً عن البصر، رغم أنه كان يتعقب كل ما كان يرشح. راقب رد فعل هيو تريفور – روبر على النبرة الهجومية العنيفة بذعر متزايد. وكان تريفور – روبر، وبقية العناصر البريطانيين يعبرون عن معارضتهم كلما سنحت لهم الفرصة. ولكن هذا أصبح صعباً بشكل متزايد، حين تجنَّب المدراء بحرص – لاسكي ، هو الأول بينهم– على المنصة العالية أثناء الجلسات فسح المحال 'لقارعي الطاولة'. كان لاسكي في جميع الأمكنة، يُنظِّم، ويداهنُ، ويعد نشرات صحفية، ويهيىء للجمهور الدخول الدرامي لـ 'تيودور بليفيير، المؤلف الألماني لـ '*ستالينغراد*' والشيوعي السابق الذي كان يختبئ في شتوتغارت. كان بليفيير قد سجَّل سابقاً رسالته إلى المؤتمر. ولكنه حين سمع أنباء غزو كوريا، طار إلى برلين، متحدياً خطر احتمال

اختطاف السوفيات أو الألمان الشرقيين له بينما هو يزور برلين (رغم أن احتمال مصيبة كهذه خففه توفير الأمريكيين لمراقبة أمنية مستمرة).

أغضب حضور لاسكي الواضح جداً ويزنر في مكتب تنسيق السياسة. كان هناك سبب جيّدٌ للقلق. ففي الرابع والعشرين من حزيران، مساء انعقاد المؤتمر، أصدر مكتب جرهارت إيزلر، رئيس الدعاية لدى حكومة ألمانيا الشرقية، بياناً يعزو إشعال النار في منزل الثقافة الشيوعي في برلين الشرقية إلى زمرة 'جاسوس البوليس الأمريكي ميلفن لاسكي'. وقال بيان إيزلر، الذي تناقلته الصحافة الأمريكية: كان الهدف من محاولة حرق النادي الشيوعي هو أن تكون مقدمة لافتتاح المؤتمر من أجل الحرية الثقافية – الذي وصفه إيزلر بأنه 'سباق دراجات فكري إمبريالي لمدة ستة أيام' – ولكن المؤامرة فشلتْ وانطفأت ألسنة اللهب بسرعة. وحين سئل لاسكي عن الحادثة، أجاب بسخريته المعتادة: 'نعم، هذا صحيح. حاولنا أن نشعل النيران في المنزل من خلال إسقاط حباحب مقنعة كحشرات البطاطس من مروحية'.[22] لكن ويزنر لم يكن مرحاً، وأرسل برقية إلى برلين بتعليمات تطلب إبعاد لاسكي عن أية صلة مرئية بالمؤتمر.

لكن الأمر كان يقتضي أكثر من إزالة لاسكي من أجل إيقاف الإشاعات المحيطة بالمؤتمر. وفكر بعض الموفدين بمن كان يدفع الحوالة. وبدت ضخامة المؤتمر، في وقت كانت فيه أوروبا مفلسة، كأنها تؤكد بأن هذا ليس الحدث التلقائي، و 'المستقل'، الذي زعم منظموه أنه كذلك. كان لورنس دي نوفيل يمتلك كثيراً من المال ولا يعرف ماذا يفعل به:'لم أعرف من أين جاءت النقود. لم أحصل مطلقاً على شيكات أو أي شيء، بدا أنني أحصل فقط على المال نقداً بالماركات. كلنا فعلنا ذلك'.[23] وهذا لم يفت انتباه تريفور – روبر الذي بدأ يشم رائحة جرذ: 'حين وصلت وجدت أن كل شيء قد أدير بشكل كبير ... لقد أدركت ذلك ... مالياً، لا بد أن منظمة حكومية جبارة قد مولت المؤتمر. وهكذا سلَّمْتُ من البداية أن الحكومة الأمريكية قد نظمته بشكل أو آخر. وبدا هذا لي واضحاً من البداية'.[24] بعد سنوات، أوضح عميل السي آي إي توم برادن أن الحس العام البسيط كان كافياً لمعرفة من كان خلف المؤتمر:'علينا أن نتذكر أن أوروبا كانت مفلسة في تلك الأعوام. وإذا كان هناك دايمٌ واحد (عشر الدولار) في أي مكان، فعلى الأرجح سيكون لدى منظمة إجرامية ما. *لم يكن هناك أية نقود*. وهكذا تطلعوا بشكل طبيعي إلى الولايات المتحدة بصدد النقود'.[25]

اختتم المؤتمر في التاسع والعشرين من حزيران بخطبة درامية ألقاها آرثر كويستلر الذي صرخ بانتصار لحشد مؤلف من خمسة عشر ألف شخص تجمعوا تحت الشمس اللاذعة في صالة فونكترم الرياضية: 'أيها الأصدقاء لقد شنَّت الحرية الهجوم!' ثم قرأ بيان الحرية، وهو بيان من أربع عشرة نقطة قُدِّمتْ كدستور جديد للحرية الثقافية. والبيان الذي أعده آرثر كويستلر بعد جلسة طوال الليل في قاعدة لاسكي في فندق آم شتاينبلاتز في شارلوتينبرغ، 'دفعه إلى الأمام هو، وبرنهام، وبراون، وهوك، ولاسكي بتكتيكات هجومية إلزامية، بحيث لم تكن هناك أية معارضة في الحقيقة'، بحسب مامين كويستلر.[26] ولكن الفريق الإنكليزي عارض بقوة مادة واحدة من الإعلان عبرت عن عدم التسامح مع الأفكار الماركسية، وطالب الفريق بأن

تُزال هذه الإشارة المسيئة. ومن حيث الجوهر، كان البريطانيون يعارضون الافتراض الذي أرشد المعادين للشيوعية الأكثر ضراوة في المؤتمر - تماماً كما قاد كثيراً من صانعي السياسة الخارجية الأمريكية - وهو أن كتابات ماركس ولينين كانت أدنى في 'فلسفتها السياسية' من الكتيب الميداني للاستراتيجية السوفياتية'.

وبعد دمج الإصلاحات البريطانية تم تبني البيان كحجر زاوية أخلاقي و فلسفي لمؤتمر الحرية الثقافية. وقالت الوثيقة مخاطبة جميع البشر الذين صمموا على استعادة تلك الحريات التي فقدوها، وعلى حفظ وتوسيع تلك التي يتمتعون بها: 'نؤمن بأنه من البديهي أن الحرية الفكرية هي أحد حقوق الإنسان الأساسية... ويحدد هذه الحرية أولاً وأخيراً حقه في اعتناق آرائه والتعبير عنها، والتي تختلف عن آراء حكامه. أما حين يحرم الإنسان من حق قول 'لا'، فإنه يصبح عبداً'.[27] وأعلن البيان أن الحرية والسلام 'لا ينفصلان'، وحذّر من أن 'السلام لا تمكن حمايته إلا إذا أخْضَعَتْ جميع الحكومات أفعالها لمراقبة وفحص الشعب الذي تحكمه. ومن النقاط الأخرى التي تم التشديد عليها هو أن الشرط الأساسي للحرية هو 'السماح بالآراء المتنوعة. ومنطقياً لا يسمح مبدأ التسامح بممارسة اللاتسامح'. ما من أحد سواء كان 'سلالة، أو طبقة، أو ديناً يستطيع أن يدّعي الحق الحصري في تمثيل فكرة الحرية، ولا حق له بأن يحرم من الحرية مجموعات أو عقائد أخرى باسم أي مثال مطلق أو هدف رفيع مهما كان. نؤمن أن الإسهام التاريخي لأي مجتمع يجب أن يُقيَّم من خلال درجة و نوعية الحرية التي يتمتع بها أفراده فعلياً'. وشجب البيان القيود التي تفرضها على الحرية الدول الكليانية التي 'تتجاوز وسائل إكراهها جميع حالات الطغيان السابقة في تاريخ البشرية بكثير'. وتابع: 'إن اللامبالاة، أو الحياد في وجه تحد كهذا يؤديان إلى خيانة البشرية وإلى التنازل عن العقل الحر'. وعبَّر عن التزام' بالدفاع عن الحريات الموجودة، وانتزاع الحريات المفقودة'، و - بإلحاح من تريفور روبر - 'وبخلق حريات جديدة... لأسئلة جديدة وبناءة حول مشكلات زماننا'.[28]

كان هذا بالفعل بياناً يُقرأ من خلف المتاريس. وكان كويستلر، الذي هو روبسبير حديث - رغم أن حارسيه الشخصيين الأمريكيين كانا يحومان قربه - قد أثارته المناسبة. كان هذا هو الإطار لتقييم التزام الأفراد والمؤسسات بحرية التعبير الكلية، بالتدفق غير المكبوح للأفكار والآراء. وإذا كان الشيوعيون والفاشيون على السواء قد انتهكوا بشكل الحريات، فها هنا كان تعهد لمقاومة أي هجوم على. وكانت هذه الوثيقة اختباراً للحرية. وبناءً عليها فإن المؤتمر من أجل الحرية الثقافية نفسه سيقف أو يسقط.

حين انتهى المؤتمر، بدأ رعاته القادمون من واشنطن بالاحتفال. وقدم ويزنر 'تهانيه الحارة إلى جميع الذين انخرطوا فيه. وهو بدوره تلقى التهاني من رعاته السياسيين. ومدحه ممثل وزارة الدفاع الجنرال جون ماجرودر قائلاً إنه 'عملية سرية ذكية نُفِّذَتْ على أعلى المستويات الفكرية... كان حرباً غير تقليدية في أحسن أحواله'. وأفيد أن الرئيس ترومان نفسه كان 'مسروراً جداً'. وأحس مسؤولو الاحتلال الأمريكي في ألمانيا أنه قدم 'دفعاً ملموساً لمعنويات برلين الغربية، لكنهم اعتقدوا أن تأثيره الأكثر أهمية سيشعر به في النهاية المفكرون الغربيون

الذين كانوا سياسياً على غير هدى منذ عام 1945'. وزعم أحد التقارير بأن مؤتمر الحرية الثقافية 'أكره عدداً من القادة الثقافيين البارزين على التخلي عن انفصالهم المحنك والتأملي لصالح موقف قوي ضد الكليانية'.[29]

ربما كان مبالغاً بهذه الخاتمة قليلاً، والتي صممت لبيع المؤتمر إلى استراتيجيين رفيعي المستوى في الحكومة. وبالتأكيد، لم يقتنع هيو - تريفور روبر والفريق الإنكليزي. فبعد عودته إلى إنكلترا وصلت الأنباء فوراً إلى تريفور - روبر بأن مسؤولي وزارة الخارجية شكوا إلى نظرائهم في وزارة الخارجية البريطانية من أن 'رجلكم أفسد المؤتمر'. وكان هذا كافياً لتأكيد اشتباه تريفور - روبر بدور الحكومة الأمريكية في مسألة برلين. ولكنه كشف أيضاً استياء رسمياً من طريقة تريفور- روبر في التصرف. وفهم جوسيلسون - ومسؤولوه في السي آي إي - أنه يجب بذل جهود مجددة من أجل كسب مفكري بريطانيا إلى صف مشروعهم.

الفصل السادس

عملية المنظمة

يجب أن نجعل أنفسنا مسموعين في جميع أنحاء العالم من خلال حملة حقيقة كبيرة. لا تنفصل هذه المهمة ولا تختلف عن عناصر أخرى في سياستنا الخارجية.

الرئيس هاري ترومان، 1950

رغم تمرد بعض المشاركين البريطانيين اقتنع ويزنر بأن مؤتمر برلين فعل أكثر من إعادة تسديد استثماره. ورغم أن مستقبله لا يزال غير مؤكد، إلا أنه أضيف الآن إلى 'قائمة أرصدة دعاية' السي آي إي، وهي قائمة رسمية تسجِّل العدد المتزايد باستمرار للقنوات التي تعتمد عليها الوكالة. وتكشف التسوية المعروفة بشكل غير رسمي بـ'ويزنر فرليتزر' Wisner Wurlitzer، إدراك الوكالة كيف كان من المتوقع أن تعمل هذه الأرصدة، وكان ويزنر يستطيع أن يعزف أي لحن يرغب سماعه بكبسة زر.

عاد ويزنر إلى مشكلة ميلفن لاسكي، الذي أغضبه جداً حضوره الطاووسي في مؤتمر برلين. وبعد أن تم تجاهل أمره القاضي بإبعاد لاسكي عن المسرح الرئيسي كتب مذكرة داخلية غاضبة سُميت 'مؤتمر برلين من أجل الحرية الثقافية: أنشطة ميلفن لاسكي'، قائلاً إن حضور لاسكي كان 'خطأ فادحاً واعترف بهذا أفضل أصدقائنا في وزارة الخارجية... فقد خان اتجاهاً غير محظوظ، وعلى ما يبدو عميق الجذور أكثر مما توقعت، ليستسلم إلى إغراء الملاءمة – ويفعل الأمور بالطريقة السهلة – ولا يحترم الأمن واعتبارات أخرى تقنية لها أهمية بالغة'.[1] كان ويزنر واضحاً: إذا لم يبعد لاسكي العنيد عن مؤتمر الحرية الثقافية، فإن السي آي إي ستوقف دعمها للمنظمة.

أبرقت مذكرة ويزنر إلى ألمانيا. و'غضبَ مسؤول مكتب تنسيق السياسة الذي استلمها وأبرق رداً متكلفاً، ولكن لم يكن هناك ما يمكن فعله. يجب أن يذهب لاسكي، ووجد مكتب تنسيق السياسة وسيلة لإبعاده عن المشروع'. هناك شرحان ممكنان لهذا: إما إن لاسكي تجمعه علاقة مع مكتب تنسيق السياسة، وبالتالي يشكل مجازفة أمنية حقيقية لأنه رفض أن يُهزم، أو كان، كما زعم دوماً، عاملاً مستقلاً، وفي هذه الحالة كان إبعاده يُمَثِّل أول تكتيك من تكتيكات السي آي إي قوية الذراع. كان موظف مكتب تنسيق السياسة، المسؤول عن إبعاد لاسكي، هو مايكل جوسيلسون، الذي كلفه ميله إلى الانفجار، حين يُثار، غالياً في المستقبل. وكان لاسكي

وجوسيلسون قد طورا مسبقاً العقد القوي بينهما والذي اكتشف المراقبون فيما بعد أنه غير قابل للفصل. من الصعب سبر سيكولوجية هذه العلاقة: كان تأثير لاسكي في جوسيلسون، الذي كان في جميع الطرق تابعاً له، فريداً. وكتبَ شخص من داخل المنظمة: 'كان جوسيسلون متضايقاً في بعض الأحيان من صمم لاسكي المقصود. كان في بعض الأحيان ساخطاً من فشل لاسكي في تصور عواقب أفعاله وكلماته، ولكن في الوقت نفسه، كان ينظر إليه بإعجاب متسامح، وحتى بتعجب'.[3] وبالنسبة للبعض كان لسيطرة لاسكي على جوسيلسون مظهر أوديبي. وتذكرت ناتاشا سبيندر: 'كان جوسيلسون يعبد لاسكي كأنه الابن الذي لم يرزق به مطلقاً وكان يدافع عنه دوماً'. عارض لاسكي هذا اللقب، مفضلاً أن يصف علاقتهما بأنها 'أخوية'.[5] وعلى أي حال، سيبقى لاسكي مستشار جوسيلسون الأقرب طول حياة المنظمة. وسيتبع ذلك مكافآت أخرى.

وبغياب لاسكي عن الطريق كما يبدو، تحرك ويزنر الآن لتأسيس المنظمة من أجل الحرية الثقافية ككيان دائم. ولقد وافقت على استمرارها هيئة مراجعة مشروع مكتب تنسيق السياسة في أوائل 1950، ومنحت الاسم الحركي QKOPERA.[6] وكان من أول القرارات التي اتخذها ويزنر هي نقل قاعدة عمليات المنظمة من برلين إلى باريس. كانت هناك أسباب رمزية قوية لإبقاء الفريق في برلين، ولكن هذا يعتبر مجازفة أمنية، ويجعله معرضاً لاختراق الطرف الآخر.

وعرض ويزنر على جوسيلسون وظيفة إدارة المنظمة لصالح السي آي إي، تحت إشراف لورنس دي نوفيل، الذي سيشرف عليها من دائرة العمل الفرنسية. قبل الرجلان، واستقالا من عملهما السري مع حكومة الاحتلال الأمريكي في ألمانيا، لكنهما أخذا معهما اسميهما الحركيين: 'جوناثان ف. سابا' (جوسيلسون)، و'جوناثان جيرنغ (دي نوفيل). بعد ذلك، ثبَّت ويزنر إرفنغ براون في المنظمة من خلال تعيينه كعضو رئيسي في لجنة التوجيه التي شُكِّلتْ سابقاً بعد وقت قصير من مؤتمر برلين. إن براون هذا، الذي كان 'أكثر نفعاً من جميع أمثال كويستلر وسيلوني'، وُصِفَ مرةً بأنه 'رجل واحد لمكتب الخدمات الاستراتيجية' و 'شخصية من رواية ألفها ي. فيليب أوبنهايم'. عمل لـ 'جي ليفستون'،وهو منتدب كومنترن سابق يترأس الآن ارتباط السي آي إي السري مع حركة العمل الأمريكية. كان براون بارعاً بشكل كبير في ملاحقة الأهداف من خلال الطرق السرية، ولقد أبقى جورج كينان اسمه في القائمة المختصرة في 1948 كمرشح لترؤس مكتب تنسيق السياسة، وهو المنصب الذي شغله في النهاية فرانك ويزنر.[7] وقد ذكر توم برادن الذي كان سيصبح في الحال مدير QKOPERA: ' لا أعتقد أنني سبق ورأيت نيكلاً واحداً مع إرفنغ براون ليس من السي آي إي. سيقول بالطبع إنه من نقابات العمال. كانت هذه تغطية جيدة. لقد كان براون هو صرّاف الرواتب، لكنه تمتع بالمشاركة في تخطيط العمليات. كان شخصاً ذكياً وله معارف واسعة'.[8]

وعُيِّنَ أيضاً في لجنة التوجيه جيمس برنهام. وبرنهام هذا الذي كان دائم الحضور في دوائر صناعة السياسة والاستخبارات، اعتبر أساسياً لنجاح المنظمة، وارتباطاً حيوياً بين الأنتلجنسيا ومكتب ويزنر. وكتب هوارد هنت، مخادع السي آي إي القذر، الذي تبين فيما بعد أنه أحد

المتورطين في فضيحة ووترغيت: 'كان ويزنر مستشاراً لمكتب تنسيق السياسة حول جميع الموضوعات التي تهم منظمتنا. كان يمتلك صلات واسعة في أوروبا، وبفضل خلفيته التروتسكية، شكل نوعاً من السلطة في الأحزاب الشيوعية ومنظمات الواجهة المحلية والأجنبية.'[9]

لم يكن الجميع سعداء من خلفية برنهام التروتسكية، ومع ذلك، وبحسب موظف كبير في السي آي إي يدعى مايلز كوبلاند، كان هناك في البداية 'بعض الاعتراض على غزل برنهام مع اليسار المتطرف (ألم يكن هو في خلية ما تضمَّنتْ سيدني هوك، وإرفنغ كريستول، ودانييل بيل؟). ولكن كل شيء كان على ما يرام حين ذكر أحدهم ملاحظة أفادت أنه لو كان جيم شيوعياً جدياً لانضم إلى الحزب ولم يبق مجرد تروتسكي. فضلاً عن ذلك، فهو كشخص كان في أقصى اليسار وقذف إلى أقصى اليمين، كانت له رفقة جيدة في مجموعة السي آي إي من المستشارين الحاضرين عند الطلب'. واصفاً برنهام بأنه 'مائة بالمائة رأسمالي وإمبريالي، مؤمن بالأم Mom، وفطيرة التفاح، والبيسبول، وصيدلية الزاوية، ... والديموقراطية على النمط الأمريكي'، وقال مايلز إنه تعلم منه المبدأ التالي: 'إن المهمة الأولى لأية مجموعة حاكمة هي أن تبقي نفسها في السلطة'.[10] وأشار إليه أحد محاربي الحرب الباردة بأنه 'مؤيد واضح الحجة لوزارة الخدع القذرة'.[11] في أوائل 1953، لعب برنهام دوراً حاسماً في عملية السي آي إي، أوبريشن أجاكس Operation AJAX التي أطاحت بالدكتور مصدَّق في طهران ووضعتْ الشاه محله. رأى ويزنر أن العملية كانت فظة جداً، وبحاجة إلى 'لمسة ماكيافيللي'، والتي عنى بها درس تاريخ من برنهام. في كتابه *الماكيافيلليون* (الذي أصبح مرجعاً لاستراتيجيي السي آي إي). استخدم برنهام، بالإضافة إلى ماكيافيللي، أفكار مفكرين أوروبيين حداثيين رئيسيين مثل موسكا، باريتو، وميتشيلز، وسوريل، كي 'يشكك بنظرية المساواة السياسية ويظهر ضرورة وحتمية حكم النخبة، حتى في عصر يتسم بالمساواة'. وقالت إحدى معارف برنهام القديمات: إن المرة الوحيدة التي سبق ورأته فيها يظهر أية حماسة سياسية حقيقية كانت حين تحدث عن ماكيافيللي.[12]

وإلى جانب إرفنغ براون، وجوسيلسون، ودي نوفيل، ولاسكي (الذين لم يعقهم فصله المبكر)، عمل برنهام على منح المنظمة من أجل الحرية الثقافية موطئ قدم دائماً. وصممت لجنة التوجيه التي اجتمعت في بروكسل في نهاية تشرين الثاني 1950، بنية وظيفية للمنظمة، عملت وفق وثيقة وضعها لاسكي في تموز. وكان بين الحاضرين إغنازيو سيلوني، وكارول شميد (قائد الاشتراكيين في البرلمان الألماني)، وعالم الاجتماع اليهودي يوجين كوجون، وهاكون لاي (رئيس حزب العمل النرويجي)، وجوليان آميري (عضو البرلمان البريطاني)، وجوزيف جابسكي (الكاتب والفنان البولوني)، وديفد روسيت، وإرفنغ براون، ونيكولاس نابوكوف.

وبنحو جوهري، كانت البنية التي صمَّمها لاسكي هي التي تم تبنيها: فقد رُشِّحتْ لجنة دولية مؤلفة من خمسة وعشرين شخصاً، كما رُشِّحَ خمسة رؤساء شرف، تقود أنشطتهم لجنة تنفيذية من خمسة أشخاص: مدير تنفيذي، ومدير تحرير، ومدير بحث، ومدير مكتب باريس، ومدير مكتب برلين، وستخضع هذه اللجنة التنفيذية بدورها لتدقيق الأمانة العامة. لقد بدت

هذه البنية في مخطط لاسكي، كأنها صورة لجهاز كومنفورم. ولاحظ أحد المؤرخين: 'كانت لديهم أسماء مثل الحزب الشيوعي. ولقد وضعت السي الآي إي هذه الأسس الثقافية كمنظمات ظل للحزب الشيوعي، بالإضافة إلى أن السرية هي في لبها. كانوا في الحقيقة يتحدثون مع بعضهم بعضاً'.[13] وقد أشار نيكولاس نابوكوف ذات مرة، مازحاً، إلى هيئة المنظمة الحاكمة بـ 'فتياننا في المكتب السياسي'.

ونوقش كذلك في اجتماع تشرين الثاني تقرير قدمه آرثر كويستلر بعنوان 'مهمات فورية للفترة الانتقالية'. ولخّص فيه كويستلر 'المهمات التقنية' التي كانت هناك حاجة لإكمالها كمتابعة لمؤتمر برلين. وتحت عنوان 'الحملة السياسية في الغرب' كتب كويستلر، الذي ازدراه الحياديون بشكل متكرر في مؤتمر برلين: 'إن هدفنا هو جعل الذين لا يزالون مترددين يقفون إلى جانبنا، هو القضاء على تأثير جوليوت كيوري Joliot - Curies من ناحية، وتأثير الحياديين الثقافيين مثل جماعة *الأزمنة الحديثة Les Temps modernes* من ناحية أخرى'.[14]

كان تحدي الأساس الفكري للحيادية أحد الأهداف الرئيسية لسياسة الحرب الباردة الأمريكية، واتُّخذ الآن كخط رسمي للمنظمة. وشرح دونالد جيمسون من السي آي إي: 'كان هناك اهتمام معيَّن حيال أولئك الذين قالوا: حسناً، الشرق هو الشرق والغرب هو الغرب وإلى الجحيم بكليهما. حاولنا أن نحركهم قليلاً نحو الجانب الغربي من الأمور. كان هناك كثير من البشر الذين شعروا بأن الحياد... موقع. كان موقفاً يأمل المرء أنه سينتهي. ولكن، من ناحية أخرى، فإنني أعتقد أنه كان هناك اعتراف عام بأنك لا تريد أن تنتقد شخصاً حيادياً وتقول: لست جيداً ، أنت مثل الشيوعيين فحسب، لأن هذا سيدفعه إلى اليسار، وكان هذا بالتأكيد غير مرغوب به. لكن الحياديين كانوا بالتأكيد هدفاً'.[15]

أصبح كويستلر هدفاً كذلك. ناقشت لجنة التوجيه وثيقة كويستلر في غيابه. ولم يكن عضواً في اللجنة. فرفضه للخلاف، وغضبه غير العقلاني وتأكيده المغرور لعبقريته، أقنع واشنطن بأنه عائق أكثر مما هو رصيد. ومنذ مؤتمر حزيران، كان كويستلر يعقد اجتماعات منتظمة في منزله في فيرت ريف مع برنهام، وبراون، وريمون آرون، ولاسكي وأعضاء آخرين من 'الدائرة الداخلية'. وأصبح، كما قالت مامين 'مهووساً تماماً بالمنظمة' و' لا يقدر على النوم'. ولكن هذه الاجتماعات لم تمر دون ملاحظة. ففي 1950، وصلت الأسبوعية الشيوعية الفرنسية *L' Action* إلى النتيجة الخيالية بأن كويستلر يخطط لميليشيا إرهابية في منزله مع برنهام وبراون.

اقتنع جوسيلسون أن هناك ضرورة لنبرة معتدلة إذا كانت منظمة المؤتمر من أجل الحرية الثقافية ستحقق إحدى مهماتها الرئيسية وهي كسب المتذبذبين. وكان رد المقر هو السماح بإزاحة كويستلر من موقعه المحوري في المنظمة. وهكذا تمت إزاحة الرجل الذي أعد بيان الحرية الثقافية. قالت الفقرة الثالثة من البيان: لا يمكن تحقيق السلام إلا إذا خضعت جميع الحكومات لمراقبة وفحص الشعب الذي تحكمه'.[16] والسي آي إي، من خلال تهميش كويستلر، وتحكّمها الخفي بما كان سيصبح أضخم تكتل من المفكرين، 'والمفكرين الأحرار'، كانت تعمل

بشكل فعّال، منتهكة إعلان الحقوق نفسه، الذي دفعت المال من أجله. ولكي تشجع حرية التعبير، كان يجب على الوكالة أن تشتريها في البداية، ثم تحصرها. ولم تكن سوق الأفكار حرة كما بدت. لقد كانت بالنسبة لكويستلر خيانة مدمرة. وقد عانى من نوع ما من 'الانهيار العصبي'، وسافر إلى الولايات المتحدة، وراقب بمرارة كيف كانت المنظمة من أجل الحرية الثقافية تبتعد عن أفكاره.

مثّل آرثر شليسنغر صلة أخرى قيّمة للمنظمة. كان جزءاً مما سمّاه ستيورات هامبشير، وإشعيا برلين، وستيفن سبندر بـ'الجهاز، المجموعة المسيطرة'. حين كتب ليهنئ إرفنغ براون بعد لقاء برلين، نوّه شليسنغر بحماسة: 'أعتقد أننا نستطيع الحصول هنا على أداة للحرب النفسية والسياسية قوية جداً'.[17] كـ شليسنغر يعرف شيئاً ما عن مسائل كهذه من خلال عمله أثناء الحرب في مكتب الخدمات الاستراتيجية، حيث عُيِّنَ في قسم البحث والتحليل، الذي اكتسب اسم 'حرم الجامعة' بسبب جوه الفسيح.

وحافظ شليسنغر على صلة قريبة مع 'النادي' الحصري لمتطوعي مكتب الخدمات الاستراتيجية، الذين تابع كثير منهم، وهو بينهم، ليصبحوا رجال دولة ومستشارين رئاسيين بارزين. كان يعرف آلن دلس، الذي دعاه في 1950 للعمل في اللجنة التنفيذية لإذاعة أوروبا الحرة، التي أسستها في تلك السنة السي آي إي (كما فعلت ذلك، من خلال منظمتها التي لعبت دور الواجهة، اللجنة القومية من أجل أوروبا حرة). انخرط شليسنغر كذلك في عمليات سرية حين عمل كمساعد لأفيريل هاريمان، رئيس مشروع مارشال في أوروبا. ويذكر شليسنغر:'كان هناك شعور عام بأن الاتحاد السوفياتي ينفق كثيراً من النقود على تنظيم مفكريه، وأنه علينا أن نفعل شيئاً ما كي نرد'.[18] وتحت إشراف هاريمان، أصبح متورطاً في التوزيع السري لأموال مماثلة للنقابات التجارية الأوروبية، وكان يتعامل في معظم الأحيان مع إرفنغ براون.

وتوطدتْ علاقة شليسنغر مع براون من خلال السر المتبادل الذي تقاسماه. ذلك أن شليسنغر كان واحداً من حفنة من الأشخاص الذين لا ينتمون إلى الوكالة، ويعرفون من البداية الأصول الحقيقية للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. وأقر شليسنغر فيما بعد:'كنت أعرف، بسبب صلاتي الاستخباراتية أن السي آي إي دفعت من أجل المؤتمر الأصلي في برلين. وبدا أنه ليس من غير المعقول مساعدة البشر الذين إلى جانبنا. وبدت المنظمة من أجل الحرية الثقافية أكثر استحقاقاً ونجاحاً في الحصول على أموال السي آي إي'.[19]

كانت إحدى مهمات شليسنغر الأولى هي إقناع برتراند رسل، أحد رعاة المنظمة الفخريين، بألا يستقيل. وهذا ما هدد الفيلسوف بفعله بعد قراءة 'التقارير المؤذية' التي نشرها هيو تريفور – روبر في *مانشستر غارديان*، والتي وصفت الأحداث في برلين بأنها شيء قريب، على نحو غير مريح، من مهرجان نازي. كذلك فإن شليسنغر، الذي زار رسل في لندن مع آرثر كويستلر في العشرين من أيلول 1950، أصغى فيما كان رسل يتحدث عن ذعره من تقرير تريفور، الذي أيده إي. ج. آير، وعن قراره الناتج عن ذلك في الانسحاب. وكان رسل بارداً مع كويستلر – قام

الفيلسوف مرة بمحاولة غزلية مع مامين كويستلر، واستمرت الغيرة الجنسية بين الرجلين في إعاقة صداقتهما – لكنه قبل في النهاية حججه وحجج شليسنغر.

كان برتراند رسل، عالم الرياضيات المشهور عالمياً، والفيلسوف، كلي الحضور في 1950، العام الذي مُنِحَ فيه وسام الاستحقاق البريطاني، وجائزة نوبل. كان قد قابل لينين وكرهه: 'فقهقهته لدى التفكير بأولئك الذين قُتلوا' جعلت دمي يبرد... كانت ذكرياتي الأكثر عمقاً عن التعصب الأعمى والقسوة المنغولية'. ولقد أدهش رسل المعجبين حين اقترح في 1948، في كلمة ألقاها في القاعة الرئيسية لمدرسة ويستمنستر المتأذية من القصف، تهديد ستالين بالقنبلة النووية.[20] كان رسل آنذاك 'معادياً للشيوعية بشكل عنيف، وألح على أن تسبق، من جانبنا، القوة العسكرية وإعادة التسلح المسائل الأخرى'.[21] ولقد منح مكتب بحث المعلومات أيضاً جائزة لرسل الذي أسعده أن يتلقى من رسل 'طعاماً شهياً – أنباء سارة – بين وقت وآخر'. ورغم أن رسل كان 'صقراً' آنذاك، إلا أنه كان في منتصف الخمسينات يحث على نزع الأسلحة النووية. وكتب أحد الشعراء ('جلس حماره الأرستقراطي /على أحجار لندن المرصوفة/مع الملكات والشيوعيين').[22] وبدا كأن سياسته تتغيَّر مع الريح، ولقد سبَّب للمنظمة وداعميها الأمريكيين الكثير من الحرقة في فم المعدة في سنوات رعايته، إلى أن استقال في النهاية، في 1956. ولكن، في ذلك الوقت، أضاف اسمه البريق وأرضى ما استبان للبعض أنه كان ضعف جوسيلسون أمام طلسّم الشهرة.

كان جميع الرؤساء الفخريين الآخرين فلاسفة مثل رسل، وجميعهم 'يمثلون الذهن الأوروبي – الأمريكي حديث الولادة'.[23] كان بينيديتو كروتشه Benedetto Groce محافظاً في السياسة وملكياً لم يمتلك وقتاً للاشتراكية أو الدين المنظَّم، ولقد سجلت أعماله في فهرست الفاتيكان مع الكتب الممنوعة. وحين بلغ الثمانين من عمره عومل باحترام في إيطاليا كأب فصيح لمعاداة الفاشية، وكرجل تحدى، بشكل علني، طغيان موسوليني، وتم تبنيه كقائد أخلاقي للمقاومة. كان يمثل أيضاً صلة قيمة لـ 'وليم دونوفان' عشية إنزال الحلفاء في إيطاليا. مات كروتشه في 1952، وحل مكانه دون سلفادور دي مادرياجا، الذي كان أيضاً وثيق الصلة بدونوفان من خلال الحركة الأوروبية. ومثَّل جون ديوي، الذي ترأس لجنة الدفاع عن ليون تروتسكي، الليبرالية البراغماتية الأمريكية. وكان كارل ياسبرز، الوجودي الألماني، يمثل الناقد الذي لا يلين للرايخ الثالث. فهذا المسيحي، تحدى مرة، بشكل علني، جان بول سارتر كي يقر إن كان يقبل أم لا يقبل الوصايا العشر. وكان جاك ماريتان، الإنسانوي الكاثوليكي والليبرالي، بطل مقاومة فرنسياً. وكان أيضاً صديقاً حميماً لنيكولاس نابوكوف. واقترب من إشعيا برلين كي ينضم إلى مسبحة الفلاسفة الرعاة هذه، لكنه رفض على أساس أن دعماً علنياً كهذا لحركة مضادة للشيوعية سوف يعرض أقرباءه في الشرق للخطر. على أي حال، وعد بأن يدعم المنظمة بأية طريقة معقولة يقدر عليها. وكان لورنس دي نوفيل، هو الذي تذكر أن أشعيا برلين فعل هذا عارفاً أن المنظمة تديرها السي آي إي سرياً. قال دي نوفيل: 'كان يعرف عن تورطنا. لا أعرف من أخبره، لكنني أتصور أن أحد أصدقائه في واشنطن فعل ذلك'.[24]

وكما هو الأمر مع جميع المنظمات المحترفة، فقد حددت الأيام الأولى تعديلات مستمرة في الصفوف بينما كان الأعضاء يتنافسون على الوظائف. وعُيِّن دينيس دو روجمو، الذي لم يكن شيوعياً بتاتاً، وكان من سويسرا الحيادية، رئيساً للجنة التنفيذية. ودينيس دو روجمو، هو مؤلف كتاب عشق *الغرب*، الذي أشاد به اليسار غير الماركسي، المعادي للفاشية. وبعد الحرب، عمل مذيعاً في 'صوت أمريكا' وعمل عن كثب مع فرانسواز بوندي في الاتحاد الأوروبي للفيدراليين، الذي سيتابع ملاحقة أهدافهم بمساعدة سرية من السي آي إي - الأمر الذي يجهله كما قال فيما بعد - من خلال المركز الثقافي الأوروبي المتمركز في جنيف والذي لا يزال موجوداً إلى اليوم.

وحاول بصعوبة أن يحظى بتأييد لمرشحه المفضل لوظيفة الأمين العام، نيكولاس نابوكوف الذي، حتى في حال عدم معرفته ذلك، قدم تجربة أداء من أجل الحصول على دور قيادي حين خطب في مؤتمر برلين: 'يجب أن نبني من هذا المؤتمر منظمة للحرب. يجب أن نحصل على لجنة دائمة. ويجب أن نراها تدعو جميع الأشخاص، وجميع المنظمات المقاتلة وجميع طرق القتال، إلى الفعل. إذا لم نفعل ذلك، سوف نُشْنَق عاجلاً أم آجلاً. لقد دقت الساعة الثانية عشرة طويلاً'.[25] وانتخب نابوكوف، كما ينبغي، ليشغل المنصب.

وبغض النظر عن صديقه القديم جوسيلسون، كان نيكولاس نابوكوف يمتلك رعاة أقوياء. كان هناك شيب بوهلن، 'ذو النسل الأمريكي الكامل'، الذي جعل أمريكا 'وطناً حقيقياً' لنابوكوف في أوائل الأربعينات، والذي بقيَ، كما قال نابوكوف، 'المثال بالنسبة لي، ومصدر نصيحتي، والذي يمنحني الراحة دائماً'. وكان هناك جورج كينان، الذي تضايق في البداية جداً حين فشل طلب نابوكوف من أجل العمل الحكومي. وظهر اسم نابوكوف أيضاً في قائمة سرية للغاية لملاك الحرب النفسية الذي تمت تزكيته للتوظيف في مناصب حساسة، ووزع على مكتب سكرتير الجيش في 1950.[26] وقد ضمن هذا الدمج للرعاة السياسيين الأقوياء عدم منع موافقة نابوكوف الأمنية كما حدث قبل بضع سنوات.

وعرض إرفنغ براون، صراف الرواتب، على نابوكوف ستة آلاف دولار. ونابوكوف الذي كان لديه ولدان يجب إدخالهما إلى المدرسة، ويتلقى ثمانية آلاف دولار لقاء عمله كمدرس في معهد بيبودي الموسيقي وكلية سارة لورنس، قال إنه يحتاج إلى أكثر من ذلك: 'لا تنس أن هذا العمل يحتاج إلى نفقات أخرى. لا أنوي القيام بحفلات، ولكنني سأضطر إلى اللقاء مع كثير من البشر، وتملقهم، ودعوتهم إلى الوجبات، الخ. الخ.'[27] وبالفعل، كان نابوكوف يحب القيام بالحفلات، وسيقوم بكثير من الحفلات السخيّة على نفقة السي آي إي في الأعوام الستة عشر القادمة. أما الآن، على أي حال، فلم ترتب مسألة راتب نابوكوف. وكان لدى إرفنغ براون، الذي يمتلك المدخل إلى مال الرشى، الكثير من المسعرات في النار. وبينما كان داعماً قوياً للمنظمة، كان ميله الطبيعي هو صرف المال المتوفر على القوة التي تدعمها السي آي إي في محاولاتها لتحطيم نقابات عمال أحواض السفن الشيوعية في مرسيليا، حيث كانت تحاصر يومياً تموين مشروع مارشال وشحنات الأسلحة الأمريكية. وحُلَّتْ المسألة حين خطا جيمس برنهام إلى

الأمام في كانون الثاني 1951 بوعد لزيادة راتب نابوكوف. 'ستتم ترتيبات أخرى هنا لتعوض لي فقدان دخلي ولن تظهر في كتب العملية في أوروبا'، [28] – أخبر نابوكوف براون، الذي كان على ما يبدو غير متضايق من مقاربة برنهام المرنة للمحاسبة. وفي الحقيقة، فقد 'أدار' برنهام نابوكوف في العام الأول.

واتُخذ قرارٌ بأن يبقى لاسكي في برلين ليحرر مجلة *دير مونات*، التي أصبح مكتبها مقراً للفرع الألماني للمنظمة. وسينتقل جوسيلسون ودي نوفيل إلى باريس لترؤس المكتب الرئيسي هناك، وسيرتبطان مع إرفنغ براون، الذي تم توجيهه كي يستأجر بناءً ملائماً ويجهزه. وبينما كانا يستعدان لمغادرة ألمانيا، علم جوسيلسون ودي نوفيل بتطور جديد مثير في مقر السي آي إي في واشنطن: فقدالتحق آلن دلس لتوه بالوكالة، وأحضر معه مساعداً يدعى توم برادن. كانت الأمور تتغيَّر.

التحق آلن دلس بالسي آي إي في كانون الأول 1950 كنائب مدير عمليات. كان هذا منصباً ذا صلاحيات واسعة، يمنح دلس مسؤولية جمع المعلومات، والإشراف على قسم فرانك ويزنر، مكتب تنسيق السياسة. كان أحد أفعاله الأولى تطويع توم برادن، أحد أكثر ضباط مكتب الخدمات الاستراتيجية اندفاعاً، الرجل الذي طوَّر كثيراً من الاتصالات ذات المستوى الرفيع منذ عودته إلى الحياة المدنية. وبشعر كالأسلاك والرمل، وبسيماء وعرة أنيقة، بدا برادن كمركَّب من جون وين، وجاري كوبر، وفرانك سيناترا. ولد برادن في 1918، في دوبوك Dubuque، آيوا، وكان والده عميل ضمان، وأمه مؤلفة روايات رومانسية. علمته أن يحب أعمال رينج لاردنر، وروبرت فروست وإرنست همنغواي. تخرّج في العلوم السياسية من دارتموث في 1940، ثم أستثير حين نشبت الحرب فتطوع في الجيش البريطاني. وفرز إلى الجيش الثامن، الفرقة المدرعة السابعة – جرذان الصحراءِ المشهورون – حيث أصبح صديقاً مفضلاً لستيورات ألسوب. والتحق الاثنان بمكتب الخدمات الاستراتيجية، قفزا بالمظلة في فرنسا المحتلة ليقاتلا في الغابات مع المقاومة التي هيمنت عليها الشيوعية.و اشترك برادن وألسوب بعد الحرب في تأليف كتاب دعي *في السر: مكتب الخدمات الاستراتيجية والتجسس الأمريكي*، وصفا فيه مكتب الخدمات الاستراتيجية بأنه يقدم لرجاله 'الفرص من أجل مغامرات مذهلة لم تحدث في أية حرب منذ حرب الملك آرثر'.

وحين عاد برادن إلى الحياة المدنية أمضى بضع سنوات يقود حملة من أجل جهاز استخبارات دائم. وفي أواخر 1950، اتصل به آلن دلس وطلب منه أن يكون معاونه في السي آي إي. قبل برادن ومُنِحَ الاسم الحركي هومر د. هوسكنز'، وكان برادن في البداية دون حقيبة، وعُيِّنَ اسمياً في مكتب تنسيق السياسة التابع لويزنر، ولكنه في الواقع عمل بشكل مباشر لدلس. وبعد بضعة أشهر، اكتسب معرفة عميقة بهجوم الدعاية الشيوعية وإدراكاً محدوداً للرد الأمريكي فهو يقول: 'كم هو غريب، فكرت بيني وبين نفسي وأنا أراقب تلك التطورات، أن الشيوعيين، الذين يخافون من الانضمام إلى أي شيء عدا الحزب الشيوعي، يكسبون حلفاء

كباراً من خلال الحرب التنظيمية بينما نحن الأمريكيين، الذين ننضم إلى كل شيء، كنا نجلس هنا مربوطي اللسان'.[29]

ووصل وليم كولبي، مدير السي آي إي المستقبلي، إلى الخاتمة نفسها: 'لم يخف الشيوعيون إيمانهم بما دعوه 'السلاح التنظيمي' فقد :نُظِّمَ الحزب كقوة قيادية أساسية، ثم نُظِّمتْ جميع الجبهات الأخرى وبينها جماعات النساء، والجماعات الثقافية، والنقابات التجارية، والتعاونيات. نظم درع كامل من المنظمات وذلك من أجل استيعاب كثير من البشر في البلاد داخل هذه المجموعات وبالتالي تحت القيادة الشيوعية بشكل أساسي وحتى تحت التوجيه الشيوعي'[30]

وقال برادن: 'إذا كان الجانب الآخر يستطيع استخدام الأفكار المموهة على أنها أفكار محلية بدلاً من أن تكون مدعومة أو محرضة سوفياتياً، عندئذ ينبغي أن نكون قادرين على استخدام أفكار مموهة كأفكار محلية'.[31] وأقنعت مراجعة شاملة لمكتب تنسيق السياسة، التابع لويزنر، برادن أنه ينوء بمشاريع تفتقر لبؤرة مركزية. ويذكر برادن: 'كان هناك فرع لمنظمات دولية، لكنه كان خليطاً من الوظائف الصغيرة التي كانت تقوم بها الوكالة، وتفتقر للأهمية بشكل كامل. ذهبت إلى آل (آلن دلس) وقلت: لماذا لا ندمج هذه الأمور في قسم؟ ربما كان آل يتوقع بأنني سأطرح شيئاً مثل هذا؟'[32]

وبينما كان آلن دلس متحمساً، استقبلت هيئة السي الآي إي الأخرى التي اعتقدت أن العمليات السرية تعني التنظيم للإطاحة بقادة أجانب 'غير أصدقاء' مثل جاكوب آربينث، استقبلت اقتراح برادن بذعر. كانت الوكالة الرضيعة نصف كلية (عرفت مسبقاً باسم حرم الجامعة)، وثم كان نصفها أيضاً من رجال الشرطة واللصوص. وقال برادن:كان هناك، إلى جانب مدخني الغليون اليالبين – نسبة إلى جامعة ييل – نوعية من البشر لم تفهم أن الحرب قد انتهت. كانوا عنيدين بشكل خطير، وتفكيرهم من نوع تفكير رجال مثل الجنرال ماكآرثر، الذي أراد توسيع الحرب الكورية من خلال قصف منشوريا، أو وزير البحرية، الذي حض العالم في 1950 على تحضير نفسه من أجل حريق كوني هائل آخر. وشرح برادن: 'كنت أكثر اهتماماً بالأفكار التي كانت تحت نار الشيوعيين من اهتمامي بقصف غواتيمالا. كنت مفكراً أكثر من كوني شخصاً حماسياً'.[33]

حاول رئيس قسم برادن أن يحاصر اقتراحه قائلاً أنه 'يتعدى حدود القسم'، وهي مناورة بيروقراطية تعبر عن حقارة كبيرة. نشأ عن ذلك معركة عنيفة خسرها برادن. فذهب مباشرة إلى مكتب آلن دلس وقدم استقالته. تذكر برادن أن دلس التقط سماعة الهاتف واتصل بفرانك ويزنر غاضباً وسأل: 'ما الذي يجري بحق الجحيم؟ كان آلن أعلى من ويزنر ووقف إلى جانبي بشكل كامل. وهكذا وُضِعَتْ المنظمات الدولية تحت إشراف نائب مدير الخطط DDP، الذي كان ويزنر. لكنني لم أنتبه كثيراً إلى ويزنر، وإنما تجاوزته إلى آلن. كان عليَّ أن أعالج الأمر بحرص، لأن فرانك كان أعلى مني ظاهرياً'.[34]

وتزامن تأسيس هذا القسم (الذي اختصر إلى IOD أي قسم المنظمات الدولية) مع مرسوم حظر لأنشطته أصدره مجلس الأمن القومي (NSC - 68). و هذا المرسوم الجديد (NSC- 68)،

الذي أعده في آذار 1950 المدير الجديد لهيئة تخطيط السياسة، بول نيتزي، (الذي حل محل كينان)، أصبح 'الرمز الوثائقي المطلق للحرب الباردة'، واستند إلى افتراض منليث - حجر ضخم على شكل مسلة - شيوعي تستقر روحه المرشدة في الكرملين.[35] واختتم التوجيه بأن 'الاعتبارات العملية والإيديولوجية ... تقودنا إلى خاتمة مفادها أنه ليس لدينا خيار سوى أن نظهر تفوق فكرة الحرية من خلال تطبيقها البنّاء'. وصرح الفيلسوف كارل ياسبرز مؤخراً بأن 'الحرية تحتاج كذلك إلى دعاية'. وهذا هو التفويض الذي سمح لمحاربي الحرب الباردة الأمريكيين أن يتخذوا إجراءات 'بناءة' كي يضمنوا انتصار الحقيقة على الخداع. وكشفت تدابير الميزانية التي حددها مرسوم مجلس الأمن القومي (NSC-68) الأهمية التي أضفيت على هذه المهمة: سيتضاعف مبلغ الأربعة وثلاثين مليوناً الذي صرف على الحرب النفسية في 1950 أربع مرات في العامين التاليين.

وأعلن وزير الخارجية إدوارد باريت قائلاً: 'في الصراع على عقول البشر، تستطيع الحقيقة أن تكون السلاح الأمريكي على نحو فريد. لا يمكن أن تكون سلاحاً معزولاً، لأن دعاية الحقيقة لا تكون قوية إلا إذا ارتبطت بأعمال وسياسات ملموسة... حملة ماهرة جداً وجوهرية تكون أساسية كالقوة الجوية'.[36] كانت الحقيقة، مثلها مثل القرن، ستنتمي إلى أمريكا. وإذا كانت هناك حاجة لاستخدام الخداع من أجل تعزيز الحقيقة، فليكن الأمر إذن. كان هذا ما دعاه كويستلر بـ 'القتال ضد كذبة كلية بنصف حقيقة'.

وقال برادن: 'كان هدف قسم المنظمات الدولية هو توحيد المفكرين ضد ما تم تقديمه في الاتحاد السوفياتي. وكانت فكرة أن العالم سيخضع لنوع من المفهوم الفاشي أو الستاليني في الفن والأدب والموسيقى صورة مريعة. أردنا أن نُوحِّد جميع البشر الذين كانوا فنانين، وكتاباً، وموسيقيين، وجميع البشر الذين يتبعون هؤلاء البشر، كي يظهروا أن الغرب كان مكرساً لحرية التعبير وللإنجاز الفكري، دون أية حواجز متشددة حيال *ما يجب أن تكتب وما يجب أن تقول وما يجب أن تفعل وما يجب أن ترسم* (التأكيد من برادن)، وهو الأمر الذي كان يحدث في الاتحاد السوفياتي. أعتقد أننا فعلنا ذلك بشكل جيد'.[37]

واشتغل قسم المنظمات الدولية وفق المبادئ نفسها التي أرشدت إدارة ويزنر إلى اليسار غير الشيوعي. ولم يكن الهدف من دعم المجموعات اليسارية التدمير أو الهيمنة، وإنما الحفاظ على قرب معقول منها ومراقبة تفكير مجموعات كهذه، وتزويدها بأداة تعبير كي تستطيع التنفيس، وكي تستطيع في النهاية، ممارسة حق اعتراض نهائي على علنيتها وبشكل محتمل على أفعالها، هذا إذا حدث وصارت متطرفة جداً. وأصدر برادن تعليمات واضحة لموظفي قسم المنظمات الدولية المؤسس حديثاً في أوروبا: 'احصروا النقود في مبالغ تستطيع المنظمات الخاصة أن تنفقها بشكل قابل للتصديق، مَوِّهوا مدى المصلحة الأمريكية، احموا تكامل المنظمة من خلال تجنب دعم جميع مظاهر السياسة الأمريكية الرسمية'.[38]

وتم تأسيس قسم برادن الجديد كي يقدم قاعدة مؤسساتية أفضل لكيانات من أمثال المنظمة من أجل الحرية الثقافية، وكان مدراؤها يستجيبون له الآن. وتم توضيح الأهداف

الحقيقية للمنظمة. يجب ألا تكون مركزاً للإثارة، وإنما رأس جسر ساحلي في أوروبا الغربية يمكن أن يُعيق تقدم الأفكار الشيوعية. يجب أن تنخرط في حملة ضغط شريف واسعة الانتشار ومتلاحمة لإقناع المفكرين بالانفصال عن الجبهات الشيوعية أو المنظمات المتعاطفة معها، وأن تُشَجِّعَ الأنتلجنسيا على تطوير نظريات وحجج لا توجه إلى جمهور ضخم، وإنما إلى نخبة صغيرة من مجموعات الضغط، ورجال الدولة الذين، بدورهم، يحددون سياسة الدولة. وهي ليست مصدراً لجمع المعلومات. وتم تحذير العملاء في أقسام أخرى من السي آي إي بألا يستخدموها هكذا. يجب أن تقدم 'دعماً مستقلاً لأهداف السياسة الأمريكية الخارجية التي تتطلع إلى توحيد أوروبا – من خلال عضوية الناتو والحركة الأوروبية، التي مولتها السي آي إي بشكل جيد – والتي تتضمن ألمانيا موحدة من جديد. كان يجب أن تعمل كرسول لمنجزات الثقافة الأمريكية، وتقوض الآراء السلبية المسبقة السائدة في أوروبا، وخاصة في فرنسا، حول جدب أمريكا الثقافي. ويجب أن تستجيب للنقد السلبي لمظاهر أخرى من الديموقراطية الأمريكية، وبينها سجل حقوقها المدنية.

وخضع للدراسة الأمنية الأشخاص الذين اختارتهم لجنة التوجيه كي ينشطوا المنظمة الموحدة، مثلما خضع أولئك الذين جاؤوا كي ينخرطوا عن كثب في 'الجهاز' المسيطر، وجميع موظفي المنظمة المستقلين. بالنسبة لـ'السي آي إي' كان هناك مايكل جوسيلسون ولورنس دي نوفيل. وكان يلبّى حاجاتهما مسؤول مهمة يعمل مراقباً طيلة ثلاثة أعوام وكضابط ارتباط مع نظير له برتبة مساوية في واشنطن، والذي بدوره يكون مسؤولاً أمام رئيس فرع لقسم المنظمات الدولية. وكان رئيس الفرع (3) يعتني بالمنظمة ويرد على نائب رئيس قسم المنظمات الدولية، وعلى رئيس القسم (برادن). وبينما كانت المنظمة تنمو، كان ملاك إضافي متنوع من الوكالة يُعيَّن ليعتني بتمويلها ونشاطاتها. وبعيداً عما تصوره كويستلر في البداية بأنه 'عملية صغيرة، وغير كافية مثل عملية فيلي مونزنبرغ، 'بنقود قليلة، وملاك قليل وليس هناك كومنفورم وراءنا'،[39] أصبحت المنظمة الآن 'رصيداً'، بل أحد أسرع الأقسام نمواً في السي آي إي.[40]

وبنوع من الصدق في الشكل، قرر برادن أن يدير عملية QKOPERA 'خارج الخطوط'، ومن أجل هذه الغاية طلب من دي نوفيل ألا يخبر رجل ويزنر الذي يدير المكتب الفرنسي، روبرت ثاير، أي شيء عن نشاطاته. ومن وراء ظهر برادن، أخبر آلن دلس سرياً دي نوفيل بأن 'يتابع إرفنغ براون ويكتشف ما الذي يفعله'، رغم أن دي نوفيل أبلغ دلس على الفور ' استحالة الأمر لأن براون يدير العملية كأنها عمليته الخاصة، ولا يتحدث مطلقاً عما يفعله'.[41] وبشكل ليس مفاجئاً، لم يحظ دلس، وويزنر، وبرادن بسمعة كمدراء جيدين.

وكان جوسيلسون ودي نوفيل سريعين في تأسيس مكتب باريس والبدء بـ 'العمل المنزلي'- بلغة الوكالة – أي بالترتيبات المحلية الرائجة في جميع نشاطات الواجهة. وبينما كانا يقومان بالترتيبات والتجهيزات، وصل نابوكوف من نيويورك مع باتريسيا بليك إلى شقة صغيرة في شارع دوساس مطلة على حدائق لوكسمبورغ، وذلك كي يشغل منصبه الجديد كأمين عام. وكتب عن المنظمة التي صار يمثلها الآن: 'ليس هناك سوابق حديثة، ولا نماذج في العالم الغربي. لم

يحاول أحد من قبل أن يعبئ المفكرين والفنانين على مستوى عالمي من أجل خوض معركة إيديولوجية ضد مضطهدي العقل، أو للدفاع عما دعاه أحدهم مستخدماً مصطلحاً مبتذلاً 'بتراثنا الثقافي'. وكان هذا النوع من الحرب الإيديولوجية حتى اليوم حكراً على الستالينيين والنازيين... إن قيادة حرب فكرية، وعقلانية، وباردة كالثلج ضد الستالينية دون الوقوع في المصيدة المانوية السهلة للفضيلة الزائفة بدت جوهرية لي، وخاصة في وقت كانت فيه تلك الحرب الإيديولوجية في أمريكا تغدو هستيرية بشكل متكلف ومصابة بجنون العظمة بشكل عنيف'. [42]

وبطاقة وحماسة نادراً ما هجرتاه، دخل نابوكوف مهنته الجديدة كمدير للحرب الباردة الثقافية. وفي أيار، 'قدمت' المنظمة جائزة لمرتد فكري في مؤتمر صحفي في باريس. كان هو الملحق الشاب في السفارة البولونية، شاعر ومترجم *الأرض الخراب*، تشيسواف ميوش. كان ميوش عضواً في الوفد البولوني إلى مؤتمر ولدورف أستوريا في 1949، وهناك، بعد 'تعرفه الأول على اليسار الديموقراطي وقع في حبنا على الفور'، بحسب ماري مكارثي. وبإخراج متألق من نابوكوف، كان ظهور ميوش إلى جانب الملائكة انقلاباً مبكراً للمنظمة.

بعد ذلك على الفور، ذهب نابوكوف إلى بروكسل برفقة دينيس دو روجمو، كي يلقي كلمة أثناء عشاء رعته مجلة *Syntheses*. ثم اندفع عائداً كي يشجع عمل نادي أصدقاء الحرية وهو من نوعية أندية الروتاري وذراع للمنظمة، نظم لقاءات لمجموعات الطلاب الفرنسيين من جميع أنحاء البلاد، وبيت الشباب أصدقاء الحرية في باريس. وفي منتصف حزيران، كان نابوكوف على الطريق أيضاً، متجهاً، هذه المرة، إلى برلين ليلقي محاضرة حول 'الفن في ظل النظام الكلياني'. وكتب إلى جيمس برنهام قائلاً: 'هذه ليست بالطبع رحلة لإلقاء محاضرة بالنسبة لي، وإنما اتصالي الأول مع ميدان العمليات الألماني'. [43] وكانت هذه الرحلة الأولى من رحلات استطلاع كثيرة قام بها مدراء المنظمة، والتي نمت فروعها كالفطر ليس في أوروبا فحسب (كان هناك مكاتب في ألمانيا الغربية، وبريطانيا العظمى، والسويد، والدانمارك، وأيسلندة)، وإنما في أنحاء القارات الأخرى: في اليابان، والهند، والأرجنتين، وتشيلي، وأستراليا، ولبنان، والمكسيك، والبيرو، والأرغواي، وكولومبيا، والبرازيل وباكستان.

وفي باريس، لعب نابوكوف دوراً رئيسياً في إصدار مجلة المنظمة الأولى *بروف Preuves*. ونوقشت فكرة تأسيس مجلة ثقافية – سياسية ضمن تقاليد المجلات الفرنسية العظيمة، لأول مرة في شباط 1951 أثناء اجتماع اللجنة التنفيذية في فرساي. كانت هناك حاجة إلى مجلة تستطيع منافسة مجلة *الأزمنة الحديثة* وتشجع على الارتداد على معقل سارتر. وسأل أحد المؤرخين فيما بعد: 'من كان العدو الحقيقي؟ لم يكن الاتحاد السوفياتي أو موسكو. إن ما كانوا مهووسين به في الحقيقة هو سارتر ودو بوفوار. كان هذا هو 'الجانب الآخر'. [44] وأكد أحد أعضاء المنظمة: 'كان مفكرو الضفة اليسرى هم الهدف، أو ربما كان البشر الذين يصغون إليهم هم الهدف'. [45] ولكن تبين أنه من الصعب العثور على محرر يتمتع بقامة كافية ليغري المتعاطفين للدخول في دائرة أكثر مركزية. وفي حزيران 1951، كان نابوكوف يشرف على اليأس، وكتب

ليخبر برنهام أن 'مسألة المجلة الفرنسية تسبب لي ليالي من الأرق. من الصعب جداً العثور على شخص بقامة آرون أو كامو يرغب في تولي رئاسة التحرير... والصعوبة هنا هي أنه على رغم أن البشر يتحدثون كثيراً عن الالتزام، إلا أنه لا أحد يريد أن يلزم نفسه. ثمة نوع من التراخي واللامبالاة أو بالأحرى الإعياء في الجو يتوجب على المرء أن يصارع ضده يومياً'.[46]

وبعد أن فشلت اللجنة التنفيذية في جذب محرر فرنسي، قررت أن تمنح الوظيفة للكاتب السويسري الناطق بالألمانية فرانسواز بوندي، والذي كان ناشطاً في الحزب الشيوعي، إلى أن تم توقيع معاهدة ستالين - هتلر في 1939. وبوندي هذا الذي عُيِّنَ في منصب مهم في أمانة المنظمة في 1951 (كمدير للمنشورات)، تعاون في مجلة *دير مونات* مع ميلفن لاسكي، الذي دعاه 'أفضل مستشار تحرير في زمننا'. وتحت إشراف بوندي، صدر أخيراً العدد الأول من مجلة بروف *Preuves* في تشرين الأول 1951. إن مجلة بروف *Preuves*، التي كان الهدف منها تأسيس إجماع أطلسي، مضاد للحيادية، ومؤيد لأمريكا، كانت، بشكل صائب، الأداة المنزلية للمنظمة، ومنحتها صوتاً وأعلنت كذلك عن نشاطاتها وبرامجها. وهكذا، واجهت على الفور ما سماه مانيس سبيربر عداء كاملاً تقريباً. لكن بوندي وقف بصلابة في وجه الهجمات القاسية التي تلقاها من اليسار واليمين.[47]

تم استقبال المنظمة في تلك الأيام الأولى بشبهة عالمية تقريباً. وأقنع النشطاء الذين دعموها أنفسهم أن هذه الشبهات ناجمة عن النزعة المعادية لأمريكا التي كانت موضة في ذلك الوقت، أما أولئك الذين لم يكونوا قادرين على فعل ذلك، فقد صعَّدوا قلقهم. واستغل المنتقصون من قدرها جميع الفرص ليشككوا بشرعية المنظمة كمنظمة 'حرة' و 'مستقلة'. وكانت قدرتها على البقاء رغم هذه التحديات علامة على المثابرة العنيدة لأولئك الذين - في الداخل والخارج - يؤمنون بهدفها. وحين أرسل جورج ألتمان محرر *Franc - Tireur*، وفرانسواز بوندي إلى روما في أواخر 1950 كي يهندسا الدعم لعضو إيطالي، سئلا بشكل متكرر: من الذي يدفع من أجل كل هذا؟ وهل تعنون 'بالحرية' الرأسمالية الأمريكية؟ وبدا كأن المراقبين الشيوعيين حاضرون، كما قالا، في معظم لقاءاتهما، وكان كثير من المفكرين الإيطاليين ميالين بشكل واضح إلى 'الإغواء الكلياني'. وقيل إن آخرين مثل ألبرتو مورافيا كانوا أكثر اهتماماً بالفاشية الجديدة من الشيوعية. وفي تقريرهما إلى جوسيلسون، شدَّد بوندي وألتمان على إقليمية المفكرين الإيطاليين ومعاداتهم لأمريكا. كانت هناك 'احتمالات كبيرة' للمنظمة في إيطاليا، ولكن هذه ستتضح فحسب نتيجة 'فعل بطيء، وغير مباشر، ومتنوع، وعاقل بشكل كبير'.[48]

وشكلت الرابطة الإيطالية للحرية الثقافية في أواخر 1951 بقيادة إغنازيو سيلوني، وأصبحت مركز فيدرالية مؤلفة من مائة مجموعة ثقافية مستقلة قدمت لها الرابطة المتحدثين، والكتب، والنشرات، والأفلام، والروح الدولية. أصدرت مجلة *الحرية الثقافية Libertia della Cultura*، وفيما بعد مجلة *الزمن الحاضر Tempo Presente*، التي حررها سيلوني ونيكولا شيارومونتي. ولكن ما إن بدأ المنتسبون الإيطاليون يجتمعون حتى بدأت تنهار. أرسل نابوكوف إلى روما كي يحاول دعم مصالح المنظمة، ولكنه، مثل بوندي وألتمان من قبله، وجد المفكرين

معادين ومستعدين جداً للإصغاء إلى 'إشاعات مثيرة للفضول' حول المنظمة. شاكياً لإرفنغ براون من 'السبات السيلوني لمجموعتنا الإيطالية'، قال نابوكوف إن هناك حاجة إلى إجراءات راديكالية لضخ الدم في الجهاز الإيطالي. وزأر نابوكوف قائلاً: 'يجلس سيلوني على العرش غير مرئي (كذا) ويمنع الأولاد في المكتب من القيام بعملهم. كتبت إليه رسالتين، أرسلت برقية (كذا) كي أطلب منه أن يأتي من عطلته الصيفية ليوم واحد كي يقابلني هنا في روما... لا جواب على أي شيء. أرى دزينات من البشر يومياً. معظمهم مستعدون للانضمام، والعمل، والمساعدة (وبينهم مورافيا) ولكن الجميع يقولون إنه طالما أن سيلوني هو السيد الوحيد هناك، فلن يُنْجَز أي عمل'.[49] ولرعب نابوكوف من موقف الرابطة الإيطالية الدون كيخوتي، والمغرور، والمولع بالقتال، مع الكنيسة، كتب أيضاً إلى جاك ماريتين وطلب منه أن يكتب 'رسالة طويلة إلى سلطات الفاتيكان' يشرح فيها أن المنظمة من أجل الحرية الثقافية والرابطة الإيطالية 'تمتلكان سياستين مختلفتين'.[50]

سافر نابوكوف أيضاً إلى لندن لحشد الدعم للمؤسسة الفرعية البريطانية، الجمعية البريطانية من أجل الحرية الثقافية، التي تم تأسيسها في كانون الثاني 1951 في جمعية المؤلفين في وايتهول كورت. وبعد أن التقى مع ت. س. إليوت وإشعيا برلين، واللورد ديفد سيسل، ورؤساء المجلس البريطاني، والبرنامج الثالث لهيئة الإذاعة البريطانية، وريتشارد كروسمان، الذي كان آنذاك الأمين العام لحزب العمال، كان نابوكوف قادراً على إخبار باريس أن المنظمة تملك حلفاء أقوياء في إنكلترا. وأخبر برنهام، بشكل منفصل، أن 'كثيراً من المفكرين البريطانيين يعتقدون أن منظمتنا منظمة أمريكية شبه سرية تسيطر عليها أنت ... أعتقد أن جهودنا المستمرة يجب أن توجَّه إلى البرهنة للمفكرين الأوروبيين على أن المنظمة من أجل الحرية الثقافية ليست وكالة استخبارات أمريكية سرية'.[51] وباستخدام نابوكوف اللغة التي يفضلها عادة المتعاونون 'المطلعون' مع الأجهزة الاستخباراتية فقد طلب من برنهام أن ينقل 'إلى أصدقائنا في أمريكا المفارقة الأساسية للموقف هنا: من المحتمل أنه تبقى لنا القليل من الوقت، ولكن يجب أن نعمل كما لو أننا نملك وقت العالم كله. إن عملية تحويل أوبريشن كونغرس Operation Congress إلى جبهة واسعة وصلبة معارضة للكليانية ستستغرق كثيراً من الوقت وأخشى أنها ستكلف الكثير من المال'.[52]

الفصل السابع

حلوى

لم نستطع صرفها كلها. أذكر أنني التقيت مرة مع ويزنر ومراقب الحسابات. قلت: يا إلهي كيف يمكن أن ننفق هذا؟ لم يكن هناك حدود، ولا يتوجب على أحد أن يعلّل ذلك.

جلبرت جرينوي، عميل سي آي إي

اقتضى الحصول على مكان لائق في سوق ثقافة الحرب الباردة استثماراً قوياً. في البداية، كانت وظيفة إرفنغ براون هي العمل كقناة مالية لبرامج السي الآي إي الثقافية. تذكر توم برادن: 'كنت أمنح خمسة عشر ألف دولار، وعشرة آلاف دولار، وخمسة آلاف دولار في كل مرة لبراون، ولكنني لم أكن متأكداً في الحقيقة ما الذي كان يفعله بهذه الأموال'.[1] ولكن هذه كانت فكة صغيرة إذا ما قورنت بالأموال الكلية التي كانت تحت تصرف براون. وكشف لورنس دي نوفيل فيما بعد: 'إن مفتاح كل هذا هو الأموال المتممة. لم يستطع الناس أن يقولوا في الكونغرس الأمريكي: آه، انظروا ماذا يفعلون بنقود دافعي الضرائب، لأنها لم تكن نقودنا، كانت ناتجاً ثانياً لمشروع مارشال'.[2] وفي حركة مبتكرة في ظل السنوات الأولى لمشروع مارشال، قُدّم اقتراح أنه من أجل جعل هذه الاعتمادات المالية تؤدي واجباً مزدوجاً، يجب على كل بلد متلق أن يسهم في جهد المساعدة الخارجية من خلال إيداع مبلغ معادل للإسهام الأمريكي في مصرفه المركزي. وسمحت اتفاقية ثنائية بين الولايات المتحدة وذلك البلد بأن تستخدم هذه الأموال بشكل مشترك. وتبقى معظم الأموال المتداولة (95 بالمائة) ملكية قانونية لحكومة البلد، بينما يصبح خمسة بالمائة لدى الإيداع ملكاً لحكومة الولايات المتحدة. وكانت هذه الاعتمادات المالية المكملة - 'اعتماد سري' مؤلف تقريباً من مليوني دولار - متاحة كصندوق حرب للسي آي إي.

في كانون الأول 1950، كان ريتشارد بيسل، الذي درّس علم الاقتصاد في ييل و إم آي تي في الثلاثينيات، نائب مدير مشروع مارشال. وفي أحد الأيام، زار فرانك ويزنر بيسل في مكتب واشنطن. وبيسل، هذا الذي كان يعرف ويزنر اجتماعياً من خلال مجموعة جورج تاون، وصفه بأنه 'يشكل جزءاً من دائرتنا الداخلية المؤلفة من موظفين رفيعي المستوى، منخرطين في كثير من مشاريع الحكومة التي اضطلعنا بها'. ويذكر بيسل أن ويزنر قال: 'كان يحتاج إلى النقود وطلب مني أن أساعد في تمويل العمليات السرية لمكتب تنسيق السياسة من خلال تمرير مبلغ

معقول من الاعتمادات المالية المكملة التي تصل إلى 5 بالمائة... ومن الصعب معرفة إن كان أي شخص قد توقّع أن هذه الاعتمادات المالية تتضمن نشاطات سرية. وكانت هذه بشكل أكثر تحديداً منطقة رمادية. وكنت نوعاً ما محتاراً في الطلب بما أنهم كانوا لا يعلمونني بالنشاطات السرية. واستغرق ويزنر وقتاً كي يسكّن مخاوفي مؤكداً أن هاريمان صادق على العمل. وحين بدأت أضغط عليه حول كيفية استخدام النقود، شرح إنه لا يستطيع إخباري ... كنا في مشروع مارشال نتعامل بشكل مباشر أو غير مباشر مع عدد جيد من البشر الذين كانوا مستفيدين من برامج السي الآي إي السرية الأولى'.[3]

استخدمت اعتمادات مشروع مارشال المالية المتممة تحت إدارة هاريمان لتمويل نشاط مكتب تنسيق السياسة المضادة في اليوم العالمي لمقاومة الدكتاتورية وحرب نيسان 1949. ولعبت أيضاً دوراً حاسماً في الانتخابات الإيطالية لعام 1948. وأصبح إرفنغ براون قادراً على تعزيز مال الرشى الخاص بالسي آي إي من خلال حلوى مشروع مارشال. ومن بين حشد المشاريع السرية التي مُوِّلتْ من خلال براون، حُدد تقريباً مبلغ مائتي ألف دولار (ما يعادل 1,5 مليون دولار في 1999) وخصص لنفقات المنظمة من أجل الحرية الثقافية الإدارية الأساسية في 1951. ودفع من هذا المبلغ رواتب فرانسواز بوندي، ودو روجمو، وبيير بولومي (من حاشية ألتمان والذي عُيِّنَ أميناً للصندوق)، ولمدير وأمناء سر عديدين. وكان بوندي ودو روجمو يتلقيان راتبيهما بالدولار بعد أن يحولهما براون من خلال الأمريكان إكسبرس إلى حساب في المصرف السويسري في لوزان (سوسييتي دو بانك سويس). وكان يُدفع للآخرين بالفرنكات الفرنسية. وكان الإنفاق الشهري الكلي لإدارة الأمانة في ذلك الوقت حوالي خمسة ملايين فرنك. وكان براون يموِّل أيضاً أصدقاء الحرية Les Amis de la Liberté تقريباً بمبلغ مشابه. وكان يودع في حساب سري في ألمانيا أربعين ألف مارك لمكتب المنظمة هناك، مغطياً الرواتب ونفقات المكتب. وكان المكتب الإيطالي يتلقى عدة آلاف من الدولارات شهرياً من خلال حساب كوديجنولا تريستا، محرر مجلة *Nuova Italia* . وكان مايكل جودوين، سكرتير الجمعية البريطانية لحرية الثقافة يمتلك مدخلاً إلى تمويل شهري قدره سبعمائة جنيه، يودع في حسابه في مصرف ويستمينستر في سينت جيمس بارك.

وقبل أن يؤمن براون منزلاً دائماً للمنظمة في بولفارد هاوسمان، كانت غرفه في فندق بالتيمور في جادة كليبر تستخدم كمقر مؤقت للمنظمة. وحين جاءت امرأة أمريكية شابة تعمل في قسم الأعمال الخاص بمشروع مارشال، في مساء ما، دون إعلان مسبق، كي تتناول كأساً من الشراب، لاحظت قائمة من الأسماء بمبالغ بالدولار إلى جانبها تستلقي قرب هاتف براون. كان براون قد غادر الغرفة كي يعد المشروبات لضيفته غير المتوقعة. واعتقدت أنها أحست بحضور شخص آخر غير براون في الجناح. وفي النهاية، كان غير قادر على الاختباء أكثر، ظهر مايكل جوسيلسون من الحمام وحيث دخل بسرعة كي لا يشاهد. واعتقدت ديانا دودج، التي أصبحت بعد عامين زوجة جوسيلسون، أن المشهد ممتعٌ جداً. أما جوسيلسون فقد تضايق جداً.

وأظهر المشهد في فندق بالتيمور الطبيعة الارتجالية للمنظمة من أجل الحرية الثقافية في أيامها الأولى. قال دي نوفيل: 'حرّكتها في البداية حوافز جيدة جداً، وتابعنا فقط ما فكرنا بأنه الأفضل'. [4] وبالتدريج بدأت الأمور تلتئم عندما طورت السي آي إي بيروقراطية من أجل احتواء عمليات كهذه وتقديم 'التوجيه' لها. ويذكر دونالد جيمسون خبير السي آي إي في الشؤون الروسية والذي كان منخرطاً من بعيد في عملية QKOPERA : عُقِدَتْ هناك اجتماعات متنوعة لبعض أشخاص المنظمة الكبار، وبينهم لاسكي وآخرون، وأشخاص من الوكالة كانوا يتولون المسؤولية'. [5] 'وفي معظم الوقت كان هناك بين عشرة وخمسة عشر شخصاً في غرفة مؤتمر. وكنا نجلس ونتحدث عما ينبغي فعله، وأين ينبغي أن يُفْعَل، وكان هذا تبادلاً للرأي مفتوحاً في غالب الأحيان. تلك كانت نبرة البشر الذين هم في تسلسل قيادة الوكالة، وأعتقد أنه كان من الحكمة فعل ذلك. وفي الحقيقة، لو لم تتم الأمور بهذه الطريقة، لكان البشر في الجانب الآخر - في جانب المنظمة - قد تركوا. أو على الأقل لترك عدد كبير منهم كما أعتقد. فهم لم يكونوا انتهازيين مهتمين بالالتصاق بالوكالة لأنهم يحتاجون إلى شيك فقط'. [6]

وكان الأشخاص الجالسون إلى الجانب الآخر من الطاولة، والذين أشار إليهم جيمسون، هم جوسيلسون، ونابوكوف، ولاسكي، وبوندي، وبين فينة وأخرى، مالكولم مكيريدج، الذي عقد صلة مع قسم بحث المعلومات البريطاني. كان هذا هو 'الجهاز'، المجموعة التي اختيرت لتكون خاضعة لتوجيه السي آي إي، والتي رغم الطبيعة الأرستقراطية لأدائها، تولتْ وضع الخط السياسي الذي توقعت واشنطن أن تتبناه المنظمة. وكما شرح جيمسون، كان هناك، تبادل: ستمرر السي آي إي أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، ومقابل ذلك، ستصغي بانتباه إلى جماعة يستطيع دخولها الفريد إلى التيارات الفكرية لأوروبا الغربية أن يُسهِّل أو يعدِّل الطرق والحجج المستخدمة لصياغة هذه الأهداف.

ورغم أن جوسيلسون كان جزءاً من تسلسل القيادة في الوكالة، إلا أنه تولى أيضاً وظيفة تمثيل مصالح المنظمة بشكل جدي. كان هذا منصباً في غاية الصعوبة لا يمكن أن يتم تشغيله بنحو قابل للتصديق. تقنياً، كان خاضعاً لدي نوفيل. 'إذا وافقت، فإن الأمر الذي كنت أفعله عادة، هو أنني سأحاول وأساعد. رأيت عملي كمحاولة لتسهيل تطور المنظمة من خلال الإصغاء إلى أشخاص مثل جوسيلسون الذي كان يعرف بشكل أفضل مني. لقد قام بعمل رائع'. [7]

وقال توم برادن فيما بعد: 'إن جوسيلسون هو أحد أبطال العالم الذين لم ينالوا ما يستحقون من المديح. لقد قام بكل هذا العمل المسعور مع جميع مفكري أوروبا، الذين لم يتفقوا بالضرورة على كثير من الأمور التي تتخطى إيمانهم الأساسي بالحرية، وكان يعدو من اجتماع إلى آخر، ومن رجل إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى، ويجمعهم سوية وكانوا جميعهم منظمين ويفعلون شيئاً ما. إنه يستحق مكاناً في التاريخ'. [8] وبشكل مشابه، يذكر آرثر شليسنغر جوسيلسون بأنه 'رجل فائق للعادة' استطاع أن 'يعزف على أية آلة في الأوركسترا'. ولكن كان هناك جانب مظلم في المزاج البطولي لجوسيلسون. وكانت موهبته الكبيرة في الإصغاء دون كلام

تتكدر بين فينة وأخرى بسبب موهبة آخرين في التحدث دون إصغاء. يتذكر أحد زملائه: 'كان مايك يفقد صبره أحياناً من كل هذه الثرثرة. وفي بعض الأحيان يشعر أن أولئك الأشخاص قيّمون جداً، وتلموديون جداً. ثم يضع يديه على أذنيه ويقول: 'كفى! لا أستطيع الإصغاء إلى أي من هذا بعد الآن. لنتخلص منه فحسب!' كان فظاً، ولديه درجة غليان منخفضة جداً، سيسفر عن لا شيء بسرعة'.[9] وقد شعر أحد أعضاء المنظمة بأن جوسيلسون كان 'دوماً تقريباً على حافة انفجار عاطفي'.[10] وجوسيلسون، هذا الذي كشف مرة أن أمه اعتادت أن 'تقوم بانفجارات عاطفية'، بذل ما بوسعه كي يسيطر على مزاجه. ولكن من خلال تجنب المجابهة، غالباً ما كان ينتج 'جواً ثقيلاً جداً'، مشحوناً بغضب صامت تقاطعه نظرات ثاقبة من عينيه المظلمتين. بعد أربعين عاماً، ارتجف بن سونينبيرغ، الكاتب الذي كان له غزل قصير وغير موّفق مع السي آي إي في الخمسينات، من ذكرى حول غموض جوسيلسون. قال: 'إن اسم مايكل جوسيلسون لا يزال يسبب لي نرفزة شديدة'.[11]

لم يستطع جوسيلسون تحمل التردد الفكري لأنه كان ينظر إلى العمل المطلوب بإلحاح يتطلب تنفيذاً فورياً. وقد أخبر إرفنغ براون أن الجمعية البريطانية للحرية الثقافية تنهار من الانقسام والشجار التلاحمي، ولا تصلح إلا 'للحفلات وأمسيات الشيري'. وقال أحد الأعضاء إن نشاطها الرئيسي منحصر في دعوة المفكرين البارزين إلى تناول الغداء في مطاعم سوهو الغالية. قرر جوسيلسون أن يفرض سلطته على الفرع البريطاني الذي تشكل في كانون الثاني 1951، وكانت له بداية مضطربة. وتشاجر رئيسه ستيفن سبيندر حالاً مع الأمين الفخري، مايكل جودوين، وفي نهاية 1951 بدأت اللجنة التنفيذية بالتفكك. وكان جودوين، كمحرر لمجلة *توينتييث سينشري* *Twentieth Century*، الشهرية المشهورة التي صدرت في 1877 باسم *نايتنينث سينشري آند آفتر*، صلة وصل حيوية لمكتب باريس، الذي أنقذ مجلته من التصفية في أوائل 1951 بعد أن دفع حساب مالك غاضب، وموّل الانتقال إلى مكتب جديد في شارع هنرييتا، الذي أصبح أيضاً مقراً للجمعية البريطانية. وتبع هذا إعانتان ماليتان عاجلتان إلى مجلة *توينتييث سينشري* بلغتا ألفي دولار وسبعمائة جنيه لمعالجة فواتير طباعة وورق غير مدفوعة في آب 1951، بالإضافة إلى إعانة مالية شهرية من مائة وخمسين جنيهاً من أجل 'تغطية العجز الشهري للمجلة'. جودوين، الذي أصبح فيما بعد مدير الأفلام والدراما في هيئة الإذاعة البريطانية، لم يقدم إلى جوسيلسون أداة في إنكلترا في شكل مجلة *توينتييث سينشري* فحسب، وإنما قدم ارتباطاً مفيداً مع جهود الدعاية الثقافية البريطانية السرية: كان يعمل كموظف بعقد لدى قسم بحث المعلومات.

ومُنِحَتْ إعانة جوسيلسون المالية إلى مجلة جودوين على أساس تفاهم معيَّن تقوم؛ بموجبه، بالرد على مواقف مجلة *نيو ستيتسمان* آند *نيشن*. وأكّد جودوين في رسالة في كانون الثاني 1952 أن هذه الحملة كانت تبني زخماً قوياً، وأفاد أن *توينتييث سينشري* 'تصبُّ ناراً متدفقة من النقد على موضوعات متنوعة في *نيو ستيتسمان* تصل في كليتها إلى هدم نقدي منظّم لموقفهم'. أضاف أنها كانت تُعد أيضاً للقضاء على مجلة الدراسات السوفياتية، *سوفييت ستديز*،

الفصلية التي تصدر في غلاسكو 'والتي هي على الأرجح المصدر الرئيسي للدفاع عن الستالينية في هذه البلاد'.[12]

لكن جوسيلسون لم يكن سعيداً بشكل كامل بتاتاً من ترتيب مجلة *تويتنتييث سينشري*. إذ قالت زوجة مايكل جوسيلسون ديانا: 'لم تكن تلك المجلة حيوية بما يكفي. لم تكن الأداة الصحيحة'.[13] كانت هجمات جودوين على *نيو ستيتسمان* كلها حسنة وجيدة، لكن مجلته لم تقم بما يكفي كي تعالج المشكلات التي أشار إليها نابوكوف في رسالة بتاريخ التاسع عشر من كانون الأول 1951، والتي تحدث فيها عن 'السخط الواسع الانتشار' من اللجنة التنفيذية الدولية. وكتب نابوكوف بقسوة:'سيقترح عليكم السيد سبيندر، وعلى هيئة تحريركم، تغييرات مهمة ملحة يؤيدها بشكل كامل إرفنغ براون، ودو روجمو وأنا'.[14] وأضاف أن هذه التغييرات يجب أن تتم على الفور، وإلا سيتوقف دعم المنظمة. وأجاب جودوين على هذه الرسالة بحدة في الواحد والثلاثين من كانون الثاني:'لن ينتج شيء جيد لأي شخص إلا إذا بقيت المجلة، ويعرف الجميع أنها بقيت مستقلة... يجب أن يُسمح للمجلة أن تعمل دون شروط'.[15]

واتجهت الأمور من سيئ إلى أسوأ بالنسبة لجودوين. وفي كانون الثاني 1952، كان سبيندر في قلب ما بدا كأنه انقلاب لكي يحل محل جودوين كأمين للجمعية البريطانية، وأرسل إليه رسالة جافة ومقتضبة تطرده من الخدمة. وسبيندر نفسه استقال مستاء قبل بضعة أسابيع، مع وودرو ويات وجوليان آميري، وأخبر نابوكوف أنه قادم إلى باريس كي يشرح أسباب استقالته. وهناك، أقنع دائرة المنظمة الداخلية أن الفرع البريطاني لا يستطيع العمل بوجود جودوين كرئيس، وحصل على رسالة لطرده، أرسلها إلى جودوين. ولام جودوين، بدوره، سبيندر على استقالة ويات، وألح على نابوكوف كي يبقي سبيندر 'ضمن الحدود'.ولكن جودوين أجبر على الاستقالة. وعاود سبيندر التحاقه باللجنة التنفيذية التي سيطر عليها منذ ذلك الوقت فصاعداً مالكولم مكيريدج وفريدريك واربورغ، مع توسكو فايفل الذي 'وقف كشخص ثالث في الثالوث'. وبالنسبة لشخص مثل سبيندر وُصِفَ دوماً بأنه روح سخيفة، ورديئة، فقد أظهر تصميماً شجاعاً كي يحصل على ما يريده من هذا الموقف.[16] سماه دبليو. إتش. أودن 'مغفّلاً دوستويفسكيّاً مقدّساً' و 'محاكياً لبارسيفال'. أما إشروود فقد لقبه بـ 'شخصية كوميدية على نحو جوهري' كشفتْ الحقيقة من خلال المهزلة. وآخرون وجدوا فيه 'حيرة مجفلة'(إيان هاملتون)، أو 'عقلاً مفككاً، ضبابياً، غيمياً، منتشراً'، 'لا شيء فيه يمتلك مخططاً' (فرجينيا وولف). وفي حياة اتسمت بالتناقض والغموض، طوّر سبيندر، مسبقاً، موهبة للاختفاء خلف هذه الهالات المشكوك بها.

كانت استقالة جودوين ضربة لجوسيلسون، الذي فقد فيه اتصالاً مباشراً مع قسم بحث المعلومات. لكن قسم بحث المعلومات عوض العجز حالاً، وأدخل رجله جون كلوز إلى الجمعية البريطانية كأمين عام لها. وفي الحال، استخدم كلوز منصبه كنقطة توزيع لمادة قسم بحث المعلومات، وكتب إلى نابوكوف في حزيران 1952 يخبره أنه أجرى 'حديثاً طويلاً مع حنا آرنت وعرّفها على خبير أو اثنين من وزارة خارجيتنا، ونتيجة لذلك فأنا أزودها بكثير من المعلومات

التي تحتاج إليها لكتابها الجديد... فإذا كنت تعرف شيئاً عن أي أشخاص قادمين إلى هنا ويرغبون بالقيام بصلات مشابهة بتلك التي قامت بها الدكتورة آرنت، أعلمني فحسب وسوف أرتبها لهم'.[17] وأرسل كلوز أيضاً المادة إلى جوسيلسون، مذكراً إياه (وكأنه يحتاج إلى ذلك) أنه يمكن استخدام الوثائق مجاناً لكن 'يجب عدم كشف مصدرها'.

وبعد تعيين كلوز، بدا كأن المشكلات في الجمعية البريطانية قد حُلَّتْ مؤقتاً. ووافق توسكو فايفيل، محرر *تريبيون*، والعضو المهم في لجنة توجيه المنظمة، على 'الإبقاء على أمر مراقبة الترتيبات في لندن'. ولكن جوسيلسون كان لا يزال غير مقتنع. وتركت انتقادات هيو تريفور – روبر العلنية للمنظمة بعد تدشينها في برلين ظلالاً من الشبهة، وكان كثير من المفكرين البريطانيين مترددين في الارتباط مع منظمة اعتُبِرتْ أصولها غامضة. وكانت المشكلة هي أن كثيراً من المفكرين البريطانيين شاهدوا يد الحكومة الأمريكية تصل إلى فطيرتهم. وقال موظف في الجمعية البريطانية للحرية الثقافية: 'اعتدنا أن ننكت على ذلك، كنا ندعو أصدقاءنا إلى الغداء، وحين يبادرون إلى الدفع، كنا نقول: آه، لا، لا تقلقوا، إن دافعي الضرائب الأمريكيين سيدفعون!'[18] وكان هناك كثيرون لم يقتنعوا بعد أن مداهنات كهذه مرغوبة.

الفصل الثامن

هذا المهرجان الأمريكي

يا لإنفاق آيزنهاور السخي ...

إليزابيث بيشوب

في أوائل 1951، أرسل نابوكوف مذكرة سرية إلى إرفنغ براون تحمل خطة من أجل مهرجان رئيسي للفنون. وبلغة تتسم بالتشوش -لم ينجز نابوكوف مطلقاً سهولة أسلوبية وصحة نحوية في الإنكليزية المكتوبة الأمر الذي كان تلقائياً لدى جوسيلسون - شرح فيها أن هدفه سيكون هندسة 'التعاون الأول الوثيق في أوروبا بين المنظمات الفنية الأمريكية التي هي في المرتبة الأولى والمنظمات الأوروبية وتهيئة موطىء قدم للإنتاج الفني الأمريكي في *تكافؤ تام* مع الإنتاج الفني الأوروبي. وهذا كفيل بأن يحدث تأثيراً واسعاً ومفيداً في الحياة الثقافية للعالم الحر من خلال إظهار التضامن الثقافي والتبادل في الحضارة الأوروبية والأمريكية. وإذا نجح هذا فسيساعد في تحطيم الأسطورة الأوروبية المشوهة - التي صقلها الستالينيون بشكل ناجح - حول التدني الثقافي الأمريكي. وسيمثل تحدياً في ثقافة العالم الحر لغياب الثقافة في العالم الكلياني، ومصدر شجاعة 'وإصلاح أخلاقي' وخاصة للمفكرين الفرنسيين، ذلك أنه سيمنح ثانية نوعاً من الإحساس والهدف للحياة الثقافية المزعزعة والمتفككة في فرنسا وبقية أوروبا'.[1]

كان رد فعل براون على الفكرة متردداً مثل رد فعل جوسيلسون، ودي نوفيل، ولاسكي. وكان على نابوكوف أن يستجمع قوى إقناعه كلها ليحصل على الموافقة - وعلى كميات ضخمة من النقود - من أجل 'مهرجانه - الحلم'. كان لاسكي مستاء من نابوكوف دوماً، ووصفه، باحتقار، بأنه 'غندور الثورة. إن أشخاصاً مثل نيكي (نابوكوف) متيمون بالألعاب النارية وحفيف ملابس النساء الحريرية والمرح الصاخب'. أما لاسكي، إيديولوجي السيتي كوليج، فقد عانى من مشكلة في قبول بوهيمية نابوكوف الأرستقراطية الفريدة. ولكن، رغم ذلك، اضطر إلى التسليم بأن خطة نابوكوف 'لإدخال لمسة توهج، وإثارة، ودعاية، وألعاب نارية، ومهرجان ثلاثاء المرفع، أو أي شيء، لزيادة عدد الجمهور وإظهار أنكم لستم مجرد مفكرين متجهمين ترتدون النظارات وتضعون أنوفكم على حجر الرحى الإيديولوجي، وإنما بشر يحبون الجمال والتسلية'، يمكن أن تؤدي إلى 'نتائج إيجابية'.[2]

وفي قسم المنظمات الدولية كان توم برادن متحمساً. أما زعم نابوكوف بأنه 'ليس هناك جدل إيديولوجي حول صلاحية ومعنى ثقافتنا يمكن أن يساوي منتجات هذه الثقافة نفسها'، فقد لاقى قبولاً من برادن، الذي كان قد شاهد مؤخراً مسرحية عُرِضَتْ في وارسو برعاية وزارة الخارجية، ووجد أنها مقيتة، مثل معظم متاعهم. فهي لن تؤثر بأحد في واترلو، ومينيسوتا، هذا إذا تجاوزنا ذكر باريس. وكان من المفترض أن وزارة الخارجية لا تميز مؤخرتها عن حفرة في الطريق. وكان العاملون فيها يجهلون المسألة، لم يعرفوا كيف يستخدمون ما لديهم، وكان كل ما فعلوه من الدرجة الثالثة أو الرابعة'[4]. كانت إدانة المبادرات الثقافية لوزارة الخارجية مبررة إذا استثنينا بعض العروض مثل عرض فرانك لويد رايت الذي تجول في أوروبا في 1951 و1952. من هو الذي سيتأثر بما يعرض في النوافذ والمخصص للاحتفاء بطريقة الحياة الأمريكية والذي شمل معرضاً حول 'صناعة النايلون في الولايات المتحدة'؟ وهل كانت 'بساطة وسحر أسلوب' مغني الحجرة من كلية سميث 'بظهورهم الطري والمبهج في أردية بيضاء' كافياً لإقناع الجمهور الفرنسي أن مركز الثقافة انتقل إلى أمريكا؟' – سأل توم برادن. وأضاف: 'إنني أزدري هذا وأراه كهراء. إذا أردت أن تقوم بالأمر فينبغي أن تحضر الأفضل. كنت أنا وآلن نعرف بشكل أفضل. كنا نعرف. كنا نعرف شيئاً ما عن الفن والموسيقى، أما الخارجية فلا تعرف'.[6]

اقتطع برادن أيضاً مقالة من *نيويورك تايمز* تنتقد ازدراء أمريكا الغبي لـ 'الهجوم الثقافي'، وتشير إلى أن الاتحاد السوفياتي صرف على الدعاية الثقافية في فرنسا وحدها أكثر مما صرفت الولايات المتحدة في العالم كله. كانت أمريكا تحتاج إلى شيء ما كبير ومبهرج كي تقوم بتدخل حاسم في النزاع الثقافي. وكانت خطة نابوكوف تعد بذلك. وفي نهاية نيسان 1951، أمَّن برادن موافقة على المهرجان في اجتماع هيئة سي آي إي لمراجعة المشروع.

في الخامس عشر من أيار 1951 أصدرت اللجنة التنفيذية للمنظمة من أجل الحرية الثقافية توجيهات إلى نابوكوف، الأمين عام للأمانة الدولية، كي يدفع بالخطة إلى الأمام. وعلى الفور اشترى نابوكوف بطاقة طائرة من الدرجة الأولى للسفر إلى الولايات المتحدة، معرجاً أولاً على هوليود كي يزور صديقه القديم إيغور سترافينسكي. وكان سترافينسكي (مثل شوينبرغ وتوماس مان، ولبرهة برتولت بريخت) أحد 'آلهة الثقافة العالية الذين غادروا أوروبا كي يعيشوا، متسترين تقريباً، بين أشجار الليمون، وفتيان الشاطئ، والنيو – باوهاوس وسندويش لحم البقر – الهامبرغر – الفنتازي في جنوب كاليفورنيا.[7] وفي ذلك المحيط غير المناسب، حيّا سترافينسكي صديقه الروسي الأبيض ووعد بأن يظهر في المهرجان. ومكث نابوكوف طويلاً بما يكفي في تينسيلتاون كي يقحم نفسه في لقاء مع خوسيه فيرير، الذي أثارته جداً خطط نابوكوف بحيث كتب فيما بعد يطلب منه العودة إلى هوليود، بما أن هناك الكثير من المال لتعزيز الصناديق، وأنه هو، فيرير، سيفعل كل ما بوسعه كي يقدم المساعدة.

وبعد جولة كالزوبعة في أمريكا، عاد نابوكوف إلى أوروبا بقبضة من العقود والوعود للظهور في المهرجان، الذي حدد موعده في نيسان 1952. وسُجِّلَ في برنامج نابوكوف أعمال أو حضور

إيغور سترافينسكي، وليونتين برايس، وآرون كوبلاند، وصاموبل باربر، وباليه نيويورك سيتي، وفرقة بوسطن السيمفونية، ومتحف الفن الحديث في نيويورك، وجيمس ت. فاريل، ودبليو. إتش أودن، وجرترود شتاين، وفيرجيل تومسون، وآلن تيت، وجلينوي ويستكوت. وحين عاد إلى أوروبا كان قادراً في الحال على إعلان أن برنامجه يشمل أيضاً جان كوكتو، وكلود ديبوسي، وويليم والتون، ولورنس أوليفييه، وبنجامين بريتن، وأوبرا فيينا، وأوبرا كفينت جاردن، وفرقة البالانشين، وتشيسواف ميوش، وإغنازيو سيلوني، ودينيس دو روجمو، وأندريه مالرو، وسلفادور دي مادارياجا، وجيدو بيوفيني.

وبشكل غير مفاجئ، وبسبب موهبة نابوكوف كموسيقار، بدأ قسم الموسيقى يبزغ كأهم جزء في المهرجان. وهنا، نوى نابوكوف أن يجابه موسيقاراً بموسيقار، الستالينية في الفنون. اقترح قائلاً: 'إن المعنى السياسي، والثقافي، والأخلاقي للمهرجان وبرنامجه يجب ألا يكون علنياً. يجب أن يُترك للجمهور كي يقوم باستنتاجاته المنطقية المحتومة. وعملياً تنتمي جميع الأعمال التي ستُقدم إلى الفئة التي وصمها الستالينيون وعلماء الجمال السوفيات بأنها 'شكلانية، ومنحطة، وفاسدة'، وبينها أعمال الموسيقيين الروس (بروكوفييف، شوستاكوفيتش (كذا)، سكريابيني وسترونسكي (كذا)'.[8] إن المشهد الذي تم في ولدورف، حيث تحدى نابوكوف شوستاكوفييتش كي يشجب اعتداء الستالينية على الموسيقى، رُتِّبَ الآن كي ينجز تصعيده.

وجسَّدتْ خطط نابوكوف، المتسمة بالمبالغة، التحدي الجدي الأول لآلة الدعاية الثقافية المولودة حديثاً، والتابعة للسي آي إي. وفي الواقع كان يجب اختبار المهارات التنظيمية والقوى المؤمنة للتمويل في قسم المنظمات الدولية، الناشئ، الذي يرأسه برادن. فُتح حساب المهرجان' في نيويورك، وعملت اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية كغاسلة لأموال السي آي إي ووزارة الخارجية. ومُرِّرَتْ الأموال عبر مؤسسة فارفيلد، وهي واجهة زائفة أو معبر صنعته السي آي إي من أجل التعامل مع تدفق النقد للمهرجان، ولكنها التي استبقيتْ فيما بعد كقناة رئيسية لإعانات الوكالة المالية للمنظمة بسبب فائدتها. وتم تأمين الدعم المالي للدور البريطاني في المهرجان من خلال المفاوضات مع قسم بحث المعلومات و ودرو وايات الذي وعد بأن يؤمن نقوداً إضافية بما أنه 'صديق شخصي لأمين خزانة الدولة السيد غيتسكيل'.

وكان قسم المنظمات الدولية الذي يرأسه برادن متورطاً بشكل مباشر في التفاوض من أجل فرقة بوسطن السيمفونية. وكان نابوكوف قد ضمن سابقاً اهتمام صديقه القديم تشارلز منش، المدير الفني للفرقة. لكن كانت هناك مشكلات. ذلك أن نفقات سفر الفرقة وحدها ضخمة بحسب نابوكوف. واصطدم المهرجان كذلك بموسم البوبز المربح، مما عنى أن الفرقة ستواجه مشكلة احتمال خسارة العوائد. لكن برادن لم يكن مهيئاً لخسارة ما اعتبرت على نطاق واسع بأنها أفضل فرقة سيمفونية في أمريكا. وهكذا لجأ إلى تشارلز دوغلاس جاكسون، وهو من محاربي الحرب الباردة المتحمسين، والذي ترك *تايم لايف* كي يعمل في حملة آيزنهاور الانتخابية وكان يعرف بـ 'سي دي'، وكان أيضاً وصياً على فرقة بوسطن السيمفونية. وسوية مع

جوليوس فليسشمان، رئيس مؤسسة فارفيلد المزيفة و'ملاك' القائمين بالمهرجان، دعا سي دي،' رسمياً الفرقة كي تعزف في الاحتفال. وبهذا كانوا يعملون رسمياً للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. لكنهم كانوا يمثلون، بشكل غير رسمي، السي آي إي، التي تعهدت مسبقاً بدفع مبلغ مائة وثلاثين ألف دولار (سُجِّلَ كتبرع من 'أفراد ومؤسسات بارزة') من أجل كلفة الرحلة. وهكذا ضُمِنَتْ مشاركة الفرقة.

وفي الأول من نيسان 1952، افتتح مهرجان روائع القرن العشرين في باريس بأداء لـ 'طقس الربيع' قدمته فرقة بوسطن السيفمونية، بقيادة بيير مونتو Pierre Monteux، المايسترو نفسه الذي أدارها قبل تسعة وثلاثين عاماً. كان حدثاً متوهجاً، مع سترافينسكي، وإلى جانبه الرئيس الفرنسي فنسنت أوريول والسيدة أوريول، بين الحضور. وفي الأيام الثلاثين التالية، أمطرت المنظمة من أجل الحرية الثقافية باريس بمائة سيمفونية، وكونشيرتات، وأوبرات، وأعمال باليه لأكثر من سبعين موسيقياً من القرن العشرين. قدمت أعمالاً لتسع فرق موسيقية، بينها فرقة بوسطن السيمفونية، والفرقة الفيلاهارمونية الفيينية، وفرقة راياس من برلين الغربية (التي مولتها أموال مشروع مارشال المتممة)، وفرقة Romande السويسرية من جنيف، وفرقة سانتا سيسليا من روما، والإذاعة الفرنسية الوطنية. وكان على رأس الفاتورة الموسيقيون الذين حظرهم هتلر أو ستالين (بعضهم، مثل آلبان بيرج، امتلك شرف أنه حُظِرَ من قبل الاثنين). وكان هناك أداء لأعمال الموسيقي المولود في النمسا أرنولد شوينبرغ الذي أبعد من ألمانيا في 1933 لأنه يهودي ومؤلف 'موسيقى منحطة'. وشُخِّصَ من قبل 'نقاد' الموسيقى الروس بأنه 'معاد للجمال، والتناسق، وفوضوي، وفارغ'، وكان هناك لاجئ آخر من ألمانيا النازية هو بول هنديميث، الذي مقته الستالينيون لأنه استهل مدرسة كاملة 'من المجاورات اللحنية - الطباقية - الغرافيكية الخطية والزائفة، اتبّعها، بشكل خانع، كثير من الحداثيين الزائفين في أوروبا وأمريكا، وكلود ديبوسي، الذي سمح لـ 'أزهار شر الحداثة' أن تنمو في ظل 'شجرته التعبيرية' بحسب مجلة *Sovietskaya Muzyka*.

ومن الأعمال التي اختيرت لتمثيل 'صلاحية الجهد الإبداعي لقرننا' أعمالٌ لصامويل باربر، ووليام والتون، وجوستاف ماهلر، وإريك ساتي، وهيتور فيلا - لوبوس، وإلدبراندو بيزيتي، وفيتوريو رييتي، وجيانفرانكو ماليبيرو، وجورج أوريك (ذُكروا مع داريوس ميلهود في *Sovietskaya Muzyka* بأنهم 'عبيدٌ مدغدغون للأذواق البرجوازية المتفسِّخة لمدينة رأسمالية')، وآرثر هونيجر، وجان فرانكي Jean Francaix، وهنري سوكيه Henry Sauguet، وفرانسيز بولينك وآرون كوبلاند (الذي اعتبر مع الطبيبين النفسيين فرويد وبورنيج، والفيلسوف برغسون، و'رجلي العصابات' ريموند مورتيمر وبرتراند رسل، مراجع مزيفة يجب ألا يشير إليها علماء الموسيقى والنقاد الروس مطلقاً). أما سترافينسكي الذي هرب من باريس في 1939، فقد أدار عمله الخاص، *أوديبوس ريكس*، الذي أعد له جان كوكتو خشبة المسرح وأخرج الرقص.وطلبت اللجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية في الدقيقة الأخيرة إخراج كوكتو من برنامج المهرجان، مرسلة برقية إلى نابوكوف في التاسع من نيسان 1952 تخبره أنها علمت للتو أن كوكتو

'وقّع الوثيقة الملهمة من الشيوعية والتي تحتج ضد إعدام الجواسيس الروس في اليونان. وهذا تم بإلهام من الشيوعيين،كما هو واضح، لذا نشعر هنا أنه يجب طرده من برنامج العرض'. لكنه لم يُطْرَد.

ودفعت وزارة الخارجية لتعديل فيرجيل تومسون لمسرحية جرترود شتاين *أربعة قديسين في ثلاثة فصول*، والتي مثلت فيها ليونتين برايس. وتباهى نابوكوف فيما بعد أمام آرثر شليسنغر: 'لقد أطلقتُ عملها وبسبب هذا كانت دائماً ترغب بأن تفعل أموراً من أجلي لاتطيق أن تفعلها لأي شخص آخر'. وبشكل مثير للفضول، زعمت شقيقة فرانك ويزنر، إليزابيث، أيضاً، بأنها اكتشفت ودعمت برايس، التي سمّت نفسها 'شقيقة الشوكولاتة' لويزنر وزوجته. وقدمت ليونتين برايس، إحدى أعظم صاحبات الصوت الندي في زمنها، الفائدة الأخرى – لرعاتها على الأقل – بأنها سوداء. وفي الخامس عشر من تشرين الثاني 1951، كتب ألبيرت دونيللي جي آر، الذي ظهر فجأة في اللجنة الأمريكية كأمين للمهرجان (واختفى حالما انتهى المهرجان)، إلى جوليوس فليسشمان: 'كان هنا ذكر بين الأصدقاء المهتمين لمغنية زنجية معيّنة، ليونتين (كذا) برايس، التي كانت، كما أعتقد، تحت حماية السيد نابوكوف. من المفترض أنها ممتازة. هل بوسعك أن تستطلع من نابوكوف إذا كان ينبغي أن نحاول إحضارها من أجل مسرحية *القديسين الأربعة*؟ لم أناقش ذلك بعد مع فيرجيل تومسون. هناك أيضاً شعور قويٌّ بأنه، ولأسباب نفسية، يجب أن يكون جميع ممثلي مسرحية *القديسين الأربعة* زنوجاً أمريكيين: وذلك من أجل مجابهة دعاية 'السلالة المقموعة' وإحباط جميع الانتقادات التي تقول بأن علينا أن نستخدم زنوجاً أجانب لأننا لن نترك زنوجنا 'يخرجون'.'[9]

ورعى معرض الفن والنحت جيمس جونسون سويني، الناقد الفني، والمدير السابق لمتحف نيويورك للفن الحديث، الذي تم التعاقد معه لتنظيم المعرض. واختيرت أعمال لماتيس، وديرين، وسيزان، وسورا، وشاغال، وكاندينسكي ومعلمين آخرين ينتمون إلى الحداثة الأولى للقرن العشرين من مجموعات أمريكية وشُحِنَتْ إلى أوروبا في الثامن عشر من نيسان على متن ما سميِّتْ بشكل ملائم إس إس ليبرتي. ولم تجد نشرة سويني الصحفية حرجاً في إبراز القيمة الدعائية للمعرض: بما أن الأعمال أُبدعتْ 'في أراض كثيرة في ظروف عالم حر'، فستتحدث بنفسها 'عن رغبة الفنانين المعاصرين بالحياة والعمل في جو من الحرية. وفي العرض ستظهر روائع لا يمكن أن تبدع أو يسمح بعرضها في ظل نظامين كليانيين مثل ألمانيا النازية والاتحاد السوفياتي الحالي وتوابعه، كما أظهرت تلك الحكومات التي تدعو كثيراً من اللوحات أو المنحوتات المعنية 'منحطة أو برجوازية'.[10]

كان هذا نوعاً من الفن المنحط Entartekunst المعكوس، الذي كان فيه الفن 'الرسمي' للعالم الحر أي شيء أحب الكليانيون أن يكرهوه. ورغم أنها كانت روائع أوروبية، إلا أن الحقيقة التي مفادها بأن جميع أعمال المعرض يمتلكها الجامعون الأمريكيون والمتاحف الأمريكية، أرسلت رسالة أخرى واضحة: 'إن الحداثة مدينة ببقائها – ومستقبلها – لأمريكا'. وحقق العرض الفني نجاحاً شعبياً كبيراً – رغم نقد هربرت ريد له بأنه كان استعادياً جداً، وقُدِّم فن القرن العشرين

كأمر واقع، بوصفه فترة مغلقة – وجذب أكبر عدد من الحضور أكثر من أي معرض تم منذ الحرب بحسب ألفرد بار، مدير متحف الفن الحديث.

وكان جوليوس فلايشمان، المليونير المتعدد الملايين، المشهور ببخله في محيطه الطبيعي، يمنح أموال السي آي إي، وحظيَ بالسمعة الحسنة والجدارة كلها من أجل ذلك. 'فإسهامه بما يزيد عن سبعة آلاف دولار مكَّن من نقل المعرض الفني إلى التيت the Tate، ونال الشكر المبالغ به لمجلس الفنون في بريطانيا العظمى، الذي أفاد أنه كان 'نجاحاً باهراً. شاهده أكثر من خمسة وعشرين ألف زائر وتلقى تغطية صحفية ممتازة'.

كانت المساجلات الأدبية مختلطة. فقد ظهر على المنصة آلن تيت، وروجر غايلوا، ويوجينيو مونتالي، وجيدو بيوفيني، وجيمس ت. فاريل، وجلينوي ويستكوت، ووليم فوكنر، ودبليو إتش أودن، وتشيسواف ميوش، وإغنازيو سيلوني، ودينس دو روجمو، وأندريه مالرو، وسلفادور دي مادارياجا وستيفن سبيندر. كان رد فعل الصحافة فاتراً. واكتشف النقاد تفاوتاً بين عيار كتاب الدرجة الأولى والكتاب العاديين، وأضجرتهم الكلمات الطويلة والمملة. وأصغى صحافي من *كاريفور* Carrefour – متعاطف لكونه يسارياً ومضاداً للستالينية – إلى ستيفن سبيندر لكنه لم يلاحظ إلا 'لون بشرته الذي كالآجر'، و 'كومة الشعر التي تشير نحو اللانهاية'. وقُيِّمَ بأنه 'الأفضل حتى الآن... متزن، وواضح، ويطرح بمهارة مشكلة المؤلف في المجتمع'. لكن جيدو بيوفيني ألقى خطاباً 'متصلباً كياقته. من الصعب فهمه، يجعلك فجأة تتوقف عن الإصغاء... وعلى الباب أخبرني صحافي إيطالي أنه غادر لأنه شعر بالملل. 'المؤلفون يجب أن يكتبوا' – قال. شعرت أن هذه حقيقة جوهرية أخرى'.[11] وقال ناقد آخر، متأسفاً على غياب ألبير كامو وجان بول سارتر: إن المفكرين الفرنسيين الآخرين الحاضرين وهم ريمون آرون، أندريه مالرو، ريني تافيرنييه جول مونريه وروجر نيميير، وكلود مورياك، وجان أمروش، يمتلكون جميعهم الأفكار السياسية نفسها وهذا يعني أن الأجانب الذين يصغون إليهم سيتلقون فكرة مزيفة عن مفهوماتنا الجمالية والأخلاقية'.

رفض سارتر حضور المهرجان معلقاً بنبرة جافة أنه 'ليس معادياً للشيوعية إلى هذا الحد. ولو كان هناك، لكان من المحتمل أن يشعر، مثل بطله في رواية *الغثيان*، أنه 'وحيد وسط هذه الأصوات السعيدة والمعقولة. فجميع هذه الشخصيات تمضي وقتها في شرح نفسها، وتعرف، بسعادة، أنها تعتنق الآراء نفسها'. وفي رواية *الموظفون الكبار*، التي تتحدث عن شخصيات حقيقية، وصفت سيمون دو بوفوار الملل نفسه: 'دائماً الوجوه نفسها، المحيط نفسه، الأحاديث ذاتها، المشكلات ذاتها. وكلما تغيَّرتْ، كررت نفسها. وفي النهاية تشعر وكأنك تموت في الحياة'.

في البداية كان هناك *الإله الذي فشل*. والآن، على ما يبدو، عثر هذا الحشد المجتمع على إله لا يفشل: إله معاداة الشيوعية. وبالتأكيد، لم تستطع وجودية سارتر الأنانية، وغير الجمعية، أن تقدم شيئاً لأولئك المبلِّغين، الذين تصوروا ثقافة تقدمية اجماعية. وافترضوا مسبقاً علاقة إيجابية بين المفكر وذلك القسم من المجتمع – السياسي والخاص – الذي يدعمه. وكان سارتر

هو العدو، ليس بسبب موقفه من الشيوعية فحسب، بل لأنه بشّر بعقيدة فردية (أو عقيدة مضادة) تعادي مجتمع 'إنسان الأسرة' الفيدرالي، الذي كانت أمريكا تبشر به من خلال منظمات مثل المنظمة من أجل الحرية الثقافية. (وبالمناسبة وجد الاتحاد السوفياتي سارتر غير ملائم أيضاً، ووسم الوجودية بأنها 'تلفيق عفنٌ ومسبِّبٌ للغثيان'.

كان الأمريكيون سعداء جداً لوجودهم في باريس. أما إليزابيث هاردويك وروبرت لويل، اللذان كانا في أوروبا في ذلك الوقت، 'فلم يستطيعا مقاومة المجيء إلى المهرجان'، وقالا إن جميع الذين كانوا هناك بدوا كأنهم يمضون 'وقتاً مدهشاً'. أما جانيت فلانر، التي كانت تكتب باسم جينيه لمجلة ذ *نيويوركر*، فقد خصصتْ كل 'رسالتها من باريس في أيار 1952، للمهرجان وقالت فيها: 'لقد سفح المهرجان غالونات مذهلة من حبر الصحف الفرنسية، وبدد عواصف مثلها من النَّفَس الفرانكو – أمريكي الجدلي، وقدم، في المجمل، كثيراً من المتعة للعين والأذن بحيث يمكن أن يُدعى، بشكل آمن، وبإعجاب، خيبة شعبية كبيرة'.[12] ومثل معظم المراجعين الآخرين، وُجِدَتْ المؤتمرات الأدبية 'بليدة'. أما فوكنر 'الذي لم يتفوه بأي شيء سوى بعض الكلمات غير المتماسكة بشكل مخيب للأمل'، فقد كان غير قادر على العثور على أي شيء ذكي يقوله حول 'الموضوعات السخيفة'، التي وضعتها لجنة المنظمة، مثل 'العزلة والتواصل' أو 'التمرد والمشاركة'. إن الفرنسي الوحيد 'الذي امتلك صفة أدبية' ووافق على الظهور، هو ملازم أول الجنرال ديغول، أندريه مالرو، الذي قال فحسب: 'إن أمريكا هي الآن جزء من أوروبا'.[13]

أصبح Cette fete americaine– هذا المهرجان الأمريكي – موضوع محادثة فرنسية حارة جداً على مائدة العشاء. أما اليومية اليسارية غير الشيوعية *كومبات Combat*، فقد نشرت سلسلة لجاي دومور، الذي اختتم قائلاً: 'وبشكل مشوش، فإن هذه التسلية الثقافية مرتبطة بتوقيع معاهدة من أجل جيش أوروبي، وبتقرير الأميرال فيشتيلير Fechteler [إشارة إلى تقرير، من المحتمل أنه زائف، كان من المفترض أن الأميرال نصح فيه مجلس الأمن القومي بحتمية الحرب في 1961). وسواء أكان ذلك حقيقياً أو مزيفاً، فقد غذّى الميثولوجيا المعادية لأمريكا وأجج من جديد خوف أوروبا. وهذا المزيج المزعج من الشوفينية وعقدة النقص فيما يتعلق بأمريكا – والذي لا يعرف عنه الفرنسيون إلا القليل – ... عثر، بشكل غريب ولكن قابل للشرح، على مخرج له في شجب هذا العرض لفنون أوروبا، التي رغب الأمريكيون أن يقدموا لها الثناء ولو بشكل مشوش نوعاً ما'.[14]

لكن موضوعاً آخر ظهر في *كومبات* سخر من 'مهرجان الناتو' وشكا من 'التقديم الصاخب لهذه الوقائع'، التي 'أغفلتْ موسيقيين فرنسيين من بين الأفضل، ربما لأنه لم يُسمَع بهم في ألاباما وإيداهو... لكننا سنهزم كبرياءنا القومية إذا لم يكن هناك هدف خاص جداً يختبئ وراء المغامرة كلها. لا تحتاج الحرية والثقافة إلى أن تُعرِّفهما منظمة، ذلك أنهما لا تتحملان قيداً أو رأياً مسبقاً، أو رعاية... من ناحيتنا، لا نستطيع في هذه الصحيفة، حيث كلمتا 'حرية' و'ثقافة' تُفهمان دوماً دون أية شبهة، سوى أن نستنكر الاستخدام الذي تم لهاتين الكلمتين في علاقته مع

تجليات هذا المهرجان. إن قيمة وأهمية هذه الوقائع لا تحتاج إلى مساعدة بارنوم Barnum ملهم، ولا إلى راية 'أطلنطية'.[15]

كان هدف نابوكوف الأساسي في إخفاء القيمة الدعائية للمهرجان قد فشل. وقالت جانيت فلانير إن هذا 'كان الجهد الدعائي الثقافي الأكبر ، الخاص أو الحكومي، منذ الحرب... وكانت بؤرة الدعاية هي معاداة الشيوعية'. وفي فرنسا متعبة من توظيف الثقافة لصالح التحيز المسبق، كان هناك استياء واسع من محاولة المنظمة تسخير روائع القرن العشرين لصالح جدول عمل سياسي. وفي رسالة مفتوحة إلى منظمي المؤتمر اتهم رئيس فرقة الباليه في أوبرا باريس، المشهور بإدمانه، سيرج ليفار، المنظمة بأنها تقوم 'بحملة 'لا معنى لها البتة' في فرنسا 'ضد إخضاع ثقافي ممكن ولا يمكن التنبؤ به (من قبل الشيوعية)'. وأكد ليفار،الذي نسي على ما يبدو حكومة فيشي، أن 'فرنسا هي البلاد الوحيدة حيث 'التدجين الروحي غير وارد. وإذا فكر المرء بصراع فرنسا الطويل في الماضي من أجل حرية الفكر والاستقلال الفردي فإنه لن يفهم كيف تتجرؤون على المجيء إلى هنا، وتتحدثون عن الحرية، وتنتقدون أنشطتنا الفكرية. أيها السادة الأعزاء، لقد ارتكبتم خطأ فادحاً: من وجهة نظر الروح، والحضارة، والثقافة، لا يتوجب على فرنسا أن تسأل رأي أحد، إنها من يقدم النصيحة للآخرين'.[16]

وشككت الصحيفة الفرنسية اليومية اليسارية *فرانك تيرور* بحق ليفار في التحدث كمدافع عن فرنسا ' فهو غير كفؤ كي يدعم قضيتها، لأن خدمة الفن متساوقة مع الإخلاص لقضية الحرية والكرامة الإنسانية، وخاصة في وقت تضطهد فيه هذه القضايا كما حدث أثناء الاحتلال النازي والذي لم يمنع السيد ليفار من الرقص. تابعت المقالة: 'من فضلك دعنا ننسى السياسة أو الدعاية. فالعالم الحر الذي يسمح للروح أن تنطلق في أي مكان لم يفسح بعد مجالاً للغموض الكريه الذي يضع العقول الخلاقة، في حقول الفن أو العلم، في خدمة الدولة أو الرئيس ... إن جناحي الحرية لم يقصا بعد'.[17]

وبدا كأن صحيفة *فرانك تيرور* صحت من 'المعاداة لأمريكا التي بالكاد خبئت' في السنوات القليلة الماضية، ودعمت المهرجان بإخلاص. وكان يحررها آنذاك جورج ألتمان، وهو عضو في لجنة توجيه المنظمة. وكانت فيغارو ليتيرير مؤيدة كذلك، ومدحت المهرجان قائلة 'إنه برهان كبير على النشاط الفني غير المتحيِّز'. وهذا لم يكن مفاجئاً أيضاً لأن رئيس تحرير الصحيفة هو موريس نويل، صديق ريمون آرون، الذي عرّفه بدوره على المنظمة. وكانت الصحيفة الرئيسة، *لو فيغارو* قد وقفت كذلك على نحوٍ وثيق مع المنظمة، من خلال المكاتب الجيدة للسيد بريسون، رئيس التحرير، والذي حاول نابوكوف مصادقته بصعوبة أثناء جلسات غداء طويلة.

تعرضتْ المنظمة لهجوم شامل من الصحافة الشيوعية. هاجمت *لومانيتيه L'Humanité* المهرجان قائلة إنه جزء من مخطط شرير يهدف إلى 'تسهيل احتلال الولايات المتحدة الإيديولوجي لبلادنا، وصبغ العقول الفرنسية بأفكار حربية وفاشية، سيسمح قبولها بتطويع المفكرين الفرنسيين في 'جيش ثقافي'، لتدعيم الجيش الأوروبي... وتصبح التبادلات الثقافية

للأمريكيين وسيلة... لتعزيز برامج الاختراق، والتجسس والدعاية التي وضعها برنهام وأقرها الكونغرس الأمريكي، من خلال ما يدعي بـ 'اعتمادات الأمن'... إنّ تصريح هنري لوس الشهير بأن 'القرن العشرين، يجب أن يصبح، إلى حد كبير، قرناً أمريكياً'، يمنحنا المعنى الحقيقي لهذه المغامرة التي تدعى 'مهرجان القرن العشرين'.[18] 'فالولايات المتحدة تلعب في هذه الأيام الدور الذي لعبته روما مرة مع اليونان. لم يعد الأباطرة الجدد أباطرة أو رؤساء: إنهم صرافون أو صانعو سيارات' كما قالت مقالة في *كومبات*.

وقالت ديانا جوسيلسون إن باريس تلك الفترة كانت طافحة بالعداء لأمريكا. كانت عقلية 'اذهبوا إلى وطنكم أيها اليانكيون' منتشرة في كل مكان، ولم يكن الناس الذين يلتقي بهم المرء في الحقيقة مثل ذلك، ولكن كانت لديهم فكرة بأن الأمريكي النموذجي فظٌّ. وكان كثيرٌ من الأمريكيين يتضايقون من هذه الاستجابة غير الحسنة على سخائهم. واعترف سي دي جاكسون: 'أستطيع أن أتضايق تماماً من الأوروبيين لو سمحت لنفسي بذلك. كيف يقول الأوروبيون: اذهبوا إلى وطنكم أيها الأمريكيون! من زاوية واحدة في أفواههم، بينما يقولون من الزاوية الأخرى: 'إذا غادرت فرقة واحدة التربة الأوروبية فهذه نهاية العالم! لقد بدا هذا الكلام سخيفاً بالنسبة لي، وهو لا يتماشى مع عقل أوروبا المشهور بمنطقه'.[19]

أدى مهرجان نابوكوف في النهاية 'إلى تشويه إضافي مؤلم في علاقات الدعاية الفرانكو – أمريكية المعقدة'.[20] إن دي نوفيل الذي لم يقتنع بتاتاً أن المهرجان فكرة جيدة، قال فيما بعد: 'بدا كأنه قصة غلاف مكلفة جداً. لكن واشنطن اقتنعت به، ودفعوا لنا النقود لأنهم اعتقدوا أنه فكرة عظيمة. كان تأثيره مثل تأثير كرة الثلج فحسب. هل شكل نجاحاً؟ حسناً، ما الذي كان يحاول فعله؟ هل نشر فكرة الحرية الثقافية؟ لا أعرف. لقد خدم هدفه كقصة غلاف، على ما أفترض. أعني أنه أظهر فلايشمان كراع لكل هذا المتاع. كان جهداً مختلطاً. أعتقد أنه كان واجهة عرض كبيرة لأشياء من الولايات المتحدة عُرِضَتْ بشكل تنافسي مع الثقافة الأوروبية، وتحمَّستْ واشنطن لذلك'.[21]

لم يتأثر ميلفن لاسكي بسحر المهرجان ولكنه شكا من أن 'فرقة بوسطن السيمفونية كلّفت رزمة'. وفي الحقيقة كانت الكلفة الكلية لإحضار الفرقة إلى أوروبا مئة وستة وستين ألفاً وثلاثمائة وتسعة وخمسين دولاراً وأربعة وثمانين سنتاً. وتابع لاسكي: لقد 'اعتقدت أن المهرجان تافه. فمن غير المهم أن يعرف الأجانب هل باستطاعة الأمريكيين أن يعزفوا الموسيقى أم لا. لم يكن الأمر كله أموالاً سهلة، لم تكن هناك كميات كبيرة من النقود، كما قال الناس. كانت قليلة. وهكذا فإن صرف مبالغ ضخمة على هذا النوع من الإثارة المشهدية لم يكن له معنى'.[22]

واختتمت ديانا جوسيلسون قائلة: 'كانت المعاداة لأمريكا قوية جداً في فرنسا آنذاك، وكان مهرجان نابوكوف مصمماً لمجابهة هذا الأمر. كان مثيراً. لكنه منح ثقلاً أكبر لفكرة أن أمريكا وراء المنظمة'.[23]

مع ذلك، كان للمهرجان نتيجتان ملموستان: أولاً، أطلق فرقة بوسطن السيمفونية كمؤشر على براعة أمريكا السيمفونية. فبعد ظهور الفرقة المنتصر في مهرجان باريس، سافرت إلى

معظم المدن الرئيسية في أوروبا، إلى لاهاي، وأمستردام، وبروكسل، وفرانكفورت، وبرلين، وستراسبورغ، وليون، و بوردو، ولندن. وأصبحت هذه القوة الماحقة للثقافة الأمريكية هي رد السي آي إي على قطارات دعاية العجائز.

وكتب سي دي جاكسون بإثارة عن 'النجاح والقبول الشاملين لفرقة بوسطن السيمفونية في جولتها الأوروبية... لم يكن عملاً سهل الإنجاز، ولكن من وجهة نظر القضية الكبرى، كان عملاً جوهرياً، وقدّم أكثر من تبرير للدم ، والعرق، والدموع. إن أحد المخاطر الكبيرة، إذا لم تكن الأكبر، التي تواجهها في أوروبا هي الرفض الأوروبي لأمريكا في مسائل غير الكوكاكولا، وأحواض الاستحمام والدبابات...إن إسهام فرقة بوسطن السيمفونية في هذه المجال الفكري والثقافي لا يمكن قياسه ولكنه ضخم'.[24] وكان برادن متحمساً بشكل مشابه، وتذكر فيما بعد 'المتعة الكبيرة التي شعرتُ بها حين كسبت فرقة بوسطن السيمفونية المزيد من التصفيق للولايات المتحدة في باريس أكثر مما كان يستطيع جون فوستر دلس أو دوايت آيزنهاور أن يكسباه بمائة خطبة'.[25]

وكان الإنجاز الثاني الإيجابي للمهرجان هو أنه أسس مؤسسة فارفيلد كداعم للمنظمة قابل للتصديق. وكان هذا يعني أن إرفنغ براون لم يعد يحتاج إلى توزيع العملة من مال الرشى الذي معه، وبدأ الآن يتراجع إلى الخلفية. أنشئت فارفيلد في الثلاثين من كانون الثاني 1952 'كمنظمة لا تهدف إلى جني فائدة'. ويقول بروشورها: إنها 'شُكِّلتْ من قبل مجموعة خاصة من الأشخاص الأمريكيين المهتمين بحفظ التراث الثقافي للعالم الحر، وتشجيع التوسع المستمر لتبادل المعرفة في حقول الفنون، والآداب، والعلوم. ومن أجل هذه الغاية، تقدم المؤسسة المساعدة المالية للمجموعات والمنظمات المنخرطة في شرح ونشر التقدم الثقافي الحديث، وللمجموعات التي يمكن أن تقدّم مشاريعها فائدة في الحقول الأدبية، والفنية أو العلمية كإسهامات هامة في تقدم الثقافة. وتقدم المؤسسة مساعدة للمنظمات التي تهدف برامجها إلى تقوية الروابط الثقافية التي تربط أمم العالم لتكشف لجميع الشعوب التي تشترك في تراث ثقافة حرة الأخطار الكامنة للكليانية على التطور الفكري والثقافي'.[26]

كان الرئيس الأول لـ 'فارفيلد'، ورجل الواجهة الوحيد للسي آي إي، هو جوليوس جنكي فلايشمان، المليونير الوريث لثروة ضخمة جناها من تجارة الجن والجعة، والذي كان يعيش في إنديان هيل، خارج سينسيناتي. وقد ساعد في تمويل مجلة ذَ نيويوركر، وكان مدير أوبرا ميتروبوليتان النيويوركية، وعضو الجمعية الملكية للفنون، في لندن، وعضو لجنة الاستشارة لكلية ييل للدراما، ومديراً لفرقة باليه دياجليف الروسية في مونت كارلو. Diaghlive's Ballet Russe de Monte Carlo، ولمؤسسة باليه نيويورك، وكان ممولاً لكثير من منتجات برودواي. أشار مايكل جوسيلسون إليه بأنه 'النصير الأمريكي السخي لعالم الثقافة'. ولقد جعلته ثروته الشخصية، ورعايته الفنية المتنوعة، الملاك المثالي الحائز على الصدقية من أجل رعاية السي آي إي للمنظمة من أجل الحرية الثقافية.

وفيما بعد وصف برادن جنكي بأنه أحد 'الأغنياء الكثيرين الذين أرادوا أن يخدموا الحكومة؛ ولقد حصلوا على قدر معين من احترام الذات بسبب ذلك. وقد جعلوهم يشعرون بأنهم مهمون لأنهم أدخلوا في هذه الحملة السرية لمحاربة الشيوعيين'.[27] وكان جنكي، العضو المرتبط بشكل كامل بمكتب تنسيق السياسة التابع لويزنر منذ أيامه الأولى، يرتاد ممرات الأكواخ المغبرة في واشنطن مول، وكان فخوراً بدوره كواجهة – في البداية من خلال مؤسسة فلايشمان – للأنشطة السرية. ولكن، أثناء الاضطراب الذي تبع تشكيل قسم المنظمات العالمية، عومل جنكي بازدراء. وقال برادن: 'إن المشكلة هي أنه أخذ الأمر على محمل الجد. بدأ يعتقد أنه مدير هذه الواجهات. كانوا يستخدمون اسمه فحسب، لكنه بدأ يصدق أن الأمر حقيقي. أذكر أنه بدأ يملي عليّ ما يريده. وأخبرني أنه يريد أن تفعل مؤسسته هذا، وليس ذاك. وكان هذا آخر ما أحتاج إليه... وفي النهاية، قدمنا له فارفيلد كنوع من البديل. ولكنها كانت واجهة فقط. وكل من كان رئيساً فيها كان اسماً فحسب، أما أولئك العجائز من نيويورك فكانوا جميعاً في مجلس الإدارة كي يقدموا لنا معروفاً فحسب'.[28]

وتابع توم برادن شرحه: 'كانت مؤسسة فارفيلد مؤسسة للسي آي إي وكان هناك كثير من المؤسسات على شاكلتها. استخدمنا أسماء المؤسسات لأهداف كثيرة لكن المؤسسة *لم توجد* إلا على الورق. كنا نذهب إلى شخص ما في نيويورك مشهور بغناه ونخبره أننا نريد أن نؤسس مؤسسة، ونشرح له ما نحاول فعله، ونعاهده على السرية فيقول إنه بالطبع سيفعل ذلك. ثم نطبع اسم المؤسسة وعنوانها على ورقة ونضع اسمه عليها، وهكذا تولد المؤسسة. كانت في الحقيقة أداة بسيطة جداً'.[29]

وكرئيس لمؤسسة فارفيلد، كان يمكن تقديم جنكي للأجانب، الذين يجهلون الأمر، بأنه الملاك الخاص للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. وتابعت ديانا جوسيلسون: 'كان جيداً الحصول على راعٍ للعرض، ولقد أحب دوره. لكن العلاقة به أصبحت عملاً روتينياً مضجراً، لأنها ألهت مايكل عن أمور أكثر أهمية فيما هو يقوم باستعراض كبير حتى يبدو تابعاً محترماً للراعي الكبير'.[30]

كان مدراء فارفيلد يجتمعون شهرياً في نيويورك حيث سيكون هناك عادة 'ضيف' من المنظمة: نابوكوف، جوسيلسون، أو مكيريدج. كانوا يصادقون على المدفوعات، ولا يطرحون أية أسئلة، ويؤدون ما دعاه مكيريدج بـ'الملهاة' كواجب وطني. كان هناك أيضاً لقاء مجلس سنوي، وصفته ديانا جوسيلسون بأنه 'مهزلة كبيرة، بالطبع. إن مايكل سيذهب، وكذلك جنكي. كانت العلاقة كلها هزلية، بطريقة ما، لأننا لعبناها بشكل مباشر فحسب. كان عليهم أن يمرروا مجموعة أفعال معدة سابقاً فحسب'.[31]

كان نابوكوف يعرف، بالتأكيد، إلى أية وكالة حكومية يدين بالنقود السخية التي تمتع بها مكتب باريس أثناء المهرجان العملاق لكونه أميناً عاماً للمنظمة. بعد سنوات، اعترف أمام جوسيلسون بأن 'الملكة جوليانا فلايشمان' لم تكن مقنعة مطلقاً. فكر دوماً بـ 'جنكي الثري' 'كقناة فقيرة'. ولكن نابوكوف لم يكن يعرف أي شيء رسمياً، وأكد (تماماً بشكل غير قابل

للتصديق) أن مسألة النقود لم تعبر ذهني للحظة واحدة وهذا ما يثير استغرابي. كان يجب، على الأرجح، أن تعبر، لأنه كان من الصعب تخيل نقابات العمال الأمريكية تُمَوِّل مهرجاناً للفنون الحديثة مكلفاً جداً وليس في أمريكا، بل في باريس، وفي جميع الأمكنة... ولم أتوقع حتى في أحلامي البدائية أن مهرجاني الحلمي سيتلقى دعماً من مؤسسة أمريكا التجسسية، ولم أعرف أن أجرة طيراني الممتع في الدرجة الأولى إلى باريس دفعتها السي آي إي من خلال الممثل الأوروبي لنقابة العمال، السيد براون الساحر. وعلى الفور، على الفور تماماً، استخدمت طاحونة التجسس نفسها مؤسسات تمرير لتضخ النقود لمجموعات مثل نقابتنا الثقافية، والكليات الأمريكية، والفرق الموسيقية اللاجئة، وأي شيء آخر'. [32]

هل كان نابوكوف فعلاً جاهلاً، لا يعي أنه كان عالقاً في خداع محكم؟ أو هل أصبح، مثل كثيرين من معاصريه، مثل شخصية غراهام غرين آلدين بيل، أمريكياً محافظاً آخر فحسب؟ 'لم يسمع حتى ما قلته، كان مستغرقاً مسبقاً في مآزق الديموقراطية ومسؤوليات الغرب. كان مصمماً – علمت ذلك على الفور – على القيام بفعل جيد، ليس في سبيل أي فرد، وإنما في سبيل بلاد، قارة، عالم. حسناً، لقد كان في محيطه الملائم كي يحسن العالم كله'. [33]

الفصل التاسع

الاتحاد المالي

"سيدي – فوق ماذا تحكم؟"

"فوق كل شيء"، قال الملك ببساطة رائعة.

الأمير الصغير، أنطوان دو سانت إكزوبيري

لم تأت الحرية الثقافية رخيصة. في السبع عشرة سنة التالية، ضخّت السي آي إي عشرات الملايين من الدولارات في المنظمة من أجل الحرية الثقافية والمشاريع المتعلقة بذلك. وبهذا النوع من الالتزام، كانت السي آي إي في النتيجة تعمل كوزارة ثقافة أمريكا.

وكانت الصفة المركزية لجهود الوكالة في تعبئة الثقافة كسلاح حرب باردة هي التنظيم المنهجي لشبكة من المجموعات 'السرية' أو 'الأصدقاء' في اتحاد مالي غير رسمي. كان ذلك عبارة عن تحالف عمل للمؤسسات الخيرية، وشركات التجارة ومؤسسات أخرى، وأفراد، عملوا يداً بيد مع السي آي إي كي يقدموا الغطاء، وقناة التمويل لبرامجها السرية في أوروبا الغربية. وفضلاً عن ذلك، فقد كان يمكن الاعتماد على هؤلاء الأصدقاء من أجل تلميع مصالح الحكومة في الداخل والخارج، بينما يظهرون بأنهم يعملون ذلك بمبادرة خاصة منهم فحسب. غير أن هؤلاء الأفراد الذي حافظوا على موقعهم 'السري' كانوا يعملون في الحقيقة كرأسماليين مغامرين للحرب الباردة أعدتهم السي آي إي.

كان الإلهام خلف هذا الاتحاد المالي هو آلن دلس، الذي بدأ يبني أسسه بعد الحرب، حين كان هو وشقيقه جون فوستر دلس شريكين في الشركة القانونية لسوليفان وكرومويل. وفي أيار 1949، ترأس آلن دلس تشكيل اللجنة القومية من أجل أوروبا حرة، وكانت هذه، ظاهرياً، مبادرة من 'مجموعة من المواطنين الأمريكيين الخاصين'، ولكنها، في الحقيقة، إحدى أكثر واجهات السي آي إي طموحاً. وأعلنت اللجنة التي تأسست في الحادي عشر من أيار 1949 في نيويورك هدف اللجنة القومية من أجل أوروبا حرة، والواقع أن الشركة المتحدة، 'ستستخدم المهارات الكثيرة، والمتعددة، للأوروبيين الشرقيين المنفيين، في تطوير برامج سوف تصارع، بنشاط، الهيمنة السوفياتية'.[1] ملتزمة 'بالإيمان بأن هذا الصراع يُمكن أن يحسم بقوة الأفكار بقدر ما يمكن أن يحسم بالوسائل المادية'، وسوف توسع نشاطها حالاً كي يشمل جميع مناطق الحرب الثقافية الباردة. أعلن وزير الخارجية دين أشيسون: 'إن وزارة الخارجية سعيدة جداً لرؤية

تشكيل هذه المجموعة. وهي تعتقد أن هدف هذه المنظمة ممتاز، وهي ترحب،بسعادة، بدخولها في هذا الميدان وتمنحها مصادقتها الحارة'.[2] وكانت هذه المباركة العلنية تهدف إلى تمويه الأصول الرسمية للجنة وإخفاء حقيقة أنها تعمل فقط على هوى السي آي إي، التي كانت تقدم لها تسعين بالمائة من الدعم المالي من خلال أموال دون وصل أو من خلال كفلاء. كانت هناك حقيقة أخرى محتجبة خلف مناصرة آشيسون. ورغم أن النظام الأساسي لتأسيس اللجنة احتوى على جملة ناقصة: 'لن يتضمن جزء من أنشطة الشركة القيام بالدعاية'، إلا أنها كانت مصممة على القيام بها بدقة وبشكل محدد.[3]

حين انتقل آلن دلس إلى السي آي إي في كانون الأول 1950، أصبح 'ضابط المهمة الأبيض الكبير' للجنة القومية من أجل أوروبا حرة، وعمل مع كارمل أوفي، الذي تنبأ بذلك في مكتب ويزنر لتنسيق السياسة قبل عام. تولى دلس مسؤولية تنظيم لجانه، ضامناً حصتها من الميزانية، ومصمماً استراتيجياتها. وفهم دلس، الذي كان من أوائل رواد المنظمات، أن نجاح برنامج أمريكا الخاص بالحرب الباردة يعتمد على 'قدرته على الظهور مستقلاً عن الحكومة، وعلى أن يبدو كأنه يمثل المعتقدات التلقائية لأفراد محبين للحرية'.[4] ومن أجل الظهور بهذا فحسب، خدمت اللجنة القومية من أجل أوروبا حرة كنموذج لعملية دمج لآلة السياسة الخارجية في فترة الحرب الباردة التي قادتها السي آي إي.

إن النقابات والنقابات الفرعية المتكاثرة، والهيئات الإدارية، والأوصياء، واللجنة القومية من أجل أوروبا حرة، تباهت بعضوية كانت تُقرأ مثل *دليل الأسماء المشهورة في أمريكا*. وكان الترابط الداخلي حيوياً، ومنح معنى جديداً لتعليق بول فاليري التهكمي بأن طموح الأوروبيين هو أن تحكمهم لجنة من الأمريكيين. كان هناك لوسيوس كلي، الذي، بسبب كونه مفوضاً أعلى في ألمانيا، أُعطى الضوء الأخضر لمجلة *دير مونات*، وجاردنر كاولز، رئيس مجموعة نشر كاولز، ووصي مؤسسة فارفيلد، وهنري فورد الثاني، رئيس جنرال موتورز، وأوفيتا كولب هوبي، أمينة متحف الفن الحديث، الذين سمحوا لعدة مؤسسات عائلية بأن تُستَخدم كقنوات للسي آي إي، وكاردينال الحرب الباردة، فرانسيس سبيلمان، وسي دي جاكسون، متطوع الحرب النفسية ومدير *تايم - لايف*، وجون سي هيوز، السفير الأمريكي إلى الناتو، وجنكي فلايشمان، وآرثر شليسنغر، وسيسيل ب. ديميل، وسبايروس سكوراس، وداريل زانوك، ودوايت د. آيزنهاور. وكان هناك رجال أعمال ومحامون، ودبلوماسيون ومدراء لمشروع مارشال، ومدراء إعلانات، وأقطاب إعلام، ومخرجون سينمائيون، وصحافيون، وأعضاء نقابات تجارية، وبالطبع، كثير من عملاء السي آي إي.

كان جميع أولئك الأشخاص على إطلاع على خفايا الأمور. وكان الشخص 'المطلع' بالنسبة للوكالة، 'رجلاً من عالمها، يعرف اللغة، وكلمات الشفرة، والعادات، ورموز التعرف. فأن تكون 'مطلعاً' فهذا يعني أنك تنتمي إلى النادي، أنك تتحدث اللغة،و تفهم الإشارات الرفيعة،وتعرف مصافحة الأخوة. أما 'غير المطلع' فهو في الخارج، في البرد، لا يعي ما يدور حوله، يجهل مفهومات النخبة التي ترشد دائرة الاستخبارات المغلقة'.[5] وقال عميل السي آي إي دونالد

جيمسون، متذكراً السهولة التي كان يورط بها زملاءه الأمريكيين في مشروعات سرية:'لم يكن هناك أحد في هذه البلاد تقريباً لا أستطيع الذهاب إليه في تلك الأيام وأقول إنني من السي آي إي وأود أن أسألك عن كذا وكذا، وعلى الأقل سأحصل على استقبال محترم ونقاش'.[6] كان عملاء السي آي إي نادراً ما يقرعون: كان الباب مفتوحاً أمامهم.

وبعد اثني عشر شهراً على تأسيسها، سرّعتْ هذه النواة المؤلفة من عملاء 'سريين' من نمو لجنة دلس من أجل أوروبا حرة – كما صارت معروفة – من ' بداياتها المترددة إلى برنامج واسع ومعرَّف بشكل جيِّد، بعمليات لها وزن هام جداً'. كانت 'أداة في اليد، ومؤسسة بشكل جيد' من أجل السعي إلى 'انتصار الأفكار'. ووصل عدد ملاكها إلى أربعمائة وثلاثة عشر شخصاً، كان 201 منهم أمريكيين، وكثير منهم من أصل أوروبي، وضمت مائتين واثني عشر أخصائياً منفياً من أوروبا الشرقية.[7] وكانت ميزانية سنتها الأولى لوحدها مليوناً وسبعمائة وثلاثة آلاف ومائتين وستة وستين دولاراً. ووضعت ميزانية منفصلة مؤلفة من عشرة ملايين دولار جانباً من أجل إذاعة أوروبا الحرة، التي تأسست في برلين في 1950 تحت رعاية اللجنة. وخلال بضع سنوات، امتلكت إذاعة أوروبا الحرة تسعاً وعشرين محطة تبث بست عشرة لغة مختلفة وتستخدم 'جميع خدع الخطابة المعروفة لدى شيشرون أو ديموستينيس في خطبها 'الفيليبية' ضد جميع الأفراد الذين يدعمون نظام ستالين'.[8] وكانت تلتمس أيضاً خدمات المخبرين خلف الستارة الحديدية، وتراقب البرامج الإذاعية الشيوعية، وتتولى تمويل محاضرات وكتابات معادية للشيوعية من المفكرين الغربيين، وتُوَزِّع 'أبحاثها' عالمياً على الباحثين والصحفيين (وبينهم أعضاء المنظمة من أجل الحرية الثقافية).

وكانت الذراع المأمونة لتمويل لجنة أوروبا الحرة هي الحملة من أجل الحرية، والتي كان الناطق الرئيسي باسمها، ووكيل دعايتها، ممثل شاب اسمه رونالد ريغان. وقد استخدمت الحملة من أجل الحرية لغسل الأموال من أجل دعم برنامج يديره بيل كيسي، مدير السي آي إي المستقبلي، سُمي لجنة اللاجئين الدولية في نيويورك، والتي نسقت، كما قيل، عملية التهريب السابق للنازيين من ألمانيا إلى الولايات المتحدة حيث كان من المتوقع أن يساعدوا الحكومة في صراعها ضد الشيوعية.

وأحكم دلس قبضته على اللجنة بتعيينه لضباط من السي آي إي في مناصب أساسية. وإذا ما طرأت مشكلة تحتاج إلى حل 'خارج القنوات' كان دلس يدعو إلى اجتماع مع مدراء اللجنة في نادي أو فندق في نيويورك. وقد سجّلت وثائق سرية للغاية سلسلة من لقاءات كهذه رتبها دلس في ناد كينكربوكر وفندق دريك (في هذه الحالة، في غرفة نوم محجوزة من أجل المناسبة. ما أكثر حملات الحرب الباردة التي شُنَّتْ من غرف النوم!!) وكانت تُعقد اجتماعات أخرى في مكاتب آلن دلس أو فرانك ويزنر في مقر وكالة الاستخبارات المركزية.

يقول راوي *موهبة همبولت*: 'كانت الولايات المتحدة عملية كبيرة، كبيرة جداً'. وعلق هنري كيسنجر على إخلاص النخبة في أمريكا وهي تزود مركب القرصنة هذا بالرجال قائلاً: 'إنه لمن الشرف الدائم لذلك الجيل من الأمريكيين أنه تولى مسؤوليات كهذه بطاقة، وخيال، ومهارة.

وبمساعدة أوروبا على إعادة البناء، والتشجيع على الوحدة الأوروبية، وصياغة مؤسسات التعاون الاقتصادي، وتوسيع حماية حلفائنا، وأنقذ بذلك إمكانية الحرية. فانفجار الإبداع هذا هو إحدى اللحظات المجيدة في التاريخ الأمريكي'.[9] أما هنري بريك، وهو ضابط مهمة من السي آي إيه غريب الأطوار، وخريج من مدرسة جروتون، فقد عبر عن ذلك بطريقة أخرى: 'من المؤكد، أنك إذا كنت في حرب حقيقية، فيجب أن تقاتل بقوة، والطبقات العليا تقاتل بشكل أكثر قوة. لأن لديها ما تفقده أكثر من غيرها'.

وحينما لم تكن طبقات بريك العليا تجتمع في أندية أو في غرف فندق، فإنها كانت تتصرف إلى التسلية بالتزام مشابه. كان ويزنر وزملاؤه النشيطون، والواثقون بأنفسهم، والثرثارون، يندفعون للاستمتاع بحفلة كما يندفعون لإنقاذ العالم من الشيوعية. كان ويزنر يحب تأدية رقصة تُدعى مشية السرطان. أما أنغلتون، المستهلك الأسطوري للمارتيني - وأحياناً لأي شيء يقع تحت يده - فقد اعتاد أن يرقص رقصاً حراً على ألحان إلفيس بريسلي في الحفلات، ملوحاً بيده بحماسة، وغالباً بنفسه. وكان موريس أولدفيلد، رئيس الإم آي سيكس، المعروف بـ 'سي'، يحب أن يرقص كذلك. تتذكرّ جانيت بارنز: 'كان موريس... يأتي إلى زيارتنا في رود آيلاند ويرقص تحت الأشجار في الليل'.[10] وبما أن العالم صار أكثر غرابة، 'والنموذج أكثر تعقيداً'، فقد كانت فترة حياتهم بالفعل 'فترة حياة مشتعلة في جميع اللحظات'.

كان يبدو مذهلاً أن رجالاً يحتفلون بهذه القوة ويشربون بإسراف يتابعون العمل في وظائفهم النهارية. لقد أجَّل سماسرة النظام العالمي الجديد لحظة التعب المنهك لأن المكاسب الموجودة كانت ضخمة جداً. وحين كانوا يعودون إلى مكاتبهم في اليوم التالي، يشغلون أنفسهم بالعثور على طرق جديدة لضمان استثماراتهم وتوسيع أرصدتهم. ويقول عميل الفعل السري وليم كولبي: 'لقد عثرنا بشكل عام على أمريكيين يوافقون على إيداع النقود في حسابهم ثم استخدامها للإسهام بالعمل بطرق متنوعة. إذا ذهبت إلى أية مؤسسة، أو شركة، أو أي شيء آخر أمريكي، وقلت: هل ستساعد وطنك من خلال تمرير هذه النقود؟ فسيلقون التحية ويقولون: بالتأكيد، يسرنا ذلك. من السهل تمرير النقود حول العالم للوصول إلى الهدف النهائي المرغوب. وكان ذلك يتماشى دائماً مع ما كنت أحياناً منخرطاً فيه، كنت أضع صرات من العملة المحلية في مؤخرة سيارتي ثم أقودها لأنقل النقود إلى سيارة شخص آخر'.[11]

أما الشركات والأفراد الأمريكيين الذين وافقوا على التعاون مع الوكالة بهذه الطريقة فقد عرفوا بـ 'القنوات الهادئة'. كان من الممكن تأسيس قنوات كهذه بعد أن يتم الاتصال بطريقة أخرى. تذكر لي ويليامز: 'كانت تجيء إلينا في غالب الأحيان مجموعات أمريكية سرية. لم نكن نذهب إليهم دوماً. كان هناك اشتراك في الهدف بدا لنا بأنه يزيل أي قلق رئيسي حول المبادئ الأخلاقية لما كنا نقوم به'.[12]

في 1956، وفي أعقاب الانتفاضة الهنغارية، كتب ج. م. كابلان، رئيس شركة ويلش لعصير العنب، ورئيس وأمين صندوق مؤسسة كابلان - الرصيد 14 مليون دولار - إلى آلن دلس عارضاً خدماته للقتال ضد الشيوعية. وعرض كابلان أن يكرس 'طاقته اللانهائية لتوظيف

جميع الأفكار والخبرات من أجل الهدف الرئيسي ألا وهو تحطيم المؤامرة الشيوعية، باحثاً ومنتهزاً جميع الفرص'.[13] وهكذا رتب دلس الأمر من أجل أن يحدد 'مندوب' من السي آي إي موعداً مع كابلان. وكان يمكن اعتبار مؤسسة كابلان على الفور رصيداً، أو 'معبراً' يمكن الاعتماد عليه في إيصال الأموال السرية المخصصة لمشاريع السي آي إي، وبينها المنظمة من أجل الحرية الثقافية، ومؤسسة أخرى يرؤسها اشتراكي قديم ومحنك، ورئيس اللجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية، نورمان توماس.

كان استخدام المؤسسات الخيرية الطريقة الأنسب لتمرير مبالغ ضخمة من المال إلى مشاريع الوكالة دون تنبه المتلقين إلى مصدرها. وفي منتصف الخمسينات، كان اقتحام السي آي إي لميدان المؤسسات شاملاً. ورغم أن الأرقام غير متوفرة لهذه الفترة، استنتج المجلس العام للجنة من لجان الكونغرس في عام 1952 عُيِّنتْ للتحقيق في المؤسسات الأمريكية الوقفية بأن 'مقداراً لا يضاهى من السلطة متركز بشكل متزايد بين أيدي مجموعة متشابكة ومستمرة ذاتياً. وعلى عكس سلطة إدارة الشركة، فهي غير خاضعة لمراقبة حاملي الأسهم، وعلى عكس سلطة الحكومة، فهي غير مراقبة من الشعب، وعلى عكس سلطة الكنائس، لا تخضع لأية معايير ناظمة لقيم مؤسسة بقوة'.[14] وفي 1976، عُيِّنتْ لجنة مختارة للتحقيق في الأنشطة الاستخباراتية الأمريكية وأبلغت عن اختراق السي الآي إي لميدان المؤسسات في منتصف الستينات: من 1963 إلى 1966، ومن بين جميع المبالغ التي تصل إلى ما يزيد عن عشرة آلاف دولار ممنوحةً من قبل 146 مؤسسة، فإن 108 منها على الأقل حصلت على تمويل جزئي أو كامل من السي آي إي. والأمر الأكثر أهمية، كان تمويل السي آي إي وارداً تقريباً في نصف المبالغ التي قدمتها 164 مؤسسة في حقل الأنشطة الدولية أثناء الفترة نفسها.

أما المؤسسات الأصلية مثل فورد، روكفيلر، وكارنيجي فقد اعتُبرتْ 'النوع الأفضل والأكثر ملاءمةً للتمويل السري'.[15] وقالت دراسة للسي آي إي في 1966: إن هذه التقنية كانت 'فعالة بشكل خاص في المنظمات المدارة ديموقراطياً، والتي تحتاج إلى أن تؤكد لأعضائها والمتعاونين معها غير المطلعين، ولنقادها المعادين، أنها تمتلك مصادر للدخل حقيقية، ومحترمة، وخاصة'. وقد أتاحت بالطبع للسي آي إي أن تُموِّلَ 'سلسلة لا حصر لها، على ما يبدو، من برامج العمل السري، تركت أثرها في مجموعات الشبان، ونقابات العمل، والجامعات، ودور النشر، ومؤسسات خاصة أخرى منذ أوائل الخمسينات'.[16]

وشرح برادن قائلاً: 'كان هناك فرع سري في السي آي إي مهمته المساعدة في تأمين التغطية، على غرار المؤسسات التي استخدمناها من أجل عملياتنا. لم أنتبه إلى التفاصيل. فسيعالج قسم التمويل المسألة، ويتحدث مع عميل سري. كانت تلك آلية تستخدمها فحسب. وكانت مؤسسة فارفيلد إحداها. لا أعرف أسماءها جميعاً، لا أستطيع التذكر. لكنها كانت شبكة نقود. ولم يكن هناك أي خطر من أن تفلس السي آي إي'.[17]

وشقت شبكة النقود طريقها من خلال المؤسسات المضيفة، بعضها كان يعمل كواجهات، وبعضها الآخر كقنوات. وعرف أن أكثر من 170 مؤسسة سهلت، عن دراية، مرور تمويلات

السي آي إي، بينها مؤسسة هوبليتزل (وهي معبر لفارفيلد)، ومؤسسة ليتاور (متبرعة لفارفيلد)، وبنك مقاطعة ميامي (متبرع آخر لفارفيلد)، وبنك برايس (لعبة وهمية للسي آي إي)، ومؤسسة راب الخيرية (التي كانت تتلقى أموال السي الآي إي من مصرف برايس الزائف، ثم تمرره إلى فارفيلد)، ومصرف فيرنون (مثل فارفيلد، هو واجهة سي آي إي وهمية بمجلس إدارة يوافق روتينياً)، وتروست ويتني. و كانت تشغل مجالس إدارتها 'صفوة' المؤسسة الأمريكية السياسية والاجتماعية والمالية. وليس من أجل لا شيء أعلنت هذه المؤسسات عن نفسها بأنها 'سرية'. وفيما بعد، كانت النكتة إنه إذا حملت أية منظمة أمريكية خيرية أو ثقافية كلمتي 'حرة' أو 'خاصة' في أدبها، فلا بد أنها واجهة للسي آي إي. كان هذا هو الاتحاد المالي في حالة العمل، وقد رتب الأعمال الخيرية عبر شبكة رابطة المدرسة القديمة، وشبكة مكتب الخدمات الاستراتيجية، وغرف اجتماعات أمريكا.

قدم مجلس إدارة فارفيلد وحده خريطة ساحرة من هذه الاتصالات المعقدة. كان رئيسه جنكي فلايشمان مستشار عقود لمكتب تنسيق السياسة التابع لويزنر وبالتالي أحد داعمي السي آي إي المطلعين للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. وكان ابن عمه جي هولمز رئيساً لمؤسسة هولمز التي أنشئت في 1953 في نيويورك. وبدأ هولمز يقوم بإسهامات صغيرة للمنظمة من أجل الحرية الثقافية في 1957. ومنذ عام 1962، عملت مؤسسة هولمز شكلياً كمعبر لنقود السي الآي إي إلى المنظمة. وكانت مؤسسة فلايشمان، التي كان جنكي رئيساً لها، مسجلة كمتبرعة لمؤسسة فارفيلد. وكان هناك أيضاً في مجلس إدارة مؤسسة فلايشمان تشارلز فلايشمان، ابن أخ جنكي، والذي عُيّنَ كمدير لفارفيلد في أوائل الستينات.

كان من أوصياء فارفيلد الآخرين كاس كانفيلد، أحد أكثر الناشرين الأمريكيين تميزاً. كان مديراً لجروست ودنلاب، ودار نشر بانتام، ومدير ورئيس هيئة تحرير **هاربر بروذرز**. وكان كانفيلد هو الذي نشر كتاب *الإله الذي فشل*. ولقد أنشأ روابط كثيرة مع عالم الاستخبارات، كضابط في الحرب النفسية، وكصديق حميم لآلن دلس، الذي نشر له مذكراته *حرفة الاستخبارات* في 1963. كان كانفيلد ناشطاً أيضاً وجامع أموال ليونايتد وورلد فيديراليستس في أواخر الأربعينات. كان رئيسها آنذاك كورد ميير، الذي صار نائب توم برادن فيما بعد، والذي كشف: أن 'إحدى التقنيات التي استخدمناها هي تشجيع أعضائنا الذين لهم مناصب مؤثرة في المنظمات المهنية، والجمعيات التجارية، أو نقابات العمل كي يتخذوا في مؤتمراتهم السنوية قرارات تخدم قضيتنا'.[18] وفي 1954 ترأس كانفيلد لجنة ديموقراطية للفنون. وصار فيما بعد أحد الأعضاء المؤسسين لـ 'المسرح والمعهد القومي الأمريكي'، الذي أعيد تنشيطه في 1945 كمعادل لفرع الشؤون الخارجية للمسرح الأمريكي، مع جوك ويتني، أحد 'القنوات الهادئة' الأخرى للسي آي إي. كان كانفيلد صديقاً لفرانك بلات، والذي كان كذلك مديراً لفارفيلد، وعميلاً للسي آي إي. وفي أواخر الستينات، ساعد بلات مايكل جوسيلسون في الحصول على عمل مع كانفيلد في هاربرز. كان كانفيلد كذلك وصياً للجمعية الأمريكية الفرنسية، مع سي.

دي. جاكسون، وجريسون كيرك (رئيس جامعة كولومبيا)، وديفد روكفيلر، وويليم بيردن (الذي كان رئيسها).

وكان ويليم أرمستيد بيردن، بالإضافة إلى كونه رئيساً للجمعية الأمريكية الفرنسية، مديراً لفارفيلد. أما بيردن، ابن حفيد العميد البحري فاندربيلت، فقد شكل حضوراً أساسياً في المؤسسة الأمريكية. كان عضواً ومديراً لمجلس العلاقات الخارجية، وهو مؤسسة خاصة مُشَكَّلة من نخبة أمريكا المتحدة والاجتماعية، والتي عملتْ كنوع من وحدة صناعة سياسة خارجية ظلية (وكان بين الأعضاء الآخرين آلن دلس، وجون مكلوي، وديفد روكفيلر). وأثناء الحرب عمل مع مجموعة نيلسون روكفيلر الاستخباراتية، وعمل كرئيس للجنة استشارية في متحف الفن الحديث في نيويورك. وفي 1956، أصبح رئيساً للمتحف. وفي ذلك العام، ترأس أيضاً لجنة وزارة الخارجية الاستشارية، 'الكتب في الخارج'. ولكونه سابقاً معاوناً لوزير الخارجية لشؤون الجو، فقد كان ممولاً يهتم بوجه خاص بتمويل الطيران، بعد أن ارتبط مع الأخوة براون، هاريمان وكمباني، سكدر، ستيفنز وكلارك، في نيويورك، وعملَ مديراً لعدد من الشركات بينها شركة المعادن الأمريكية المحدودة، يونيو سيلفر وأويل كوربوريشين، وشركة سيرو دي باسكو، ومصرف هانوفر. وكان عضواً زائراً للجان الكلية في هارفارد و إم آي تي، والرئيس المشارك لـ 'تحية لفرنسا' Salute to France الذي ترعاه الحكومة (باريس، ربيع 1955)، وسفيراً لأمريكا في بروكسل في 1960.

كان من مدراء مؤسسة فارفيلد الآخرين جون جاك تومسون، الذي شغل المنصب من 1956 إلى 1965. وتم تطويع تومسون في السي آي إي من خلال كورد مير، الذي كان يعرفه منذ 1945، حين كان الاثنان مساعدين للوفد الأمريكي في مؤتمر سان فرانسيسكو الذي عقد لتأسيس بنية منظمة الأمم المتحدة الجديدة. وكان تومسون، الذي درس في كولومبيا عند ليونيل تريلينغ، معروفاً جيداً في دوائر نيويورك الأدبية. ولقبّته جينيفر جوسيلسون، ابنة مايكل، بـ 'العم جاك'.

وكان من مدراء فارفيلد الآخرين ويليم فاندن هيوفيل، وهو محام نيويوركي كان قريباً من جون وبوبي كينيدي، ومن آرثر شليسنغر – كان أيضاً عضواً في مجلس إدارة لجنة الإنقاذ مع ويليم دونوفان وكاس كانفيلد – وجوزيف فيرنر ريد، مدير تريتون بريس، نائب رئيس شركة هوبي للصوت، فلوريدا، وعضو منتدى الدراما الاستشاري من أجل برنامج التبادل الدولي لـ ANTA أو المسرح والمعهد القومي الأمريكي، وفريد لازاروس جي آر، المتبرع الرئيسي لمؤسسة فريد لازاروس (التي قامت في 1956 بإسهام مالي قوي في فارفيلد) وفيما بعد عضو استشاري للوقف القومي للفنون، ودونالد ستراليم، رئيس شركة خدمات دفاع الجماعة المتحدة، ومتبرع مع زوجته جين لـ 'مؤسسة شلتر روك' (التي نقلت نقود السي آي إي الموجهة إلى المنظمة من أجل الحرية الثقافية إلى صناديق فارفيلد في 1962، العام الذي حل فيه ستراليم محل فليسشمان كرئيس لفارفيلد)، وزوايتلو ريد، المحرر السابق لـ *نيويورك هيرالد تريبيون*، ورالف ب. هانز، مدير مؤسسة هانز، في نورث كارولاينا. وهانز، الصديق الجيد لجنكي، الذي كان

يبحر هو وزوجته مع فلايشمان وزوجته وويزنر وزوجته في البهاماس. وأخيراً، بالطبع، كان هناك مايكل جوسيلسون، الذي ظهر اسمه على ورقة المؤسسة المطبوعة بأنه مدير دولي، والذي كان يتلقى راتبه من السي آي إي من خلال هذه المؤسسة.

كانت فارفيلد بأية حال مؤسسة استثنائية في شخصيتها الخاصة بسفاح القربي. كانت هذه طبيعة السلطة في أمريكا في ذلك الوقت. وكان نظام الرعاية الخاصة النموذج البارز لكيفية مجيء مجموعات صغيرة ومتجانسة كي تدافع عن مصالح أمريكا، وبالتحديد عن مصالحها الخاصة. وكان يقدم الخدمات على قمة الثروة كل أمريكي يحترم نفسه. وكان الثمن هو وصاية على مؤسسة فورد أو مؤسسة روكفيلر، اللتين كانتا أداة للسياسة الأمريكية الخارجية السرية، بمدراء وموظفين على صلة مباشرة بالاستخبارات، أو حتى أعضاء استخبارات أمريكية.

أما مؤسسة فورد التي أنشئت في 1936، فكانت الصفوة المعفاة من الضرائب لثروة فورد الضخمة، بأرصدة تصل إلى ما يزيد عن ثلاثة بلايين دولار في أواخر الخمسينات. وصفها دوايت ماكدونالد بطريقة جديدة بأن تُذكر هنا بأنها 'هيئة ضخمة من النقود محاطة بشكل كامل بأشخاص يريدون بعض النقود'. وكان مهندسو سياسة المؤسسة الثقافية في أعقاب الحرب العالمية الثانية متناغمين بشكل تام مع الضرورات السياسية التي تدعم حضور أمريكا الواضح على المسرح العالمي. وبدا أحياناً كأن مؤسسة فورد امتداد للحكومة في منطقة الدعاية الثقافية العالمية فحسب. ولقد امتلكت المؤسسة سجلاً من التورط المباشر في الأعمال السرية في أوروبا، وعملت مع مشروع مارشال، ومسؤولي السي آي إي في مشروعات محددة. وتم توسيع هذه التبادل أكثر حين جاء مُخطِّط مارشال، ريتشارد بيسّل، والذي بتوقيع منه كانت الأموال المكملة تُرسَل إلى فرانك ويزنر، وإلى مؤسسة فورد في 1952، ولقد تنبأ بشكل صحيح أنه 'ليس هناك شيء يمنع أي شخص من ممارسة نفوذ قدر استطاعته من خلال عمله في الحكومة'.[19] وأثناء مدة عمله في فورد، كان بيسل غالباً ما يلتقي مع آلن دلس ومسؤولين آخرين من السي آي إي، بينهم رفيق الصف السابق من جروتون تراسي بارنز، وذلك من أجل البحث المتبادل 'عن أفكار جديدة'. ثم غادر فجأة ليلتحق بالسي آي إي كمساعد خاص لآلن دلس في كانون الثاني 1954، ولكن ليس قبل أن يساعد في توجيه المؤسسة إلى أولويات تفكير الحرب الباردة.

عمل بيسل بشكل مباشر تحت إشراف بول هوفمان، الذي أصبح رئيساً لمؤسسة فورد في 1950. أما هوفمان الذي وصل مباشرة من عمله كمدير لمشروع مارشال، فكان قد اطلع جيداً على مشكلات أوروبا، وامتلك أفكاراً قوية تتعلق بحلّ هذه المشكلات. كان خبيراً في لغة الحرب النفسية، ومردداً صدى صرخة آرثر كويستلر في 1950 ('أيها الأصدقاء، لقد بدأت الحرية بالهجوم!')، تحدث عن 'شن السلم'. واشترك أيضاً في وجهة نظر الناطق باسم مؤسسة فورد روبرت مينارد هتشينز القائلة بأن وزارة الخارجية 'تخضع لتدخل محلي كثير بحيث لم تعد تستطيع أن تقدم صورة كاملة عن الثقافة الأمريكية'.

كانت إحدى مغامرات مؤسسة فورد الأولى بعد الحرب في الدبلوماسية الثقافية العالمية هي إطلاق برنامج المنشورات البيثقافي في 1952 بإشراف جيمس لولين، ناشر سلسلة الاتجاهات الجديدة – الذي نشر لجورج أورويل وهنري ميلر – والوصي المحترم الطليعة على مصالح. وبمنحة أولية مؤلفة من خمسمائة ألف دولار، أطلق لولين مجلة *بيرسبيكتيفز Perspectives* ، التي وضعت نصب عينيها اليسار غير الشيوعي في فرنسا، وإنكلترا، وإيطاليا، وألمانيا (وطبعت بهذه اللغات كلها). وأكدت أن هدفها لم يكن 'هزيمة المفكرين اليساريين في الصراع الجدلي بقدر ما هدفت إلى إغوائهم لإبعادهم عن مواقفهم من خلال الإقناع العقلاني والجمالي'. وهي ستساهم أيضاً في تعزيز السلام من خلال زيادة احترام إنجازات أمريكا غير المادية بين المفكرين في الخارج'.[20]

وبمجلس الإدارة المليء بمحاربي الحرب الثقافية الباردة، كان برنامج المنشورات البيثقافية يستهدف كذلك أولئك المفكرين الأمريكيين الذين شعروا أن عملهم 'دمره الرأي المسبق عن أمريكا كجحيم لدين الجماهير'. وكان مالكولم كاولي من أوائل داعمي مجلة *بيرسبيكتيفز*، التي قدمت قراءة لأمريكا بعيدة عن 'الأفلام، والقصص البوليسية المتحجرة، والكتب والمجلات المسلية التي يكون فيها إعلانات أكثر مما يكون فيها نصوص'. وقال أحد الأكاديميين، ويدعى بيري ميلر، إنه 'يجب ألا يتم تضمين أية دعاية للطريقة الأمريكية في المجلة، وأن الحذف سيكون، في ذاته، العنصر الأهم في الدعاية، بالمعنى الأفضل.[21]

لكن مجلة *بيرسبيكتيفز* لم تتماش مع هذه التوقعات. وأشار إرفنغ كريستول إليها بأنها 'مجلة مؤسسة فورد البائسة'.[22] وفي أعقاب فشلها، تم إقناع مؤسسة فورد بسهولة كي تتولى رعاية مجلة لاسكي *دير مونات*. وبعد أن دعمها لوسيوس كلي في تشرين الأول 1948، وتم تمويلها من 'المال السري' للمفوضية الأمريكية العليا، أنهت الرعاية الرسمية لـ '*دير مونات*' مزاعمها بأنها مستقلة. وتاق لاسكي إلى استبدال هذه الإعانة المالية، وهكذا فبمساعدة من شيبارد ستون، وهو مدير مؤسسة عمل تحت قيادة كلي في ألمانيا، أمَّن أخيراً منحة من مؤسسة فورد، معلناً في عدد تشرين الأول 1954: 'من الآن فصاعداً نحن أحرار بشكل كامل ومطلق ومستقلون'.

وفي الواحد والعشرين من كانون الثاني 1953، التقى آلن دلس، الذي لم يكن يشعر بالأمن حيال مستقبله في السي آي إي تحت قيادة آيزنهاور المنتخب حديثاً، التقى بصديقه ديفد روكفيلر على الغداء. لمَّح روكفيلر بشكل واضح جداً أنه إذا قرر دلس ترك الوكالة، يمكنه أن يتوقع، بشكل معقول، الدعوة إلى أن يصبح رئيساً لمؤسسة فورد. لم يكن دلس بحاجة إلى الخوف على مستقبله. فبعد يومين من الغداء، نشرت *نيويورك تايمز* قصة مفادها أن آلن دلس سيصبح مديراً لوكالة الاستخبارات المركزية.

وتمَّ الإعلان عن الرئيس الجديد لمؤسسة فورد بعد ذلك بوقت قصير. كان جون مكلوي، نموذج السلطة والنفوذ الأمريكي في القرن العشرين. وفي الوقت الذي جاء فيه إلى مؤسسة فورد، كان مساعداً لوزير الحرب، ورئيساً للبنك الدولي، والمفوض السامي في ألمانيا. وفي 1953

أصبح أيضاً رئيساً لمصرف منهاتن تشيز التابع لآل روكفلير، ورئيس مجلس العلاقات الخارجية. وبعد اغتيال جون ف. كينيدي، كان معيّناً في لجنة وارين Warren Commission. وحافظ طول الوقت على مهنته كمحامي وول ستريت لشركات النفط السبع الكبرى، وكمدير لشركات عدة.

حين كان مفوضاً سامياً في ألمانيا وافق مكلوي على تقديم التغطية لأعداد كبيرة من عملاء السي آي إي، وبينهم لورنس دي نوفيل. ورغم أنهم موظفون في إدارته بشكل رسمي، إلا أنهم كانوا بشكل غير رسمي، مسؤولين أمام رؤسائهم في واشنطن، الذين لم يكونوا ملزمين بإخبار مكلوي ما الذي يفكرون به. واعتنق مكلوي، السياسي المحنك، وجهة نظر براغماتية حول اهتمام السي آي إي الحتمي بمؤسسة فورد حين تولى رئاستها. مهدئاً مخاوف بعض مدراء المؤسسة، الذين شعروا أن سمعة تكاملها واستقلالها تقوضت بسبب التورط مع السي آي إي، قال مكلوي: إنهم إذا فشلوا في التعاون، فإن السي آي آي ستخترق المؤسسة بهدوء من خلال تطويع وإدخال موظفين في المستويات الأدنى. وكان جواب مكلوي على هذه المشكلة هو خلق وحدة إدارية داخل مؤسسة فورد للتعامل مع السي آي إي. وهذه اللجنة المؤلفة من ثلاثة رجال، والتي ترأسها مكلوي وموظفون آخرون من المؤسسة، كان يجب أن تتم استشارتها كلما أرادت السي آي إي استخدام المؤسسة، إما كمعبر أو كغطاء. وشرح كاتب سيرة مكلوي، كاي بيرد: 'كانوا سيتفاوضون مع هذه اللجنة، وإذا لوحظ بأن هذا شيء معقول ولن يكون ضد مصالح المؤسسة، فسوف يمرر المشروع إلى الهيئة الداخلية وإلى موظفين آخرين في المؤسسة يعرفون أصول الاقتراح'[23]. وبعد هذا الترتيب، أصبحت مؤسسة فورد منخرطة رسمياً كواحدة من تلك المنظمات التي كانت السي آي إي قادرة على تعبئتها من أجل الحرب السياسية ضد الشيوعية. وشكل الصندوق علاقات وثيقة مع دار نشر تشيخوف، التي تلقت خمسمائة وثلاثة وعشرين ألف دولار من مؤسسة فورد من أجل شراء أعمال روسية ممنوعة، وترجمة الأعمال الكلاسيكية الغربية إلى الروسية. ومنحت المؤسسة خمسمائة ألف دولار للجنة بيل كيسي، لجنة الإنقاذ الدولية، ومبالغ كبيرة لواجهة سي آي إي أخرى، هي تجمع الشباب العالمي. وكانت أيضاً من المتبرعين الكبار لمجلس العلاقات الخارجية، وهو مؤسسة خاصة مارست تأثيراً كبيراً على السياسة الخارجية الأمريكية، وعملت (وتتابع العمل) وفقاً لقواعد سرية صارمة تتضمن حظراً لمدة خمسة وعشرين عاماً على نشر وثائقها.

وبمنحة رئيسية من مؤسسة فورد، وسعت مؤسسة الفن المعاصر، التي تأسست في نيويورك في 1947، برنامجها الدولي في 1958. وفي مجلس أمناء السي أي إي جلس ويليم بندي، عضو مجلس إدارة السي آي إي للتقييمات القومية، وصهر وزير الخارجية السابق دين أشيسون. وأصبح شقيقه مكجورج بندي رئيساً لمؤسسة فورد في 1966 (جاء مباشرة من عمله كمساعد خاص للرئيس المسؤول عن الأمن القومي، مما عنى، بين أمور أخرى، مراقبة السي آي إي). واستفاد من أموال المؤسسة كذلك هربرت ريد، وسلفادور مادارياجا، وستيفن سبيندر، وآرون كوبلاند، وإساك دينيسين، وتوم جابو، ومارثا غراهام، وروبرت لويل، وروبرت بن وارين، وروبرت

ريتشمان، الذين كانوا جميعاً أعضاء في منظمة القادة الثقافيين التابعة للآي سي إي ICA. وكان هذا في النتيجة توسيعاً لعمل المنظمة من أجل الحرية الثقافية، والتي كانت تتلقى منحاً ضخمة من مؤسسة فورد، فقد تلقت سبعة ملايين دولار في أوائل الستينات.

كان أحد أوائل الداعمين من السي آي إي للمنظمة من أجل الحرية الثقافية فرانك ليندسي الذي كان دي نوفيل يرسل إليه تقارير حول التطورات أثناء فترة تأسيس منظمة برلين في 1950. كان ليندسي من جنود مكتب الدراسات الاستراتيجية، وكتب في 1947 إحدى المذكرات الأولى التي دعت إلى أن تؤسس الولايات المتحدة قوة عمل سرية لتخوض الحرب الباردة. لفتت المذكرة انتباه فرانك ويزنر، الذي طلب منه الالتحاق وإدارة عملياته الأوروبية في مكتب تنسيق السياسة. وكنائب لرئيس مكتب تنسيق السياسة (1949 -1951) كان ليندسي مسؤولاً عن تشكيل المجموعات التي 'يجري ابقاؤها في الخلف' في أوروبا الغربية. وفي 1953 التحق بمؤسسة فورد، ومن هناك واصل علاقة وثيقة مع زملائه في الجماعة الاستخباراتية.

انضم إلى ليندسي في المؤسسة فيما بعد والديمار نيلسن الذي أصبح مدير هيئتها. وأثناء فترة عمله هناك، كان نيلسن عميلاً للسي آي إي. وفي 1960، أصبح مديراً تنفيذياً للجنة المعلومات عن الأنشطة في الخارج التابعة للرئيس. وعمل نيلسن في أقنعته المتنوعة عن كثب مع سي دي جاكسون، الذي تقاسم معه رفضاً 'للإهمال الأساسي للعوامل النفسية بين كثير من الموظفين المتغطرسين في هذه البلدة'. وكان نيلسن أيضاً صديقاً حميماً للمنظمة من أجل الحرية الثقافية، ودعم جهودها بإخلاص.

كانت الصلة الأساسية بين المنظمة ومؤسسة فورد تتمثل في شيبارد ستون، الذي أسس سمعته كخبير في البنية والإجراءات التي اشتركت بها الحكومة الأمريكية والمجموعات الخاصة في شؤون العالم. وكان قبل الحرب محرر يوم الأحد في *نيويورك تايمز*، ثم ذهب ليخدم مع G2 (استخبارات الجيش)، قبل أن يصبح مدير الشؤون العامة تحت إشراف جون مكلوي في ألمانيا، وقد ضمنَ، في هذا القناع، رعاية الحكومة لمجلة *دير مونات*. أما جون مكلوي، الذي امتلك خبرة قديمة في الحرب النفسية، فقد فكر بشكل رفيع بتزكية ستون كخليفة جدير للمدير المنصرف لمجلس إدارة الاستراتيجية النفسية في 1951. لم يحصل ستون على العمل، وبدلاً من ذلك انضم إلى مؤسسة فورد. وأثناء توليه لعمله، كان وثيق الصلة بالسي آي إي بحيث ظن كثيرون أنه رجل الوكالة. وعلق أحد العملاء بغموض: 'لم يكن شيب رجل سي آي إي، رغم احتمال أنه اصطاد في تلك المياه'.[24] وفي 1953 أمضى شهراً في أوروبا، بدعوة من جوسيلسون، وزار أعضاء أساسيين في المنظمة. وكمدير لقسم الشؤون الدولية في مؤسسة فورد من 1954، نال ستون قيمة أكبر في المنظمة.

أما مؤسسة روكفيلر التي لم تكن أقل شأناً من فورد، فقد كانت عنصراً متمماً لآليات حرب أمريكا الباردة. أنشئت في 1913، وكان مانحها الرئيسي هو جون د. روكفيلر الثالث الأسطوري. كانت تمتلك أرصدة تزيد عن خمسمائة مليون دولار، من دون حساب المائة وخمسين مليون دولار في صندوق شركة الأخوة روكفيلر، وهي مؤسسة رئيسية أنشئت في نيويورك في 1940.

وفي 1957 جمع المال أكثر العقول تأثيراً في تلك الفترة في مشروع الدراسات الخاصة الذي كانت مهمته محاولة تعريف السياسة الخارجية الأمريكية. وخُصِّصَتْ المناقشة العامة الفرعية الثانية لدراسة استراتيجية وأهداف الأمن الدولي، وكان بين أعضائها هنري وكلير بوث لوس، لورنس روكفيلر، تاونسيند هوبز (يمثل شركة جوكويتني)، نيلسون روكفيلر، هنري كيسنجر، فرانك ليندسي، وويليم بندي من السي آي إي.

وتجاوزت نقطة اللقاء بين بلايين روكفيلر والحكومة الأمريكية حتى تلك التي لمؤسسة فورد. وانتقل جون فوستر دلس، وفيما بعد دين رسك، من رئاسة مؤسسة روكفيلر ليصبحا وزيري خارجية. وظهر من الشخصيات الأخرى في الحرب الباردة جون ج. مكلوي وروبرت آ. لوفيت بشكل بارز كوصيين لروكفيلر. وضمن موقع نيلسون روكفيلر المركزي في هذه المؤسسة علاقة أكثر وثوقاً مع دوائر الاستخبارات الأمريكية: كان مسؤولاً عن كل الاستخبارات في أمريكا اللاتينية أثناء الحرب العالمية الثانية. وفيما بعد، أصبح مساعده في البرازيل العقيد ج. سي. كينغ رئيس السي آي إي للأنشطة السرية في نصف الكرة الغربي. وحين عَيَّنَ آيزنهاور نيلسون روكفيلر في مجلس الأمن القومي في 1954، كان عمله هو المصادقة على عمليات سرية متنوعة. وإذا احتاج إلى أية معلومات إضافية حول أنشطة السي آي إي، كان يستطيع أن يسأل فحسب صديقه القديم آلن دلس عن موجز مباشر. وكانت إحدى أكثر العمليات إثارة للجدل هي برنامج بحث السيطرة على العقل في الخمسينات CIA's MK - ULTRA (أو المرشح المنشوري). وتمت مساعدة هذا البحث بمنح من مؤسسة روكفيلر.

كان روكفيلر، الذي أدار قسمه الاستخباراتي الخاص أثناء الحرب، غائباً عن صفوف مكتب الخدمات الاستراتيجية، وصنع عداوة مع ويليم دونوفان دامت طيلة حياته. ولكن لم يكن هناك رأي مسبق ضد جنود مكتب الخدمات الاستراتيجية، الذين تطوعوا في مؤسسة روكفيلر قطعاناً. وفي 1950 أصبح تشارلز ب. فاهس، من مكتب الخدمات الاستراتيجية، رئيس قسم روكفيلر للدراسات الثقافية. وكان مساعده جندياً آخر من مكتب الخدمات الاستراتيجية يدعى تشادبورن جيلباتريك، وصل إلى هناك مباشرة من السي آي إي. وكان هذان الاثنان موظفي الارتباط الرئيسيين للمنظمة من أجل الحرية الثقافية ومسؤولين عن توزيع إعانات مالية ضخمة من روكفيلر على مجموعة جوسيلسون.

كان شقيق نيلسون روكفيلر صاحب الشأن مثله هو ديفد الذي كان يسيطر على لجنة التبرعات التابعة لمؤسسة مصرف تشيش مانهاتن، وكان نائب رئيس ثم رئيساً للمصرف نفسه، ووصياً لمجلس العلاقات الخارجية، ورئيس اللجنة التنفيذية للمنزل الدولي، وصديقاً شخصياً حميماً لآلن دلس وتوم برادن. ويذكر برادن: 'أحيانا كنت ألخص لديفد بعد إذن آلن بشكل شبه رسمي ما كنا نفعله. كان يمتلك ذهنية مثل ذهنيتنا، ويوافق على كل ما نقوم به. وقد امتلك الإحساس نفسه الذي امتلكته بأن طريقة كسب الحرب الباردة هي طريقتنا. أحياناً كان ديفد يقدم لي النقود لنقوم بأمور لم تكن ضمن إمكانية ميزانيتنا. أعطاني الكثير من النقود من أجل قضايا في فرنسا. أذكر أنه أعطاني خمسين ألف دولار من أجل منحها لشخص ما كان نشيطاً

في التشجيع على قيام أوروبا موّحدة بين مجموعات الشبان الأوروبيين. جاء إليَّ هذا الشخص بمشروعه، فأخبرت ديفد الذي قدم لي شيكاً بقيمة خمسين ألف دولار. لم تدخل السي آي إي في المعادلة مطلقاً'. [25]

لقد قدمت هذه الصفقات المستقلة معنى جديداً لممارسة القرصنة الحكومية، وكانت نتاجاً ثنائياً حتمياً لشبه خصخصة السياسة الخارجية الأمريكية أثناء سنوات الحرب الباردة. ومن الثقافة نفسها، على أي حال، جاءت فيما بعد كوارث على نمط أوليفر نورث. إن المقارنة ملائمة: ذلك أن مثلهم مثل مهندس إيران غيت، تماماً 'بتحديقته الثابتة، وإحساسه العنيد بالمهمة وإيمانه النابض بأن الغاية تبرر الوسيلة'، [26] لم يعتر هؤلاء الأصدقاء الأوائل للسي آي إي الشك بأنفسهم أو بهدفهم مطلقاً.

الفصل العاشر

حملة الحقيقة

ليس كافياً أن تكتب بـ "البيدية"، يجب أن تمتلك شيئاً تقوله.

واي. ل. بيريتز

قدم مهرجان نيكولاس نابوكوف الشامل للفنون في 1952 فرصة لاختبار مدى قدرة الدعاية السرية الأمريكية. غير أنه، في حقبة لم تكتشف بعد حكمة مارشال ماكلوهان بأن 'الأداة هي الرسالة'، تساءل استراتيجيو الحكومة عن فحوى الرسالة. أو، كما قال فيما بعد والت روستو، العضو السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية والمستشار الخاص لآيزنهاور: 'كانت المشكلة مع الخدع القذرة هي أننا لم نعرف ماذا نقول'[1]. من يعرف الرسالة بشكل أفضل من مدير إعلانات.

في أوائل الخمسينات، فعل رجل واحد أكثر من أي شخص آخر لوضع برنامج عمل الحرب الأمريكية الثقافية. وكرئيس للجنة القومية من أجل أوروبا حرة، وفيما بعد، كمستشار خاص لآيزنهاور لشؤون الحرب النفسية، كان سي دي جاكسون أحد أكثر استراتيجيي السرية نفوذاً في أمريكا. ولد في نيويورك في 1902 لأب ثري يعمل في الصناعة ويستورد الرخام والأحجار من أوروبا. وبعد أن تخرج من برينستون في 1924، التحق سي دي بشركة الأسرة وسافر كثيراً في أوروبا، وأقام صلات قدمت له مصدراً قيِّماً في السنوات اللاحقة. في 1931 التحق بإمبراطورية هنري لوس *تايم* - *لايف* كمدير إعلانات. وفي أثناء الحرب كان أحد أبرز أخصائيي الحرب النفسية في أمريكا، وخدم كنائب رئيس مكتب معلومات الحرب لما وراء البحار، وأفريقيا الشمالية والشرق الأوسط، ثم كنائب رئيس لقسم الحرب النفسية (PWD)، ولـ 'القيادة المركزية العليا لقوة حملة الحلفاء' (SHAEF)، والتي كانت تحت قيادة آيزنهاور.

وبعد الحرب عاد سي دي إلى شركة *تايم لايف* حيث أصبح نائباً لرئيس *تايم*. كان من أوائل الناشطين في جماعة آلن دلس في نيويورك، وأحد رعاة بقر بارك آفينيو. ثم دُعيَ في 1951، للاشتراك في دراسة رعتها السي آي إي اقترحتْ إعادة تنظيم أجهزة الاستخبارات الأمريكية. وقاد هذا إلى تعيينه كمدير 'خارجي' لعمليات السي الآي إي السرية من خلال حملة الحقيقة واللجنة القومية من أجل أوروبا حرة، والتي أصبح رئيساً لها. وهناك جمع قائمة من الأمريكيين البارزين - وبينهم الجنرال آيزنهاور - المستعدين لإعارة أسمائهم إلى اللجنة. واحتل مقعداً في اللجنة التنفيذية لإذاعة أوروبا الحرة مع جي ليفستون، وبين فينة وأخرى، مع آرثر

شليسنغر. وكان أيضاً مديراً لصندوق كلية يونايتد نيغرو، ووصياً لفرقة بوسطن السيمفونية مع محاربي الحرب الباردة هنري كابوت لودج، وجاكوب كابلان، وإدوراد تافت. وشغل مقعداً في مجالس إدارة مركز لنكولن لتخطيط الفنون، وجمعية أوبرا الميتروبوليتان (مع كورنيليوس فاندربيلت ويتني)، وفي شركة كارنيجي في نيويورك.

كان آيزنهاور يعرف سي دي جاكسون بشكل جيد من أيام حملاته أثناء الحرب في أوروبا وأفريقيا، ولقد تعلم على يده فن التلاعب بالجمهور. وبتأثير من سي دي تم إقناع آيزنهاور باستئجار شركة علاقات عامة أثناء حملته الانتخابية، وهذا جعل منه المرشح الرئاسي الأول، مما قاد أحد الكتاب إلى ابتداع الصيغة التهكمية 'فيليب موريس، لاكي سترايك، ألكاسيلتزر، أحب آيزنهاور. وما إن دخل آيزنهاور البيت الأبيض في كانون الثاني 1953، بصفته الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة، حتى قام بتعيينات رئيسية في هيئته: عيَّن سي دي جاكسون مستشار الرئيس الخاص لشؤون الحرب النفسية، وكان هذا منصباً جعل سي دي وزيراً غير رسمي للدعاية يتمتع بسلطات لا حدود لها تقريباً.

كانت مهمة سي دي الأولى هي تعزيز قدرة أمريكا في الحرب السرية. كانت عمليات الحرب النفسية والدعاية موزعة في ذلك الوقت بين وزارة الخارجية، وإدارة التعاون الاقتصادي (التي أدارت مشروع مارشال)، والاستخبارات العسكرية، ووكالة الاستخبارات المركزية، ومكتب تنسيق السياسة الذي يديره ويزنر في داخل هذه الوكالة بشكل مستقل في غالب الأحيان. وتبنى سي دي، الذي رأى أن هذه الأقسام الحكومية تعاني من النزاعات التنظيمية والتنافس فيما بينها، تبنى وجهة نظر قالت إنها تتصرف مثل ' محترفين تنقصهم الخبرة'، وشكا من 'النقص الكامل للسياسة في واشنطن، ومن الفراغ التام'. وقال إن هناك 'فرصةً ومشكلة. والفرصة هي استعادة حيويتنا العالمية، والتي ليست الدولارات وإنما الأفكار. لابد أن تحل محل حيويتنا الحالية الحيوية الأمريكية الأولى التي تتمثل بالإخلاص لمثال. هنا تواجهنا إمكانية انبعاث القضية الأمريكية في جميع أنحاء العالم... والمشكلة هي كيف نحافظ على فعالية ذلك دون أن نوقف أبواقنا'. باختصار، هناك حاجة إلى 'برنامج عمل وخطة شاملين للحرب النفسية الأمريكية' هدفهما 'كسب الحرب العالمية الثالثة دون أن نضطر إلى خوضها'.[2]

وشرح الرئيس آيزنهاور في مؤتمر صحفي:'ليس هدفنا في الحرب الباردة أن نفتح أرضاً أو نُخْضِعَ بالقوة. إن هدفنا أكثر براعة، وشمولاً، وكمالاً. إننا نحاول أن نجعل العالم يصدق الحقيقة من خلال الطرق السلمية،وهي حقيقة أن الأمريكيين يريدون عالماً يعمه السلام، عالماً يجب أن يحصل فيه جميع البشر على حد أدنى من التطور الفردي. أما الوسائل التي نوظفها لنشر هذه الحقيقة فغالباً ما تُدعى 'الحرب النفسية'. لا تخافوا من هذا المصطلح لأنه فقط خمسة دولارات، كلمة مؤلفة من خمسة مقاطع. إن 'الحرب النفسية' هي الصراع على عقول البشر وإرادتهم'.[3]

ومن أجل التغلب على الفوضى والتنافس الذاتي في العمليات السرية الحكومية اقترحت وزارة الدفاع والسي آي إي مجلس إدارة مستقلاً لتنسيق العمليات النفسية. ورغم مقاومة وزارة

الخارجية، ناصر جورج كينان الفكرة وكان أداة وسيطة في إقناع الرئيس ترومان بتوقيع مرسوم لتشكيل مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية في الرابع من نيسان 1951. كان مجلس الإدارة هذا – اختصر لقبه الأوروبي على الفور إلى الأحرف الأولى الكبيرة PSB – هو الذي أصدر توجيهاً لوضع 'جدول عمل سياسي' كان قد دعا إليه سي دي جاكسون.

في البداية، تمّ اقتراح خطة مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية العقائدية أو الإيديولوجية في وثيقة استراتيجية دعيت PSB D-33/2. لا تزال الوثيقة نفسها مصنّفة، ولكن موظف مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية القلق تشارلز برتون مارشال اقتبس بحرية من النصوص التي أقلقته أكثر من غيرها في مذكرة داخلية طويلة. وسأل: 'كيف يمكن أن تتدخل حكومة بنظام عقائدي واسع خاص بها دون أن تأخذ لون الكليانية؟ فهذه الوثيقة لا تشير إلى أي شيء. وهي بالفعل، تقرّ التماثل كبديل للتنوع. وتسلّم بنظام يبرر 'نمطاً معيناً من الإيمان والبنيان الاجتماعي'، وتقدم 'مجموعة من المبادئ للتطلعات البشرية'، تشمل 'جميع ميادين الفكر البشري' – 'جميع ميادين الاهتمامات الفكرية، من الإبداعات الإناسية والفنية إلى علم الاجتماع والمنهجية العلمية'. وانتقد مارشال، الذي أصبح معارضاً قوياً لمجلس إدارة الاستراتيجية النفسية، دعوة الوثيقة إلى 'آليات' لإنتاج أفكار 'تصوِّر 'طريقة الحياة الأمريكية' على 'أساس منهجي وعلمي'. وقال مارشال: 'إنها تعجل في حدوث 'الإنتاج العقائدي' تحت 'آلية تنسيق'. إنها تؤكد 'حافزاً للفعل السريع والإيجابي لتنشيط إبداع الأفكار وتوزيعها'... وهي تتنبأ 'بحركة فكرية طويلة الأمد' كأنما تنمو من هذه الجهود وهدفها ليس مجابهة الشيوعية فحسب وإنما 'تحطيم نماذج الفكر العقائدي في جميع أنحاء العالم' وتقديم قاعدة فكرية لـ 'عقائد معادية للأهداف الأمريكية'. وكانت الخاتمة قاسية: 'إن هذا توتاليتاري بشكل واضح'.[4]

وعارض مارشال بحدة أيضاً اعتماد مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية على 'نظريات اجتماعية غير عقلانية' أكدت على دور النخبة 'بطريقة تذكر بباريتو وسوريل وموسوليني وغيرهم'. ألم يستخدم جيمس برنهام هذه النماذج في كتابه *الماكيافيلليون*؟ ربما كانت هناك نسخة متاحة عندما أعد الوثيقة. ومن المحبذ أكثر أن جيمس برنهام نفسه كان متاحاً. وبالتأكيد كانت نظرية برنهام عن حكم النخبة هي التي تحداها مشروع مارشال. تابع مارشال: 'لقد جرى إبعاد الأفراد إلى المرتبة الثالثة في الأهمية. وبرزت النخبة المفترضة على أنها المجموعة الوحيدة المهمة. فالنخبة مُعَرَّفةٌ على أنها تلك 'المجموعة المحدودة العدد والقادرة على التلاعب بالمسائل العقائدية' والمهتمة بذلك، مثل رجال الأفكار الذين يستخدمون سلطتهم الفكرية في 'تشكيل، أو على الأقل في التأثير على مواقف وآراء أولئك الذين بدورهم، يقودون'.[5] وبحسب تفسير مارشال، فقد خطط مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية ليشتغل على النخبة في جميع المناطق وذلك كي يطلع أعضاءها 'على الفلسفة التي يعتنقها المخططون'. فاستخدام النخب المحلية سيساعد في إخفاء الأصل الأمريكي للمحاولة 'وهكذا يظهر الأمر على أنه تطور محليٌّ'. لكنه لم يكن يستهدف الأجانب فحسب. وعلى رغم أن الوثيقة تتنصَّل من أي قصد

لترويج الأمريكيين دعائياً، إلا أنها التزمت ببرنامج تلقين في الأجهزة العسكرية من خلال زرع الأفكار الصائبة في كتب تسلية رجال الجيش، وجعل قساوستهم ينشرونها [6].

لقد ضربت انتقادات مارشال اللاذعة أساسيات برنامج الحرب الثقافية الأمريكية السرية. وكانت نظرية النخبة التي شكلت جزءاً أساسياً من ورقة مجلس إدارة الاستراتيجية العقائدية هي بالضبط النموذج نفسه الذي استخدمته السي آي إي لتبرير دعمها لليسار غير الشيوعي وللمنظمة من أجل الحرية الثقافية. وبتعليقه على استخدام النخبة الفكرية من أجل تطوير 'الفلسفة التي يعتنقها المخططون'، لم يقصد عميل السي آي إي دونالد جيمسون أية سخرية حين قال: 'بقدر ما تهم المواقف التي أرادت الوكالة نشرها عبر هذه الأنشطة، فإن ما رغبت في أن تكون قادرة على إنتاجه هو بشر، يقتنعون من خلال *تفكيرهم وإيمانهم الخاصين* أن كل ما تفعله الحكومة الأمريكية هو صائب'. [7]

لكن انتقادات مارشال وقعت على آذان صماء. وتحرك مدير مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية ريموند آلن إلى الإعلان الصارخ بأن 'المبادئ والمثل المتضمنة في إعلان الاستقلال والدستور هي للتصدير و ... تراث للبشر في جميع الأمكنة. يجب أن نروق لميول جميع البشر الأساسية والتي أعتقد أنها نفسها لدى المزارع في كنساس كما لدى المزارع في البنجاب'. [8] وفي أيار 1952، تولى مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية المدعَّم من جديد الإشراف على حركة وتوقيت برنامج السي آي إي للحرب النفسية، الذي كان اسمه الحركي باكيت Packet. ومنحه هذا الإشراف على حملة السي آي إي كي تمارس ضغطاً على 'قادة الرأي' في ما وراء البحار، وعلى صحفيين، ومعلقين، وفنانين، وبروفيسورات، وعلماء، راقت لهم الشيوعية بشكل كبير. إن كسب واسترداد هذه الشخصيات المؤثرة إلى قضية 'الحرية' كان يتطلب برنامجاً 'من العمليات الثقافية مثل المناقشات العامة، والندوات، والمجلدات الخاصة، والمجلات المتخصصة، والمكتبات، وتبادل الأشخاص، ومناصب الأستاذية القائمة على المنح، الخ.' وتحت هذا العنوان، أشرف مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية على حركة إعادة التسليح الأخلاقية، وعلى الحملة من أجل الحرية، وعلى إذاعة أوروبا الحرة، والسلام والحرية Paix et Liberte، واللجنة الأمريكية للحرية الثقافية، وحتى على عمليات تشمل الإذاعة من السفن، و' أفلاماً ثلاثية الأبعاد'، واستخدام 'الأغاني الفولكلورية، والحكايات الشعبية، والحكواتيين المتجولين'. وفي حزيران 1953، كان 'باكيت' جزءاً واحداً فحسب من 'البرنامج العقائدي' لمجلس إدارة الاستراتيجية النفسية، والذي كانت 'أهدافه النفسية' معرَّفة في وثيقة جديدة بأنها 'تروق للمفكرين، والباحثين، ومجموعات تشكيل الرأي' من أجل 'تحطيم أنماط الفكر العقائدي في أنحاء العالم والتي قدمت أساساً فكرياً للشيوعية وعقائد أخرى معادية لأمريكا وأهداف العالم الحر'. وجرى الاعتقاد بأن حملة الإقناع هذه 'ستخلق فوضى، وشكوكاً، وفقداناً للثقة بنماذج الفكر المقبولة للشيوعيين المقتنعين وأصحاب الوظائف المأسورين. 'وطُلب من السي آي إي 'منح أولوية دائمة لجميع الأنشطة التي تدعم أهداف هذا البرنامج'. [9] وبعد أقل من عامين من تشكيله، نجح مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية، 'في تأسيس نفسه كجزء أساسي من تطور السياسة الخارجية وممارستها'. [10]

إن سي دي جاكسون، الذي تمتع بمدخل إلى المكائد السرية لمجلس إدارة الاستراتيجية النفسية وأقسام الحكومة التي يشملها، أصبح الشخص الأكثر نفوذاً في تلك الدائرة المحكمة من السلطة التي صارت تُعرف بـ'الحكومة اللامرئية'. جالساً كعاهل شرقي أو كمعجزة دلفية، كان يستقبل دفقاً مستمراً من الزوار الذين يطلبون حكمته حول مسائل واسعة التنوع. فملفاته من السجلات التفصيلية لهذه الزيارات تقدم كشفاً فريداً حول عالم السرية. وجاء من مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية موظفون مسلحون بخطط أو حرب عقائدية تتضمن تمرير جميع أساليب الدعاية المطبوعة فوق الستارة الحديدية بمناطيد الهليوم. وجاء من قسم بحث المعلومات آدم واتسون، كي يطلع سي دي على مذكرة حول السياسة البريطانية في الحرب النفسية، 'والتي أكد واتسون لي أنها كانت عملاً فريداً وغير مسبوق من قبل HMG. وفي هذا الصدد طرح مشكلة الاشتراك البريطاني الفعلي معنا ونحن لا نشترك معهم في شيء. أخبرته أن العاملين هنا واعون جداً لهذا الموقف، وأن لدي آمالاً بأنه سيتم تسريعه في الحال'. أصبح واتسون صلة وصل قَيِّمة لسي دي الذي قابله أول مرة في 1951 في السفارة البريطانية بواشنطن، حيث كان يعمل ضابط ارتباط مع السي آي إي. بعد ذلك، عمل سي دي في منصبه في البيت الأبيض، وزكّى واتسون لدى نيلسون روكفيلر – الذي خلف سي دي في منصبه في البيت الأبيض في 1954 – كشخص 'يحب علاقة غير رسمية، مستقلة، قائمة على التبادل، وأكثر فائدة'.[11] وبرهن واتسون أنه حليف قوي ومتكتم للمنظمة من أجل الحرية الثقافية لسنوات طويلة. ومن المنظمة من أجل الحرية الثقافية جاء جوليوس فلايشمان، 'كي يناقش احتمالات رعاية المنظمة من أجل الحرية الثقافية للحفلة الأوروبية لأوبرا الميتروبوليتان'، وفيما بعد جاء دانييل بيل 'كي يتحدث عن ميلوش Miloscz (كذا) وعن اللقاء العلمي القادم تحت رعاية المنظمة من أجل الحرية الثقافية.'[12]

وبوجود سي دي جاكسون في البيت الأبيض كسبت المنظمة من أجل الحرية الثقافية حليفاً قوياً في واشنطن. وتحرك توم برادن بسرعة كي يقيم علاقة مع سي دي، وكان الاثنان يلتقيان بانتظام كي يناقشا 'مسائل متراكمة'. وأقنع تعاونهما حول جولة فرقة بوسطن السيمفونية في 1952 سي دي بفائدة المنظمة من أجل الحرية الثقافية التي مدحها قائلاً إنها 'المؤسسة الوحيدة التي تمارس ضغطاً واضحاً مضاداً للشيوعية ومن أجل الحيادية بين المفكرين في أوروبا وآسيا'.[13] ولقد احترم كثيراً من نشطائها، مزكياً عدداً منهم كمرشحين للعمل الحكومي، وبينهم سيدني هوك، وجيمس برنهام (شارح مطلع جداً 'لوزارة الخدع القذرة')، محرر مجلة *نيو ليدر* سول ليفيتاس (بالتحديد إلى جانب الملائكة)، ودانييل بيل الذي عمل لـ*فورشن* التي يملكها لوس، وكان كما قال سي دي:'يعرف بشكل كامل تقنيات الحرب الباردة'.[14] وكان أيضاً معجباً طول الوقت بنيكولاس نابوكوف. وكان سي دي هو الذي زكى نابوكوف في قائمة ملاك الحرب النفسية المناسب للتوظيف في مناصب حساسة والتي قُدِّمَتْ لمكتب وزير الجيش في 1950.

وقد تحالف سي دي مع المنظمة سنوات طويلة (في 1954 أصبح عضو مجلس إدارة اللجنة الأمريكية)، وعاد عليها بفوائد جمة، بالإضافة إلى هيبة دعمه الحكيم . فإذا كانت المنظمة

بحاجة إلى التغطية في مجلات لوس فإن سي دي يؤمن ذلك. وإذا أرادت نقطة التقاء مع لجنة أوروبا الحرة وإذاعة أوروبا الحرة، يعمل سي دي كضابط ارتباط. وحين تحتاج إلى تبرعات 'خاصة'، كان سي دي يستطيع استخدام صلات نفوذه الواسعة كي يقدم التغطية الضرورية. ولكن الأكثر أهمية كان الطابع السياسي الذي أضفاه سي دي على منظمة تمتلك، بشكل مثير للدهشة، بضعة مدافعين في العاصمة. قال لورنس دي نوفيل: 'ما من أحد صاحب سمعة في واشنطن لدعمها، ولا أحد كان متأكداً من أنه يريد سمعة لدعمها. كان معظم الأشخاص مترددين حيالها. لقد خلقناها ولكننا لم نمتلك أية آليات لها في واشنطن'.[15] ويجب أن تُذكر الجهود البطولية لمايكل جوسيلسون التي بقيت بفضلها المنظمة من أجل الحرية الثقافية على قيد الحياة، وازدهرت، في سياق تشكيك كهذا.

بعد كمية العمل المحمومة في السنوات القليلة السابقة أخذ جوسيلسون استراحة قصيرة من الصراع على عقول وإرادات البشر. ففي الرابع عشر من شباط 1953 تزوج ديانا دودج في احتفال مدني مع لورنس دي نوفيل كشاهد. كان الاثنان متزوجين سابقاً. وكان جوسيلسون قد تزوّج كوليت جوبيرت في هافانا في 1940، لكنهما تطلقا وأبعدا عن بعضهما. وكان دائماً سرياً بنحو مريب بحيث لم يتحدث عنها مطلقاً مع أي شخص. لكنه احتفظ بقصاصة ذاوية من صحيفة نيويوركية بتاريخ شباط 1963 تتحدث عن جريمة قتل كوليت الرهيبة: فقد وجدت مقيَّدة ومخنوقة حتى الموت ووُضِعَ كعام لسد فمها بعد أن اغتصبتْ في شقتها في آبر إيست سايد.

قضى مايكل وديانا شهر عسلهما في ماجوركا. وبعد عودتهما بوقت قصير إلى باريس، اعترف مايكل 'بشكل كامل' وأخبر زوجته ديانا أن السي آي إي وظفته، وأن المنظمة من أجل الحرية الثقافية كانت ملكية تديرها الوكالة. أما ديانا التي لاحظت سابقاً من انخراط مايكل مع المنظمة أن فيه أكثر مما أعلنت بطاقة عمله في الاستيراد والتصدير، فكانت قد أضمرت فكرة أنه من المحتمل أنه يعمل لصالح الروس. ولقد أراحها اكتشافها بأنه كان في الجانب 'الصحيح'. مُنِحَتْ ديانا الاسم الحركي جين إنسينجر،ومنذ ذلك الوقت فصاعداً شكلا نوعاً من الشراكة.

كانت ديانا جوسيلسون ملائمة جداً للمهمة. وهي الحاصلة سابقاً على منحة فولبرايت، كانت تمتلك معرفة معقدة بشؤون العمل، أولاً من عملها في قسم المشاريع التابع لمشروع مارشال، والذي كان تحت نفوذ جي ليفستون وإرفنغ براون. وتذكرت ديانا بتألق:'كنت شابة، طرية الوجه، وحققت نجاحاً كبيراً مع جميع قادة المشاريع'. وشمل عملها في قسم المشاريع كتابة التقارير حول النقابات التجارية الشيوعية في أوروبا، والتي بسببها كان لها مدخل إلى عمليات اعتراض سرية للغاية. وكان هذا العمل الحساس يتطلب موافقة أمنية من السي آي إي. وفيما بعد، علمت ديانا أن الأموال الموضوعة تحت تصرف السي آي إي كانت قد استخدمت لتغطية راتبها.

وكانت 'جين إنسينجر' و'جوناثان ف. سابا' يكتبان سوية البرقيات والمذكرات المشفرة للإرسال إلى واشنطن. وكانت هذه تُسَلَّم إلى ضابط مهمة في السي آي إي أثناء تناول المارتيني

في شقة جوسيلسون. وتذكرت ديانا: 'كان جميع ضباط المهمة يحملون الحقيبة الصغيرة نفسها ذات الجيب السري، ويضعون البرقيات هناك. كان هذا مضحكاً في الحقيقة، لأنك تستطيع أن تتعرف عليهم من على بعد ميل، جميعهم يحملون حقيبة من النموذج نفسه. كان هناك صخب. كنا نقرأ البرقيات القادمة ثم أرميها في المرحاض'.[16] كانت ديانا مؤهلة جيداً لهذا العمل، وتعرف كيف تحفظ سراً، حتى عن أمها. فقد خرج مرة ضابط المهمة لي ويليامز كي يشتري علباً من طعام الطفلة جينيفر، الابنة الأولى والوحيدة لجوسيلسون وزوجته. وحين عاد كانت ديانا مجبرة على تقديمه إلى أمها التي جاءت من الولايات المتحدة لتساعدها في العناية بالطفلة. وحين رأت نسخة من رواية *جين آير* على الطاولة، تمتمت ديانا: 'هذه للسيد روشيستر'. 'يا للغرابة! الـ سيد روشيستر. تماماً كما في *جين آير*! قالت أمها التي لم تشتبه بالأمر. ويشير عدم استخدام ديانا لاسم لي ويليامز الحقيقي، الذي لن يكشف شيئاً، إلى كم كان خيالها عالقاً بشكل معقّد في اللعبة الكبيرة. وحين قبلت الحقيقة في النهاية لأم ديانا كانت 'مثارة جداً هي أيضاً من الأمر كله'.[17]

وبعد أن صارت ملمة بشكل كامل بوقائع عمل مايكل، كان إعجاب ديانا بخبرته الفائقة للعادة يزداد كل يوم. ولقد أذهلتها قدرته على تنسيق مطالب واشنطن وأمزجة مفكري المنظمة المتقلبة دائماً. وقالت فيما بعد: 'لم تكن هناك طريقة لصناعة المنظمة من دونه. وأعتقد أن جو المنظمة كان في ذروته كما حدث في الأيام المائة الأولى لإدارة كينيدي. كان كهربائياً. تشعر أنك تتأثر بكل ما يجري في كل مكان. كانت الأشياء تتفتح. كان هذا حيوياً. كان مايكل يعرف كل شيء. كان مذهلاً كيف يستطيع في الصباح أن يتحدث عن كتاب المسرح في بوليفيا ثم عن الكتاب في آسيا بعد الظهر، ثم سيكون هو ونيكولاس على الهاتف في المساء ويتحدثان بأربع لغات مختلفة. أذكر أنني كنت أجلس مع سترافينسكي في مقهى في باريس، وكانت زوجته تعلّمني كيف أصنع البلينيس blinis. كان وقتاً فائقاً للعادة. الحرب الباردة، المنظمة من أجل الحرية الثقافية: كان هذا مثل الثورة الفرنسية أو حركة أكسفورد. هذا ما أوحى به الأمر'.[18]

كان جوسيلسون وزوجته يلتقيان في غالب الأحيان، بتوم برادن الذي كان يتجول على عملياته في أوروبا بشكل منتظم. يذهبان إلى مطعم، أو إلى دورة رونالد جاروس للتنس، أو يأخذان برادن إلى سباقات الدراجات في الفيلدروم ديفر، 'ذلك الستاد ذو الذكرى المقيتة' الذي أخذ إليه اليهود أثناء التجميع الشامل تحت حكومة فيشي. وحافظ جوسيلسون وزوجته كذلك على صلة منتظمة مع إرفنغ براون، وكان يلتقيان به أحياناً على مائدته في ناد ليلي للشاذين يدعى لو إنديفيرينت. وفي إحدى المناسبات، وصلا إلى هناك وشاهدا براون يسلم كميات ضخمة من النقود إلى 'قاطع طريق من مرسيليا'.[19] كان براون في ذلك الوقت يؤسس 'اللجنة المتوسطية' وهي مجموعة من الحراس يدفع لهم كي يحرسوا الموانئ الفرنسية في الوقت الذي يفرغ فيه عمال المرفأ مواد مشروع مارشال التموينية والأسلحة الأمريكية المرسلة إلى الناتو. وعلق برادن بسخرية على قدرة براون على اختصار هذه الأنشطة بأنه 'كان من غير العادي أن يكون هناك

شخص يلعب دوراً واضحاً جداً في ضرب الشيوعيين في ميناء مرسيليا ويهتم أيضاً بالمنظمة من أجل الحرية الثقافية'.[20]

وشرحت ديانا جوسيلسون: 'امتلك اتحاد العمال الأمريكي تجربة حقيقية في محاربة الشيوعية، وكان هذا المكان الواضح لشن القتال منه. أحب براون جميع الأعمال العضلية مثل إفساد الإضرابات وغير ذلك من الأمور المماثلة. وكنت أنا ومايكل نستمتع بالأمر ونذهب إلى ناد ليلي ونقابل شخصاً نقابياً يمنحه إرفنغ النقود، وكنت متأكدة أن المفكرين يسلّون إرفنغ بشكل مشابه. أفترض أن جاذبية تعزيز المنظمة بطريقة براون - من يعرف بيكاسواته وبودليراته؟ - كانت صاخبة، والصلات جيدة'.[21]

في عطل نهاية الأسبوع، كان مايكل وديانا يسترخيان من خلال التجول على حوانيت الآثار القديمة وصالات الضفة اليسرى. كانا يتناولان سندويتشات مفتوحة ويحتسيان الأكوافيت - شراب اسكندينافي مسكر - ويتبع ذلك تناول الشاي في مقهى دو فلور (المفضل لدى سارتر) أو في مقهى الدو ماغو Deux Magots. وفي أيام الأحد، كانا يقومان بنزهة إلى فونتانبلو، أو يستقلان زورقاً في نهر السين. وأحياناً يلتقيان بدي نوفيل، ويشكلون ثلاثياً متجانساً، تربطهم الصداقة الحقيقية والسر الذي يجمعهم. ومرة عاد دي نوفيل من إحدى نزهات التسوق مع جوسيلسون كمالك متفاخر للوحتين للفنان براغ. بعد سنوات، حين أصبحت ابنة جوسيلسون جينيفر خبيرة في الفن الحديث، أعلنت، بتردد، أنهما مزيفتان.

وبموافقة جوسيلسون الرسمية المختومة على مكتب باريس، كانت المنظمة تحظى بسمعتها كمركز جيد التنظيم لمقاومة الشيوعية فكرياً. ومن خلال مجلة *بروف* أظهرت صوتاً سياسياً محنكاً تحدث أيضاً عن المسائل الفنية والثقافية لتلك الفترة. وعلى رغم أن الفرع الألماني للمنظمة انتقل من أزمة إلى أخرى، إلا أن جوسيلسون استطاع الاعتماد على ميلفن لاسكي (وفي الحال، على مجلة *دير مونات*، التي أخذتها المنظمة من مؤسسة فورد في 1954) من أجل رعاية مصالح المنظمة هناك. وعانت فروع في بلدان أخرى من مشكلات عويصة متنوعة، شهدت كلها على استحالة جعل المفكرين يعملون سوية دون أن يسقطوا فريسة للمعارك الفئوية والحساسيات المجروحة. لكن مشكلاتهم بدت كمثل كثير من العواصف في إبريق شاي إذا ما قورنت مع الأعاصير التي هبّت داخل اللجنة الأمريكية.

الفصل الحادي عشر

الإجماع الجديد

يجب أن يكون الفنان رجعياً. يجب عليه أن يقف ضد اتجاه عصره، وألا يتخبط، يجب أن يقدم قليلاً من المعارضة.

إيفيلن وو

لقد اخترت الغرب.

دوايت ماكدونالد، 1952

كان سيدني هوك القوة الرئيسية وراء اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية التي تم تأسيسها في نيويورك في كانون الثاني 1951. وأصبح رئيسها الأول، وكان، بحسب لورنس دي نوفيل، 'مستشار عقود' لوكالة الاستخبارات المركزية. وخدم إرفنغ كريستول، الخريج الآخر من نيويورك سيتي كوليج، كمدير تنفيذي، وكان يحصل مقابل ذلك على راتب سنوي قدره ستة آلاف وخمسمائة دولار، ارتفع إلى ثمانية آلاف وخمسمائة دولار في 1954، وذلك حين حل سول شتاين محل كريستول، قادماً مباشرة من جهاز المعلومات الأمريكي حيث كان يعمل في وحدة مخصصة للتحليل الإيديولوجي. وكان الهدف من اللجنة، كفرع أمريكي رسمي للمنظمة، هو أن تعكس التحالف الواسع للدوائر اليسارية والليبرالية البعيدة عن المركز، التي صنعت المنظمة المضيفة. ولكن بينما كانت المنظمة قادرة على تهميش نشطائها المتشددين مثل كويستلر، فإنها لم تمتلك سلطة كهذه على اللجنة الأمريكية، التي انقسمت في الحال بين المعتدلين والمتطرفين. 'كنت مضطراً في تلك الأيام أن تكون إما 'متشدداً' أو 'مرناً' حيال الشيوعية'، هذا ما قاله جاسون أبشتاين، وتذكر ديانا تريلينغ، بمزاج شهواني، فحين كانت 'واقفة خلف كرسي ليونيل تريلينغ في حفلة عشاء قالت: لا أحد منكم أيها الرجال متشدد بما يكفي بالنسبة لي! لقد كانوا أشخاصاً سخيفين، والحقيقة أنهم عاشوا في جو مغلق'.[1]

وكان يعيش في الجو المغلق مع تريلينغ وزوجته خليطٌ قويٌّ من المفكرين المحافظين من الذين وُصفوا بسخرية بـ 'كيبوتز آبر ويست سايد'. وكان بينهم جيمس برنهام، وأرنولد بيشمان، وبيتر فييرك (الذي كان والده متعاطفاً مشهوراً مع النازية)، والناقد الفني كليمنت جرينبيرك، وإليوت كوهين، محرر مجلة *كومنتيري* ومستشار رسميٌّ حول الشيوعية لمدراء في منشورات لوس. كانت

معاداتهم للشيوعية متغطرسة في الأسلوب والمحتوى. وتتذكر إرفنغ كريستول: 'كان بعض الأشخاص مثل بيشمان وتريلينغ وزوجته ديانا مؤيدين لأمريكا بشكل عنيف، ولقد اعتقدوا أننا كنا نهمل العمل. وكانت ديانا لاذعة على نحو خاص'.[2] ويتذكر شخص آخر من الداخل 'نوعاً من الإحساس المحموم بالتفوق بين كثير من الأمريكيين: لقد ربحنا الحرب، والآن سوف نعيد تنظيم أوروبا بطريقتنا. كان معظم أولئك البشر حملة بنادق من نيويورك، وكانوا يفضلون طريقاً أخلاقياً متصلباً، واعتبروا طريقنا طريقاً أدنى إلى الاسترضاء. ووصل الأمر ببعضهم إلى الظن بأن الشيوعيين اخترقوا المنظمة'.[3]

كان يمثل العنصر المعتدل في اللجنة الأمريكية آرثر شليسنغر، وعالم لاهوت الحرب الباردة رينهولد نيبوهر، وجيمس ت. فاريل، وريتشارد روفيري من ذَ *نيويوركر*، والرئيس السابق للحزب الاشتراكي والمرشح ست مرات لرئاسة أمريكا نورمان توماس، ومحرر *بارتيسان ريفيو* فيليب راهف. وكان يتأرجح بين الفئتين إرفنغ كريستول (الذي أصبح فيما بعد ريغانياً متحمساً)، ومحرر *بارتيسان ريفيو* الآخر ويليم فيليبس، وسيدني هوك. وكان هوك مهتماً بشكل خاص بالحفاظ على السلام بين المجموعتين: (كان في ذلك الوقت يعزز مصالح الجماعة مع مدير وكالة الاستخبارات المركزية والتر بيديل سميث الذي حل محله آلن دلس في 1953)، وجوردون جراي، المدير الأول لمجلس إدارة الاستراتيجية النفسية وكانت تلك لقاءات فاشلة بحيث لا تستحق ذكراً في سيرة هوك الذاتية[4]. وشهدت هذه الاتصالات مع عميلي استخبارات رفيعي المستوى على انخراط أكثر دراية في الحرب الثقافية السرية أكثر مما كان هوك مستعداً للإقرار به. ولقد قام مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية، وسي دي جاكسون، ووكالة الاستخبارات المركزية بقص وتصنيف مقالته التي نُشرت في *نيويورك تايمز ماغازين* في آذار 1951 بعنوان – استراتيجية أساسية لمجابهة الكذبة الكبيرة – وفيها وصف هوك خطر الشيوعية العالمية على الديموقراطية، ودعا إلى 'استنفاد جميع إمكانيات الحرب السياسية الفعالة للدفاع عن البقاء الديموقراطي... يجب على الديموقراطيات أن تقوم بالهجوم في الحرب السياسية ضد نظام الاتحاد السوفياتي الكلياني وتواصل الهجوم ... لا يمكن التنبؤ مسبقاً بمدى نجاح هذه الحرب السياسية. ولكنها بالتأكيد تستحق كلفة نصف دزينة من القاذفات لشنها'.[5] وبالنسبة لهوك كانت اللجنة الأمريكية مدفع بازوكا في ترسانة أمريكا السياسية، ولقد عمل بحماسته المعتادة لتقوية موقعها.

والتفت جوسيلسون إلى المعتدلين في محاولة لإبقاء اللجنة الأمريكية متناغمة سياسياً مع المنظمة. لكن شليسنغر وحلفاءه لم يتمكنوا من احتواء عصبة المتشددين العنيدة، وظهرت الخلافات بين اللجنة ومكتب باريس إلى السطح على الفور. ازدرى الأمريكيون مهرجان نابوكوف الضخم في باريس، واتهموا المنظمة بالطيش. أما إليوت كوهن، الذي كان في سياسته أقل تطرفاً من جيمس برنهام بشكل ضئيل ، فقد تساءل: إن 'كنا فقدنا رؤية وظيفتنا وأهدافنا بهذا النوع من الفوضى، وإذا فقدنا الرؤية، فمن الذي سيكون هناك؟' وسخر ناقد آخر منها بأنها 'تروق للمتنفجين والجماليين' وتدمر سمعة المنظمة 'كقوة فكرية جادة'.[7]

وكان الافتتان بالسلطة أكثر تجلياً في اللجنة الأمريكية، وتتوج في 1952 بندوة عقدتها مجلة *بارتيسان ريفيو* أكدت على علاقة جديدة وإيجابية بين المفكرين والدولة القومية. ودُعيتْ الندوة التي استمرتْ عدداً بعد آخر، 'بلادنا وثقافتنا'. وكتب المحررون أن هدفها 'فحص الحقيقة الظاهرة وهي أن المفكرين الأمريكيين ينظرون الآن إلى أمريكا ومؤسساتها بطريقة جديدة. ومنذ أكثر من عقد بقليل، اعتُقِدَ بشكل عام أن أمريكا معادية للفن والثقافة. ومذاك، بدأ المد يرتفع، وشعر كثير من الكتاب والمفكرين بأنهم أقرب إلى بلادهم وثقافتهم ...سياسياً، هناك اعتراف بأن نوع الديموقراطية السائد في أمريكا يمتلك قيمة إيجابية وجوهرية: إنها ليست مجرد أسطورة رأسمالية وإنما حقيقة يجب أن يُدافع عنها ضد الكليانية الروسية... لم تعد أوروبا تُعتبر ملاذاً، لم تعد نموذجاً لتجربة الثقافة الغنية تلك التي ألهمت وبررت نقد الحياة الأمريكية. لقد وصلت العجلة إلى دورتها الكاملة، وأصبحت أمريكا الآن حامية الحضارة الغربية'.[8]

كانت الحياة الفكرية في نيويورك في الثلاثينات تقاس بشكل حصري بالعلاقة مع موسكو، وللتعبير عن مخاوفها استخدمت صفحات مجلة *بارتيسان ريفيو*، التي أسستها مجموعة تروتسكية من السيتي كوليج، وبدأت حياتها كأداة محلية لنادي جون ريد الذي هيمن عليه الشيوعيون، وابتكرتْ لغة محنكة للتعبير عن الأفكار الماركسية. ولكن أحداث 1939 – 1940 دمرت مراسيها. وبعد توقيع معاهدة عدم الاعتداء الألمانية السوفياتية، بدأ كثير من المفكرين يبتعدون عن أرثوذكسيات الشيوعية اللينينية إلى راديكالية تروتسكي المنشقة. وهجر البعض اليسار تماماً وانتقلوا نحو المركز السياسي وحتى إلى اليمين. ووجدت *بارتيسان ريفيو* نفسها آنذاك تبتكر لغة مضادة لتعبر عن المعاداة للستالينية وتعيد تعريف الراديكالية في سياق غير شيوعي.

وبعودتهم إلى فكرة أمريكا مثلهم مثل كثير من الأبناء الضالين التائبين، برز المفكرون والفنانون من 'الفترة المظلمة' للثلاثينات كي يكتشفوا 'انتعاشاً في الظهور الطاغي والمفاجئ لاحتمالات جديدة في الحياة كما في الوعي. كان هناك عالم في الخارج بدا كما لو أن أحداً لم يزعج نفسه بالنظر إليه من قبل، وأزال الجميع، بسعادة، ضبابهم الماركسي واندفعوا كي ينظروا بصورة أوضح'.[9] أما أولئك المفكرون المولودون من جديد، فقد عثروا على جواب في أمريكا،أو بشكل أكثر عفوية في 'الأمريكانية'، أثناء بحثهم عن شيء ما يحل محل المطلقات التاريخية التي خيَّبتْ أملهم بشكل كامل. وأشارت ندوة *بارتيسان ريفيو*، المعادل الأدبي 'لكتاب تبويق من أجل الإنسان العادي' – من تأليف آرون كوبلاند – أشارت إلى حدث اكتشاف أمريكا هذا وكأنه حدث للمرة الأولى. وكتب ويليم فيليبس: 'اكتسب الفنانون والمفكرون الأمريكيون إحساساً جديداً بالانتماء إلى أرضهم الأم، وبدأوا يشعرون أن مصيرهم مرتبط بمصير بلادهم'.[10] وبما أن المفكرين طوروا صلة حقيقية مع أمريكا،فقد بدأت أمريكا تراهم في ضوء جديد.

ونوَّه ليونيل تريلينغ: 'ربط الفكر نفسه بالسلطة، ربما كما لم يحدث مطلقاً في التاريخ، وصار يُنظر إليه على أنه نوع من السلطة في ذاته'.[11]

ونوّه المؤرخ كارول برايتمان: 'ربما هذه هي المرة الأولى منذ الثورة الفرنسية التي تقرر فيها العناصر المهمة لجماعة فكرية أنه لم يعد من الضروري أن تكون عدائياً، فأنت تستطيع أن تدعم بلادك دون أن تجعل الكمال الفكري والفني رخيصاً'.[12] وتم تأكيد هذا الإدراك الجديد للمفكرين حين نشرت مجلة *تايم* قصة غلاف تُدعى 'بارناسوس: ساحل لساحل'، والتي اختتمت أن 'رجل الاحتجاج ... أفسح المجال لرجل القبول، وهذا هو الدور نفسه الذي لعبه المفكرون حين أصبحت الأمة جديدة'.[13] كانت تلك هي اللحظة التي بدأ فيها الماركسيون المنحرفون بالتحول من رافضين إلى 'يمينيين'، حين فقد إيديولوجيو السيتي كوليج، مع رفاقهم في الحرب الأكثر نزقاً، مثل دوايت ماكدونالد، ذوقهم للصراع الطبقي وربما على الأرجح طلب منهم طلاب طموحون رسائل تزكية. وكتب دوايت ماكدونالد فيما بعد: 'لقد أذهلتني السرعة التي تطورت فيها من ليبرالي إلى متطرف ومن متعاطف فاتر مع الشيوعية إلى معاد للستالينية متحمس'.[14] واختتم كاتب سيرته الذاتية واصفاً هذا التحول السياسي: 'إن استقلالية دوايت، وسلبيته التي أعلنها، ورفضه قبول أي نوع من الإخلاص القومي كلُّ هذا ميَّز رؤيته السياسية وعزَّز حياته السياسية. لم تكن المسألة خيانة التزام، بل انحصرت في أنه وصل من خلال تحليله المؤلم إلى نقطة لم يعد يمتلك فيها أي موقف سياسي قابل للتطبيق إلا 'الأقل شراً'. كان هذا بالنسبة له مأزقاً يدعو إلى الإحباط. وحتى حين استمر في التماهي مع تراث راديكالي، أو على الأقل منشق، كان لا يزال يشعر بأنه عضو نخبة مستلبة تعارض القومية الأمريكية، والإمبريالية، والثقافة الجماهيرية، وأنه، حتى ولو بشكل غير مقصود، قادم ليدعم الحفاظ على السلطة الأمريكية في الخارج والمؤسسات القائمة في الوطن'.[15] ولاحظ فيليب راهف تطورات كهذه بذعر متنام، وحذَّر من أن: 'المعاداة للستالينية أصبحت موقفاً مهنياً تقريباً. إنها تقصي جميع المخاوف والأفكار الأخرى تقريباً، والنتيجة هي أنهم يحاولون تحويل المعاداة للستالينية إلى شيء ما لا يمكن أن يوجد مطلقاً: وجهة نظر كلية في الحياة، أو فلسفة في التاريخ'.[16]

كان مقر معاداة الستالينية 'المحترفة' هو اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية، وكانت المجلات التي شغل محرروها مجالس إدارتها هي *كومنتيري، ونيو ليدر، وبارتيسان ريفيو*. ولكن الآن، وفيما كان المركز يبدأ بالتماسك، وصلت *بارتيسان ريفيو* إلى حافة الإفلاس، وكان أحد أسباب ذلك هو أن وزارة المال الأمريكية هددت بإنهاء إعفائها من الضرائب. وكتب سيدني هوك التماساً دراميا إلى هاولاند سيرجنت، مساعد وزير الخارجية في العاشر من تشرين الأول 1952، مدافعاً عن سجل *بارتيسان ريفيو* كأداة فعالة لـ 'مقاتلة الإيديولوجيا الشيوعية في الخارج، وخاصة بين المفكرين'، وتوسل من أجل الحفاظ على إعفائها من الضرائب. وقام دانييل بيل أيضاً بمبادرة، وعمل 'كوسيط' في النقاشات مع هنري لوس، الذي أنقذ المجلة مقدماً عشرة آلاف دولار (وفي الوقت نفسه تبرَّع بواحد وسبعين سهماً مالياً من رأسمال شركة تايم للجنة الأمريكية). وكتب دانييل بيل فيما بعد: 'على حد علمي لم تُكشف تلك المنحة علنياً على الإطلاق، حتى للمساهمين ولبعض محرري *بارتيسان ريفيو* الزملاء'.[17]

ولم يكن من الواضح تماماً ما الذي كان يتوقعه لوس من استثماره. وزعم جاسون إبشتاين فيما بعد أن 'ما كان ينشر في *بارتيسان ريفيو* أصبح في الحال يُشحن في *تايم ولايف*'. وبالتأكيد، أضفى دعم لوس المادي الكريم لما كان سابقاً صوتاً مرخَّصاً للحزب الشيوعي الأمريكي معنى جديداً على عملية 'إنهاء راديكالية' المفكرين الأمريكيين أثناء الحرب الباردة التي نوقشت كثيراً.

انتبهت السي آي إي في البداية إلى الصعوبات المالية في *بارتيسان ريفيو* من خلال إرفنغ بروان. وقبل عام من تقديم إعانة لوس، كتب سيدني هوك إلى براون يطلب منه المساعدة في بذل الجهد لإبقاء *بارتيسان ريفيو* و *نيو ليدر* حيتين. وكتب هوك: 'جاءتنا نصائح من كثير من أصدقائنا الأوروبيين بأن الشعور المعادي لأمريكا، وخاصة الحيادي، يزداد قوة في أوروبا الغربية. وهذا يحدث في الوقت نفسه الذي تواجه فيه، تلك الأداة الديموقراطية، المضادة للحياد بشكل رائع، مجلة *نيو ليدر*، الانقراض بسبب النفقات المرتفعة. إن اختفاءها سيكون كارثة ثقافية'.[19] وتابع القضية نفسها بخصوص *بارتيسان ريفيو*، وطلب من براون أن يساعد في ضمان توزيع أربعة آلاف إلى خمسة آلاف نسخة من المجلتين في الخارج. ونقل براون المشكلة إلى برادن في قسم المنظمات الدولية. وبعد ذلك بوقت قصير، وجد محرر *نيو ليدر*، لوس ليفيتاس، نفسه في مكتب توم برادن الذي يتذكر فيما بعد: 'يا إلهي، أستطيع تذكر ذلك الشخص وهو يجلس في الجانب الآخر من الطاولة ويتوسَّل إليَّ من أجل النقود'.[20]

كان ليفيتاس، المهاجر الروسي الذي عمل مع تروتسكي وبوخارين، يمتلك داعمين أقوياء جداً في جماعة الاستخبارات الأمريكية. ولقد مدحه سي دي جاكسون لقيامه 'بعمل ممتاز في تقديم الأدب اليساري الموضوعي الرفيع، وغير المحرَّف، والمؤيد لأمريكا،والموجود على جانبي الأطلسي'، وقال إنه كان ' إلى جانب الملائكة'.[21] ومن المؤكد أن آلن دلس اعتقد هكذا. وفي 1949 نشر ليفيتاس مقالة لدلس تؤيد 'لجنة أمن داخلية' لفحص التأثيرات الهدَّامة في الولايات المتحدة ولاستخدام 'مؤسسات الديموقراطية لتدميرها'. وكانت مساعدة آلن دلس للبيت الأبيض في إعادة تنظيم الاستخبارات الأمريكية، على غرار ' قيام رئيس الإم آي فايف M15 بالكتابة لمجلة *نيو ستيتسمان*'.[22] وفي ذلك الوقت أيضاً، ورغم أن *نيو ليدر* كانت تطلق استغاثات هستيرية من أجل التمويل كي تدفع ديناً وصل إلى أربعين ألف دولار، بدأت تظهر في نيسان 1950 بوصفها *'نيو ليدر'* جديدة بقطع مكلف مثل *تايم*. وحين جلس ليفيتاس قبالة برادن بعد عامين، عثر على ملاك آخر يستطيع إنقاذ مجلته. وافق برادن على إعانة *نيو ليدر* ورتب عملية تسليم مبالغ نقدية لليفيتاس في مكتب برادن في ثلاث مناسبات على الأقل. قال برادن: 'لم يكن مبلغاً كبيراً، على الأرجح عشرة آلاف دولار في كل مرة. ولكن كان هذا كافياً لحماية المجلة من السقوط'.[23]

في غضون ذلك، تولى كورد ميير قضية *بارتيسان ريفيو*. فبالإضافة إلى إعانة لوس (عشرة آلاف دولار) تلقت المجلة ألفين وخمسمائة دولار في 1953 من 'حساب مهرجان' اللجنة الأمريكية، الذي كان لا يزال يحوي بعض الأموال التي بقيت من فورة نشاط نابوكوف في العام

الماضي. وسَيُذْكَر أن حساب المهرجان كان قناة نقود السي آي إي التي كانت تُرسلُ عبر مؤسسة فارفيلد المزيّفة. وحين قُدِّمَتْ تلك الإعانة إلى *بارتيسان ريفيو*، كان محررها المشترك ويليم فيليبس سكرتيراً ثقافياً للجنة الأمريكية. وقال فيليبس فيما بعد إنه لا يذكر تلك الإعانة وأصر دوماً أن مجلته لم تتلق بتاتاً أي دعم من وكالة الاستخبارات المركزية.

كانت السي آي إي تنتهك بدعمها للمجلات الأمريكية دستورها التشريعي الذي يمنع دعم المنظمات المحلية . وفيما يتعلق بمجلة *بارتيسان ريفيو* ومجلة *نيو ليدر* كان هناك سببان مقنعان جداً لتجاهل هذه الدقة القانونية: أولاً، قدمت المجلتان رأس جسر إيديولوجياً للمفكرين الأمريكيين والأوروبيين الذين كانت أرضيتهم المشتركة هي المعاداة للشيوعية، ولكن الذين فصلتهم اختلافات ثقافية وجيوبوليتكية، ثانياً، قدم الدعم المالي ما وصفه جوسيلسون بأنه 'درعٌ' ضد 'الغضب' المتوقّع لمجلة *بارتيسان ريفيو* ومجلة *نيو ليدر* حين تكتشفان – كما ستفعلان حالاً – أن موقعهما في سوق الأفكار سوف يُشكك به بشكل جدي.

الفصل الثاني عشر

مجلة إكس

ماذا سنفعل إذن؟ نتمسك، قدر الإمكان، بالحقائق التجريبية متذكرين دوماً أنها قابلة للتعديل على يد أي شخص يختار أن يعدِّل الآلية المدركة.

ألدوس هكسلي، *بلا عينين في Gaza*

احتلت مجلة *إنكاونتر Encounter* التي استمرت من 1953 إلى 1990 موقعاً محورياً في التاريخ الفكري لما بعد الحرب. ويمكن القول إنها كانت حيوية ومخادعة كحفلة كوكتيل أدبية. ففي هذه المجلة نشرت نانسي ميتفورد مقالتها المشهورة 'الأرستقراطية البريطانية'، وهي تحليل لاذعٌ وذكيٌّ للأعراف الاجتماعية البريطانية التي رسَخّتْ التمييز بين الطبقات. ونشرت المجلة مقالة 'عقد مدهش'، لإشعيا برلين، والتي ضمَّتْ أربع مقالات جديرة بالذكر حول الأدب الروسي، مقالة لفلاديمير نابوكوف حول بوشكين، ومقالة لإرفنغ هو حول إديث وارتون، ومقالة لديفد ماركواند حول 'الإحياء الليبرالي'، ونشرت قصصاً من تأليف خورخي لوي بورخس، ومقالات نقدية لريتشارد إلمان، ونشر فيها جايابراكشا نارايان، ودبليو. إتش. أودن، وآرنولد توينبي، وبرتراند رسل، وهربرت ريد، وهيو تريفور - روبر، وهؤلاء هم بعض أفضل العقول في ذلك العقد. كانت المجلة مقروءة في إنكلترا وأمريكا، وآسيا وأفريقيا. كانت مشوشة في تركيزها على الموضوعات الثقافية، وصامتة على نحو غريب، أو غامضة حيال مسائل سياسية كثيرة. وفي جميع الأحوال، كانت إيديولوجية على نحو حازم، ومخصصة لفكر الحرب الباردة المعادي للشيوعية. لم تُفلس مطلقاً، ولكنها وقعت في عجز أساسي، واحتاجت إلى أن تضاعف من توزيعها كي تتخلص من الديون. لكنها كانت استخباراتية ومرتبطة بعالم الاستخبارات بشكل مسرف. ولقد أشار مايكل جوسيلسون إليها بأنها 'رصيدنا الأعظم'.

قضى تقشف ما بعد الحرب على مجلة سايرل كونولي *هورايزون* في 1950، وتبعتها بعد ذلك بوقت قصير *بنغوين نيو رايتنك* لجون ليهمان، وكانت *لندن ماغازين* تتجه نحو الإفلاس، وكان ف. ر. ليفيس قد انتهى تقريباً من *سكروتيني* رغم منحة كريمة من مؤسسة روكفيلر. ولم تزدهر إلا *نيو ستيتسمان آندنيشن*، التي أظهر توزيعها الذي وصل إلى خمسة وثمانين ألف نسخة أسبوعياً مرونة مؤثرة إزاء محاولات تدميرها. وكانت إعانات جوسيلسون المالية لمجلة *تونتييث سينشري* جزءاً من هذه الحملة. فبالإضافة إلى النقود، تلقت المجلة، هي والجمعية

البريطانية لحرية الثقافة، توجيهات علنية بأن 'تنخرطا في جدل مستمر مع *نيوستيسمان آند نيشن*.'[1] وكانت السي آي إي المنتبهة إلى الأداء البريطاني الباهت في مؤتمر برلين في 1950، متلهفة لاختراق ضباب الحيادية الذي عطّل ملكة الحكم عند كثير من المفكرين البريطانيين، وليس أولئك القريبين من *نيو ستيتسمان فحسب*. وتضايق محاربو الحرب الباردة الأمريكيون من عدم اعتناق مجلة كينكسلي مارتن لفكرة الرؤية الشيوعية منفصلة بشكل كامل عن موسكو.

كانت الاستخبارات البريطانية مهتمة أيضاً بإطلاق صوت قادر على معارضة سياسة مجلة *نيو ستيتسمان* المتضاربة، و 'بلاهتها' و تبسيطاتها المريعة'. وكان دعم قسم بحث المعلومات لـ *تريبيون*، التي كان موظفو الخارجية يقتبسون مادتها ويوزعونها عالمياً، إيماءة في ذلك الاتجاه. واجتمع مالكولم مكيريدج و ودرو وايات، اللذان يعملان لقسم بحث المعلومات، مع محرر *تريبيون* توسكو فايفل في نيسان 1950 لمناقشة مستقبل المجلة، لكن مكيريدج قال: 'إنهم بوضوح على شفا الإفلاس، وطلبت منهم أن يتابعوا الهجوم العنيف على *نيو ستيتسمان من أجل مصالح الحرب الباردة*. وكانت إحدى فرضياتي الأكثر تفضيلاً هي أن نجاح *نيو ستيتسمان* الكبير كمجلة دعائية يعتمد على تأسيس الفرضية التي تقول: أن تكون ذكياً هو أن تكون يسارياً بينما النقيض الحقيقي هو الصحيح'.[2]

ولم يكن دعم قسم بحث المعلومات لمجلة *تريبيون* كافياً لإقناع فايفل بمستقبلها على المدى الطويل، وفي أواخر 1951 كان يتحدث عن 'مجلة أنجلو – أمريكية جديدة معتدلة. وكتب فايفل إلى إرفنغ براون قائلاً إن الخطط من أجل مطبوعة كهذه 'قد قُدمت، وهناك عدد من الأشخاص المتلهفين كي أقوم بالبداية. ولقد ناقشت الفكرة بشكل مباشر أو من خلال الرسائل مع دينيس هيلي، وموريس إديلمان، وديك كروسمان، وآرثر شليسنغر، وديفد ويليامز، وآخرين، لكن هذا الأمر خارج أنشطة المنظمة من أجل الحرية الثقافية وذلك لأسباب جلية'.[3] وكان السبب الواضح لإبقاء المجلة منفصلة عن المنظمة هو، كما كان فايفل يعرف بشكل جيد،أن الحكومة الأمريكية وافقت على ألا تدير أنشطة دعاية في بريطانيا. ذلك أن وكالة الاستخبارات المركزية 'أعلنت تعليقاً رسمياً لنقود الوكالة... التي كانت تستخدم في تلك البلاد المعيّنة. وهناك نوع من اتفاق السادة حول تلك المسألة'.4 ولكنَّ هذا كان على وشك التغيُّر.

كانت الاستخبارات البريطانية والسي آي إي تحوّمان، بشكل مستقل، حول فكرة تأسيس مجلة جديدة تستطيع أن تعالج العجز الواضح في ضفة العداء الفكري للشيوعية في بريطانيا. وخرج هذا الجهد المضاعف إلى الضوء أثناء سلسلة من اللقاءات التي عقدت بمبادرة من فرانك ويزنر في لندن في أوائل 1951. وسافر ويزنر إلى لندن كي يناقش مع الاستخبارات البريطانية 'مسائل ذات اهتمام مشترك' وكان يصحبه ضابط الارتباط بين الإم آي سيكس والسي آي إي في واشنطن كيم فيلبي الذي لم يمض إلا بضعة شهور على هرب صديقيه برجس وماكلين إلى الاتحاد السوفياتي، وأثناء اجتماعات حضرها أعضاء من الإم آي سيكس و وزارة الخارجية، بحسب فيلبي، 'أسهب ويزنر في الحديث عن أحد موضوعاته المفضلة: ألا وهي الحاجة إلى تمويه مصدر الأموال السرية التي تقدم لهيئات محترمة ظاهرياً نحن مهتمون بها.

قال ويزنر بأسلوبه غير الرسمي الواضح: من الضروري ضمان التعاون السري لأشخاص يمتلكون مدخلاً جلياً إلى الثروة بطريقتهم الخاصة'. وعندئذ شعر فيلبي بالسرور حين رأى مسؤول وزارة الخارجية يخط ملاحظة: 'أشخاص يمتلكون مدخلاً واضحاً إلى الثروة بطريقتهم الخاصة، أشخاص أغنياء'.[5]

وحدث أثناء 'مهمة' ويزنر في لندن أن أذيع لأول مرة خبر تأسيس مجلة رفيعة المستوى تهدف إلى تشجيع معجم يساري متحرر من قواعد الكرملين. و أدرك الجهازان أنهما يلاحقان الفكرة نفسها. واتفق ويزنر ونظراؤه في جهاز الاستخبارات السري SIS على أن المجلة ستكون ذات نفقة باهظة، ووصلوا إلى صيغة مشتركة. وفي نهاية 1951، أجيز الاقتراح المشترك على أعلى المستويات، وأقر بشكل كامل. وأرسل فيلبي إلى مساعده في واشنطن جون بروس لوكهارت، ابن أخي الشخصية المشهورة روبرت بروس لوكهارت، زعيم الاستخبارات في حربين والذي اعتقله السوفيات في 1917 كجاسوس وسجن في الكرملين. وبينما كان نجم عمه يتلاشى، شق لوكهارت الأصغر طريقه بسرعة كضابط استخبارات نموذجي. و ترأس الفرع العسكري لجهاز الاستخبارات السري في إيطاليا أثناء الحرب، وكان خبيراً في اختراق المنظمات الشيوعية في أوروبا. كان لوكهارت محترماً بشكل جيد في واشنطن، حيث أسس علاقة وثيقة مع فرانك ويزنر. وحين أراد ويزنر أن يدخل ابنه فرانك ويزنر ج ر، إلى كلية روكبي، كان لوكهارت الذي درس هناك، سعيداً لترتيب الأمر. كان ويزنر يثق بلوكهارت ولكن ليس بفيلبي. ولم يكن فيلبي بدوره قادراً على كبح كراهيته لويزنر، الذي وصفه بعنف 'كرجل صغير على عمل مسؤول، أصلع ويتجه باعتداد بالنفس إلى السمنة'.[6]

تمتع جون بروس لوكهارت بعلاقة جيدة مع لورنس دي نوفيل، الذي عمل كضابط ارتباط معه في ألمانيا بعد الحرب. وكان لوكهارت هو الذي رتب اجتماعاً لدي نوفيل وجوسيلسون مع كريستوفر مونتي وودهاوس من مكتب بحث المعلومات في لندن. وكان لوكهارت رجلاً يمتلك موهبة قوية. ولقد اطلع على كتابات يوريبيديس ولوكريتيوس في سن الحادية عشرة، وتعلّم قبل الحرب في نيو كوليج، أكسفورد، على يد ريتشارد كروسمان وإشعيا برلين الذي كان يستخدم مونولوجاً متوتراً منخفض الطنين في دروسه الخاصة، وكان يُعرف بأنه الرجل الوحيد في أكسفورد الذي يستطيع لفظ 'إبستيمولوجي' في مقطع واحد[7]. كان وودهاوس، الذي حصل على الدرجة الأولى مرتين في 1939، يحلم بمهنة أكاديمية كي يحاضر حول أفلاطون وأرسطو حين نشبت الحرب. لكن ثقافته اختلفت بعد ذلك – ساحة الثكنة، التدريب على البنادق، القفز المظلي، حرب العصابات، التخريب، الاستخبارات – وقادته في النهاية إلى خوض حرب عصابات بطولية في اليونان المحتلة.[8]

إن وودهاوس، الذي كان جاسوساً مندفعاً وجريئاً من المدرسة القديمة، لعب دوراً أساسياً في التحضير للإطاحة برئيس وزراء إيران محمد مصدق، وعمل مع كيم روزفلت في انقلاب اشتركت في هندسته السي آي إي والإس آي إس وأدى إلى تنصيب ملكية الشاه اليمينية جداً.[9] ولدى عودته من طهران، عيِّن وودهاوس في عمل سري في مكتب بحث المعلومات. وأدار مكتباً

منفصلاً قدمه جهاز الاستخبارات السري قبالة محطة نفق سينت جيمس بارك. وعُيِّن في المكتب حفنة من موظفي وزارة الخارجية وهم من الطلاب المرشحين لمكتب بحث المعلومات، ولكن وودهاوس أدارهم في النهاية كفريق شبه مستقل.

إن وودهاوس المتردد في القيام بعمل في ناديه الخاص - ريفورم - قد وافق على اللقاء في النادي الملكي للسيارات في بول مول، حيث كان دي نوفيل يحتل عضوية في ما وراء البحار. كان دي نوفيل وجوسيلسون يسافران إلى لندن من باريس من أجل اللقاء. وهنا، في أواخر ربيع 1952 قامت الاستخبارات البريطانية والأمريكية بأحد أهم التدخلات في مجرى التاريخ الفكري بعد الحرب. وعلى الغداء، في غرفة الطعام في النادي الملكي للسيارات، وضعوا خطتهم لإطلاق مجلة فكرية رفيعة وجديدة وأن تكون رعايتها سرية. وقام وودهاوس، الذي كان مسموحاً له أن يجيز المشروع، بفعل ذلك دون تردد. ووقف هذا المشروع بالنسبة لوود هاوس، الذي عمل في أقسام جغرافية مختلفة لدى وزارة الخارجية، في 'النهاية الأكثر أرضية للطيف'. لكنه كان مؤيداً قوياً للحرب النفسية، التي لاءمها الاقتراح. وتركته نبرة المحادثة في النادي الملكي للسيارات يفهم، دون شك، أن هذا الأمر سيكون إسهاماً ذكياً في صراع الدعاية السري.

كان شرطه الوحيد هو ضرورة السماح للبريطانيين بأن يبقوا إصبعاً لهم على النبض. واتفق على أن تتشاور المنظمة من أجل الحرية الثقافية، من خلال ضابط مهمة من السي آي إي مخصص لهذا الغرض، مع وودهاوس حول إجراءات 'عملياتية' متعلقة بالمجلة. فضلاً عن ذلك، رغب جهاز الاستخبارات السري بالمحافظة على مصلحة مالية في المشروع، وإسهام صغير يأتي من المقترعين السريين لمكتب بحث المعلومات. واقترح وودهاوس بأن يُفرد هذا الإسهام لمرتبات المحرر البريطاني وسكرتيره. وهذا سوف ينهي الحرج من مكافأة الأشخاص البريطانيين من قبل السي آي إي.

وقال أيضاً إن الاهتمام الرئيسي لوزارة الخارجية في مشروع كهذا هو كسب أداة لإيصال الأفكار المعادية للشيوعية إلى المفكرين في آسيا، والهند، والشرق الأقصى. ومن أجل ضمان توزيع المجلة في مناطق النفوذ هذه، ستشتري وزارة الخارجية عدداً محدداً من النسخ كي تشحن وتُوزَّع من خلال المجلس البريطاني. وفيما يتعدى ذلك تقع المسؤولية المالية للمجلة على كاهل المنظمة من أجل الحرية الثقافية. وأكد جوسيلسون أن الأموال سوف تُؤمن من خلال مؤسسة فارفيلد، رغم أن المجلةَ ستُشَجَّع لتعمل كمشروع، وذلك من أجل درء الشبهة. وأخيراً، أخبر جوسيلسون وودهاوس أن هناك مرشحين اثنين على القائمة الأخيرة من أجل الاشتراك في تحرير المجلة. وجرى الاتفاق على أن المنظمة من أجل الحرية الثقافية يجب أن تفاتح المرشحين الحاصلين على موافقة أمنية من الجهازين. وبعد ترتيب هيكل العمل، انتهى الاجتماع بالاتفاق على أن يدفع جوسيلسون ودي نوفيل المشروع إلى الأمام، ثم يلتقيان ثانية مع وودهاوس. وبدأ وودهاوس، في غضون ذلك، يبحث عن 'واجهات' مناسبة - 'أغنياء' ويزنر - كي يسرب من خلالهم نقود مكتب بحث المعلومات إلى المجلة.

كان المرشح الأمريكي لمنصب المشارك في التحرير هو إرفنغ كريستول، المدير التنفيذي للجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية، الذي ولد في 1920 لأب نيويوركي عمل كمقاول فرعي في الملابس. وقد ذهب في 1936 إلى السيتي كوليج حيث أصبح صديقاً لإرفنغ هاو، ودانييل بيل، وميلفن لاسكي. وهناك انخرط في عصبة الشبان الاشتراكية، وهي منظمة يسارية معادية للشيوعية في الكلية، ومع التروتسكيين. كان كريستول، قصير القامة، وقد عوّض ذلك من خلال الموقف السياسي العضلي الذي ميّز اللامتخرجين في السيتي كوليج، ورافقه استعداد لتجاوز خصومه، الأمر الذي حقق له سمعة كملاكم فكري. وحين تخرج بتفوق في 1940، ذهب إلى العمل كمشرف على طائرة شحن في شيكاغو وساعد في تحرير المجلة التروتسكية السابقة *إنكوايري* إلى أن دعي إلى الخدمة العسكرية. وفرز كجندي مشاة في 1944، وشهد المعركة في فرنسا وألمانيا، وسُرِّحَ في 1946. ثم ذهب إلى إنكلترا وبدأ بالعمل لمجلة *كومينتري*، وعاد إلى نيويورك في 1947 ليصبح مدير تحريرها.

كان المرشح البريطاني هو ستيفن سبيندر الذي ولد في 1909 لأسرة ليبرالية مشهورة، وحصل على طفولة محمية (كان والداي يحميانني من الأطفال الخشنين)،[10] وطوَّر طبيعة كسولة فاترة وانجذاباً إلى الأفكار اليوتوبية. وفي العشرينات وقع في أكسفورد تحت تأثير دبليو. إتش أودن الذي استمر طوال حياته، وحقق الشهرة حالاً من خلال كتابه الأول *قصائد*، الذي كان يرشح بالمزاج السياسي والجنسي للفترة التي تخللت الحرب. وعلى الفور تم تحديده مع أودن، وسيسيل دي لويس، ولويس ماكنيس كشاعر ثلاثينات، وهو العقد الذي أدخل السياسة إلى الغرف الأكثر عمقاً للأدب وشهد انضمام سبيندر إلى الحزب الشيوعي، رغم أن هذا استمر لبضعة أسابيع فحسب. كان ينتمي إلى ذلك النوع من 'بلشفية الصالونات الإنكليزية' أكثر من أي شيء آخر، كما هو معروف عن سياسة سبيندر التي كانت كالفراشة. وفيما بعد وصف تغييره لإيمانه والتزامه بأنه مسألة تتعلق بـ 'انفتاحي وتعرضي المطلق للتأثر'.[11] وعكست آنيتا كيرمود ملاحظة هنري جيمس الأب المشهورة (عن إمرسون) بأنه مثل 'مدخل بدون متاهة'، لكي تصف ستيفن سبيندر بأنه 'متاهة بدون مدخل'.[12] وناسبت عبارة جيمسية أخرى سبيندر بشكل جيد: كان 'رجلاً دون لقب'.

وظن سبيندر فيما بعد أن سبب اختياره للاشتراك في تحرير المجلة الجديدة للمنظمة ' هو مقالته في كتاب *الإله الذي فشل*'. وربما كانت علاقة سبيندر الإيجابية مع الولايات المتحدة هي التي جعلته مرشحاً مثالياً أكثر من تنصله من الشيوعية. ففي 1948، كتب سبيندر أنشودة شكر لأمريكا – 'نستطيع أن نربح المعركة من أجل عقل أوروبا' – التي زعم فيها أنه 'حيث تعثر السياسة الأمريكية على حلفاء مثيرين للريبة وأصدقاء تعوزهم الحماسة، فإن حرية التعبير الأمريكية، في إنجازاتها الأعظم، تمتلك أصالة تستطيع أن تكسب الفكر الأوروبي الأكثر حيوية اليوم... إذا اختارت أمريكا أن تقوم بذلك فينبغي أن تلعب اليوم دوراً تربوياً في أوروبا سيجعل آلاف الطلاب يفهمون الجوانب الأفضل في الحضارة الأمريكية والمفهوم الأمريكي في الحرية... ذلك أن ما هو واقعيٌّ اليوم هو عدم توقع أي شيء من الدعاية والإكراه السياسي، وإنما

الاشتراك في إطلاع الأوروبيين على الإنجازات المعاصرة الأعظم للحضارة الأمريكية، وعلى التربية والثقافة'.[13] لم يكن سبيندر قادراً على السيطرة على إثارته، وصرَّح بأن الطلاب الأوروبيين ينظرون إلى 'كلمة من فم أديب أمريكي أو إنكليزي' على أنها 'شيء إعجازي تقريباً'. وكتب عن مشروع مارشال قائلاً إنه جيد، ولكن 'من الضروري أيضاً تقوية حضارة الغرب القديمة في أوروبا بإيمان وتجربة ومعرفة أوروبا الجديدة التي هي أمريكا'.[14] وردد هذه المشاعر كثير من المفكرين الأوروبيين. وأعلن ريمون آرون أنه 'مقتنع بشكل كامل بأنه ليس هناك مهرب أمام المعادي للستالينية من قبول القيادة الأمريكية'.[15] كان من الصعب القول (كما حدث فيما بعد) أن تدخل أمريكا في النزاع الثقافي لم يملك دعماً محلياً حين ربط أشخاص مثل سبيندر وآرون بقاء أوروبا بالمنقذ الأمريكي.

كان سبيندر يمتلك صفات أخرى جذابة لمُوظِّفيه المستقبليين. وكونه جزءاً من 'مجموعة ماكنيس وسبيندر وأودن، ودي لوي'، فقد شكل صلة مهمة لأرستقراطية لندن الأدبية، التي كانت لا تزال متعلقة بكثير من الزوائد التنفجية لفترة بلومسبري، والتي استسلم أعضاؤها على نحو مفاجئ لسحر سبيندر. وجرب جوسيلسون مباشرة تصلب العنصر البريطاني في الظهور الأول للمنظمة في برلين، وتضايق كثير من الاستراتيجيين الأمريكيين من المظهر المتفوق الذي مالت إليه الأنتلجنسيا البريطانية. وشرح ستيورات هامبشاير: 'هناك خلفية ما مهمة حيال كل ذلك. أعتقد أن مؤسسة فورد جاءت في 1949 إلى لندن، وعقدت اجتماعاً كبيراً في فندق دعت إليه المفكرين البارزين. وكان لديهم في ذلك الوقت، احتياطي من رأس المال أكثر من كل ما يوجد في منطقة الإسترليني. وهكذا أتى المفكرون، وقدمت لهم مؤسسة فورد الأرضية، لكنهم قالوا: نحن بخير، شكراً لكم، تكفينا الصلاة على راحة الموتى. وكان البريطانيون مرتبكين. طلبوا أموراً قليلة فحسب، ولكنها كانت قليلة جداً مما جعل الأمريكيين يعتقدون أنهم مجانين. وسبب ذلك هو أنه كان هناك عداء لأمريكا عميق جداً وفرويدي، نوع من تنفجية كلية وينشتر التي تقابل التطرف اليساري الصيني، ولقد جسد هذا العداء أشخاصٌ مثل إمبسون وفورستر. أذكر أن فورستر مكث مرة مع ليونيل تريلينغ في نيويورك. وكان تريلينغ - الذي ألَّف كتاباً عن فورستر وكان محباً لإنكلترا مثيراً للشفقة لم يأت إليها من أجل هذه الغاية مطلقاً - متضايقاً جداً. أخبره فورستر أنه بحاجة لشراء قميص لإحدى المناسبات فأخذه تريلينغ إلى محل الأخوة بروكس. ولكن حين وصل فورستر إلى هناك، ألقى نظرة واحدة وقال: 'يا إلهي، لا أستطيع شراء أي شيء من هنا. وهذا لخَّص الأمر'.[16]

أما سبيندر الذي عمل في لجنة المراقبة البريطانية في ألمانيا بعد الحرب، فقد كان متناغماً بشكل جيد مع حاجات الحكومة في ميدان السياسة الثقافية. منذ ذلك الوقت، أمضى مدة جيدة من الوقت في أمريكا، حيث وجد نفسه تحت جناح جون كراو رانسوم، وآلن تيت، والثنائي المحافظ بين تيت والسيناتور إدوارد تافت. لم يكن سبيندر، الذي حافظ على صداقة زملائه الإنكليز بسحر مساو، يمثل الجسر الذي يحتاجه الأمريكيون لتأمين مدخل إلى حلفائهم المتمردين فحسب. ولكن موهبته الأكثر قوةً، كما زعمت زوجته ناتاشا، هي أنه يُخْدَع بسهولة.

قالت: 'بالطبع، كان ستيفن يمتلك جميع أوراق الاعتماد كي يتم اختياره كواجهة: كان أحد أعظم الشاجبين للشيوعية، وكان، بشكل واضح، قابلاً للخداع، لأنه بريء جداً. ولقد خُدِعَ والده من قِبَل لويد جورج. إنهم عائلة تثق جداً بالآخرين، ولا تفكر مطلقاً أن الناس يكذبون عليها'.[17] وسيبرهن ثمن هذه السذاجة الحقيقية أنه مرتفع جداً فيما بعد.

في شباط 1953 تلقى سبيندر، الذي كان يدرس في *سينسيناتي*، رسالة من جوسيلسون تدعوه إلى المجيء إلى باريس لمناقشة 'طبعة إنكليزية من مجلة *Preuves*'. وعلم سبيندر من كريستول أنه 'أثناء رحلة سريعة إلى باريس قمت بها قبل أسبوعين (كما يقول كريستول) أمضيت الكثير من الوقت في مناقشة هذه المسألة مع مايك جوسيلسون، وفرانسواز بوندي، وميل لاسكي، وفضلاً عن ذلك، ذهبتُ أنا وجوسيلسون إلى لندن لنمضي يوماً في مناقشة المسألة مع واربورغ، ومكيريدج، وفايفل.[18]

وقبل وقت قصير من اجتماع لندن، التقى دي نوفيل وجوسيلسون مرة أخرى مع وودهاوس. واتفقوا على ترتيب 'صفقة نشر' يعير فريديريك واربورغ، ناشر أورويل، بمقتضاها، اسم شركته للمجلة. وفي رسالة من جوسيلسون إلى واربورغ أكَّد أن المنظمة 'تتولى المسؤولية الكاملة عن الدفع العاجل لجميع الفواتير المقدمة بخصوص إنتاج وتوزيع مجلة *إنكاونتر*، والمتعلقة بالطعن أو التشهير. وأوضح جوسيلسون لواربورغ أنه 'لن يكون له هو وشركته أي تأثير من أي نوع في الجانب التحريري من المجلة'.[19]

وأثناء فترة لقائهما الثاني أقام وودهاوس ودي نوفيل علاقة قوية. ولم تكن أوراق اعتماد دي نوفيل أقل أهمية من أوراق وودهاوس. فقد ولد في لندن، وحصل على شهادات من النيو كوليج وهارفارد، قبل أن يصبح مراسلاً لوكالة رويتر. ويتذكر وودهاوس: 'انسجمنا بشكل جيد جداً، ورأينا كثيراً من الأشياء معاً. كنت دائماً أنسجم بشكل جيد جداً مع زملائي الأمريكيين شرط ألا يكونوا مجانين'، أضاف بنبرة أوحت بأن كثيرين كانوا كذلك. 'كنت أجتمع مع لاري كلما جاء إلى لندن. وإذا ذهبت إلى واشنطن أقابله هناك مع ممثلي في واشنطن آدم واتسون'.[20] وكان الاثنان يلتقيان بانتظام في السنتين التاليتين، إلى أن عاد دي نوفيل إلى أمريكا، واستمر وودهاوس ليصبح مدير المؤسسة الملكية للشؤون الدولية. وبما أن هذا كان المجال الوحيد الذي تشابكتْ فيه مسؤولياتهما، فقد ناقشا 'العمليات والأساليب' بخصوص مجلة *إنكاونتر* وناقشا 'العملية البريطانية' بشكل عام وهما يتناولان الشراب في النادي الملكي للسيارات.

كانت 'العمليات والطرائق' تعني في البداية ترتيب ما وصفه وودهاوس بـ 'تدفق النقود وخط الاتصال'. وشرح دي نوفيل فيما بعد: 'لا تظنني أنه كان هناك نظام لأي شيء في تلك الأيام. كان الأمر كله مرتجلاً'.[21] أما الذي تم إرساله كي يساعد في هذا الارتجال ويكون وسيطاً بين الإم آي سيكس والمنظمة من أجل الحرية الثقافية فقد كان مالكولم مكيريدج. كان مكيريدج قد قام برحلة طويلة أيام الطفولة حين أنشد 'الراية الحمراء' مع والده من على منصة حزب العمل في كرويدون. وكان كتابه *شتاء في موسكو* (1933)، الذي تحدث عن تمزق اليوتوبيا الروسية، إحدى محاولات الفضح الأولى للأسطورة السوفياتية المكتوبة بقلم يساري، وحدد

بداية تحوله السياسي إلى عميل لـ 'إم آي سيكس'. وكان هذا العضو في اللجنة التوجيهية للمنظمة من أجل الحرية الثقافية منحازاً بشدة إلى موقفها المؤيد لأمريكا والمعادي للحيادية، واعتقد أنه: 'إذا قبلتُ، كما يفعل ملايين من الأوروبيين الغربيين، أنه من المقدر لأمريكا أن تكون العماد الرئيسي للحرية في عالم منتصف القرن العشرين، فهذا لا يعني أن المؤسسات الأمريكية كاملة، وأن الأمريكيين يتصرفون بشكل جيد دائماً، أو أن طريقة الحياة الأمريكية تخلو من العيوب. هذا يعني فقط أنني اخترتُ جانبي في أحد أكثر الصراعات هولاً في التاريخ الإنساني، كما سيضطر الجميع للاختيار عاجلاً أم آجلاً، وأعتزم أن ألتزم بالجانب الذي اخترته في السراء والضراء، آملاً أن أمتلك شجاعة كافية كي لا أضعف، وإحساساً كافياً كي لا أسمح لنفسي بأن أتشوش أو أنحرف عن هذا الهدف، وإيماناً كافياً بالحضارة التي أنتمي إليها، وبالدين الذي بنيت هذه الحضارة على أساسه، كي أتبع نصيحة بونيان Bunyan وأتحمل مخاطر الطريق ومشاقّه بسبب قيمة الاتجاه'.[22]

وكتب مكيريدج في *البستان الجهنمي*: 'إن السرية ضرورية للاستخبارات كما أن الأردية الكهنوتية والبخور ضرورية للقداس، أو الظلمة لجلسة روحية، ويجب مهما كانت الكلفة، أن يحافظ عليها، بصرف النظر تماماً عن كونها تخدم هدفاً أم لا'.[23] وكان مكيريدج، المتضايق دوماً من التآمر، حتى ولو شك بضرورته، يسره أن ينخرط في مغامرة النشر الجديدة الخاصة بالمنظمة من أجل الحرية الثقافية. وكان عمله الأول هو تأمين 'الأشخاص الأغنياء' الذين يمكن أن يأخذوا وضعية خاصة، وقابلة للتصديق كداعمين للمجلة. وفي لقاء في بار في شارع فليت، كان مكيريدج قادراً على إخبار وودهاوس أن بحثه عن القنوات المالية أظهر مرشحين راغبين.

كان المرشح الأول هو المخرج السينمائي المهاجر أليكساندر كوردا. وكصديق لإيان فليمنغ ومُوَظّف سابق لروبرت بروس لوكهارت (الذي عمل لديه كمستشار للتوزيع الدولي للأفلام)، تمتع كوردا بعلاقات وثيقة مع الاستخبارات البريطانية. وكوردا، هذا الذي اتبع مقاربة مكيريدج، وافق على السماح لقسم بحث المعلومات باستخدام حسابه المصرفي 'كحامل' للإعانات المالية الموجهة إلى المجلة الجديدة. وكانت القناة الأخرى التي أحضرها مكيريدج هي صديقه القديم اللورد فكتور روتشيلد. وكان روتشيلد وثيق الصلة بالمجلة إلى منتصف الستينات، ولكن دوماً كظل، لا يظهر إلى العلن بتاتاً.

كانت لا تزال هناك بعض المسائل العملية التي يجب حلها، وذهب مكيريدج وواربورغ – اللذان أشار إليهما ضباط مهمات السي آي إي بأبناء العم – إلى باريس في نهاية شباط 1953 كي يرتبا المسائل. وصدرت توجيهات إلى جاسبر ريدلي، الذي كان آنذاك سكرتير الجمعية البريطانية للحرية الثقافية، كي يشتري بطاقتيهما ويكتب لهما شيكاً على حساب الجمعية البريطانية بقيمة مائة جنيه من أجل نفقاتهما في باريس. مما جعل ريدلي الذي كان راتبه الأسبوعي عشرة جنيهات يندهش. واستشفّ فيما بعد: 'أعتقد أن واربورغ إما أنه وضع المائة جنيه في جيبه أو صرفها واشترى مجوهرات لزوجته الجذابة باميلا دي بايو'.[24]

وفي الخامس من آذار 1953، كتب مايكل جوسيلسون إلى ستيفن سبيندر ملخص اللقاء بين مكيردج، وواربورغ، وفايفل، ونابوكوف، وبوندي، وجوسيلسون. 'نحتاج إلى مجلة أكثر إغراء وأوسع من *هورايزون*، وأقرب إلى *دير مونات*. ستكون أنت وكريستول فريقاً مثالياً كمحررين. سيكون هناك هيئة تحرير ربما تضم مكيريدج وهوك الذي سيمضي عاماً كاملاً في أوروبا بدءاً من تموز 1953. ويرغب مكيريدج وواربورغ بمنح جميع الأموال، التي نجح السيد مكيريدج حتى الآن في جمعها، للجنة البريطانية في المجلة'.[25] كان سبيندر نصف صائب عندما كتب إلى كريستول،مشيراً إلى هذا الترتيب: 'يبدو أن كلينا سيعمل لدى اللجنة البريطانية'[26]. سَيُدْفَع لكريستول الأمريكي من أموال السي آي إي في مؤسسة فارفيلد، أما سبيندر فسَيُدْفَع له من نقود الجداول السرية لور ة المال البريطانية.

وفي آذار 1953 انتقل كريستول إلى باريس وكان مشغولاً بجمع مواد للمجلة. أما مكتب باريس، الذي تصور المجلة 'كناطق باسم المنظمة' فقد أنتج أربعة تصميمات للغلاف بتوجيه من جوسيلسون. ولم يستطع كريستول أو سبيندر (الذي كان لا يزال في الولايات المتحدة) أن يتفقا على اسم. فقد حكما على اسم 'أوتلوك' بأنه مبتذل، وهكذا أرهقا دماغيهما وفتّشا في القاموس، وتخاصما حول 'سيمبوزيوم'، كلتشر آند بوليتيكس، كونغرس، ويتنس، فيستا، تيستيموني، رايتنك آند فريدوم (أراد كريستول تجنب كلمات مثل فريدوم وليبرتي بسبب 'عطر مضجر')، ميسنجر، أكروس سيز، ويست إيست ريفيو، كومباس، كونتاكت، إكستشينج، إنترتشينج، بريزنت، تيرنينغ بوينت، سيركمفيرينس. وفي إحدى النقاط كان كريستول يدعوها بالمجلة إكس'[27]. وربما سيكون هذا الاسم مناسباً أكثر من غيره، في ضوء الروح السرية التي خلفها. وظهر اسم إنكاونتر أول مرة في رسالة مؤرخة في السابع والعشرين من نيسان 1953 من كريستول إلى واربورغ، ولكن كريستول قال إنه ليس متحمساً له.

وفي الثلاثين من نيسان 1953 كتب أليكساندر كوردا شيكه الأول بقيمة 250 جنيهاً إسترلينياً. و من المفترض أيضاً أن فيكتور روتشيلد فعل ذلك، رغم أنه ليس هناك وثيقة تؤكد متى بدأت 'تبرعاته'. ومررت الاستخبارات البريطانية الأموال، المموهة بهذه الطريقة، إلى *إنكاونتر* منذ بدايتها. وتعزز تدفق النقود من خلال الوصول المنتظم لمغلف بني إلى مكتب مجلة *إنكاونتر*. وكان الساعي عضواً من هيئة وودهاوس. وهكذا، كانت تفعل أيضاً، مديرة مكتب المجلة (وفيما بعد مديرة التحرير) مارغوت والمسلي، التي وصلت مباشرة من عملها كموظفة ناسخة في قسم بحث المعلومات، وشكلت 'خط اتصال' وزارة الخارجية في مكتب مجلة *إنكاونتر* لأكثر من عقدين. وقالت والمسلي فيما بعد لفرانك كيرمود المذهول إنه إذا أراد معرفة أي شيء عن *إنكاونتر*، فهي تستطيع إخباره بكل شيء. ووالمسلي هذه التي توفيت في 1997، لم تكشف مطلقاً أنها كانت موظفة في وزارة الخارجية.

فيما بعد، كان قسم بحث المعلومات يدفع النقود في حساب خاص لدى الناشرين سيكر وواربورغ، ثم يرتب واربورغ شيكاً بالقيمة نفسها للجمعية البريطانية للحرية الثقافية، التي كان أميناً لخزينتها. وكانت الجمعية البريطانية، التي صارت مجرد واجهة لتدفق نقود قسم بحث

المعلومات إلى *إنكاونتر*، تقدم المبلغ نفسه للمجلة. كانت آلية هذا التمويل تعرف في لغة الاستخبارات بـ 'الممر الثلاثي'. وهكذا كانت حكومة جلالتها تدفع بشكل غير مباشر راتب ستيفن سبيندر. ولم يتحدث وودهاوس مع سبيندر حول هذا الترتيب مطلقاً، رغم أنه كان لديه فرصة مواتية للقيام بذلك. وتذكر وودهاوس:' كان أولاده وأولادي في روضة الأطفال نفسها، وكنا نلتقي هناك. كنت أميل إلى افتراض أنه يعرف، وبالتالي لم أشعر برغبة للتحدث معه عن الأمر. هذه هي نوعية تدريبنا في ذلك النوع من العالم'. [28] وفيما بعد كان ستيفن عنيداً في إصراره بأنهم لم يخبروه عن ترتيبات كهذه بتاتاً.

وفي حزيران 1953، وقفت مجلة *إنكاونتر* على قدميها وانطلقت، وكان مقر عملها مكتب الجمعية البريطانية للحرية الثقافية في شارع أكسفورد 119b، قبل الانتقال في أيلول إلى مكاتب في هيماركيت. أما مصاريف طباعتها ومصاريفها الأخرى في سنتها الأولى فقد تمت معالجتها بمبلغ أربعين ألف دولار من مؤسسة فارفيلد، وهو رقم نصح جوسيلسون كلاً من كريستول و سبيندر بأن يحفظا *سره*. وكان كريستول في لندن منذ أيار، والتحقت به زوجته المؤرخة جرترود هيملفارب، وولدهما الصغير ويليم. وبعد ذلك بوقت قصير، وصل سبيندر من سينسيناتي. وسُجل كل منهما كصاحبي أسهم في إنكاونتر ليميتد، التي سُجِّلت في كانون الأول 1953، بأغلبية الأسهم التي يملكها جنكي فلايشمان، كرئيس لمؤسسة فارفيلد، وبيير بولومي، كأمين خزنة المنظمة من أجل الحرية الثقافية.

في إعادة كتابة للتاريخ جديرة بالاهتمام وصف كل من سبيندر وكريستول فيما بعد تعاونهما كنوع من شهر العسل. قال كريستول: 'رغم حقيقة أن ستيفن وأنا كنا شخصين مختلفين فلدي اعتقاد بأننا انسجمنا بشكل جيد على نحو مدهش'. [29] وقال سبيندر: 'عملت بسعادة كبيرة مع إرفنغ كريستول'. [30] وقد نظرا إلى بعضهما بعضاً كصديقين، آنذاك كما فيما بعد. لكن علاقتهما المهنية كانت إشكالية منذ البداية. كان سبيندر مرناً، وعاطفياً، وغير مجابه، وكمحرر لم يميز في بعض الأحيان 'مؤخرته من كوعه'. [31] وبالمقارنة، كان كريستول عنيداً كبغل ومتصلباً، معتاداً منذ سنوات على مجادلات بروكلن في السلوك الثمين عاطفياً وفكرياً. كان صغير القامة، واشترك مع لاسكي وهوك في ذلك وفي حدة المزاج. 'من الجنون الاعتقاد بأن إرفنغ كريستول – التروتسكي السابق من بروكلن – يمكن أن يذهب إلى هناك ويتعامل مع جميع أولئك المفكرين البريطانيين ويصحح نثرهم!'، قال أحد عملاء السي آي إي. [32] ولكن لم يكن سبيندر وأصدقاؤه البريطانيين فحسب من يحتاجون إلى الاحتراس من كريستول. فقد اكتشف جوسيلسون مبكراً جداً عيار الرجل الذي اختاره. و'وقف إرفنغ بعنف ضد مكتب باريس'، تتذكر ناتاشا سبيندر أنها سمعت من ستيفن أن كريستول كان ميالاً إلى الصراخ عبر الهاتف على جوسيلسون ليقول له إنه إذا أراد 'مجلة منزلية' فعليه أن يجد لنفسه محرراً آخر. [33]

وفي تموز، أرسل كريستول إلى جوسيلسون الجدول المستقبلي لمحتويات العدد الأول والتي كانت تتألف من مقالة دينيس دو روجمو حول الهند، وتأمل قصير حول الموت لألبير كامو،

وصفحات من دفتر ملاحظات فرجينيا وولف، وقصتين قصيرتين يابانيتين، وسيرة ذاتية لإرنست تولر بقلم كريستوفر إشروود، ومقالة ليسلي فيدلر حول روزنبرغ وزوجته، ومقالة نيكولاس نابوكوف حول الموسيقى السوفياتية، ومقالة جوزيف جابسكي حول *أصوات الصمت* لأندريه مالرو، ومقالة إرفنغ كريستول حول مؤتمر 'العلم والحرية' الذي أقامته المنظمة، ومقالة هربرت لوثي حول التمردات الأخيرة في ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا، ومقال لإديث ستويل حول هوليود. ووعد بأن يقوم بمراجعة الكتب كل من مكيريدج، وسبيندر، وهيو سيتون واتسون، وج. ك. جالبريث، وناثان جليزر. ونُحيِّتْ كلمتا كويستلر وريمون آرون من العدد الأول بعد أن حذر نابوكوف كريستول من أن الاثنين معاديان للشيوعية بشكل عنيف.

كان جوسيلسون قلقاً من أن كتاب العدد الأول ليسوا سياسيين بما يكفي، فكتب كثيراً لكريستول الذي رد بشكل بذيء: 'لستُ متأكداً أن ملاحظتك الملغزة حول 'المحتويات السياسية' تلبي التوقعات. إن المجلة، وبشكلٍ واضحٍ، يجب أن تكون دورية ثقافية تُدخل السياسة، مع الأدب، والفن، والفلسفة، الخ، كجزء جوهري من 'الثقافة' كما هي بالفعل. إن نسبة المقالات السياسية بالمقارنة مع الأدبية، الخ، ستتنوع بشكل طبيعي من عدد إلى عدد. في العدد الأول، ستكون السياسة تابعة نسبياً، بما أننا نهدف إلى الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الجماهير. أمتلك فكرة واضحة جداً عما تريده المنظمة، وكيف يجب أن يحققه المرء. لكنني لا أستطيع العمل بشكل فعال ومكتب باريس يتنفس فوق عنقي، ويرسل توجيهات تحريرية، الخ. '[34]

وفي رسالة أخرى غاضبة، احتج كريستول مرة أخرى على جوسيلسون، قائلاً له: 'لسنا هنا في لندن مغفلين وحمقى، وأعتقد أننا نستطيع الحكم بشكل أفضل على الموقف أكثر مما تفعلون في باريس. تعتقد أنت وزملاؤك في باريس أن الغلاف تافه. حسناً، ربما أنت على صواب. ثم مرة أخرى، ربما أنت مخطئ فأنت لست أخصائياً في أغلفة المجلات. وأعتقد أن الغلاف جيد، رغم أنه يمكن تحسينه، ويعتقد مكيريدج أنه جيد جداً... وأنت تعتقد أن العدد الأول سياسي بشكل غير كاف؟ ثم من الواضح أنك لم تدرس قائمة المحتويات بشكل جيد... تظن أن العدد الأول أدبي جداً؟ حسناً، أنت مخطئ ... ربما أنا أخدع نفسي، ولكنني في الحقيقة أرى أن المجلس يمتلك في *إنكاونتر* شيئاً أكثر أهمية بكثير مما تدركه حتى أنت، على ما يبدو، سوف ترضى لو وصلنا إلى مستوى مجلة *بروف* *Preuves*. يا إلهي، يا رجل! لقد تجاوزنا ذلك (ثانية، إلا إذا كنت أخدع نفسي). نستطيع بقوة أن نصبح، في بضعة شهور، الدورية الثقافية في اللغة الإنكليزية، وليس فقط في إنكلترا بل أيضاً في آسيا. امنحنا بضعة أشهر، وسنكون وثن الأنتلجنسيا، في الشرق والغرب - مجلة فيها آسيوي - أو أوروبي وأمريكي! - أي كاتب سيستميت كي يظهر. أعني ذلك بشكل جدي، وإذا كنت مخطئاً، عليك إذن أن تحصل على محرر آخر. ولكن يجب أن تمنحنا وقتاً، وحرية في التحرير، لإنجاز ذلك... إن موقفك من المبيعات يحيرني: تقول إنك أقل اهتماماً بها من 'تأثير' المجلة. ولكن أليس أحدهما مقياس الآخر؟'[35] ولو كان كريستول يعرف عن السقالات المالية التي تُرْفَع عليها *إنكاونتر* لأدرك أن هذا السؤال الأخير زائد عن الحاجة.

بنحو واضح، لن يلعب كريستول دور الخطيب الذي يحمل البوق ويقف على صندوق الصابون بالنسبة لجوسيلسون. لقد اخترع سبيندر مفهوم 'سلطة كريستول' كي يصف موقف زملائه العنيد. وبعد تهديد واحد سيجد جوسيلسون نفسه بالفعل يعثر على محرر آخر. ولكن في هذا الوقت كانت مجلة *إنكاونتر* تحتاج إلى الاستقرار، ولم يمتلك جوسيلسون خياراً سوى إبقاء كريستول.

ربح مكتب باريس المعركة مع كريستول لإسقاط كويستلر وآرون، ولكن كان عليهم أن يوافقوا، بالمقابل، على نشر مقالة لليسلي فيدلر سبَّبتْ لهم قلقاً عميقاً. ولقد دعا كريستول في البداية، صديقه فيدلر كي يقدم مقالة حول كارل ماركس، لكن فيدلر لم يظهر أية حماسة، وقدم له، بدلاً من ذلك، مقالة عن روزنبرغ وزوجته. وإذا كان كريستول يريد لعدده الأول شيئاً ما محرِّضاً فقد حصل عليه.

في صباح إعدامهما، جلس جوليوس وإثيل روزنبرغ في زنزانتهما في سجن سينغ سينغ كي يكتبا رسالة لطفليهما الصغيرين، روبرت ومايكل. 'تذكرا دوماً أننا بريئان ولم نستطع أن نسيء إلى ضميرنا'، انتهت الرسالة. وبعد الساعة الثامنة مساء في التاسع عشر من حزيران 1953، قبل دقائق من إعلان غروب الشمس لبداية السبت اليهودي، وفي مساء ذكرى زفافهما الرابع عشر، أعدم روزنبرغ وزوجته على الكرسي الكهربائي. أولاً جوليوس، ثم إثيل. وقبل أن تربط إلى الكرسي، استدارت إثيل إلى قيِّمة السجن، مدت يدها، وقربتها كي تقبلها على خدها.

حكم على روزنبرغ وزوجته في آذار 1951 بتهمة نقل الأسرار النووية الأمريكية إلى السوفيات. وقبل الانسحاب إلى كنيس لكي يتأمل حكمه، عاد القاضي كوفمان إلى المحكمة كي يحكم على جوليوس روزنبرغ وزوجته بالموت وذلك لدورهما فيما أسماه 'مؤامرة شيطانية لتدمير أمة تخشى الله'.[36] ولم يحدث من قبل في أمريكا أن نُفِّذَتْ عقوبة الإعدام بأي شخص يُدان بتهمة التجسس في أوقات السلم. وأما الصرخة الدولية التي تبعت ذلك فقد مثّلت لرجال الدعاية الأمريكيين التحدي الأكثر إلحاحاً منذ الهجمات العلنية للحرب الباردة. فمسألة ذنب روزنبرغ وزوجته – ويمكن أن يكون هناك بعض الشك بأنهما مذنبان – لم تكن المسألة الأساسية: رأى معظم المراقبين أن الدعوى ضدهما لا تقبل الجدل. ولكن كان ينبغي على الاستراتيجيين الأمريكيين إقناع العالم ليس فقط بأن الحكم مقرر ولا يقبل الجدل بل أن العقوبة تناسب الجريمة أيضاً.

'حين يحكم على بريئين بالإعدام فإن العالم كله معني بالأمر' قال جان بول سارتر، معرفاً الفاشية 'ليس من خلال عدد ضحاياها وإنما من خلال طريقتها في قتلهم'. أضاف أن الإعدام كان 'إعداماً غير قانوني غطى الأمة كلها بالدم'.[37] وكي يتأكدوا من أن العالم كله عرف أنه معنيٌّ بالأمر، نظم الشيوعيون حملة كبيرة من أجل الرأفة، ورتبوا تغطية في الصحافة التي يسيطرون عليها، وطلبوا من منظمات الواجهة الشيوعية أن تقدم التماساً إلى السفارات الأمريكية. ولقد تلقت لندن آلاف الالتماسات والاحتجاجات التي تحمل عدة آلاف من

التوقيعات. وأخبرت باريس أنها كانت تتلقى البرقيات، والرسائل، والالتماسات بنسبة خمسين في اليوم تقريباً.

وأصبحت قضية روزنبرغ وزوجته في فرنسا، خاصة، نقطة الحشد الرمزية لأي شخص جاهز للهجوم على الحكومة الأمريكية. ونُظِّمَتْ الاحتجاجات في جميع أنحاء فرنسا، وتحول كثير منها إلى حوادث شغب معادية لأمريكا. وقُتلَ رجلٌ في مظاهرة كبيرة في ساحة الكونكورد كان يهتف: «أفرجوا عن روزنبرغ». [38] ورغم أن ميلفن لاسكي انزعج من استخدام عقوبة الإعدام في وقت السلم،إلا أنه سخر من هذه الاحتجاجات واعتبرها نتاج 'الاستياء السائد المعادي لأمريكا'. [39] لم يتشكل بالطبع أي من اللوبيات التي يدعمها الشيوعيون للدفاع عن روزنبرغ وزوجته، وهذا يبيّن حقيقة أنه في اليوم الأول الذي تأسست فيه لجنة الدفاع عن روزنبرغ وزوجته، أعدم أحد عشر قائداً سابقاً للحزب الشيوعي التشيكي في براغ. ولم تُناقش حقيقة أن ستالين قتل من الشيوعيين أكثر مما حدث في بلاد فاشية، أو أن العمال في الاتحاد السوفياتي يُرسلون إلى معسكرات العمل القاسية إذا تأخروا عن العمل أكثر من خمس دقائق في مناسبتين، ولا حين طلب من الفنانين الدخول في تنافس حول تمثال للاحتفال بذكرى بوشكين المئوية، وذهبت الجائزة الأولى إلى النحات الذي يُظهر تمثاله ستالين وهو يقرأ عمل بوشكين.

مع ذلك يبقى تحليل ميلفن لاسكي تبسيطياً بشكل فنتازي. أما السفير الأمريكي في باريس، دوغلاس ديلون، فقد حذر وزير الخارجية، في رسالة بتاريخ 15 أيار ،1953 قائلاً إن أغلبية البشر في فرنسا 'يرون أن عقوبة الإعدام غير مبررة' وحذّر من أن 'الناس الذي يلحون على الرحمة يجب ألا يُنْظَر إليهم جميعاً كمغفلين تابعين للشيوعيين'. [40]

كان واضحاً أن دافع الرأفة لا يمكن النظر إليه على أنه مؤامرة شيوعية فحسب. وبيّن تقرير استخباراتي أمريكي أن 'الالتماسات من أجل الرأفة ظهرت في أوربا الغربية، حديثاً جداً في الصحافة الاشتراكية والمستقلة، وفي لندن يدعم بعض أعضاء حزب العمل الرأفة. لقد كانت التماسات الرأفة غير الشيوعية، مثل هذه، تستند إلى شكوك محددة حول ذنب روزنبرغ وزوجته، على أساس أن الرأفة ستكون أقل نفعاً لرجال الدعاية الشيوعيين من الإعدام والشهادة الناجمة عنه'. [41]

واجه جهاز الحرب النفسية الأمريكية كله تحدياً كبيراً. ففي الأشهر الستة التالية، وحتى موعد إعدام جوليوس روزنبرغ وزوجته في حزيران، حشد الجهاز جميع مصادره ليقنع العالم غير الشيوعي أن العدالة الأمريكية كانت عادلة. وصدر الأمر إلى مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية كي يُنَسِّق الحملة التي كان هدفها المحوري هو وضع روزنبرغ وزوجته في سياق نموذج شيوعي سلبي: الشيوعي كوحش، يحتاج إلى 'تضحيات دموية'. ولقد كتب جهاز الحرب النفسية تقارير مستندة إلى رسائل السفارة الرسمية وتقارير وكالة الاستخبارات المركزية لإطلاع الرئيس وجميع رجاله، وأصدر توجيهات كثيرة إلى جميع المراكز الأمريكية في الخارج. ولكن بينما تم تضخيم جميع التقارير الصادرة عن مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية في الصحافة

الغربية، والتي أظهرت أن روزنبرغ وزوجته 'أدينا بشكل عادل وهما مذنبان بما اتهما به' واصل كثير من الممثلين الدبلوماسيين الغربيين الضغط من أجل الرأفة. ففي فرنسا، بقي السفير ديلون قلقاً جداً من 'التأثير العدائي الناجم عن الإعدام في أوروبا الغربية'، وضغط من أجل إعادة تقييم الحكم 'لأسباب تتعلق بمصلحة قومية عليا'.[42]

وبينما كان مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية يفحص 'الهدف الكامل لإعدام جوليوس روزنبرغ وزوجته، وخاصة تأثير قرار كهذا في النفسية الأجنبية، وهيبة أمريكا والقيادة الأمريكية'[43]، كان سي دي جاكسون يسلك مسلكاً مختلفاً قليلاً. ورغم أنه كان واثقاً من أن روزنبرغ وزوجته 'يستحقان القلي مائة مرة بسبب ما فعلاه للبلاد'، إلا أنه كان ميالاً إلى انتزاع اعتراف بالذنب منهما. كان هذا بالطبع سَيُغَيِّر طبيعة القضية كلها. ففي رسالة مرسلة باليد إلى النائب العام هربرت براونل بتاريخ الثالث والعشرين من شباط 1953، كتب سي دي: 'يستحق الأمر محاولة أخرى لسحق واحد من آل روزنبرغ على الأقل... فسحق روزنبرغ وزوجته ليس مشكلة من 'الدرجة الثالثة'، وإنما مشكلة متعلقة بالطب النفسي. بالتالي، ألن يكون من الممكن الحصول على طبيب نفسي يهودي ماهر، لنقل الطبيب كارل بينجر، كي يحاول دس نفسه ويحصل على ثقتهما أثناء الأيام الثلاثين القادمة تلك، وإذا أظهرا إشارات تجاوب يمكن ترتيب تأجيل للإعدام ثلاثين أو ستين يوماً آخر بينما يتقدم العمل'.[44]

وفي أيار، جاء سي دي جاكسون بفكرة أخرى. ففي 'مذكرة مصنَّفة' وعلى ورقة رسائل من البيت الأبيض، كتب: 'تحدثت مع برانويل وحثثته على شن حرب أعصاب ضد روزنبرغ وزوجته، حتى ولو شمل الأمر تأجيلاً مؤقتاً للإعدام يقوم به الرئيس. قال برانويل إن قَيِّمة السجن نجحتْ في التقرّب منهما، وأنهم يعقدون الأمل على هذا الأمر. وألححتُ على برانويل قائلاً أن آمر السجن، أو القَيِّمة، أو طبيب السجن، وأي شخص آخر منخرط يجب أن يؤثر بهما برقة الموقف واللعبة التي تُلعَب، بدلاً من تركهما يلعبانها من خلال الخلاف. لم تعد هذه قضية من اختصاص البوليس. ولقد وافق برانويل على القيام بشيء من هذا القبيل'.[45] أما كم كانت القيِّمة قادرة على الاقتراب منهما فقد بقيت مسألة للتأمل فحسب. ومن إيماءة إثيل الأخيرة، يستطيع المرء أن يستنتج أنها اقتربت بشكل جيد.

واعترف آيزنهاور الذي كان في اجتماع لمجلس الوزراء في التاسع عشر من حزيران 1953، وهو الموعد المحدد للإعدام، اعترف باستياء أنه 'ذهل من آراءٍ في بريده تعكس شكوكاً شريفة' حول الحكم على روزنبرغ وزوجته، وقال إنه بدا 'من الغريبُ أن نظامنا القضائي يجب أن يُهاجم في قضية واضحة كهذه'.[46] وأكد هربرت برانويل لآيزنهاور أنه 'ليس هناك مجال للشك... مجرد صفة تقنية'. ونطق آيزنهاور بشكل نزق: 'العامة لا يعرفون عن الصفات التقنية'، فأجاب براونل على ذلك: 'من الذي سوف يقرر: مجموعات الضغط أم النظام القضائي؟ إن الهدف الشيوعي هو إظهار أنه يمكن الضغط على دوايت آيزنهاور'.[47] مرة أخرى، أظهر آيزنهاور فقدانه للصبر، قائلاً لبراون أنه 'لا يهتم إلا بالمواطنين الشرفاء'. وهنا قاطعه سي دي جاكسون، وأقر بأن بعض الأشخاص يجدون أنه من الصعب فهم عقوبة الإعدام في ضوء أنه لم

تنفذ ضد جواسيس آخرين مدانين مثل كلاوس فوش. وعلى هذا رد صديق سي دي هنري كابوت لودج - الذي عُيِّنَ مؤخراً كخبير آيزنهاور التكتيكي في الشيوعية - بثقة:'كل هذا يمكن أن يُشْرح بسهولة'. قال آيزنهاور بغضب: 'ليس لي'.[48]

وبينما كانت جميع الآمال من أجل الرأفة تتراجع، تأثر مايكل جوسيلسون كي يطلب الرأفة. وتذكرت ديانا: 'اعتقد مايكل أنهما مذنبان، لكن يجب ألا يُعْدَما، لأنه كان ثمناً سيئاً'. وأرسل برقية شخصية إلى آيزنهاور طلب فيها الرأفة'[49]. بالإضافة إلى ذلك، طلب جوسيلسون من دينيس دو روجمو أن يرسل برقية مناشدة إلى البيت الأبيض في الثالث عشر من حزيران 1953. وتقول الرسالة: 'إن الكتاب، والعلماء، ورابطة الفنانين والمنظمة الدولية للحرية الثقافية يناشدونكم من أجل الرأفة بروزنبرغ وزوجته. نعتقد أن فعلاً كهذا من قبلكم سيدخل في التراث الإنساني للديموقراطية الغربية وسيخدم قضية الحرية في جميع أنحاء العالم'.[50] حتى البابا بيوس الثاني عشر تدخل وطلب من آيزنهاور أن يلطّف العدالة بالفضيلة، ولكن بدون فائدة. وقالت ديانا جوسيلسون: 'لقد دمَّرَنَا الإعدام. كان غبياً جداً'.[51]

وفي أواخر تموز، تلقى إرفنغ كريستول مقالة ليسلي فيدلر التي بعنوان 'حاشية على قضية روزنبرغ وزوجته'. إن فيدلر الذي كان عضواً سابقاً في عصبة الشبان الشيوعيين وحزب العمال الاشتراكيين، خرج من اليسار في أوائل الأربعينات وصار يكتب 'مقالات سامة معادية للشيوعية مليئة بالتحليل النفسي الملتبس وبدعوة إلى اليسار كله إلى التكفير مما جعل هارولد روزنبرغ يشعر بأنه مجبر على نشر رد طويل يدعى 'الليبرالية المريضة والماضي المذنب'.[52] وبهذا المزاج عبر فيدلر عن أفكار تتعلق بقضية روزنبرغ وزوجته.

نوه فيدلر أنه حتى الشيوعيين لم يكونوا مهتمين، في البداية، بربط أنفسهم بالزوجين، حين كانت 'المسألة المحورية هي التجسس وكانا مذنبين بشكل واضح'. وقام بتمييز بين قضية روزنبرغ وزوجته 'الحقيقية'، وقضية ثانية لروزنبرغ وزوجته 'أسطورية'، بفضل ميثولوجيا متعاطفة ومدارة بحرص، حولتهما إلى شهيدين على طريقة تراث دريفوس. وهكذا، 'حين نُشِرَتْ رايات القضايا القديمة النبيلة'، كان الأشخاص الليبراليون في جميع الأمكنة ضحايا 'نوع من الابتزاز الأخلاقي'.[53] ولام فيدلر الشيوعيين على معاناة روزنبرغ وزوجته وموتهما، زاعماً أن هذا ما 'أراده صانعو الرأي الشيوعي واستمتعوا به كدليل إضافي يؤكد أنهم على صواب، مثلما يرغبون بأي مثال على التمييز العنصري في أمريكا ويستمتعون به'. وقال فيدلر إنه كان هناك تماماً، في خضم أوروبا فائرة بعدائها لأمريكا. وشاهد 'وجوه الحشد الشيوعي تموج وتصرخ أمام السفارة الأمريكية' في روما، ولم يشاهد أي شيء 'سوى المتعة'. 'الموت لقاتلي روزنبرغ وزوجته'! كان الحشد يصرخ، قبل الذهاب 'ليجلس بعد ذلك فوق زجاجة من النبيذ، راضياً من يوم عمل جيد'. وبالنسبة لروزنبرغ وزوجته، حسناً، كانا 'غير جذابين، وحاقدين' ولكنهما 'شخصان يهتمان بأولادهما، 'بعمليات التهاب اللوزتين والمشاحنات العائلية'. وأبدى فيدلر شعوراً بالنفور من الزوجين بحيث واجه صعوبة في ملاءمة روزنبرغ وزوجته في قصة إنسانية، وهكذا تابع الزعم بأنهما 'جردا نفسيهما من الصفة الإنسانية' حين أصبحا 'كليشيهتين

رسميتين'، حتى لحظة موتهما. وكتب: 'إنهما يمنحاننا محاكاة ساخرة عن الشهادة، سخيفة جداً بحيث لا تصلح بوصفها مأساوية بشكل حقيقي'. معلقاً على الرسائل التي كتبها الزوجان إلى بعضهما بعضاً من زنزانتيهما المنفصلتين في سجن سينغ سينغ، بدا فيدلر كأنه مهان من أسلوب إثيل روزنبرغ الأدبي (أو غيابه) كما من فشل جوليوس في أن يكون حميماً بما يكفي مع زوجته وشريكته. 'لقد كبرنا ونحن معتادون على جواسيس شيوعيين يكذبون في المحكمة بكل إيمان وحماسة الضحايا الحقيقيين، كان هناك المثال الحديث لآلجر هيس، هذا إذا سمينا واحداً فحسب،[54] ولكننا كنا دوماً نأمل أن يعترفوا بالحقيقة لزوجاتهم على الأقل، في الظلمة وهمساً. 'لكنهم لم يستطيعوا التفوه بأي شيء سوى الشفرة، حتى لبعضهم بعضاً، وهكذا – سأل فيدلر – بما أنهم ليسوا 'شهداء أو أبطالاً، أو حتى بشراً، ما الذي تُرِكَ هناك كي يموت؟'[55]

حين رأى سيدني هوك بروفات المقالة أصيب بالذعر. قال جيمس ت. فاريل مرة عن هوك إنه 'يخضع الحقيقة المعقدة الحية للتاريخ إلى آلة منطق، ويقطعها. والطريقة التي يمارس بها 'التأكيد الاختياري' تصل إلى ledgerdemaine (كذا)... إن جميع أنواع المشكلات والتناقضات... ستتغلغل في شَعره، ويجب عليه أن يغسله كي يخرجها'.[55] كان هوك يستطيع تحديد هذه العيوب بسرعة في الآخرين، إن لم يكن في نفسه، وكان متأكداً من أن تحليل فيدلر سوف يلتصق بشعر المنظمة. كتب إلى كريستول (الذي أرسل إليه البروفات)، ونصح بأن تُنْشَر مع الاعتذار التالي: 'يجب ألا تُفسر هذه الملاحظات كهجوم على كائنات بشرية ميتة، ذلك أننا يجب أن نحترم الموتى ككائنات بشرية، ولكن الفكرة هي أن روزنبرغ وزوجته هجرا، في حياتهما السياسية، دورهما ككائنين بشريين وقدما نفسيهما كرمزين سياسيين. وبالتالي فنحن نقوم بتحليل لأسطورة سياسية وليس لشخصين من البشر'.[57] ووجدت نسخة أقل إحكاماً من إضافة هوك المقترحة طريقها إلى نص فيدلر لكن تأثيرها ضاع في مقالة بقيت لافتة للنظر بسبب وضاعتها.

انتشرت أنباء مقالة فيدلر بسرعة، وخلال أسبوع بيعت الطبعة الأولى – عشرة آلاف نسخة – من العدد الأول لمجلة *إنكاونتر* وليس معروفاً كم اشترت وزارة الخارجية من هذه النسخ مسبقاً. وبحسب توم برادن، دفعت السي آي إي أيضاً 'أموال توزيع كي تجعلها مقبولة'. وبسبب ندرة المجلات الرفيعة المستوى في إنكلترا، لم تكن هناك أية فرصة كي يُقَابل الظهور الأول لمجلة *إنكاونتر* باللامبالاة. والآن صار اسمها على شفاه الجميع، ولا تمر حفلة عشاء دون مناقشة حامية حول محتوياتها. وفي غضون أيام، بدأ الكلام يصل إلى مكتب *إنكاونتر* في شكل حقيبة بريد منتفخة. من كريستوفر إشروود جاء المديح حول ظهور أول 'مثير وغير ممل'. وكتب ليونارد وولف أنه وجد جميع المقالات 'جيدة'، ووصف مقالة فيدلر بأنها 'جيدة بشكل استثنائي'.

من مسافة بعيدة، استنتج ميلفن لاسكي أن مقالة فيدلر ستسبب صراعاً مريراً داخل مجلة *إنكاونتر*. وظهرت إشارات على أن هذا هو الحال في ثلاث رسائل تلقاها سبيندر في صباح الثاني والعشرين من تشرين الأول 1953. وكتب سبيندر إلى جوسيلسون، مقتبساً من رسالة إي.

م. فورستر، التي عبَّرتْ عن استياء خاص من المقالة عن روزنبرغ وزوجته، 'ليس بسبب اكتشافاتها الواقعية التي يمكن أن تكون صحيحة، ولكن بسبب الاحتقار والحدة التي تعامل بها أيام إثيل روزنبرغ الأخيرة. والأكثر إساءة كانت الخاتمة 'العاطفية' بتأكيدها الغامض أنه كان هناك كائن بشري تصرف بطريقة غير بشرية، حيث سيصفح عنه الكائن البشري الذي كتب المقالة. أتساءل كيف سيتصرف إذا حدث وحكم عليه بالإعدام؟'[58]

لم تعجب المقالة عن روزبنرغ وزوجته تشيسواف ميوش أيضاً كما أخبر سبيندر جوسيلسون. والأسوأ من ذلك، ت.س. إليوت، الذي كتب مجيباً على طلب سبيندر لمقالة قائلاً إنه يمتلك شكوكاً حول فعالية *إنكاونتر*، وأنها ' تُنشر برعاية أمريكية واضحة'. وإذا أراد أن يقول شيئاً ما للتأثير بالرأي الأمريكي، أليس من الأفضل أن يقوله في صحيفة تُطبع في أمريكا من أجل الاستهلاك الأمريكي؟' وشرح سبيندر: 'الفكرة هي أن إليوت يفصح عن نوع السمعة التي علينا أن نحاول ونحيا بطريقة تحجب من خلالها جريمة كوننا مجلة تقنّع الدعاية الأمريكية بقشرة الثقافة البريطانية'.[59] متفقاً مع تعليق هيو غيتسكيل بأن 'أية آراء سياسة ننشرها سوف تثير شبهة أشخاص يعرفون أننا نحظى بدعم أمريكي'، اختتم سبيندر بأن 'أية مشاعر مباشرة معادية للشيوعية ستعرقل ببساطة غاياتهم الخاصة'. وأخبر جوسيلسون تباعاً أنه وجد الرسائل 'مزعجة بشكل عميق'، مضيفاً أنه 'بقدر ما يهم مركزي الشخصي، فإن النقد الضمني الذي أضعه في المقالات التي تخدم الأهداف الأمريكية هو بشكل طبيعي مؤلم جداً بالنسبة لي'.[60] وقالت ناتاشا سبيندر: 'كان هناك عداء صبياني لأمريكا في إنكلترا في تلك الأيام. كان الأشخاص البارزون والمحترمون مليئين بالآراء المسبقة الرجعية حول أمريكا بأنها بلاد مراهقة. وكان أولئك الأشخاص ينتقدون ستيفن باستمرار ويقولون إنهم لن يضعوا نسخة واحدة من *إنكاونتر* في منازلهم، لأنها أمريكية بشكل واضح. وهذا جعله غاضباً جداً، لأنه أراد الدفاع عن أولئك الزملاء الذين أعجب بهم أثناء إقامته في أمريكا'.[61]

وكان فيدلر، على ما يبدو، مدافعاً وحيداً بعيداً جداً عن سبيندر. ويتذكر مونتي وودهاوس أنه ذهل حين 'انفجر سبيندر تقريباً وقال إنه لن يشترك في تمرين دعائي بعد الآن. وافترضت أنه شاطرني وجهات نظري ووجهات نظرنا جميعاً في الرغبة بالقيام ببرد فكري على الشيوعيين. اعتقدت أنه من التبسيط جداً من الناحية الفكرية بالنسبة له القول إنه شعر بالإحباط بطريقة ما'.[62] ولقد أقر سبيندر بأن المقالة حول روزنبرغ وزوجته لم تسئ لأحد، ودافع عنها بأنها 'ليست دعائية مطلقاً'. لكنه كان متضايقاً جداً من أنها اعتبرتْ بشكل واسع نوعاً من حصان طروادة داخل مجلة *إنكاونتر*'.[63]

وكان هذا وأكثر منه متضمناً في مراجعة أنتوني هارتلي في مجلة *'سبيكتيتور'*، والتي زعم فيها بأنه اكتشف 'شيئاً من أبهة الثقافة الرسمية' في العدد الأول من المجلة، ولاحظ إذا كانت مجلة *إنكاونتر*، بدورها، ستصبح مجرد سلاح في الحرب الباردة' فإن ذلك سيكون مثيراً للشفقة.[64] وأشار رئيس جامعة كمبريدج الناقد غراهام هو إلى *إنكاونتر* بأنها 'ذلك الطفل الأنجلو- أمريكي الرضيع'. وزعم بأنها ليست حرة كما أعلنت قائلاً: 'إنها ليست حرة من

'الاستحواذ' أو 'الأفكار الثابتة'. وأضاف أنها تمتلك 'مفهوماً غريباً جداً في الثقافة'. وفي ضربة عرضية جانبية لرعاة *إنكاونتر*، قال إنه 'لم يرغب بأن يتأمل في مفهوم الحرية الثقافية الذي جعل من الممكن كتابة أو نشر مقالة فيدلر'.[65]

وكان هناك نبأ أكثر إساءة في *سندي تايمز* أشار إلى المجلة بأنها 'المجلة البوليسية للبلدان التي تحتلها أمريكا'. أما إي. ج. ب. تيلور، الذي يكتب في *ليسنر* فقد تجاهل بساطة الجلبة التي أثيرت حول المقالة عن روزنبرغ وزوجته كي يشكو من أنه 'ليست هناك مقالة في العدد الحالي ستحرض أي قارئ على حرقها أو رميها باستياء في سلة المهملات. ليس هناك مقالة واحدة هدّامة سياسياً... جميعها تشكل قراءة آمنة للأطفال. وكتب معظمها الكبار والرسميون'.[66] وسألت ماري مكارثي حنا آرنت:'هل رأيت مجلة *إنكاونتر*؟ إنها بالتأكيد الشيء الأكثر تفاهة حتى الآن، مثل مجلة جامعية يخرجها طلاب غير متخرجين، موتى وفاسدون'.[67]

وأخبر سبيندر أصدقاءه بشكل سري أنه كان ضد نشر مقالة فيدلر، لكنه شعر 'أنه لم يستطع معارضة كريستول حول أي شيء في العدد الأول'، وأنه قدّر حاجة كريستول إلى ترك علامته في محيطه الجديد. ولكنه أسرّ أيضاً أن مقالة فيدلر طريقة جيدة كأية طريقة 'لجعل القراء البريطانيين يعرفون فقط كم يمكن أن يكون نمط من المفكرين الأمريكيين مريعاً'.[68] وردد هذا وجهة نظر هارولد روزنبرغ الذي كتب، يائساً من غياب العمق لدى فيدلر، أن المقالة لم تنجز شيئاً أكثر من تأكيد الاعتقاد المنتشر بشكل واسع بأن ' الجميع في أمريكا يرتزقون من لوحات الإعلانات'.

وكما قسمت مقالة فيدلر قراء *إنكاونتر*، فقد دقت إسفيناً بين محرريها المشتركين، ووسّعتْ الثغرة بينهم. وفي آذار 1954، كتب سبيندر إلى جوسيلسون يشكو من أن كريستول لم يوافق مطلقاً على أي من مقترحاته، وإذا لم يعترف كريستول بجهله في أمور معيّنة، فإن *إنكاونتر* ستجازف بفقدان المركز الذي احتلته. وذهب أيضاً إلى اتهام كريستول بإدارة المجلة وكأنه هو، سبيندر، غير موجود (وبالفعل في القسم الأكبر من ذلك العام، بحسب ناتاشا سبيندر، لم 'يطلب منه جوسيلسون ونابوكوف على القيام بجولة أجنبية لصالح المنظمة' كما حدث من قبل): ولام سبيندر كريستول: 'أنا أكتب الآن لك لأنني شكوت لك كثيراً دون أن يكون لهذا أدنى تأثير. يجب أن أكون متأكداً من أن خطط تحسين المجلة لن يعيقها عدم رغبتك باستشارتي، أو استشارة أي شخص آخر'.[69] انحاز جوسيلسون إلى سبيندر وكتب مراراً كي يوبخ كريستول على تجاهل النصيحة، وطلب منه أن يحسن مظهر المجلة وأن 'يقدم للقراء شيئاً جديراً بدلاً من الهراء الذي نقدمه لهم والذي لم يفعل أي شيء سوى إلحاق الأذى بالمجلة'.[70]

وبعد عامين من إصدار *إنكاونتر* تدهورت علاقة سبيندر وكريستول بشكل لا يمكن إصلاحه. وقال سبيندر لجوسيلسون: 'اكتشفت أنه من المستحيل العمل مع إرفنغ لأنه ليس هناك أساس ولا آلية للتعاون. وبالتالي أعتقد أنه سيكون من الخداع تماماً الاستمرار في العمل معه'.[71] وبينما كان جوسيلسون يعارك ليحل الموقف، طرأت مشكلة أخرى، أكثر جدية.

الفصل الثالث عشر

النوبات العصبية المخيفة

ثم لا تدع أية فئة محبة للخصام
تُفسد تعاليمنا الشفهية
جون كراو رانسوم، الشيئان الفاضلان اللذان نملكهما

سببت قضية روزنبرغ وزوجته مأزقاً مؤلماً لأمريكا. وحين تباهى أحد أتباع مكارثي، روي كوهن، بدوره في مقاضاة روزنبرغ وزوجته علناً وأمام الأوروبيين، عزَّز شكاً بأن المحاكمة كانت مرتبطة بصيد السحرة المكارثي. ورغم أن المسألتين منفصلتان تقنياً، إلا أن الشعور الذي انتشر في أوروبا هو أن الظاهرتين متصلتان.

وظهر مكارثي في وقت كان فيه كثير من الأوروبيين متيقظين لدليل 'قذارة مماثلة' في أمريكا والاتحاد السوفياتي. 'إن السم ينطلق عبر المحيط الأطلسي مثل ريحٍ مريعة،'[1] كتبت زوجة دبلوماسي أمريكي شاب في فرنسا في قمة حملة مكارثي. وعوَّض السيناتور الذي ينتمي إلى ويسكنسون عقله الهزيل بفم صاخب وخداع متأصل (زعم أن عرجه ناجم عن جرح سببته الحرب، رغم أنه ناجم عن انزلاقه على الدرج). وجدته مامين كويستلر مُنفِّراً، ووصفته بأنه 'قاطع طريق ذو براثن مشعرة' (رغم اعتقادها بأنه يقوم بعمل رائع في التخلص من المتسللين). وكتب ريتشارد روفر أنه ليس هناك سياسي آخر مثله في هذا العصر امتلك 'مدخلاً أكثر ثقة وسرعة إلى الأماكن المظلمة في العقل الأمريكي'.[2] كان مكارثي في أوائل الخمسينات يتحدث بصخب عن 'مؤامرة كبيرة ومخزية تُقَزِّم أية مغامرة أخرى سابقة في تاريخ البشر. وبعد أن شجعته محاكمات آلجر هيس، وروزنبرغ وزوجته، وعملاء آخرين مؤيدين للسوفيات، والتي أضفت معقولية على تصوراته المرضية الأورويلية، وصل الأمر بجو مكارثي إلى أن يتهم أيضاً الجنرال جورج كاتليت مارشال بخدمة سياسة الكرملين. وتحت رئاسته المستبدة لجلسات الاستماع التي كان يعقدها مجلس الأنشطة المعادية للمصالح الأمريكية، أصبحت الاتهامات والقوائم السوداء جدول الأعمال اليومي. صدر حكم بالسجن بحق آرثر ميلر (ألغي بعد الاستئناف) ووضعت ليليان هيلمان على القائمة السوداء ولقَّبَتْ الفترة بـ 'زمن الوغد'.

وكتب آرثر ميلر: 'لم يكن هناك صحفي آخر أستطيع تذكره الآن وقف أمام الرياح العنيفة دون أن يرتجف عدا آي.ف ستون، الذي حررّ جريدة إخبارية مؤلفة من أربع صفحات فحصت،

بشكل متواصل، المسائل دون الخضوع للقاعدة التي تقتضي أن يُطرّز كل شيء بتصريحات معادية للشيوعية. إن الولايات المتحدة، التي كان فيها أصغر حزب شيوعي في العالم، تَصَرَّفَتْ كأنها على شفا ثورة دموية'.[3] كان عدد أعضاء الحزب الشيوعي واحداً وثلاثين ألفاً في 1950، وانحدر إلى بضعة آلاف في 1956، وقيل إن غالبيتهم عملاء سريون لمكتب التحقيقات الفيدرالي. وقال ويليم كولبي: 'صدقت دوماً القول القديم بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي أبقى الحزب الشيوعي حياً من خلال رسوم المدفوعات لعملائه'.[4] وبالنسبة للكاتب هوارد فاست: 'كان الحزب الشيوعي الأمريكي فرعاً لوزارة العدل في ذلك الوقت'.[5]

مؤخرات سيارات الكاديلاك الجديدة المزعنفة المطلية بالكروم، جوارب قصيرة وجيل – أو الهولا هوبز، ثلاجات، معاطف، وخلاطات طعام تشيستر فيلد، غولف، وابتسامة العم آيزنهاور، قبعات مامي: أهلاً بكم في خمسينات نيفتي الرائعة!. تلك كانت أمريكا مجلة *لايف*، مكان ذو اقتصاد استهلاك مزدهر، مجتمع مطمئن، أمريكا، التي كان امتلاك شريط لبول روبيسون فيها يمكن أن يُعْتَبر عملاً تخريبياً، وحيث يقدم كتاب مدرسي يدعى *استكشاف التاريخ الأمريكي*، شارك في وضعه مؤرخ من ييل، النصيحة التالية للأطفال: 'إن مكتب التحقيقات الفيدرالي يحث الأمريكيين على تبليغ المكتب، بشكل مباشر، عن أية شبهات حول النشاط الشيوعي لزملائهم الأمريكيين. إن مكتب التحقيقات الفيدرالي مدرب جيداً على نخل الحقيقة من تقارير كهذه في ظل قوانين أمتنا الحرة. وحين يعالج الأمريكيون شبهاتهم بهذه الطريقة، وليس بالثرثرة والإعلان، فإنهم يتصرفون بشكل منسجم مع التقاليد الأمريكية'.[6] وكتب أحد المؤرخين: 'إن تمجيد المخبرين الصغار كان سمة للمجتمعات الكليانية، ولكن الأمر استدعى الحرب الباردة لإدخال الوشاية في مستودع التقاليد الأمريكية'.[7] وسُجِّلَ مغزى هذا المزاج الكئيب في *الأسى العالي* لجيمس دين، لامبالاة مارلين براندو الحادة، عنف ليني بروس اللفظي، التجليات الأولى لما سيصبح فيما بعد حركات احتجاج جماهيرية، لكن هذه كانت لحظات معزولة، تلميحات سوداء ضاعت في صخب الثقافة 'الرسمية'، في ضجيج هذر ميكي سبيلاني المليء بالكراهية، والمزعج، أو في المآثر الصاخبة للكابتن أمريكا، البطل الكوميدي *الأعجوبة*، الذي انتقل بسهولة من محاربة النازيين إلى فضح الشيوعيين الذين تم تحذيرهم الآن: 'حذار أيها الشيوعيون، والجواسيس، والخونة، والعملاء الأجانب! إن الكابتن أمريكا وجميع الرجال المخلصين الأحرار الذين خلفه يبحثون عنكم، ومستعدون للقتال إلى أن يتم فضح آخر واحد فيكم، أنتم أيها الحثالة الصفراء!'[8]

كانت هذه أمريكا روي كوهن وديفد شاين، 'الثنائي المقيت' لمكارثي. ووصف أحد المعلقين كوهن بأنه 'لا يوصف'، وقال عن شاين إنه 'قرد بمظهر خادع'. كان كوهن محامياً متألقاً حصل على شهادته في القانون من جامعة كولومبيا حين كان لا يزال في التاسعة عشرة، وفي الخامسة والعشرين أصبح مستشار مكارثي في لجنة مجلس الأنشطة المعادية للمصالح الأمريكية. وكوهن الطموح جداً، والمغرور، كان يبكي كلما سمع 'راية النجوم والأشرطة'. أما شاين فقد كان ابن مالك فنادق ثري تعلم في آندوفر وهارفارد، وكان صديق كوهن الحميم. كان شاين يحب

النوادي الليلية، والسيارات السريعة والحذر. وفي أوائل 1953، أمن له كوهن عملاً في لجنة مكارثي الفرعية. لم يكن شاين يمتلك الكثير من المؤهلات عدا أنه ألف كتاباً سخيفاً يدعى *تعريف الشيوعية*، وكانت نسخه توضع قرب إنجيل جديون في الفنادق التي يملكها والده.

وفي ربيع 1953، حين كان تأثير محاكمة روزنبرغ وزوجته يكشف استياءً واسع الانتشار من الحضور الأمريكي في أوروبا، قام كوهن وشاين بجولة تفتيش لمواقع المعلومات الرئيسية الأمريكية. ووصلا في أعقاب وفاة ستالين، التي أعلنها الكرملين في الخامس من آذار. ولكن حركتهما التالية كانت تذكّر بقوة بأن التأثير الذهني للستالينية لا يزال في الخارج. فبعد زيارة مكتبات وكالة المعلومات الأمريكية USIA في سبع دول، أعلنا أن ثلاثين ألف كتاب من بين مليوني كتاب على الرفوف هي لكتاب 'مؤيدين للشيوعية'، وطلبا إزالتها. وأصدرت وزارة الخارجية، التي لم تدافع عن مكتباتها - التي كان يزورها ستة وثلاثون مليون شخص سنوياً - مرسوماً جباناً يمنع أية مادة، وبينها اللوحات، 'لأي أشخاص مثيرين للجدل، وشيوعيين، ومتعاطفين معهم، الخ.' وهكذا، وبغموض كافكاوي، رميت أعمال مئات الكتاب والفنانين الأمريكيين في صندوق قمامة السياسة.

وتبع ذلك وابل من البرقيات بين وزارة الخارجية وبعثات وكالة المعلومات الأمريكية (برلين، بريمين، دوسيلدورف، فرانكفورت، هامبورغ، ميونيخ، هانوفر، شتوتغارت، فرايبورغ، نورمبورغ، وباريس) بينما كان حظر الكتب يزداد سرعة: 'أزيلوا جميع كتب سارتر من مجموعات أمريكا هاوزر'. 'يجب إزالة جميع كتب المؤلفين التالية أسماؤهم: داشييل هاميت، هيلين كي، جيني ويلتفيش، لانغستون هيوز، إدوين سيفر، برنهارد شتيرن، هوارد فاست. 'أزيلوا (أكرر كل شيء) أعمال الأفراد التالين المسجلين: آبت، جون، جوليوس، ج، سنيجر، ماركوس، ويت، ناثان'. 'يؤمر بإزالة جميع أعمال دبليو. إي. ب. دوبواس، ويليم فوستر، مكسيم غوركي (كذا) تروفيم ليسنكو، جون ريد، أغنيس سميدلي'.[9] واصطيد هيرمان ميلفل بالحربون، وسحبت جميع الكتب التي زودها روكويل كينت بالرسوم التوضيحية. وفي عشرين نيسان 1953، أبرقت السفارة الأمريكية في باريس إلى وزارة الخارجية: 'سحبت الكتب التالية من مكتبة وكالة المعلومات الأمريكية في باريس وفي الأقاليم: هوارد فاست، *الفخور والحر*، *الذي لا يهزم*، *مدرك في حرية*، و داشييل هاميت، *الرجل النحيل*، ثيودور هاف *شارلي شابلن*، لانغستون هيوز، *أحزان منهكة*، *طرق الناس البيض*، *البحر الكبير*، *حقول الأعجوبة*، *مونتاج حلم مؤجل*، *ليس بدون ضحك*، *حكايات البيض*.

سحقت الهيبة الثقافية الأمريكية تحت الأقدام حين خضعت وكالات وبعثات الحكومة لمكارثي. وكان المعدل العام للعناوين التي شحنتها وكالة المعلومات الأمريكية إلى الخارج في 1953 قد انخفض من مئة وتسعة عشر ألفاً وتسعمائة وثلاثة عشر عنواناً إلى إلى ثلاثمائة وأربعة عشر عنواناً. كان كثير من الكتب التي أزيلت من المكتبات قد أحرق في فترة النازيين. وسُلِّمَتْ إلى المحرقة للمرة الثانية رواية توماس مان *الجبل السحري*، و *الأعمال المختارة* لتوم بين، وكتاب ألبيرت آينشتاين *نظرية النسبية*، وأعمال سيغموند فرويد، وكتاب هيلين كيلر *لماذا أصبحت اشتراكية؟* وكتاب جون ريد *عشرة أيام هزّت العالم*. ومنعتْ الولايات المتحدة مقالة

ثورو 'في العصيان المدني' في الوقت نفسه الذي اعتبرتها فيه الصين الماوية خارجة عن القانون. وهذا التطهير الثقافي الملهم من مكارثي، والذي بدا كأنه لا يمكن إيقافه، قضى على مزاعم أمريكا بأنها رائدة حرية التعبير.

أما توماس مان، الحائز على جائزة نوبل في الآداب، والمشهور بعدائه للنازية، فقد وجد أن جنسيته الأمريكية لم تقدم له الحماية من الدوافع الكليانية التي هرب منها كما كان يأمل. وبعد أن شجبه المكارثيون بأنه متساهل مع الشيوعية، و دعته مجلة *بلين توك* 'رفيق طريق أمريكا رقم واحد'، تاق إلى مغادرة أمريكا التي سماها 'كابوساً مكيَّفاً'[11] وكانت الجائزة الأخرى لكوهن وشاين هي داشييل هاميت، الذي خدم في 1951 22 أسبوعاً من حكم بالسجن لمدة ستة أشهر لأنه رفض تحديد المساهمين في صندوق كفالة الحقوق المدنية، الذي تم تأسيسه لتقديم الكفالة للشيوعيين المعتقلين. واستدعي في 1953 كي يشهد في لجنة مكارثي الفرعية للتحقيقات المستمرة التابعة لمجلس الشيوخ، حيث رفض مرة أخرى أن يقدم أية أسماء، واضعاً هذه المرة التعديل الخامس موضع التنفيذ. فطلب كوهن وشاين إزالة جميع كتبه من مكتبات وزارة الخارجية. وبعد أن أزالت الشركة القومية للبث الإذاعي NBC مغامرات سام سبيد من الإذاعة، جُرِّدَ هاميت، الذي حارب من أجل أمريكا في حربين عالميتين، من مصدر دخله الرئيسي، ومات من البؤس في 1961. ورغم جهود مكتب التحقيقات الفيدرالي لمنع ذلك، إلا أنه دفن في مقبرة آرلنغتون الوطنية.[12]

وكان معظم الكتاب الأحياء الذين حظرت مرسومات وزارة الخارجية أعمالهم موضوعات لملفات سميكة – وأحياناً سخيفة – في مكتب التحقيقات الفيدرالي في فترة جي. إدجار هوفر. ولقد وُضِعَتْ تحت الرقابة نشاطات وتحركات روبرت شروود، وأرشيبالد ماكليش، ومالكولم كاولي (الذي يظهر ملفه أن سيدني هوك كان مخبر مكتب التحقيقات الفيدرالي)، وجون كراو رانسوم، وآلن تيت، وهوارد فاست،و ف. أو. ماثييسن، ولانغستون هيوز، و، بالطبع جميع الوحوش السوداء betes noirs من مؤتمر ولدورف أستوريا. وحين شكا إرنست همنغواي لأصدقائه من أن مكتب التحقيقات الفيدرالي يراقبه، ظنوا أنه فقد علاقته بالواقع. لكن ملفه الذي كُشِفَ في منتصف الثمانينات، و وصل إلى 113 صفحة، أكد شبهات همنغواي: كان رجال هوفر يتبعونه، ويراقبون هاتفه، ويضايقونه باستمرار لأكثر من خمسة وعشرين عاماً. وقبل أن ينتحر بوقت قصير، بسبب معاناته من كآبة عميقة، دخل همنغواي إلى عيادة في مينيسوتا باسم مستعار. فاتصل طبيب نفسي في العيادة بمكتب التحقيقات الفيدرالي ليتأكد من عدم وجود اعتراضات على تسجيل همنغواي لنفسه بهذه الطريقة.[13]

أما ملف الشاعر ويليم كارلوس ويليامز فيصفه كـ 'بروفيسور غائب الذهن' يستخدم أسلوباً 'تعبيرياً' يمكن تأويله مثل 'شفرة'. كان هذا كافياً لتأكيد أنه حين عُيِّنَ وليامز مستشاراً شعرياً لمكتبة الكونغرس في 1952، لم يشغل الوظيفة لأنه رسب في الاختبار الأمني (وبقي المنصب فارغاً إلى 1956). ووضع الشاعر لويس أنتيرمييير في فهرست أمن مكتب التحقيقات الفيدرالي (الذي صنفه بأنه يشكل خطراً على الأمن القومي) في 1951.[14] وبعد ذلك بوقت قصير، حبس

أنتيرميير نفسه في شقته، رافضاً الخروج لمدة عام ونصف تقريباً، رهينة 'لخوف ساحق يسبب الشلل'.[15] واعتقد كاتب المقالات موري كيمبتون أن هوفر كان 'مجنوناً ومخبولاً بشكل صارخ'، وتصور أن لياليه مسكونة بشبهة أنه في مكان ما يمكن أن يكون هناك شخص لا يحترمه'.[16]

وبعد أن جرت مناقشة مشكلة الرقابة الثقافية في العاشر من تموز 1953، اختتم مجلس وزراء آيزنهاور بشكل ضعيف: 'لا نستطيع أن نحجب الكتب دون أن نبدو مغفلين أو نازيين. يمكن أن ينجز الأمر بهدوء حتى لو تطلب الأمر بعض الوقت وبعض الأرواح المدمنة. يجب الانتباه بشكل محدد إلى اختيار كتب جديدة تتلاءم مع القانون'.[17] وبالكاد تحققت هذه الاستجابة القوية المطلوبة. كانت الرسائل تتدفق إلى المراكز الأمريكية في جميع أنحاء أوروبا، تنتقد حظر الكتب. أما البريطانيون الذي قرروا إبقاء نسخ كتاب *كفاحي* على رفوف المكتبات الألمانية بعد الحرب، 'إلى أن أصبحت نكتة'، فقد تبنوا وجهة نظر غامضة. وكان جزء من المشكلة هو أن آيزنهاور، بدلاً من أن ينزل في الطين مع مكارثي، اعتقد أنه يستطيع أن ينهيه بحملته الخاصة ضد الشيوعية، وهي استراتيجية أيدها وزير خارجيته جون فوستر دلس. وكان مكارثي، آنذاك، يمتلك شكوكاً حتى في آيزنهاور. وانتشرت إشاعات قالت إنه حدث اختراق كبير لمكاتب الحكومة الأمريكية – خاصة في ألمانيا – من قبل الشيوعيين أثناء قيادة آيزنهاور المطلقة في أوروبا بعد الحرب. وبشكل مفاجئ، كان نيكولاس نابوكوف هو الذي أجج ألسنة لهب هذا الزعم، مغذياً الأخوين آلسوب بالمعلومات حول جدية الاختراق، مدعياً أن الطابور الشيوعي الخامس سيطر بشكل فعلي على قيادة آيزنهاور.

وكانت إذاعة صوت أمريكا التابعة لوزارة الخارجية معرضة للهجوم أيضاً. وبينما كان مكارثي يعقد جلسات متلفزة تقدم حكايات وحشية عن الاختراق الشيوعي للإذاعة الأمريكية الموجهة، صرف الموظفين الذين ساعدوا في بناء الإذاعة من الخدمة بسرعة. ففي آذار 1953، طلب منتج في صوت أمريكا تسجيلاً لـ 'أغنية الهند'، لكن أمين المكتبة قال له إنه لا يستطيع الحصول عليه، بما أن الأغنية لـ'ريمسكي – كورساكوف، ومن المفترض أن لا نستخدم أي شيء صنعه الروس'.

كانت انتقادات مكارثي لوزارة الخارجية قاسية، وتتوجت باتهام دين أشيسون – 'هذا الدبلوماسي المغرور ذو البنطلون المقلم واللهجة البريطانية المزيَّفة' – بأنه كان يدلل الشيوعيين'. ورنت تهمة أن أشيسون، مهندس عقيدة ترومان، بأنه متساهل مع الشيوعيين، بشكل أجوف. ومن الطريف أكثر أن مكارثي نفسه لم يصدقها. لكن حقيقة أن أشيسون يفتل شاربيه ويشتري بذلاته من سافيل رو كانت إدانة حقيقية. ومثل موسوليني قبله، كان مكارثي حاكماً مطلقاً أراد عبارة 'مصنوع في أمريكا'. كان صوته هو صوت الأجلاف الذين رفضوا القيم الأنجليكانية لأشخاص مثل أشيسون. وكانت المكارثية حركة – أو لحظة – أطلقت باستياء شعبي على المؤسسة. وبدورها، استقبلتْ النخبة الحاكمة ديماغوجية مكارثي كإهانة. ولقد جسَّد ما ازدراه إي. ل. راوس في إنكلترا ودعاه بـ 'الشعب الأبله'، وأساء إلى ذوق الطبقة العليا، التي ارتدت على الوسطية، والذهنية الريفية الخرقاء، وعلى العبادة الممقوتة في الوسط، ونظر الموظفون

الإداريون الكبار مثل الأخوين آلسوب، جوزيف وستيورات، إلى مكارثي كـ' شعبوي من قلب البلاد يثير العواطف ضد نخبة سياسة البلاد الخارجية... ونظرا أيضاً إلى هجومه على وزارة الخارجية على أنه هجوم على الفلسفة الدولية التي قادت سياسة أمريكا الخارجية منذ نهاية الحرب. ما من أحد كان يقولها بشكل علني، ولكن بدا واضحاً للأخوين آلسوب أنه إذا نجح مكارثي في إسقاط دوليي الوزارة، فإن النتيجة ستكون موجة جديدة من الانعزالية'.[18]

وقال ليمان كيرباتريك، الذي خدم كمفتش عام لوكالة الاستخبارات المركزية أثناء الفترة المكارثية: 'جرى النظر إلى كل ليبرالي تقريباً في الحكومة الفيدرالية باشتباه. كان في ذلك شيئاً من المناخ الذي لا بد أنه كان سائداً أثناء الثورة الفرنسية حين كانت الاستنكارات والمحاكمات تقود إلى المقصلة. وبينما لم تكن هناك مقصلة في واشنطن، ربما كان هناك قدر أكثر سوءاً يتمثل في تدمير وظيفة الفرد، وتحطيم حياته'.[19] وبعد أن ألحق الضرر بمعنويات وزارة الخارجية بشكل مستمر، وجه مكارثي بصره إلى السي آي إي، 'الهدف الرئيسي والأكثر أهمية، وخاصة أنها ستسبب له شهرة شخصية أكبر كما اعتقد'.[20]

كان أولئك 'العالميون' المجتمعون حول قسم المنظمات الدولية التابع للسي آي إي هم الذين يملكون ما يخسرونه أكثر. ففي أواخر 1952، تحوَّلت شبهات مكارثي إلى مؤسسة برادن، بعد أن علم السيناتور أنها 'منحت إعانات مالية ضخمة لمنظمات مؤيدة للشيوعية'.[21] كانت هذه لحظة حساسة: كان عداء مكارثي غير الرسمي للشيوعية على شفا تعطيل، وربما إنهاء شبكة السي آي إي من واجهات اليسار غير الشيوعي الفعالة والمحكمة. وشرح آرثر شليسنغر: 'إن إحدى غرابات مغامرة السي آي إي في السياسة الثقافية هي أن ما فعلته كان يجب أن تفعله وكالة المعلومات الأمريكية أو هيئة ما مثلها، علناً وبشكل واضح. والسبب في أن هذا لم يكن ممكناً هو الجو الذي خلقه مكارثي، لأنه لو عرف أن الحكومة الأمريكية تُموِّل مجلات اليسار غير الشيوعي، ونقابات تجارية اشتراكية وكاثوليكية، لسبب هذا مشكلة كبيرة. وهكذا أنجزت السي آي إي هذه الأمور بطريقة سرية من أجل تجنب مكارثي'.[22] وأضاف موظف في السي آي إي مرتبط بالمنظمة من أجل الحرية الثقافية: 'كان كل شيء ينبغي أن يكون بعيداً عن الميزانية، بما أن هذا لن يمر في الكونغرس مطلقاً. تخيل الزئير السخيف الذي كان سَيُطْلَق: إنهم جميعاً شيوعيون! إنهم لوطيون! أو ما شابه'.[23]

وشرح المؤرخ كاي بيرد: 'كان كثير من هذه العمليات السرية معرضاً للخطر بشكل ساخر بسبب مكارثي، الذي هدد في نقطة ما بضرب سريتها لأن الوكالة الأمريكية، السي آي إي، كانت، من وجهة نظره، داخلة في اتفاق مع اليساريين. كان هذا مربكاً يشوه فكرة أن أمريكا مجتمع ديموقراطيٌّ محنَّكٌ قادر على امتلاك نقاش سياسي عقلاني. ولكنه كان يهدد أيضاً بضرب العمليات الاستخباراتية الرئيسية التي قامت بتدخلات طويلة المدى من أجل بناء إجماع سياسي وإبقاء أوروبا الغربية ضمن الناتو، وداخل التحالف الغربي'.[24]

وبينما كانت كلاب مكارثي تشم برنامج الوكالة اليساري غير الشيوعي، كانت السي آي إي بحاجة إلى الانسحاب إلى الخلف. ولكن اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة فتحت فمها في هذه

اللحظة الحرجة. وفي أوائل آذار 1952، عقدت اللجنة اجتماعاً مغلقاً كي تناقش كيفية الرد على مكارثي. كان واضحاً على الفور أن اللجنة مقسومة بشكل يدعو إلى اليأس. وكان جيمس ت. فاريل ودوايت ماكدونالد، دون شك، معرضين لخطر المكارثية. قال فاريل: 'إن التهديد الستاليني سحق بشكل كبير في أمريكا، رغم أنه لم يسحق على مستوى العالم. ولكننا نشاهد تطور مجموعة من المفكرين المكارثيين'.[25] وتابع معرفاً المكارثية بأنها 'الجهل المطبق'، إلحاح غير ضروري على الامتثال والأرثوذكسية. وقدم ماكدونالد موقفين: الموقف 'النقي' ... الذي يعني عدم القيام بأي تمييز بين الشيوعيين وغير الشيوعيين في مسائل الحقوق المدنية والحرية الثقافية، والموقف 'غير النقي'، الذي يعني الدفاع عن الأشخاص فحسب ... الذين تصدر بحقهم عقوبات على أساس اتهامات بالشيوعية زائفة وتفتقر إلى الدليل'.[26] وكان يأمل أن تتبنى اللجنة الموقف السابق، ولكن مع ذلك يجب أن تتبنى، على الأقل، الموقف الثاني. ورد برترام وولف بأن 'الأخطار اليوم في أمريكا هي نتيجة مباشرة لفشلنا في القيام بعملنا في فضح الستالينيين. إذا لم نفعل ذلك، فسوف يفعله 'الرجال ذوو الهراوات'.[27]

وحذّر عضوٌ آخر اللجنة من 'ميلها إلى ربط نفسها بمجادلات مسبقة الصنع ثم تبني الموقف الرسمي... لقد وقعت في دور الدفاع عن الخط الحالي للحكومة. ما يجب أن تهتم به هو اكتشاف مشكلات ومسائل جديدة. سيتم الاهتمام بالأخرى من خلال آلة دعاية شاملة'.[28] ومن الذين دعموا وجهة النظر هذه ريتشارد روفر، المحرر المساعد لمجلة ذ نيو يوركر، الذي قال: 'إن من واجبنا أن نجعل البلاد تعرف، ونجعل أوروبا تعرف أنه من الممكن أن نكون ضد المكارثية وأيضاً ضد الكليانية الشيوعية. فالمشكلة الرئيسية هنا هي أن السياسات بدأت تدمر الثقافة'.[29] ولكن سيدني هوك، ودانييل بيل، وكليمنت جرينبيرك، وويليم فيليبس، عبروا عن وجهة نظر الأغلبية، ورفضوا تأييد شجب عام لمكارثي.

وحين كتبت ماري مكارثي إلى حنا آرنت عن أخبار هذه المواقف المتعارضة كشفتْ أنها 'تعرفت على خط مجموعة هوك، و يبدو كأن أعمال مكارثي... لم تكن داخل مجال اللجنة من أجل الحرية الثقافية'.[30] ولقد قيل لها أيضاً، سرياً، 'بأن اللجنة، التي أقرت بأنه لا يوجد تهديد شيوعيٌّ هنا، مهتمة، بشكل رئيسي، بتأمين الأموال لمحاربة الشيوعية في أوروبا الغربية، أو، بالأحرى، لمحاربة الحيادية، التي تحتل المكان الأول كتهديد. ولقد عرض هذا عليَّ بصيغة بين بعضنا'.[31]

وأضافت ماري مكارثي:من ناحية أخرى كان هناك شعور بأن 'الشيء الكبير الذي يجب أن يُكافح هنا هو الارتداد إلى الحيادية. ذلك أنه إذا فترت جهود هوك واللجنة للحظة واحدة، فإن الستالينية (كذا) سوف تعيد إثبات نفسها في الحكومة والتربية، وتبلغ الذروة في الاسترضاء في الخارج. لم أستطع القول إن كان هذا خوفاً حقيقياً – لقد بدا فنتازياً جداً – أو عقلنة. ولا أستطيع الاعتقاد بأن هؤلاء الأشخاص يرون بشكل جدي أن الستالينية كامنة هنا بشكل كبير، وجاهزة للإنبعاث لدى أقل استدعاء ... إنهم يعيشون في رعب احياء الموقف الذي ساد في الثلاثينات، حين كان المتعاطفون أقوياء في التعليم، والنشر، والمسرح، الخ، حين كانت الستالينية

مصدراً للمال السهل وكان هؤلاء الأشخاص بعيدين عنه وأصبحوا موضوع استخفاف اجتماعي، وحرمان اقتصادي، وثرثرة واغتياب. وهؤلاء الأشخاص، الذين يمتلكون عقولاً مفكرة، يفكرون بتقدم الجماعة والاحتكار الثقافي ولقد صدمهم في الحقيقة الصعود الستاليني القصير في الثلاثينات... تخطر هذه الفترة في أحلامهم دوماً، إنها 'أكثر واقعية' منذ اليوم. ولهذا السبب من النادر أنهم لاحظوا الواقع المتدهور، ولقد قللوا من شأن السيناتور مكارثي كأنما لا علاقة له بالموضوع'.[32]

وحتى الآن، جرى إبقاء الانقسام في اللجنة الأمريكية حول المكارثية سرياً نسبياً. ولكن في التاسع والعشرين من آذار، أعلنت اللجنة عن انقساماتها في نقاش علني رعته اللجنة بعنوان 'الدفاع عن الثقافة الحرة'، والذي تم، بشكل مناسب بما يكفي، في الغرفة المضاءة بالنجوم لفندق ولدورف أستوريا. وفي الجلسة الصباحية، تحدث دوايت ماكدونالد، وماري مكارثي، وريتشارد روفر ضد السيناتور مكارثي. ولكن بعد الظهر، ألقى ماكس إيستمان، حبيب اليسار الأمريكي في أوائل الثلاثينات، كلمةً أظهرتْ كيف يمكن أن تكون عملية إنهاء الراديكالية كاملة. منكراً أن هناك صيداً للسحرة قائماً، واتهم الشيوعيين والمتعاطفين معهم باختراع مصطلح 'التكتيك التشويهي'. قال إيستمان: كساحر نصف محترق من تلك الأيام الهستيرية، ألتمس أن أؤكد لكم أن ما تدعونه اصطياد السحرة هو لعبة طفل في رحلة مدرسية يوم الأحد إذا ما قورن بما يستطيع أن يفعله الشعب الأمريكي حين يبدأ بالفعل'.[33] واتهم السلطة التنفيذية القومية بأنها 'خذلتنا في الصراع ضد التسلل الذي قام به أعداء الحرية'، ووجه التهمة نفسها إلى مجلس الحرية، وجماعة العمل الديموقراطي الأمريكية، ونقابة الحريات المدنية الأمريكية (التي كان هو نفسه عضواً فيها)، شجبها كلها كما شجب كثيراً من 'الليبراليين المشوشي الذهن، الذين يقدمون، باسم الحرية الثقافية، مساعدتهم القصوى لعدو مسلح يعمل على تدمير الحريات في جميع أنحاء العالم'.[34]

وقالت بعض التقارير إن الجمهور أصيب بالذهول، وقال بعضها الآخر إنه كان شديد الابتهاج. وفي كلمته في ذلك الصباح وبَّخ ريتشارد روفر إرفنغ كريستول لأنه نادراً ما قال 'الحقيقة الصارخة عن مكارثي التي يتمنى من البشر الآخرين أن ينطقوا بها عن الشيوعية'. اتهم مكارثي بأنه يمتلك 'احتراماً قليلاً للحقيقة مثل أي مؤرخ سوفياتي'، واختتم بكآبة أن 'الحقيقة المؤكدة، وربما المحتومة، هي أن المصابين بالنوبات العصبية المخيفة يتقدمون الآن في كل مكان'.[35]

وبحسب ماكس إيستمان، يشير ذلك الشعور إلى أن روفر نفسه كان مغفلاً ومخدوعاً بالدعاية السوفياتية.

وبعد الاجتماع، كتب روفر إلى شليسنغر يُعبِّر عن أساه من اهتياج إيستمان، وتوسل إليه أن يقوم بعمل ما حيال ذلك. وتذكر شليسنغر فيما بعد، بالأحرى بشكل غير مرجَّح، أنه رغم معرفته لاستثمار السي آي إي الأول في إطلاق المنظمة من أجل الحرية الثقافية في برلين، افترض بعد ذلك 'أن المؤسسات كانت تدفع. ومثلي مثل الجميع، اعتقدت أنها صادقة... لم أكن

أعرف أن السي آي إي تدفع لها كلها". بعد نصف قرن، كان شليسنغر لا يزال متكتماً حول أية علاقة رسمية مع السي آي إي في هذه المسألة: "أحياناً كنتُ أقابل فرانك ويزنر في منزل جو آلسوب، وكان يسألني بطريقة اجتماعية عما يحدث في اللجنة الأمريكية، وكنتُ أخبره". [36] وهكذا من المفترض أن شليسنغر كتب، في شكل إيماءة اجتماعية، إلى فرانك ويزنر في الرابع من نيسان 1952، مرسلاً محتويات مغلف معيّنة، نوّه ويزنر أنها "تقدم صورة مخيفة". [37] وفي رد على رسالة شليسنغر، كتب ويزنر مذكرة داخلية بعنوان - "أزمة يجري التبليغ عنها في اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة" - قدمت توضيحاً بشكل فائق للعادة وتستحق بأن تُقتبس كلها:

مذكرة سي آي إي من نائب مدير الخطط (ويزنر) إلى نائب المدير المساعد لتنسيق السياسة: أزمة مبلغ عنها في اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة.

1 - أرفق هنا رسالة مؤرخة في 4 نيسان من آرثر شليسنغر جي آر مرسلة إليّ، مع محتويات معيّنة، جميعها تقدم صورة مرعبة. لم أسمع عن هذه التطورات قبل استلامي لرسالة شليسنغر، وأنا متلهف جداً للحصول على تقييم لهذه المسألة، التي يمكن ألا تكون عاصفة في فنجان،يقوم به مكتب تنسيق السياسة.

2 - إن رد فعلي الارتجالي على هذا المأزق هو أنه لا موقف المؤيدين لمكارثي ولا المعادين له هو الصحيح من وجهة نظرنا، وإنه من الأكثر سوءاً أن المسألة حدثت بهذه الطريقة وأوصلته إلى الأوج. أستطيع أن أفهم لماذا ينبغي على اللجنة الأمريكية من أجل حرية الثقافة، التي تقف وحدها، وتتألف من مجموعة من المواطنين الأمريكيين الخاصين المهتمين بالحرية الثقافية، أن تتخذ موقفاً من المكارثية. على أي حال، هذه ليست طبيعة اللجنة الأمريكية من أجل حرية الثقافة التي، بحسب ما أتذكر، استلهمت عملها من هذه الوكالة، هذا إذا لم تؤسسها، من أجل هدف تقديم الغطاء والدعم الخلفي للجهد الأوروبي. إذا كان الحال هكذا، فنحن عالقون مع اللجنة بمعنى أنه تقع على عاتقنا مسؤولية لا يمكن التنصل منها حيال سلوكها، وأفعالها، ومقولاتها العامة. فإثارة مسألة المكارثية، في هذه الظروف، سواء لشجبها أو لدعمها، خطأ جدي برأيي. والسبب هو أن هذا يورطنا في مسألة سياسية أمريكية محلية ساخنة جداً، ومن المؤكد أنها ستسبب لنا المشكلات وتسلط على رؤوسنا النقد بسبب التدخل في مسألة ليست من اختصاصنا.

3- إذا قبلتم التحليل السابق ورد الفعل، فيجب أن نفكر بسرعة بما يجب فعله الآن بما أن الدهن في النار. إذا كان بالإمكان فعل هذا، فإنني أقترح حذف الجدل حول هذا الموضوع، بداية، من السجل، وهكذا يتم طي المسألة. أعرف أن هذا لن يرضي أياً من الفئتين، ولكن من المحتمل أنه من الممكن بالنسبة لنا أن نوضح لأعضاء الفئتين بأننا نتحدث عن أوروبا والعالم خارج الولايات المتحدة ويجب أن نتشبث بطرحنا الأخير - وأننا إذا لم نفعل هذا فسوف تُفْضَح المحاولة كلها وتخفق بسبب تورطنا في مسائل سياسية داخلية. إن إطلاق مناشدة للوحدة والانسجام وحفظ هذه المحاولة القيمة يمكن أن يكون ناجحاً. وفي أي حال، إنها المقاربة الوحيدة التي أستطيع أن أفكر بها؟[38]

إن دلالة المذكرة متعددة. فهي تظهر أن آرثر شليسنغر ينبه فرانك ويزنر إلى تطورات في اللجنة الأمريكية، التي يجدها هو، شليسنغر، مزعجة (شليسنغر شكا قبل ذلك إلى نابوكوف من أن المنظمة مخترقة بمعادين للشيوعية عصابيين، وأنها تصبح 'أداة لهؤلاء الأوغاد'.)[39] وهي تكشف أصول تلك اللجنة، التي أعلنتْ عن نفسها كهيئة 'حرة' و'مستقلة'، 'كداعم خلفي' لجهد سي آي إي أكثر ضخامة في أوروبا الغربية. وتظهر أن ويزنر كان، بدون شك، يتولى مسؤولية الوكالة عن سلوك، وأفعال اللجنة الأمريكية وتصريحاتها العلنية. وكانت مسألة حرية هذه اللجنة التي خلقتها الوكالة في أن تفعل وتقول ما تريده مسألة أكاديمية بالنسبة لذهن ويزنر. وإذا كانت هي بالفعل ما قالته عن نفسها – أي مجموعة مستقلة من المواطنين الخاصين – عندئذ بوسعها أن تفعل ما تريده. لكنها لم تكن كما قالت: كانت جزءاً من Wurlitzer ويزنر، ولكونها هكذا يمكن توقع أن تعزف اللحن الصحيح أو تبقى صامتة قانونياً إذا كان ضرورياً بالطبع، لم تكن السي آي إي تمتلك الحق في التدخل في عمل منظمة محلية. ويقر ويزنر بهذا في المذكرة.

فضلاً عن ذلك، إن قدرة ويزنر على الكتابة بهذه الحرية عن 'حذف السجل' تقدم صورة مزعجة عن موقف السي آي إي من مجموعات كهذه. كانت الوكالة تمتلك سلطة حق الاعتراض – الفيتو – على نشاطاتها السرية، وكان ويزنر يؤيد استخدام ذلك الحق. وتوضح المذكرة أيضاً حقيقة أن ويزنر شعر أنه يمتلك مدخلاً مباشراً إلى اللجنة الأمريكية، يريد الآن أن يُفَعِّله كي يقنع الفئتين داخل المجموعة بأن تنسيا خلافاتهما، وتُسْقِطا موضوع المكارثية تماماً.

وقال توم برادن: 'كانت اللجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية واجهة فحسب لخلق انطباع حول اشتراك أمريكي ما في العملية الأوروبية. حين بدأوا يثيرون مسألة مكارثي، آه يا إلهي، كان ذلك مزعجاً، وخاصة لآلن دلس. كان هذا سبباً جيداً بما يكفي لعدم لزوم وجود لجنة أمريكية، بالتأكيد في ذهن آلن. وكان سيصاب بالرعب من هذا الإقرار العلني بوجود شخص في اللجنة من أجل الحرية الثقافية يعارض مكارثي. كان هو بالطبع يكره مكارثي، لكنه يعرف أن عليك معالجته بكثير من اللين والهوادة: لا تعبر بالقرب منه، أو اجعله ينخرط في أي شيء. أما فكرة أن أشخاصاً مثل برنهام وشليسنغر سينهضون ويسيئون إلى مكارثي بشكل كبير فكانت خارج النقاش، وخاصة في ذهن آلن'.[41]

كان واضحاً أن ما جعل المنظمة من أجل الحرية الثقافية وفروعها تترك مكارثي وحيداً هو مسألة سياسية، كما يتذكر أحد الناشطين الإنكليز فيما بعد: 'كان مفهوماً بشكل واضح أننا يجب ألا ننتقد الحكومة الأمريكية، أو المكارثية التي كانت آنذاك في أوجها في الولايات المتحدة'.[42] وكانت هذه إحدى المسائل التي ناقشها دي نوفيل ومونتي وودهاوس في اجتماعات 'عملياتهم وطرائقهم'، ونقلا مرسوماً من وزارة الخارجية إلى قسم بحث المعلومات يقضي بأن لا يظهر أحد من نشطائه 'بأنه يهاجم الولايات المتحدة بأية طريقة'. ويجب أن يُنْظَر إلى إسهام مجلة *إنكاونتر* في موضوع المكارثية في هذا السياق. ولقد تجنبت إنكاونتر المسألة تماماً، وحين تحدثتْ عنها، كانت نبرتها بعيدة جداً عن الإدانة. ففي مقالة فائقة للعادة في تعتيمها غامر

توسكو فايفل قائلاً بأن المزاج في أمريكا الذي شهد صعود المكارثية كان قريباً من مزاج إنكلترا في 1914 حين 'جرى تفتيت قرنٌ من الأمن الإنكليزي'. 'الكراهية الشديدة للأعداء البرابرة (الهونيين)، الإيمان المشبوب بعدالة قضية بريطانيا، التعصب الغاضب على الاشتراكيين، والمسالمين، ومنشقين آخرين – وهذه، كما قال فايفل، عواطف تمكن مقارنتها مع 'فقدان أمريكا المفاجئ لإحساسها بالأمن، في اليوم الذي برز فيه السلام في 1945، مع 'تدشين عصر قنبلة ذرية جديد، مع الاتحاد السوفياتي الذي كان يحوم كخصم قوي'. وكل ما تبع ذلك كان محاولة، وإن كانت 'مؤلمة'، للتكيُّف. ورغم أنه يجب أن يؤسف على أعمال مكارثي، إلا أنه يجب النظر إليه في سياق 'بحث أمريكا الملح عن أمن قومي جديد، عن عالم، بالفعل، يُجْعَل آمناً للديموقراطية'. وهذا، اختتم فايفل، كان مفضلاً بشكل لانهائي 'للسأم، والشك لدى *الأوروبيين* في أي من هذه الإنجازات'.[43]

أما الفكرة القائلة بأن الأوروبيين أساؤوا فهم الظروف المحيطة بالمكارثية، فقد اعتنقها ليسلي فيدلر الذي رأى أنه من الخطأ افتراض 'أنه بسبب أن مكارثي يجأر ضد الاختراق الشيوعي، فهذا برهان كاف على أن الفكرة كلها عبثية'، كما فعل كثير من 'أعداء الرأسمالية الغامضين في جميع أنحاء العالم'. حين افترضوا 'البراءة من خلال الصداقة' واندفع أولئك الأشخاص إلى الدفاع عن أي شخص اتهمه مكارثي. ناظراً إلى مزاعم تقول إن الأمريكيين كانوا دوماً 'يرتجفون' خوفاً من مكارثي كملهاة، اختتم فيدلر أن سيناتور ويسكنسون كان طاحونة هواء من العبث أن 'يُضَيِّع المرء ضرباته' عليها حين يكون هناك 'وحوش حقيقية' تجب محاربتها.[44]

ولعب ورقة 'الشر الأقل' أيضاً المحافظ البريطاني الشاب بيرجرين ورسثورن، الذي أعلن في عدد تشرين الثاني 1954 من *إنكاونتر*، أن 'أمريكا تمتلك ماضياً متعدد الألوان، وسوف، بدون شك، تمتلك مستقبلاً متعدد الألوان، وكلما سارعنا في قبول هذه الحقيقة الحتمية سنقدر على الاستفادة بسرعة من بركاتها المتعددة دون أن نعزف على العيوب. خلقت الأسطورة إلهاً أمريكياً. فشل الإله. ولكن على عكس الإله الشيوعي، الذي لدى الفحص القريب، تبيَّن أنه شيطان، أصبح الإله الأمريكي لتوه إنسانياً'.[45] ويسجل لمجلة *إنكاونتر* بشكل صائب إنعامها غير المحجم للنظر في البتر الثقافي في الكتلة الشيوعية. ولكن تلطيفها للمكارثية كان أقل وضوحاً للبصر:حيث استطاعت المجلة أن ترى الشعاع بعيني خصومها لم تستطع أن ترى الهباءة بعينيها.

كان من المتوقع بالطبع أن أولئك الذي زعموا بأنهم يحترمون قضية الحرية يجب أن يعثروا على طريقة لاستنكار من خدعها وأساء إلى شرفها. وكانت اللجنة الأمريكية على صواب في إثارتها لمسألة المكارثية، وكانت السي آي إي مخطئة في محاولتها لكبح الجدل. ولكن ويزنر لم يكن الرجل الذي تؤخره ظرافة كهذه. وقد اقترح في مذكرته أن 'من الممكن أن تنجح مناشدة للوحدة والانسجام ويحافظ على هذا الجهد الثمين'. ولقد نُظِّمَتْ هذه المناشدة بسرعة. وكانت رسالة نابوكوف إلى آرثر شليسنغر، المكتوبة في أوج التحضير لمهرجان 'الروائع في باريس في

نيسان 1952، تحاكي مذكرة ويزنر بدقة غريبة. حذّر: 'بصراحة، سوف أستنكر انشقاقاً في اللجنة الأمريكية. سوف يعرض للخطر عمل المنظمة، ومنظمتنا الفرنسية، إلى درجة لا يمكن حسابها. يجب أن يتم التوضيح للأوروبيين أن مكارثي رجل، وليس حركة[46]... أنا مقتنع أننا يجب أن نهاجم الأفعال والأساليب الفردية لمكارثي، ولكنني أشكك بنفع ومنطق القرارات ضد 'المكارثية'، التي ستوحي، على الأقل للأوروبيين، أن مكارثي يمثل حركة شعبية أصيلة في الولايات المتحدة'. وتابع نابوكوف ليحث شليسنغر 'كي تفعل ما بوسعك لتمنع انشقاقاً في اللجنة الأمريكية. لا أستطيع الاعتقاد بقوة كافية أن تمزقاً كهذا سيوجه،بالفعل، ضربة قاضية لعملنا هنا'.[47]

وكشف ضابط المهمة لي وليامز أنه إذا وُجدت هناك مشكلات مع لجان المنظمة أو فروعها أو المحررين تبتعد كثيراً عن الخط، فإن الطريقة الوحيدة للحصول على فيتو الوكالة، دون أن يُرى هكذا، هي القفز فوق البيروقراطية كلها، وإرسال رسالة مباشرة للمسيئين من أحد ما 'في الأعلى' داخل بنية المنظمة.[48] وكان هذا العمل يقع عادة على عاتق جوليوس فليسشمان، الذي حذر في مناسبة مشهورة محرري *إنكاونتر* من أن تمويلهم يمكن أن يتعرض للخطر إذا ألحوا على نشر مقالة مثيرة للجدل. ويظهر أن نابوكوف تولى مهمة مماثلة هنا حول مسألة تدخل اللجنة الأمريكية في حقل ألغام مكارثي، في مناسبات مستقبلية في آن. ويبدو' نابوكوف إما أنه وُضع كي يتوسط في حالات كهذه دون أن يعرف لصالح من، أو من الجائز أكثر أنه فعل ذلك عن دراية.

وكتب شتاينبك في ذروة حملة مكارثي: 'لو حاربنا من البداية بدلاً من الهرب، لما حدثت هذه الأمور الآن'.[49] وكتب جون هنري فولك: 'الأمر المريع هو أن كثيراً من أولئك الذين ضُحِّيَ بهم، والشعب الأمريكي ككل، قبلوا بالحكم عليهم كمذنبين. لقد وافقوا على حق أعضاء اللجان الأمنية الأهلية في توجيه الاتهامات، في اتخاذ القرار، وإصدار الحكم. ولذنا جميعنا بالصمت. وشعرنا أن الصمت سيجعلنا آمنين'.[50]

وبينما كان الكتاب والفنانون السوفيات يُضطهدون بدرجة لا تُقارن ولا تحتمل مقارنة مع حملة مكارثي في أمريكا، اشترك السيناريوهان في العناصر نفسها. وانطوت زيارة قام بها الأخوان آلسوب إلى 'عرين مكارثي في كابيتول هيل' على جميع بواعث الكابوس السوفياتي، وكان مكارثي نفسه يحمل أكثر من شبه مع جهاز ستالين أو رجال شرطته السريين. وكتب الأخوان آلسوب: 'عادة ما تكون غرفة الانتظار مليئة بشخصيات تبدو ماكرة كما لو أنها رجال من وزارة الخارجية تمت رشوتهم للإدلاء بشهادة كاذبة'. ورغم صلع زاحف وارتعاش مستمر، فقد جعل رأسه يهتز بطريقة مضطربة، اختير مكارثي، بشكل معقول، كنسخة هوليودية عن مخبر سري قوي الفكين. ومن الجائز أن يجده الزائر يميل بكتفيه الثقيلتين إلى الأمام، سماعة هاتف في يده الضخمة، ويصبح مصدراً توجيهات ملغزة إلى حليف غامض ما. 'نعم، نعم، أنا أسمعك، لكنني لا أستطيع التحدث. هل تفهمني؟ أنت في الحقيقة تمتلك دليلاً على تورط هذا الشخص؟' ثم ينظر السيناتور كي يرى تأثير هذه المسرحية على زائره. 'نعم؟ حسناً، سأخبرك.

فقط اذكر هذا النوع من الاهتمام لرقم واحد، واحصل على رد فعله. اتفقنا؟ وكانت المسرحية تتصاعد بقليل من العمل المسرحي ذي المغزى. ذلك أنه حين يتحدث السيناتور مكارثي فإنه يضرب أحياناً سماعة الهاتف التي توضع على الفم بقلم رصاص. وكما هو الأمر في فولكلور واشنطن، من المفترض أن هذا سيصدر ضجيجاً يحمي الإبرة من أية أداة إصغاء مخبأة. وباختصار، ففي حين كانت وزارة الخارجية تخشى من أن أصدقاء السيناتور مكارثي يتجسسون عليها، كان السيناتور مكارثي يخشى، كما هو واضح، من أن يتجسس عليه أصدقاء وزارة الخارجية'. [52]

هنا يكمن الأساس المنطقي لمذكرة ويزنر: كان سبب إيقاف الجدل هو أن مكارثي خلق جواً خانقاً من الخوف العصابي والاشتباه الداخلي'، وهذا هدد أسس جهود السي آي إي في تحقيق نقطة التقاء مع اليسار غير الشيوعي خارج الولايات المتحدة.

غير أنه في داخل العنصر المحافظ للجنة الأمريكية رُفِضَ تفسير الأخوين آلسوب على أنه نتاج مخيلة محمومة. وكتب سيدني هوك: 'هناك البعض، الذين ينبغي أن يعرفوا بشكل أفضل، والذين أكدوا أننا نمر في أسوأ فترة من الإرهاب والهستريا السياسية في تاريخنا. إن هذا الوصف لحال أمريكا الحاضر هو مبالغة فنتازية في الحقائق'. [53] وسخر كريستول كذلك من المزاعم التي تقول بأن المكارثية تخلق 'جواً من المقت'. ورداً على زعم آرثر ميلر أن برودواي تعاني من 'غباء المكارثية' و'تحقيقاتها الكونغرسية حول غياب الأرثوذكسية السياسية'، كتب كريستول في *نيويورك تايمز* أن ميلر مذنب في 'التعبير عن السخافات'. [54] وفي 1935، قال كريستول بشكل علني إن 'هناك شيئاً واحداً يعرفه الشعب الأمريكي عن السيناتور مكارثي، فهو، مثله، معاد للشيوعية بشكل تام. أما عن الناطق باسم الليبرالية الأمريكية فيشعر بأنه لا يعرف أمراً كهذا'. في الوقت نفسه، اختتم ستيفن سبيندر، بشكل كئيب، بأنه 'بين حين وآخر يرسم كاتب أمريكي إشارة الصليب بشعور ورع معاد للشيوعية، ويشتبه المرء بأنه بدلاً من أن يردد السلام المريمي فإنه يردد في الحقيقة: ليكن سلامٌ لك يا مكارثي'. [55]

عارض جوسيلسون تأسيس اللجنة الأمريكية من البداية، وفي أعقاب 'ضربة' مكارثي شعر بأنه محمي. واعتبرها برادن أيضاً غير حكيمة، قائلاً فيما بعد: 'أعتقد أنها كانت فكرة سيدني هوك، لكنني اعتقدت أنها خطأ. بدا لي أنها تؤسس منظمة منافسة للمنظمة في باريس، وستعج أيضاً بالمتشددين. وكان بعض أعضاء اللجنة الأمريكية قريبين جداً إلى مكارثي في الشخصية. والأسوأ من ذلك، أنهم كانوا أشخاصاً يمتلكون مدخلاً إلى آذان الأشخاص ذوي النفوذ في وزارة الخارجية، وكان من المحتمل أن يسبب هذا مشكلات للوكالة'. [56] ورغم هذه التحفظات، نجح فرانك ويزنر في إقناع آلن دلس الذي كان لا يزال نائب مدير العمليات، بأن فرعاً أمريكياً للمنظمة من أجل الحرية الثقافية ضرورة لا يمكن تجنبها. وقال ميلفن لاسكي فيما بعد، (وربما في ذلك الوقت؟) إن المنظمة كانت 'جزءاً من الطبيعة المتممة والمستوطنة للعمل السري. لم تكن الوكالة تستطيع أن تشترك في شؤون محلية، ومع ذلك عليك الحصول على لجنة أمريكية. كيف لا تحصل؟ سيكون هذا شذوذاً غير قابل للشرح. تقولون إنكم عالميون، إذاً

أين الأمريكيون؟ سيكون الأمر مثل الذهاب إلى مباراة ملاكمة تكسبية بقفاز واحد فحسب. لقد كانت الشيء الأضعف في هذا العمل السري، ولكن يجب أن تحصلوا عليها. ولماذا لا؟'[57]

على أي حال، حين واجههم خطر انحلال اللجنة في عرض علني من الحدّة والاتهام المضاد حيال مجابهة أو عدم مجابهة مكارثي، امتلك جوسيلسون والأقوى منه في السي آي إي سبباً حقيقياً للقلق. وكان الخطر هو أنه إذا انهارت اللجنة الأمريكية، فإنها ستعيد تجميع نفسها تحت الاسم نفسه، ولكن بدون الجناح المعتدل الذي مثّله شليسنغر وروفيري وأصدقاؤهما 'الحساسون'. وكان آخر ما يحتاجه جوسيلسون هو مجموعة ضغط متشددة في نزاع مع الجهد الأوروبي.

أما أولئك الذين توقعوا أن تدافع اللجنة الأمريكية عن الحرية ضد هجمات المكارثية فقد خاب أملهم. وقال جوسيلسون فيما بعد: 'لقد سبّب موقفها الضعيف من هذه المسألة استياء كبيراً من المنظمة في أنحاء العالم.'[58] نشرت كتاباً عنوانه *مكارثي والشيوعيون* (بقلم ميدجي ديكتر و جيمس رورتي)، لكن هجومه الرئيسي كان موجهاً إلى أساليب مكارثي الكسولة بدلاً من مطاردته للشيوعيين المزعومين. وحين ظهر في 1954 كان إسهاماً متأخراً وغامضاً (حرَّض نشر هذا الكتاب جيمس برنهام على قيادة انسحاب من الجناح المحافظ للجنة الأمريكية. وفي الوقت نفسه تقريباً، أنهى برنهام ارتباطه المستمر مع *بارتيسان ريفيو*). وإذا كانت اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة، قد حاولت، مثل *إنكاونتر*، أن تنكر أو تقلل إلى الحد الأدنى أخطار مكارثي على الثقافة، فإن هذا تراث مزعج. ولإصابتها بالكآبة من غياب أي تحليل قوي للمشكلة، كتبت ماري مكارثي إلى حنا آرنت عن رؤيتها ' لسفينة للمغفلين فيها مزيج مثير للفضول من العناصر اليسارية، والعناصر الفوضوية، والعناصر العدمية، والانتهازية، وجميعهم يسمون أنفسهم محافظين... ولقد بذل هذا اليمين الجديد جهداً كبيراً كي يجعل نفسه يصادف قبولاً بأنه طبيعي وسوي... وهذا، كما يبدو لي، يجب دحضه إذا لم يفت الوقت'.[59]

حين خطط مكارثي هجومه على السي آي إي، كان آلن دلس قد تولى منصب المدير. وعلى عكس شقيقه، جون فوستر دلس، الذي منعته 'بروتستانتيته السوداء' وعداؤه الحاد للشيوعية، من تحدي مكارثي، صمّم آلن دلس على منع 'الفرس القافز من ويسكنسون' من تدمير الوكالة. حذَّرَ موظفيه أنه سيفصل أي شخص يذهب إلى مكارثي دون إذنٍ شخصي منه. ذلك أن بعض موظفي السي آي إي تلقوا مكالمات هاتفية غامضة من أصدقاء مكارثي، وكان بينهم شخص غامض من بالتيمور يدعى يوليوس آموس، وهو أمريكي من أصل يوناني سُرِّحَ من مكتب الخدمات الاستراتيجية (وذلك بحد ذاته إنجاز هام)، ويدير الآن وكالة استخبارات خاصة تُدْعى مؤسسة خدمات المعلومات الدولية، تعاقد معها مكارثي لاكتشاف فضائح أعضاء السي آي إي. وفجأة أخبر متصلون مجهولون أعضاء الوكالة أنه 'كان معروفاً أنهم شربوا كثيراً، أو كانوا في 'علاقة مشبوهة'، والمتصل لن يثير هذا إذا جاؤوا وقالوا كل ما يعرفونه عن الوكالة' لأحد أتباع مكارثي.[60]

لكن آموس برهن أنه لا يستطيع أن يعالج فتح مغلَّف، فكيف يستطيع إذاً أن يفتح تحقيقاً جدياً مع أعضاء مؤسسة التجسس. أما طلقة مكارثي الأولى – الهجوم على ويليم بندي في تموز 1953 – فقد انفجرت في وجهه. كان بندي، عضو هيئة المقيِّمين العالميين التابعة لـ 'السي آي إي' (وصهر دين أشيسون) قد أسهم بمبلغ 400 دولار في أموال الدفاع عن آلجر هيس. واستنتج مكارثي أن هذا يعني أن بندي يجب أن يكون شيوعياً. ويتذكر توم برادن: 'بالمصادفة كنت في مكتب آلن حين حدث هذا، وكان بندي هناك. قال له آلن اخرج من هنا وسوف أعالج الأمر. أخذ بندي إجازة لمدة بضعة أيام، وذهب آلن مباشرة إلى آيزنهاو، وقال إنه لن يزعج نفسه بهذا القذر الذي من ويسكنسون'.[61] وفعلاً قال دلس للرئيس بأنه سيستقيل إذا لم تتوقف هجمات مكارثي.

وهو، في النهاية، ما بدا كأنه حثَّ آيزنهاور على العمل. وبعد أن أرسل نائب الرئيس ريتشارد نيكسون ليضغط على مكارثي كي يتخلى عن خططه من أجل تحقيق علني، 'اقتنع' السيناتور فجأة أنه 'لن يكون من المصلحة العامة عقد جلسات استماع علنية حول السي آي إي، ومن الممكن الاهتمام بهذا الأمر بشكل إداري'.[62] وأخذ هذا شكل تسوية، قبل مكارثي، وفقاً لها، بأن يوجه اتهاماته ضد الوكالة في سرية مكتب آلن دلس. محضراً معه قوائم بأسماء 'لوطيين مزعومين' و'رجال أغنياء' من موظفي السي آي إي، طالب بتطهير داخلي واسع في السي آي إي. وهدد مكارثي بأنه في حال فشل دلس في الاستجابة لذلك، فإنه سيطالب بتحقيق علني. 'حقق الضغط هدفه. وشُدِّدَتْ المعايير الأمنية. وفي حالة واحدة فإن ما خسرته السي آي إي ربحته هوليود. ذلك أن خريجاً شاباً من كلية العلوم السياسية بلهجة نيويوركية كلاسيكية يدعى بيتر فولك (من مشاهير كولمبو) قدم طلباً للانخراط في برنامج السي آي إي للتدريب في 1953، لكن طلبه رُفض لأنه انتمى مرة إلى نقابة يسارية'.[63] وكان موظفو قسم المنظمات الدولية التابع لبرادن موضوعاً لتدقيق خاص بسبب ليبراليتهم السياسية المزعومة. وقد طرد مدير برادن لعمليات النقابات التجارية لأنه انتمى لوقت قصير إلى عصبة الشبان الشيوعية في الثلاثينات. وفي أواخر آب 1953 كان برادن يبحر في مين مع ريتشارد بيسل، الذي أخذ إجازة قصيرة من عمله في مؤسسة فورد كي يستمتع بيخته، ساحر البحر. حين رسا في خليج بينوبسكوت، تلقى رسالة مستعجلة تعلمه أن المكارثيين اكتشفوا 'شيوعياً' في الوكالة. وكان هذا الرجل المعني هو نائب برادن، كورد مير جي آر، الذي طوَّعه آلن دلس في 1951. وبما أن دلس وبرادن كانا كلاهما يمضيان عطلة، لم يكن هناك شيء يحول بين مير ورفسة من مكارثي. وقد فصل من وظيفته دون راتب بانتظار تحقيق أمني، ووجد برادن نفسه يعيد قراءة رواية *المحاكمة* لكافكا، مدركاً، كما لم يفعل من قبل مطلقاً، 'محنة بطله المحتار، الذي لم يستطع أن يكتشف لماذا اتهم ومن اتهمه'.[64]

لم يكن كورد مير أحمر. لم يكن راديكالياً معتدلاً أيضاً. وكانت بين التهم المسجلة في وثيقة من ثلاث صفحات واقعة مفادها أنه اقتسم مرة منصة محاضرة مع هارلو شابلي، وهو عالم فلك من هارفارد معروف بوجهات نظره السياسية اليسارية. وأشير كذلك إلى علاقة مير مع

المجلس القومي للفنون والعلوم والمهن، الذي اعتبرته لجنة النشاطات المعادية للمصالح الأمريكية واجهة شيوعية. ويعود تاريخ الجريمتين المزعومتين إلى سنوات ما بعد الحرب حين كان ميير قائداً للجنة المحاربين القدماء الأمريكية، وهي منظمة ليبرالية مصممة لتقديم بديل للرابطة الأمريكية المغالية في المحافظة، كما أنه أسس فيدرالية العالم الموحد، التي دعت إلى حكومة عالمية، وكانت يوتوبية أكثر مما هي ليبرالية.

وكتب ميير فيما بعد: 'كان مديري المباشر، توم برادن، يدعمني باستمرار ويشجعني على الإيمان بأنني سأبرئ نفسي دون أي شك'.[65] وبالفعل، لم تكن هناك أية فرصة حقيقية لكي تلصق بي تهم مكارثي. وفي عيد الشكر في 1953، بعد شهرين من حرمانه من عمله، تلقى ميير مكالمة هاتفية من آلن دلس: لقد تمت تبرئته بشكل كامل من اتهامات الخيانة، وهو حر في العودة إلى الوكالة. ولقد وسمت الحادثة ميير طيلة حياته، وخدمت في توضيح إحدى أكبر المفارقات في أمريكا في فترة الحرب الباردة: بينما كان رجال السي آي إي يعملون على مدار الساعة كي يهزموا الشيوعية، تعقبهم زملاؤهم الأمريكيون الذين زعموا أنهم يعملون من أجل الهدف نفسه. وإذا كان جيوفينال Juvenal قد سأل من الذي كان يحرس الحرس، فالسؤال هنا كان في الأغلب:مَن كان يذبح ذابحي التنين؟

أفل نجم مكارثي أخيراً في أواخر 1954 ومات مدمناً على الكحول في 1957. ولكن تشخيص دوايت ماكدونالد للمكارثية 'كملحمة بطولية ساخرة... كفصل إضافي في تاريخنا السياسي غريب ورائع بحيث يمكن أن يعزوه علماء آثار المستقبل بشكل جيد إلى الميثولوجيا بدلاً من التاريخ'[66] فقد كان مرغوباً. وسوف تصارع أمريكا كي تطهر الشياطين التي أثارها مكارثي في السنوات القادمة، وفي ذلك الوقت، 'بقيت القيم التي اعتنقها والافتراضات التي بنى حملته على أساسها دون تحد'. وكما قال أحد المراقبين: 'لقد روقب مكارثي وسحق، لكن ليس المكارثية'.[67] ذلك أن البحث عن الحقيقة، والرغبة بالوصول إلى قاع الأمور، وعملية البحث الفكري نفسها، كل هذا قد تلوث بسبب ارتباطه بصيد السحرة.

هل كان الأمر بخلاف ذلك؟ ربما كان السؤال هو: هل كان يمكن أن تحدث المكارثية بدون عقيدة ترومان؟ هل كان الانطلاق من القواعد الأولية للبحث عن الحقيقة – حيث كان الحكم مغطى بالخوف والعداء، وحيث أن ما وصفه موراي كيمبتون بأنه 'الاهتمام المبالغ به بالتطرف، هو الذي 'ضلل الرجال' عن ملاحظة كم كان السوي سيئاً' – هل كان ذلك جوهر تفكير الحرب الباردة ؟ قال السيناتور فولبرايت فيما بعد: 'أصبح قادتنا متحررين من القواعد السوية للبينة والاستنتاج حين يتعلق الأمر بالتعامل مع الشيوعية. وفي النهاية، من سبق وسمع بإعطاء الشيطان هزة أفضل؟ وبما أننا نعرف ما يدور في ذهنه، فليس من الحكمة أن نجادل حول ما يفعله... كان تأثير الإيديولوجيا المعادية للشيوعية هو إبعادنا عن إدراك الحقائق المحددة لمواقف محددة. لقد حررنا 'إيماننا'، مثل المؤمنين القدماء، من متطلبات التفكير الإمبريقي... ومثل علماء اللاهوت القروسطيين، امتلكنا فلسفة شرحت لنا كل شيء مقدماً، وكل ما لا يناسب يصنف كخداع أو كذبة أو وهم... لم ينشأ أذى (أرثوذكسية المعاداة للشيوعية) من

أي زيف واضح وإنما من تشويه الواقع وتبسيطه، من كوننته ورفعه إلى مستوى حقيقة موحى بها'.[68]

وبعيداً عن الهجوم على السي آي إي، أسهم مكارثي في النهاية في تعزيز هيبتها. فبفضله، تم تأكيد سمعة السي آي إي كملاذ لمفكري السياسة الخارجية 'الأحرار'. وتذكرها ريتشارد بيسل الذي انضم إلى الوكالة في كانون الثاني 1954 'كمكان كان لا يزال فيه قلق وتحد فكري وحركة نشطة بينما تلاشى من أجزاء أخرى في الحكومة كثير من التحدي والإحساس بالحركة إلى الأمام'.[69] وبزغ مديرها آلن دلس أقوى مما كان سابقاً. وبحسب توم برادن 'تدفقت إليه القوة وعبره، إلى السي آي إي، لأن شقيقه كان وزير الخارجية، ولأن سمعته بأنه العقل الجاسوسي المدبر للحرب العالمية الثانية كللته كهالة غامضة، ولأن شراكته الرئيسية في مؤسسة نيويورك القانونية ذات الهيبة، سوليفان وكرومويل، أثرت في محامي الكونغرس القادمين من بلدات صغيرة'. لقد كسب دلس المعركة ضد هجوم مكارثي على الوكالة، و 'زاد نصره من احترام ما دعاه الناس، آنذاك، بـ 'قضية' المعاداة للشيوعية. قال آيزنهاور: 'لا تنضموا إلى حارقي الكتب'. كانت هذه الطريقة السيئة لمحاربة الشيوعية. وكانت الطريقة الجيدة هي السي آي إي.

الفصل الرابع عشر

الموسيقى والدقيقة

Ma non Troppo

يخطر لي أن جهاز خلق الشخصيات المشهورة والحفاظ عليها تجاوز بشكل واسع المادة الملائمة للاحتفاء.

فيليب لاركن

على خلاف اللجنة الأمريكية التي سرع من موتها الوشيك فشلها في تبني موقف متماسك من مسألة واحدة مركزية، لقد تجاوزت المنظمة في أوروبا مجالها بشكل واضح في منتصف الخمسينات. وتحت سلطة جوسيلسون القوية، بنت شهرتها كتحالف جدي لمفكرين التزموا بشرح خطأ الأسطورة السوفياتية، وآمنوا بتفوق الديموقراطية الغربية كإطار للبحث الثقافي والفلسفي. وبينما بقي تركيب دائرتها الداخلية - أو جهازها - دون تغيير، استطاعت المنظمة أن تتباهى بعضوية مرصّعة بأسماء مفكرين وفنانين بارزين.

جوليان هكسلي، مرسيا إلياد، أندريه مالرو، جيدو بيفوني، هربرت ريد، آلن تيت، ليونيل تريلينغ، روبرت بن وارن، دبليو إتش أودن، ثورتون وايلدر، جايابراكاشا نارايان - هؤلاء وكثير من النجوم الآخرين شرفوا صفحات مجلتي *إنكاونتر* و*بروف*، ومجلات أخرى خلقتها المنظمة أو كانت على صلة بها. كانت المجلة الموجهة إلى مفكري أمريكا اللاتينية هي *كواديرنوس* *Cuadernos*، التي صدرت في 1953 من باريس وكان رئيس تحريرها الروائي والكاتب المسرحي جوليان جوركين. وفي فيينا، أصدرت المنظمة مجلة فورم *Forum* في أوائل 1954 كمجلة شهرية حررها الروائي والناقد فريدريك توربيرغ الملقب بـ 'فريدي التورتة' الذي كان شخصية فائقة للعادة ينفّر البشر ويجذبهم في آن. وكتب كويستلر بإعجاب أنه كان 'الموهيكاني الخيِّر للدانوب، لفيينا قديمة ربما لم توجد إلا في خيالنا'. ووجده آخرون مغروراً ومتعصباً. وهاجمه الشيوعيون على أنه 'عميل أمريكي... مفتر... ومخبر'، واعتبروا نبرة مجلته المضادة للحيادية مؤامرة أمريكية. طوّرت مجلة فورم موضوعات المنظمة المعروفة، وتمتع توربيرغ بعلاقة عمل جيدة مع أمانة باريس. ولكن كان على جوسيلسون أن يضبطه أحياناً، كما حصل في إحدى المناسبات في 1957 حين أعادت فورم نشر مقالة من مجلة *ناشيونال ريفيو* اليمينية. قال جوسيلسون إن هذا 'أساء إلى كرامة مجلة تابعة للمنظمة'. فأجاب توربيرغ بأن هذا 'لن يحدث ثانية'.

وتم إصدار *ساينس آند فريدوم* (العلم والحرية) في خريف 1953 بعد مؤتمر للمنظمة بالاسم نفسه. واجتذب المؤتمر الذي عقد في هامبورغ في تموز 1953 منحة بقيمة عشرة آلاف دولار من مؤسسة روكفيلر وخمسة وثلاثين ألف دولار من مؤسسة فارفيلد. وقد حرر المجلة التي سُمِّيَتْ باسم المؤتمر مايكل بولاني، الذي عُيِّنَ في اللجنة التنفيذية في العام نفسه. جذبت مجلة بولاني الانتباه إلى الفصل العنصري في أمريكا، وكذلك إلى الأبارتيد في جنوب أفريقيا، متحدثة عن مسائل كانت المنظمة صامتة حيالها. وأقرت أيضاً بالانفراج الدولي قبل وقت طويل من معرفة الناس لمعنى الكلمة، مشجعة على التبادل الفكري مع الكتلة السوفياتية وتليين موقف الغرب من الحرب الباردة. ولكن بما أنها كانت مجلة نصف سنوية بعدد قليل من القراء لم يكن صوتها أكثر من قصبة في الهبات القوية لمجادلات الحرب الباردة العنيفة.[1]

ابتدأت *سوفييت سيرفي* Soviet Survey في 1955 كرسالة إخبارية حررها المؤرخ والتر لاكوير Walter Laqueur الذي كان أيضاً الممثل الرسمي للمنظمة في إسرائيل. و لاكوير، الذي وصفه جوسيلسون بأنه واحد 'من أفضل الخبراء الدوليين بالاتحاد السوفياتي، كتب باستفاضة عن الشؤون الروسية باسم مستعار هو مارك أليكسندر. وتحت إشرافه، نشرت *سوفييت سيرفي* تحقيقات عن الحياة الفكرية، والفنية، والسياسية في الكتلة الشرقية شكلت كشفاً 'فريداً بين المنشورات الغربية'.[2] وبينما كان من المرجح أن المزاعم القائلة بأنها ' تمور بالإثارة' مبالغ فيها، إلا أنه من المؤكد أنها جذبت شريحة واسعة من القراء المهتمين. وشعرت بعض المجلات الشيوعية، على نحو غريب، بأنها تستطيع أن تستعير بشكل مفيد بعض المواد من *سوفييت سيرفي*، مما دفع جوسيلسون إلى أن يكتب بقلق إلى لاكوير قائلاً: 'لا نريد أن تحليّ المجلات المؤيدة للسوفيات دعايتها ببعض موادنا'.[4]

وفي نيسان 1956 ظهر العدد الأول من *تيمبو بريزنتي* *Tempo Presente* في إيطاليا. وهذه المجلة التي حررها إغنازيو سيلوني ونيكولا شياورمونتي، كانت التحدي الجدي الأول لمجلة *Nuvoi Argomenti* وهي مجلة أسسها ألبرتو مورافيا في 1954 وكانت تشبه مجلة سارتر *الأزمنة الحديثة* إلى حد كبير. وخطت مجلة *تيمبو بريزنتي* بالشبه خطوة أخرى إلى الأمام، وكان اسمها محاكاة عميقة لعنوان مجلة سارتر. وقال الساخرون فيما بعد إن هذا وصل إلى حد السرقة الفكرية. أكَّدَ مزاعم قالت إن إحدى استراتيجيات السي آي إي الرئيسية هي إيجاد منظمات 'مماثلة' تقدم بديلاً للراديكالية ولا تمتلك سيطرة عليها. وبالتأكيد، قامت *تيمبو بريزنتي* 'بفتح صفحاتها لجميع المرتدين عن الحزب الشيوعي الإيطالي في أواخر الخمسينات'،[5] وبينهم إيتالو كالفينو، وفاسكو براتوليني، وليبيرو دي ليبيرو. وكانت صفحاتها مفتوحة كذلك للكتاب المنشقين من الكتلة الشرقية الذين، واصلوا سوية مع المجموعة المنتظمة لمساهمي المنظمة، هجومهم العنيف على أوهام الكليانية الشيوعية.

أسست المنظمة أيضاً حضوراً خارجياً، ووصل صوتها إلى مناطق اعتبرت ميالة إلى الشيوعية أو الحيادية. كان لها مجلة في أستراليا تدعى *كوادرانت* *Quadrant* هدفت إلى تقليل تأثير ذلك السلك الضخم من المفكرين الأستراليين الذين كانوا 'منجذبين إلى الحقل

المغناطيسي للشيوعية إلى درجة مرعبة'. واعتقد محررها، الشاعر الكاثوليكي جيمس مكولي، أن 'أذهان البشر لن تريح إلا حين تشع المواقع المعادية للشيوعية بجاذبية مضادة'، وبإشرافه أصبحت *كوادرانت* (التي كانت لا تزال موجودة) بؤرة حية لليسار الأسترالي غير الشيوعي. [6]

وفي الهند، نشرت المنظمة مجلة *كويست Quest* التي ظهرت لأول مرة في آب 1955. ولأنها محدودة ثقافياً بسبب صدورها بالإنكليزية، لغة الإدارة لا الأدب، فقد هاجمها الشيوعيون الهنود واتهموها بأنها دعاية أمريكية غادرة، ولكنها، مثل مجلة *كواديرنوس* في أمريكا اللاتينية، قدمت للمنظمة، على الأقل، موطئ قدم في منطقة صعبة. وعلى الأرجح فهي لم تستحق سخرية ج. ك. جالبريث بأنها 'فتحت أرضاً جديدة في الأمية المضجرة وغير المركزة'. ومن المؤكد أنها لم تعجب رئيس الوزراء نهرو، الذي لم يثق دوماً بالمنظمة واعتبرها 'واجهة أمريكية'. وفي اليابان كانت هناك *جييو Jiyu*، إحدى أكثر مجلات المنظمة تمويلاً. كانت محاولاتها لتلطيف الرأي المعادي للأمريكيين بين المفكرين اليابانيين هزيلة في البداية، وفي 1960 قررت المنظمة أن تقطع الصلة مع الناشر بشكل كامل وتعيد إصدارها بفريق تحت سيطرة مكتب باريس المباشرة. ونُظِرَ إلى اليابان بأنها 'مخادعة جداً إيديولوجياً' بحيث لا يمكن ترك المجلة حتى في أيد شبه مستقلة. [7] ومن منتصف إلى أواخر الستينات، وسَّعت المنظمة برنامج منشوراتها ليشمل مناطق أخرى تمتلك أهمية استراتيجية: أفريقيا، *العالم العربي*، والصين.

قال أحد عملاء السي آي إي: 'إن اللغز الحقيقي هو كيف عملت تلك المجلات. لن يذهب جميع أولئك المفكرين سوية إلى حفلة كوكتيل، لكنهم كانوا جميعاً في مجلة *بروف* و *تيمبو بريزينتي*، *وإنكاونتر*. ليس بوسعك فعل ذلك في أمريكا. لم تستطع فعل ذلك *هاربرز* ولا مجلة *ذ نيويوركر*. فهما لا تستطيعان أن تجمعا إشعيا برلين ونانسي ميتفورد وجميع الآخرين. حتى إرفنغ كريستول لم يستطع فعل ذلك حين عاد من لندن. أفترض أن الجواب هو: مايكل جوسيلسون'. [8] حسناً، كان هذا نصف الجواب. كان هناك مايكل جوسيلسون، وكان هناك ميلفن لاسكي. شرحت ديانا جوسيلسون تلك العلاقة: 'كان مايكل ناشراً ورئيساً للتحرير. وكان لاسكي نائب رئيس، وإلى حد ما، ناطقاً باسم مايكل. حاول مايكل أن يرتب لقاءات دورية بين المحررين المختلفين، وفُهِمَ أن لاسكي هو الشخص الرئيسي حين يكون مايكل غائباً. كانا وثيقي الصلة، وينظران إلى الأمور بشكل مشابه'. [9]

وزعم ميلفن لاسكي فيما بعد أن جوسيلسون أراد منه أن يكون مشاركاً في التحرير مع ستيفن سبيندر في مجلة *إنكاونتر*، ولكنه لم يرغب بمغادرة برلين، وهكذا زكى إرفنغ كريستول بدلاً منه. ومن المرجح أكثر أن السبب في أن لاسكي لم يجد نفسه في رئاسة مجلة المنظمة، التي هي بارجة الأميرال، هو السبب نفسه الذي قدمه ويزنر في 1950 حين أمر بأن يُزَاح لاسكي من هيئة المنظمة في برلين: كان وثيق الصلة بالحكومة الأمريكية. وفي 1953، استطاع لاسكي أن يحاجج بأن ذلك لم يعد هو المسألة. كانت مؤسسة فورد ترعى الآن مجلته *دير مونات*، ومنحته مؤخراً إعانة إضافية قدرها 275 ألف دولار كي ينشر كتباً تحت إشراف *دير مونات*. لكن ضباباً من الشك بقي حول لاسكي من الصعب تبديده. وقد فعل جوسيلسون ما بوسعه، ودعم مجلة

دير مونات تحت جناح مجلات المنظمة في نهاية 1953، حين انتهت منحة مؤسسة فورد الأولى. وبهذه الطريقة كان جوسيلسون قادراً على إضفاء طابع شرعي على علاقة لاسكي بالمنظمة. وكمحرر لإحدى مجلاتها، وجد لاسكي نفسه الآن رسمياً في مركز الجهاز الصانع لسياستها.

وكعضو في 'لجنة تحرير المجلات الثلاث' التي تم تأسيسها كي تنسق السياسة التحريرية لمجلة إنكاونتر، ودير مونات، وبروف، أصبح لاسكي جزءاً من فريق صغير يقرر كيفية التعبير عن موضوعات المنظمة. وكانت هذه اللجنة التي تلتقي في باريس بانتظام، وينضم إليها جوسيلسون ونابوكوف ودو روجمو، تحلل أداء المجلات وتتفق على موضوعات المناقشة في الأعداد القادمة. وجادل لاسكي باستمرار من أجل التزام أكثر عمقاً بموضوعات تدعم الولايات المتحدة (يجب أن يُطلب من إيدورا ويلتي أن تكتب مقالة عن وضع حد للتمييز العنصري، يجب أن يكتب أحد ما عن 'الازدهار الأمريكي الكبير'، يستطيع جيان كارلو مينوتي أن يفعل شيئاً ما عن موضوع 'الثقافة الرفيعة والثقافة المتدنية')، وهناك حاجة إلى المزيد من التأكيد على الشؤون السوفياتية. وكان الوحش الأسود الآخر المفضل – والهدف المستمر للحقد البربري في مجلات المنظمة – هو جان بول سارتر، الذي، قال لاسكي إنه يجب أن يشار إلى قطيعته مع ميرلو بونتي في 1955 (بعد أن أعلن ميرلو بونتي طلاقه مع الشيوعية) في مجلات المنظمة تحت العنوان الرئيسي: الموت لسارتر! Sartre est mort [10]. كان سارتر دوماً يُهاجم على صفحات إنكاونتر وبروف كتابع للشيوعية، كانتهازي بائس أدامت كتاباته الإبداعية والسياسية الخداع الشيوعي و 'العنف المقبول'.

وكشف درجة تأثير لاسكي في المجلات الثلاث تقرير بتاريخ نيسان 1956 – على صورة 'بعض الملاحظات حول مجلة بروف، وإنكاونتر ودير مونات – لخص إنجازاتها ووضع جدول عملها المستقبلي. وقال التقرير إن المجلات أسَّسَتْ نفسها 'كجزء من الجماعة، كقطعة من البيئة، من خلال وزنها المؤسساتي. لقد أصبحت رموزاً للتبادل الدولي العابر للأطلسي، والحر، والإنساني والديموقراطي، في الحياة الثقافية لأمتين عظيمتين وقديمتين'. [11] لكنه حذر زملاءه المحررين من 'الإلحاح على مسألة المادة الأمريكية، وعلى تصوير الولايات المتحدة دوماً بشكل إيجابي، وحذرهم من منع جميع الآراء الأوروبية المسبقة المعادية لأمريكا. ورغم تسليمه في أن بعض 'الزلات المعادية لأمريكا' التي ظهرت في المجلة 'مؤسفة'، وكي يتم تجنبها في المستقبل'، دعا لاسكي إلى عدم تقييد نوعية التفاهم العابر للأطلسي. 'يجب أن لا نقسر المسألة دوماً (ما – الذي – فعلناه – اليوم – لنوقف – الناس – عن – التفكير- بنا- كـ – برابرة؟) نحن – وليس على عكس الجميع – نمتلك مشكلات كثيرة (بينها المادية، الكلبية، الفساد، العنف) بحيث لا نستطيع أن نتفوه بكلمة هتاف إيجابية لرايتنا إلى الأبد. دع الكتاب الأوروبيين يتذمرون. لنتذمر نحن أنفسنا قليلاً (والمفارقة هي أنهم أحد أكثر أصواتنا تعاطفاً'). [12]

وفي النتيجة كان لاسكي يسلم أن نقاد مجلات المنظمة، الذين شكوا من انحياز مؤيد لأمريكا، كانوا على صواب. فمجلة إنكاونتر، بخاصة، يجب أن تعالج تهمة أنها 'حصان طروادة' للمصالح الأمريكية، أن 'فيها عيباً واضحاً: بالكاد نشرت مقالات نقدية عن الولايات المتحدة،

وكأن هذه منطقة ممنوعة'.[3] وبالتأكيد قطعت *إنكاونتر* في السنوات الأولى أشواطاً طويلة كي تمحو أي عداء لأمريكا ومؤسساتها. وكان العداء لأمريكا يُشَخَّص بشكل متنوع كضرورة نفسية لكثير من الأوروبيين'، وكأداة مكنتهم من 'الانغماس بشكل متزامن في كراهية الذات' (أمريكا هي صورة مؤسطرة لكل من يكرهون') و'الفضيلة الذاتية' (فيدلر) أو كطريقة لتصعيد الرضا الذي يستمده المفكرون البريطانيون من تأملهم الذاتي القومي (إدوارد شيلز)، أو كانعكاس ميكانيكي 'لليبرالية الحديثة' التي تجسدها *ستيتسمان آند نيشن*، 'بفقر دمها المهلك'، و 'ردود فعلها المقولبة'، 'واعتدادها الأخلاقي' (دوايت ماكدونالد في 1956، في أوج مشاركته في الحرب الباردة). ولقد نجحت تزكيات لاسكي جزئياً فقط. مع ذلك لاحظ إي. إي ألفاريز- الذي كتب في 1962 - فرقاً يتمثل في 'إن نبض الدعاية الحقيقية القائم على جنون الارتياب نادراً ما يُسْمَع في *إنكاونتر* في هذه الأيام'[14]. بقي آخرون غير مقتنعين، وشاطروا كونور كروس أوبراين وجهة نظره في أن 'إخلاص *إنكاونتر* الأول هو لأمريكا'.[15]

وفي مقر قيادة السي آي إي في واشنطن، كان يُنظر إلى مجلة *إنكاونتر*، بفخر، كبارجة أميرال، كأداة مناسبة لتقديم فكرة جماعة ثقافية يصل بينها المحيط الأطلسي، ولا يفصلها. إلى درجة أنها أصبحت نوعاً من بطاقة الزيارة لعملاء السي آي إي. ولقد رتب أحد عملاء السي آي إي لقاء مع سونينبيرغ، الشاب الغني الجوال، الذي عمل فترة وجيزة للسي آي إي في منتصف الخمسينات، وأخبره: 'سأحمل نسخة من مجلة *إنكاونتر* وهكذا ستعرفني'.

كان إيمان السي آي إي بمجلات المنظمة يضاهيه التزامها المالي. ورغم أنه من الصعب الحصول على التفاصيل، إلا أن بعض الحسابات المالية بقيت مبعثرة في المواضع المغبرة للأرشيف. ووفقاً لكشف المصروفات الخاصة بالفترة التي تنتهي في 31 كانون الأول 1958، كانت فارفيلد تدفع رواتب 'الأمانة تحرير' المنظمة ثمانية عشر ألفاً وستمائة وستين دولاراً في السنة. وهذا شمل بوندي، ولاسكي (كما هو مفترض)، والمحرر الأمريكي لمجلة *إنكاونتر* (يذكر أن راتب المحرر البريطاني هو من مسؤولية الاستخبارات البريطانية). في 1959 تلقت مجلة *إنكاونتر ستة وسبعين ألفاً ومئتين وثلاثين دولاراً وثلاثين سنتاً* من فارفيلد (تقريباً ضعف المنحة السنوية الأولى التي كانت أربعين ألف دولار. وفي العام نفسه تلقت *كواديرنوس ثمانية وأربعين ألفاً وسبعمائة واثني عشر دولاراً وتسعة وتسعين سنتاً*، وتلقت مجلة بروف خمسة وسبعين ألفاً وسبعماية وخمسة وستين دولاراً وسبعة سنتات. بالإضافة إلى ذلك خصص مبلغ واحد مؤلف من عشرين ألفاً ومئتين وواحد وخمسين دولاراً وثلاثة وأربعين سنتاً لإدارة دوريات المنظمة. أما المبالغ لمجلة *دير مونات* - تقريباً ستون ألف دولار في السنة - فقد سريت عبر واجهات متنوعة. وفي 1958 أرسلت الأموال المفردة عبر صندوق مقاطعة ميامي. وفي 1960، تنوعت المنحة، وهذه المرة كانت تأتي عبر مؤسسة فلورنس (سبعة وعشرون ألف دولار)، ومؤسسة هوبليتزل (تسعة وعشرون ألفاً ومائة وستة وسبعون دولاراً)، وهي مانح غير مرجح بما أن 'هدفها ونشاطاتها' كانت مسجلة في إدارة المؤسسات الأمريكية التي تقدم 'دعماً لمنظمات داخل تكساس، وبشكل رئيسي في دالاس، مع التأكيد على مساعدة المعاقين'. واستخدمت هذه القناة أيضاً لتقديم

الأموال إلى مجلة *تيمبو بريزنتي* التي تلقت ثمانية عشر ألف دولار وعشرين ألف دولار على التوالي من المؤسسات نفسها في 1960. وكان الإنفاق الكلي على دوريات المنظمة في 1961 خمسمائة وستين ألف دولار وارتفع إلى ثمانمائة وثمانين ألف دولار في 1962. وفي الوقت نفسه، وصل التزام فارفيلد بالمنظمة (بمعنى آخر، الكلفة المباشرة للسي آي إي الخاصة بالرواتب، والإدارة، الاستئجار، الخ) إلى مليون دولار تقريباً سنوياً ووصل إلى ستة ملايين دولار في 1999.

ورغم زعم لاسكي بأن هذا لم يكن مصدراً للمال السهل، إلا أنه من المؤكد أنه بدأ هكذا. وتذكر جاسون إبشتاين: 'وفجأة كانت هناك سيارات ليموزين، وحفلات حافلة بالسلمون المجفف وغيره، وحتى الأشخاص الذين لم يكونوا يستطيعون، بشكل طبيعي، أن يشتروا بطاقة باص إلى نيوارك صاروا يطيرون الآن في الدرجة الأولى إلى الهند لقضاء الصيف'.[16] وكتب مالكولم مكيريدج فيما بعد: 'في ذروة كل هذا النشاط كانت الخطوط الجوية مكتظة بالأسياد والكتاب الذي يحملون الثقافة الموشومة إلى كل زاوية من الكوكب المسكون'.[17] حتى الاستخبارات البريطانية كانت مشدوهة من حجم مصروفات نظيرتها الأمريكية على الحرب الباردة الثقافية. حين تذكر تلك 'الأيام السعيدة' في لندن، 'حين جاء إلينا الواصلون الأوائل، مباشرة من الأعشاش البريئة في برينستون أو ييل أو هارفارد، في وول ستريت أو ماديسون آفنيو أو واشنطن، دي سي' دُهِشَ مكيريدج وقال: 'كم كانت فترة شهر العسل قصيرة! كيف فوجئ مشروعنا البريطاني حالاً بالموظفين، والحماسة، ووزن العملية، وقبل كل شيء، بالنقود القابلة للإنفاق! ... وجاءت شبكة مكتب الخدمات الاستراتيجية والسي آي إي، بتشعباتها في جميع أنحاء العالم، كي تتفوق على جهازنا السري، الذي كان أسطورياً في إحدى المرات، كما تتفوق كاديلاك أنيقة على سيارة هانسوم'.[18]

وكان نيكولاس نابوكوف يسافر سعيداً في تلك الكاديلاك، منشغلاً قدر استطاعته بترتيب السحر. كان مدى صلات وصداقات نابوكوف المحيِّر لا يقوَّم بمال في كسب المصداقية والمنزلة للمنظمة. وكانت كلماته الودية شهادة على مقدرته على ضمان عطف وإخلاص أولئك الأصدقاء. كان شليسنغر يخاطب بـ 'آرثورو'، وإشعيا برلين بـ'كاريسيمو'، 'الدكتور العزيز'، و 'العم'، وناتاشا سبيندر بـ 'سويتي باي - الفطيرة الحلوة'، وستيفن بـ 'ميليي ستيفا'، وجورج وايدنفيلد بـ 'عزيزي كونيكسكيند الصغير'، وإدوارد ويكس، محرر *أتلانتيك مونثلي*، بـ 'كارو تيد'، وإدوارد دي آرمز من مؤسسة روكفيلر بـ 'تشات'.

ورغم أن نابوكوف موسيقار عادي - وبالتأكيد ليس مفكراً - إلا أنه كان أحد أعظم مدراء سنوات ما بعد الحرب في تعرفه على الموهبة وتشجيعه للعبقرية الإبداعية. وأثناء شتاء 1953 - 1954 عمل مؤقتاً كمدير موسيقي للأكاديمية الأمريكية في روما. وهذا يعني أنه كان موضوعاً بشكل جيد كي ينظم غزو المنظمة الرئيسي الأول للمشهد الموسيقي منذ مهرجان الروائع في 1952. وبالفعل، كان المهرجان الذي انطلق نابوكوف كي يرتبه، بطرق عديدة، الجواب الرسمي على نقد هربرت ريد للطبيعة الاستعادية لمغامرة باريس. وألح ريد: 'ليكن معرضنا التالي، إذاً،

نظرة واثقة إلى المستقبل، وليس نظرة رضاً إلى الماضي'.[19] والآن، بعد طيرانه إلى نيويورك كي يعقد مؤتمراً صحفياً في شباط 1953، قبل نابوكوف التحدي. قال: 'نغلق بهذا المهرجان باب الماضي. لقد قلنا، في الواقع، هنا أعمال عظيمة. لم تعد 'حديثة' رغم أن أصلها يعود إلى القرن العشرين. إنها الآن جزء من التاريخ. والآن، لدي خطة جديدة... سوف نعد مسابقة للموسيقيين لا تشبه أية مسابقة سبقت. إن اثني عشر موسيقياً من الشبان غير معروفين عالمياً سوف يُدْعَون إلى روما، وسيتم دفع جميع النفقات. سيحضر كل منهم قطعة موسيقية وهذه القطعة سوف تؤدى... في النهاية، سوف تقوم لجنة تحكيم خاصة ينتخبها، ديموقراطياً، جميع من يحضرون المؤتمر، باختيار عمل رابح من بين اثني عشر عملاً. والجائزة نفسها مذهلة: أولاً، ستقدم جائزة نقدية، ثانياً، سوف يكون هناك وعد لأداء العمل من قبل ثلاث فرق رئيسية في أوروبا وأمريكا، ثالثاً، سوف يُنْشَر العمل، ورابعاً، سوف تسجله شركة بارزة. ليس هذا فحسب. بل إن الخاسرين الأحد عشر لن يخسروا'، – تابع ناباكوف، كأنه متحمس من شيكاغو – 'بل سيحصلون، بالإضافة إلى الرحلة المجانية إلى روما، على ضمان من المؤتمر بأن أعمالهم سوف تُنْشَر كذلك وسوف يُدْفَع لنسخ الأجزاء. والآن – سأل – هل هذه جائزة أم لا؟'[20]

أعلن المؤتمر الدولي لموسيقى القرن العشرين، الذي حُدِّدَتْ روما كمكان لعقده لمدة أسبوعين في منتصف نيسان 1954، أعلن التزام المنظمة بدعم التأليف الموسيقي الطليعي. ووضع المنظمة بقوة على الخريطة كجزء من الطليعة في التجريب الموسيقي. وقدم للعالم عينة غنية من نوع الموسيقى التي كان ستالين قد منعها.

كان من المفترض أن تودع الحكومة الإيطالية مليوني لير ونصفاً في حساب نابوكوف – أمريكان إكسبرس – في روما كنوع من الإعانة للحدث، لكن النقود لم تصل مطلقاً (مؤكدة خوف نابوكوف بأنها ستنتهي ضائعة في مكان ما بين أطلال الساحة العامة). ولم يؤثر الأمر كثيراً إذ تدفقت نقود كافية من مؤسسة فارفيلد، استُخْدِمَ قسمٌ منها لجوائز المنافسة.وخُصِّصَ مبلغ قدره خمسة وعشرون ألف فرنك سويسري (ستة آلاف دولار) لأفضل كونشيرتو للكمان والأوركسترا، والسيمفونية القصيرة، وموسيقى الحجرة للحن المفرد، والآلات. وأعلن الخبر الصحفي أن المهرجان 'المصمم للبرهنة على أن الفن ينمّي الحرية'، كان منحة تبرع كريم من وريث صناعة الجن والجعة الأمريكي جوليوس فلايشمان'. وأُحْضِرَ جنكي مرة أخرى أيضاً كي يفاوض فرقة بوسطن السيمفونية، التي وافقت على أن تقدم للمقطوعة الفائزة أداءها الأمريكي الأول في فرعها تانغلوود. (في 1953، ارتبط ثمانية من الأعضاء الأحد عشر للهيئة الاستشارية للموسيقى الدولية التابعة للمنظمة بمدرسة تانغلوود الموسيقية).

وكما كانت عادته، وجه نابوكوف الدعوة الأولى إلى صديقه القديم إيغور سترافينسكي، عارضاً أن يدفع خمسة آلاف دولار للمايسترو وزوجته، بالإضافة إلى سكرتيرهما، كي يحضرا المهرجان في روما. وافق سترافينسكي على ترؤس الهيئة الاستشارية الموسيقية للمهرجان، مع ساموبل باربر، وبوريس بلاشر، وبنجامين بريتين، وكارلوس شافيز، ولويجي دالابيكولا، وآرثر هونيغر، وفرانسيسكو ماليبييرو، وفرانك مارتن، وداريوس ميلهود وفيرجيل تومسون (الذي،

بحسب نابوكوف، كان يعرف جميع فتيان وفتيات مؤسسة روكفيلر'). واقترح تشارلز منش بأن يُدْعى آرتورو توسكانيني كي ينضم إلى الهيئة، ولكن نابوكوف اعترض على أساس أن 'اسم توسكانيني يرتبط بمشروع يتعلق بأصوات الموسيقى المعاصرة، أو على الأقل، ينطوي على مفارقة تاريخية. إن المايسترو الجيد... كان عدواً مستمراً وعنيداً للموسيقى المعاصرة، وهاجم في مناسبات كثيرة أبطالها الرئيسيين'.[21]

وفي أوائل 1954، فتحت المنظمة مكتباً للمهرجان في المحيط النبيل لساحة بيتشي Palazzo Pecci بموافقة من الكونت بيتشي بلنت، الصديق الحميم لنابوكوف، والذي كان،رغم لقبه الفخم، مواطناً أمريكياً. ونظم أمين الصندوق بيير بولومي خط اعتماد مع حساب المنظمة في مصرف تشيس ناشيونال في بازل، والتي تسربت عبره نقود السي آي إي. ودفع بيتشي بلنت ألف وثلاثمائة دولار لأموال المهرجان من حسابه الشخصي. وأرسلت عشرة آلاف دولار أخرى عبر المركز الثقافي الأوروبي الذي كان يديره دينيس دو روجمو، الذي كان بدوره يتلقى الأموال من مؤسسة فارفيلد. ولقد منحت مؤسسة دو روجمو التمويل الأول في البرنامج. وضمنت كذلك ترتيبات سفر ليونتين برايس، وبطاقات ذهاب وإياب أرسلت إلى آرون كوبلاند، ومايكل تيبيت، وجوزيف فوش، وبن فيبر.

وفي آذار 1954، كان نابوكوف مستعداً لإعلان لائحة المهرجان. وبتركيز قوي على تأليف موسيقي غير مدون على السلم الموسيقي، ومؤلف من اثنتي عشرة نغمة، أشار الاتجاه الجمالي للمهرجان كثيراً إلى الطليعة التقدمية لألبان بيرغ، وإليوت كارتر، ولويجي دالابيكولا، ولويجي نونو. وكان بين الموسيقيين 'الجدد' بيتر راسين فريكير، لو هاريسون، وماريو بيراغالو، الذين كان عملهم متأثراً بدرجات متنوعة بالمقطوعات المؤلفة من اثنتي عشرة نغمة. ولقد استقبلوا، في المجمل، بشكل جيد. وذكرت مجلة *ميوزيكال أمريكا Musical America* أن 'معظم الموسيقيين والنقاد الذين شكلوا اللجان الاستشارية والتنفيذية المسؤولة عن الحفلات... لم يُعْرَفوا في الماضي من خلال علاقتهم مع المبادئ اللحنية الاثني عشرية أو لم يكونوا مؤيدين لها. لهذا السبب، فإن البرامج التي يقدمونها ليست مفاجئة فحسب وإنما مشجعة في الوقت نفسه'.[22]
وكان المرتد الحديث إلى موسيقى النغمات الاثنتي عشرة هو سترافينسكي، الذي أشار حضوره في روما إلى لحظة رئيسية لالتقاء الروافد الحداثية في 'التسلسل الأرثوذكسي'. وبالنسبة لنابوكوف، كانت هناك رسالة سياسية واضحة يجب نقلها من خلال تشجيع الموسيقى، والتي أعلنت عن نفسها كقطيعة مع المراتب الطبيعية المتسلسلة، كتحرر من القوانين السابقة المتعلقة بمنطق الموسيقى الداخلي. وفيما بعد، سيتساءل النقاد إن كانت التسلسلية Serialism قد حنثت بوعدها التحريري، وقادت الموسيقى إلى مأزق حداثي حيث جلست، مقيدةً تعاني من صعوبة، تقمعها صيغة مستبدة، وتقود جمهوراً متخصصاً متزايداً. وكتبت سوزان سونتاغ: 'لقد راعينا صراخها الأجش والثقيل. كنا نعرف أنه كان من المفترض أن نقدر الموسيقى الدميمة، أصغينا بإخلاص إلى موسيقا Toch، وكرينيك Krenek، وهنديميث، وفيبرن، وشوينبرغ، وأي شيء (فنحن نمتلك شهيات ضخمة ومعدات قوية').[23]

وحتى الأكثر مراعاة بين أولئك الذين حضروا مهرجان المنظمة في روما انفجروا في التصفير والصيحات حين تحول أحد الأداءات إلى 'مناجاة خاصة للنفس'. وحين قدم العرض الأول لأوبرا هانز فيرنر هينز *جادة العزلة* *Boulevard Solitude* المبنية على اثنتي عشرة نغمة كان يمكن الصفح عن الجمهور على شعوره بأنه كان يسافر على طريق من الأحزان والآلام.

وربما لأنه أحس بتشكيك بنوعه الموسيقي الصعب، أرسل بيير بوليز إلى نابوكوف رسالة غاضبة مليئة بالشتائم. قال إن نابوكوف يشجع 'فولكلوراً عادياً'، يغذيه بيروقراطيون تافهون مهووسون بالرقم اثني عشر – 'مجلس الاثني عشر' – الذين لا يفهمون شيئاً عن العملية الإبداعية. واتهم بوليز المنظمة بالتلاعب بالموسيقيين الشبان من خلال تقديم جوائز ضخمة (كان الفائزون هم لو هاريسون، جيسلهر كليبي، جان لوي مارتينيه، ماريو بيراغالو، وفلاديمير فوغل). وقال سيكون من المشرِّف أكثر منحهم حسنات، بدلاً من متابعة تمثيلية 'الإيماءات العلنية المشهدية لصراف من سينسيناتي'. وأنهى كلامه مقترحاً أن تعقد المنظمة في المرة القادمة مؤتمراً حول 'دور الكيس الواقي في القرن العشرين'، وقال إن هذا الموضوع سيكون 'أطيب مذاقاً' من مبادراتها السابقة.[24] وكتب نابوكوف المذهول راداً بأنه لن يجد أحد رسالة بوليز في درج سفلي في المستقبل لأنها 'تسيء إلى ذكائه وعقله'. وبما أنه لم يمتلك الوقت والطاقة لمتابعة المسألة، طلب نابوكوف من بوليز بأن يمتنع عن الكتابة إليه مرة أخرى.

وبالإضافة إلى تمويلها للموسيقيين والمؤدين الذين حضروا مهرجان روما، كانت مؤسسة فارفيلد تهب مجموعات أخرى من الفنانين سلسلة من الإعانات التي قُدِّمَتْ على هوى جوسيلسون. وفي كانون الثاني، قدمت ألفي دولار لفرقة أكاديمية موزارت في سالزبورغ، من أجل كورس دولي عالمي للشبان. ومن المال المتروك لتقدير جوسيلسون في مؤسسة فارفيلد، كافأ جوسيلسون الموسيقي البولندي المنفي أندريه بانوفنيك Andrzej Panufnik الذي هرب بطريقة يقف لها شعر الرأس من وارسو عبر زوريخ إلى لندن، 'بمنحة سنوية من ألفي دولار تُدْفَع في أقساط على مدى اثني عشر شهراً، وهي حرة من الالتزام، وتبدأ في أيلول 1954. وبحسب نابوكوف، أعلن بانوفنيك الممتن 'استعداده الكامل للتعاون معنا لأنه انجذب بشكل كامل إلى مُثُل المنظمة من أجل الحرية الثقافية'.[25]

وفي أيلول، 1954، خصص جوسيلسون منحة شهرية من ثلاثمائة دولار لِمُعَلِّم يهودي مينحوين، والموسيقي الروماني المنفي جورج إنيسكو. وبعد سنة من موت إنيسكو في 1955، موَّلتْ فارفيلد حفلة تذكارية قدمتها فرقة بوسطن السيمفونية، التي كانت تتجول في أوروبا، مرة أخرى، على نفقة السي آي إي (من خلال لجنة أوروبا الحرة).[26]

وبإشارته إلى جولة الفرقة المنتصرة في 1956، تحمَّس سي دي جاكسون وقال: 'لم تعد الثقافة كلمة جبانة. فأمة كأمتنا تستطيع أن تكون مكتملة الرجولة. أمة كأمتنا تستطيع أن تكون ناجحة اقتصادياً بشكل رائع. ولكن من الغريب أن الصمغ الذي يثبت الأشياء هو مُعامِل المثالية... فالتعبير الملموس، والمرئي، والمسموع للمثالية القومية هو الثقافة. من بين جميع

تجليات الثقافة، فإن الموسيقى هي الأكثر كونية. ومن بين جميع تجليات الموسيقى في اليوم الحاضر، فرقة بوسطن السيمفونية هي الأفضل'. [27]

وشهد عام 1956 أيضاً إطلاق أوبرا ميتروبوليتان في أوروبا. مرة أخرى، كان سي دي هناك كي يقدم دعمه، قائلاً 'إن الولايات المتحدة تنخرط في كثير من الأنشطة المصممة لتقديم الصورة الصحيحة عن الولايات المتحدة في الخارج. ففي بعض الأحيان ننجح، وفي أحيان أخرى لا. أعترف أنه عمل ضبابي وغير دقيق. ولكن المجال الوحيد الموثوق والذي جُرِّبَ سابقاً هو الإبراز الثقافي لأمريكا شرط أن يتم اختيار ما يشكل الثقافة الأمريكية بذكاء وأن لا يرسل أي شيء عدا الصنف الأكثر جودة. أعتقد أن أوبرا ميتروبوليتان سوف تثير إعجابهم'. [28] واتفق مجلس إدارة الحرب النفسية، الذي دعا جنكي كي يفاوض حول الجولة في 1953، مع جاكسون، وسحبا سوية سبعمائة وخمسين ألف دولار لتمويلها. ويبدو أن معظم هذا المبلغ جاء من السي آي إي. ورغم أن سي دي أقر أن هذه كانت 'كمية كبيرة من النقود من أجل تأثير الدعاية الثقافية'، إلا أنه حثَّ آلن دلس على عدم التقليل من تقديره للمكاسب الضخمة، مضيفاً أن 'هذا التأثير سيكون هائلاً في عواصم أوروبا الغربية وبينها برلين'. [29] وافق جنكي، وعرض أساسه المنطقي الانتهازي المتقن من أجل الجولة قائلاً: 'نحن، في الولايات المتحدة، بوتقة، ولكوننا هكذا، أوضحنا أن الشعوب يمكن أن تتماشى مع بعضها بصرف النظر عن السلالة، واللون أو العقيدة. فإذا استخدمنا 'البوتقة' أو كلمة شائعة مثلها من أجل موضوع فإننا سنتمكن من جعل أوبرا ميتروبوليتان مثالاً لكيفية انسجام الأوروبيين مع الولايات المتحدة ويمكن، بالتالي، إنجاز نوع ما من الاتحاد الفيدرالي الأوروبي'. [30]

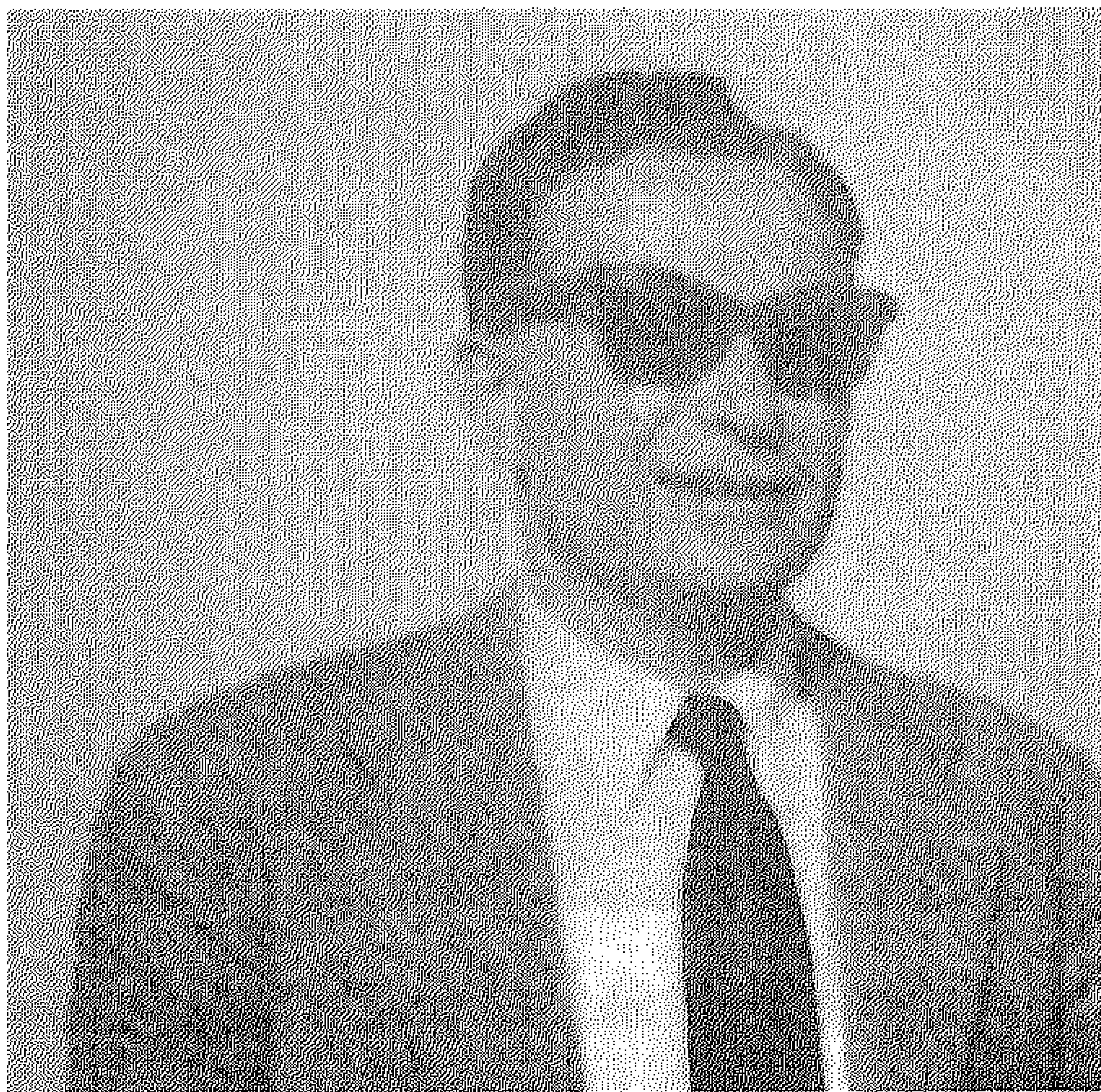
وهكذا نسج محاربو الحرب الباردة الأمريكيون شبكتهم المتداخلة، التي يمكن أن تُستَخدم أوبرا الميتروبوليتان داخلها لحشد الجمهور من أجل مفهوم فدرالية عالم حر.

وبينما كان سي دي يعمل على فكرة مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية حول جولة أوروبية لأوبرا ميتروبوليتان، كان يتعامل في الوقت نفسه، مع مظهر آخر من خطط الشركة أكثر إثارة للجدل. ففي آذار 1953، علم أن رودولف بنغ، المدير العام لأوبرا ميتروبوليتان، أراد أن يدخل ويلهلم فورتوانغلر كمدير ضيف لموسم 1953 -1954 وحين سئل إن كان يعتقد أن وزارة الخارجية يمكن أن تعترض على هذا التعيين، أجاب سي دي أنه لن يكون هناك 'رفع للحاجبين في الوزارة بخصوص موضوع السيد فورتغانغلر'. وحذَّر من أنه يمكن أن تكون هناك مشكلة علاقات عامة من وجهة نظر أوبرا ميتروبوليتان، لكنه اختتم بكلمات التشجيع التالية: أراهن بخمسة سنتات أنه في الوقت الذي يصل فيه إلى هناك لن يهتم أحد حتى ولو كان وحش بيلسن'. [31]

ورغم أنه كان عليهم التعبير عن ذلك بشكل أكثر رقة، إلا أن اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة شعرت بالطريقة نفسها على ما يبدو. وحين احتجت الفرقة اليهودية بيتار Betar في 1955 ضد ظهور هربرت فون كاراجان في أداء في نيويورك قدمته فرقة برلين الفيلاهارمونية، ورددت: 'يا أحباء الموسيقى، لا تحضروا حفلة الليلة الدموية! عبأت اللجنة اتحاد الموسيقيين الأمريكيين



ستيفن سبيندر، الذي اختارته السي آي إي والإم آي سيكس ليشارك في تحرير مجلة إنكاونتر. قالت ناتاشا سبيندر: كان ستيفن يمتلك جميع أوراق الاعتماد الملائمة كي يتم اختياره كواجهة.كان سهل الخداع نظراً لسذاجته."



إرفنغ كريستول، شارك في تحرير إنكاونتر من 1953 إلى 1958.



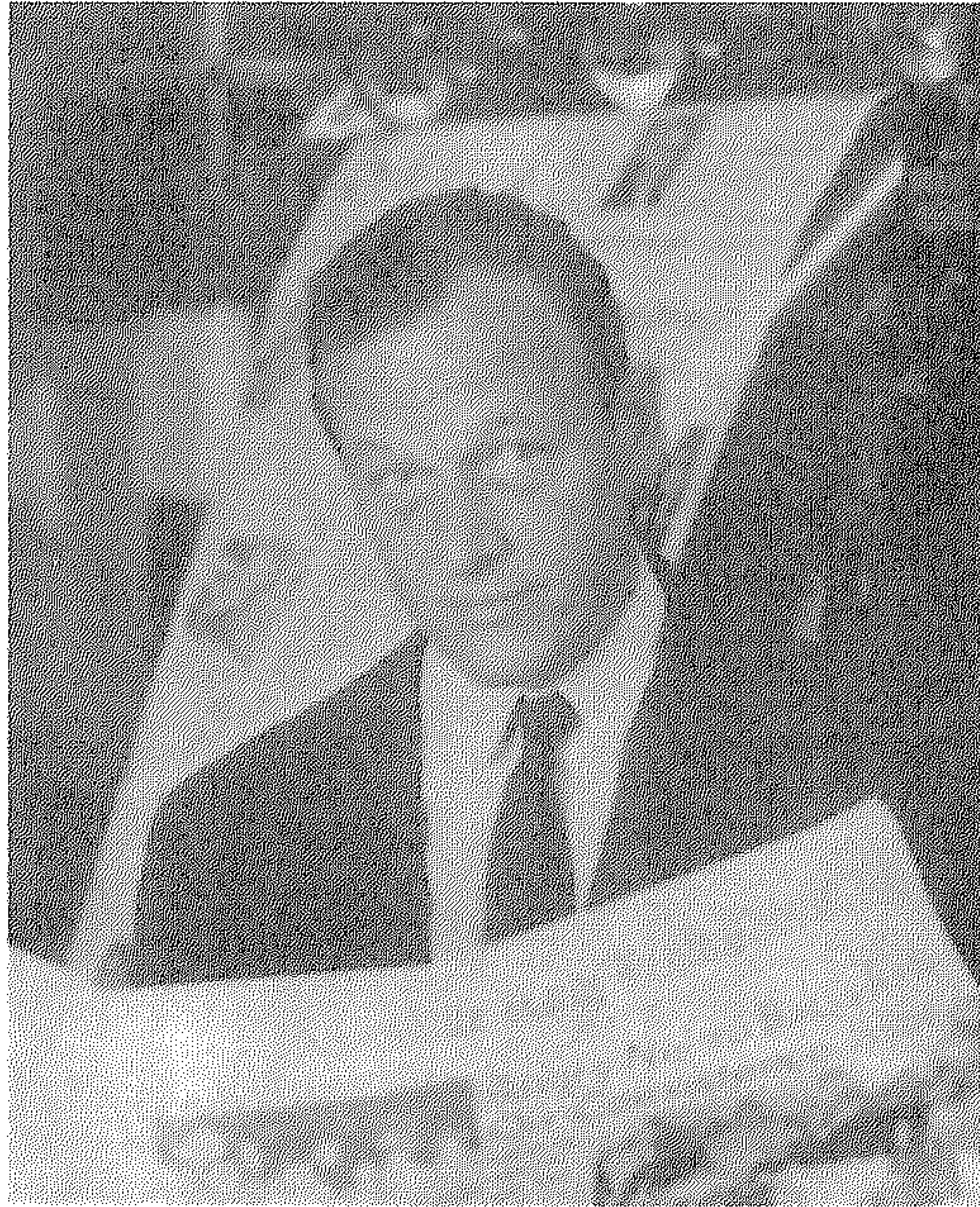
مـايكل حوسيلسـون، آرثـر شليسـنغر جـي آر، وعـالم الاجتمـاع بيـتـر دودج في ميلانـو، 1955، لمناقشـة ' مستقبل الحرية."



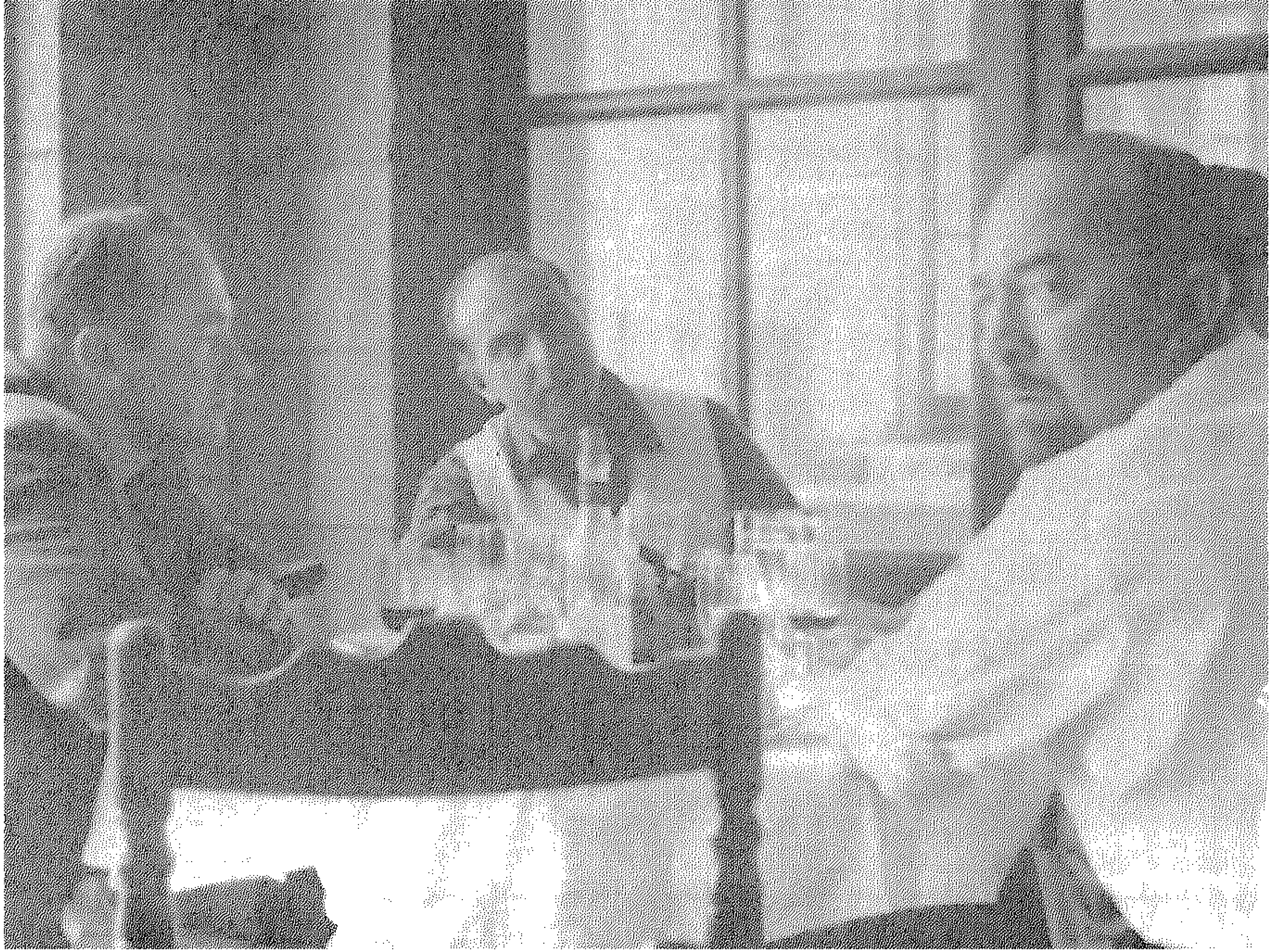
دوايت ماكونالد مع مايكل جوسيلسون في ميلانو،أيلول 1955 أثناء مؤتمر 'مستقبل الثقافة'. قال أحد المراقبين: 'كانت النقاشات مضجرة بشكل مميت وخلف الكواليس كان هناك نقاشات حامية حول الاقتراح المتعلق بتعيين دوايت ماكدونالد كمحرر في إنكاونتر.



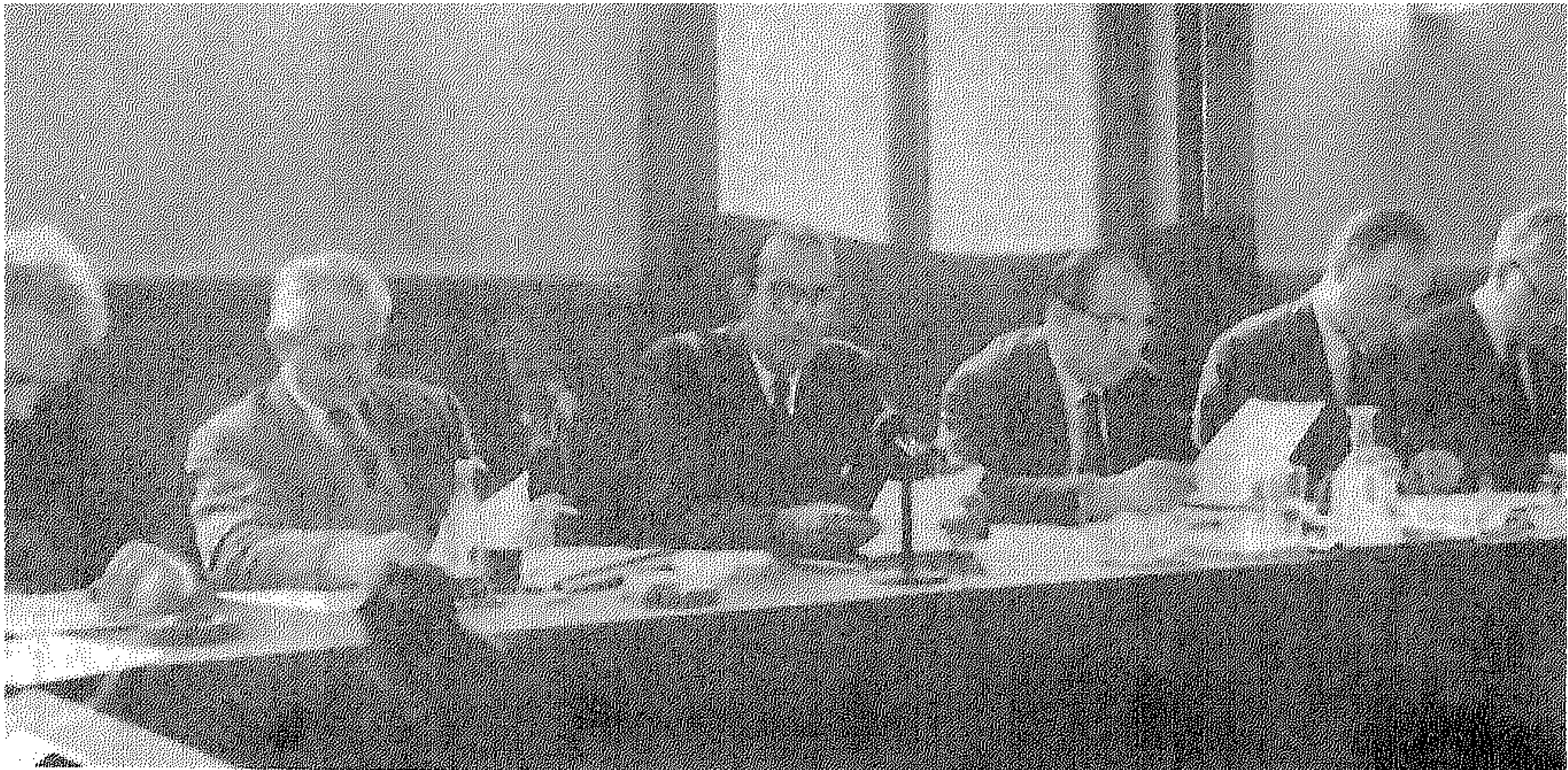
الملازم أول مايكل جوسيلسون، برلين، 1948. كان ضابط شؤون ثقافية في الحكومة العسكرية الأمريكية، وتم تطويعه في السي آي إي بعد وقت قصير.



توم برادن، عميل السي آي إي الذي أسس قسم المنظمات الدولية، المركز العصبي للحرب الباردة الثقافية السرية التي شنتها أمريكا. أدار قسم برادن دزينة من الواجهات وبينها المنظمة من أجل الحرية الثقافية.



الجهاز في غداء عمل.جون هنت، مايكل جوسيلسون، وميلفن لاسكي.



ستيفن سبيندر، مانيس سبيربر، مينو ماساني، مايكل جوسيلسون ودينيس دو روجمو ونيكولاس نابوكوف في اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة من أجل الحرية الثقافية.



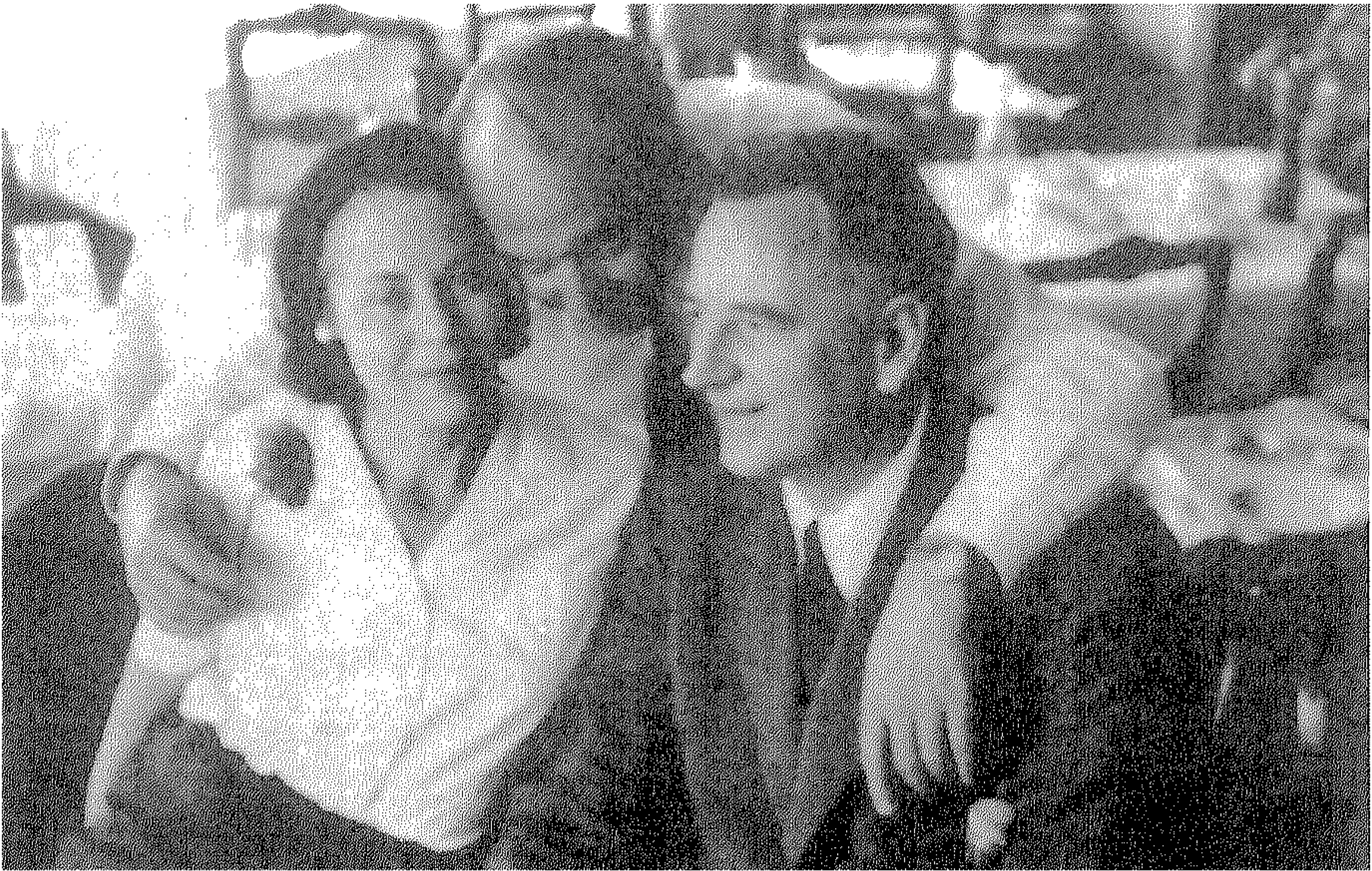
نيكولاس نابوكوف، الموسيقار والراعي، رجل الواجهة للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. تحيط بنابوكوف زوجته، ماري كلير، ومايكل جوسيلسون. دار الأوبرا، فيينا، 1975.



نيكولاس نابوكوف، والممثل بيتر فان إيك في شقة جوسيلسون للاحتفال بعيد ميلاد جوسيلسون. فان إيك وجوسيلسون عاشا سوية في بيت في برلين بعد الحرب.



جون هنت، روبي ماكولي، ومايكل جوسيلسون يخططون للأمور في التلال التي فوق جنيف.



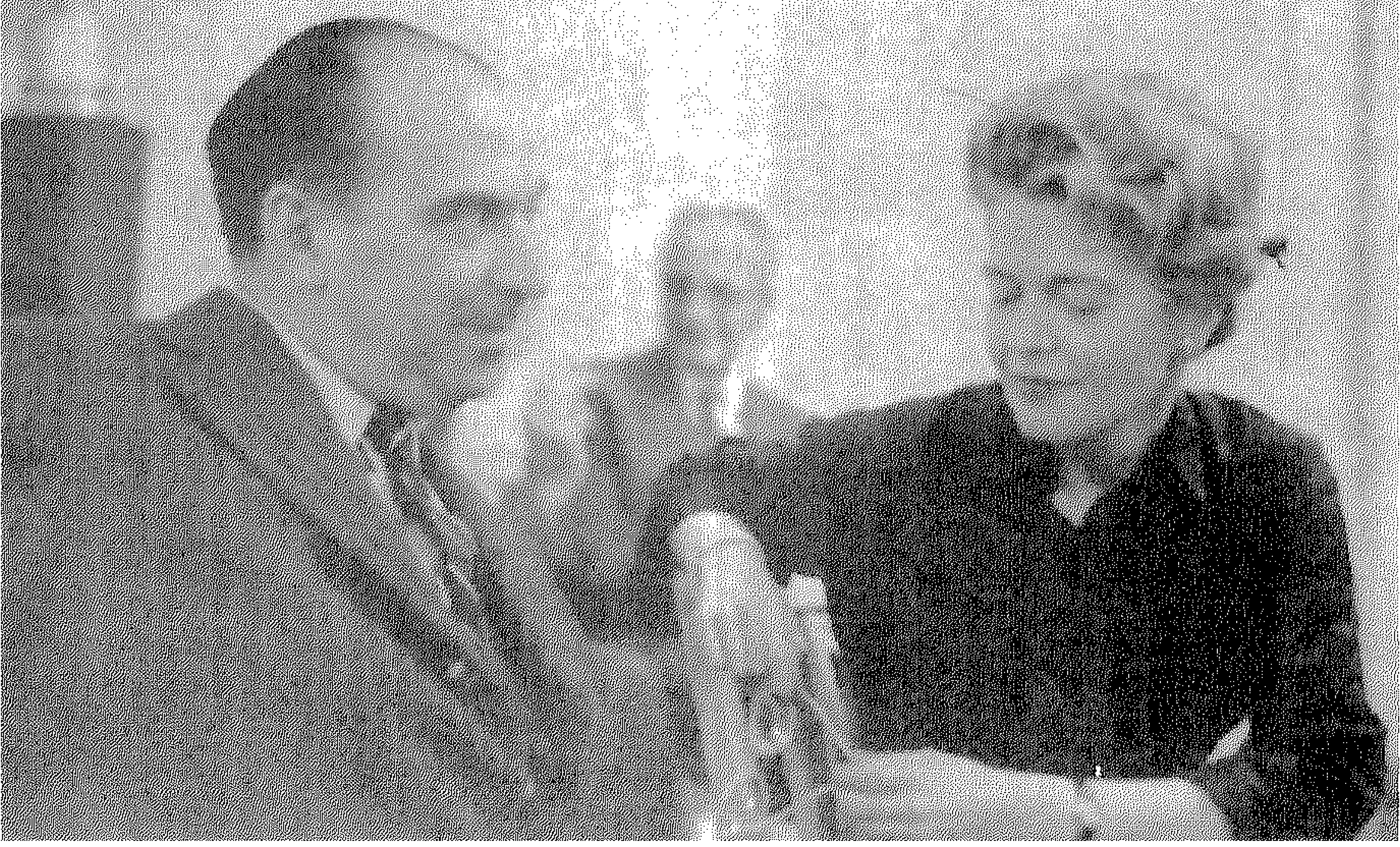
مايكل جوسيلسون يعانق صديقيه وزميليه لورنس دي نوفيل وزوجته أدلين دي نوفيل هو الذي طوّع جوسيلسون في السي آي إي في 1948 وسوية أسسا المنظمة من أجل الحرية الثقافية التي مقرها باريس كهيئة دائمة في 1950 .عاد دي نوفيل إلى الولايات المتحدة في 1952 تاركاً جوسيلسون يكافح سلسلة من الخلفاء المخيبين للأمل.



ريمون آرون وزوجته سوزان، مايكل جوسيلسون ودينيس دو روجمو يستمتعون بيوم في الخارج في الجبال السويسرية. شعر آرون أنه تعرض للشبهة بشكل عميق حين تم فضح المنظمة كواجهة للسي آي إي. زُعمَ أنه كان فيها سرياً لسنوات.



جون هنت ومايكل جوسيلسون، يجلسان تحت لوحة نحاسية كتب عليها اسم المنظمة. سرقت اللوحة من خارج مكتب باريس منذ بضع سنوات، ومما أثار دهشتهم أنه عُثر عليها على حائط مطعم في جنيف حيث التقطت ديانا جوسيلسون هذه الصورة في 1969.



شراكة أكثر فعالية: مايكل جوسيلسون، الاسم الحركي: جوناثان ف. سابا، وزوجته ديانا، الاسم الحركي: جين إنسنجر.

لمعارضة احتجاجات كهذه. وفي برقية وقعها جيمس ت. فاريل، بالنيابة عن 'ثلاثمائة قائد أمريكي للجماعة الثقافية'، شجبت اللجنة احتجاجات بيتار ووصمتها بأنها 'اعتداء على الحرية الثقافية'. وما يثير الانتباه هو أن اللجنة لم تناقش زعم بيتار بأن فون كاراجان كان عضواً في الحزب النازي. ولكنها على العكس، سَلَّمَتْ بأن هذه 'حقيقة قابلة للاستنكار'. لكن التهمة 'لا علاقة لها بالطبيعة غير السياسية لظهور الفرقة هنا'، وتتجاهل حقيقة أن فرقة برلين الفيلاهارمونية 'قدمت خدمة بارزة لقضية الحرية الثقافية وترمز إلى مقاومة شعب برلين الشجاعة للكليانية الشيوعية التي أحاطت موقعه المعزول'.[32] وانتهت البرقية باقتراح أن يتم التبرع بقسم من أرباح جولة الفرقة لضحايا النازية.

وكان من الواضح أن اللجنة الأمريكية غير واعية لمدى ابتعادها عن 'بيان المبادئ' لعام 1953، الذي صرحت فيه بأنها 'مهتمة بشكل حيوي بالمسائل السياسية مثل تلك التي تؤثر في أوضاع الحرية الثقافية والإبداع الثقافي. وهي بالتالي معارضة بقوة للكليانية من أي نوع، لأن الكليانية نفيٌ لهذه الأوضاع'.[33] واستنكر البيان نفسه 'الحقيقة الواضحة والمعيبة وهي احترام الشيوعيين والشيوعية في الدوائر الفكرية والثقافية وهذا لم يمنح لنازي أو فاشي جديد مطلقاً'.

ويبدو من المدهش أن اللجنة الأمريكية كانت عمياء حيال الطبيعة المتناقضة - وغير المتماسكة أخلاقياً - لموقفها إزاء أفراد مثل فون كاراجان وفورتغانغلر. فبعد ثلاثة أشهر، كان على جورج كينان، أحد مهندسي استراتيجية ربط الثقافة بالضرورات السياسية للحرب الباردة، أن يوضح أنه هو أيضاً كان معرضاً للتشوش ذاته. حين خاطب المجلس الدولي لمتحف الفن الحديث في الثاني عشر من أيار 1955، استنكر كينان حقيقة أنه 'في السنوات الأخيرة، نمت بيننا عادة تستحق الشجب، عادة كليانية في الحقيقة، وهي تقييم ملاءمة الإسهامات الثقافية على أساس الصفة السياسية لمبدعيها. لا أعرف أي شيء أكثر سخفاً من هذا. فاللوحة لا تكتسب قيمتها من أن الفنان كان ينتمي مرة إلى هذه الجماعة أو تلك. إن قيمة حفلة سيمفونية، بالنسبة لي، لا تتأثر بطبيعة النظام السياسي الذي استعمل المايسترو نشاطه في ظله... وفي النهاية، ليست الوقائع الثقافية عرضاً للمواشي نضع فيه أشكالاً بشرية كي تثير الإعجاب بسبب نقاء ملامحها الإيديولوجية'.[34]

وجد محاربو أمريكا في الحرب الباردة أنفسهم عالقين في مفارقة خطيرة: فحين يُرْفَع بعبع النازية، يشنون حملة قوية من أجل فصل الفن عن السياسة، ولكن حين يتعاملون مع الشيوعية، يمتنعون عن القيام بفصل كهذا. إن هذا الغياب الشنيع للمنطق ظهر إلى السطح في البداية في أواخر الأربعينات، أثناء تطهير ألمانيا من النازية. ثم، بينما كوفئ فورتغانغلر بكثير من الحفلات الهامة هو ويهودي مينوحين، كان ميلفن لاسكي يسخر من برتولت بريخت في مجلة دير *مونات*.[35] كانت فرضية الحرب الثقافية الباردة بالنسبة للمنظمة من أجل حرية الثقافة هي أن الكتاب والفنانين يجب أن ينخرطوا في الصراع الإيديولوجي. وشرح لي وليامز الذي يعمل في السي آي إي:'أنتم تتحدثون عن الكتاب البارزين، والموسيقيين البارزين، والرسامين، عن كل من يرغب بالارتباط بفكرة القتال من أجل ما سماه كامو أدب الالتزام، عن شخص ما ملتزم ليس

بالكتابة فحسب، بل بالكتابة كتعبير عن نسق من القيم في الوقت نفسه. ولقد اهتممنا بالأمر ودعمناه'. [36] وكان من المزعج أن يكون من السهل على محاربي أمريكا في الحرب الثقافية الباردة أن يفصلوا أنفسهم عن الالتزام حين يناسبهم ذلك.

ولم يُمنَح تسامح كهذا للمتعاطفين والحياديين الذين عملت اللجنة الأمريكية على فضحهم. لا أحد يستطيع أن يقول إن الشيوعية يمكن أن تعتبر، بشكل قابل للتصديق، العدو المركزي والطاغي للحرية الثقافية داخل الولايات المتحدة على الأقل في منتصف الخمسينات. لكن المعادين للشيوعية المحترفين، مثلهم مثل جميع المحترفين، أرادوا أن يحموا سوقهم ويوسعوه كذلك. وهناك إحصاء تقريبي للوبيات المنظمة المعادية للشيوعية، ومجموعات الضغط في الخمسينات – وهو وقت اعترف فيه بأنه يحدد النقطة الأدنى للطابور الخامس – يوحي بانتشار لا مثيل له. لم يكن هناك تهديد شيوعي حقيقي في الولايات المتحدة كي تتم محاربته، وكان المعادون للشيوعيين في الحقيقة، هذا إذا أعدنا استخدام عبارة تشرشل، 'مقيدين بجثة'.

وتنبأ جيمس ت. فاريل بشكل صحيح في 1942: 'ببطء، وبالتدريج، سوف يأتي زملاء المرء إليه. أثق بزملائي للقيام بذلك. أمتلك ثقة كبيرة بقدراتهم التطويرية كي يصبحوا رجال شرطتي، وحراس روحي. فمن المستحيل أن يكون إيماني بقدراتهم معيباً: لا تستطيعون هز عقيدة إيماني هذه. جميع أولئك الملائكة الصغار الذين يحرسون روح أمريكا'. [37] والآن، كسب الخط المتشدد للجنة سمعة مشكوكاً بها كـ 'فرقة حقيقة'. وتبين أنها فقدت جميع أحاسيس الانسجام، وانحرفت بعيداً عن هدفها المعلن، الذي كان هو تهيئة الظروف الاجتماعية والسياسية للإبداع الثقافي والبحث الفكري الحر. وكتب شليسنغر عن شعور بالقرف من 'عناصر الحقد المتجلية في مضايقة المتعاطفين، وكأننا كنا نخوض من جديد، في الخمسينات، المعارك القديمة والمنتهية للثلاثينات والأربعينات... نستطيع الآن أن نفعل أشياء أفضل بدلاً من أن ننتقم من الحزازات القديمة. إن لجنة مخصصة للحرية الثقافية لا ينبغي أن تشعر بالخطأ في كونها سمحة التفكير'. [38] وكتب من جامعة كورنل زميل لسول شتاين في مزاج مشابه: 'سول، يا بني، ما تحتاج إليه هو هبة هواء عذبة من الجزء الشمالي لنيويورك أو كنساس، أو سياتل أو من أي مكان آخر غير وسط مانهاتن. هل أنت متأكد من أن جميع تلك المعارك الأدبية المريرة في أواخر الثلاثينات، ومعارك اليوم كذلك، هي مهمة حقاً في تاريخ الولايات المتحدة؟' [39]

تلك كانت الفكرة. لقد تأرجح التاريخ الفكري الأمريكي في العقود الأربعة الماضية من اليسار ممزقاً لليمين إلى اليمين ممزقاً لليسار، وكان مشهد الرجال وهم ينتزعون أحشاء بعضهم بعضاً بهذه الطريقة يفتقر إلى التحضّر. وفقدت كل من هاتين الفئتين المنقسمتين إلى إقطاعيات أكاديمية متنازعة الحقيقة الوحيدة الهامة وهي أن الاستبداد في السياسة، سواء في شكل المكارثية، أو المعاداة الليبرالية للشيوعية أو الستالينية، لا يتعلق باليسار أو اليمين، إنه يتعلق برفض ترك التاريخ يفصح عن الحقيقة. وقال جاسون إبشتاين في مزاج لا يقبل التسوية:

'إنهم فاسدون جداً، إلى درجة أنهم لا يعرفون ذلك. فحين يتحدث هؤلاء القوم عن الأنتلجنسيا المضادة، فإن ما يفعلونه هو وضع نظام قيم مزيف وفاسد لدعم الإيديولوجيا التي يلتزمون بها في ذلك الوقت. إن الشيء الوحيد الذي يلتزمون به هو السلطة، وإدخال استراتيجيات قيصرية ستالينية في السياسة الأمريكية. إنهم فاسدون جداً بحيث من المرجح أنهم لا يعرفون ذلك. إنهم أعضاء في جهاز، صغار وكاذبون. فالأشخاص الذين لا يؤمنون بأي شيء، الذين هم فقط ضد شيء ما، يجب ألا يذهبوا في حملات أو يبدأوا الثورات'. [40]

ويتحدث جورج أوريان عن العلاقة الوثيقة لكثير من مفكري الحرب الباردة مع الشيوعية، وهو مدير إذاعة أوروبا الحرة فيقول: لقد استجاب هذا 'الإكراه على الجدل، والمبارزة، والقتال، تقريباً بصرف النظر عن الأهداف'[41]... كانت احتجاجاتهم متوترة، وكلبيتهم صارخة، وتحليلاتهم تعكس كثيراً العالم الذي اعتقدوا أنهم تركوه خلفهم.لقد تقدموا بخطو سريع سلبي لكنه، رغم ذلك، متزامن'. [42]

أما جوسيلسون، الذي كان في ذلك الوقت يتعافى من عملية - يبدو أنها لم تعطل نشاطه - لكنها تركته مقيداً بكرسي المركي، فقد كتب إلى سيدني هوك قائلاً إنه 'أكثر اقتناعاً من قبل بأن الموت الطبيعي للجنة الأمريكية الحالية سيكون أفضل شيء يحدث لأي شخص مهتم ...فهذه المجموعة (كذا) متضاربة بحيث لا تفعل أي شيء في أي حقل عدا الخصومات التافهة'. [43] كانت الطريقة الوحيدة لضمان موت اللجنة هي سحب الدعم المالي، وفعل جوسيلسون ذلك في تشرين الأول 1954. كان الإمداد الشهري للجنة الأمريكية من مؤسسة فارفيلد قد توقف سابقاً في أوائل 1953، والآن، بعد سحب راتب سنوي مؤلف من أربعة آلاف وثمانمائة دولار من مكتب باريس واجهت المجموعة انهياراً مالياً وشيكاً.

دب الهلع في سيدني هوك، الذي أسس اللجنة من خلال التشاور مع السي آي إي، من قرار المنظمة لقطع علاقاتها المالية. متجاهلاً تصميم جوسيلسون على رؤية اللجنة تنهي نفسها، ذهب مباشرة إلى آلن دلس وتوسل من أجل النقود. ولقد اطلع على هذا التطور سول شتاين الذي حذر من أنه إذا 'فقد المفكرون الأمريكيون صوتهم في أوروبا بسبب الحاجة إلى عشرين ألف دولار في العام، فمن الأفضل عندئذ أن يبدأ جيبون* Gibbon جديد ببري قلمه الرصاص. كما اطلع عليه نورمان توماس، المرشح الاشتراكي السابق للرئاسة الأمريكية، والذي كان يحتل موقعاً إدارياً في اللجنة الأمريكية. فضلاً عن ذلك، كان الرجلان يُجَيِّشان، بشكل منفصل، جماعة الاستخبارات من خلال 'صديقهم الدكتور ليلي 'وهو موظف في مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية ومستشار للسي آي إي. واقترح شتاين الذي كان يعرف أن نورمان توماس صديق حميم لآلن دلس وجار له، أن يتصل توماس بآلن دلس 'كي يذكره باهتمامه بعملنا ويقترح عليه أن يسرع لنجدتنا'.44 لكن نورمان أجاب أن الاتصال بآلن دلس دون عذر فوري ما سيضر أكثر مما سينفع'، لكنه قال إنه 'إذا كانت الفرصة جيدة، وكان دلس في البلاد

* مؤرخ إنكليزي.

هذا الأسبوع، سأحاول الاتصال به يوم الأحد'.[45] حدث هذا في نيسان 1955. وفي أيار، انتفخت صناديق اللجنة بمبلغ أربعة آلاف دولار من مؤسسة آسيا التابعة للسي آي إي وبعشرة آلاف دولار من مؤسسة فارفيلد. لقد تم التغلب على جوسيلسون.

كتب آرثر شليسنغر إلى كورد مير بكآبة شاكياً من 'أعضاء معينين' في اللجنة التنفيذية دعمهم سخاء السي آي إي المتجدد، قائلاً إنهم يضخمون أهميتهم الخاصة مرة أخرى. وشرح مير بدوره: 'نحن بالتأكيد لا نخطط لمواصلة المساعدة الضخمة، والإعانة الوحيدة التي قُدِّمَتْ مؤخراً قُدِّمَتْ نتيجة طلب ملح من سيدني هوك وبشكل غير مباشر من نورمان توماس. نأمل منك ومن أولئك السادة ومن الآخرين الحساسين أن تستخدموا هذه المساعدة لإعادة تأسيس اللجنة التنفيذية ووضع برنامج ذكي... أما إذا برهنت إعادة بناء هذا القيادة بأنها مستحيلة فإننا سوف نواجه آنذاك، كما أظن، ضرورة السماح للجنة بالموت ميتة طبيعية، رغم أنني أعتقد أن هذا المجرى سوف يؤدي إلى مضاعفات غير سارة. 'أنهى مير الرسالة شاكراً شليسنغر 'على كلامه الصريح'، موحياً أنهما سيلتقيان سوية في الحال 'كي يناقشا المشكلة كلها بالتفصيل'.[46]

وبرهنت استراتيجية دلس – مير بأنها عرضة للخطأ بشكل كامل، كما كان جوسيلسون يخشى دوماً. ولم يخدم حقن دولارات إضافية إلا في إرجاء لحظة الصراع النهائي بين حاملي البنادق في نيويورك ومحنكي عملية باريس. وفي أقل من عام خرجت إلى العلن القسوة وغياب الثقة المتبادل، بعد أن ظهرا إلى السطح لأول مرة بعد مهرجان باريس الذي نظمه نابوكوف في 1952. ففي السادس والعشرين من آذار 1956، نشرت *مانشستر غارديان* رسالة من برتراند رسل أشارت إلى 'أعمال وحشية قام بها مكتب التحقيقات الفيدرالي' أثناء محاكمة روزنبرغ وزوجته، وقارن أمريكا 'بدول بوليسية أخرى مثل ألمانيا النازية وروسيا الستالينية'. رد جوسيلسون على الفور مقترحاً على إرفنغ كريستول العثور على 'مراسل أمريكي ذكي في لندن' كي يجري مقابلة مع رسل بطريقة 'تظهر أن رسل لم ير أي دليل في قضية روزنبرغ وأن شهادته مبنية على بعض الدعاية الشيوعية والتي لم يعد يستطيع تمييزها عن الحقيقة بسبب كهولته'.[47]

ولكن بينما كان جوسيلسون يحضر لتدمير كلام رسل من خلال مقابلة مغرضة، قررت اللجنة الأمريكية التدخل أولاً. أرسلت رسالة احتجاج بشكل مباشر إلى رسل تتهمه 'بابتعاد فائق للعادة عن معايير الموضوعية والعدالة'، وبأنه يقدم 'خدمة رئيسية للأعداء الذين افترضنا أنك ملتزم بمقارعتهم'. هل خطر لرسل أن يرى' إن كان من اللائق أن يتفوه أي صديق للحرية الثقافية، وبخاصة موظف في المنظمة من أجل الحرية الثقافية ... بشهادات كاذبة، وغير مسؤولة حول مجرى العدالة في الولايات المتحدة؟'[48] ولم يكن مفاجئاً أن رد رسل على الرسالة هو الاستقالة من منصبه كرئيس فخري للمنظمة.

جن جنون جوسيلسون، ليس فقط لأن الرسالة إلى رسل 'بثتّ إلينا بأكثر الطرق ديكتاتورية'. كان من غير الوارد أن يرسل أي فرع من المنظمة رسالة شفهية كهذه بدون موافقة مسبقة من

جوسيلسون. وبعد الدعوة إلى جلسة طارئة للجنة التنفيذية في باريس، أرسل جوسيلسون إلى مسؤولها توبيخاً للمؤسسة الأمريكية لأنها لا 'تستشيرنا حين تقوم بالأفعال، داخل هيئة المنظمة، التي يمكن أن تؤدي إلى عواقب دولية وخيمة'.[49] كان متأخراً جداً استرجاع رسل، الذي كانت استقالته الرابعة من المنظمة هي الأخيرة. وفي حزيران 1956 أزيل اسمه من رأس جميع أوراق المنظمة.

لم تنته المشاكل هنا. فبعد شهرين نشرت الصحف خبر استقالة جيمس ت. فاريل من منصبه كرئيس قومي للجنة الأمريكية. كان فاريل رجلاً معقداً. كان معادياً علنياً للشيوعية إلا أنه لم يستطع تحمل عقلية كثير من مفكري نيويورك الذين لم تكن 'طليعتهم التي هي من بارك آفينيو' إلا عذراً لعدم القيام بعمل جيد. وتخلى هو نفسه عن السياسة من قبل، وكتب إلى ميير شابيرو في 1941 قائلاً: 'قررت أنه لا يوجد الكثير مما أفعله في العالم اليوم، وهناك ما يكفي من البشر يأخذون وضعية رجال دولة. وهكذا، سوف أنجز عملي بجدية'.[50] ولكن حملة ضد الشيوعية برهنت آنذاك أنه من الصعب مقاومتها، وهو نفسه قام بالهجوم. لكنه هُزِمَ في النهاية،ليس على يد الشيوعية، وإنما بسبب اليقظة التافهة لزملائه في الحملة. وحذَّر جورج أورويل في إحدى المرات: 'إن المس الأحادي*، والخوف من التفوه بالهرطقات ليسا صديقين للملكات الإبداعية'. وفاح من رسالة استقالة فاريل إعياء الحرب الباردة. وشكا قائلاً: 'لم نكن قادرين مطلقاً على ضرب جذورنا عميقاً في الحياة الأمريكية. لم نكن قادرين على الإسهام، بشكل كاف، في القتال ضد الرقابة في هذه البلاد... لقد حان الوقت لجميع من يؤمنون بالروح الليبرالية كي يبذلوا جهوداً جديدة من أجل انبعاثها...إننا نقف باستمرار على حافة أن نصير لجنة سياسية بوجهات نظر في السياسة الخارجية ومسائل أخرى كثيرة. وهذا يهددنا بخطر الخلط بين السياسة والثقافة'. وشدَّد كذلك على سببه الشخصي في الاستقالة، والذي كان تحذيراً واضحاً لكتاب آخرين في اللجنة الأمريكية: 'إذا أردتُ أن أكتب بشكل أفضل فيجب أن أخصص وقتاً أكبر للكتابة وللدراسة'.[51]

يمكن أن تكون هذه نهاية اللجنة، ولكن في الحقيقة اختار فاريل أن يعلن استقالته لـ*نيويورك تايمز*'. اتصل بالصحيفة في وقت متأخر من ليلة الاثنين، 27 آب 1956، على ما يبدو مثبطاً من الكحول. اعترض على فشل اللجنة الأمريكية في التماسك كمنظمة جماعية، وعلى فشلها في فعل أي شيء بخصوص الرقابة في الولايات المتحدة، وعلى عدم اهتمامها بالحريات المدنية الأمريكية، ومراوغتها حيال مسألة مكارثي. وانتخبت هيئة المدراء ديانا تريلينغ كي تقبل استقالة فاريل، الأمر الذي فعلته في رسالة ترن بالاحتقار البارد.

وفي باريس، استقبل جوسيلسون استقالة فاريل بغضب ممتزج بالشك وكتب غاضباً: 'فشلنا في فهم لماذا لم تستخدم اللجنة فترة الرحمة المؤلفة من 24 ساعة بين الوقت الذي تلقت فيه السيدة تريلينغ الاتصال، والوقت الذي ذهبت فيه القصة إلى الصحافة من أجل جعل فاريل

* – اعتلال عقلي يتسم بالتركيز على فكرة واحدة .

يسحب شهادته الأصلية ويستبدلها بشهادة استقالته الأمر الذي سيكون سائغاً لجميع المهتمين'.[52]

ما يكفي كان كافياً. وحين تلقى إرفنغ براون رسالة تطلب منه أن يدفع نفقات ثلاثة أعوام من مستحقات العضوية للجنة الأمريكية، تجاهلها ببساطة. انسحب جنكي فليسشمان من مجلس إدارتها في تشرين الأول 1956، قائلاً إنه مشغول جداً بعملية باريس. وفي الثالث عشر من كانون الثاني 1957، كتب سيدني هوك إلى نابوكوف أن اللجنة الأمريكية 'قررت، بتردد، أن تعلق نشاطاتها التنظيمية الفعالة' بسبب الصعوبات المادية.

الفصل الخامس عشر

فتيان رانسوم

في رأيي أن السي آي إي لم تنخرط فحسب في حرب باردة ثقافية بطريقة تجريدية وبراغماتية محضة، وإنما امتلكت أهدافاً محددة وواضحة، وجمالية معيّنة: لقد دافعت عن الثقافة الرفيعة.

ريتشارد إلمان

في أيلول 1954، استلم كورد ميير قسم المنظمات الدولية من توم برادن، الذي 'تقاعد'[1] من عمله في وكالة الاستخبارات المركزية وانتقل إلى كاليفورنيا كي يحرر صحيفة اشتراها له نيلسون روكفيلر. ورث ميير قسماً يشكل البؤرة الوحيدة والأكبر للأنشطة السياسية والدعائية التي تقوم بها وكالة السي الآي إي التي أصبحت مثل الإخطبوط.[2] إضافة إلى أنه فعل ذلك في جو مفضل، بشكل كبير، للعمل السري، كما يظهر تقرير سري للغاية قُدِّمَ إلى الرئيس آيزنهاور في الشهر نفسه: 'طالما أنها تبقى سياسة قومية، فإن الضرورة الأخرى المهمة هي منظمة نفسية وسياسية وعسكرية هجومية، أكثر فعالية، وفرادة، وإذا كان هذا ضرورياً، يجب أن تكون أكثر قسوة من تلك التي يستخدمها العدو. يجب ألا يسمح لأحد بأن يقف في طريق الإنجاز الملح، والفعال، والآمن لهذه المهمة. وواضحٌ الآن أننا نواجه عدواً لا يُقْهَر، هدفه المعلن هو الهيمنة على العالم بأية وسائل ومهما كانت الكلفة. ليست هناك قواعد في لعبة كهذه. وحتى الآن لا تنطبق الأعراف المقبولة للسلوك الإنساني. إذا كانت الولايات المتحدة ستبقى على قيد الحياة يجب إعادة النظر في المفهومات الأمريكية المستمرة لـ 'اللعب العادل'... يمكن أن يصبح من الضروري تعريف الشعب الأمريكي على هذه الفلسفة الكريهة، وأن يفهمها ويدعمها بقوة'.[3]

مع ذلك لم تكن أهمية قسم المنظمات الدولية منعكسة دوماً في حجم هيئة الموظفين المعينة فيها. لقد صارع توم برادن كي يلهم مساعده، فقط كي يقابل الأمور باللامبالاة. يقول برادن: 'كان اسمه المقدم بوفينغتون. يترك التذكارات في جميع الأمكنة، لكنه لم يفعل أي شيء. كان تبديداً كاملاً للوقت، ولم يكن يفعل شيئاً طول اليوم. يأتي في التاسعة، يعلق قبعته، يقرأ *نيويورك تايمز*، ثم يذهب إلى منزله مرة أخرى'.[4] وفي محاولة ساخرة لرصد ألقاب ضباط المهمة الذين يصلون إلى باريس، كان جوسيلسون والمقربون منه يشيرون إليهم بجورج الأول،

وجورج الثاني، وجورج الثالث، وغير ذلك. كان جورج الرابع هو لي ويليامز، المعروف أيضاً على سبيل النكتة بـ 'نيكل ودايم' (لعب على اسمه الحركي) وعُرِفَ لوقت وجيز، بـ 'السيد روشستر'. وترك ويليامز انطباعاً أفضل من جميع سابقيه وأيد بشجاعة ثقافتي وكالة الاستخبارات المركزية والمنظمة اللتين أصبحتا بيروقراطيتين بتسارع. وكانت المنظمة، بالمقارنة، أكثر بوهيمية تقريباً. وتذكر ويليامز: 'أذكر أنني قدت السيارة مع كورد في باريس مرة بعد لقاء مع مايك، واستدار كورد إلي وقال: إن مايك يحبك فعلاً يا لي. ابن العاهرة! بدا كأنه فوجئ. لكن مايك كان يحبني لأنني لم أحاول أن أعلمه عمله بتاتاً. كنت أجلس عند قدميه، كنت مراعياً له'.[5] لكن حليف جوسيلسون الحقيقي كان لورنس دي نوفيل، وبعد عشر سنوات في أوروبا، أراد أن يعود إلى الوطن. فَعُيِّنَ في مكتب نيويورك لإذاعة أوروبا الحرة كغطاء له، وغادر باريس في أواخر 1953.

لن يصبح دي نوفيل مطلقاً شخصاً سهلاً يمكن إتباعه، وبعده بدأ جوسيلسون يفكر بشكل متزايد بضباط مهمات المنظمة 'كسعاة بريد'. تقول ديانا جوسيلسون: 'في البداية كان رجال السي آي إي أشخاصاً جيدين وممتعين مثل لورنس دي نوفيل، وكانت قلوبهم في الأمكنة الصحيحة. لكن تأثيرهم كان يقل بالتدريج. وبين فينة وأخرى يظهر ضابط مهمة فيحاول مايكل الانسحاب، لكنهم يتمسكون به. لم يطلب مايكل مطلقاً أي شيء حقيقي منهم. كان صديقاً لهم، وتحدث معهم عن أسرهم ومهنهم، وتبين لي أنهم أعجبوا به، لكن مايكل كان مصمماً على حماية المنظمة من الوكالة، ومن احتمال أن تُكْشَف العلاقة'.[6] وبحسب ديانا، أصبحت العلاقة بين مايكل وزملائه في الوكالة على غرار تمثيلية: 'بما أنهم أرادوا التظاهر بأنهم يسيطرون، فقد رحب مايكل على الأرجح بفرصة أن يطلعهم على التطورات، كي يساعد الوهم على الاستمرار. وديانا التي خدمت بطاعة ضباط المهمة وقدمت لهم كوكتيلات المارتيني الإلزامية حين كانوا يأتون إلى شقة جوسيلسون، اعتبرتهم فيما بعد 'شراً لابد منه. لم يكونوا يمتلكون، بالنسبة لي، نصف أهمية خادمتي'.[7]

وكانت إحدى المشكلات التي واجهت كوردون مبير أنه كان من الصعب جذب موظفي الوكالة إلى قسمه. وهذا لا يعني أنه كان هناك نقص في المرشحين الملائمين. وفي منتصف الستينات، تباهت الوكالة بأنها تستطيع أن تقدم لأية كلية موظفين من محلليها الذين يمتلك خمسون بالمائة منهم شهادات متقدمة، ويمتلك ثلاثون بالمائة شهادات دكتوراه، مما حث مسؤولاً في وزارة الخارجية على القول: 'هناك مفكرون ليبراليون في كل إنش مربع من السي آي إي أكثر مما يوجد في أي مكان في الحكومة'. ولكن هذه النماذج الجامعية لم تلتحق بالوكالة كي تفعل ما بوسعها فعله في حرم الجامعة. كانوا يبحثون عن المغامرة، وليس عن العناية بنوعية البشر الذين يستطيعون مقابلتهم حول طاولة مرتفعة. وقال موظف السي آي إي دونالد جيمسون: 'كان عدد كبير من موظفي الوكالة ينظرون إلى الأشخاص في قسم المنظمات الدولية كنوع من الزغب الجانبي، وكانت هذه نظرة أولئك الذين شعروا بأنه ينبغي أن نمارس استخبارات قاسية، ونُطَوِّع الجواسيس ونحصل على الوثائق وما تبقى هو هراء'.[8] وأكد لورنس دي نوفيل:

'لم يكن بعض الأشخاص في السي آي إي يؤمنون بأنه كان من الملائم صرف كل تلك النقود على جميع أولئك اليساريين'.[9] وهكذا بدأ كورد مبير يبحث في كل مكان.

قال لي وليامز: 'امتلك كورد صفة فكرية فريدة. كان يمتلك مدخلاً فريداً إلى الجماعة الفكرية في أمريكا، وكان يكن احتراماً فائقاً لرجال الأدب'.[10] دخل مبير إلى جامعة بيل في 1939، ودرس الشعر الإنكليزي 'من شعراء ما وراء الطبيعة في القرن السابع عشر إلى الشعر الحديث لييتس وت. س. إليوت تحت إشراف البروفيسور مينارد ماك، الذي زرع فينا احتراماً مستمراً للعظمة الرائعة لذلك الإنجاز وطموحاً لدى بعضنا للكتابة كذلك'.[11] وجرب مبير كتابة الشعر ونشرَ بعض الأشعار 'المتوسطة الجودة' في مجلة *بيل ليت* Yale Lit، والتي أصبح فيما بعد محرراً لها.

في 1942 تخرج مبير من قسم الأدب الإنكليزي بامتياز وتفوق. لكن الحرب التي قتل فيها شقيقه التوأم قضت على طموحاته الأدبية، وفقد مبير إحدى عينيه في غوام حين انفجرت قنبلة يدوية يابانية عند قدميه (الأمر الذي كسب له فيما بعد اسم السي آي إي الحركي سايكلوبس Cyclops). بعد ذلك، كتب بضع مقالات، وفي 1980 كتب مذكراته بعنوان *مواجهة الواقع*.

وكمحرر لمجلة *بيل ليت*، اتبع مبير خطى جيمس جيسوس أنغلتون، الذي أصبح الزعيم الأسطوري لاستخبارات السي آي إي المضادة. وكان أنغلتون، الراديكالي في الأدب، قد أدخل إزرا باوند إلى بيل، وأسس مجلة شعرية تُدْعَى فيوريوسو *Furioso* في 1939 (وظهر اسمه كمحرر في البيانات الإدارية حتى حين كان رئيس الاستخبارات المضادة في روما). كان أنغلتون الرابطة الحيوية في ما أصبح معروفاً بـ مصدر P ' (ويعني p البروفيسور)، الذي وصف ارتباط الوكالة مع عصبة آيفي. وكان بين الأعضاء البارزين لمصدر بي ويليم سلون كوفن، وهو خريج من بيل طوّعه آلن دلس. قال سلون فيما بعد متذكراً قراره للالتحاق بالوكالة: 'لقد جعل ستالين هتلر يبدو كأنه طفل من الكشافة. كنت معادياً للسوفيات بشكل قوي جداً. وفي ذلك الإطار الذهني راقبت الحرب الكورية وهي تأخذ شكلها. لكنني لم أتابع تطوراتها عن كثب، ولم أسأل عن الأسباب. وحين تَخَرَّجْتُ من بيل في 1949، كنت أفكر بالالتحاق بالسي آي إي، ولكنني ذهبتُ بدلاً من ذلك إلى المعهد اللاهوتي. وبعد عام في المعهد اللاهوتي الموحد، حين بدت الحرب مع الاتحاد السوفياتي وشيكة، تركت المعهد وتطوعت في السي آي إي، آملاً أن أكون مفيداً في جهد الحرب. مَوَّلتْ السي آي إي اليسار غير الشيوعي، وكانت تمنح المساعدة بأقل شروط ممكنة. في تلك الأيام، لم يكن هناك نزاع بيني وبين السياسة الأمريكية، ولكنني حين أتذكر لا أعتبر نفسي بريئاً ودون تلوث'.[12] وكان بين متطوعي كوفن من عصبة آيفي آرشي روزفلت، الذي درس الإنكليزية في هارفارد تحت إشراف المدير المشهور لكلية وادهام، موريس باورا (الذي كان في برنامج تبادل من أكسفورد لمدة عام)، وابن عم آرشي كيرمت، كيم روزفلت، الذي كان يسبقه بعدة سنوات في جامعة جروتون وهارفارد.

وكان الارتباط الرئيسي الآخر من عصبة آيفي - ورمز مصدر بي - البروفيسور نورمان هولمز بيرسون، وهو أخصائي محترم في العلوم الإنسانية، ومشهور بسبب تحريره مع دبليو. إتش. أودن لكتاب فايكنغ للشعر، المؤلف من خمسة مجلدات بعنوان *شعراء اللغة الإنكليزية*، وكان موظفاً في رابطة الدراسات الأمريكية ورابطة اللغة الحديثة، ووصيّاً لمؤسسة برايهر، ومديراً لعقار الشاعر إتش. دي. كان بيرسون كذلك من الأوائل في مكتب الخدمات الاستراتيجية التابع للسي آي إي. درب كثيراً من العقول الأكثر قدرة على التطور في ييل، وبينهم أنغلتون وريتشارد إلمان، الذي طوعه في مكتب الخدمات الاستراتيجية.[13] وهو نفسه عمل مع X-2، الفرع المضاد للاستخبارات التابع لمكتب الخدمات الاستراتيجية، واشتغل في لندن تحت إشراف كيم فيلبي، الذي وصفه فيما بعد بأنه 'ساذج'. وأشرف بيرسون أثناء الحرب على جمع الملفات عن مليون عميل ومنظمة للعدو، وكان هذا عملاً تمنى كثيراً له أن يستمر بعد الحرب، رغم إساءته للأفكار الجيفرسونية التقليدية عن الحكومة. إن تلك الاعتراضات الطريفة... تم التغلب عليها بسرعة، كما اكتسب مصطلح عدو تعريفاً ليبرالياً جداً'.[14] وحين عاد إلى ييل، ترأس ما يدعى بـ'تشجيع الدراسات الأمريكية في الوطن وفي الخارج. ومثل دراسات المنطقة الأجنبية، كان لهذا النظام الجديد فحوى إمبريالي واضح، فمن ناحية سمح لنا أن نفهم ملاءمتنا الفريدة لدورنا في مرحلة ما بعد الحرب كحاكم للعالم، وشجع على تقدير رائع لحنكتنا الثقافية بين المحكومين'.[15] وانسجمت مع وجهة النظر هذه مقدمة بيرسون لطبعة راينهارت من *والدن* لـ 'ثورو'، حيث حجّم راديكالية الفردي الأمريكي العظيم وحاول تجريده من أية علاقة مع الفوضى، مشدداً على أن كتاباته تدعم حكومة أفضل، 'هي رمزٌ للحرية الفردية التي نحب أن نعتقد بأن نمط الحياة الأمريكية يستند إليها'.

كان محمي بيرسون الأكثر شهرة هو جيمس جيسوس أنغلتون الذي ولد في إداهو في 1917.و أرسل أنغلتون في سن المراهقة إلى كلية مالفرن في ورسيسترشير، حيث عمل كي يصبح 'أكثر إنكليزية من الإنكليز وتشبّع بكياسة العالم القديم وآداب السلوك الجيدة التي لم تهجره مطلقاً. وبالفعل، منحته الأعوام شخصية أوروبية - أمضى أيضاً عطلاً طويلة في إيطاليا - أضفت غموضاً على خلفيته اليانكية، ومنحته لكنة إنكليزية ضئيلة'.[16] ومكث في جامعة ييل من 1937 إلى 1941، حيث عمل في مجلة *ييل ليت* مع مكجورج بندي، مستشار الأمن القومي المستقبلي، ووالتر سوليفان، الذي أصبح فيما بعد المحرر العلمي لصحيفة *نيويورك تايمز*، والشاعر إي. ريد ويتيمور جي آر. وفي 1938، التقى أنغلتون بإزرا باوند في رابالو، وأصبحا صديقين حميمين، ووصفه باوند فيما بعد بأنه 'أحد أهم الآمال للمجلات الأدبية في الولايات المتحدة'. وحين كتب أنغلتون وصيته في 1949، ترك 'زجاجة كحول جيدة' لإزرا باوند، وإي. كمنجز وشعراء أصدقاء آخرين من مجلة *فيوريوسو*، وأنهى كلامه قائلاً: 'أستطيع أن أقول الآن إنني أؤمن بروح المسيح وبالحياة الأبدية، وبهذا النظام الاجتماعي المضطرب الذي يصارع أحياناً بشكل أعمى كي يحافظ على الحرية. باسم يسوع المسيح أغادركم'. ورغم هذه المشاعر، يذكر ويد ويتيمور أن

أنغلتون – الذي كانت أمه مكسيكية – كان يتضايق من اسمه الأوسط لأنه 'أوحى بأنه ليس إنكليزياً من الطبقة العليا، وكانت هذه هي الصورة التي يريد أن يقدمها آنذاك'.[17]

وأنغلتون، الذي كان يمتلك خبرة قديمة في التآمر اكتسبها من عمله في مكتب الخدمات الاستراتيجية،حمل مواهبه إلى السي آي إي، حيث طور، على ما يبدو، مقدرة لا حدود لها على التآمر البيزنطي. وكان نجاحه الأول هو إدارة حملة أمريكا السرية لضمان النصر للديموقراطيين المسيحيين في الانتخابات الإيطالية التي جرت في 1948. وهذه الحملة التي راقبها ودعمها عن كثب جورج كينان وآلن دلس، كانت فعل أمريكا الأول الناجح في الحرب الباردة السياسية. وبحسب كيم فيلبي، رُقِّيَ أنغلتون إلى رتبة رئيس مكتب السي آي إي للعمليات الخاصة في 949. وكان مسؤولاً طيلة عشرين سنة عن هيئة الوكالة للاستخبارات المضادة (سي آي)، وكان مسؤولاً عن الارتباط مع الاستخبارات الحليفة منذ 1954. وأدار أيضاً مجموعة مستقلة من الصحفيين أدت مهمات حساسة وغالباً ما كانت خطيرة.ولم يكن معاصرو السي آي إي يعرفون أي شيء عن هذه المجموعة التي عملت تحت غطاء ثلجي عميق، واحتفظ أنغلتون بأسرارها بعيداً في خزانة فولاذية في مكتبه يمتلك هو وحده مدخلاً إليها فحسب.

كان أنغلتون زارعاً بارعاً لنباتات السحلبية (ونموذجاً للأم في رواية آرون لاثام *نباتات سحلبية للأم*)، وكان صياداً للسمك من الدرجة الأولى يستخدم الذباب كطعم، ومصوراً أعماله في التصوير منشورة، وكان عاملاً ماهراً في الأحجار الكريمة والجلد، ومعجباً بالأوبرا الإيطالية، وبول نيومان، وروبرت ريدفورد، ومارلون براندو، وبيتر سيلرز، وشيرلي ماكلين، ومباريات الكريكيت وكرة القدم الأوروبية. كان أنغلتون في جميع هذه الأمور، شخصية فائقة للعادة ومصطفاة. قال له بوث لوس في إحدى المرات:'ليس هناك شك بأنك أسطورة حية والشخص الأكثر إمتاعاً وسحراً الذي أنتجه عالم الاستخبارات'.[18] وقال أحد المعجبين إن أنغلتون، الذي كان يبلغ طوله ست أقدام، ويرتدي دوماً ثياباً سوداء، يمتلك 'مظهر بايرون'، وكان نحيلاً جداً وهزيلاً حول الفكين'. ولقد ألهمتْ الصورة الدقيقة للشاعر – الجاسوس، الكثير من الأساطير الرومانسية حول السي آي إي كامتداد للتراث الأدبي الليبرالي الأمريكي.

أما شبكة كورد مبير الخاصة من صلات 'المصدر بي' فقد شدته إلى كلية كينيون، حيث كان شاعراه المفضلان آلن تيت وجون كراو رانسوم يدرسان. وهناك، في 1938، أسس كورد مجلة *كينيون ريفيو*، وهي مجلة صاغت الحساسية الأدبية لجيل، وضمنت هيبتها مرتبة عالية في الداو جونز الثقافي لمدينة كينيون الكسولة والراكدة.و في 1938، استقرت مجموعة من الموهوبين في منزل دوغلاس، وهو بناء خشبي قوطي يقع في مركز الحرم الجامعي، أفرد كـ 'مبنى عزلة' مثالي للشعراء غريبي الأطوار، والمجتهدين الذين يحميهم جون كراو رانسوم. وشملت هذه المجموعة المعروفة باسم 'فتيان رانسوم'، روبي ماكولي، وراندال جاريل، وجون تومسون، وديفد ماكدويل، وبيتر تيلور، والأعلى مقاماً روبرت لويل، عضو الكلية.[19]

وحين كان روبي ماكولي طالباً في كلية أوليفت، مشيغان، في 1937، أصغى إلى محاضرات ألقتها كاثرين آن بورتر وآلن تيت، وشاهد فورد مادوكس فورد يتجول في أنحاء الجامعة

'كمحارب حروب قديمة متقاعد' .وكتب ماكولي فيما بعد مقدمة طبعة 1961 لكتاب فورد *نهاية العرض*. وفي أثناء الحرب، خدم ماكولي أربع سنوات في G-2، سلك المخابرات المضادة، التابع للجيش الأمريكي، وعمل كعميل خاص في اصطياد النازيين. وفيما بعد عبر عن تجربته في مجموعة من القصص القصيرة عنوانها *نهاية الشفقة*، فاز بها بجائزة مجلة *فيوريوسو* للقصة. وبعد أن حصل على شهادة ما بعد التخرج من جامعة آيوا، عاد إلى كلية كينيون ليلتحق بجون كراو رانسوم كمساعد في مجلة *كينيون ريفيو*. وفي آب 1953، قال رانسوم لزميل، إن لديه 'آمالاً كبيرة في جعل روبي عضواً في إدارة الجامعة إذا لم يعمل في وكالة الاستخبارات المركزية، كما سَمِعْتُ أنه سيفعل'.[20] وعرض كورد مير شخصياً عملاً على ماكولي في قسم المنظمات العالمية. وبعد التفكير بالعمل طول الصيف، قبل ماكولي. وقال لي ويليامز: 'لقد طوعه كورد ليكون ضابط مهمة يعمل مع جوسيلسون،لأنه اعتقد،على ما أظن، أنه يستطيع التحدث باللغة الصحيحة'.[21]

والتقط مير فتى رانسوم الثاني حين طوّع جون جاك تومسون، الذي أصبح في 1956 مديراً تنفيذياً لمؤسسة فارفيلد، وهو عمل تمسك به، بعقد من السي آي إي، لمدة عشرة أعوام. وبعد *كينيون*، ألف تومسون بعض المقالات البحثية، وأحدث درجة من التأثير في الطبقة المثقفة في نيويورك. وتذكر صديقه الحميم جاسون إبشتاين: 'لقد التقطه جون كراو رانسوم والمجموعة اللاجئة، ثم فيما بعد التقطه ليونيل وديانا تريلينغ في نيويورك، حيث كان تومسون يُدَرِّسُ الإنكليزية في جامعة كولومبيا. وكان تريلنيغ وزوجته مهووسين بتومسون وزوجته وكانا فنتازيين ومقلدين. وهكذا اقترح تريلينغ جاك كمدير لمؤسسة فارفيلد، ربما لأن تريلينغ كان يأمل الحصول على المال منها من أجل اللجنة الأمريكية للحرية الثقافية'.[22] وفي ذلك الوقت، بدت المسألة فكرة جيدة لتومسون. قال: 'إن الكي جي بي تصرف الملايين، ولكن لدينا أصدقاؤنا أيضاً. كنا نعرف من يستحق، ومن لا يستحق، عرفنا ما هو المتاع الأفضل، وكنا نحاول تجنب الأسلوب الديموقراطي العادي والتافه في رؤية تلك الأموال تذهب إلى يهودي، أو أسود، أو امرأة واحدة، أو جنوبي واحد. أردنا الوصول إلى أصدقائنا، ومساعدتهم، و إلى البشر الذين اتفقوا معنا، وكنا نحاول القيام بأمور جيدة'.[23] ورغم تعاونه لفترة طويلة مع السي آي إي، أُشيرَ إلى تومسون في إحدى طبعات دليل البروفيسورات الأمريكيين، بأنه راديكالي في السياسة'.

بالإضافة إلى تومسون وماكولي، استخدم كورد مير أيضاً عضواً آخر من مجموعة دوغلاس هاوس كرصيد، ولكن هذا أدى إلى نتيجة كارثية، وإن كانت كوميدية بشكل غامض. بالنسبة لرانسوم كان 'أكثر من طالب، إنه مثل ابن لي . كان اسمه روبرت لويل.

ومن الصفوف المدرسية الأقل هيبة لمدرسة تجريبية صغيرة للفتيان في سانت لويس، ميسوري، أضاف كورد مير الروائي الشاب جون هنت إلى قائمة المتطوعين الجدد. وهنت، الذي ولد في موسكوجي، أوكلاهوما، في 1925، درس في مدرسة لورنسفيل في نيوجيرسي، قبل مغادرته كي يتطوع في سلك المارينز في 1943. وبعد أن سُرِّحَ في 1946 برتبة ملازم، دخل هارفارد بمنحة في العام نفسه. وهناك، صار محرر *ستيودنت بروغرسيف* *Student*

Progressive، مجلة الاتحاد الليبرالي لهارفارد. وبعد أن تخرج متخصصاً بشكل رئيسي في الأدب الإنكليزي، وبشكل ثانوي، في اليونانية، تزوج هنت في ذلك الخريف وانتقل إلى باريس، حيث بدأ يؤلف الروايات، ويحضر صفوفاً في جامعة السوربون، ووجد نفسه مسحوراً ومفتوناً بفكرة همنغواي عن الأمريكي في باريس. وبعد أن ولدت له ابنة في تموز 1949، عاد إلى الولايات المتحدة كي يدخل إلى المشغل الأدبي لجامعة آيوا، حيث علم أيضاً في قسم الأدب الكلاسيكي. وهناك، قابل روبي ماكولي. وفي 1951 التحق هنت بكلية مدرسة توماس جيفرسون في سينت لويس، حتى حزيران 1955، حيث قبل آتلانتيك، ليتل براون للنشر الرواية التي بدأها في باريس وهي بعنوان *أجيال الرجال*. وفي حوالي هذا الوقت طوع مبير هنت كضابط مهمة في المنظمة من أجل الحرية الثقافية.

بدأ الضغط الهائل للعمل ومزاجه المتوتر جداً يؤثر على صحة مايكل جوسيسلون، ففي تشرين الأول 1955، في سن السابعة والأربعين، عانى من نوبته القلبية الأولى. وهكذا قرر ميير أن يرسل الملازم جون هنت كي يخفف الحمل. وتبع ذلك تمثيلية فريدة حين أجرى مايكل جوسيلسون مقابلة مع جون هنت رسمياً، بعد أن تلقى بيان سيرة وقائمة من المراجع المتوهجة. وزكى جون فارار، من فارار ستراوس، هنت بسبب 'قدرته الإدارية، وحرصه، وإحساسه بالمهمة في الأمور التي نؤمن بها جميعاً'. وكان تيموثي فوت، محرر *تايم لايف* في باريس، واثقاً أن 'وجوده في أي مشروع سيكون مفيداً بشكل هائل (كذا)'، مضيفاً بأنه 'قوي الإيمان بالمسؤوليات الأمريكية في ما وراء البحار، لكنه لا يشعر أن الولايات المتحدة يجب أن تعتذر عن جهودها أو تأثيرها في البلدان الأجنبية'.[24] وبعد أن أجرى جوسيلسون معه مقابلة في شباط 1956، عُيِّنَ هنت رسمياً في أمانة المنظمة بعد ذلك بوقت قصير. ويمكن الافتراض فقط بأن بيان السيرة وأوراق التزكية كانت جزءاً من غطاء هنت، وكان من المفيد وضعها في الملفات من أجل إعطاء مظهر بأن تعيينه تم بدون خداع.

كانت المنظمة، بالنسبة لهنت، 'هي كلية ييل وهارفارد' مثلما كان البحر بالنسبة لهيرمان ميلفل. ورغم أنه لم يستطع توقع بلوغ السلطة التي بلغها جوسيلسون بعد سنوات من الإدارة المجهدة والموسوسة للدولارات والأمزجة، استفادت المنظمة من حقن دم جديد. وبشر وصول متطوعي ميير بعهد جديد في علاقة المنظمة مع السي آي إي. أنهت نقص ضباط المهمة الملائمين بشكل جيد للعمل، وزودت جوسيلسون بموظفين مساعدين منسجمين فكرياً مع متطلبات المنظمة. وتحسنت العلاقة جداً بين جوسيلسون وماكولي بشكل خاص. وكانا يقومان برحلات في السيارات سوية مع زوجتيهما، وأحياناً ينضم إليهما هنت وزوجته. وتظهرهم الصور سمراً ومسترخين، حيث يبدو ماكولي وهنت كأمريكيين نموذجيين من أمريكيي 1950، بشعر مقصوص بشكل أنيق كالرياضيين، وبنطلونات تشينو، ونظارات بإطار أسود. وفي العمل، كانوا دوماً يشاركون في دعابة على حساب الوكالة. وحين تبيَّن أن عميل السي آي إي سكوت تشارلز، الواصل حديثاً، يسلك كل يوم طريقاً مختلفاً إلى المكتب خشية أن يكون هناك أحد يتعقبه، اعتقد جوسيلسون، وماكولي، وهنت أن سلوكه هذا كان مضحكاً بشكل هستيري.

وقالت ديانا جوسيلسون التي كانت صديقة لماكولي منذ 1941: 'لم يفكر روبي ماكولي مثلهم - يعني السي آي إي - أو يتصرف مثلهم. لم يكن أليكي Alecky ساخراً أو ذكياً. أخطأ مرة واحدة فقط مع مايكل، إذ لم يكن يستجيب حين يسأل مايكل بغضب أو يشرح بغضب موقفاً ما. وهكذا سيزداد غضب مايكل، ويرتفع ضغط دمه، ويكرر نفسه مرة أخرى، وكان روبي فقط يجلس هناك دون أن يقول شيئاً. قلت له مرة إنه لا يتعامل مع مايكل بشكل مناسب، إنه يجب أن يقول شيئاً ما وأن لا يترك مايكل يُثار هكذا'.[25]

وكشف الدافع وراء تطويع مبير التزاماً مدعَّماً بالمنظمة، ولكن هذا برهن أنه مسبب للقلق. فمثلاً أدى وصول وارين مانشيل في 1954 إلى استياء جوسيلسون الذي شعر أن حضور الوكالة داخل جهاز المنظمة أصبح غير ملائم. قالت ديانا جوسيلسون إن مانشيل 'أرسلَ من قبل السي آي إي كي يرفع تقارير حول المنظمة. لقد زُرِعَ في المنظمة من أجل مايكل، الذي كان عليه أن يجد له بعض التغطية. كان جزءاً من سلسلة من العلاقات المتبدلة خارج الهيئة المباشرة، وكان على مايكل فقط أن يصبر عليه'.[26] كان عليه كذلك أن يصبر على سكوت تشارلز، الذي وضع في مكتب باريس كمستمع. قالت ديانا: 'لقد أحببته بالأحرى. وفيما بعد، بعد أن مات مايكل، حرَّرْتُ كتابه السياحي عن جنيف'.[27]

في منتصف الخمسينات، كان جوسيلسون مخلصاً بشكل كامل للمنظمة، التي وضع حاجاتها غريزياً في مستوى أعلى من حاجات السي آي إي. شعر أن المنظمة تحتاج إلى الوكالة فقط من أجل النقود (وكان كورد مبير يحرص على دولاراته، مقحماً محاسب السي آي إي كين دونالدسون في المنظمة كمراقب لنفقاتها العام في لندن). وحاول جوسيلسون أن يحرر المنظمة من اعتمادها المالي على الوكالة، وقام بعروضه الخاصة مع مؤسسة فورد. وكما دعمت مؤسسة فورد سابقاً المنظمة بمبلغ مؤلف من عدة ملايين من الدولارات في منتصف الخمسينات، يمكن التوقع، بشكل معقول، بأنها ستفكر بتحمل العبء المالي الكامل. ولكن الوكالة رفضت أن ترخي قبضتها عن المنظمة، وكان محكوماً على نقاش جوسيلسون مع مؤسسة فورد بالإخفاق من البداية.

وبدلاً من أن يقل حضور السي الآي إي في الحياة الثقافية لتلك الفترة ازداد الآن. وكتب لورنس دي نوفيل من نيويورك إلى جوسيلسون مقدماً أفكاراً للنقاش في مجلة *إنكاونتر*، وبينها مقالة حول موضوع 'ضمير الفرد إزاء متطلبات الهرمية'، زكاها جوسيلسون بسرعة لسبيندر وكريستول. ومن المفترض أنهما كانا يجهلان اهتمام جوسيلسون الخاص بتعقيدات موضوع كهذا. كان رجال آخرون من الوكالة غير قادرين على مقاومة جرة القلم. وواصل جاك تومسون الكتابة لمجلات مختصة مثل *هدسون ريفيو*، وفي 1961 نشرت مقالة *تأسيس البحر الإنكليزي*، وهي دراسة متألقة في الشعر الإنكليزي. وكتب روبي ماكولي لمجلة *كينيون ريفيو*، ومجلة *نيو ريبابليك*، ومجلة *آيريش يونيفيرستي ريفيو*، *وبارتيسان ريفيو*، *ونيويورك تايمز بوك ريفيو*. وأثناء سنوات خدمته في السي آي إي، تابع كتابة الرواية، وألف *أقنعة الحب* (1954) *ونهاية الشفقة وقصص أخرى* (1958).

ونشـرت شـركة هـودر وسـتوتون اللندنيـة كتاباً حـول أفغانسـتان ألفـه إدوارد س. هنتر، وهـو عميل آخر للسي آي إي استخدم غطاء كـاتب مسـتقل، وتجـول في آسـيا الوسـطى لعـدة سـنوات. ونشر فريديريك برايجر، وهو رجل دعاية للحكومة العسكرية الأمريكية في ألمانيـا بعـد الحـرب، حوالي عشرين أو خمسـة وعشـرين مجلداً كـانت السـي آي إي مهتمـة بهـا علـى صعيد الكتابـة، والنشر، أو التوزيع. قـال برايجـر إنهـم عوضـوا لـه إمـا بشـكل مباشـر تكلفـة الطباعـة، أو تكفلـوا بشراء ما يكفي من النسخ لجعله جديراً بالاهتمام وغالباً ما كان الأمر يتم من خلال مؤسسة.

فيما بعد، كتب رئيس هيئة عمل سـرية تابعـة للسـي آي إي:'تختلـف الكتـب عـن جميـع أنـواع إعلام الدعاية لأن كتاباً واحداً يمكن أن يُغَيِّر موقف الكاتب وفعله إلى درجة لا يضاهيهـا تـأثير أية أداة مفردة أخرى (مثل) جعل الكتب السـلاح الأكثر أهميـة للدعايـة الاسـتراتيجية (الطويلـة المدى)'.[28] وبحسب المصدر نفسه، تمت إدارة برنامج السـي آي للكتـب السـرية لخدمـة الأهـداف التالية: 'اجعل الكتب تُنشر، وتُوَزَّع في الخـارج دون كشـف أي تـأثير أمريكـي، مـن خـلال التمويل السري للمنشورات الخارجية أو لبائعي الكتب. اجعل الكتب تُنْشَر دون أن 'تلوثها' علاقـة علنيـة مع الحكومة الأمريكية، خاصة إذا كان موقف الكاتب 'حساساً'. انشروا الكتـب مـن أجـل أسـباب عملياتية، بغض النظـر عـن صـلاحيتهـا التجاريـة. ابـدأوا ومولـوا المنظمـات القوميـة المحليـة أو الدولية لنشر الكتب أو أهداف التوزيع. شجعوا المؤلفين الأجـانب المجهولين علـى تـأليف الكتـب المهمة سياسياً إما من خلال تمويل المؤلف بشكل مباشر، إذا كـانت الاتصـالات السـرية ملائمـة، أو بشكل غير مباشر، من خلال وكلاء أدبيين أو ناشرين'.[29]

وزعمت *نيويورك تايمز* في 1977 أن السي آي إي كانت متورطة في نشـر مـا لا يقـل عـن ألـف كتاب.[30] لم تعلن الوكالة مطلقاً عن قائمة دعمها، لكن من المعروف أن الكتب التي كـان لهـا ضلع فيها تشمل كتاب لاسكي *الثورة الهنغارية*، وترجمات *الأرض الخراب والرباعيات الأربع لـ ت.س. إليوت*، وتلك الكتب التي نشـرتها المنظمـة مـن أجـل الحريـة الثقافيـة، وبينهـا مختـارات شـعرية، وكتاب هيربيرت لوثي *الماضي الحاضر: صراع الأفكار من كالفن إلى روسو*، وكتـاب باتريسـيا بليك *منتصف الطريق إلى القمر: وكتابات جديدة من روسيا* (1964، مـن إصـدارات مجلـة *إنكاونتر*)، *والأدب والثورة في روسيا السوفياتية* الـذي حـرره مـاكس هيـوراد وليوبولـد لابيـدز (مطبعـة جامعـة أوكسـفورد 1963)، *والتاريخ والأمل: التقدم في الحرية* بقلـم كـوت جيلينسـكي، وكتاب برتراند دو جوفينيل *فن الحدس، والأزهار المائة*، حرره روديريك مـاك فاركوهـار، وروايـة نيكولو توتشي Nicolo Tucci السيرية *قبل وقتي*، ورواية بـارزيني *الإيطاليون*، وروايـة باسـترناك *الدكتور جيفاكو*، وطبعـات جديـدة مـن كتـاب *الأمير* لماكيـافيللي. وتحـت دمغـة شـركة تشـيخوف للنشـر ترجمـت أعمـال تشـيخوف الكاملـة ووُزِّعَتْ بشـكل واسـع. وكـانت شـركة تشـيخوف للنشـر ممولة سرياً من السي آي إي.

وبالإضافـة إلـى جـون هنـت، الـذي كـانت حرفتـه الأولـى كاتبـاً، تبـاهت الوكالـة بعـدة روائيـين آخرين. ففـي بـاريس شـارك خريـج ييـل بيتـر ماتهيسـن، مؤلـف روايـة *نمـر الثلـوج* في تأسـيس *بارتيسان ريفيو* وكتب لها، وألف رواية *المشايعون* بينما كان يعمل للسي آي إي. وكان متطوع آخر

من متطوعي كورد ميير هو تشارلز مكاري، الذي نظر إليه فيما بعد كرد أمريكي على جون لي كاري. كان هناك كذلك جورج ميشينر، الذي قاطع العمل مع الوكالة تأليفه لكتب كالقنابل بعناوين رزينة مثل *بولندا*، *آلاسكا*، *تكساس*، *الفضاء*. وفي منتصف الخمسينات، استخدم ميشينير مهنته ككاتب تغطية لعمله في تصفية المتطرفين الذين اخترقوا إحدى عمليات السي آي الآسيوية. قال فيما بعد إن 'الكاتب يجب ألا يخدم مطلقاً كعميل سري لأي شيء أو لأي أحد'.

ثم كان هناك هوارد هنت، مؤلف روايات مثل *شرق الوداع*، *حد الظلمة*، *وغريب في المدينة* (التي كسبت له منحة من ككينهام). وبينما كان يعمل لدى ويزنر في مكتب تنسيق السياسة وقّع هوارد هنت عقد عمل كي ينجز عدة كتب أصلية ورقية الغلاف لمؤسسة فوسيت للنشر تحت دمغة الوسام الذهبي. وفي المكسيك كان مسؤولاً عن نشر كتاب الكاتب والمفكر الماركسي إل كامبيسينو *الحياة والموت في الاتحاد السوفياتي*، إحدى أولى الفضائح الشخصية للإرهاب الستاليني التي صدرت في أمريكا اللاتينية. تُرجم الكتاب وتم توزيعه على نطاق واسع بمساعدة من السي آي إي. وعُيِّن كذلك ضابط المهمة ويليم بكلي كي يساعد مفكراً آخر،هو الماركسي التشيلي إدوسيو رافينيز، كي ينهي كتابه المؤثر الآخر *الطريقة الينية* *Yenan Way*.

وفي أواخر 1961، انضم هوارد هنت إلى قسم العمليات المحلية لتريسي بارنز المؤسس حديثاً. أما بارنز، الذي خدم كنائب مدير لمجلس إدارة الاستراتيجية النفسية، فكان مؤيداً قوياً لاستخدام الأدب كسلاح مضاد للشيوعية، وعمل بجد كي يقوي برنامج السي آي إي للنشر. وكتب هوارد هنت فيما بعد: 'قبل القسم الجديد الأشخاص والمشروعات غير المرغوبة في مكان آخر داخل السي آي إي، وكانت مشاريع العمل السري تلك التي جاءت إليّ تقريباً متعلقة بشكل كامل بالنشر والمنشورات. موّلنا كتباً 'مهمة'، مثل *الطبقة الجديدة* لـ ميلوفان دجيلاس (الدراسة المفصّلة عن الأوليغاركيات الشيوعية)، وهو واحد من عناوين عدة لشركة فريديريك إي. برايجر التي دُعِمَتْ بهذه الطريقة.

يقول هاري هبارد في *شبح هارلوت* لميلر: 'باسم شبح أو آخر، كنتُ أساعد في بعض الروايات المؤيدة للسي آي إي ... بالإضافة إلى الإشراف على عمل أو عملين بحثيين، هذا إذا لم أذكر إنجازي على عجل مقالة لمجلة بين فينة وأخرى حول التهديد الشيوعي القديم المثير للاستياء'. وحتى كتب إرشاد السواح يمكن أن تحتوي على ملاحظات عملاء السي آي إي، الذين تجول عدد منهم في أوروبا مستخدمين كتب فودور المشهورة كغطاء. وفيما بعد دافع يوجين فودور، وهو ملازم أول سابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية، عن هذه الممارسة قائلاً إن العاملين في السي آي إي 'كانوا جميعاً محترفين جداً، ومن نوعية رفيعة. لم نترك مطلقاً السياسة تُهَرَّب إلى الكتب'.[32] وكان ليمان كيركباتريك، الموظف المساعد لمدير السي آي إي، يسهم كل عام بمقالة 'جيوش العالم' في الموسوعة البريطانية التي كان يملكها مساعد وزير الخارجية السابق للشؤون العامة ويليم بينتون. وفي بعض الأحيان كانت مراجعات الكتب في *نيويورك تايمز* أو جرائد أخرى محترمة يؤلفها كتاب السي آي إي بعقد. وكان عميل السي آي إي جورج كارفر

يوقع المقالات باسمه في مجلة *فورين أفّيرز* *Foreign Affairs* (رغم أنه لم يذكر من وظفه). وفي إنكلترا، كان مونتي وودهاوس يكتب المقالات لمجلة *إنكاونتر* وملحق التايمز الأدبي، *تايمز ليتراري سبليمنت*.

كانت ظاهرة الكاتب كجاسوس، والجاسوس ككاتب جديدة بأية حال. واستخدم سومرست موم مكانته الأدبية كغطاء لمهمات كلفه بها جهاز الاستخبارات السري البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى. وكانت مجموعته القصصية السيرية التي كتبها فيما بعد، *آشندن Ashenden*، كتاباً مقدساً لضباط الاستخبارات. وعمل كومبتون ماكينزي للإم آي فايف M15 في الثلاثينات، وحاكمته فيما بعد حكومة جلالتها لكشفه أسماء موظفي جهاز الاستخبارات السري SIS في كتابه *ذكريات إيجية*. واستمد غراهام غرين كثيراً من المادة الروائية من تجربته كعميل سري لجهاز الإم آي فايف M15 – أثناء، وقيل بعد – الحرب العالمية الثانية'.

ولاحظ برايتمان: 'إن المفكرين، أو نوعاً خاصاً منهم، يمتلكون رومانسية بخصوص الخدمات الاستخباراتية. نوعاً من تجربة سن الرشد، كان الدخول في أجهزة الاستخبارات، وخاصة في جامعات معينة مثل ييل'.[33] وبالنسبة للروائي ريتشارد إلمان Richard Elman (يجب تمييزه عن كاتب سيرة جويس Richard Ellman)، كان هناك أيضاً اهتمام جمالي مشترك: 'إن ما يشترك به هؤلاء الأشخاص يستحق التفكير. كانوا جميعاً مسيحيين، بطريقة غير طائفية، على طريقة ت. س. إليوت. آمنوا بسلطة أعلى، بحقيقة أعلى أجازت حملتهم المضادة للشيوعية والإلحاد. وراق ت. س. إليوت، وباوند، وحداثيون آخرون لحساسيتهم النخبوية. ووصل الأمر إلى أن السي آي إي أخذت على عاتقها ترجمة *الرباعيات الأربع* لـ ت. س. إليوت، ثم أسقطت منها نسخاً في روسيا من الجو. كان أولئك أشخاصاً، مثل شو وويلز، وكان 'القرن الاشتراكي للإنسان العام' بالنسبة لهم غير مرحب به. كانوا يريدون الإنسان غير العادي والثقافة الرفيعة. وهكذا، لم يكونوا يوظفون الأموال في الثقافة طوعاً أو كرهاً فحسب'.[34]

وتخيل آلن غينسبرغ أن إليوت جزء من مؤامرة أدبية يديرها صديق إليوت جيمس جيسوس أنغلتون. وفي مقطوعة من عام 1978 تُدّعى 'ت. س. إليوت دخل أحلامي'، تخيّل غينسبرغ أنه 'على الذيل المروحي لقارب متجه إلى أوروبا، كان إليوت يستلقي مع عدة مسافرين على مقاعد ظهر المركب، خلفنا سماء زرقاء غائمة، وأرضية حديدية تحتنا. قلت: وأنت. ما رأيك بهيمنة السي آي إي على الشعر. في النهاية، ألم يكن أنغلتون صديقاً لك؟ ألم يخبرك عن خططه عن إعادة إحياء البنية الفكرية للغرب ضد الستالينيين، إذا جاز التعبير؟ أصغى إليوت بانتباه – دُهشتُ من أنه لم يشرد. 'حسناً، هناك أنواع مختلفة من الأشخاص يتنافسون على الهيمنة السياسية والأدبية... معلموك الروحيون مثلا، والثيوصوفيون*، وقارعو الطاولات والمجادلون، والقراء الذين يجتمعون في حفلات الشاي، والإيديولوجيون. أفترض أنني كهؤلاء، في منتصف

* – أتباع حركة حديثة نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في 1875 وبنيت في المقام الأول على أساس من التعاليم البوذية والبراهمية.

عمري. ولكنني، نعم، أعرف مؤامرات أنغلتون الأدبية، ظننت أنها تافهة – نواياها جيدة لكن لا أهمية لها للأدب'. قلت: 'اعتقدت أن لها بعض الأهمية، بما أنها غَذَّتْ سرياً مهن كثير من المفكرين المحافظين، وغذت مفكرين في الأكاديمية أثروا في النبرة الفكرية للغرب... في النهاية، يجب أن تكون النبرة الفكرية ثورية، أو على الأقل راديكالية، تنقب عن جذور المرض، والمكننة، والهيمنة من خلال الاحتكار غير العادي... كانت الحكومة تدعم من خلال المؤسسات كل ميدان باحثي الحرب... إن تمويل مجلات مثل *إنكاونتر* التي اعتمدت الأسلوب الإليوتي كحجر زاوية للعناية والكفاءة ... فشل في خلق ثقافة بديلة حرة، وحيوية، وغير مركزية، وفردية'.[35]

كان الدفاع عن الثقافة 'الرفيعة'، التي تسلقها أشخاصٌ مثل أنغلتون، آلياً. قال إرفنغ كريستول مرة: 'لن نفكر بتاتاً باتهام أي شخص أو أي شيء بأنه نخبوي. نحن كنا النخبة، القلة السعيدة التي اختارها التاريخ كي ترشد زملاءنا البشر إلى علاج علماني'.[36] إن هؤلاء النخبويون، الذين تربوا على الثقافة الحديثة، عبدوا إليوت، وييتس، وجويس، وبروست. ورأوا أن وظيفتهم هي 'ألا يمنحوا العامة ما يحتاجون إليه، أو ما يعتقدون أنهم يريدونه وإنما – من خلال أداة أعضائهم الأكثر ذكاء – يجب أن يقدموا لهم ما ينبغي أن يحصلوا عليه'.[37] بمعنى آخر، لم تكن الثقافة الرفيعة ذات أهمية كخط دفاع ضد الشيوعية فحسب، وإنما حامية ضد مجتمع جماهيري متجانس، ضد ما رآه دوايت ماكدونالد، مرعوباً، بأنه 'الانتشار الارتشاحي للثقافة الجماهيرية'.[38]

من الصعب تجاهل مفارقة أن الأرستقراطيين الذين كانوا موسومين بالديموقراطية هم الذين ركبوا موجة الدفاع عنها . فهؤلاء الذين صوروا أنفسهم كنخبة من الأمراء تدافع عن القضية ضد البربرية، كانوا حداثيين مرعوبين من الحداثة ومدها ذي الدم المعتم. ففي كلمة وداعية لكلية كينيون في 1940، عبر روبرت لويل عن المخاوف الأكثر ظلمة لهذه الأرستقراطية: 'إنكم جميعاً تعرفون أنه بينما يواصل الماديون والقوطيون،بطريقتهم التي بلا روح،تقطيع أوصال الحضارة، سيأتون إلى جميع القصور الذهبية للتعلم، سيأتون في النهاية إلى ميلتون، وغروتون، وسينت بول، وسينت مارك، وهناك، سيفعل الطلاب الذين ليسوا إنسانيين ومثقفين ما يفعلونه. وسوف يخرج هؤلاء الماديون والقوطيون المستاؤون تلك الدبابير من خلايا النحل ولن يكون هناك أعضاء قديمة للدم الجديد، أما العالم، فسيعود إلى دوراته التي لا تعرف الكلل من التراجع، والتقدم، والتكرار'.[39]

وهؤلاء الذين اقتنعوا أنه ينبغي عليهم تدعيم دفاعاتهم ضد الحطام القادم، كانوا هم الأورليانز Aurelians الذين قرروا في 1949 منح إزرا باوند جائزة بولينجن للشعر من أجل كتابه *أناشيد من بيزا* *Pisan Cantos*. وتفيد إحدى الوقائع كيف أن بول ميلون، المحب للأعمال الخيرية والكريم، شكا إلى آلن تيت وجون كراو رانسوم قائلاً إن كثيراً من الكتاب يساريون. وكان ميلون نفسه متقدماً في ذوقه الفني، لكنه كان محافظاً في السياسة، وهذا تقريباً شيء ضروري لملائكة الحرب الباردة. رد تيت بأن الكتاب هم دوماً في حال من الحاجة والعوز، فلماذا لا يضع ميلون بعض النقود من أجل الهبات، والجوائز أو ما شابه ذلك، وهذا سيجعل المتلقين

أكثر سعادة وأقل ميلاً إلى أن يكونوا ثوريين؟ وهكذا وضع ميلون جوائز بولينجن ميلون كمنح خاصة تتألف قيمة كل منها من عشرين ألف دولار.

وسأل ريتشادر إلمان: 'لماذا رشحوا إزرا باوند؟ لأنه كان يمثل الشكل المطلق في ثقافة الموظفين الكبار الذين كانوا يحاولون حفظه وتعزيزه'.[40] أشعلت الجائزة جدلاً ضخماً، ليس فقط لأن إزرا باوند كان في مستشفى للمجانين المجرمين في ذلك الوقت، وكان الأمريكي الوحيد الذي اتهم بالخيانة العظمى في الحرب العالمية الثانية. لقد تضمنت مواده الإذاعية لإذاعة موسوليني Minculpop في زمن الحرب خطباً عنيفة ضد 'السيد جوزفيلت (روزفلت اليهودي) Jewsevelt، فرانكلين فينكلشتاين روزفلت، ستينكي روزنشتاين Stinkie Roosenstein، وضد اليهود السلافيين، واللامعين، والمداهنين'. قال إن كتاب *كفاحي* 'تاريخ محلل بذكاء'، وسمى مؤلفه 'قديساً وشهيداً' مثل جان دارك. قال إن أمريكا 'غزتها الهوام'. وكتب كارل شابيرو محرر مجلة *بويتري Poetry* أنه كان 'المعارض الوحيد لمنح جائزة بولينجن لباوند، عدا بول جرين، الذي امتنع. وصوّت إليوت، وتيت، وأودن من أجل منح الجائزة لباوند. إنهم مجموعة من الفاشيين'. وحين هاجم ويليم باريت قرار المحكمين تحداه آلن تيت ودعاه إلى مبارزة.

أعاد قرار منح الجائزة لباوند إشعال جميع النزاعات حول علاقة الفن بالسياسة والتي كانت تندلع منذ الثلاثينات، وبدا كأنه يؤكد ما كان يخشى منه كثير من اليساريين: كانت هناك نزعة بين أولئك الذين دعوا أنفسهم ليبراليين للصفح عن، أو تجاهل على الأقل، التسويات التاريخية التي قادت كثيراً من الفنانين - الذين عاد كثير منهم إلى أمريكا ليعيشوا بشكل مريح - إلى استخدام موهبتهم الإبداعية في تملق الفاشية. وفي وقت كان فيه الفن والفنانون مسيسين جداً، بدا من غير الكافي القول، كما فعلت لجنة تحكيم بولينجن بأن 'الإقرار باعتبارات أخرى غير الإنجاز الشعري من أجل تغيير القرار يدمر أهمية الجائزة، وينكر، مبدئياً، صلاحية ذلك الإدراك الموضوعي للقيمة التي يجب أن يستند إليها المجتمع المتحضر'.[41]
كيف يمكن أن يكون الفن مستقلاً من ناحية، ومتى من الملائم أن يُوظَّف لخدمة السياسة من ناحية أخرى؟

الفصل السادس عشر

اليانكيون ورسومهم العابثة

أستطيع أن أرسم بشكل أفضل من أي شخص آخر

جاكسون بولوك، في حلم دي كونينغ

كان هاري ترومان يحب، أثناء توليه لمنصب الرئاسة، أن يستيقظ باكراً ويذهب إلى الصالة الوطنية. كان يصل قبل استيقاظ المدينة، ويهز رأسه بصمت للحارس الذي كان واجبه الخاص هو أن يفتح الباب لجولة الرئيس قبل الإفطار عبر الصالة. كان ترومان يحب هذه الزيارات، ويسجلها في يومياته. في 1948، بعد التمعن في لوحات منوّعة لهولبينز Holbeins ورامبرانت Rembrandts، سجّل الملاحظة التالية: 'إنه لمن الممتع النظر إلى الكمال ثم التفكير بالحداثيين الكسالى والمجانين. ذلك مثل مقارنة المسيح بلينين'. ووصل،بشكل علني، إلى أحكام مشابهة، زاعماً أن العباقرة الهولنديين 'يجعلون رسامينا الحديثين ورجال لحم الخنزير والبَيض يبدون تماماً كما هم'.

طور ترومان، بازدرائه للمحدثين، وجهة نظر اعتنقها كثير من الأمريكيين الذين ربطوا بين الفن التجريبي، وخاصة التجريدي، وبين دوافع منحطة أو تخريبية. إن أولئك الطليعيين الأوروبيين الذين هربوا من الجزمة العسكرية الفاشية الثقيلة دهشوا الآن حين وجدوا أنفسهم في أمريكا حيث تُهاجم الحداثة مرة أخرى. وكان هذا، بالطبع، منسجماً مع الأصولية الثقافية لشخصيات مثل مكارثي، وجزءاً من العملية المشوشة التي بَيَّنَتْ أن أمريكا، التي تؤيد حرية التعبير في الخارج، كانت تضن بحريات كهذه في داخلها. وشُنَّ في الكونغرس هُجَومٌ عنيف قاده جمهوري من ميسوري، هو جورج دونديرو، الذي أعلن أن الحداثة مجرد جزء من مؤامرة عالمية هدفها إضعاف التصميم الأمريكي. وأعلن قبل الانتقال إلى تفسير مختل، وشعري، لتجلياتها المختلفة: 'إن الفن الحديث كله شيوعي. تهدف التكعيبية إلى الهدم من خلال الفوضى المنظمة. وتهدف المستقبلية إلى الهدم بآلة الأسطورة... أما الدادائية فتهدف إلى الهدم من خلال السخرية. وتهدف التعبيرية إلى الهدم من خلال محاكاة البدائي والمجنون. وتهدف التجريدية إلى الهدم من خلال خلق نوبات جنون عابرة ... أما السريالية فتهدف إلى الهدم من خلال إنكار العقل'.[1]

وحاكت تخمين دونديرو العصابي زمرةٌ من الشخصيات العامة، التي رَنَّتْ استنكاراتها الحادة في الكونغرس وفي الصحافة المحافظة. وتوجت هجومهم مزاعم بأن 'الفنانين المغالين في الحداثة يُسْتَخْدَمون بشكل غير واع كأدوات للكرملين'، وبأن اللوحات التجريدية، في بعض الحالات، هي خرائط سرية تشير إلى تحصينات الولايات المتحدة الاستراتيجية.[2] وقال أحد المعارضين: 'إن الفن الحديث هو بالفعل وسيلة للتجسس. إذا عرفت كيف تقرأ اللوحات الحديثة فإنها ستكشف البقع الضعيفة في التحصينات الأمريكية، وأبنية حاسمة مثل سد بولدر.'

لم يكن ذلك وقتاً ملائماً للحداثيين. وكان الأكثر عرضة لهجمات جماعة دونديرو مجموعة من الفنانين ظهرت في أواخر الأربعينات باسم التجريديين التعبيريين. ولكنهم في الحقيقة، لم يكونوا جماعة مطلقاً، ولقد حذَّر دي كونينغ de Kooning مرة قائلاً: 'إنه من الكارثيّ أن نطلق على أنفسنا أية تسمية سوى مجموعة منفصلة من الفنانين الذين يربطهم حبهم للمغامرة الفنية أكثر من أي عامل جمالي شكلي مشترك. لكن ماضياً مشابهاً ربطهم: عمل معظمهم في مشروع الفنون الفيدرالي تحت البرنامج الجديد لروزفلت، وأنتجوا فناً مادياً للحكومة حظيَ بالدعم المادي وتورطوا في السياسة اليسارية. وكان الأبرز بينهم هو جاكسون بولوك، الذي انخرط في الثلاثينات في المشغل الشيوعي لفنان الجداريات المكسيكي ديفد ألفالو سيكويروس. وكان أدولف جوتليب، ويليم بازيوتيس، وعدة فنانين تجريديين آخرين نشطاء شيوعيين. وأما حقيقة أن علاقتهم مع اليسار علاقة غير عميقة فلم تكن هامة لدونديرو وحلفائه، الذين كانوا غير قادرين على التمييز بين السيرة والعمل أو غير راغبين بذلك، ولقد دمجوا السجل السياسي للفنان مع تعبيره الفني ولعنا الاثنين.[3]

وحيث رأى دونديرو في التعبيرية التجريدية دليلاً على التآمر الشيوعي، اكتشف موظفو أمريكا الإداريون الكبار فضيلة مناقضة: بالنسبة لهم، كانت تلك التعبيرية إيديولوجية محددة معادية للشيوعية، إيديولوجية الحرية، حرية المشروع. وكونها غير تجسيدية وصامتة سياسياً فقد كانت النقيض الأساسي للواقعية الاشتراكية. كانت بالضبط نوع الفن الذي أحب السوفيات أن يكرهوه. لكنها كانت أكثر من ذلك. كانت، كما زعم المدافعون عنها، تدخلاً أمريكياً واضحاً في المعيار الحداثي. وفي بداية 1946، صفق النقاد للفن الجديد قائلين إنه 'تعبير حقيقي مستقل عن الإرادة، والروح والشخصية القومية. وبدا كأن الفن الأمريكي، لم يعد، في شخصيته الجمالية، مستودعاً للمؤثرات الأوروبية، وليس مجرد تجميع للمذاهب الأوروبية المجموعة، والمصنفة، والمستوعبة بذكاء أقل أو أكبر'.[4]

وكان الذي نصب ممثلاً رئيسياً لهذا الاكتشاف القومي الجديد هو جاكسون بولوك. قال زميله الفنان بود هوبكينز: 'كان الفنان الأمريكي العظيم. إذا تصورت شخصاً كهذا، ينبغي أولاً أن يكون أمريكياً حقيقياً، وليس أوروبيا مُسْتَتْبَتاً. وأن يمتلك فضائل أمريكية رجولية. وأن يكون أمريكياً خشناً وعنيفاً – وصموتاً، بشكل مثالي – وإذا كان راعي بقر، فإن هذا أفضل بكثير. بالتأكيد ليس شرقياً، وليس شخصاً ذهب إلى هارفارد. ينبغي ألا يكون متأثراً بالأوروبيين كثيراً بقدر ما هو متأثرٌ بمكسيكيينا وهنودنا الأمريكيين. يجب أن يخرج من التربة، من المحلية،

وليس من بيكاسو، أو ماتيس، ويجب أن يُسمح له بالرذيلة الأمريكية العظيمة، رذيلة همينغواي، أي أن يكون سكيراً'.[5]

كان كل ما يقال عن بولوك صحيحاً. فهذا الذي ولد في مربى للخراف في كودي، وايومي Wyoming، دخل المشهد النيويوركي كراعي بقر فظّ الكلام، مسرف في الشراب، يشق طريقه مطلقاً النار من الغرب الضاري. كان هذا ماضياً أسطورياً بالطبع. لم يمتط بولوك حصاناً مطلقاً، وغادر وايومي حين كان طفلاً صغيراً. لكن الصورة كانت ملائمة جداً، *أمريكية* جداً، ولم يشكك بها أحد. روى ويليم دي كونينغ ذات مرة حلماً رآى فيه بولوك يفتح باب بار كراع بقر على الشاشة ويصرخ: 'أستطيع أن أرسم بشكل أفضل من أي شخص آخر!' كان يمتلك خشونة مارلون براندو، والتمرد الشرود لجيمس دين. كان بولوك الرجولة مُجَسَّدةً بالمقارنة مع ماتيس الذي لا يكاد يقدر على رفع فرشاة والرئيس الصوري للحداثة الأوروبية المكتهلة المعرض للشبهة. جاء بتقنية تُعْرَف باسم رسم الفعل، تَضَمَّنَتْ بسط قماشة ضخمة على الأرض - ومن الأفضل في الخارج - وتقطير الألوان عليها. وفي أثناء العمل الشاق، تشق عقد اللون العشوائية طريقها خيطياً عبر الكانفاس وفوق الحواف، ويبدو كأنه منشغل بفعل إعادة اكتشاف أمريكا. منتشية، مفلتة، مزودة بوقود الشراب، بدت الحداثة على يدي بولوك كأنها نوع من الهذيان الضخم. ورغم أن أحد النقاد وصفها بـ'بيكاسو مذوَّباً'، اندفع آخرون للاحتفاء بها على أنها 'انتصار الفن التشكيلي الأمريكي'، الذي عبر عن حقيقة أمريكا: القوية، والمليئة بالطاقة، والحرة، والكبيرة. نظر إليها على أنها تدعم الأسطورة الأمريكية العظيمة عن الصوت المتوحد، والفرد الجسور، وهو تراث عبرت عنه هوليود بقداسة في أفلام مثل *السيد سميث يذهب إلى واشنطن*، وفيما بعد في *اثني عشر رجلاً غاضباً* (ومرة وصف التعبيريون التجريديون أنفسهم بـ'الرجال الغضوبين').

وفي 1948، بالغ الناقد الفني كليمنت غينبرغ، الذي يميل إلى الشجار، والمدمن على الشراب، والمقاتل، في مزاعمه عن الجمالية الجديدة: 'حين يرى المرء... كم ارتفع مستوى الفن الأمريكي في السنوات الخمس السابقة، مع بزوغ مواهب جديدة، مليئة بالطاقة والمضمون مثل آرشيل غوركي، وجاكسون بولوك، وديفد سميث... عندئذ يفرض الاستنتاج نفسه، بشكل يفاجئنا كثيراً، بأن الفرضيات الأساسية للفن الأوروبي قد هاجرت إلى الولايات المتحدة، ومعها مركز جاذبية الإنتاج الصناعي والسلطة السياسية'.[6] وبكلمات أخرى، كانت أمريكا مكاناً لفنان لم يعد يحتاج إلى الشعور بأنه يجب أن 'يهرب منه'، من أجل أن ينضج في أوروبا'.[7] قال جاسون إبشتاين فيما بعد معلقاً على هذا الكلام، دون أن يوافق عليه: 'إن أمريكا، وخاصة نيويورك، أصبحت الآن مركز العالم سياسياً ومالياً، وبالطبع، أصبحت المركز ثقافياً كذلك. حسناً، ما الذي ستكونه قوة عظمى بدون فن ملائم؟ لا تستطيع أن تكون قوة عظمى إذا لم يكن لديك فن يتماشى مع ذلك، مثل البندقية بدون تونتيريتو أو فلورنسا بدون جيوتو'.[8] وبدأت تهيمن فكرة أن التعبيرية التجريدية يمكن أن تصبح أداة للعبء الإمبراطوري. ولكن ظهورها في وقت خزي سياسي وأخلاقي كهذا سبَّبَ لداعميها المدعين مأزقاً حرجاً.

ورغم البلاهة الجلية لاحتجاجات دونديرو، فقد سبّبت في نهاية الأربعينات انهيار محاولات متعاقبة قامت بها وزارة الخارجية لنشر الفن الأمريكي كسلاح دعائي. و أنجز الماديون نصراً أولياً في 1947 حين أجبروا وزارة الخارجية على سحب معرض يدعى 'تطوير الفن الأمريكي'، وهو مجموعة مختارة من الأعمال 'التقدمية' وصل عددها إلى 79 لوحة وبينها أعمال لكل من جورجيا أوكيفي، آدولف جوتليب، وآرشيل غوركي، وكان من المقرر أن تسافر إلى أوروبا وأمريكا اللاتينية. وصل المعرض إلى باريس، ثم انتقل إلى براغ، حيث حقق نجاحاً باهراً بحيث أن الروس أرسلوا على الفور معرضاً مضاداً. وكان الأساس المنطقي الرسمي لهذه المغامرة هو 'تبديد أية فكرة لدى الجمهور الغربي عن الصفة الأكاديمية أو صفة المحاكاة في الفن الأمريكي المعاصر'.[9] ومدح أحد النقاد قائلاً: 'في هذا الوقت نحن لا نستورد براندي محلية تحاكي زجاجات الكونياك ولا نبيذ عصير عنب لا يسكر، وإنما بوربوناً حقيقياً، معتقاً في الغابة – ما يمكن أن يوصف بشكل عادل بأنه نبيذ البلاد'.[10]

بعيداً عن تطوير قضية الفن الأمريكي، أشار المعرض إلى انسحابه الشائن من الحياة. نوقش بقوة في الكونغرس، شُجبَ بأنه تخريبي، وغير أمريكي. كشف أحد المتحدثين نية شريرة 'لإخبار الأجانب أن الشعب الأمريكي مكتئب، محطم، أو شكله كريه، ساخط بشكل كامل من قدره ومتلهف لتغيير الحكومة. إن الشيوعيين والمتعاطفين مع برنامجهم الجديد اختاروا الفن كأحد طرق دعايتهم'.[11] 'إنني أمريكي مهزوم يدفع الضرائب لهذا النوع من القمامة'، صاح آخر، وهو سلف جدير لجيسي هيلمز. 'إذا كان هناك فرد واحدٌ في هذا الكونغرس يؤمن بأن هذا النوع من الهراء... يقدم فهماً جديداً للحياة الأمريكية، إذاً يجب أن يُرْسَل إلى مشفى المجانين نفسه الذي جاء منه الأشخاص الذين رسموا هذه اللوحات'.[12] أُلْغِيَ المعرض، وبيعَتْ لوحة بتخفيض وصل إلى 95 بالمائة كملكية حكومية فائضة. ورداً على تهمة أن كثيراً من الفنانين المشتركين في هذا المعرض متأثرون بالسياسة اليسارية (الذي هو أمر ضروري لكل طليعي يحترم نفسه)، أصدرت وزارة الخارجية مرسوماً جباناً يأمر بأن لا يعرض في المستقبل فنان أمريكي له ارتباطات شيوعية أو متعاطفة مع الشيوعية على نفقة الحكومة. وبهذا، 'أدخل إدراك الفن الطليعي كفن غير أمريكي في السياسة الرسمية'.[13] وتسللت إلى خيال النخبويين الثقافيين رؤية مريعة للبرابرة على بوابات قصر الفن الرفيع. وشجب دوايت ماكدونالد هذه الهجمات بأنها ثقافة بلشفية Kultur bolschewismus، وقال إنه بينما تبدو مقترحة باسم الديموقراطية الأمريكية، فهي بالفعل تعكس الهجمات الكليانية على الفنون. كان السوفيات – وبالفعل الكثير من الأوروبيين – يقولون إن أمريكا صحراء فكرية، وبدا سلوك رجال الكونغرس الأمريكي كأنه يؤكد ذلك. أما الاستراتيجيون ذوو المستوى العالي، المتلهفون ليظهروا للعالم أن هناك فناً متناسباً مع عظمة وحرية أمريكا، فقد اكتشفوا أنهم لا يستطيعون دعمه علناً بسبب المعارضة المحلية. إذاً ماذا فعلوا؟ التفتوا إلى السي آي إي. وبدأ صراعٌ لتأكيد جدارة التعبيرية التجريدية ضد محاولات تشويهها.

وتذكر برادن فيما بعد: 'واجهنا الكثير من المتاعب مع رجل الكونغرس دونديرو. لم يستطع تحمل الفن الحديث. اعتقد أنه تقليد ساخر، واعتقد أنه مذنب، واعتقد أنه قبيح. فجر شجاراً عنيفاً حول الرسم، وجعل من الصعب جداً أن يتماشى الكونغرس مع بعض الأمور التي أردنا القيام بها: إرسال الفن إلى الخارج، إرسال السيمفونيات، ونشر المجلات في الخارج، وما شابه. وكان هذا أحد أسباب ضرورة القيام بذلك سرياً، يجب أن يكون سرياً لأنه سَيُرْفَض إذا طُرِحَ للتصويت في بلد ديموقراطي. من أجل أن نشجع الانفتاح كان علينا أن نكون سريين.'[14] وهنا تكمن المفارقة الكبيرة للاستراتيجية الأمريكية في الحرب الثقافية الباردة: فمن أجل تعزيز قبول للفن المنتج في بلد ديموقراطي، ويتم التباهي به كتعبير عنها، على العملية الديموقراطية نفسها أن يتم تجنبها.

مرة أخرى، التفتت السي آي إي إلى القطاع الخاص كي تحقق أهدافها. ففي أمريكا كانت معظم المتاحف والمجموعات الفنية – كما هي الآن – مملوكة بشكل خاص وتُمَوَّل بشكل خاص. وكان الأبرز بين متاحف الفن الحديثة والطليعية متحف الفن الحديث في نيويورك. وكان رئيسه خلال معظم فترة الأربعينات والخمسينات نيلسون روكفيلر، الذي اشتركت أمه آبي ألدريش روكفيلر في تأسيس المتحف في 1929 والذي كان نيلسون يدعوه 'متحف ماما'. كان نيلسون داعماً حاذقاً للتعبيرية التجريدية، التي أشار إليها بأنها 'الرسم ذو المشروع الحر'. ومع مرور الأعوام، وصلت مجموعته الخاصة وحدها إلى 2500 عمل، وغَطَّتْ آلاف من اللوحات الأخرى ردهات انتظار وجدران مصرف تشيس مانهاتن الذي يملكه روكفيلر.

كان دعم الفنانين اليساريين مجالاً مألوفاً لألدريش روكفيلر. وحين تم الاعتراض على قرارها بدعم الثوري المكسيكي دييغو ريفيرا – الذي غنى مرة: الموت للغرينغوز! خارج سفارة أمريكية – قالت آبي ألدريش روكفيلر إن الحمر سيتوقفون عن كونهم حمراً 'إذا تمكنا من أن نحصل لهم على اعتراف فني'. وتبع هذا بطريقة ملائمة معرضٌ أحادي لريفيرا، وهو الثاني في تاريخ متحف الفن الحديث. وفي 1933، أشرف نيلسون روكفيلر على تكليف ريفيرا برسم جدارية في مركز روكفيلر المشيَّد حديثاً. وحين تفحص في أحد الأيام عمل ريفيرا، لاحظ نيلسون أن لأحد الأشكال ملامح فلاديمير إليتش لينين فطلب من ريفيرا باحترام أن يزيلها. رفض ريفيرا باحترام أيضاً. وبتوجيه من نيلسون، أحيطت الجدارية بالحراس بينما منح ريفيرا شيكاً يغطي أجرته الكاملة بقيمة واحد وعشرين ألف دولار وملاحظة تنفيذية بإلغاء تكليفه. وفي شباط 1934، حُطِّمَتْ الجدارية، التي كانت قد أنجزت تقريباً، بآلات الثقب.

ورغم أن عمل الرعاية الخاص هذا لم يكن ناجحاً، إلا أن المبدأ الذي وجهه لم يُهجر. إذ تابعت شخصيات المؤسسة الاعتقاد بأن فناني اليسار يستحقون الدعم. وأثناء العملية، كان هناك أمل بأن يغرق رنين نقود الراعي الصخب السياسي لقوة الفنان. أما الناقد الفني كليمينت غرينبرغ، الذي فعل الكثير ليضع التعبيرية التجريدية على الخريطة، فقد وضع الأساس المنطقي الإيديولوجي لقبول الرعاية من راع متنور وذلك في مقالة شهيرة بعنوان 'الطليعة وسقط المتاع'. ولا تزال هذه المقالة، التي نُشِرَتْ في مجلة *بارتيسان ريفيو* في 1939،

تعبر عن وجهة النظر النخبوية والمعادية للماركسية في الحداثة. كتب غرينبرغ أن الطليعة 'قد هجرها أولئك الذين تنتمي إليهم بالفعل: طبقتنا الحاكمة'. وتقليدياً كان الدعم يُقَدَّم في أوروبا من قبل 'نخبة بين الطبقات الحاكمة... افترضت الطليعة أنها منفصلة عنها لكنها بقيت مرتبطة بها دوماً بحبل سرة ذهبي'.[15] وقال إن الآلية نفسها يجب أن تسود في الولايات المتحدة. وفي الحقيقة يمكن العثور هنا على الصلة العميقة بين التعبيرية التجريدية والحرب الثقافية الباردة. ولقد عملت السي آي إي ومغامروها الرأسماليون الخاصون وفقاً لهذا المبدأ.

كان توم برادن، بخاصة، منجذباً إلى الفرضية الغرينبرغية بأن الفنانين التقدميين يحتاجون إلى نخبة تدعمهم مالياً مثل أسلافهم في عصر النهضة. قال: ' نسيت من هو البابا الذي كلف ببناء كنيسة سيستين، ولكنني أعتقد لو أن الأمر طرح لتصويت الشعب الإيطالي لكان هناك كثير من الاستجابات السلبية: 'إنها عارية'، أو 'هذه ليست الطريقة التي أتخيل بها الله'، أو ما شابه. لا أعتقد أن الأمر سيمر في البرلمان الإيطالي في ذلك الوقت. كانت هناك حاجة إلى بابا أو إلى شخص يمتلك كثيراً من الأموال كي يعترف بالفن ويدعم الكنيسة. وبعد كثير من القرون يقول الناس: انظروا! كنيسة سيستين، أجمل خلق على وجه الأرض! وهذه مشكلة واجهتها الحضارة منذ الفنان الأول والمليونير المتعدد الأول - أو البابا - الذي دعمه، ومع ذلك لو لم يكن الأمر متعلقاً بأصحاب الملايين المتعددين والبابوات، لما كان لدينا فن'.[16] لقد حملت الرعاية معها، كما عنى برادن، واجباً للتوجيه، لتثقيف الناس كي يقبلوا، لا ما يريدونه، أو يعتقدون أنهم يريدونه، وإنما ما ينبغي أن يريدوه. 'عليك أن تقاتل الجهلة دائماً، أو لنقلها بشكل أكثر لباقة، البشر الذين لا يفهمون فحسب'.[17]

وعلق الناقد الفني فيليب دود: 'هناك طريقة شريرة للنظر إلى هذه المسألة، وهي أن السي آي إي تعاملت مع الفن بشكل جدي. والمسألة هي أنه حين يتدخل السياسيون في الفن فهذا يعني شيئاً ما بالنسبة لهم، سواء كانوا الفاشيين، أو السوفيات أو السي آي إي الأمريكية. وهكذا يمكن أن يكون هناك حجة شريرة تقول إن رجال السي آي إي كانوا أفضل نقاد فنيين في أمريكا في الخمسينات لأنهم اكتشفوا الأعمال التي لا بد أنها كانت منفرة بالنسبة لهم - رسمها يساريون قدامى، خارجون من السريالية الأوروبية - واكتشفوا القوة الكامنة في ذلك النوع من الفن وتماشوا معها. لا تستطيع قول ذلك عن كثير من النقاد الفنيين في ذلك الوقت'.[18]

'فيما يتعلق بالتعبيرية التجريدية، أود أن أكون قادراً على القول بأن السي آي إي اخترعتها كلها، فقط لترى ما يحدث غداً في نيويورك وفي مركز المدينة في سوهو! - قال رجل الوكالة دونالد جيمسون مازحاً قبل أن ينتقل إلى شرح أكثر رزانة. 'عرفنا أن هذا كان نوع الفن الذي لا تربطه أية علاقة بالواقعية الاشتراكية، وجعل الواقعية الاشتراكية تبدو أكثر أسلبة وصرامة وتقييداً مما كانت عليه. ولقد استغلتْ تلك العلاقة في بعض المعارض. كانت موسكو في تلك الأيام ماكرة جداً في شجبها لأي نوع من الابتعاد عن نماذجها الخاصة الصارمة جداً. وهكذا يستطيع المرء أن يفكر بشكل سوي وصحيح بأن أي شيء ينتقدونه بهذا القدر، وبهذا الشكل القمعي، هو جديرٌ بالدعم بشكل أو بآخر. وبالطبع، لا يمكن إنجاز مسائل من هذا النوع إلا من

خلال المنظمات وعمليات السي آي إي. وهكذا لن يكون هناك أي سؤال عن ضرورة دعم جاكسون بولوك، مثلاً، أو فعل أي شيء يورط أولئك الأشخاص في المنظمة – سوف يستخدمون من بعيد فحسب. لا أعتقد أن هناك أية علاقة مهمة بيننا وبين روبرت مزرويل، مثلاً. ولم يكن بالإمكان أن تكون السي آي إي أكثر قرباً وبالتأكيد يجب ألا تكون قريبة أيضاً، لأن معظمهم كانوا بشراً يكنون احتراماً قليلاً جداً للحكومة بخاصة، ومن المؤكد أنهم لا يكنون أي احترام للسي آي إي. وإذا اقتضت الضرورة استخدام أشخاص يعتبرون أنفسهم، بطريقة أو بأخرى، أكثر قرباً إلى موسكو من واشنطن، حسناً، ربما هذا أفضل بكثير.'[20]

كان متحف الفن الحديث يعمل بمعزل عن السي آي إي، وبالتالي قدم غطاء حقيقياً لمصالحها. وكشف تفتيش لجان متحف الفن الحديث ومجالسه انتشاراً للروابط مع الوكالة. أولاً وقبل كل شيء، كان هناك نيلسون روكفيلر نفسه، الذي ترأس وكالة استخبارات الحكومة في أمريكا اللاتينية في وقت الحرب، والتي سميت جهاز تنسيق الشؤون الأمريكية المتبادلة (CIAA). ورعت هذه الوكالة، بين نشاطات أخرى، معارض متجولة 'للفن التشكيلي الأمريكي المعاصر'. وتعاقد تسعة عشر من هذه المعارض مع متحف الفن الحديث. وكوصي لصندوق الأخوة روكفيلر، وهو مؤسسة في نيويورك تعاقدت معها الحكومة لدراسة الشؤون الخارجية، ترأس روكفيلر بعض أكثر العقول تأثيراً في الفترة وهم يصوغون تعريفات للسياسة الأمريكية الخارجية. وفي أوائل الخمسينات، كان يتلقى معلومات عن النشاطات السرية من آلن دلس وتوم برادن، الذي قال فيما بعد: 'افترضت أن نيلسون كان يعرف كل شيء عما كنا نفعله'. وكان هذا افتراضاً معقولاً بما أن نيلسون عُيِّن مستشاراً خاصاً لآيزنهاور لشؤون استراتيجية الحرب الباردة في 1954 (بدلاً من سي دي جاكسون)، وترأس مجموعة تنسيق التخطيط التي كانت تشرف على جميع قرارات مجلس الأمن القومي، وبينها عمليات السي آي إي السرية.

كان صديق روكفيلر الحميم هو جون 'جوك' هي ويتني، الذي كان وصياً لمتحف الفن الحديث لوقت طويل، وخدم أيضاً رئيساً له ورئيساً لمجلس الإدارة. كما أن جوك، الذي درس في غروتون، وييل، وأكسفورد، حوَّل ميراثاً كبيراً إلى ثروة واسعة من خلال تمويل الشركات الناشئة لمسرحيات برودواي وأفلام هوليود. وكمدير لقسم روكفيلر للأفلام السينمائية في جهاز تنسيق العلاقات الأمريكية المتبادلة من 1940 – 1942، أشرف جوك على إنتاج أفلام مثل فيلم ديزني *تحياتي يا أصدقاء Saludas Amigos*، الذي يطفح بالدعاية الأمريكية. التحق بمكتب الخدمات الاستراتيجية في 1943، وأسره الجنود الألمان في جنوب فرنسا في آب 1944، ونقل في قطار اتجه شرقاً قبل أن يقوم بهرب جسور. وبعد الحرب أسس (ج. هـ. ويتيني و سي أو) 'كشراكة مخصصة لنشر نظام المشروع الحر من خلال تقديم الدعم المالي للمشاريع الجديدة، غير المتطورة، والمهددة التي يمكن أن تعاني من مشكلة في جذب رؤوس الأموال الاستثمارية من خلال قنوات أكثر محافظة'.[21] وكان الشريك البارز وليام إتش. جاكسون، وهو لاعب بولو صديق لجوك الذي صادف أنه هو أيضاً نائب مدير السي آي إي. كان جوك يشغل منصباً في مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية 'ووجد طرقاً كثيرة ليكون مفيداً للسي آي إي'.[22]

كانت الصلة الأخرى هي ويليم بيردن، الذي التحق بالمتحف في البداية كرئيس للجنته الاستشارية في 1940. وجسَّد بيردن، المنحدر من العميد البحري فاندربيلت، مؤسسة الحرب الباردة. وهو الذي كان سابقاً وزير الخارجية لشؤون الجو، عمل أيضاً لمكتب تنسيق العلاقات الأمريكية المتبادلة تحت إشراف روكفيلر أثناء الحرب. وكسب أيضاً ثروة شخصية وسمعة 'كرأسمالي مغامر من الصف الأول'. ترأس كثيراً من الهيئات شبه الحكومية، وبينها مؤسسة فارفيلد التابعة للسي آي إي (التي كان رئيساً لها)، وكان سعيداً في عمله كرجل واجهة. وفي 1947، عُيِّنَ رئيساً للجنة مجموعات المتحف، وفي 1956 أصبح رئيس متحف الفن الحديث.

وتحت رئاسة بيردن، 'كان رينيه دارنونكور Rene d'Harnoncourt يرسم السياسة المتعلقة بعمليات المتحف'، من خلال مداولات تتم على أساس الموافقات الروتينية'.[23] وهذا ما منح دارنونكر مجالاً كي يمارس مواهبه المعتبرة مثل الكاردينال ولسي Cardinal Wolsey الذي كان من دوائر البلاط المحيطة بمتحف الفن الحديث. ودارنونكور، هذا الذي يبلغ طوله ست أقدام وخمسة إنشات، ويزن مائتين وثلاثين رطلاً، والمولود في فيينا، كان شخصاً غير عادي، 'انحدر، مباشرة، من عدد من النبلاء الأوروبيين الذين ازدهروا كموظفي بلاط كبار وإداريين لعدد من دوقات لورين، وكونتات لوكسمبورغ، وأباطرة هابسبرغ'.[24] هاجر إلى الولايات المتحدة في 1932، وعمل أثناء الحرب في قسم الفنون في جهاز تنسيق الشؤون الأمريكية المتبادلة. ثم طوعه نيلسون بعد ذلك في المتحف الذي أصبح مديراً له في عام 1949. اعتقد دارنونكور أن 'الفن الحديث في تنوعه الذي لا حدود له واستكشافه الذي لا يتوقف' هو 'الرمز الأول' للديموقراطية، وعبأ الكونغرس بشكل علني أثناء الخمسينات كي يُمَوِّلَ حملة ثقافية ضد الشيوعية. ورغم أن برادن كان يؤكد بأن 'الأشخاص في متحف الفن الحديث أحبوا أن يعالجوا الأمور داخلياً'، فقد قال إنه من المحبذ أكثر أن يكون رينيه دارنونكور 'صلة الوكالة في المتحف'. كان دارنونكور بالطبع يستشير مجلس إدارة تنسيق عمليات مجلس الأمن القومي (الذي حل محل مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية). وكان يرفع أيضاً التقارير بانتظام إلى وزارة الخارجية. ومَنَحَتْ هذه الارتباطات قوة أكبر للتعليق القائل بأن دارنونكور، كان مثل أسلافه، 'موهوباً في جعل نفسه جزءاً لا يتجزأ من سلسلة متداخلة من الرعاة'.[25]

وكان ويليم بالي، وريث شركة كونغرس للسيجار، وصياً آخر لمتحف الفن الحديث جمعته روابط وثيقة مع عالم الاستخبارات. ولكونه صديقاً شخصياً لآلن دلس، سمح لشبكة سي بي إس CBS التي يمتلكها أن تقدم غطاء لموظفي السي آي إي، في ترتيب شبيه بذلك الذي أجازه هنري لوس في إمبراطوريته *تايم - لايف* (كان لوس أيضاً وصياً لمتحف الفن الحديث). وفي أوج هذه العلاقة، كان مراسلو السي البي إس يجتمعون مع قادة السي آي إي مرة في السنة من أجل عشاء خاص ونقل للمعلومات. وكانت جلسات العشاء التي هي من، 'شؤون الناضجين ذوي الحديث الرنان على المائدة والسيجار الجيد'، تتم في منزل دلس أو في ناديه الخاص، الآليبي، في واشنطن. وأما تورط بالي مع السي آي إي، فقال عنه أحد مدراء السي بي إس: 'إنه الموضوع الوحيد الذي فشلت ذاكرته في استحضاره'.[26]

وتتابع الأسماء، وتتواصل الروابط. كان جوزف فيرنر ريد، على سبيل المثال، وصياً لمتحف الفن الحديث في الوقت نفسه كما كان وصياً لمؤسسة فارفيلد. وهكذا كان غاردنر كاولز، وجنكي فلايشمان، وكاس كانفيل. وكانت أوفيتا كليب هوبي، العضو المؤسس لمتحف الفن الحديث، في مجلس إدارة لجنة أوروبا الحرة، وقد سمحت بأن تُسْتَخْدَم مؤسستها العائلية كقناة للسي آي إي، وحينما كانت وزيرة خارجية لشؤون الصحة والتربية والرفاه في عهد آيزنهاور، كانت مساعدتها هي جوان برادن، التي عملت سابقاً لنيلسون روكفيلر. تزوجت جوان من توم. وعمل توم أيضاً، قبل أن يلتحق بالسي آي إي، عند نيلسون روكفيلر كسكرتير تنفيذي لمتحف الفن الحديث من 1947 إلى أواخر 1949.

وكما قال غور فيدال مرة: 'لكل شيء مجموعات كثيرة من الروابط في جمهوريتنا اليعقوبية غير المتوقعة بحيث لا يفاجئك أي شيء بعد الآن'. يمكن القول بالطبع إن هذا الانسجام لم يكشف إلا طبيعة السلطة الأمريكية في ذلك الوقت. فمعرفة هؤلاء الأشخاص لبعضهم بعضاً، أو ارتباطهم سياسياً (وحتى رسمياً) بالسي آي إي لا يعني أنهم كانوا متآمرين في تشجيعهم للفن الأمريكي الجديد. ولكن دفء العلاقة فيما بينهم تكفّل باستمرار مزاعم تقول إن متحف الفن الحديث كان، بطريقة ما رسمية، مرتبطاً ببرنامج حرب الحكومة الثقافي السري. ولقد تحرّت هذه الإشاعة لأول مرة إيفا كوكروفت في 1974، وذلك في مقالة رشيمية لمجلة *آرتفورم Artform* بعنوان 'التعبيرية التجريدية: سلاح الحرب الباردة'، وقالت فيها: 'إن الصلات بين سياسة الحرب الباردة الثقافية ونجاح التعبيرية التجريدية هي، بأية حال، متزامنة... لقد صاغها بشكل واع في ذلك الوقت الأشخاص الأكثر نفوذاً والذين سيطروا على سياسة المتحف وناصروا تكتيكات حرب باردة تنويرية مصمَّمة للتودد مع المفكرين الأوروبيين.'[27] فضلاً عن ذلك، أكدت كوكروفت: 'بلغة الدعاية الثقافية، كانت وظائف كل من جهاز السي آي إي الثقافي وبرامج متحف الفن الحديث الدولية، متشابهة، وفي الحقيقة، كان يدعم بعضها بعضاً بشكل متبادل'.[28]

وقال لورنس دي نوفيل: 'لم تكن لي علاقة بدعم بولوك أو أي شخص آخر. لا أذكر حتى متى سَمعتُ به لأول مرة. لكنني أذكر أني سمعتُ بأن جوك ويتيني وآلن دلس وافقا على أنه ينبغي أن يفعلا شيئاً ما حيال الفن الحديث بعد أن استسلمت وزارة الخارجية'.

على هذا النحو ربما يمكن تعريف عبارة 'يدعم بعضها بعضاً بشكل متبادل'.[29] وليس هناك دليل كاف على أي اتفاق رسمي بين السي آي إي ومتحف الفن الحديث. والحقيقة هي أنه لم يكن ضرورياً.

هاجم المدافعون عن متحف الفن الحديث باستمرار الزعم القائل بأن دعم المتحف للتعبيرية التجريدية ارتبط بالتطوير السري لصورة أمريكا العالمية. وبنحو مثير للفضول، كانت إحدى الحجج التي استخدموها هي أن متحف الفن الحديث أهمل الحركة في بداية ظهورها. وكتب مايكل كيميلمان في رد كلفه به متحف الفن الحديث: 'لقد جرت معظم معارض المتحف

للتعبيرية التجريدية في الوطن، ولم تجر في الخارج إلا في أواخر الخمسينات، وفي ذلك الوقت كان جيل الحركة الأول قد تبعه مسبقاً جيلٌ ثان'.[30] من المكر أن نقول إن متحف الفن الحديث فقد ما كان تحت أنفه فحسب، فذلك يتجاهل حقيقة أن المتحف اقتنى، بثبات واستمرار، أعمالاً للتعبيريين التجريديين منذ فترة ظهورهم الأول. فمنذ عام 1941، اقتنى المتحف أعمالاً لكل من آرشيل غوركي، وأليكسندر كالدر، وفرانك ستيلا، وروبرت مزرويل، وجاكسون بولوك، وستيوارت ديفس وآدولف جوتليب. وفي أيار 1944، باع المتحف في مزاد علني 'أعمالاً معيّنة من أعماله الفنية من القرن التاسع عشر كي يقدم أموالاً لشراء أعمال تنتمي إلى القرن العشرين'. ورغم أن فواتير البيع كانت مخيِّبة، فقد تم تأمين الأموال الكافية لشراء لوحات هامة لكل من 'بولوك، ومزرويل، وماتا'. وهكذا جرى إحضار الجيل الجديد من الرسامين الأمريكيين إلى حظيرته، ومثلما هو متوقَّع من متحف للفن الحديث فقد أقرَّ أنه تولى 'مسؤولية أخلاقية ضخمة إزاء الفنانين الأحياء الذين يمكن أن تتأثر وظائفهم وثرواتهم بشكل سيئ من دعم المتحف أو من غياب هذا الدعم'.[31]

وأن يتم جمع هذه المقتنيات رغم المعارضة الداخلية فذلك يلقي مزيداً من الضوء على التصميم لتعزيز حق التعبيرية التجريدية في الحصول على اعتراف شرعي لائق. وحين شجَّع النقد الصحفي المعادي بعض أعضاء لجنة مقتنيات المتحف 'شككوا، بقوة، بصلاحية مقتنيات معيَّنة، وبينها لوحاتٌ تُدْعى 'تعبيرية تجريدية''[32]، لم تكن احتجاجاتهم فعّالة، ولم يقف أحدٌ في الطريق حين استقال أحد أعضاء اللجنة محتجاً على شراء لوحة لفنان يدعى روثكو. وبالنسبة للجولات الأوروبية، فقد اختير كل من مزرويل، ومارك توبي، وجورجيا أوكيفي، وجوتليب لمعرض 'الفن التشكيلي الأمريكي من القرن الثامن عشر إلى اليوم الحاضر'، والذي افتتح في لندن في 1946، قبل أن ينتقل إلى عواصم أوروبية أخرى. كان هذا ظهوراً أولياً للتعبيرية التجريدية في معرض جماعي تحت الرعاية الرسمية (ولقد قُدِّمَتْ الرعاية من وزارة الخارجية ومن مكتب معلومات الحرب). وفي العام نفسه، عرض متحف الفن الحديث لأربعة عشر فناناً أمريكياً بينهم غوركي، مزرويل، وتوبي وثيودور روزاك. وفي 1948، كان لينكولن، الناشط السابق في متحف الفن الحديث، يتشكى في *هاربرز Harpers* قائلاً إن المتحف 'قام بعمله بشكل جيد جداً تقريباً' من خلال جعل نفسه 'أكاديمية تجريدية حديثة' عُرِّفَتْ مذاهبها كالتالي: 'الارتجال كطريقة، التشويه كصيغة، والرسم... كتسلية يتلاعب بها مزيّنون داخليون وتجار يمارسون ضغطاً عالياً'.[33] وفي 1951 هاجم خمسون فناناً أمريكياً، بينهم إدوارد هوبر، وتشارلز برشفيلد، وياسو كونييوشي وجاك ليفن، في ما صار يُعْرَف بـ'بيان الواقعية'، هاجموا متحف الفن الحديث 'لأنه صار يتماثل أكثر فأكثر، وعلناً، مع الفن التجريدي وغير الموضوعي'، وتلك 'عقيدة'، شعروا بأنها نبعت 'بشكل كبير من المتحف الحديث وتأثيره غير المشكوك به في أنحاء البلاد'. وفي العام نفسه، هجتْ الشهرية الشيوعية، *ماسيز آند مينستريم Masses and Mainstream*، الفن التجريدي و'معبده' متحف الفن الحديث، في خطبة عنيفة كان عنوانها – 'الدولارات، الرسوم التافهة، والموت' – نبوئياً بشكل غريب.

هل يمكن القول إن متحف الفن الحديث صعد متأخراً ؟ حين نقل سيدني جانيس المعرض الجماعي 'الفن الأمريكي الطليعي من أجل باريس' إلى صالة دو فرانس في أواخر 1951، فشل فشلاً ذريعاً. كانت المراجعات فاترة في أحسن الأحوال، ومعظمها عدائية. لم تُبَع لوحة واحدة. وقال جانيس: 'كان باكراً جداً'. وكان مالكو صالات خاصة آخرون، من الذين دافعوا عن مدرسة نيويورك، مدينين، بدون شك، لاعتراف متحف الفن الحديث الباكر. وقال ساموييل كوتز من صالة كوتز: 'يجب أن أقول إن المتحف الحديث كان أول من قبل أشخاصاً مثل مزرويل، وجوتليب، وبازيوتيس، وكان ألفرد بار متحمساً لأولئك الرجال الثلاثة وأوصل هذه الحماسة إلى أشخاص مثل بيردن، أو نيلسون روكفيلر، وإلى آخرين من المجموعة الحديثة من الأوصياء'.[34]

وكصانع ذوق موثوق في زمنه كانت مناصرة آلفرد بار للتعبيرية التجريدية أساسية لنجاحها. وُلد بار في ديترويت في 1902، ودخل جامعة برينستون في 1918، وامتلك اهتماماً محموماً بالفن، والتاريخ العسكري، والشطرنج (وهذا يعكس اهتمامه بالاستراتيجية والتكتيك). وفي 1929، وبدعوة من آبي آلدريش روكفيلر، أصبح المدير الأول لمتحف الفن الحديث، واحتفظ بهذا المنصب حتى 1943، حين حل محله رينيه دارنونكور. تابع بار عمله في المتحف، وفي شباط 1947 عُيِّنَ مديراً لمقتنيات المتحف. وفي لمحة مختصرة عن حياته في مجلة ذ *نيويوركر*، وصفه دوايت ماكدونالد بأنه 'صوت خجول، وضعيف، ومنخفض، بسيماء باحث، غرابة أنفه الذي يشبه المنقار، ووجهه المزين بالنظارات لا تريحه إلا نوعية الابتسامة التي يراها المرء على التماثيل اليونانية القديمة أو في ملامح المحلل النفسي المغلقة بحرص'. لكن ماكدونالد لاحظ أن هناك الكثير في بار أكثر 'من كونه بروفيسوراً عجوزاً ظريفاً وشارد الذهن فحسب. فهو، في طريقته الهادئة المستقيمة، أكثر من مجرد سياسي... 'إن اليد الإيطالية الرائعة لآلفريد بار' لعبتْ دورها في خلق جو من التآمر في المتحف، حيث الأمور لم تكن بالضرورة كما تبدو إلى درجة أن فناناً حائراً دعا المكان 'منزل اللغز إذا لم يكن المرح'. واقتبس ماكدونالد كلام بيغي ككينهايم التي قالت مرة عن بار إنها 'كرهت صفته الحذرة'، واقتبس كلام معاصر آخر اكتشف فيه 'شيئاً ما من الجزويتي. ولكن كما مارس الجزويتيون خدعهم من أجل مجد الله الأعظم، هكذا ناور بار من أجل المجد العظيم للفن الحديث والمتحف'.[35]

ووراء استراتيجيات متحف الفن الحديث، في هذه الفترة المسيسة بشكل كبير، كان هناك دليل على 'اليد الإيطالية' لبار. وكجزء من مناورة محكمة لتهدئة المعارضة حيال اعتناء المتحف بالتعبيرية التجريدية، اتبع 'سياسة متشعبة في اتجاهين، لأسباب بارعة أو دبلوماسية، لم يُقَر بها مطلقاً، لكنها تجلتْ، بخاصة في برنامج معارض المتحف'.[36] وهكذا، لم يكن هناك نقصٌ في المعارض التي تناسب الذوق السائد من أجل فن تشكيلي رومانسي أو تمثيلي، وهذا قاد أحد النقاد إلى أن يهاجم المتحف قائلاً إنه مخصص 'لفن زمن أجدادنا' أكثر مما هو مخصص 'لفن زماننا'.[37] ولكن بار كان يقتني، بشكل متزامن، أعمالاً لمدرسة نيويورك، ويحاول، بشكل متكتم، أن يحظى بدعم مؤسساتي أوسع. وكان هو الذي أقنع هنري لوس من *تايم - لايف* بتغيير

سياسته التحريرية إزاء الفن الجديد، قائلاً له في رسالة بأنه يجب حمايته، بشكل خاص، وليس إنقاذه كما يحدث في الاتحاد السوفياتي، لأنه في النهاية، 'مشروع فني حر'.[38] وهكذا تم كسب لوس – الذي آمن بعبارة 'الصحة الفكرية لأمريكا' والتي كان يرددها دوماً – لصالح مصالح بار ومصالح متحف الفن الحديث. وفي آب 1949، قدمت مجلة لايف صفحتيها الأوليين الرئيسيتين لجاكسون بولوك، وقدمت الفنان وأعماله على جميع طاولات احتساء القهوة في أمريكا. إن هذا الغطاء الذي جَهد بار لضمانه أنهى حال الإهمال.

لكن القروض التي قدمت لأوروبا من مقتنيات متحف الفن الحديث هي التي توضح بشكل أفضل ثروات مدرسة نيويورك. برعاية من البرنامج الدولي، الذي تأسس في 1952 من خلال منحة سنوية طيلة خمس سنوات تتألف من مائة وخمسة وعشرين ألف دولار من صندوق الأخوة روكفيلر، أطلق المتحف برنامج تصدير شاملاً للتعبيرية التجريدية، أشار إليه بار بأنه شكل 'من الدعاية الخَيِّرة للأنتلجنسيا الأجنبية'.[39] وقال ناشط آخر من متحف الفن الحديث إنه 'رصيد ضخم من أجل تحقيق الفهم الأجنبي'. وكان مدير البرنامج هو بورتر مكري، خريج من بيل ومحارب قديم آخر في مؤسسة نيلسون روكفيلر الاستخباراتية في أمريكا الجنوبية. وفي كانون الأول 1950، أخذ مكري إجازة لمدة عام من عمله كمدير لقسم متحف الفن الحديث للمعارض المنتشرة كي يصبح ملحقاً في الخدمة الخارجية الأمريكية، وعُيِّنَ في القسم الثقافي لمشروع مارشال في باريس. وعن هذا الانتقال كتب رسل لينز في كتابه عن تاريخ متحف الفن الحديث: 'إن المتحف يملك الآن، وهو مسرور من ذلك، العالم كله – أو على الأقل العالم خارج الستارة الحديدية – كي يهدي فيه الناس، رغم أن الدين القابل للتصدير هذه المرة نما في الوطن خلافاً لما كان في الماضي رسالته الرئيسية، أي الإيمان القابل للاستيراد من أوروبا'.[40] وشاهد مكري في فرنسا، في البداية، التأثير السلبي لإبعاد وزارة الخارجية الرسمي لمن يدعون بالفنانين اليساريين، مما أدى، كما قال أحد مسؤولي السفارة الأمريكية، إلى 'ثغرة في المصالح والأنشطة الأمريكية من المستحيل أن يفهمها الأوروبيون وسيستخدمها الشيوعيون لإظهار أنها تبرر تهمتهم بأن أمريكا لا تسهم في القيم الأساسية للحضارة الغربية'.[41] عاد مكري إلى متحف الفن الحديث بمهمة تهدف إلى تصحيح هذا الانطباع. وازدادت، بإشرافه، قروض المتحف من أجل المعارض الجوالة بشكل درامي، وإلى 'درجة مقلقة نوعاً ما'، بحسب تقرير داخلي. ولقد تُرِكَ المتحف 'مجرداً من أفضل لوحاته الأمريكية لمدة ثمانية عشر شهراً' في 1955. وفي 1956، نظَّم البرنامج الدولي ثلاثة وثلاثين معرضاً دولياً، وبينها الاشتراك الأمريكي في بينالي البندقية (الدولة الوحيدة التي مُثِّلَتْ بشكل خاص). وفي الوقت نفسه ازدادت القروض إلى السفارات والقنصليات الأمريكية على نحو درامي.

وقال والدو راسموسين، مساعد مكري: 'كانت هناك سلسلة من المقالات التي ربطت البرنامج الدولي لمتحف الفن الحديث بالدعاية الثقافية، وإيحاءات بأنه مرتبط بالسي آي إي، بما أنني عملتُ هناك طول تلك السنوات أستطيع أن أقول، بشكل بات، إنها غير صحيحة!'[42] 'كان التأكيد الرئيسي للبرنامج الدولي ينصب على الفن، ولم يكن على السياسة، لم يكن متعلقاً

بالدعاية. وفي الحقيقة كان من المهم لمتحف أمريكي أن يتجنب إيحاء الدعاية الثقافية، ولهذا السبب لم يكن دوماً مفيداً القيام بصلات مع السفارات الأمريكية، أو شخصيات حكومية أمريكية، لأن هذا سيوحي بأن الهدف من المعارض هو الدعاية، وهو لم يكن هكذا'.[43]

لم يكن متحف الفن الحديث حراً أيضاً من الدعاية، ولا من الشخصيات الحكومية. حين قبل، مثلاً، عقداً لتزويد المعرض الفني لمهرجان الروائع الذي نظمته المنظمة من أجل الحرية الثقافية في 1952، فقد فعل ذلك تحت رعاية أوصياء كانوا على علم كامل بدور السي آي إي في تلك المنظمة. فضلاً عن ذلك، ناصر أمين المتحف جيمس جونسون سويني – عضو اللجنة الاستشارية لمتحف الفن الحديث، واللجنة الأمريكية لحرية الثقافة – علناً القيمة الدعائية للمعرض حين أعلن: 'سوف تُعْرَض روائع لا يمكن أن تبدعها أو تسمح بعرضها أنظمة كليانية كألمانيا النازية، والاتحاد السوفياتي وتوابعه'.[44] أما وجهة النظر القائلة بأن الفن التجريدي مترادف مع الديموقراطية، وأنه 'إلى جانبنا'، فقد شدَّد عليها كذلك آلفرد بار، الذي استعار من بلاغة الحرب الباردة حين أكَّد بأن 'عدم انسجام الفنان الحديث وحبه للحرية لا يمكن السماح بهما في بلد استبدادي أحادي لأن الفن الحديث بلا فائدة لدعاية الديكتاتور.'[45]

أما جولة معرض 'اثني عشر فناناً ونحاتاً أمريكياً'[46]، بين 1953 و1954، وهو أول معرض لمتحف الفن الحديث مخصص بشكل حصري لمدرسة نيويورك، فقد كانت أكثر أهمية بكثير من معرض روائع نابوكوف. فهذا المعرض الذي افتتح في المتحف الوطني للفن الحديث بباريس، كان المعرض الأول الهام للفن الأمريكي الذي تم في متحف فرنسي خلال أكثر من خمسة عشر عاماً. ولاحتواء التهمة بأنه كان 'طليعة لغزو ثقافي' لفرنسا – التي لا يمكن الاستخفاف بشوفينيتها الثقافية – ادعى متحف الفن الحديث أن المعرض هو نتيجة طلبات تقدم بها المتحف المضيف. وفي الحقيقة، كان العكس هو الصحيح. وبحسب برقية من السفارة الأمريكية في باريس، 'في أوائل شباط 1953، طلب متحف الفن الحديث من قسم العلاقات الثقافية في السفارة مناقشة جين كاسو، مدير المتحف الوطني للفن الحديث في باريس، حول إمكانية القيام بالمعرض الحالي. كان السيد كاسو قد رتَّب سابقاً قائمة بجميع معارضه حتى ربيع 1954. وحين علم، على أي حال، بأن هذا المعرض سيكون متاحاً، أعاد تنظيم خططه وأجَّل معرضاً للفنان البلجيكي، إنسور، كان مخططاً له'.[48]

السفارة الأمريكية التي لم تكن قادرة على لعب أي دور في هذا المعرض فقد اقتصر عملها على لعب دور الارتباط بين متحف الفن الحديث ومضيفيه الفرنسيين، وهما الرابطة الفرنسية للعمل الفني، التابعة لوزارة الشؤون الخارجية ووزارة التربية الوطنية. وقدمت الرابطة تبرعاً مهماً من أجل كتالوج ممتاز، وملصقات و'جميع أنواع الدعاية للمعرض'. وكانت العلاقة رائعة: كانت الرابطة كذلك متبرعاً للمنظمة من أجل الحرية الثقافية، وكان مديرها فيليب إرلانجر، بحسب جنكي فلايشمان، 'واحداً من أولئك الأشخاص في فرنسا الذين كانوا أكثر مساعدة وتعاوناً في كل مرة بحيث أننا كنا نتداول معه حول أية مشكلة تتعلق بالمنظمة'.[49] كان إرلانجر في الحقيقة صلة سي آي إي مزروعة في وزارة الخارجية الفرنسية. ومن خلاله، اكتسبت المنظمة

من أجل الحرية الثقافية – وفي هذه المناسبة متحف الفن الحديث – قناة معقولة للأموال الفرنسية الرسمية المخصصة لمبادرات الدعاية الثقافية. أما رينيه دارنونكور، الذي علق أهمية كافية على المعرض بحيث علّق اللوحات بنفسه، فلا يمكن أن يكون جاهلاً بهذه العلاقة. وبدأت وكالات الصحافة الفرنسية تغمز من قناة المناورة السياسية التي تكمن خلف المعرض، وأشير إلى متحف الفن الحديث الفرنسي بشكل يثير الشكوك بأنه موقع جديد 'لمجال الولايات المتحدة'، وأشارت إلى الفنانين بأنهم 'الحواريون الاثنا عشر للسيد فوستر دلس'.

وحين استعد 'معرض الاثني عشر رساماً ونحاتاً أمريكياً' من أجل رحلته الثانية – انتقل إلى زوريخ، ودسيلدورف، وستوكهولم، وأوسلو، وهلسنكي – كان متحف الفن الحديث يُحَضِّر مسبقاً لمشاركته في معرض سيقوده مرة ثانية إلى علاقة مباشرة مع المنظمة من أجل الحرية الثقافية. وكتبَ مونرو ويلير، مدير معارض ومنشورات متحف الفن الحديث، إلى نابوكوف في التاسع من نيسان 1954، مؤكداً أن 'لجنتنا التنسيقية وافقت على أن نتعاون بقدر ما نستطيع مع مشروعك من أجل معرض للوحات فنانين بين عمر الثمانية عشرة والخامسة والثلاثين. نحب أن نقترح للعضوية في لجنتك الاستشارية الدولية مدير الفن التشكيلي والنحت في المتحف، السيد أندرو كارندوف ريتشي'.[50]

وكانت نتيجة هذا التعاون 'معرض الرسامين الشبان'، الذي افتتح في الصالة الوطنية للفن الحديث في روما، ثم انتقل إلى قصر الفنون الجميلة في بروكسل، وإلى المتحف الوطني للفن الحديث في باريس، وإلى مؤسسة الفن المعاصر في لندن. وكانت معظم اللوحات المائة وسبعين في المعرض، أعمالاً تجريدية. واختار ريتشي، الذي اعتقد أن الفنانين، الذين يعملون وفق النموذج التجريدي، كانوا يستجيبون، بطريقة ما، 'لضعف، وحتى لجدب، معظم الرسم التجسيدي غير الشيوعي'، اختار أعمالاً لريتشارد داينكورن، وسيمور دراMليفيتش، وجوزيف غلاسكو، وجون هلتبيرغ، وإرفنغ كريسبرغ وتيودوروس ستاموس. وهكذا، فبينما كان الجمهور الأوروبي يتعرف على الموجة الأولى من التعبيريين التجريديين، كان ريتشي مسبقاً يرسل الموجة الثانية.

وكالعادة، خصصت المنظمة من أجل الحرية الثقافية جوائز نقدية ضخمة لأفضل ثلاث لوحات (اقتسم هلتبيرغ الجائزة الأولى لأفضل لوحة مع جيوفاني دوفا وآلن رينولدس، وتلقى كل منهم عشرة آلاف فرنك سويسري، أو ألفي دولار، تبرع بها فلايشمان). وقدمت مؤسسة فارفيلد بشكل مباشر الأموال لتنظيم المعرض، ومن أجل تنقله ودعايته أثناء عام تجواله. وزاد متحف الفن الحديث من مبلغ نقل الأعمال إلى ومن أوروبا، مستخدماً نقوداً من صندوق الأخوة روكفيلر. ولعبت شبكة إعلام المنظمة دورها لتوسيع تأثير المعرض. ولقد خصَّصتْ مجلة بروف *Preuves* نصف عددها في تشرين 1956 للمعرض، ونَشَرتْ مسحاً دولياً للفنانين الشبان حول موضوع التجريد إزاء الفن التجسيدي[51]. وأرسل جوسيلسون الذي جزم أن 'مشكلات الفن الحديث يمكن أن تكون هواية لي'، أرسل المسح إلى روكفيلر، وقال إنه يحتل 'مكاناً مرموقاً بين موضوعات النقاش في باريس اليوم'.[52]

ومن خلال التعاون مع المنظمة امتلك متحف الفن الحديث مدخلاً إلى المؤسسات الفنية الأوروبية الأكثر هيبة. وكان في لجنة المنظمة للفنون مدراء قصر الفنون الجميلة في بروكسل، متحف سويسرا للفن الحديث، مؤسسة لندن للفن المعاصر، متحف القيصر فريدريك في برلين، والمتحف الوطني للفن الحديث في باريس، متحف ككينهايم (نيويورك والبندقية) والصالة الوطنية للفن الحديث في روما. وامتلكت هذه اللجنة الممتزجة بالقوة الاقتصادية لمتحف الفن الحديث (ومن وراء الستارة، مؤسسة فارفيلد)، امتلكت الاتساع والمدى كي تؤثر في الأذواق الفنية في أوروبا. وكتب أحد المعلقين على 'الرسامين الشباب' قائلاً 'إن حقيقة انسجام المعرض مع الذوق السائد لتيارات متنوعة من الفن التجريدي، وأنه لا يقدم مفاجآت، تُعزى على الأرجح إلى تركيبة لجنة الاختيار. تقريباً جميع أعضاء اللجنة مدراء متاحف وهكذا لا يمكن توقع تجاوز الأفضل الذي تم تأسيسه.'[53]

يمكن أن يكون هناك شك قليل بأن هذه الأرثوذكسية السائدة صُنِّعَتْ وفقاً لجدول عمل سياسي، وليس جمالي فحسب. كان برنامج عمل أجازه آيزنهاور الذي، على عكس ترومان قبله، اعترف بقيمة الفن الحديث وبأنه 'عمود للحرية'. وفي خطاب له أيد بشكل علني عمل متحف الفن الحديث، فقد صرَّح آيزنهاور: 'طالما أن الفنانين أحرار في الشعور بتوتر شخصي عال، طالما أن فنانينا أحرار في أن يبدعوا بإخلاص وإيمان، سيكون هناك جدل صحيٌّ وتقدم في الفن... لكن كم كان الأمر مختلفاً في دولة مستبدة. حين يتم تحويل الفنانين إلى عبيد وأدوات للدولة. فحين يصبح الفنانون رجال الدعاية الرئيسيين لقضية ما، يُعاق التقدم، ويتم تدمير الإبداع والعبقرية.'[54] وحاكى هذه الكلمات رئيس سابق للبرنامج الدولي لمتحف الفن الحديث يدعى أوغوست هيكشر، فزعم أن عمل المتحف 'مرتبط بالصراع المركزي في العصر: صراع الحرية ضد الطغيان. نعلم أنه حيث يهيمن الطغيان، سواء في ظل الفاشية أو الشيوعية، فإن الفن الحديث يُدمَّرُ ويُنْفى.'[55]

وانضم جورج كينان إلى إيديولوجية 'الفن الحر' هذه قائلاً لجمهور من ناشطي متحف الفن الحديث في 1955 أن من واجبهم 'أن يصححوا عدداً من آراء العالم الخارجي عنا، وهي آراء بدأت تؤثر في مركزنا الدولي بطرق مهمة جداً.'[56] قال كينان: 'إن هذه المشاعر السيئة مرتبطة بالأوضاع الثقافية وليس بالسياسية'. وأدهشت فكرته الثانية الجميع: 'يعرف الكليانيون أنهم إذا ظهروا أمام العالم الخارجي وكأنهم يحظون بثقة الفنانين فإنهم يستطيعون أن يزعموا، بشكل قابل للتصديق، أنهم خلقوا حضارة تبعث الأمل وجديرة بالإكبار... وأجد من المحزن أنهم وصلوا إلى هذا الفهم بشكل أسرع من كثيرين من أبناء شعبنا.'[57] وسأل كينان: ماذا كانت طبيعة المهمة أمامنا؟ علينا... أن نظهر للعالم الخارجي أن لدينا حياة ثقافية، وأننا حريصون عليها في آن، أننا نحرص عليها بشكل كاف، ونشجعها وندعمها هنا في الوطن، ونرى أنها صارت غنية من خلال التعرف على نشاط مشابه في مكان آخر. وإذا كان بالإمكان فقط نقل هذه الانطباعات بقوة كافية وبنجاح إلى البلدان التي وراء حدودنا، *فأنا أحد الذين سيقايضون المستودع المتبقي من الدعاية السياسية برمته بالنتائج التي يمكن إنجازها من خلال هذه النتائج فقط.*'[58]

إن دعم المنظمة من أجل الحرية الثقافية للرسم التجريبي، التجريدي بشكل مفرط، على حساب علم الجمال التمثيلي أو الواقعي، يجب أن ينظر إليه في هذا السياق. وواضح من أقوال توم برادن ودونالد جيمسون أن السي آي إي شعرت أن عليها دوراً تلعبه في تشجيع قبول الفن الجديد. وتوضح سجلات مؤسسة فارفيلد أيضاً أن الوكالة عبَّرتْ عن التزامها بالدولار. فبالإضافة إلى دعم معرض 'الرسامين الشبان'، مرت عدة تبرعات من فارفيلد إلى متحف الفن الحديث، وبينها ألفا دولار لمجلسه الدولي في 1959، من أجل توفير الكتب حول الفن الحديث للقراء البولنديين.

هناك دليل إضافي، لا يقبل الجدل، بأن السي آي إي كانت عنصراً فاعلاً في الآلية التي شجعت التعبيرية التجريدية. فبعد 1955 و1956 تماماً أغلق معرض 'الرسامين الشبان'، وبدأ نيكولاس نابوكوف يخطط للمتابعة. ورغم بداية متعثرة، تمت الموافقة على الاقتراح في أوائل 1959. وقدم صلة الوصل بين المنظمتين جنكي فلايشمان، رئيس لجنة المنظمة للموسيقى والفنون، والعضو في مجلس الفنون الدولية التابع لمتحف الفن الحديث (وهو نسخة موسعة من البرنامج الدولي). ومن ناحية أخرى، اختار متحف الفن الحديث المشاركة الأمريكية للمعرض، ومعظمها من الأعمال التي شُحِنَتْ إلى أوروبا من أجل بينالي باريس. وفي نهاية العام، كان سكرتير نابوكوف قادراً على إخبار جنكي بأن أنباء المعرض المخطط له 'اجتاحت الدوائر الفنية مثل إعصار. جميع الفنانين الشبان في باريس، جميع الصالات الفنية، جميع نقاد الفن (كذا) يتصلون بالمنظمة ليعرفوا القصة. سوف يكون ضربة هائلة.'[59]

وهذا المعرض الذي كان عنوانه في الأساس المصادر الشعرية للرسم الحديث والذي افتتح أخيراً في كانون الثاني 1960 في متحف اللوفر للفنون الزخرفية، سُمّي، بشكل أكثر تحريضاً، 'تضادات' Antagonismes. وكانت الأعمال التي تهيمن على المعرض هي لمارك روثكو (الذي كان في فرنسا في ذلك الوقت)، وسام فرانسيس، وإيف كلين (في معرضه الأول في باريس)، وفرانز كلين،و لويس نيفيلسون، وجاكسون بولوك، ومارك توبي وجون ميتشيل. وتم إحضار كثير من اللوحات إلى باريس من فيينا، حيث عرضتها المنظمة كجزء من حملة أكثر اتساعاً، أدارتها السي آي إي من أجل تدمير مهرجان الشبان الشيوعي الذي عقد في 1959. وكلَّف المعرض وكالة الاستخبارات المركزية خمسة عشر ألف وثلاثمائة وخمسة وستين دولاراً، ولكن من أجل نسختها الموسعة في باريس كان عليها أن تحفر بشكل أكثر عمقاً. وغُسِلَ مبلغ عشرة آلاف دولار إضافي من خلال مؤسسة هوبليتزيل، أضيف إليه مبلغ عشرة آلاف من رابطة العمل الفني الفرنسية. ورغم أن الصحافة خَصَّصَتْ 'انتباهاً مسرفاً' لمعرض 'تضادات'، إلا أن المنظمة كانت مضطرة للاعتراف بأن المراجعات كانت في المجمل 'مزدرية جداً'. ورغم أنه تم كسب بعض النقاد الأوروبيين لصالح 'الرنين الرائع' و' العالم الميت والمسبب للدوار' للتعبيرية التجريدية، تردد كثيرون آخرون أو غضبوا منه. وذهل ناقد في برشلونة كتب عن 'الفن التشكيلي الأمريكي'، الذي تجول به متحف الفن الحديث في ذلك العام، من أن لوحتين زيتيتين،واحدة لجاكسون بولوك، وأخرى لغريس هارتيغان، كانتا كبيرتي الحجم جداً بحيث كان يجب نشر الجزء العلوي

مـن المدخل المعدنـي مـن أجـل إدخالهمـا. 'الأكبر في العـالم'، أعلنت *La Libre Belgique*، التـي تضـايقت مـن أن 'هـذه القـوة، المعروضـة في نوبـة مـن الحريـة المطلقـة، تبـدو في الحقيقـة مـداً خطيراً. إن فنانينا التجريديين، جميع الفنانين الأوروبيين 'غير الرسميين'، يبـدون أقزامـاً أمـام القوة المزعجة لهؤلاء العمالقة غير المقيدين.'[60] وكثرت الإشارات إلى الحجم، والعنف، والغـرب الضـاري، كمـا لـو أن النقـاد أمسكوا الكتـالوج الخطـأ، واعتقـدوا أن ويـات إيـرب Wyatt Earp، وبيلي الطفل Billy the Kid، رسما اللوحات.

ولـم يكـن الرسـامون الأوروبيـون هـم فقـط مـن شـعروا بـأنهم قُزِّمـوا أمـام عملقـة التعبيريـة التجريدية. قال آدم غوبنيك فيما بعد إن 'الأعمـال المائية الضخمـة أصبحـت الأسـلوب الوحيـد للمتحف الأمريكي، وأجبرت جيلين من الواقعيين على العيش في الأقبية وتمضية حياة هادئة في الجوار مثل دار نشر سرية.'[62] وقال جون كانادي إنه في 1959 'كانت التعبيريـة التجريديـة في أوج شعبيتها، إلى درجة أن فناناً مجهولاً يحاول أن يعرض في نيويورك لا يستطيع أن يجد صالة إلا إذا كان يرسم وفق نموذج مستمد من عضو أو آخر من مدرسة نيويورك.'[63]

وقال كانادي إن النقاد 'الذين لمحّوا بأن التعبيرية التجريدية تستغل نجاحها وبـأن الطقـوس الاحتكارية قد استمرت طويلاً، كان من الممكن أن يجدوا أنفسهم في 'موقف مؤلم' وزعم كانـادي أن عدم تقديره لمدرسة نيويورك سبب له تهديـداً بـالموت.'[64] وكـانت بيغـي ككينهـايم، التـي عـادت إلى الولايات المتحدة في 1959 بعد غياب دام اثني عشـر عامـاً، كـانت 'مصعوقـة، مـن أن الحركـة الفنية برمتها أصبحت مضاربة عمل ضخمة'.

أما متحف الفن الحديث، الذي وصفه أحد النقاد بأنه 'كارتل للحداثة معدَّل بشكل مفـرط'، فقد تمسك بعناد بدوره التنفيذي في صناعـة تـاريخ للتعبيريـة التجريديـة. وهـذا التـاريخ المنظَّم والمنهجي، قلَّما كان مرة محرضاً وغريباً بالنسبة لصيغة أكاديمية، لتكلف ملقّن، وفـن رسـمي. وبعد أن نصبته المعايير هكذا، فقد أصبح أكثر أنواع الفن حرية يفتقد للحرية. وأنتج المزيد من الرسامين المزيد والمزيد من اللوحات التـي صـارت أكثر ضخامـة وفراغـاً. وكـان هـذا الانسـجام الأسلوبي نفسـه، الـذي قـدم وصفتـه متحـف الفـن الحديث، والعقـد الاجتمـاعي الأكثر اتسـاعـاً والـذي هـو جـزء منـه، همـا اللـذان دفعـا التعبيريـة التجريديـة إلـى حافـة التدنـي. قـال جاسـون إبشتاين: 'كانت مثل ثياب الإمبراطور في عرض في الشارع وهي تقول: هذا هو الفن العظيم، أما البشر الذين على طول مسار العرض فسيتفقون معك. من سيقف أمام كليم غرينبرغ وفيما بعد أمـام روكفيلـر اللذيـن كانـا يقتنيـان اللوحـات مـن أجـل ردهـات مصـارفهم ويقـول: إن هـذا المتـاع مرعـب؟'[65] ربمـا كـان دوايـت ماكدونـالد علـى صـواب حـين قـال: 'قلـة مـن الأمريكيين هـم الذيـن يهتمون بأن يجادلوا مائة مليون دولار.'[66]

ماذا عن الفنانين أنفسهم؟ ألم يعارضوا بلاغة الحرب الباردة – ما دعاه بيتر فولر بـ 'الغسـل الإيديولوجي' – الذي غالباً ما رافق معارض أعمالهم؟ إن إحدى الصفات الخارقة للدور الـذي لعبه الفن التشكيلي الأمريكي في الحرب الثقافية الباردة ليس أنه أصبح جزءاً من هذا المشـروع فحسب، وإنما أن تصبح حركة أعلنت عن نفسها، بشكل محكم، بأنها غير سياسية مسيَّسـة

بهذا الشكل الكبير. صرح الفنان بول برلين: 'إن الفن التشكيلي الحديث هو حصن التعبير الإبداعي الفردي، بمعزل عن اليسار السياسي، وشقيقه في الدم، اليمين.'[67] وبالنسبة للناقد هارولد روزنبرغ، استلزم فن ما بعد الحرب 'الخيار السياسي في التخلي عن السياسة'. 'ومع ذلك، وفي رد فعلهم السياسي العنيف ضد السياسة، وفي شرحهم الظاهري بأن الإيديولوجيات المتنافسة استنفدت نفسها وبددت المناصرين... أصبح الرسامون الجدد وداعموهم، بالطبع، منخرطين بشكل كامل في مسائل اليوم.'[68]

هل كان عملهم بكامله متناقضاً مع الوظيفة الاجتماعية والسياسية التي استخدم من أجلها؟ كتب بارنت نيومان في تقديمه لكتالوج معرض،1943 المعرض الأول للفنانين الأمريكيين: 'جئنا سوية كفنانين أمريكيين حديثين لأننا نشعر بحاجة إلى أن نقدم للجمهور مجموعة فنية تعكس بشكل صحيح أمريكا الجديدة التي تحدث اليوم، أمريكا، التي، كما يؤمل، ستصبح المركز الثقافي للعالم'.[69] هل ندم نيومان على هذا السياق القومي؟ رأى ويليم دي كونينغ أن هذه 'الأمريكانية' 'عبء معيّن' وقال: 'إذا كنت من أمة صغيرة، فإنك لا تشعر بهذا. فحين كنت أذهب إلى الأكاديمية، وأرسم صوراً زيتية عارية، كنت أصنع اللوحة وليس هولندا. أشعر أحياناً أن الفنان الأمريكي يجب أن يشعر شعور لاعب بيسبول أو شيء ما: عضو في فريق يكتب التاريخ الأمريكي'.[70] مع ذلك في 1963، كان دي كونينغ فخوراً باستلام وسام الرئيس. 'إن فكرة رسام أمريكي معزول تبدو لي سخيفة، تماماً كما ستبدو فكرة خلق رياضيات أو فيزياء أمريكية صرفة سخيفة،'[71] قال ذلك جاكسون بولوك، الذي مات على مقود سيارته قبل أن يواجه خيار إن كان سيقبل هذه التكريم أم لا.

أما روبرت مزرويل، الذي كان في البداية سعيداً بأن يكون جزءاً من 'مهمة جعل الرسم في أمريكا مساوياً للرسم في أي مكان'، فقد فكر فيما بعد بأنه 'من الغريب أن تكون السلعة أكثر قوة من الإنسان الذي يصنعها؟'[72] شجب المزاعم القومية من أجل التعبيرية التجريدية في السبعينات ودعم الفنان الإنكليزي التجريدي باتريك هيرون حين تحدى حق أمريكا في ممارسة احتكار القيادة الثقافية، وكتب عن 'جهود هيرون الشجاعة فيما يتعلق بإمبريالية نيويورك... إن جيلك في إنكلترا قام بجهد بطولي ليصل إلى ما وراء فن السادة والذي لم يأخذ آنذاك أو الآن حقه العادل بسبب نقيصة نيويورك في الكرم مع جيلك في بريطانيا'. وأضاف مزرويل أنه تطلع إلى الأمام إلى 'قصة غير شوفينية للفن الحديث'، وانتهى بإعادة التأكيد لهيرون بأن 'الأمريكيين ليسوا جميعهم مغولاً'.[73]

كان مزرويل عضواً في اللجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية. وهكذا كان بازيوتيس، وكالدير، و بولوك (رغم أنه كان مختل العقل من إدمان الكحول حين انضم إليها). ورفض الرسام الواقعي بين شان Ben Shahn الانضمام، مشيراً إليها بأنها تافهة. وأصبح المتعاطفان السابقان مارك روثكو وآدولف جوتليب معادين للشيوعية ملتزمين أثناء الحرب الباردة. وفي 1940 ساعدا في تأسيس اتحاد الفنانين والنحاتين الحديثين الذي شجب جميع التهديدات الموجهة إلى الثقافة من الحركات السياسية القومية والرجعية. وفي الأشهر التالية، أصبح

الاتحاد وكيلاً فعالاً لمعاداة الشيوعية في عالم الفن. لقد هدف إلى فضح تأثير الحزب في منظمات فنية متنوعة. وقاد روثكو وغوتلييب هذه الجهود كي يدمرا الحضور الشيوعي في عالم الفن. وكان هذا الإخلاص لتلك القضية غريباً جداً بحيث أنهما استقالا حين جرى التصويت كي يوقف نشاطاته السياسية في 1953.

وكان آد راينهارت Ad Reinhardt الفنان التعبيري التجريدي الوحيد الذي واصل شق طريقه إلى اليسار، وهكذا تجاهله عالم الفن الرسمي حتى الستينات. وتركه هذا في موقع ملائم كي يشير إلى التناقضات في حياة وفن أصدقائه السابقين، الذين أفسحت أمسياتهم الكحولية في بار سيدار المجال لاقتناء منازل في الهامبتونز، وبروفيدنز، وكيب كود، والذين حلت محل صورهم الجماعية على غرار صورة 'السريعي الغضب' من 1950، ملامح في مجلة فوغ *Vogue* أظهرت هؤلاء الشبان الغاضبين مثل سماسرة البورصة الذين وصفوهم بأنهم ' تأمليون' أو 'فنانو نمو'، وبلغوهم عن سوق للتعبيرية التجريدية 'يغلي' بالنشاط. وشجب راينهارت بقسوة شديدة أصدقاءه الفنانين لخضوعهم لإغراء الجشع والطموح. وسمى روثكو رساماً تزيينياً تافهاً عديم القيمة من مجلة فوغ *Vogue*، 'متسولاً في سوق هاربرز'. كان بارنيت نيومان ' طليعياً يبيع بالتجزئة وحانوتياً تربوياً'، ومتقلباً في النعيم المقدس، وشارحاً ومسلياً مقيماً' (وهذا التعليق دفع نيومان إلى أن يرفع دعوى). لم يتوقف راينهارت عند هذا الحد. قال إن المتحف يجب أن يكون 'منزل كنز ومدفناً، وليس منزل إحصاء أو مركز تسلية'.[74] وقارن النقد الفني بالهراء ساخراً من غرينبرغ بأنه ديكتاتور وبابا. وكان راينهارت التعبيري التجريدي الوحيد الذي شارك في مسيرة واشنطن من أجل حقوق السود في آب 1963.

من الصعب دعم الحجة القائلة إن التعبيريين التجريديين 'رسموا أثناء الحرب الباردة فحسب وليس من أجل الحرب الباردة.'[75] فمقولاتهم الخاصة، وأحياناً ولاءهم السياسي، يدمر الادعاءات بالانفصال الإيديولوجي. وفي الوقت نفسه لا يمكن اختزال التعبيريين التجريديين إلى التاريخ السياسي الذي وضعوا فيه. فالتعبيرية التجريدية كانت مثل الجاز – وهي – ظاهرة إبداعية وجدت بشكل مستقل وحتى، نعم، بانتصار، بمعزل عن الاستخدام السياسي الذي دُفِعَتْ إليه. قال فيليب دود: 'ليس هناك شك بأننا نحتاج إلى فهم الفن كله ضمن العلاقة مع زمنه، من أجل أن يكون للتعبيرية التجريدية معنى، يجب أن نفهم كيف صُنِّعَتْ أثناء لحظة فائقة للعادة في العلاقات الأوروبية والأمريكية. على المستوى السياسي كان هذا جيلاً من الراديكاليين الذين رماهم التاريخ على الشاطئ، وعلى المستوى القومي ظهروا تماماً في اللحظة التي أصبحت فيها أمريكا هي الإمبراطورية الثقافية العظيمة في فترة ما بعد الحرب الباردة. تحتاج جميع هذه الأمور إلى فهم من أجل أن نستطيع تقدير إنجازاتهم. لكن فنهم لا يمكن اختزاله إلى تلك الأوضاع. صحيح أن السي آي إي كانت متورطة – وأنا ألومها على هذا بقدر ما يلومها أي شخص آخر. لكن هذا لا يشرح لماذا أصبح مهماً. كان هناك شيء ما في الفن نفسه سمح له أن ينتصر.'[76]

قُتل جاكسون بولوك في حادث اصطدام سيارة في 1956، وفي ذلك الوقت كان آرشيل غوركي قد انتحر شنقاً. وشرب فرانز كلين حتى الموت خلال ست سنين. وفي 1965، مات النحات ديفد سميث نتيجة حادث سيارة. وفي 1970 قطع مارك روثكو شرايينه ونزف حتى الموت على أرض مرسمه. شعر بعض أصدقائه بأنه انتحر لأنه لم يستطع تحمل تناقض كونه أمطر بالجوائز المادية من أجل أعمال 'زأرت بمعارضتها للمادية البرجوازية.'

يقول راوي موهبة *همبولت*: 'البلاد فخورة بشعرائها الميتين. إنها ترضى بشكل هائل من شهادة الشعراء بأن أمريكا فظة جداً، كبيرة جداً، كثيرة جداً، قاسية جداً، أن الواقع الأمريكي مستبد... لقد تمت البرهنة على ضعف القوة الروحية في طفولة، وجنون، وسكر، ويأس هؤلاء الشهداء... وهكذا الشعراء محبوبون، لكنهم محبوبون فقط لأنهم لا يستطيعون العيش هنا. إنهم يوجدون كي يضيئوا ضخامة التشابك المريع.'[77]

الفصل السابع عشر

غضب الوصي

في 1787 ، وفي نزل قرب مولينز ، كان هناك عجوز يحتضر . كان صديقاً لديدرو ، وصاغ أفكاره الفلاسفة . كان القساوسة المحليون محتارين : جربوا كل شيء دون فائدة ، ذلك أن الرجل الطيب رفض القرابين المقدسة ، قائلاً إنه ملحد . السيد دي رولليبو ، الذي كان يعبر ، والذي لم يكن يؤمن بأي شيء ، راهن القس مولينز بأنه سيعيد الرجل إلى الإيمان بالمسيحية في أقل من ساعتين . قبل القس الرهان وخسره : في الثالثة صباحاً أمسكه من يده ، اعترف المريض في الخامسة ، ومات في السابعة . قال القس : "لا بد أنك بارع في المجادلة بحيث غلبت قومنا !" أجاب السيد دي رولليبو : "لم أجادله ، وإنما أخفته من الجحيم .

جان بول سارتر، من رواية الغثيان .

بينما كانت التعبيرية التجريدية تُنْشَر كسلاح حرب باردة، اكتشفت أمريكا اكتشافاً أكثر قوة: الله. حُفِظَ الإيمان الديني في دستور الولايات المتحدة في 1789، ولكن حدث في أثناء الحرب الباردة أن اكتشفت أمريكا الفائدة الكبرى لبعث كلمة المجد لله. كان الله في جميع الأمكنة: كان في عشرة آلاف من المناطيد التي تحمل نسخ الكتاب المقدس،والتي رماها مشروع إنجيل المنطاد في 1954 وراء الستارة الحديدية، وكانت موافقة الباري مختومة على مرسوم الكونغرس الصادر في الرابع عشر من حزيران 1954 والذي وسّع عهد الولاء كي يتضمن كلمات 'أمة واحدة تحت حكم الله'، وهي عبارة، أعادت، بحسب آيزنهاور، تأكيد 'سموَّ الإيمان الديني في تراث أمريكا ومستقبلها، وبهذه الطريقة يجب أن نُقَوِّيَ، باستمرار، تلك الأسلحة الروحية التي ستكون ثروة بلادنا الأكثر قوة في السلم والحرب إلى الأبد'.[1] وبدأ الله بالظهور على ورقة الدولار بعد أن أمر الكونغرس في 1956 بأن تصبح عبارة 'نثق بالله'، الشعار الرسمي للأمة.

وسأل أحد المؤرخين الأمريكيين: 'لماذا يجب أن نضع خطة من خمس سنوات حين يبدو وكأن الله وضع لنا خطة جاهزة مدتها ألف عام؟'[2] وبمقتضى هذا المنطق، يجب أن تخضع الفضيلة السياسية لتراث مسيحي طويل من الطاعة لقانون الله. ومن خلال استحضار السلطة الأخلاقية المطلقة، اكتسبتْ أمريكا موافقة لا تُرَدُّ من أجل 'مصيرها المتجلي'.

إن الذي اختاره المصير قد جرى تعليمه، مثل الفتيان في كلية غروتون، أن 'الدين كرَّم بشكل كبير أولئك الأعضاء الذين دمروا العدو كما يشهد التاريخ. القرآن، والميثولوجيا اليونانية،

والعهد القديم... إن قتل الأعداء هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله. بالطبع، هناك بعض القيود حول الغايات والوسائل. إذا عدت إلى الثقافة اليونانية وقرأت المؤرخ الأثيني ثوسيديديس، ستجد أن هناك قيوداً حول ما تستطيع فعله لليونانيين الآخرين، الذين هم جزء من ثقافتك. لكن ليس هناك قيود حول ما يمكن أن تفعله للفارسي. إنه بربري. والشيوعيون برابرة.'[3]

وحفّزتْ الضرورة الدينية محاربي الحرب الباردة، وبينهم آلن دلس الذي تربى على التراث المشيخي البروتستانتي، وكان مولعاً بالاقتباس من الكتاب المقدس بسبب استخدامه للجواسيس (يشوع في أريحا). وحين انتقلت السي آي إي إلى مجمعها الجديد الواسع في غابات فيرجينيا في 1961، ثبّت دلس نَقشاً لأحد اقتباساته المفضّلة من النصوص المقدسة على جدران ردهة لانغلي: 'وستعرف الحقيقة التي ستحررك'. (يوحنا: 8,32). وكان هنري لوس، ابن البعثات التبشيرية الأمريكية، مولعاً بالرجوع إلى المرجع نفسه: 'إن الوعد المسيحي العظيم هو هذا: ابحث ولسوف تجد... هذا هو الوعد والمقدمة المنطقية التي تأسستْ عليها أمريكا'. نادراً ما تغيَّب لوس عن الكنيسة يوم الأحد أو ذهب إلى الفراش قبل أن يصلي راكعاً على ركبتيه. ولقد تحولت زوجته كلير بوث لوس إلى الكاثوليكية الرومانية بعد أن قُتلَتْ ابنتها في حادث سيارة في 1943. كان هذا التحول من أكثر الارتدادات شهرة في البلاد، ولقد حث بعض المنتقدين على السخرية. وبحسب نكتة رُدِّدَتْ بشكل واسع، قاطع البابا جدلاً عقائدياً مع السيدة لوس، حين كانت سفيرة لأمريكا في إيطاليا، وذلك كي يذكرها: 'ولكن يا مدام، أنا كاثوليكي أيضاً؟' وادعت متباهية أنها أقنعتْ آيزنهاور بأن يصبح مشيخياً بروتستانتياً أثناء إعداده لحملة انتخابات 1952.[4]

وكتب أحد كتاب السيرة الأوائل[5]: 'لم تحرِّك فيه لوس روح المنفعة ولا المجد الشخصي بالعمق الذي حركه إلحاحه التبشيري كي يحسن أبناء بلاده، ومارس سلطته مؤمناً بشكل مخلص، -لو لم يكن إيماناً مشتركاً – بأنه يعرف ما هو جيد لهم'. ألحَّ أن 'المقدرة الأمريكية على التعاون الناجح مرتبطة بشكل مباشر باعتماد بلادنا الدستوري على الله'، وآمن أن 'لا أمة في التاريخ، عدا إسرائيل القديمة، كانت مصممة هكذا، بشكل واضح، من أجل طور خاص ما من أطوار هدف الله الأبدي'.[6] بالنسبة للوس، كانت الحرب الباردة حرباً مقدسة، التزمت أثناءها شركة تايم 'بالهدف والاتجاه المهيمنين' من أجل هزم الشيوعية في أنحاء العالم. 'هل كان ذلك إعلان لحرب خاصة؟' سأل مرة مدراء شركة تايم. 'وإن كانت هكذا، ألا يمكن أن تكون غير قانونية، وعلى الأرجح مجنونة؟ ربما كان الأمر هكذا، لكن هناك بعض السوابق الرائعة القوية لإعلان حرب خاصة؟'[7] لم تعقد في أي مكان مقارنة مع مرتزقة الصليبيين، أو الأسطول الحربي لفرانسيس دريك، مثلما تجري الآن بهذه القوة.

كان عالم اللاهوت الذي يفضله لوس أكثر من غيره هو رينهولد نيبور، وهو راعي فخري للمنظمة من أجل الحرية الثقافية، وكان واقعياً إزاء 'الحرب الباردة' وآمن بتأسيس توازن قوة محسوب يمتلك أهمية كبرى، بسياسة خارجية تكون حصراً من مسؤولية سلطة نخبوية. وكان

نيبور بالنسبة لأعضاء تلك النخبة، شخصية مرجعية ملائمة. من ناحية أخرى زعم مارتن لوثر كينغ أنه تعلّم منه 'احتمال الشر'. قدم رينهولد نيبور حصصاً ليبرالية من اللاهوت لقراء *تايم - لايف*، وحظي بموافقة سيدني هوك على إحياء ناجح لعقيدة الخطيئة الأصلية كأداة سياسية، وجعل 'الله أداة للسياسة القومية.' وبالفعل، بعد أن شقت الضرورة الدينية طريقها في كل بند رئيسي من بنود الحرب الباردة، بدا صرح السياسة الأمريكية كله في الخمسينات كأنه يستقر على فرضية أساسية، أحادية:أن المستقبل سوف يُقَرَّرُ 'بين المعسكرين الكبيرين للرجال:أولئك الذين يرفضون الله وأولئك الذين يعبدونه.'[9] وحذَّر الرئيس ترومان:'يجب ألا نكون مشوشين حيال المسألة التي تواجه العالم اليوم :إنها الطغيان أو الحرية...وحتى الأسوأ من هذا، إن الشيوعية تنكر وجود ا له نفسه.'[10] وعنى تصنيع مفهوم كهذا - الذي اختزل تعقيد العلاقات العالمية إلى صراع بين قوى الضوء والظلمة - أن بلاغة السياسة الخارجية الأمريكية استقرت على الفروق التي قاومت المنطق والعقل. وكتب جورج سانتيانا في 1961، واصفاً العملية الفلسفية التي جاءت من خلالها هذه التشوهات لتهيمن على السيرورة التاريخية: 'إن الخيال المغذّى يُدعى المعرفة، والوهم المتناسق يُدعى الحقيقة، والإرادة المنهجية تُدعى الفضيلة.'[11]

وضاعت فروق كهذه على الواعظ الشاب بيلي غراهام، الذي وسَّع تحذيرات ترومان بنظرية تقول: 'إن العقل المدبِّر للشيوعية هو الشيطان...أعتقد أنه ليس هناك شرحٌ آخر للمكاسب الضخمة للشيوعية التي يبدون فيها أكثر ذكاء منا في كل دورة، إلا إذا كانوا يمتلكون قوة فائقة للطبيعة مَنَحَتْ لهم الحكمة والذكاء.'[12] واستنتج نورمان ميلر تشخيصاً مختلفاً:'إن مرض أمريكا الأكثر عمقاً هو أنها ترى نفسها أمة فاضلة.'[13]

في هذا المناخ من العقائدية المتشددة ازدهر السيناتور جو مكارثي. وقارن آرثر ميلر في كتابه *البوتقة* The Crucible، اصطياد السحرة في سالم بفترة مكارثي كي يسلط الضوء على خطيئة مماثلة، وعلى جيلين منفصلين، 'خطيئة اعتناق مشاعر محظورة، ومكبوحة من الاستلاب والعداء تجاه المجتمع العادي، الذي يعيش في وضح النهار، كما عرفه خصومه الأكثر أرثوذكسية . ولولا الشعور بالخطيئة لما أنتج اصطياد الحمر في الخمسينات قوة كهذه مطلقاً.'[14] وكانت النقطة الرئيسية لمحكمتي التفتيش كليهما هي تأسيس الخطيئة من خلال الاعتراف العلني، مع توقع أن يقوم المتهم 'بلعن شركائه وكذلك سيده الشيطان، وضمان تحالفه الأصيل الجديد من خلال همس عهود قديمة مقرفة، وبعد ذلك يُترك حراً كي يعيد الالتحاق بمجتمع الناس الوقورين.'[15] وكانت إحدى الصفات المثيرة للفضول لجلسات استماع لجنة مكارثي للأنشطة المعادية للمصالح الأمريكية أنها أظهرت 'اهتماماً بالأسماء المقدمة أقل من اهتمامها باختبار إخلاص اعتراف الشاهد.' أما ليسلي فيدلر، الذي اكتشف، مثل صديقه إرفنغ كريستول، الدين في أوائل الخمسينات، فوصف العملية بأنها نوع من الطقس الرمزي حين قال إن 'الاعتراف هو في ذاته لا شيء، ولكن بدون اعتراف... لن نكون قادرين على التحرك إلى الأمام من ليبرالية براءة إلى ليبرالية مسؤولية.'[16]

كانت اللجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية ميالة كثيراً إلى رمزية الاعتراف العام. وكوفئ إليا كازان، الذي قدم أسماء في جلسة مكارثية في نيسان 1952، بعضوية في اللجنة الأمريكية التي كانت سعيدة في خوض معارك من أجله. دافع سول شتاين عن أستوديو الممثل لكازان ضد هجمات مجموعة متشددة معادية للشيوعية، قائلاً، بمزاج جزويتي، كان كازان يؤدي 'الدور الملائم للمعادين للشيوعية في المسرح وهو دور مُبَشِّر لإخوته المتخلفين الذين استغرقوا وقتاً طويلاً جداً لإدراك حقيقة أن الخدمة في مجموعات الواجهة في هذه البلاد تسهم في قوة الماموث السوفياتي.'[17] وأضاف شتاين: 'إن أولئك الذين وقفوا مع الشيوعيين في الماضي ينبغي أن يُمْنحوا فرصة كي يُوَظِّفوا طاقاتهم في مشاريع وجهود معادية للشيوعية بشكل حقيقي، وإذا كان هذا منسجماً مع معتقداتهم الحالية'[18] فإن كازان يجب أن يُمْنح المكان كي يقدم للقادمين الجدد إلى السياسة فرصة للشفاء من أجل إمكانية أن تُسَجَّل مواهبهم ضد عدونا المشترك.'[19] ولم يكن هذا كافياً لإعادة طمأنة مجموعة الضغط المتطرفة المعادية للشيوعية، شركة آوير، التي شكت من أن كازان كان يتابع العمل مع 'ضالين' مثل مارلون براندو، فرانك سيلفيرا، ولو جيلبرت، وفشل في توظيف 'معادين للشيوعية نشيطين.'[20]

ورأت اللجنة الأمريكية أنه من الملائم أن تُعَيِّن أيضاً في هيئتها التنفيذية مخبر أمريكا الأكثر شهرة، ويتيكر تشامبرز، الذي قضت شهادته على مهنة آلجر هيس. لقد رفع ويتيكير فن الوشاية إلى ذروات جديدة، محرضاً زميلاً أكبر مقاماً في *تايم – لايف* (حيث كان تشامبرز محرراً) على أن يقول له بحضور لوس:'أعتقد أن فيلمك المفضَّل سيكون *المخبر*'. وكتب سول شتاين بحماسة لتشامبرز بأن ترشيحه قد أدى إلى 'عدد من المكالمات المجهولة بعد منتصف الليل والتي هَدَّدَتْ بمسح أعضاء الهيئة 'عن وجه الأرض.' واختتم قائلاً: 'يا إلهي، أعتقد أن هذا الغباء سيرافقنا دوماً.'[21]

ونشر تشامبرز في *ويتنس* سيرته الذاتية التي صدرتْ في 1952: 'كانت نقطة الخلاف هي مسألة إن كان هذا المجتمع المريض، الذي ندعوه الحضارة الغربية، يستطيع، في لحظة الخطر، أن يقدم رجلاً يؤمن به جداً بحيث يتخلى بشكل طوعي عن تلك الأمور التي يعتز بها البشر، وبينها الحياة، كي يدافع عنه.'[22] مقدماً نفسه عادلاً كداوود، حصل تشامبرز على خمسة وسبعين ألف دولار، من أجل حمل مقلاعه ضد الشيوعية، من *ساتردي إيفنينغ بوست*، التي نشرت الكتاب مسلسلاً طيلة ثمانية أسابيع. وقال له أندريه مالرو بعد أن قرأ كتاب *ويتنس*: 'إنك واحد من أولئك الذي لم يعودوا من الجحيم بيدين فارغتين.'[23]

وبما أن الله ومامون Mammon معهم، فقد كان الأمريكيون المعادون للشيوعية قادرين على حصد فوائد مما أصبح مهنة فرعية مزدهرة. وفي هوليود، قاد الحملة لتطهير الثقافة الأمريكية من جميع اللطخ غير الإلهية هيدا هوبر ولويلا بارسونز وهما كاتبتا عمود ثرثرة تم شراؤهما وكانتا تمثلان للصحة الأخلاقية ما يمثله السيد بيتون لمطبخ نظيف. وبراتب ضخم لكلتيهما فقد كانتا 'الغضب الحارس، ووصيتي الشرطة المزروعتين على المداخل لمنع دخول المذنبين، وغير الوطنيين، والمتمردين ضد اللياقة، غير الجديرين بتنفس الهواء نفسه مثل نماذج

رسولية من أمثال لويس. ب. ماير، وهاري كوهن، وجاك ورنر، وداريك زانوك، وسام جولدوين، وحفنة من الآخرين. ولم يكن يضاهي وحشية السيدتين ضد الشيوعية سوى محاكاتهما لبعض ممارساتها.'[24]

ورغم احتمال أن هوبر وبارسونز لم تفكرا بنفسيهما هكذا، إلا أنهما كانتا 'محاربتين من أجل الحرية'، العبارة التي صممت من أجلها حملة سرية للغاية قام بها البنتاغون، والبحرية، ومجلس الأمن القومي، ومجلس إدارة تنسيق العمليات من أجل إدخال موضوع 'الحرية' في الأفلام الأمريكية. وفي يوم الجمعة، السادس عشر من كانون الأول 1955، دعا الرؤساء المشتركون لهيئة الأركان إلى اجتماع سري لمناقشة كيف يمكن أن تستغل هوليود فكرة 'الحرية المقاتلة'. وبحسب تقرير سري للغاية، صُمِّمَتْ 'الحرية المقاتلة' كي 'تشرح الأوضاع الحقيقية الموجودة في ظل الشيوعية بلغة بسيطة، ولتشرح المبادئ التي تستند إليها طريقة حياة العالم الحر'، و'لتوقظ الناس الأحرار كي يفهموا حجم الخطر الذي يواجه العالم الحر، وكي تُولِّدُ باعثاً لمقاتلة هذا التهديد.'[25] وقال مؤرخ الثقافة كريستوفر سيمبسون: 'كانت الفكرة هي خلق شعار، كلمة سياسية توجيهية بحيث يحصل معظم البشر على انطباع يخرج بشكل تلقائي ولكنه، في الحقيقة أُقْحِمَ في الثقافة عمداً. لقد كانت عملية دعاية محنكة في وقتها'.[26] وكأساس لحملة عقائدية، تمت المصادقة على الحرية المقاتلة على أعلى المستويات. ولكن البنتاغون لم يجد صيغة ملموسة لبعث رسالته إلا في نهاية العام التالي. ففي حزيران 1956، عقد ممثلو رؤساء هيئة الأركان المشتركة عدة اجتماعات في كاليفورنيا مع حشد من شخصيات هوليود مخصصة لإبادة الشيوعية وبينهم جون فورد، ومريان كوبر، وجون وين، و وارد بوند.

واستمرت الاجتماعات التي عُقِدَتْ في مكتب جون فورد MGM ست ساعات. وبحسب مذكرة يعود تاريخها إلى الخامس من حزيران 1956 'قال السيد وين إن (برنامج) الحرية المقاتلة سوف يتم إدخاله بحرص في أفلامه التي ينتجها هو (إنتاج باكجاك).' ومن أجل رؤية كيف يمكن أن يُفعل ذلك، دعا وين الجميع إلى منزله في 4570 لويس آفينيو، إنسينو، في المساء التالي. 'بعد العشاء، عرض فيلمي *كانوا قابلين للاستهلاك والرجل الهادئ* ودرسهما السيد وين والسيد فورد من أجل طريقة إدخال تحريفات مفضلة للبحرية والنماذج الثقافية للعالم الحر في الفيلمين.'[27]

وفي لقاء آخر، أشار ميريان كوبر إلى أن سلسلة من الأفلام التي يخرجها كورنليوس فاندربلت ويتني 'تفتقر إلى موضوع ... وأنه كان يتمنى لو كان قد حصل على موضوع (مثلاً، الحرية المقاتلة) وأضاف أنه سوف يضعها في الأفلام الأخرى.'[28] واقترح بأن يتم إطلاع ويتني عل ذلك. واشترك الصناعي الناجح، كورنليوس 'سوني' فاندربلت ويتني في إدارة ثروة ويتني الهائلة التي ورثها ابن عمه، جوك. ومثل جوك، كان قريباً أيضاً إلى السي آي إي (كان ابن عمهما هو تريس بارنز)، وكانا أكثر من جاهزين للمساعدة: وسمح كورنليوس، الوصي لتروست ويتني، أن يُسْتَخدم كقناة لوكالة الاستخبارات المركزية. كان أيضاً عضواً في الفريق المنخرط في صياغة مبادرة حرب نفسية تدعى وكالة معلومات الأمن القومي. ولكونه مشهوراً بشكل جيد

كمنتج في 1933 فقد اشترك في العمل مع ديفيد سيلزنيك، وأنتجا سوية *ولادة نجم*، *ربيكا*، *وذهب مع الريح*، وفي 1954 أسس (سي. في) شركة ويتني للأفلام، وصرح: 'أريد أن أصور ما أصفه بأنه 'مسلسل أمريكي' كي أظهر لشعبنا بلده وأيضاً كي أتأكد من أن بقية العالم يتعلمون عنا المزيد'.[29] كان الفيلم الأول في السلسلة الأمريكية هو *الباحثون*، وكانت كلفة إنتاجه ثلاثة ملايين دولار، وأخرجه جون فورد.

وكان جون فورد أثناء الحرب رئيس فرع التصوير الميداني لمكتب الخدمات الاستراتيجية. وكانت وظيفته تصوير أعمال رجال العصابات، والمخربين، ومجموعات المقاومة في أوروبا المحتلة. وتضمنت وظائف أخرى إنتاج أفلام سرية للغاية عرضت لقادة الحكومة. وفي 1946 أسس شركة إنتاجه الخاصة، آرغوسي بيكتشرز. وكان المستثمرون الرئيسيون، بالإضافة إلى فورد وميريان كوبر، محاربين قدماء من مكتب الخدمات الاستراتيجية: ويليم دونوفان، أولي دويرنغ (عضو في شركة دونوفان القانونية في وول ستريت)، ديفد بروس وويليم فاندربلت. وكان فورد متعاطفاً بشكل كامل مع فكرة أن وكالات استخبارات الحكومة يجب أن تقترح موضوعات لجماهير هوليود، وطلب منهم أن 'يتركوا ست نسخ من كُتيِّب *الحرية المقاتلة* ويرسلوا إليه دزينة إضافية بحيث يستطيع تمريرها إلى كتاب السيناريو لديه كي يتعلموا مجموعة مصطلحات ورموز المفهوم'. وطلب أيضاً أن يأتي مُمَثِّلٌ من الرؤساء المشتركين لهيئة الأركان إلى بيناسكولا، فلوريدا، مكان تصوير فيلم *جناحي الصقر*، 'من أجل المساعدة في إدخال عناصر الحرية المقاتلة إلى الفيلم.'[30]

وكان هناك لتمرير الرسالة ميريان كوبر، الذي قاتل ضد بانتشو بيا، وحين كان طياراً في الجيش أسقط الألمان طائرته فوق فرنسا في 1918. وبعد أن أصبح منتجاً في RKO في الثلاثينات، كان مسؤولاً عن جمع فريد آستير مع غينغر روجرز في فريق. وكان هناك أيضاً في موقع تصوير *جناحي الصقر*، وارد بوند، رئيس تحالف موفينغ بيكتشرز، لحفظ المثل الأمريكية، وهذه منظمة مخصصة لإخراج الشيوعيين من الصناعة، ومساعدة مجلس لجنة النشاطات المعادية للمصالح الأمريكية (HUAC). وقال أحد معارف بوند 'إن بوند سيفعل أي شيء حتى يشعر بأنه مهم، حتى ولو داس على البشر.' أما فورد (الذي عبر عن اشمئزازه من قوائم مكارثي السوداء) فقد اعتاد أن يقول: 'لنواجه الأمر. إن وارد بوند براز. لكنه برازنا المفضّل'. وانطلق اتحاد هوليود المالي إلى العمل، وتألف من مجموعة من الرجال الذين كان يعرف بعضهم بعضاً طيلة عقود، وبحثوا عن بعضهم بعضاً من أجل الموافقة والدعم.

ولم يكن بالإمكان أن تحدث الحرية المقاتلة إلا في أمريكا تعي جيداً إحساساً بالعبء الإمبراطوري. إن هذه الأفلام التي تروّج لضرورات (وتضحيات) السِلْم الأمريكي، احتفت بالواجب، والجماعة، والاستجابة للأمر، وهيمنة العمل الرجولي الجريء. وفي هذا السياق نُظِرَ إلى جين وين، الذي ذهب إلى أبعاد فائقة للعادة كي يتجنب الخدمة العسكرية، على أنه نموذج لجندي أمريكي، وتجسيد 'للأمريكانية'. كان 'الدوق' رجل جبهة، يُرَوِّضُ العالم. وفي 1979، صك الكونغرس وساماً على شرفه نُقِشَ عليه 'جون وين، أمريكا'. لكن أمريكا الخاصة به هي أمريكا

تعذيب الحمر والمسبّقات العرقية. وكبطل رمزي في جيم *ماكلين الكبير* (1952)، مثّل في واحد من أكثر الأفلام فظاظة في تعبيره عن كراهية الشيوعيين ومؤلف من جزأين (ولقد أخرج الفيلم كتقدير لمجلس لجنة النشاطات المعادية للمصالح الأمريكية).

إن الأفلام مثل الدعاية تتاجر بالخيال، ولكن إذا صُنِعَ هذا الخيال ببراعة سينظر إليه على أنه حقيقة. ولأداء هذه الوظيفة، فهمت هوليود طويلاً الحاجة إلى تفصيل نماذجها الأسطورية كي تناسب المزاج الاجتماعي والسياسي السائد. وهكذا انتقلت من إخراج أفلام معادية للبلشفية في العشرينات والثلاثينات، إلى تمجيد روسيا كحليفة وقت الحرب (في أفلام مثل *النجم الشمالي*، *أيام المجد*، *أغنية روسيا*، والفيلم المشهور *مهمة في موسكو*، الذي غسل بالفعل محاكمات موسكو ومدح الروس كمدافعين عن الديموقراطية). ثم أنتجت سلسلة متلاحقة من الأفلام المعادية للشيوعية في الخمسينات: *الكابوس الأحمر*، *التهديد الأحمر*، *غزو الولايات المتحدة الأمريكية*، *كنت شيوعياً أعمل لمكتب التحقيقات الفيدرالي*، *الكوكب الأحمر*، *المريخ*، *الستارة الحديدية*، *ابني جون*، *غزو سارقي الجثث*. وكان فيلم *سر شرقاً في شارع بيكون*، الذي كتب له السيناريو ومولـه مكتب التحقيقات الفيدرالي، الفيلم المفضّل لجي. إدجار هوفر. وهذه الأفلام غير المقنعة، لا في أسمائها ولا في حبكاتها، كشفتْ كلها رُهاباً عصابياً من الأجنبي، المجهول، و'الآخر' ومثلما انتقل الكابتن أمريكا من محاربة النازيين إلى محاربة الشيوعيين، فإن موقف الأفلام الأمريكية إزاء ألمانيا تغيّر هو الآخر بشكل جذري، وصار الأعداء المهزومون يصورون الآن كمقاتلين أبطال وخصوم جديرين (*روميل، ثعلب الصحراء*، 1952، *المطاردة البحرية*، 1955، *العدو في الأسفل*، 1957). وبينما أصبح أعداء الاثنين أصدقاء السبت، أظهرت هوليود كيف تستطيع بسهولة أن تنزع رقع الخير والشر عن أمة وتلصقها على أخرى.'[31]

وبينما راقت أفلامٌ كهذه بشكل جيد للجمهور المحلي المتحمس للمزاعم المبالغ بها حول التهديد الشيوعي، اقتنع معظم الأمريكيين أن 'الروس قادمون وسوف تسقط القنبلة حالاً في الليل'.[32] إلا أن أداء هذه الأفلام في السوق العالمية كان فقيراً. ذلك أنه بالنسبة لأوروبا كانت ما تزال مجروحة من ذكريات الفاشية، كانت تقدمات هوليود المعادية للشيوعية عديمة الحس، وعنيفة اللغة، وغير جذابة إلى أبعد حد. ما نجح بشكل أفضل هو أفلام كرتون ديزني وأفلام ظريفة مثل عطلة في روما، و *ساحر أوز*. ولكن لم يتم إغواء معظم الأوروبيين بهذه الفراديس الخيالية. وكانت هناك شروط مدفونة عميقاً في فقرات الاتفاقيات التجارية المتعاقبة – بدءاً من ميثاق بلم – بيرنيز في 1946 – ضمنت زيادة في حصة الأفلام الأمريكية التي تُعْرَض في بلدان مثل فرنسا. وقوبلت اتفاقيات كهذه بالنقد والاستياء في الدوائر الفكرية الفرنسية، وأدت في 1948 إلى معارك عنيفة في الشارع.

وكان الاستراتيجيون الأمريكيون بطيئين بشكل مدهش في الاستجابة إلى استياء واسع الانتشار في أوروبا بسبب مستويات التخمة في الاستيراد من هوليود. لم يكن هناك تمثيل دبلوماسي في مهرجان كان السينمائي في 1951، ولا أي وفد رسمي من قادة، وكتاب، وتقنيي أو فناني الصناعة السينمائية الأوروبية. وبالمقارنة، أرسل الروس نائب وزير السينما، وكذلك

المخرج المشهور بودوفكين، الذي قدم بيان سيرة رائعاً عن الإنجازات السوفياتية. وبعد تلقي تقارير تفيد بأن أمريكا ظهرت 'سخيفة جداً' في كان، قررت الولايات المتحدة أن تركز انتباهها على صناعة الأفلام.

في الثالث والعشرين من نيسان 1953، وبعد تعيينه مستشاراً خاصاً للحكومة حول السينما، دخل سيسيل ب. ديميل إلى مكتب سي دي جاكسون. وكتب ديميل إلى هنري لوس بعد أسبوعين، قائلاً إن سي دي 'إلى جانبنا... فقد أثرت به جيداً قوة الأفلام الأمريكية في الخارج. وهو يمتلك نظرية أؤيدها بشكل كامل تفيد بأن الاستخدام الأكثر فاعلية للأفلام الأمريكية ليس تصميم صورة كاملة لتتماشى مع مشكلة معيَّنة، وإنما أن يتم إدخال الخط الصحيح، وكلام على انفراد، وتغيُّر في مقام الصوت، وحركة الحاجب في صورة عادية. قال لي إنني أستطيع في أي وقت أن أقدم له مشكلة بسيطة لبلد أو منطقة، وسيجد طريقة للتعامل معها في فيلم.'[33]

كان قبول ديميل للعمل كمستشار في مؤسسة موفينغ بيكتشرز انقلاباً بالنسبة لرجال دعاية الحكومة. وامتلكت مؤسسة موفينغ بيكتشرز، التي تعمل عبر مائة وخمسة وثلاثين موقعاً لخدمة المعلومات الأمريكية في سبع وثمانين دولة، شبكة توزيع هائلة. وبعد أن غمرت بأموال الحكومة وقدمت لها جميع التسهيلات أصبحت منتجة بشكل فعّال. فقد وظفت منتجين - مخرجين مُنحوا موافقة أمنية، وعُيِّنوا في أفلام بَيَّنت 'الأهداف التي تهتم الولايات المتحدة بتحقيقها' والتي تستطيع أن تصل إلى 'الجمهور، المحدد مسبقاً، والذي يجب أن نُكَيِّفه لكوننا أداة للفيلم.'[34] وقدمت نصائح إلى هيئات سرية مثل هيئة تنسيق العمليات حول أفلام مناسبة للتوزيع العالمي. وفي حزيران 1954، وضعت قائمة بسبعة وثلاثين فيلماً للعرض وراء الستارة الحديدية، وبينها *بيتر بان*، *قصة جولسون*، *قصة غلين ميلر*، *الفتى الذي من أوكلاهوما*، *العطلة الرومانية*، *نساء صغيرات*، *المسرح العائم*، *عصيان كين*، *اذهب، يا رجل، اذهب* (تأريخ لجوَّابي هارلم)، *أليس في بلاد العجائب*، *والحاشية التنفيذية*.

ونظمت مؤسسة موفينغ بيكتشرز أيضاً المشاركة الأمريكية في المهرجانات السينمائية في الخارج، مالئة الفراغ المزعج لمهرجان كان في 1951. وعملت بشكل طبيعي، وبجدية كي تعزل 'منتجي الصور المتحركة والأفلام الأمريكية التي لا تدعم السياسة الأمريكية الخارجية، والتي هي في بعض الحالات مؤذية'[35] كونها تُعْرَض في المهرجانات الدولية. وبدلاً من ذلك، دَعَمَت أفلاماً مثل *قصة بوب ماثياس* (الفنانون المتحدون، 1954)' وهو تقريباً تصوير كامل لأفضل 'مرحلة في الحياة الأمريكية: فتى من بلدة صغيرة مع أسرته، وحبيبته، ومهنته، واهتمامه بالرياضة، وكل هذا يؤدي إلى انتصاره مرتين كواحد من الرياضيين البارزين في تاريخ الألعاب الأولمبية... فإذا لم يتعلق الأمر بالقيم الأمريكية التي نريدها على الشاشة، إذاً، يجب علينا أن نبدأ البحث عن مجموعة قيم جديدة كي نعلن عنها'.[36]

كان سي دي جاكسون، كالعادة، مرتبكاً في الاختيار أثناء بحثه عن حلفاء في هوليود يفهمون بشكل أفضل 'مشكلات دعاية الولايات المتحدة' وجاهزين 'لإدخال الأفكار الصحيحة في

نصوصهم وعملهم بحذاقة ملائمة'. وفي كانون الثاني 1954، وضع قائمة من 'الأصدقاء' يتوقع أنهم سيساعدون الحكومة: سيسيل ب. ديميل، سبايروس ب. سكوراس وداريل زانوك في فوكس، نيكولاس شنيك، مدير MGM، والمنتج دور شاري، مارني بالابان، رئيس باراماونت، هاري وجاك ورنر، جيمس. ر. غرينغر، مدير RKO، مدير يونيفرسال، ميلتون راكميل، مدير كولومبيا بيكتشرز، هاري كوهن، هربرت ييتس في ريبيليك، والت وروي ديزني، وإريك جونسون من مؤسسة موشن بيكتشرز.

لكن رصيد سي دي الأكثر قيمة في هوليود كان عميل وكالة الاستخبارات المركزية كارلتون آلسوب. وكان آلسوب، الذي اشتغل في استوديوهات باراماونت كعميل سري ومنتج، يعمل في استديو MGM في منتصف الثلاثينات، ثم مع جودي غارلاند في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات، حيث انضم في ذلك الوقت إلى مشغل الحرب النفسية التابع لويزنر. وفي أوائل الخمسينات كتب 'تقارير سينمائية' منتظمة إلى السي آي إي ومجلس إدارة الاستراتيجية النفسية. وكُتِبَت هذه التقارير استجابة لحاجة مزدوجة: أولاً، لمراقبة الشيوعيين والمتعاطفين معهم في هوليود، وثانياً، لتلخيص منجزات وحالات فشل مجموعة ضغط سرية - ترأسها كارليتون آلسوب - تولت مسؤولية إدخال موضوعات محددة في أفلام هوليود.

إن تقارير آلسوب السرية تقدم قراءة فائقة للعادة. وتكشف عن مدى قدرة السي آي على توسيع نشاطها ليشمل صناعة الفيلم، رغم ادعائها بأنها لم تنشد نفوذاً كهذا. وركز أحد التقارير، الذي يعود تاريخه إلى الرابع والعشرين من كانون الثاني 1953، على مشكلة تصنيع الآراء المسبقة حول السود في هوليود. وتحت عنوان 'الزنوج في الأفلام'، قال آلسوب إنه ضمن موافقة عدة مخرجين من موزعي الأدوار على زراعة زنوج يرتدون ثياباً جيدة كجزء من مشهد أمريكي، دون أن يظهروا بارزين جداً أو أصحاب شأن. إن فيلم 'سانغاري' الذي هو قيد التصوير لا يسمح بهذا النوع من الزرع، لسوء الحظ، لأن الفيلم تاريخي، ويجري في الجنوب. وسيظهر بالتالي زنوجاً في المزارع. على أي حال، هذا سيكون بعيداً عن الخلفية لدرجة مُعَيَّنة، بعد زرع كبير خدم زنجي محترم في أحد منازل المدير، ومن خلال إعطائه حواراً يشير إلى أنه رجل حر ويستطيع العمل حيث يشاء.'[37] وقال آلسوب أيضاً إن 'بعض الزنوج سوف يُزْرَعون أيضاً في مشاهد الحشد' في الفيلم الكوميدي *كادي* (الذي يؤدي فيه الدور الرئيسي جيري لويس). وفي وقت يحظى فيه كثيرٌ من الزنوج بكثير من الفرص للدخول في ناد للغولف كما حصلوا على حق التصويت، فإن هذا سيبدو داعياً إلى التفاؤل في الحقيقة.'[38]

وأشار آلسوب في التقرير نفسه إلى فيلم *رأس الحربة*، الذي، أبدى، في إحدى المرات، استعداداً لطرح أسئلة حول معاملة أمريكا لهنود الآباتشي. وقال آلسوب إن هذا، 'يطرح مشكلة جدية' بمعنى أن 'الشيوعيين يستطيعون استخدامه لصالحهم'. وبشكل يدعو للسعادة، وبجهد منه، ضمن إزالة معظم المشاهد المسيئة (نقل الجيش لقبيلة كاملة من الآباتشي، ومطاردتهم كالحيوانات) أو 'تم إضعاف تأثير هذه المشاهد'. وتمت تغييرات أخرى من خلال إعادة تسجيل

سطور من الحوار بعد أن انتهى الفيلم مسبقاً. ولكونه 'قُدِّمَ على أساس تجاري ووطني' لم يلق آلسوب معارضة من منتج الفيلم، نات هولت.[39]

لم يُفَوِّتْ السوفيات فرصة في التأكيد على سجل أمريكا المشين في العلاقات العرقية. ففي 1946 وجد جيمس بيرنز، وزير خارجية ترومان، نفسه مرتبكاً ومهزوماً حين حاول الاحتجاج على الرفض السوفياتي لحق الانتخاب في البلقان، ورد عليه السوفيات بشكل صائب قائلين إن 'زنوج ولاية السيد بيرنز نفسها، ساوث كارولاينا، ممنوعون من الحق نفسه'.[40] كانت جهود آلسوب في هوليود جزءاً من حملة أكثر شمولاً هدفت إلى تكذيب المزاعم السوفياتية حول التمييز الأمريكي، والأجور المتدنية، والعدالة غير المتكافئة، والعنف ضد الأمريكيين الأفارقة. ومن ناحيته، أراد سي دي جاكسون أن يواجه المسألة مباشرة، وقال إنه 'حان الوقت كي نوقف الشرح بلغة 'هذه اللطخة على شعار نبالتنا' وننظر إلى العالم كله وجهاً لوجه'.[41] ومن أجل هذه الغاية قام خبراء في الحرب النفسية، من هيئة تنسيق العمليات، - وبتعاون وثيق مع وزارة الخارجية - بتأسيس لجنة ثقافية سرية مهمتها تخطيط وتنسيق جولات للفنانين السود الأمريكيين. فظهور ليونتين برايس، وديزي غليسبيي، وماريان آندرسون، ووليام ورفيلد، وفرقة مارثا غراهام للرقص في تلك الفترة، على المسرح العالمي مع مجموعة من المواهب الأمريكية الأخرى المتعددة السلالات والسوداء، كان جزءاً من برنامج 'التصدير' الذي تم الإشراف عليه سرياً. وابتدأتْ الجولة الموسَّعة لما وصفه أحد الاستراتيجيين السريين بأنه 'الأوبرا الزنجية الشعبية العظيمة'، بورغي وبيس، التي تجولت في أوروبا الغربية، وأمريكا الجنوبية ثم في الكتلة السوفياتية لأكثر من عقد، وكان أعضاؤها المؤلفون من سبعين أمريكياً أفريقياً 'تصويراً حيّاً للزنجي الأمريكي كجزء من حياة أمريكا الثقافية'.[42]

وبشكل مثير للفضول، كان هذا النهوض للموهبة الأمريكية الأفريقية متسقاً بشكل مباشر مع موت أولئك الكتاب الذي عبروا في البداية عن الأوضاع البائسة للسود في المجتمع الأمريكي. ففي 1955، نشرت المجلة السوفياتية *الآداب الأجنبية* *Inostranaya Literatura* قصتين قصيرتين للروائي إرسكين كالدويل سبَّبتا اختناقاً لرجال الدعاية الأمريكيين أثناء تناولهم للفطور. وكتب جون بوكر من وكالة معلومات الولايات المتحدة USIA: 'إن القصة التي بعنوان النقود المجنونة،والتي نشرت بالإنكليزية في الأصل بعنوان السُقاطة، هي غير مؤذية. لكن الثانية، على أي حال، ماكرة: عنوانها *جماهير البشر*، وتعالج خداع الشركة، وبؤس الزنوج واغتصاب فتاة عمرها عشر سنوات مقابل خمسة وعشرين سنتاً'.[43] وتبنتْ اللجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية قلق وكالة المعلومات الأمريكية، التي وعدتْ بأن تضغط على كالدويل كي ينكر القصة. وقرَّرتْ اللجنة الأمريكية أن 'تتجنب' الكتاب الجنوبيين المتهمين بسفاح القربى محاكية في ذلك شكاوى سيدني هوك في 1949 من أن الكتاب الجنوبيين عززوا مفاهيم سلبية عن أمريكا وذلك في 'رواياتهم التي تتحدث عن الاحتجاج الاجتماعي والتمرد' وعن 'الانحطاط والتفاهة الأمريكية'.[44] فأعمالهم تقدم قصة متحيزة بشكل مفرط وملونة سيكولوجياً عن عاداتنا وأخلاقنا'.[45] ولم يكن هذا حكماً معزولاً، لكنه حكم تبناه كثيرون من محاربي الحرب

الباردة الثقافية، وبينهم إريك جونستون، الذي قاد الهجوم على الجنوبيين من مكتبه في هوليود: 'لن يكون لدينا المزيد من *عناقيد الغضب*، لن يكون لدينا المزيد من *دروب التبغ*. لن يكون لدينا المزيد من الأفلام التي تظهر الجانب الأسوأ من الحياة الأمريكية'.[46] وهبطتْ في هذه الفترة على نحو مفاجئ مبيعات كتب كالدويل، وشتاينبك، وفوكنر، وريتشارد رايت.

وفي هوليود، كان كارليتون آلسوب متيقظاً دوماً حيال التصوير السيئ. وحذَّر في أحد التقارير من سيناريو يستند إلى 'رواية بعنوان *عملاق*' من تأليف إدنا فيربر. قال إن هذا 'واحداً يجب مراقبته، لأنه يمس المشكلات الثلاث التالية: أولاً، تصوير غير مطر للأمريكيين الأغنياء، والأشداء، والذين لايرحمون (التكساسيون). ثانياً، التشويه العرقي للمكسيكيين في تكساس. ثالثاً، تضمين بأن الأنجلو – تكساسيين بنوا ثروتهم من خلال استغلال العمل المكسيكي'. كان حل آلسوب سهلاً: 'أريد أن أرى ذلك ينتهي إلى الأبد في كل مرة يحاول شخص ما أن يعيد إبرازه في باراماونت'.[47] كان ناجحاً جزئياً فحسب: وكان الأخوة وارنر هم الذين صنعوا الفيلم وليس باراماونت، وكان هذا آخر فيلم لجيمس دين، في 1956.

واستمرت تقارير آلسوب في قياس درجة الحرارة السياسية في هوليود، وامتلأت بتفاصيل العمل المعقد من أجل جعل المنتجين والاستوديوهات يقبلون ما دعته وكالة الاستخبارات المركزية بـ 'صيغتها الهوليودية.'[48] وأخرجت الآراء السلبية المسبقة، وتم إدخال صورة عن أمريكا متمتعة بالصحة. وأعلن آلسوب أنه ' نجح في إزالة السكارى الأمريكيين من أدوار بارزة، هذا إذا لم يكن من الأدوار الرئيسية، في الأفلام التالية: هوديني، والصحفي الأمريكي السكير. فقد نُقِّحا بشكل كامل. ويمكن أن يحتاج أسطورة الآنكيين إلى تصوير ثان. أزيلت كل أنواع الشراب الثقيل للممثل الأمريكي من النص. وفي مشية الفيل أبقي السكر لأسباب محددة تتعلق بالحبكة فقط. أما في لينينغر والنمل فقد أزيلت جميع أنواع الشراب الثقيل للممثل الأمريكي من النص'.[49]

وحول موضوع 'الأفلام التي تهاجم الدين' كان آلسوب حساساً بشكل خاص:حين بدأ أحد الأستوديوهات بتطوير سيناريو *ابنة آيوريو* لدي أننزيو، بالتعاون مع ألبرتو مورافيا، كان آلسوب مقتنعاً بأنه سيكون 'مضاداً للكنيسة مائة بالمائة'، وتساءل كيف نستطيع أن نوقف ذلك؟ أعتقد أن الفاتيكان يجب أن يفعل شيئاً ما. لا تظنوا أنني أفرط في اتخاذ موقف مؤيد للكاثوليكية يمكن أن يُلوِّن وجهة نظري. ففي هذه المعركة على العقول ستكون الخطوة الأولى للشيوعيين هي فضح الدين'.[50] حتى روبيرتو روسيليني كان أكثر إزعاجاً في معالجته لحياة القديس فرانسيس في *Francesco, Giullare di Dio* . كتب آلسوب:'هذا في الحقيقة أمر واضح. لا تستطيع أن تتوقع أن هناك فيلماً يفضح الدين أكثر من هذا... صُوِّرَ القديس فرانسيس ورفاقه... بطريقة مبسطة جداً، بحيث أنك تشعر أنهم مجموعة من المغفّلين، ولم يكونوا جميعاً حاضرين هناك ذهنياً وربما كان بعضهم شاذين جنسياً'.[51]

انضم آلسوب إلى مكتب تنسيق السياسة الذي يرأسه ويزنر في الوقت نفسه مثله مثل فينيس فار، وهو كاتب له صلات مع هوليود وعمل مع جون أوهارا. إن آلسوب وفار اللذان تم تطويعهما في مشغل الحرب النفسية أدارهما هوارد هنت، وهو متطوع سابق في مكتب الخدمات

الاستراتيجية كسب له ذوقه في الدعاية السوداء - قال فيما بعد أنه 'فكر بالأسود' - عملاً في إدارة مناهج السي آي إي التدريبية في الحرب النفسية والسياسية.

وبعد وقت قصير من وفاة جورج أورويل في 1950، أرسل هوارد هنت آلسوب وفار إلى إنكلترا كي يقابلا أرملة المؤلف، سونيا. لم يذهبا إلى هناك من أجل تعزيتها، وإنما كي يوجها إليها دعوة كي توقِّع حقوق فيلم رواية *مزرعة الحيوان*، وهذا ما فعلته بعد أن صدّقت أولاً وعدهما بأنهما سيرتبان لها لقاء مع بطلها كلارك غابل. كتب هوارد هنت: 'جاء من هذه الزيارة فيلم الرسوم المتحركة لرواية أورويل *مزرعة الحيوان* الذي موّلته وكالة الاستخبارات المركزية ووزعته في جميع أنحاء العالم.'[52]

وبعد أن تم الحصول على الحقوق، انطلق هنت كي يؤمن منتجاً يمكن أن يكون واجهة لوكالة الاستخبارات المركزية. استقر رأيه على لويس دو روشومونت Louis de Rochemont، الذي وظَّف هنت حين أنتج فيلم *تقدم الزمن*، وهي سلسلة من الأفلام الوثائقية التي كانت شركة تايم أماً وأباً لها.

من خلال الارتباط مع هنت، وباستخدام أموال من وكالة الاستخبارات المركزية زرقها آلسوب وفار، بدأ دو روشومونت بإنتاج *مزرعة الحيوان* في الخامس عشر من تشرين الثاني 1951. واختير لصناعة أكثر أفلام الرسوم المتحركة طموحاً في زمنه - ثمانون رسام كاريكاتير، 750 مشهداً، ثلاثمائة ألف رسم ملون - الشركة البريطانية هالاس وباتشيلور لأفلام الكرتون المحدودة. وجون هالاس المولود في هنغاريا جاء إلى بريطانيا في 1936، واشتغل على فيلم *رجل الموسيقى*، فيلم الكرتون البريطاني الأول المصور بالألوان. وقد عملَ مع زوجته، جوي باتشيلور، وأنتج أكثر من مائة فيلم حكومي لمكتب المعلومات المركزي البريطاني، ساعد كثير منها في الإعلان عن مشروع مارشال وحلف شمال الأطلسي.

واهتم ناشر رواية *مزرعة الحيوان* فريدريك واربورغ اهتماماً خاصاً بإنتاج هالاس، وكان يطلع أصدقاءه في المنظمة من أجل الحرية الثقافية حول تقدمه. زار الأستوديو عدة مرات في 1952 و 1953 كي يشاهد السلسلة المتعاقبة من المشاهد، وكي يضيف اقتراحاته حول تغييرات النص (ربما كان واربورغ هو من اقترح أن الرائد العجوز، نبي الثورة، يجب أن يُمنَح صوت ومظهر وينستون تشرشل؟) في الوقت نفسه، كان يشرف على طبعة جديدة من رواية *مزرعة الحيوان*، كي ينشرها سيكر وواربورغ مع صور من إنتاج هالاس وباتشيلور. ولقد فحص السيناريو أيضاً مجلس إدارة الحرب النفسية. وبحسب مذكرة بتاريخ الثالث والعشرين من كانون الثاني 1952، لم يكن موظفوه قد اقتنعوا بعد بالنص، ذلك أنهم وجدوا أن 'موضوعه مشوش نوعاً ما كما أن تأثير القصة كما هو معبَّر عنها في سلسلة من اللقطات الكاريكاتورية... غير واضح. ورغم أن الرمزية واضحة، إلا أنه ليس هناك وضوح كبير في الرسالة'.[54] وبشكل لافت للنظر، حاكى نقد بيروقراطيي الاستخبارات الأمريكية الاهتمامات الأولى لـ ت. س. إليوت ووليم إمبسون، اللذين كتب كلاهما إلى أورويل في 1944 كي يشيرا إلى الأخطاء أو التناقضات في الحكاية الرمزية المحورية لرواية *مزرعة الحيوان*.

وحُلَّتْ مشكلة النص من خلال تغيير الخاتمة. في النص الأصلي لا يمكن التمييز بين الخنازير الشيوعية والرجل الرأسمالي، فهم يختلطون في بركة مشتركة من العفونة. أما في الفيلم فقد حذف هذا التطابق (بيلكينغتون وفريديريك، الشخصيتان الرئيسيتان اللتان جعلهما أورويل ترمزان إلى الطبقتين الحاكمتين في ألمانيا وبريطانيا، يكادان لا يلاحظان) وفي النهاية، حُذفَتا ببساطة. وفي الكتاب 'بدت المخلوقات التي في الخارج من خنزير إلى رجل، ومن رجل إلى خنزير، ثم من رجل إلى خنزير ثانية، ولكن كان من المستحيل سابقاً التمييز بينهما'. وعلى أي حال شاهد مشاهدو الفيلم حلاً للعقدة مختلفاً، حيث أكره مشهد الخنازير الحيوانات المراقبة الأخرى على القيام بثورة مضادة ناجحة من خلال اقتحام المزرعة. ومن خلال إزالة المزارعين من المشهد كي تبقى الخنازير فحسب تعريد في فاكهة الاستغلال، وتم عكس دمج الفساد الشيوعي مع الانحطاط الرأسمالي.

واقترحت حريات أكبر حين اتجهت وكالة الاستخبارات المركزية إلى عمل أورويل اللاحق *1984*. مات أورويل قبل ترتيب حقوق الفيلم، ولكن في نهاية 1954 انتهت إلى يدي المنتج بيتر راثفون. راثفون، الصديق الجيد لجون فورد، كان رئيس RKO إلى أن أقاله هوارد هيوز في 1949. وفي ذلك العام، أسس شركة كابيتال للأفلام السينمائية، التي انشغلت بإنتاج وتمويل الأفلام السينمائية. تمتعت الشركة – وراثفون كذلك – بعلاقة وثيقة مع الحكومة الأمريكية، ومولت أفلاماً لمؤسسة موفينغ بيكتشرز. وبحسب لورنس دي نوفيل، التمس هوارد هنت تعاون راثفون في نسخة الفيلم عن رواية أورويل الكلاسيكية. ومن خلال تعاون راثفون، توفرت الأموال من أجل البدء بإنتاج الفيلم[55]، الذي ظهر في 1956، ومثل فيه الأدوار الرئيسية إدموند أوبراين، وجان سترلينغ، ومايكل ريدغريف.

وراقت رؤية أورويل الكابوسية للمستقبل في رواية *ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون* للاستراتيجيين الثقافيين على عدد من المستويات. واستخدم مسؤولو وكالة الاستخبارات المركزية ومجلس إدارة الاستراتيجية النفسية –الذين اضطروا لقراءة الكتاب – تحري الكاتب لمخاطر الكليانية، جاهلين حقيقة أن أورويل كان يهاجم بعنف ظلم جميع الدول المسيطرة لمواطنيها، سواء كانت يسارية أم يمينية. ورغم أن أهدافها معقدة، إلا أن الرسالة الكلية للكتاب واضحة: كانت احتجاجاً ضد جميع الأكاذيب، ضد جميع الخدع التي تقوم بها الحكومات. لكن رجال الدعاية الأمريكيين سارعوا إلى توظيفها في مسار محدد معاد للشيوعية، دافعين أحد النقاد إلى القول بأنه 'مهما اعتقد أورويل أنه فعله، فقد أسهم في الحرب الباردة بإحدى أكثر أساطيرها قوة... ففي الخمسينات كانت روايته كلام الناتو الجديد المدهش'.[56] وعلى مستوى آخر، كانت رواية *ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون* كتاباً مليئاً يعبر عن فقدان الثقة بالثقافة الجماهيرية وعن خطر العبودية الكونية من خلال الجهل (رد فعل وينستون على الأغنية الشعبية التي رددتها بارتعاش المرأة البروليتارية التي تنشر غسيلها يغلّف بشكل كامل هذا الخوف من 'عبادة الجماهير' وبلادتها المخدرة بسهولة). ثانياً، كان هدفها السياسي غير محدد وإنما كوني: فالمسؤول عن إفساد اللغة والمنطق – ما دعاه بيتر فانسيتارت

بـ'التهديد القـذر للصحـة السياسـية' - هـو نحـن وهـم. لكـن هـذا الفـرق تم تعتيمـه في نسـخة الفيلم.

تمّ التلاعب بحكاية أورويل الرمزية كي تناسب مسبّقات وافتراضات صانعي الفيلم وكان هذا منسجماً بشكل كامل مع تحيُّز الحرب الباردة الثقافية. أما الذي ساعد على تقديم بنية لهذا التأويل الحزبي فلم يكن سوى سول شتاين، المدير التنفيذي للجنة الأمريكية لحرية الثقافة، الذي استشاره راثفون في مناسبات عدة حول السيناريو. كان لدى شتاين الكثير كي يقدمه. أولاً، 'يجب أن يحمل النص كمية كبيرة من مواصفات كليانية اليوم الحاضر. فعلى سبيل المثال يجب أن تحتوي 'ملصقات الأخ' الكبير صورة لإنسان حقيقي، وليس صورة كاريكاتيرية لستالين. بمعنى آخر، يجب ألا يجري تعتيم احتمال وجود الأخ الكبير من خلال ربطه بستالين الميت الآن'.[57] لا شيء في الفيلم يجب أن يكون رسماً ساخراً، تابع شتاين، 'وإنما مجرد امتداد لشيء نستطيع أن نشاهده اليوم'. مثلاً، 'من المفترض أن يضع أعضاء العصبة المضادة للجنس أحزمة على صدورهم'، قلق شتاين من أن 'الحزام لا يتواشج مع أي شيء في الحياة الكليانية كما نعرفها وإنما بالأحرى مع تلك الأحزمة التي يرتديها الدبلوماسيون في المناسبات الاحتفالية.'[58] بالتالي اقترح شتاين أن يرتدوا أربطة على الذراع بدلاً من ذلك. وبشكل مشابه، فيما أدخل أورويل الأبواق في الرواية، أراد شتاين 'إزالتها' لأن الأبواق بالنسبة للأمريكيين 'ترتبط بالمهرجانات'.[59]

لكن الخاتمة هي التي مَرَّنتْ شتاين أكثر، وقال لراثفون: 'إن المشكلة مع الخاتمة، كما أفهمها، هي أنها تنتهي بملاحظة من اليأس الكلي:لقد جُرِّد وينستون سميث من إنسانيته وأذعن للدولة الكليانية. أعتقد أننا اتفقنا أن هذا يقدم موقفاً بلا أمل حيث، في الواقع، هناك بعض الأمل... أمل بأن الطبيعة الإنسانية لا يمكن أن تغيرها الكليانية وأن الحب والطبيعة يمكن أن يُنقذا حتى من الانتهاكات الرهيبة للأخ الأكبر'.[60] واقترح شتاين بأن يسقط راثفون خاتمة أورويل لصالح الحل التالي: 'تنهض جوليا وتسير مبتعدة عن وينستون. ألا يستطيع وينستون أيضاً أن يغادر المقهى، دون أن يتبع جوليا وإنما يسير في الاتجاه المعاكس وبينما هو يسير بقنوط في الشارع، ألا يستطيع مشاهدة وجوه الأطفال، وليس وجه الطفلة التي ثرثرت عن والدها وإنما وجوه الأطفال الذين نجحوا في الحفاظ على بعض براءتهم الطبيعية... يبدأ بالسير بسرعة، وتصبح الموسيقى أكثر قوة إلى أن يصبح وينستون مرة أخرى قرب البقعة المعزولة حيث عثر هو وجوليا على ملاذ من العالم الكلياني. ومرة ثانية نرى أوراق العشب، الريح تحرك أغصان الأشجار، وربما نرى حتى من خلال عيني وينستون زوجين آخرين يختليان سوية. فهذه الأمور، بالنسبة لوينستون، ولنا، ترمز إلى الديمومة التي لا يستطيع الأخ الكبير أن يدمرها. وبينما يسير وينستون مبتعداً عن هذا المشهد، نسمع على المدرج الصوتي قلبه يخفق وهو يلهث حين يدرك ما لا يقدر الأخ الكبير على أخذه من الإنسانية، ما سيكون دوماً على تناقض مع عالم رواية *1984* وفي صراع معه، وربما كي نقبض على وجهة النظر هذه، نستطيع رؤية وينستون ينظر إلى يديه: إصبعان في يده اليسرى، إصبعان في يده اليمنى، ويدرك أن

اثنان زائد اثنين تساوي أربعة. حين يدرك هذا، نستمر في سماع قلبه ينبض، ومن خلال التوسيع، يصبح نبض القلب الإنساني أكثر قوة، حتى ينتهي الفيلم.'[61]

وانتهى الفيلم فعلاً بخاتمتين مختلفتين: واحدة للجمهور الأمريكي، وأخرى للبريطاني. ولم تتبع أي منهما اقتراحات شتاين العذبة، رغم أن النسخة البريطانية كانت مخلصة لفكرة خاتمة شتاين، حيث تطلق النار على وينستون حين يصيح: 'يسقط الأخ الكبير!'، وفي الحال تتبعه جوليا. في الكتاب، وفي تغاير مباشر، أنكر أورويل بشكل واضح احتمال أن تنهض الروح الإنسانية فوق ضغوط الأخ الكبير. لقد انهزم وينستون بشكل كامل، وتحطمت روحه. ' انتهى الصراع. وفاز بالنصر على نفسه. أحب الأخ الكبير'. ونُبذَتْ توجيهات أورويل المحددة بأن رواية *1984* يجب ألا تُغيَّر بأية طريقة.

كان فيلم *مزرعة الحيوان* و *1984* جاهزين للتوزيع في 1956. وأعلن سول شتاين أنهما 'يمتلكان أهمية إيديولوجية للجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية'، ووعد بأن يرى أنهما سيحصلان 'على توزيع واسع قدر الإمكان'.[62] واتخذت خطوات في ذلك الوقت من أجل تشجيع استقبال مفضل لهما، وبينها 'الترتيب لافتتاحيات في صحف نيويورك' وتوزيع 'كمية ضخمة جداً من البطاقات المخفضة'.

يمكن القول أن 'التزوير' متضمن في كل الانتقالات من النص إلى الشريط السينمائي، وأن صناعة فيلم هي – وليس بالضرورة بشكل مؤذ – فعل ترجمة أو حتى إعادة ابتكار. ويقول إسحق دويتشر في مقالته 'تصوف القسوة' حول رواية *1984*، إن أورويل 'استعار فكرة 1984، والحبكة، والشخصيات الرئيسية، والرموز، ومناخ قصته كله من رواية إفغيني زامياتن *نحن*'.[63] وكانت ذكرى دويتشر الشخصية عن أرويل هو أنه 'عاش على المؤامرات'، وأن تفكيره السياسي قد 'صعقني كتصعيد فرويدي لهوس الاضطهاد'. متضايقاً من 'عدم امتلاك أورويل للحس التاريخي وللبصيرة السيكولوجية في الحياة السياسية'، حذَّر دويتشر: 'سيكون من الخطر أن نعمي أنفسنا عن حقيقة أنه في الغرب يمكن أن يميل ملايين البشر، في ألمهم وخوفهم، إلى الهرب من مسؤوليتهم الخاصة حيال مصير البشرية وأن يصبوا غضبهم ويأسهم على كبش فداء فعلت رواية أورويل *1984* الكثير لتضعه أمام أعيننا... المسكين أورويل، هل حدث واستطاع تخيل أن كتابه سيصبح بنداً بارزاً في برنامج هيت ويك؟'[64]

لكن أورويل نفسه لم يكن بريئاً بشكل كامل من مناورات حرب باردة كهذه. لقد سلم في النهاية قائمة بأسماء متعاطفين مشبوهين إلى قسم بحث المعلومات في 1949، وكانت قائمة عرضتْ خمسة وثلاثين شخصاً كمتعاطفين (أو FT بحسب كلام أورويل)، ورجال واجهة مشتبه بهم، وبينهم كينكسلي مارتن، محرر مجلة *نيو ستيتسمان آند نيشن* (ليبرالي متآكل. مخادع جداً)، بول روبيسون (معاد للبيض جداً. داعم لوالاس)، ج. ب. بريستلي (متعاطف قويٌّ، ربما له ارتباط تنظيمي ما. معاد جداً للولايات المتحدة) ومايكل ريدغريف (بشكل ساخر، منح ظهوراً فيما بعد في فيلم *1984*). إن أورويل المشتبه بأي شخص، كان دوماً يحتفظ بدفتر أزرق من قطع الربع في متناول يده طول عدة سنوات. وفي 1949، احتوى على مائة وخمسة وعشرين

اسماً، وأصبح نوعاً من 'اللعبة' التي أحب أورويل أن يلعبها مع كويستلر وريتشارد ريز، واللذين سيخمنان 'إلى أية أبعاد من الخيانة سيذهب بعابعنا'.[66] وبدا كأن معايير إدخال الأسماء كانت واسعة جداً، كما في حال ستيفن سبيندر، الذي اعتقد أورويل أن 'ميله إلى الشذوذ الجنسي' يستحق التنويه (قال أيضاً إنه كان لا يعتمد عليه إطلاقاً وهو يتأثر بسهولة). وسجل اسم الواقعي الأمريكي جون شتاينبك فقط لأنه 'كاتب زائف، ساذج وزائف'، بينما ربح أبتون سنكلير لقب 'سخيف جداً'. ووصفَ جورج بادمور (الاسم المستعار هو مالكولم نيرس) بأنه 'زنجي ربما من أصول أفريقية؟'، وكان 'معادياً للبيض' وعلى الأرجح عاشق لنانسي كنراد. أما توم دريبيرغ فقد نال هجوماً عنيفاً لأنه يمثل جميع الأمور التي يخشاها أورويل: 'كان لوطياً'، 'ويعتقد بشكل عام بأنه عضوٌ سريٌّ'، و 'يهودي إنكليزي'.[67]

ولكن، لأن هذا نوع من الألعاب، فإن ما سماه أورويل بـ'قائمته الصغيرة' اتخذتْ بعداً جديداً وشريراً حين قدمها إلى قسم بحث المعلومات، الذراع السرية (كما كان أورويل يعرف) لوزارة الخارجية. ورغم أن آدم واتسون، الذي كان يعمل في قسم بحث المعلومات، زعم فيما بعد أن 'فائدتها الفورية كانت أن هؤلاء لم يكونوا أشخاصاً يجب أن يكتبوا لنا'، إلا أنه كشف أيضاً أن '*علاقاتهم مع المنظمات المدعومة من قبل السوفيات كان ينبغي أن تُفضَح في موعد لاحق ما*'.[68] بكلمات أخرى، حالما صارت في أيدي فرع من الحكومة فإن قائمة أورويل فقدت أية براءة يمكن أن تمتلكها كوثيقة خاصة. لقد أصبحت ملفاً يمكن أن يسيء إلى سمعة الناس ووظائفهم.

بعد خمسين عاماً، أيَّد كاتب سيرة أورويل المفوَّض، برنارد كريك، بقوة، فعل أورويل، مدعياً أنه 'لا يختلف عن المواطنين المسؤولين في هذه الأيام الذين ينقلون المعلومات إلى الفرقة المضادة للإرهاب حول أشخاص في وسطهم يعتقدون أنهم رماة قنابل من الجيش الجمهوري الأيرلندي. وكان ينظر إلى هذه كأوقات خطيرة في نهاية الأربعينات'.[69] وحاكى هذا الدفاع أولئك الذين قرروا أن يؤبدوا أسطورة مجموعة فكرية مقيدة بروابطها مع موسكو، توحدها محاولة تحريضية لتحضير الأرضية للستالينية في بريطانيا. وليس هناك دليل على أن أي شخص من الذين كانوا على قائمة أورويل (بقدر ما جُعِلَتْ علنية) كان متورطاً في أي مشروع غير قانوني، وبالتأكيد لا شيء يبرر المقارنة مع الإرهابيين الجمهوريين. كان 'الشذوذ الجنسي' هو الإدانة الوحيدة التي تحمل أية مجازفة بالإدانة الإجرامية، رغم أن هذا لم يردع أورويل حين استخدم الكلمة. لم يمنع القانون البريطاني العضوية في الحزب الشيوعي، سواء كان يهودياً، أو وجدانياً أو غبياً. كتب بيريغرين ورستورن: 'بقدر ما كان اليمين يهم لا يستطيع أورويل أن يرتكب أي خطأ. فحكمه في هذه الأمور موثوق بشكل مطلق. وهكذا إذا جرى الاعتقاد بأن الحرب الباردة بررتْ لكاتب أن يكون متلهفاً بشكل إيجابي لدراسة آخر، فهذا هو الأمر إذاً. نهاية الجدل. لكن يجب ألا يكون هذا نهاية الجدل. إن عملاً غير شريف لا يصبح شريفاً لأن جورج أورويل ارتكبه'.[70]

هذا لا يعني القول بأن جورج أورويل كان مخطئاً في الاهتمام بما سماه 'التأثير السام للأساطير الروسية في الحياة الفكرية البريطانية'.[71] كان يعرف من بين جميع البشر كلفة

الإيديولوجيا، والتشويه الذي يرتكبه باسمها 'ليبراليون يخافون من الحرية ومفكرون يريدون الإساءة إلى الفكر'.[72] لقد بين بأفعاله أنه خلط بين دور المفكر ورجل الشرطة. وكمفكر كان بوسع أورويل أن يحصل على جمهور من أجل هجماته على الهوس البريطاني بروسيا، *بشكل علني*، من خلال دعوة خصومه إلى جدل على صفحات *تريبيون، وبوليمك*، ومجلات وصحف أخرى. كيف يمكن الدفاع عن قضية الحرية من خلال الرد على الخداع الفكري (المشبوه) بالحيلة؟

كتب أورويل في مقدمة رواية مزرعة *الحيوان*:'لو كان عليَّ أن أختار نصاً كي أُبَرِّرَ نفسي، لاخترت السطر التالي من ميلتون: *وفق القواعد المعروفة للحرية القديمة*'. وشرح أن العبارة تشير إلى إيمانه القوي بـ 'تراث عميق الجذور'، من ' الحرية الفكرية... من دونه لا يمكن أن توجد ثقافتنا الغربية الخاصة إلا بشكل ملتبس'. وتبع ذلك باقتباس من فولتير: 'أزدري ما تقوله، لكنني سوف أدافع حتى الموت عن حقك في قوله'.[73] وقبل موته بشهور، بدا أورويل كأنه يقول:'أمقت ما تقوله، سوف أدافع حتى الموت عن حقك في التعبير عنه، ولكن ليس في أية ظروف'. وحين علقت ماري مكارثي على ما رأته بأنه انتقال أورويل إلى اليمين، قالت:إن موته شاباً كان بركة.

الفصل الثامن عشر

حين يتعلم القريدس الصغير

لقد أصبحت الحرية سلسلة من الكليشيهات فحسب ... الكليشيه المتداول هو: ليست جميع المجتمعات التي تبدو حرة هي حرة كما تبدو... الكليشيه الملتبس: الحرية لا تتجزأ.

دوايت ماكدونالد، 1956

انتباه! انتباه! أيها المستمعون الأعزاء، سوف تسمعون الآن بيان اتحاد الكتاب الهنغاريين... هذا هو اتحاد الكتاب الهنغاريين. نطلب من جميع كتاب العالم، وجميع العلماء، وجميع اتحادات الكتاب، وجميع الهيئات العلمية، ومن النخبة الفكرية في العالم، نطلب منكم جميعاً المساعدة والدعم. هذا وقت قصير فحسب. أنتم تعرفون الحقائق. لا حاجة لأن نقدم لكم تقريراً جديداً. ساعدوا هنغاريا. ساعدوا الشعب الهنغاري. ساعدوا الكتاب، والعلماء، والعمال، والفلاحين، والأنتلجنسيا الهنغارية. ساعدوا. ساعدوا. ساعدوا'.

الأحد، الرابع من تشرين الثاني 1956. في الثامنة وسبع دقائق صباحاً، بعد دقائق من إذاعة هذه الرسالة، صمتتْ إذاعة بودابست. وتدفق الجيش السوفياتي إلى العاصمة تحت جنح الليل، وبدأ قمعه الوحشي لانتفاضة أوكتوبر. وفي الأشهر القليلة التالية، مات خمسة عشر ألف هنغاري، واعتقل خمسة آلاف دون محاكمة. وبينما كانت فرق دباباته تطوف في جادات بودابست الرئيسية، بدا وكأن الاتحاد السوفياتي يعاقب العالم لأنه أصدر حكماً سيئاً عليه: ماتت الستالينية؟ تعيش الستالينية!

وبعد عقد من التآمر والتحليل، وجمع المعلومات، ورسم الاستراتيجيات لتحرير 'الأمم المأسورة' في أوروبا، وقفت أمريكا الآن جامدة، وعلى ما يبدو، مرعوبة من استعراض العضلات السوفياتي هذا. وكتب مانيس سبيربر بشعور من المرارة في الحادي عشر من تشرين الثاني: 'مات الثوريون الهنغار يائسين من العالم الحر الذي كان يرغب أن يشاطرهم نصرهم ولكن ليس صراعهم'.[1] ولكن مع الغزو الأنجلو – فرنسي والإسرائيلي المتزامن للسويس، وجد آيزنهاور نفسه عالقاً في الطين الأخلاقي، مقيداً بالتشابهات الواضحة جداً للاعتداء الإمبريالي.

ولكن لم تكن السويس هي التي شَلَّتْ أمريكا فحسب: ذلك أنه بينما كان استراتيجيو الحكومة ورجال الاستخبارات ذوو المناصب العليا يمضون الأعوام في التخطيط لحدث مثل الانتفاضة الهنغارية، بدت كأنها مثل وهم، لعبة تجريدية، وظهر أنها لم تكن إلا بدون فائدة

أمام الواقع. وتبين أن 'العملية فوكس' Operation Focus، التي صدقت وكالة الاستخبارات المركزية نفسها أثناءها بأنها تراقب عن كثب الشؤون الهنغارية منذ أوائل الخمسينات، ظهرت أنها ضبابية بشكل يدعو إلى اليأس. وتذكر لورنس دي نوفيل، الذي عُيِّنَ في إذاعة أوروبا الحرة في 1954، أنه حين كان في شهره الأول هناك سأل 'ماذا يحدث إذا جاء رجل يرتدي معطفاً واقياً من المطر إلى هنا وقال: كنا نصغي إلى كل هذا الكلام ونحن مستعدون للبدء بثورة؟ وقد ناقشوا الأمر في اجتماع خاص للهيئة، ولم يعرفوا ماذا يفعلون. كان مجلس أوراق، وقلت لهم ذلك. كانوا جميعاً مشغولين بالاعتقاد بأنهم يقومون بعمل جيد ولم يكن أحد منهم يقوم بأي تخطيط. ثم فاجأتهم الأحداث'.[2]

وأثناء انتفاضة أوكتوبر شَجَّعتْ إذاعة أوروبا الحرة بشكل متكرر المتمردين. وبحسب بعض المزاعم، وعدت حتى بالدعم المسلح، رغم أن هذا كان – وما يزال – يجري انكاره بقوة من قِبَل وكالة الاستخبارات المركزية. ولكن بحسب دي نوفيل، لم تكن الوكالة في موقع لتقوم بإنكار كهذا لأنها، بشكل غير قابل للتصديق، لم تمتلك أية فكرة حول ما كان يذيعه القسم الهنغاري في الإذاعة. وأكمل دي نوفيل: 'كان الأمر كله خدعة وتضليلاً. كانت إذاعة أوروبا الحرة تُرْسل بانتظام توجيهات إلى واشنطن وميونيخ حول موادها الإذاعية، ذلك كان كله طيناً في العين، لأنهم تجاهلوا توجيهاتهم الخاصة. فضلاً عن ذلك، قامت الحكومة الأمريكية بترتيب مع البريطانيين من أجل مراقبة وترجمة المواد الإذاعية من أوروبا الشرقية، ولكن لم يترجم أحد مواد إذاعة أوروبا الحرة، وهكذا لم تعرف واشنطن ما الذي يحدث في إذاعتها. لم يكن من الضروري أن تنكر وكالة الاستخبارات المركزية المواد الإذاعية الهنغارية، لأنها لم تعرف فحسب.'[3] لم يُعْثر مطلقاً على نسخ المواد الهنغارية المذاعة من إذاعة أوروبا الحرة في تلك الأيام الحاسمة من تشرين الأول 1956.

وحين جاءت صدمة الإدراك بأن ثورة أوكتوبر الهنغارية فشلتْ، فرَّ آلاف من الهنغاريين إلى النمسا كي ينجوا من الانتقام السوفياتي. تدفقوا عبر الحدود،و اتجه معظمهم إلى فيينا. ومرة ثانية، كان الأمريكيون غير مستعدين بشكل كامل. وكتب جوسيلسون إلى شيبارد ستون في مؤسسة فورد، محذراً من 'أن الموقف المرتبط باللاجئين يبدو كأنه يصل إلى حال من الفوضى لا تحتمل. إن مكتبنا في فيينا وكذلك أولئك الذين عادوا من هناك في الأيام القليلة الأخيرة يتحدثون عن كارثة وشيكة إذا لم تُتَّخَذْ بعض الخطوات المهمة على الفور'.[4] وكان فرانك ويزنر في فيينا أيضاً، بعد أن وصل من واشنطن تماماً في الوقت المناسب كي يشهد حطام الثورة الفاشلة. ولقد أصبح ويزنر مستاء عاطفياً بحيث بدأ يكثر من احتساء الكحول. وفي وقت وصوله إلى محطته التالية، روما، كان رجال وكالة الاستخبارات المركزية المحليون هناك يصارعون لإدخاله في أمسيات الإفراط في الخمر. وفي أثنيا تناول بعض الرخويات النيئة فأصيب بالتهاب في الكبد، والحمى المرتفعة، والهذيان. وعزت أسرة ويزنر وأصدقاؤه انهياره الأخير كنائب لآلن دلس إلى الفوضى العاطفية لذلك الخريف. كان مستاء وغير عقلاني بشكل زائد، وأصيب في 1958 بانهيار عصبي وحل مكانه شخص آخر كنائب لدلس.[5]

وصل ميلفن لاسكي إلى المسرح بسرعة أيضاً، وكان يندفع جيئة وذهاباً من فيينا إلى الحدود الهنغارية في حال من الاهتياج. وبينما وجد ويزنر نفسه في عذاب شخصي، انتشى لاسكي من الرضا من نبوءة تحققتْ. وهو يتذكر بوضوح: هنغاريا، حسناً، خدمنا هذا. أعني ليس عليك أن تدفع بنساً من أجله. كان تحليلنا مبرراً، فقد قال إن الكليانية هي كلها مهزلة. ولقد وضع تحليلنا الحرية، الحرية البرجوازية، في جدول العمل'.[6] وبعد أن وحد القوى مع فريدريك توربيرغ، الذي أصبح مكتب مجلته فورم المقر المرتجل لحملة المنظمة في هنغاريا، وضع لاسكي قائمة بأسماء المفكرين والطلاب اللاجئين، وعمل كي يجد لهم أمكنة في الجامعات الأوروبية (بنسبة خمسة عشر في اليوم). وبدأ أيضاً بإعداد ملف من الوثائق (بمساعدة من أصدقائه في إذاعة أوروبا الحرة وصوت أمريكا) جمعها في كتاب دعاه *الثورة الهنغارية*، كتاب أبيض -تقرير أبيض الغلاف - نشره في إنكلترا سيكر وواربورغ، ونشره برايغر في الولايات المتحدة.

وفي باريس، اهتاجت المنظمة، وغصّت مكاتبها في جادة هاوسمان بالبشر. وقال جون هنت:'كنا قد بلغنا نقطة عالية من التوتر والانفعال. كانت مثيرة بشكل لا يصدق، وهو ما جئنا إلى هنا من أجله'.[7] وكان جون هنت قد وصل إلى المنظمة قبل عدة أشهر فقط داعياً شبكته الواسعة من الصلات والفروع إلى اللعب، ونسّق مكتب باريس احتجاجات عامة من سانتياغو إلى الدانمارك، من لبنان إلى نيويورك، ومن هامبورغ إلى بومباي. وفي السويد، أقنعت اللجنة المحلية أربعة من الفائزين بجائزة نوبل كي يوقعوا برقية احتجاج ضد المارشال بولغانين. ونَظَّمتْ اللجنة الأمريكية اجتماعاً حاشداً حضره كويستلر وسيلوني (أرادوا حضور همنغواي وأبرقوا إلى جوسيلسون كي يساعد في تحديد مكانه، لكنه رد بأن من المحتمل أن 'همنغواي في أوروبا لكن مكان وجوده غير مؤكد). وفي كانون الثاني 1957 كان مكتب باريس قادراً على أن ينوِّه بأنه 'لم يحدث من قبل بتاتاً أن توحدت أعمال اللجان القومية المتنوعة وأصبحت قوية هكذا'.[8]

وكانت النتيجة الأخرى للأزمة الهنغارية تأسيس الفرقة الموسيقية الهنغارية، وهي فرقة جُمِعَتْ بمبادرة من جوسيلسون تحت الإدارة الموسيقية لأنتال دوراتي مع زولتان روزنيي Zoltan Rozsnyay كمدير. كان روزنيي قد هرب إلى فيينا مع مائة عضو من فرقة بودابست الفيلاهارمونية حالما بدأت الدبابات السوفياتية تقصف العاصمة الهنغارية. وبمنحة أولية من سبعين ألف دولار، أصبحت الفرقة بؤرة قوية لعملية الصراع الثقافي، ولا تزال تتجول حتى اليوم.

ولكن لعل التطور الأكثر إثارة بالنسبة لجوسيلسون و'قوات صدامه الفكرية' كان الأنباء التي تفيد بأن سارتر شجب بشكل علني الحزب الشيوعي، واصماً القيادة السوفياتية بأنها 'مجموعة تتجاوز اليوم الستالينية التي شجبتها'. كتب في صحيفة *الإكسبرس* في التاسع من تشرين الثاني 1956، شاجباً السياسة السوفياتية منذ الحرب العالمية الثانية بأنها 'اثنا عشر عاماً من الإرهاب والجهل'، شجب 'بكل صدق' التدخل في هنغاريا. وانتقد الشيوعيين في وطنه قائلاً:'ليس ممكناً،

ولن يكون ممكناً استئناف العلاقات مع الأشخاص الذين يديرون حالياً الحزب الشيوعي الفرنسي. إن كل عبارة من عباراتهم، وكل حركة، ناجمة عن ثلاثين عاماً من الأكاذيب والتصلب. إن ردود فعلهم هي ردود فعل أشخاص لا يتحلون بأية مسؤولية على الإطلاق'.[9] وزعت المنظمة آلاف النسخ من تصريح سارتر، مع تصريح كامي، الذي هدد بأن يقود مقاطعة للأمم المتحدة إذا فشلتْ في التصويت من أجل 'الانسحاب الفوري للقوات السوفياتية' من هنغاريا، وبأن يشجب علناً إفلاسها وفشلها' إذا لم تنجح في تحقيق ذلك. ونوّه جوسيلسون بابتهاج: 'يبدو أن هناك... انفصالاً بين المفكرين الفرنسيين في ترتيب ينحدر من الشيوعيين، إلى المتعاطفين، إلى التقدميين، إلى المعادين للمعادين للشيوعية، والآن هناك الشيوعيون المعادون للشيوعيين'.[10] وقال إن لجنة أراغون المدعومة من الشيوعيين، اللجنة الوطنية للكتاب: 'نُسِفَتْ بشكل حقيقي... من الجائز القول أن 'التصوف' الشيوعي قد حُطِّمَ. لكنه نوّه أيضاً أنه' كان بوسع الحزب الاشتراكي الفرنسي الاستفادة من المناسبة لولا التدخل المشؤوم في مصر'.[11]

ولقد رسّختْ حقيقة أخرى عن صراع السويس نفسها في ذهن جوسيلسون الآن. قال لأحد المراسلين: 'من الواضح أنه إذا كانت أوروبا لا تريد الاستسلام عليها أن تصبح مستقلة عن مصادر نفطها الشرق أوسطية. إن برنامجاً من البحث العلمي المعمق من أجل استخدام مصادر أخرى للطاقة بدل النفط يمكن أن يكون هو الجواب'.[12] وبشكل محدد، كان جوسيلسون يعني الطاقة النووية. إن محاولات الحصول على قبول للقوة النووية كانت من أوليات السياسة الأمريكية الخارجية. في 1952، نوّه سي دي جاكسون في ملفاته المعدة للنشر أن 'المسائل كانت تتقدم في لايف حول مقالة لغوردون دين تدعو إلى إزالة عقدة الذنب من أمريكا حيال استخدام القنبلة النووية'.[13] كان سي دي جاكسون منخرطاً كذلك بشكل وثيق في تحضير خطاب آيزنهاور المشهور 'قنابل السلام' في الأمم المتحدة في الثامن من كانون الأول 1953، والذي اقترح فيه الرئيس تخفيضاً من جانب واحد للأسلحة النووية، ولخص وسائل تحويل الاستخدامات العسكرية للقوة النووية إلى استخدامات مدنية. وسي دي جاكسون هذا، الذي لم يكن مطلقاً شخصاً يُفَوِّتُ فرصة دعائية، قدم مذكرة إلى فرانك ويزنر في شباط 1954، اقترح فيها توسيع اقتراح آيزنهاور كي يتضمن 'الإعلان عن خطة من أجل تشييد أول مفاعل للطاقة النووية في برلين'. وقال سي دي إن هناك 'أسباباً عملية جداً ودعائية للقيام بذلك. إن كل أونصة من الوقود، سائلة أم صلبة، تستخدم في برلين لابد لها أن تُشْتَرَى عبر الأراضي السوفياتية. ورغم رؤوس الأموال الاحتياطية التي جمعناها، فإن حصاراً جديداً سيكون جدياً'.[14] وقال محاولاً الإقناع: 'إن مفاعلاً نووياً سيكون قادراً على تقديم الطاقة الأساسية الضرورية للعناية بالمدينة في ظروف الحصار'. كانت القيمة الدعائية المضادة للألمان والسوفيات واضحة. وفي الحقيقة، وعلى أساس الدعاية، لن يكون حتى من الضروري اتخاذ 'قرار نهائي' حيال البناء الفعلي لمحطة توليد الطاقة. فالفكرة ستُسَرَّب كفكرة فقط. وتستطيع مجموعة مسح التجول حول برلين بحثاً عن موقع مناسب، أن تنصب سياجاً حول منطقة حطام وتضع فيها علامات غامضة وتحرسها،

ويمكن حصر المشروع حالياً في مرحلة الإشاعة، والتي هي من وجهة نظر المراقبين البرلينيين والسوفيات جيدة تقريباً مثل القيام فعلاً بالعمل'.[15]

لم يكن جوسيلسون يملك شيئاً قريباً من هذا التفكير الماكيافيللي. ولقد تأثر بشكل حقيقي بفكرة آيزنهاور 'حول تطريق السيوف النووية إلى شفرات محاريث'.[16] كانت بواعثه مخلصة رغم سذاجتها. وفي رسالة إلى نابوكوف، كتب: 'إن استغلال الطاقة النووية سوف يغير قدر البشرية والمجتمع جذرياً. وأنا مقتنع بقوة أن هذا سيكون أيضاً أغنية البجعة للماركسية، ويقدم أساساً فلسفياً وسوسيولوجياً جديداً للبشرية، مثلما قدمت الثورة الصناعية الأساس لنظريات ماركس'.[17] رحب جوسيلسون باقتراح آيزنهاور لوضع المصادر النووية في خدمة أهداف سلمية واعتبره 'ضربة عبقرية'، وكان جوسيلسون متحمساً لتعزيز الفكرة من خلال مجلات المنظمة، لكنه اصطدم بجدار من اللامبالاة. و قال لدي نوفيل في كانون الثاني 1954: 'حاولت بلا جدوى أن أرتب نشر سلسلة من المقالات في مجلة *Preuves*، بعد اقتراح آيزنهاور وأن تقتبس منها مجلات أخرى في أوروبا. للأسف، فالعلماء الثلاثة البارزون وغير الشيوعيين في فرنسا رفضوا تحت حجة أو أخرى... فمن المألوف ألا تستغل فكرة جيدة بشكل كامل لأن البشر إما كُسالى جداً أو مشغولون جداً أو ربما لا يهتمون فحسب.[18] مع ذلك، فهذه فكرة تستطيع أن تزرع أملاً وثقة جديدين بين بعض الأوروبيين اليائسين جداً'. وأنهى جوسيلسون كلامه قائلاً: 'إذا كانت لديك أية أفكار، من فضلك لا تحتفظ بها لنفسك'.[19]

ما حدث بعد ذلك كان يقدم كشفاً نادراً حول آليات عمل الأرستقراطية السرية التي تقف وراء المنظمة من أجل الحرية الثقافية. مُرِّرتْ رسالة جوسيلسون إلى سي دي جاكسون في البيت الأبيض. ومررها سي دي جاكسون إلى تريسي بارنز في وكالة الاستخبارات المركزية، مع اقتراح بأن يُدعى ويليم تايلر 'كي يؤلف هذه القطعة للعالم الأوروبي ذي الاسم الكبير المناسب'. كان تايلر ضابط علاقات عامة في السفارة الأمريكية في باريس (رغم أن وظائفه الكثيرة توحي أن هذا غطاء). قال جاكسون: 'بالإضافة إلى قدرته على كتابة فرنسية أكاديمية خالية من الأخطاء، كان تايلر يمتلك الميزة الإضافية بأنه كان وراء كثير من... مسودات هذا الكلام، بحيث يمتلك اتقاناً كاملاً لفلسفة الكلام'. أخبر جاكسون بارنز أن يطرح هذه الفكرة على 'جوسيلسون' كقضية ملحة، بينما كان العدد التالي من مجلة بروف *Peruves* على وشك الاختتام.[20]

وبينما كان جوسيلسون يغذي أفكاره من أجل أوروبا مزودة بالطاقة النووية موحدة خلف مفهوم الحرية الديموقراطية، كان دوايت ماكدونالد في مصر يشهد كيف تتصرف الإمبراطوريات الغربية بشكل سيئ. كان في مهمة لمجلة *إنكاونتر* التي أصبح محررها المساعد. وماكدونالد هذا، الذي بدا كبروفيسور مجنون يحمل شبكة لصيد الفراشات، كما قال أحد أصدقائه، وصل إلى نقطة عالية من مهنته: فقد أنهى لتوه مقالته الطويلة عن مؤسسة فورد لمجلة ذ *نيويوركر*، واستساغ فرصة العمل في مجلة ثقافية مختصة مثل *إنكاونتر*. وهكذا كان من الغريب أن تفشل مهمته في القاهرة في أن تحثه على كتابة أي ريبورتاج جيد. وبالفعل، حين

سمع قذيفة تضرب بناء قرب فندقه، نهض وانتقل إلى الضواحي، حيث اختبأ لعدة أيام دون أن يتصل بمكتب مجلة *إنكاونتر*. إن ماكدونالد، الذي وصف اعتقاله في 1941 لأنه هاجم القنصلية السوفياتية في نيويورك بـ 'تسلية كبيرة'، بدا الآن كأنه فقد ذوقه من أجل المجازفة، ولم يغامر مرة واحدة بالخروج من المدينة كي يرى منطقة الحرب. يتذكر لاسكي: 'دفعنا له مائتي باوند من أجل بطاقة الطائرة ودفعنا من أجل الفندق، بحيث يتمكن دوايت أن يكتب مقالاً تحليلياً تالياً لحادثة السويس، لكن ما كتبه كان غير قابل للنشر مطلقاً. لقد أصيب هناك بسكتة أوقفته عن الكتابة ثم عاد وكان يجلس في المكتب طيلة شهور أحياناً وكل ما سيكون هناك هو سكتة الكاتب تلك.'[21]

كان تعيين ماكدونالد في مجلة *إنكاونتر* مثيراً للجدل من البداية. لم يكن جوسيلسون راضياً مطلقاً عن تحرير كريستول، واصطدم الاثنان حول ما يجب أن تكونه المجلة منذ العدد الأول. وشعر جوسيلسون أن كريستول كان ثميناً جداً حيال مسائل الحرب الباردة، وطلب المزيد من التأكيد على الجانب السياسي في المجلة. 'نحن لا ننشر مجلات ثقافية باستخدام الحرف الكبير C. أنا متضايق من فشلك في عدم فهم ذلك،'[22] هذا ما قاله جوسيلسون لكريستول (في ملاحظة تقترب من تبرير تعليق أحد النقاد بأن *إنكاونتر* كانت مجلة دعاية سياسية بديكور ثقافي). ولقد اتفق لاسكي، كما فعل دائماً، مع جوسيلسون: 'كنا قلقين في منتصف الخمسينات من أن مجلة *إنكاونتر* لا تهتم بشكل كاف بالشؤون السوفياتية وشؤون الكتلة الشرقية. لكن كريستول لم يرد فعل ذلك. كان لديه نوع من الخوف العصبي، والتشنجي من النقاش الإيديولوجي'.[23] وعلى رغم دعوة كريستول إلى الموافقة في سلسلة من اللقاءات في باريس، في أوائل 1955، كان جوسيلسون ساخطاً بشكل كامل. وكتب جوسيلسون بغموض: 'سترى أن الجميع اتفقوا في اجتماع لجنتنا التنفيذية بأن الفترة التي أمضتها مجلة *إنكاونتر* حتى الآن في التغلب على المقاومة السرية والعلنية هي فترة مَرَّتْ بشكل جيد، ولكن حان الوقت للقيام بخطوة أخرى'.[24] وكان رد كريستول بالكاد مسايراً. وكتب: 'عليَّ، بشكل أساسي، أن أقوم بالأمور على طريقتي... وإذا تبيَّن أن طريقتي غير صحيحة، هناك دوماً حلٌّ نهائيٌّ'.[25] وبينما أشار كريستول، بشكل مهمل، إلى قرب نهايته، كان جوسيلسون قد خطا مسبقاً خطوة إلى الأمام، طالباً من ناباكوف ولاسكي أن يقوما بالجولات بهدوء ويسألا عن تزكيات من أجل محرر بديل. واقترح إشعيا برلين، الذي كان يُستشار عادة في مسائل كهذه، وهـ. ستيوارت هيوز. وكان الاقتراح الآخر فيليب هورتون، العضو السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية، ورئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية الأولى في باريس في 1947، والذي كان يعمل آنذاك لـ'ذ ريبورتر' *The Reporter*. وكان سبيندر في ذلك الوقت منشغلاً جداً بتحطيم منصب كريستول ولقد أخبر جوسيلسون، تاركاً إياه دون شكوك حول فوائد إزالة كريستول: 'أعتقد أن هذا يجب أن يحدث لأنه شخص تنافسيٌّ بشكل متوتر ويعتبر جميع القرارات نوعاً من الصراع الذي ينبغي أن يحقق فيه النصر، إما بالاحتفاظ بالقرار لنفسه، أو بتخريبه إذا اتُّخذَ من قبل صديقه'.[26] إذا ذهب إرفنغ نستطيع البدء بمناقشة الأمور التي يُمكن أن تُقرَّر على الفور، والتي يحولها إلى

معارك طويلة'. [27] كان نابوكوف، في غضون ذلك، يمتلك مرشحاً آخر في ذهنه، وكتب إلى صديقه المؤتمن 'آرثورو' شليسنغر ليسأله إن كان يستطيع 'أن يسأل دوايت ماكدونالد بطريقة لبقة جداً. كان شليسنغر متحمساً جداً. وهكذا علق مكيريدج بأن كريستول كان 'شخصاً ظريفاً جداً لكنه بلا فائدة بشكل كامل وغير قادر على أن تكون له أية أهمية'، ولقد تضمن هذا التعليق ما زعم لاسكي أنه 'حقد بيولوجي. اعتقد أنه بربري'. [28]

وافق جوسيلسون على مناقشة الإمكانية مع ماكدونالد في نيويورك، وذهب كي يلتقي به هناك في حزيران 1955. انسجم الاثنان بشكل جيد، ولكن جوسيلسون كان قلقاً من أن مزاج ماكدونالد المزعج لن يكون من السهل إيواؤه في خيمة المنظمة. قال جوسيلسون إنه كان 'ذئباً متوحداً' في معظم الأحيان. وحين اكتشف سيدني هوك أمر اللقاء هدَّد بأن يستقيل من اللجنة التنفيذية وقال إنه سوف يفضح المنظمة. [29] عُيِّنَ ماكدونالد. أما كريستول، الذي أُبقيَ في الظلام، أثناء هذه المفاوضات، فكان ميالاً إلى الشك حين علم في النهاية أن ماكدونالد اعتبر بديلاً له. وقال فيما بعد: 'كان هذا سخيفاً. كان فوضوياً ومسالماً!'[30]

وحين حان موعد عقد مؤتمر المنظمة، الذي حمل اسم مستقبل الحرية، في ميلانو في أيلول 1955، كانت المسألة لا تزال دون حل. وخلال الأسبوع الأوسط في أيلول 1955 تعالى بخار المكائد من فندق الوفود. تذكر ستيوارت هامبشاير سياسة المخادع تلك أكثر مما تذكر المجادلات نفسها (التي كانت، بحسب، حنا آرنت، 'مملة بشكل قاتل'). وبينما كان جورج كينان يُنَغِّمُ حول 'استراتيجية الحرية' (وهي من موضوعات كينان النموذجية – الحرية، كالسياسة الخارجية، يجب أن تنظَّم استراتيجياً)، أصبحت غرفة نوم سيدني هوك بؤرة خلية تعارض على تعيين دوايت. كانت مشية سريعة تقود إلى غرفة نوم آرثر شليسنغر، وهناك كانت تجتمع الفئة التي تدعم تعيين دوايت. وتذكر هامبشاير:'لقد استخدم حق الفيتو ضد دوايت، وذلك من قِبَلِ سيدني هوك بشكل رئيسي، واكتشفت آنذاك أن هناك سيطرة مركزية: الجهاز في حال عمل. بالتأكيد، كان دوايت سيصبح مدفعاً مفلتاً. لا تعرف بتاتاً ما الذي يمكن أن يفعله أو يقوله في المرة التالية. ولم يكونوا يريدون ذلك.'[31]

لكن شليسنغر كان عنيداً يقول: 'لقد دعمته. وهكذا فعلت وكالة الاستخبارات المركزية التي ضغطت على جوسيلسون كي يقبل، ففعل ذلك متردداً'. [32] وفي النهاية، تم التوصل إلى حل وسط بحيث يلتحق ماكدونالد لمدة عام 'كمحرر مساهم'، وكريستول يبقى. وكتب جوسيلسون إلى مكيريدج كي يشرح الترتيب قائلاً إنه منح كريستول 'جرعة ثقيلة جداً من المعالجة الصريحة التي تقرب من الوحشية بحيث يمكن توقع تغيُّر مفيد في موقفه'.[33] ولكن في غضون شهور، تَحَطَّمَتْ هذه التوقعات. استمر القنص، ووجد جوسيلسون نفسه يكتب مستاء إلى كريستول: 'لا أستطيع قطع رأسك إذا لم تبرز عنقك. لا أعرف أين تضع خطاً بين النقد التحريري ومسائل المبدأ'. [34] واعترف جوسيلسون أمام دانييل بيل: 'أشعر أحياناً أن إرفنغ كريستول سَيُغيِّرُ طرقه حين يتعلم القريدس الصفير'. [35]

كان جوسيلسون يمتلك شكوكاً غريزية حول ماكدونالد. ما إن تم تأكيد تعيينه (براتب سخي يتألف من اثني عشر ألف دولار بالإضافة إلى النفقات)، حتى قدم دوايت مقالة إلى مجلة *إنكاونتر* بعنوان 'لم تحدث معجزة في ميلانو'. وتركت ملاحظاته عن النفقات المترفة التي تمتع بها الموفدون، وفقدانهم الواضح للتركيز على مجادلات المؤتمر، سبيندر وكريستول في دوار. وعلى عكس ما توقعه ماكدونالد – قبل مجيئه إلى لندن كتب إلى سبيندر أنه 'سُرَّ جداً' لدى سماعه عن موقف المنظمة من *إنكاونتر*، إن 'رفع أيديهم عن السياسة... يبدو كسلاً بشكل إيجابي'[36] – ناقش المقالة نابوكوف، وبوندي، ولاسكي، وجوسيلسون قبل أن تُعاد في النهاية إلى ماكدونالد بعد اقتراح كثير من التعديلات. ونُشرت أخيراً في كانون الأول 1955 بعد شهر من ظهور مقالة أخرى أكثر احتراماً بكثير كتبها عالم الاجتماع المحافظ إدوارد شيلز. لكن هذا التدخل كان يميز طعم الأشياء القادمة.

وفي أعقاب الحوادث العاصفة لعام 1956، صاغت المنظمة شكلها. رغم أنها لم تفكر بنفسها 'بشكل حصري كمنظمة مقاتلة من أجل المعركة الإيديولوجية وفضح الجرائم، والأكاذيب، ومحاكم التفتيش'، وكان هذا بالضبط ما تفوقت فيه. ولقد أكملت ترتيبات أكثر رسمية لهذا النشاط في تشرين الأول من عام 1957، حين ترأس لاسكي تشكيل منبر المنظمة، الذي قدم 'خلفية من المعلومات والتحليلات ' للمشتركين من جميع أنحاء العالم. وفي الحقيقة، كان منبر الأنباء العالمية Forum World Features (كما أعيدت تسميته) عملية سي آي إي سرية كلاسيكية، عمل فيه جون هي ويتني مرة أخرى كواجهة، وسجّل الشركة باسمه وسماها شركة ديلاوير وفتح لها مكاتب في لندن. وفي الستينات كان منبر الأنباء العالمية Forum World Features أحد أكثر خدمات الأنباء التي تمتلكها وكالة الاستخبارات المركزية انتشاراً في العالم.

مع ذلك، وبإشراف حريص من جوسيلسون، استمر النظر إلى المنظمة بأنها المنظمة العالمية الوحيدة المستقلة والتي تنادي باستمرار من أجل إعلاء قيمة الحرية. وشرح بيان للمنظمة: 'كان الهدف هو خلق مجال للحرية الثقافية يمكن أن تقام فيه المشاريع الكبيرة للأدب، والفن، والفكر. كان من الضروري خلق منابر للتعبير عن الثقافة دون اعتبار للسياسة ودون خلط مع الدعاية، حيث يتركز الاهتمام المباشر على الأفكار والأعمال الأدبية في ذاتها وذلك من أجل معارضة عالم كل شيء فيه يخدم هدفاً سياسياً وهذا ما لا نقبله'.[38] كان هذا هو المعيار الذي سيوجه المنظمة، بشكل مطلق، في كل شيء. وبالطبع، لم يتخل الملائكة السريون للمنظمة عن الضرورة الدعائية بتاتاً. وكانت وظيفة جوسيلسون هي التأكد من أن هذه الضرورة مخبأة بعناية. وفي الوقت الحالي على الأقل، بدا وكأنها تعمل: كان الناس يتدفقون إلى المنظمة. وإذا حدث وكان هناك شيء مثل أناقة المعاداة للشيوعية، فهو موجود الآن.

ومرة أخرى، كانت الكلفة الشخصية لمايكل جوسيلسون مرتفعة جداً. ففي آب 1957، خضع لعملية رهيبة شملت نزع واستبدال شرايين في ساقه. وفيما كان يمثل للشفاء، أبهجه ميلفن لاسكي بأنباء عن 'معركة بريخت'، التي استخدمت فيها المنظمة مدفعيتها ضد 'العابدين الشيوعيين للمليونير الشيوعي' في مؤتمر عقد في برلين، محققة انتصاراً آخر في الثقافة

السياسية Kulturpolitik الألمانية.' وكانت الأنباء الأكثر إبهاجاً هي أن مؤسسة فورد أكدت تقديم هبة جديدة بقيمة خمسمائة ألف فرنك، وأن مؤسسة روكفيلر أيضاً جددت هباتها.

ولكن الرأي الأخير في ذلك العام ذهب إلى السوفيات بعد أن أطلقوا أول قمر صناعي ناجح في العالم في المدار في الرابع من تشرين الأول. بوزن أقل من مائتي رطل، كان لسبوتنيك الأول - الكلمة تعني المتعاطف - ثقل ضخم في الشؤون الدولية. وبينما كان يطن هذا الثقل عبر الكوكب خلق على الفور جواً من الذعر في الحكومة الأمريكية. 'أعتقد أن سبوتنيك دفن سمعة آيزنهاور لدى كل الأجيال القادمة... إنه الأول في الحرب، الأول في السلم، الأول في ارتباطات (الغولف) ولكنه الثاني إلى القمر'، [39] قال لاسكي لأحد المراسلين. وحين تحطمت على الأرض،بعد شهر، أمام نظر العالم كله لمحاولة أمريكا لإطلاق قمر اصطناعي أقل وزناً بكثير، كان طعم الهزيمة مراً في الحقيقة.

الفصل التاسع عشر

كعب أخيل

إن السلطة هي الشيء الأول الذي يخطىء في الولايات المتحدة. كان هناك الكثير منها وكان من السهل تركيزها كنفوذ.

توم برادن

في أواخر الخمسينات بدأت السي آي إي ترى مجلة *إنكاونتر* راية لها، متفقة مع تقييم جوسيلسون للمجلة بأنها 'رصيدنا الأعظم'. وكان 'الرصيد يعني، في كلام الوكالة، أي مصدر تحت تصرفها من أجل الاستخدام في دور عملياتي أو للدعم'.[1] واقتضى مبدأ الوكالة العملياتي، كما أسسه توم برادن، أن المنظمات التي تتلقى دعمها يجب ألا يُطلَب منها 'دعم جميع مظاهر السياسة الأمريكية الرسمية'.[2] وهذا يعني أن جدول عمل يسارياً يمكن أن يبقى في أداة مثل مجلة *إنكاونتر*. ولكن بينما 'كانت جناحاً يسارياً بمعنى أنها عَبَّرتْ عن بعض وجهات نظر الجناح اليساري... فهي لم تكن منتدى حراً بتاتاً، كما ادعتْ'،[3] وبحسب الفيلسوف البريطاني ريتشارد ولهايم. 'أعتقد أن تأثيرها نتج عن تقديم انطباع بأنها طيف الرأي الذي تنشره كله. ولكنها تلجأ إلى التقطيع أو التنقيح في نقطة معيّنة، وخاصة حين يتعلّق الأمر بمجال السياسة الخارجية الأمريكية. فقد كانت تُنْجَز بمهارة: كان هناك آراء نُشِرَتْ تنتقد أمريكا، لكنها لم تكن نقداً في الحقيقة'.[4] وهذا، بحسب توم برادن، ما كان من المتوقع أن تؤديه *إنكاونتر*: 'كانت دعاية بمعنى أنها لم تنحرف في غالب الأحيان عن تحديد وزارة الخارجية للسياسة الخارجية الأمريكية'.[5] وحين قدم برادن درجة من اللين، لم يقصد بالتأكيد أن *إنكاونتر* يجب أن تكون حرة في شجب مظهر معين أو جميع مظاهر السياسة الأمريكية الخارجية الرسمية. وهذا، في 1958، ما أسِّسَتْ كي تقوم به بالضبط.

باكراً في تلك السنة، أعاد دوايت ماكدونالد الظهور في نيويورك بعد قضاء مدة عمله في مجلة *إنكاونتر*. وكي يقطع الرحلة، عرج على توسكاني لمدة شهرين، حيث غمره إحساس بخصوبة التراث الأوروبي. وحين عاد إلى نيويورك، حيث سائقو التاكسي يشتمون والسلوك العام 'وحشي'، عانى من حالة خطيرة من الصدمة الثقافية. وجلس كي يكتب عن مشاعر اشمئزازه من العنف، والبهرجة، و'غياب شكل' أمريكا، البلاد التي بلا أسلوب، أو إحساس بالماضي أو الحاضر، والتي تنصرف إلى استخراج أكبر كمية من الربح. وقال غاضباً: 'ليس الشعار الوطني هو 'نثق بالله'، وإنما 'حصلت على ما هو لي وخدعتك، يا جاك'!.

ما كتبه ماكدونالد كان شكوى مطوَّلة عن بلاد رآها في حال انحطاط. وفي الوقت الذي كان فيه كثير من المفكرين يتدفقون كي يتبنوا الثقافة 'الأمريكية'، أعلن دوايت، ذو النزوع التمردي، موقفاً 'ضد المظهر الأمريكي'. وفي كانون الثاني، أرسل أفكاره إلى مجلة *إنكاونتر* في مقالة بعنوان 'أمريكا! أمريكا!' وزعم سبيندر فيما بعد أنه قبلها دون أن يقرأها بشكل ملائم. لكن إرفنغ كريستول أصيب بالذعر. ووجدها 'جون أوبسبورنية'، 'معذبة للذات' بشكل غير صحي، وبناء سيئ. وقال: 'كان دوايت صحفياً رائعاً دوماً وقادراً أحياناً على أن يكون سخيفاً بشكل كامل'.[7] وأضاف أن دوايت لم يكن يعرف شيئاً عن أمريكا لأنه جاء من خلفية عادية، والعائق نفسه منعه من فهم إنكلترا، التي قورنت بها أمريكا بشكل مؤذ في هذه المقالة'. لم يكن يعرف شيئاً عن إنكلترا، ولم يذهب بتاتاً إلى مباراة كرة قدم في إنكلترا، ولم يذهب مطلقاً إلى لعبة ركبي في إنكلترا. استقى معرفته عن إنكلترا من الأندية المتنوعة في منطقة سينت جيمس. كان شخصاً ريفياً أخرق!'[8] وكان هذا كلاماً قوياً من شخص، اعتاد أن يرتدي قبعة باولر ويحمل مظلة في طريقه إلى العمل. واعتقد لاسكي أيضاً أنها كانت 'مقالة بائسة جداً'، وحاكى زعم كريستول بأن ماكدونالد لم يكن يعرف أي شيء عن أمريكا الحقيقية لأنه كان 'رجلاً من ييل، ورجلاً من غرينيتش فيليج، وهذا ما كان يعرف عنه. وحين جاء إلى إنكلترا تبنى جميع المواقف المبتذلة لمارك توين أمريكي بريء في الخارج. أحب كل ما هو بريطاني. أحب البارات، وأسماء الشوارع والأحياء وكل شيء. لقد كنا مستائين. إن الأمريكيين يمكن أن يكونوا ساذجين هكذا وفي هذا المستوى المتدني. كانت مقالة مريعة. قلت لمايك جوسيلسون في ذلك الوقت إن دوايت كان كعب أخيل المنظمة، وكنت مصيباً'[9]، اختتم لاسكي باعتداد.

كانت خطيئة ماكدونالد أكبر من خطئه في لفظ كلمات معيّنة كما نوَّه كريستول. لم تخل المقالة من نقاط ضعف في نقدها لأمريكا المعاصرة. وكما توضح الطبيعة التعجبية لعنوانها، فقد كانت غريزية بدلاً من كونها رداً على القيم الأمريكية مناقشاً بشكل جدي. قارنت أمريكا بإنكلترا وإيطاليا بطريقة كشفتْ ضعفاً رومانسياً في ماكدونالد تجلى في إضفاء طابع مثالي على الثقافات الأجنبية. مع ذلك فقد كانت أيضاً مقالة مضادة فائقة للعادة، وظفت ثروة من المعطيات والبحث الحديث، وتناولت جميع مجالات الحياة الأمريكية المهمة للمعلنين عنها. هاجم ماكدونالد جميع الأبقار المقدسة، وكان صريحاً كأنه قرأ في مكان ما قائمة مهمة بجميع الآراء السلبية المسبقة التي كان جميع العاملين السريين الأمريكيين يحاولون استئصالها. شجب المادية المتفشية، التي لا يضاهيها أي نمو روحي، والجريمة العنيفة، والتقدم غير المعاق لألواح الإعلانات، وغياب التمييز بين النقاد الأدبيين،و انتشار التمييز العنصري. هاجم جون فوستر دلس قائلاً إنه 'المراوغ المتفنن'، النموذج الأصلي لنفاق أمريكا وبدائيتها، واعتبر هنري لوس 'فتى من الكشافة يعمل كزعيم عصابة'، وهاجم نائب الرئيس نيكسون بسبب 'سلوكه الأخرق في فنزويلا – الذي بسببه هوجم بشكل متواصل وكان يستحق ذلك – وهاجم الرئيس آيزنهاور كونه حاملَ بندقية رجعياً، وجورج ووكر، نائب الرئيس من فورد موتورز، بسبب تصرفه 'كملك شرقي'، وهاجم نقابات العمل الأمريكية كونها أكثر اهتماماً بالعلاقات العامة من

اهتمامها بالصراع الطبقي، وهاجم قائديها، ديفد دبنسكي ووالتر رويثر، قائلاً إنهما 'فاضلان ملعونان'.[10] واستمر هذا الكاتالوج من الذنوب الأمريكية المعاصرة، وكانت عداوة ماكدونالد للإمبراطورية الأمريكية المنحطة تأخذه إلى أعماق جديدة من القرف: 'فحين يسمع المرء الأوروبيين يشكون من أمركة أوروبا، يتمنى أن يمضوا بضعة أسابيع هنا ويحصلوا على حمل من الشيء الحقيقي... حتى الروس السوفيات، رغم كل وحشيتهم، والذين بالكاد تغطيهم ورقة تين الإيديولوجيا، يبدون كأنهم يتحدثون لغة مشتركة مع الشعوب الأخرى أكثر منا.'[11]

ورغم أنه وجد المقالة 'سخيفة بشكل كامل'، وافق كريستول على نشرها، زاعماً أنه لا خيار آخر لديه بعد موافقة ستيفن. وما إن قبلت حتى حصل مكتب باريس على نسخة. وعلى الفور طُلِبَ من إرفنغ وسبيندر عدم نشرها، وحذَّر من أن جنكي فلايشمان قال إنها ستؤذي المنظمة وتعرض التمويل للخطر. وزعم كريستول فيما بعد: 'قبلت وقررت عدم نشرها، بما أنني لم أحبها في المقام الأول. كان ستيفن صموتاً أكثر. ولكن في النهاية قلنا لمكتب باريس: إذا كانت ستجعل حياتكم صعبة، نستطيع الاستغناء عن نشرها. ثم نشرها دوايت في مكان آخر، شاكياً من الرقابة. إن رفض مقالة ليس رقابة. لقد كنت محرر مجلات طوال حياتي و رَفَضْتُ الكثير من المقالات ولم أعتبر هذا نوعاً من الرقابة مطلقاً'.[12]

كان سبنيدر هو الذي أخبر ماكدونالد أنهم لن يتمكنوا من نشر المقالة دون كثير من التغييرات. وقال ستيفن إنه بعد إعادة قراءة المقالة شعر بأنها أحادية ولاذعة في نقدها. أضاف أن نابوكوف قرأ المقالة و'تضايق جداً'. واستشاط ماكدونالد غضباً حين علم أن 'الأمانة العامة والمعلم المهيب للذوق العالمي نيكولاس نابوكوف' كانا يزودان محرري *إنكاونتر* 'بالنصيحة'، واقترح على 'ستيفن -إرفنغ - نيكولاس - مايك أو كل من هو موجود ويقرر الأمور أن المحررين، من الآن فصاعداً، 'يستشيرون مكتب باريس مباشرة، لدى استلام مخطوطة 'مثيرة للجدل'، من أجل اكتشاف ما تفكر به'.[13] وكما حدث، كان هذا بالضبط ما يفعله المحررون.

وبعد أن رفض ماكدونالد قبول إجراء أية تعديلات رفضت المقالة في النهاية. لقد قُبِلَتْ، ورُفِضتْ، وقُبِلتْ، ورُفِضَتْ. وقال سبيندر في مقابلة قبل موته بوقت قصير: 'أشعر بالاستياء من موضوع المقالة. فهي المقالة الوحيدة التي لم تُنشر في مجلة *إنكاونتر* بسبب ضغط قوي جداً مارسته علينا المنظمة من أجل الحرية الثقافية. إنها بالتأكيد المقالة الوحيدة. حين كانت هناك مشكلة حولها اعتقدت أنها مقالة من نوع غبي، وأنني لو قرأتها، لكنتُ عمدت إلى إجراء تعديلات عليها أو رفضها. والآن، حين أتذكر الأمر، هذا هو الشيء الوحيد الذي أندم عليه كثيراً، لأنني أعتقد حتى لو أنني قرأت المقالة ولم تعجبني، كان يجب أن ألح، وأصر على نشرها لأننا قبلناها، وكان السبب الرئيسي لرفضها هو عداؤها لأمريكا'.[14]

ولكن لم يكن مكتب باريس هو الذي تدخل فحسب. وبحسب ديانا جوسيلسون - التي اعتقدت أن المقالة مسيئة جداً - كان هذا هو 'المثال الوحيد عن تدخل وكالة الاستخبارات المركزية في التحرير، ولقد قاتله مايكل بقوة، لكنه لم يربح المعركة'.[15] ولكن كيف عرفت الوكالة بالمقالة في البداية؟ وكما تقول الأرثوذكسية التي يعتنقها أولئك المنخرطون: إذا لم تكن الوكالة

تـرى مسـبقاً منشـورات المنظمـة، فكيـف وصلتهـا، إذن، الأنبـاء عـن مقالـة ماكدونـالد؟ كـان جوسيلسون يتلقى مقدماً نسخاً من مجلة *بروف Preuves* وعلى الأقل قائمة محتويات *إنكـاونتر*. ولكن بالتأكيد لم يكن من مصلحته أن يمرر هذه المقالة النارية إلى رؤسائه في واشنطن؟ كان جوسيلسـون يفضل دوماً أن يعالج المشكلات بشكل مستقل عن الوكالة، التي بدأ يسـتاء مـن تبنيها للمنظمة بشكل متزايد. على أي حال، ليس هناك شك بأن مقالة 'أمريكا! أمريكا!' دارت في أروقة واشنطن. والمرجح أكثر، أن المقالة وصلت إلى هنـاك عن طريق ضـابط مهمة الوكالة في المنظمة (الذي كان، في ذلك الوقت، هو لي ويليامز).

إذا كان الشيء الوحيد الخاطئ في المقالة هو خضوعها للعداء الرخيص لأمريكا، فلماذا إذاً عرضت الوكالة مصداقية مجلة *إنكـاونتر*، 'رصيدهـا الأعظـم'، للخطـر حـين حـاولت منعهـا؟ بالتأكيد، كانت هناك فرصة كبيرة لإيضاح صدق *إنكاونتر*، ولإنهاء وجهة النظر القائلة بأنها لم تكن تنتقد الأخطاء الأمريكية، ولإعادة موازنة صوتها الذي بدا دوماً غريباً كما قال بعض النقاد؟ وإذا كانت المقالة سخيفة كما زعم الجميع،فهل ستؤذي أحداً غير مؤلفها إذن؟

وعلى عكس ما تذكرته ديانا جوسيلسون فيما بعد، كان جوسيلسـون في الحقيقة ضد نشر مقالة مسيئة من البداية. قال إنها 'أكثر المقالات المعادية لأمريكا سماجة '، من صنف ما يُنشر في المجلة السوفياتية Literaturnaya Gazeta.'[16] كـان يعـرف أن ماكدونـالد 'سوف يثـير شـيئاً بغيضاً ويهاجمنا علناً لكنني جاهزٌ لمواجهته'. كانت بصمات أصابعه على كل قرار منعها لأن نشرها سيؤذي كثيراً سمعة مجلة *إنكاونتر* في واشنطن، وسيجعل جوسيلسون يبدو كأنه خائن. كانت مصداقيته مهددة.[17]

وبالنسبة لأولئك العاملين السريين المتشددين، الذين كانوا ينظـرون إلـى قسم المنظمـات الدولية كشيء تافه وجانبي، ويسخرون مـن فكرة مساعدة وإغراء أشخاص أو منظمات مـن المفترض أنهم 'أصدقاء' أو أن لهم 'وجهة النظر نفسها'، كانت صفعة ماكدونالد دليلاً على ذلك. وعبّر ريتشارد هيلمز، نائب ويزنر، وفيما بعد، مدير وكالة الاستخبارات المركزية، عن هذه النزعة الكلبية حين أخبر لجنة مختارة أن 'العـامل السـري... مـدرَّبٌ علـى الإيمـان بـأنك في الحقيقـة لا تستطيع أن تُعَوِّل على شرف عميلك إلا إذا ملكته جسدياً وروحياً'.[18] وبدا كأنـه مجـرد حماقـة أن يتوقـع أحـد أن يدجـن أي شـخص في خدمـة وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة ماكدونالد المهاجم.

كانت جميع هذه الحجج بعيدة عن السبب الرئيسي لرفض مقالة ماكدونالد. إذ كان ممكناً السماح بالتعبير عن العداء لأمريكا بشكل مخفف. لكن ماكدونالد تجاوز الحدود حين قرر أن يختتم نقده بخلاصة من مقالة طويلة تلخص تقريراً حول سلوك الجنود الأمريكيين الذين أسروا أثناء الحرب الكورية. وكان هذا التقرير الذي اقتطف منه يوجين كينكيد في ذ *نيويوركر* في الخريف السابق، والذي أمر الجيش الأمريكي بإعداده، إدانة لسلوك عينة من الأسرى الأمريكيين: لقد 'أصبحوا في غالب الأحيان غير قابلين للإدارة. رفضوا طاعة الأمر، كانوا يشتمون وأحياناً يصفعون الضباط الذين يحاولون فرض الأوامر... وفي ليالي الشتاء، كان

الرجال اليائسون المصابون بالزحار يرميهم رفاقهم خارج الأكواخ ويُتركون كي يموتوا في البرد'. وبدا الجندي الأمريكي العادي كأنه 'ضائع دون قارورة أقراص ومرحاض يتدفق بسرعة'.[19] وما كان أكثر إزعاجاً هو أن التقرير أشار أيضاً إلى مستوى عال من التعاون والتلقين. ومن المدهش أن الجيش جعل تقريره علنياً وكان هذا كابوساً لرجال دعاية الحكومة.[20]

كان إدخال هذه المعلومات في مقالة ماكدونالد السبب الوحيد الجيد لمنع نشرها في مجلة *إنكاونتر* بفيتو رسمي. كان هذا الجزء الأخير بالضبط هو الذي سبب المشكلة. ومع ذلك، بعد سنوات، لا أحد من أولئك الذين انخرطوا في رفض مقالة ماكدونالد، بشكل مباشر، كان قادراً على تذكر مسألة كينكيد. قال إرفنغ كريستول: 'لا أذكر أي انهيار أخلاقي بين الجنود الأمريكيين في نهاية الحرب الكورية. وإذا حدث، فإن دوايت لن يعرف عنه. ما الذي كان يعرفه عن الحرب الكورية؟ كان يجلس في نيويورك يكتب لمجلة ذ *نيويوركر*، لكنه لم يكن يعرف شيئاً عن الحرب الكورية، فهو لم يذهب إلى كوريا بتاتاً. ولا أعتقد أنه قد سبق وزار فوجاً. لكنني لم أسمع أي شيء عن الاستياء في القوات المسلحة. ولا أذكر أن هذا ذُكِرَ في مقالة دوايت ماكدونالد إطلاقاً'.[21]

وبشكل مشابه، حين سئل ميلفن لاسكي لم يستطع تذكر أي شيء عن هذا. ولا ستيفن سبيندر. ولا ديانا جوسيلسون. ولا يمكن أن يُفهم هذا إلا في حالة من فقدان الذاكرة التاريخي الجماعي. أما فشل ذاكرة كريستول بخاصة فيستحق التنويه: كتب إليه جوسيلسون في تشرين الأول 1958 – في ذلك الوقت كانت المقالة سيئة السمعة قد نشرت في مجلة *ديسّينت* *Dissent*، وهي مجلة على يسار *بارتيسان ريفيو*، وكان كريستول قد رحل إلى نيويورك ليعمل في ذ *ريبورتر* – كتب قائلاً: 'الآن، فيما يتعلق بمقالته الفضائحية عن أمريكا التي أخطأت أنت وستيفن في قبولها في المقام الأول، يمكن أن تتذكر أيضاً أنك طلبت منه أن يعيد كتابتها ويحذف القسم الذي يدور حول كوريا كله والذي ظهر سابقاً في ذ *نيويوركر*. لم يفعل ذلك.'[22] وفي 1959، كان كريستول لا يزال متورطاً في جدل كينكيد، ولقد هاجمه شخصياً في نقاش متلفز.[23] وبسبب هذا حصل على موافقة جوسيلسون (النادرة)، وعلى 'قارئ شره' وجديد لـ 'ذ *ريبورتر*'.

وبمنع مقالة ماكدونالد – كان ظهورها المتأخر في مجلة *تيمبو بريزنتي* *Tempo Presente*، بعد أن نُشرت سابقاً في مكان آخر، مكافأة فقيرة – عُرِّض للخطر الادعاء بأن وكالة الاستخبارات المركزية تدعم دون شروط. وزعم ضابط المهمة في المنظمة لي ويليامز: 'كان هذا كله متعلقاً بجهود لخلق أدوات هي، بالتعريف، مُنمِّية للقيم الغربية، وللنقاش الحر والعلني. لم نقل لهم ماذا يجب أن يفعلوا، لأن هذا سيتناقض مع التقليد الأمريكي. وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك موضوعات أردنا أن نراها تُناقش، لكننا لم نقل لهم ماذا يجب أن يفعلوا... لم نطلب من أي شخص. اعتقدنا أننا يجب أن نترك الحقائق تتحدث بنفسها، ونترك الحوار يستمر، ونترك الأصوات الحرة تحصل على مكان كي تُعَبِّر عن نفسها. لم نقل: 'يجب أن تفكروا بهذه الطريقة'، 'يجب أن تخرجوا عن هذا الخط'، 'يجب أن تنشروا هذه المقالة'. كان هذا غريباً كلياً عمَّا كنا نفعله'.[24] وشكك ويليم كولبي أيضاً بقوة بالتهمة التي قالت إنه كان من المتوقع أن تقوم

مجلات مثل *إنكاونتر* بدورها 'كأبواق دولار' لوكالة الاستخبارات المركزية. قال: 'لم يكن هناك فرض للسيطرة من السي آي إي. كنا ندعم ولكننا لم نكن نرأس، ولم نمل عليهم ما يفعلونه. يمكن أن تجلسوا وكأصدقاء جيدين تستطيعون أن تتجادلوا حول إذا كان هذا الخط المعيَّن يمتلك معنى، ولكن ليس هناك معنى في هذا: هذا هو الأمر، خبطة قوية! هذا ما تريده واشنطن، لا أجوبة. كلا. هذا يحدث في موسكو وليس في واشنطن'.[25]

فعلت الوكالة والمفكرون الذين تمولهم الكثير من أجل حماية أسطورة الإيثار هذه. لكن قضية ماكدونالد أوحت بواقع مختلف. وقال جاسون إبشتاين:'زعمت وكالة الاستخبارات المركزية أنها ترعى حرية التعبير، وبالطبع لم يكن هذا صحيحاً. حين كتب دوايت ماكدونالد مقالته لمجلة *إنكاونتر*، رفض محررو المجلة نشرها، مستجيبين لما عرفوه بأنه موقف المنظمة. وينفي هذا الكثير عن تشجيع حرية التعبير. كانت وكالة الاستخبارات المركزية تدعم سياسة وخطاً سياسياً:هذا ما كانت تدفع من أجله وهذا ما توقعت الحصول عليه. أما حرية التعبير فلا علاقة لها بالأمر'.[26]

ولقد أشار ماكدونالد إلى نابوكوف وجوسيلسون بأن كلاً منهما ميترنيخ مكتب الواجهة في مجلة *إنكاونتر*. ونوَّه بنبرة جافة: 'سوف تتأكد فيما بعد أن الولايات المتحدة هي فنزويلا، الكبرياء القومية أمر شديد الحساسية. وما هو طريف بشكل خاص هو أن المنظمة من أجل الحرية الثقافية تقوم بالرقابة!'[27] وتبنى عالم الاجتماع الأمريكي نورمان برنباوم هذه النقطة في رسالة مفتوحة إلى المنظمة قائلاً إن المرسوم القاضي بمنع مقالة من *النشر في إنكاونتر* كان 'إهانة كاملة'، وأظهر بوضوح أن هناك ثغرة بين ما تنادي به المنظمة وبين ما تمارسه: 'كانت المنظمة من أجل الحرية الثقافية تحاضر للأنتلجنسيا، طيلة بضع سنوات، بأن الحرية لا تتجزأ. إنها على حق: إنها لا تتجزأ، ويجب أن يُقاتل من أجلها في المسائل الكبيرة والصغيرة، ضد مئات العقائد القطعية والحكومات الاستبدادية التافهة – دون استثناء أبطالها المعينين ذاتياً'.[28] وتابع برنباوم متهماً المنظمة بإخضاع 'الحرية' لمقتضيات السياسة الخارجية الأمريكية، 'ويبدو أنها تؤيد شيئاً ما يشبه كثيراً وجهة نظر ستالينية في الحقيقة: فالحقيقة، هي كل ما يخدم مصالح الحزب'.[29]

أما تهمة أن المنظمة خانت القضية التي تظاهرت باعتناقها فقد كان قاسية. وتألم جوسيلسون، مقتنعاً أن الغايات تبرر الوسائل، لكنه انزعج بشكل عميق من تهمة أن المنظمة ربطت الحقيقة بمرسومات جون فوستر دلس أو آلن ويلش دلس. لكنه تجنب المسألة برمتها حين كتب إلى ماكدونالد في نيسان 1958 رسالة رديئة وغير مقنعة كي يشرح المسألة: 'يجب أن تفهم أن إرفنغ وستيفن يجب أن يأكلا، أنه يجب أن يدفع لك من أجل مقالاتك، أن مجلة *إنكاونتر* يجب أن تكون قادرة على قول الأشياء التي هي مؤهلة بشكل أفضل لقولها دون أن تعرض مستقبلها للخطر'.[30] وكان رد ماكدونالد هو القول 'بأن حظر ملاحظات غير لائقة عن طريقة الحياة الأمريكية من النشر في *إنكاونتر* لأن محسناً من ماديسون آفينيو يرتدي ثياباً رمادية من النسيج الناعم يمكن أن يقطع التموين لهو عمل بائس بالفعل'.[31]

وأعلن نيكولا شياramonti في العدد الثاني من *إنكاونتر*: 'إن المبدأ الذي لا يستطيع أي مفكر الهرب منه دون أن يحط من قدره هو واجبه في فضح الأكاذيب ورفض أن يدعو 'الأكاذيب المفيدة' حقائق. وبينما لم تمتنع *إنكاونتر* مطلقاً عن فضح الأكاذيب المفيدة التي دعمت الأنظمة الشيوعية بها نفسها، فهي لم تكن في الحقيقة متحررة أبداً من 'إيديولوجية مصيدة الدب'، من سيكولوجية الحرب الباردة المنتشرة والتي هي 'الكذب من أجل الحقيقة. ومن خلال 'البقاء صامتة حيال أية مسائل حارة مثيرة للجدل، من خلال الدبلوماسية المفرطة وموقف السكوت والسكوت حيال كل الزيف والدجل الذي كان ينمو طيلة سنوات في جَوِّنا الفكري بأكمله'[32]، إن *إنكاونتر* قد عطَّلتْ المفهومين الأكثر قيمة بين المفاهيم الغربية: حرية التفكير والعمل بشكل مستقل، وقصقصتْ أشرعتها لتلائم الرياح السائدة.

وقيل إن 'مقالة مجلة يمكن أن تقول ما تقوله، ويستطيع أي شخص أن يفحص حججها ويختلف معها ودون أن يكون ذلك أداء سرياً'.[33] لكن صمت *إنكاونتر* الغريب، وإخفاءها المدروس لما لا يتناسب مع خطها وعزلها لمواد لا تلائم داعميها السريين، أوحى بأن العكس هو الصحيح. وكما قال أحد المؤرخين: 'لم تكن المسألة الوثيقة الصلة باستقلالية *إنكاونتر* هي إذا كانت هناك توجيهات تُبرق إلى المحررين من واشنطن، وإنما من الذي اختار المحررين في المقام الأول، ومن أسس الحدود الواضحة للرأي 'المسؤول' الذي في إطاره كانت الخلافات تُكشف دون أي مانع'.[34] وشرح جاسون إبشتاين الذي دعم هذه الحجة أنها 'لم تكن مسألة شراء وإفساد الكتاب والباحثين الأفراد، وإنما تأسيس نسق من القيم اعتباطي وحزبي يتم من خلاله تطوير الملاك الأكاديمي، وتعيين محرري المجلات، وتمويل الباحثين ونشر أعمالهم، ليس بالضرورة بسبب جدارتهم – رغم أنه كان هناك أشخاص مهمون – وإنما بسبب ولائهم'.[35]

كان جوسيلسون دوماً يتولى مسؤولية *إنكاونتر*. أعد الأغلفة التجريبية الأولى، و راجع ونقَّح قوائم محتويات الأعداد الأولى، واستمر في تلقي ملاحظات مسبقة عن محتوياتها. وكان يؤنبهم حين تنخفض المعايير، ويتزلف إليهم باستمرار كي يأخذوا بعين الاعتبار المقالات وموضوعات النقاش. وأحياناً كان يبدو وكأنه يصدر أمراً لهم. ولقد أرسل رسالة إخبارية عن مؤتمر المنظمة الآسيوي الذي كان سيُعْقَد في رانغون في كانون الثاني 1955، قائلاً لكريستول ببساطة: 'من الضروري أن يُعلن عن هذا المؤتمر في *إنكاونتر*'.[36] أحياناً يكون الأمر أكثر إرباكاً: 'لدي أمنية للعام الجديد، هي في الحقيقة مناقشة من الدرجة الأولى لمشكلة التعايش في *إنكاونتر*. وكثير من أصدقائنا، وبينهم مكيريدج وإرفنغ براون لديهم الأمنية نفسها'.[37] أو كان يحث سبيندر على فتح الصفحات الأدبية لجيل جديد من الكتاب الأمريكيين مثل سول بيلو، ج. د. سالنجر، ترومان كابوتي أو شيرلي آن غراو. أو ينصح كريستول بنشر مراجعة لكتاب جورج بادمور *حركة الجامعة الأفريقية أو الشيوعية*: 'أعتقد أنه من المهم أن يراجع هذا الكتاب أحد رجالنا'.[38] وكان جوسيلسون يفعل الشيء نفسه مع مجلة بروف، وغالباً ما دفع محررها فرانسواز بوندي إلى الاستياء. ففي حزيران 1952، هدَّد بوندي بالاستقالة إذا استمرت اللجنة التنفيذية في مناقشة سياسة مجلة بروف في غيابه وادعت حق إصدار توجيهات تحريرية.

وبشكل مساو، فعل جوسيلسون ما بوسعه كي يحمي المجلات من تدخل الوكالة. ولكن الزعم بأن رفض مقالة ماكدونالد كان فريداً في تاريخ *إنكاونتر* لا يمكن تأييده. فإذا كان هذا صحيحاً، يمكن أن يستنتج المرء أن محتويات *إنكاونتر* لاءمت ضرورات الوكالة، التي، بالتالي، شعرت أنها ليست بحاجة إلى استخدام الفيتو الخاص بها. وقد وصف أحد النقاد هذه العملية بأنها 'العلاقة الحتمية بين المُوَظِّف والمُوَظَّف التي تصبح فيها رغبات الأول متضمنة في أفعال الثاني'.[39] ولكن بحسب توم برادن، تدخلت الوكالة مرة على الأقل في السابق قائلة على لسان أحد أعضائها: 'إننا نعاني من بعض المشكلات في *إنكاونتر* بين فينة وأخرى، واعتدتُ أن أقول: دعوهم ينشرون ما يريدونه. وفي إحدى المرات - كان الأمر يتعلق بالسياسة الخارجية - ولقد أرسل إليّ لاري (دي نوفيل) سؤالاً عن مقالة كان علينا أن نمنعها. أعتقد أنها كانت تتعلق بالسياسة الأمريكية نحو الصين. كانت *إنكاونتر ستنشر* مقالة تنتقد السياسة الأمريكية فنشبت بيننا معركة جحيمية في المكتب. وأذكر أنني صعدت وتحدثت مع آلن دلس فرفض التدخل قائلاً فحسب: 'عالج الأمر'. وهكذا فإننا في النهاية منعناها، وأنا آسف على ذلك'.[40]

كان مونتي وودهاوس، المرتبط مع دي نوفيل في ذلك الوقت، 'يعي جيداً أن المنظمة من أجل الحرية الثقافية تمنع المقالات. لكنني لم أعرف مطلقاً أن هناك خطوط توجيه رسمية حول هذا الأمر في أي مكان'.[41] لم يستطع وودهاوس تذكر أن أعضاء جماعة الاستخبارات كانوا قد شاهدوا مقالة ليسلي فيدلر حول روزنبرغ وزوجته قبل النشر، لكن يبدو من المحبذ أن تدخلاً مثيراً للجدل كهذا وخاصة في مجال له أهمية حساسة بالنسبة للحكومة الأمريكية كان سيجذب انتباه وكالة الاستخبارات المركزية.

ظهرت المقالة التي أشار إليها برادن على مكتب جوسيلسون في الثامن والعشرين من تموز 1954 بعد أن أرسلها إليه سبيندر من لندن. كتبت المقالة إميلي هاهن، المساهمة الغريبة في *نيويوركر*، والخبيرة التي لا يشكك بها في شؤون الصين (ذلك أنها عاشت في هونغ كونغ في الثلاثينات والأربعينات، ولقد أصرّتْ على أخذ جوزيف آلسوب إلى ركن لتعاطي الأفيون حين زارها في 1941. و وجد الاثنان نفسيهما معتقلين في معسكر في هونغ كونغ بعد الاجتياح الياباني في 1942). ورد جوسيلسون بدوره أنه 'وجدها صادمة بشكل كامل. وهي بالتأكيد لن تصنع أي أصدقاء جدد في إنكلترا. سوف أرسلها إلى نيكولاس وفرانسواز وسأتصل بك أو بإرفنغ حولها قبل أن تصلك هذه الرسالة'.[42] وبعد يومين، كتب نابوكوف إلى كريستول وسبيندر: 'قبل الدخول في مسألة مقالة الآنسة إميلي هاهن، دعوني أعيد ذكر بعض المبادئ التي اتفقنا عليها جميعاً في مجرى الأحاديث التي تبادلناها في وقت إصدار *إنكاونتر*، وكذلك في اجتماعاتنا التالية المتنوعة. *لقد اتفقنا على أن جميع المقالات حول الموضوعات المثيرة للجدل يجب أن تعرض علينا قبل أن تُعرَض على أي شخص في الخارج*. اتفقنا على أن إحدى السياسات الأساسية لمجلة *إنكاونتر* هي أن تعمل من أجل تفاهم أفضل بين إنكلترا والولايات المتحدة، وبالتالي، فأن جميع المسائل السياسية يجب أن تُناقش على أعلى مستوى ممكن بحيث كلما حدث جدل، يجب أن يُحَدَّد بطريقة لا تكون مسيئة للمشاعر القومية لأي طرف من طرفي

المحيط. قرأنا جميعاً مقالة الآنسة هاهن... وأبدى جميعنا رد الفعل السلبي نفسه تجاه المقالة. شعرنا أن الآنسة هاهن تقدم إفادة خاطئة، سطحية، وغير دقيقة عن وجهة النظر الأمريكية في الصين. شعرنا أن مقالة الآنسة هاهن عدوانية في ما يتعلق بأسلوبها، ومزاجها ومحتوياتها'.[43] واتفق بوندي مع نابوكوف قائلاً إن المقالة مليئة 'بالإساءة الهستيرية'.

وبعد إيضاح ما هي هذه الإساءة الهستيرية، سأل نابوكوف: 'والآن، إلى أين ننطلق من هنا؟ نقترح ضرورة إقناع الآنسة هاهن بإعادة كتابة مقالتها، وسينتج عن هذا *تغييرٌ* كامل للنبرة بعد حذف معظم النصوص المسيئة. وبالإضافة إلى الآنسة هاهن، يجب أن تُحضّر مقالة أخرى تحدد وجهة النظر الأمريكية حول مشكلة الصين ولكن على مستوى رفيع ومقبول وبشكل أكثر دقة. وإذا كان لا يمكن إنجاز هذا، فنعتقد أن مقالة الآنسة هاهن يجب أن تُرمى وتثار هذه المسألة الحاسمة فيما بعد في موعد لاحق مع أشخاص أكثر مسؤولية من الآنسة هاهن ويمثلون وجهة النظر الأمريكية'.[44]

وخشية أن يكون هذا التذكير غير كاف قام نائب أمين المنظمة المعيَّن حديثاً، وعميل وكالة الاستخبارات المركزية، وارن مانشيل، بخطوة إلى الأمام في التاسع عشر من آب واقترح إجراء إصلاحات كثيرة في المقالة. كتب: 'نحن جميعاً متفقون هنا أن نشر المقالة سيكون مجافياً للحكمة. إذا كان قراركم غير قابل للتغيير، وكان من الضروري أن تظهر المقالة، لا بد من تغيير الأجزاء التالية كشرط أدنى لنشرها'.[45] وتبع ذلك قائمة منهكة من الأجزاء المطلوبة، مع ملاحظات مفصَّلة بخط مانشيل. وبالإضافة إلى ذلك حثَّ المحررين على إعادة النظر، محذراً من أن 'مقالة هاهن يمكن أن تدمر فرصنا'. لم تُنشر المقالة مطلقاً. أما أسباب منعها، التي حُجِبَتْ عن قراء وكتاب مجلة *إنكاونتر*، فتؤكد التهمة التي وجهت فيما بعد، بأن المجلة 'تنشر الحقيقة حين تكون غير مريحة للاتحاد السوفياتي، وتمنع الحقيقة حين تكون غير مريحة للولايات المتحدة'.[46]

الفصل العشرون

الناتو الثقافي

تقلَّب في قبرك يا سيد يرميلوف: لقد قبضت أموالاً من وكالة الاستخبارات المركزية.

نيكولاس نابوكوف

بعد إقالة ماكدونالد بوقت قصير، دعيَ ميلفن لاسكي كي يخلف إرفنغ كريستول في *إنكاونتر*، أما جوسيلسون الذي لم يضعف تصميمه لاستبدال كريستول فقد شعر بالسرور حين وافق لاسكي على تولي وظيفة لندن. حزم كريستول حقائبه. وشعر جوسيلسون أخيراً أنه متأكد من أن الجانب السياسي في المجلة هو في أيد آمنة. لن يكون هناك عذر- ولا حاجة - للوكالة كي تتدخل من الأعلى. وما إن استقر لاسكي على كرسي التحرير، حتى تلقى كلمة من فريدريك واربورغ بأن راتب سبيندر تدفعه الجمعية البريطانية من أجل الحرية الثقافية، 'مع أن المنظمة غير موجودة في الحقيقة'.[1] وبما أن *إنكاونتر* تخدم المصالح التي صنعتْ الجمعية البريطانية من أجل تطويرها، فقد توقفت الجمعية نفسها عن العمل. لكنها كانت واجهة مفيدة لإعانات الإم آي سيكس (M16) المالية، التي أصبح فيكتور روتشيلد القناة الرئيسية لها. وتكشف المراسلات بين روتشيلد، وواربورغ، ومكيريدج كيف كانت النقود - 750 جنيهاً لكل عدد - تمر أولاً إلى حساب روتشيلد في فرع بيري سينت إدموند التابع لمصرف ويستمنستر، ثم إلى حساب سيكر واربورغ الخاص، قبل أن تُحَوَّل عبر حساب في مصرف باركليز إلى الجمعية البريطانية، التي 'تتبرع' عندئذ بالمبلغ نفسه لمجلة *إنكاونتر*. وفي تموز 1960 اقترح فريدريك واربورغ أن يجري الدفع مباشرة بين مؤسسة روتشيلد ومؤسسة بانتون'[2] (عنوان *إنكاونتر*) بدلاً من 'هذا الإجراء المجنون الذي يتم بموجبه عبور المبلغ من خلال جمعية غير موجودة مؤلفة من عضوين هما مالكولم مكيريدج، وف. ج. واربورغ.

ومما يثير الدهشة أن سبيندر كان يتلقى في جميع الأعوام التي عمل أثناءها في *إنكاونتر* ألفين وخمسمائة جنيه في العام دون نقص أو زيادة. وتتذكر ناتاشا سبيندر: 'لم يتغيَّر راتبه مطلقاً طوال عمله هناك، ولهذا السبب كان عليه أن يقوم بكل تلك الأعمال في أمريكا'.

كان راتب سبيندر الضئيل هو السبب في اضطراره للبحث عن طرق أخرى لزيادة دخله، وبشكل رئيسي من خلال الانضمام إلى الجولة الدورية للمحاضرات العالمية. وكان هذا يعني غياباً طويلاً عن مكتب *إنكاونتر*، مما لاءم لاسكي بشكل كامل، ومنحه المجال كي يشحذ الشفرة

السياسية للمجلة دون أن يزعجه أحد. وتبين أن أهداف لاسكي الرئيسية هي تقريب المجلة إلى تلك المجموعة من مفكري وسياسيي حزب العمل الذين أدرك استراتيجيوهم السريون منذ فترة طويلة بأنهم قاموا 'بعد طول انتظار بذلك الاكتشاف المدهش بأن هناك، على الأرجح، اشتراكية في الولايات المتحدة أكثر عملية مما يوجد في حزب العمل، خاصة إذا كان المرء يعني بالاشتراكية السعادة الفردية بدلاً من الحرب الطبقية العقائدية، وأن وضع العامل الأمريكي، على العموم،هو أفضل من نظيره البريطاني - وبالإضافة إلى ذلك، هو رجل أكثر حرية. بمعنى آخر، إنهم في سيرورة اكتشاف الرأسمالية الديموقراطية الديناميكية الأمريكية.'[3]

وصلت هيبة حزب العمل إلى الأوج في نهاية الحرب العالمية الثانية، مما سبب له انتصاراً جارفاً في الانتخابات التي أُجريتْ في 1945 وأطاحت بتشرشل. ولكن في شتاء 1947 القاسي، ضعفت الحماسة، وسببت الحرب الباردة انشقاقاً هاماً في الحزب. وانقسم أولئك الذين على اليسار إلى معادين للستالينية وإلى آخرين بدوا بأنهم يتصالحون مع الاتحاد السوفياتي، بينما التزم أولئك الذين على اليمين بدحر الشيوعية. ونُظِّمَتْ المجموعة الأخيرة حول مجلة *سوشياليست كومنتري* *Socialist commentary*، وكان من بين أعضائها الأكثر بروزاً دينيس هيلي، وأنطوني كروسلاند، وريتا هندين، وهيو غيتسكيل. كانت هذه المجموعة - المعروفة بالتعديليين، بسبب التزامهم بتحديث حزب العمل، وإلغاء المادة الرابعة المشهورة حول التأميم - هي التي قدمت لوكالة الاستخبارات المركزية الوسيلة التي كانت تبحث عنها كي تضغط الفكر السياسي البريطاني بشكل يناسب تصميماتها لأوروبا. وكانت هذه الأمور تهدف كما ذكرت بوضوح في وثائق السياسة الأمريكية المتعاقبة إلى تقوية الحلف الأطلسي وجماعة الدفاع الأوروبية، وخلق سوق مشتركة، وهذه أهداف اقتضت أن تضحي بلدان أوروبا بحقوق قومية معيَّنة لصالح أمن جماعي. ولكن، كما كان يعرف استراتيجيو واشنطن بشكل جيد، عادت إنكلترا، بوجه خاص، بسرعة إلى عاداتها في السيادة. وكما اختتم أحد تقارير وزارة الخارجية بكآبة: 'يمكن بالكاد القول أن المملكة المتحدة تخلت بسعادة عن حقوق سيادة معيَّنة لصالح أمن جماعي عدا تلك التي أجبرها منطق الظروف على القيام بها'.[4]

كانت مجموعة الضغط الرئيسية من أجل تطوير فكرة أوروبا موحَّدة في شراكة مع الولايات المتحدة هي الحركة الأوروبية، وهي منظمة مدعومة غطت سلسلة من الأنشطة التي أديرت في تناغم سياسي، وعسكري، واقتصادي، وثقافي. وهذه الحركة التي وجهها ونستون تشرشل، وآفيريل هاريمان، وبول هنري سباك، كانت تشرف عليها الاستخبارات الأمريكية وتمولها من خلال واجهة زائفة تدعى اللجنة الأمريكية من أجل أوروبا موحدة، التي كان أمين سرها التنفيذي الأول توم برادن. وكانت الذراع الثقافية للحركة الأوروبية هي المركز الثقافي الأوروبي، الذي كان مديره دينيس دو روجمو. بالإضافة إلى ذلك، دشن برادن برنامجاً ضخماً لتقديم المنح للطلاب والرابطات الشبابية، وبينها حملة الشبان الأوروبيين EYC، في 1950. وباستجابتها لتوجيه وكالة الاستخبارات المركزية، أقحمتْ هذه المنظمات نفسها في حملة دعاية واختراق صُمِّمَتْ لتليين الحركات السياسية اليسارية وتوليد قبول للاشتراكية المعتدلة. أما أولئك

العالميون الليبراليون المهتمون بفكرة أوروبا موحَّدة حول مبادئ داخلية، فقد اعتبرتهم واشنطن بأنهم ليسوا أفضل من الحياديين. وصدرت توجيهات بشكل محدد إلى وكالة الاستخبارات المركزية ومجلس إدارة الحرب النفسية كي 'يوجها الإعلام والبرامج نحو تدمير' هذه الهرطقة المحددة.

كان جي لوفستون، مدير إرفنغ براون، الذي كان تابعاً منذ 1955 لجيمس جيسوس أنغلتون، يحتل موقعاً محورياً في العملية. وكانت مهمة لوفستون هي اختراق النقابات التجارية الأوروبية، واستئصال العناصر المشكوك بها، ودعم صعود قادة تقبلهم واشنطن. وأثناء هذه الفترة زوَّد لوفستون أنغلتون بتقارير سميكة حول شؤون نقابة العمال في بريطانيا، وقد جُمِعَتْ بمساعدة معارفه لجنة نقابة العمال في TUC وحزب العمل. وسمح أنغلتون لنظرائه في الاستخبارات البريطانية (القلة التي وثق بها) بأن يشاطروه 'مصدر معلوماته الداخلي'. وبشكل أساسي، كان اللوفستونيون (حتى ولو لم يفكروا بأنفسهم هكذا) داخل دوائر حزب العمل البريطاني هم الذين وجدوا أنفسهم في صعود في أواخر الخمسينات. ولكي تصنع خطها بسرعة داخل هذه الجماعة، استخدمتْ الوكالة المنظمة من أجل الحرية الثقافية التي قام غيستكيل برحلات على نفقتها إلى نيودلهي، ورودس، وبرلين، وإلى مؤتمر مستقبل الحرية في 1955 في ميلانو (الذي جذب كذلك ريتا هيندين، ودينس هيلي). وبعد أن فقد أنطوني كروسلاند - الذي قُرِئ كتابه *مستقبل الاشتراكية*، 'كبرنامج عمل لبريطانيا مؤمركة'[5] - مقعده في البرلمان وظَّفه جوسيلسون كي يساعد في تخطيط ندوات المنظمة الدولية تحت إدارة دانييل بيل، الذي تم استيراده من أمريكا لهذه الغاية. وفي أوائل الستينات، شق كروسلاند طريقه إلى المجلس الدولي للمنظمة. ووصف جوسيلسون ريتا هيندين، الأستاذة الأفريقية الجنوبية في جامعة لندن، بأنها 'واحد منا'، وفي منتصف الستينات كانت مفيدة في تأمين منحة من جوسيلسون لتوسيع مجلة المجتمع الفابي، *فينتشر Venture*. وأصبح التزام المجلة بأوروبا قوية وموحدة منسجماً مع تفكير غيتسكل. أما دينيس هيلي، الذي قادته أوراق اعتماده الأطلسية إلى علاقة وثيقة مع اليسار الأمريكي غير الشيوعي (كان مراسل *نيو ليدر* في لندن)، فقد أصبح حليفاً قوياً آخر للمنظمة، ولمجلة *إنكاونتر* بخاصة. وكان هيلي أيضاً أحد متلقي ومعيدي المواد التي ينتجها قسم بحث المعلومات. وبدوره، كان يزود قسم بحث المعلومات بمعلومات عن أعضاء حزب العمل وأعضاء النقابات العمالية.[6]

ومن بين هؤلاء، كان هيو غيتسكيل، قائد حزب العمل، الشخصية الأساسية، وما إن وصل لاسكي إلى لندن حتى ربط نفسه بالمجموعة الصغيرة من المفكرين الذين كانوا يجتمعون في منزل غيتسكيل في فروغنال جاردنز، هامبستيد. أما غيتسكيل، الذي تخصص في الدعاية أثناء عمله في وقت الحرب مع هيئة العمليات الخاصة، والذي كان أيضاً قريباً من مكتب بحث المعلومات، فلم يكن من الممكن أن يكون جاهلاً لروابط مجلة *إنكاونتر* المؤسساتية. وهكذا حين شنَّ هجومه المحتفى به على اليسار المتعاطف في مؤتمر حزب العمل في 1960 في سكاربرو، وجد بعض الأشخاص أنفسهم يتساءلون مع من كان يتعاطف. وكتب لاسكي بعد المؤتمر إلى

جوسيلسون وأخبره بأن غيتسكيل شكره – هو لاسكي – بشكل شخصي بسبب دعم مجلة *إنكاونتر* لسياساته. فضلاً عن ذلك، قال لاسكي بأن *إنكاونتر* وضعَت على أرضية جدل المؤتمر، وهذا دليل على أن المجلة كانت تحظى بـ 'كثير من الشهرة'.[7] وحين هزم حزب العمل بقيادة هارولد ويلسون المحافظين في الانتخابات العامة التي جرتْ في 1964، كتب جوسيلسون إلى دانييل بيل: 'لقد سررنا جميعاً من أن يكون هناك كثيرٌ من أصدقائنا في الحكومة الجديدة'[8] (كان هناك نصف دزينة من كتاب *إنكاونتر* المنتظمين في مجلس وزراء ويلسون الجديد). وقرَّب لاسكي مجلة *إنكاونتر* كثيراً من جدول العمل السياسي لملائكتها المختبئين. وكان الثمن، بحسب ريتشارد ويلهايم، مرتفعاً جداً. 'إذ مثَّل غزواً في غاية الخطورة للحياة الثقافية البريطانية، وتحمل مسؤولية قبول كثير من المفكرين البريطانيين وحزب العمل لحرب فيتنام'.[9]

وكان الجانب الثقافي للمجلة (ناهيك عن الأجور المغرية) هو الذي استمر في جذب أفضل المساهمين، ومن أجل هذا كان لا يزال لدى السي آي إي سبيندر كي تشكره. قال ستيوارت هامبشاير: 'لولا ستيفن لما كتب الناس لمجلة *إنكاونتر* على الإطلاق. فجميع المواد الجيدة – التي اعتاد لاسكي أن يدعوها 'إليزابيث باوين وكل ذلك الهراء' – كان يطلبها ستيفن. لقد منح المجلة احترامها'.[10] وبالتأكيد، فعلتْ المجلة الكثير كي تحافظ على سمعة المنظمة كمنظمة مخصصة بشكل رئيسي للثقافة، وليس بالأحرى للسياسة.

ولكن الحرب الباردة كبحتْ باستمرار فكرة أنه يمكن الإبقاء على الفصل بين الثقافة والسياسة. وبالفعل كان النزاع الثقافي حياً ومحبَّباً، كما شرح احتفال المنظمة بالذكرى الخمسين لوفاة تولستوي في صيف 1960. واهتمت الاستخبارات الأمريكية طويلاً بتولستوي كرمز لـ 'مفهوم الحرية الفردية'. وتعود هذه الصلة إلى أيام مكتب الخدمات الاستراتيجية، حين كان إليا تولستوي، الحفيد المهاجر لتولستوي، موظفاً في هذا المكتب. وكان أعضاء آخرون من عائلة تولستوي على اتصال منتظم مع مجلس إدارة الحرب النفسية في أوائل الخمسينات، وتلقوا أموالاً من وكالة الاستخبارات المركزية لمؤسستهم المتمركزة في برلين، مؤسسة تولستوي. وفي 1953، نوَّه سي دي جاكسون في ملفّه المفصَّل أنه وعد أحد المتوسلين بأنه سيتصل بفرانك ليندسي (نائب ويزنر السابق الذي انتقل إلى مؤسسة فورد) بخصوص أموال لمؤسسة تولستوي.

وفي كانون الأول 1958، أخبر كاس كانفيلد نابوكوف بأن مؤسسة فارفيلد مهتمة بدعم 'احتفاء غربي بتولستوي' كي ترد على مهرجان حول تولستوي أقامه السوفيات، والذي تنبأ بشكل صحيح بأنه سيجعل الكاتب مبشراً بالفكر البلشفي. وقال كانفيلد: 'إن التغاير بين العرضين سيكون واضحاً لأي مفكر مستقل وينبغي أن يقوم لنا هذا بدعاية ممتازة'.[11] وكان نابوكوف هو الذي شرع في استنباط 'رد محترم على الدعاية السوفياتية'، وأخذ هذا شكل مسألة مسرفة على الجزيرة الفينيسية سان جيورجيو في حزيران وتموز 1960. حضر عدد كبير من الكتاب والباحثين وبينهم ألبرتو مورافيا، وفرانكو فينتوري، وهربرت ريد، وإريس مردوك، وجورج كينان، وجايابراكاش نارايان، وجون دوس باسوس. و وُجِّهَتْ دعوات إلى ستة عشر باحثاً سوفياتياً ولكن جاء بدلاً منهم أربعة 'أضحوكات'.

وكتب نابوكوف فيما بعد: 'حين أستعيد الموقف، من المضحك جداً تذكر، مثلاً، الصورة الظلية لشخصين روسيين: شخص نحيل، وطويل، وشخص قصير وممتلئ الجسم. كان النحيل هو الأمين العام لاتحاد الكتاب السوفيات، والقصير كريه وبغيض يُدعى يرميلوف، وهو حزبي مأجور وكريه. كان كلاهما يقفان في صف كي يتلقيا أجرهما اليومي وأجرة السفر من سكرتيري، أو بالأحرى السكرتير الإداري للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. ولقد جاءا، أو بالأحرى أُرسلا، كي يحضرا مؤتمراً يحتفل بالذكرى الخمسين لوفاة تولستوي'. وأنهى نابوكوف تذكره بملاحظة مرحة: *لقد أخذتما نقوداً من وكالة الاستخبارات المركزية!*'[12]

وقال في. س. بريتشيت في إحدى المرات: 'إن النفقات أجمل كلمة في الإنكليزية الحديثة. إذا بعنا أرواحنا، يجب أن نبيعها بسعر مرتفع'. أما أولئك الذين لم يصطفّوا من أجل قبض مخصصاتهم اليومية في فينيسيا فقد استطاعوا الاصطفاف من أجلها أثناء حدث آخر للمنظمة تم في شهر حزيران نفسه في برلين، وهو 'مؤتمر التقدم في الحرية'. وكتبت ماري مكارثي إلى حنا آرنت مقدمة وصفاً ازدرائياً للخصومات والتشوش الفكري الذي هيمن على الاجتماع: 'إن الحدث الرئيسي، من وجهة نظر الفضيحة المحضة، كان سلسلة من الصدامات العنيفة بين السيد شيلز وويليام (فيليبس)، حول موضوع الثقافة الجماهيرية. أقسم أن شيلز هو الدكتور بانغلوس مولوداً من جديد ويدون بهجة وبراءة الدكتور بانغلوس. لقد قلت هكذا، تقريباً في كثير من الكلمات، حين دخلت أنا في المعركة. ومن المظاهر الأخرى للمؤتمر روبرت أوبنهايمر، الذي دعاني إلى العشاء وهو، كما اكتشفت، مجنون بشكل كامل وربما بشكل خطير. جنون العظمة والإحساس بالمهمة المقدسة... استدار أوبنهايمر إلى نيكولاس نابوكوف... وقال إن المنظمة 'تُدار بلا حب'. وبعد أن كرَّر ذلك عدة مرات، قلتُ إنني أعتقد أن كلمة 'حب' يجب أن تبقى من أجل العلاقة بين الجنسين... كان جورج كينان هناك وألقى خطاباً ختامياً جيداً جداً ومثيراً – لا بد أنه حطَّم السيد شيلز وكل معسكره اللوسيفري إلى الأبد – لكن ترددت شائعة بأنه كان هو أيضاً مجنوناً، رغم أنه مجنون جزئياً'.[13] وبغض النظر عن ذلك وعن 'بلاهات عامة' أخرى مثلها، قالت ماري مكارثي إن 'المؤتمر كان مضحكاً. لقد استمتعت باجتماع الأصدقاء القدامى والجدد، وكان المؤتمر يتصف بروح ألفية، ففيه فُصِلتْ الخراف عن الماعز'.[14]

واستفادت أيضاً من هبات وكالة الاستخبارات المركزية في تلك السنة مجموعة من المجلات دعيت لتستفيد من وكالة المنظمة للمعلومات، والتي تم تأسيسها 'كوسيلة فعالة ومنظمة من أجل أن تقدم لجمهور عالمي واسع الكثير من المواد الممتازة والتي تصل الآن إلى جمهور محدود نوع ما'.[15]

فبالإضافة إلى العثور على مخارج للمواد التي تصدرها منشورات التي تملكها المنظمة، كان الهدف من وكالة المعلومات أن تعمل كنقطة توزيع لمجلات ثقافية أخرى اعتبرت جديرة بالعضوية في 'العائلة العالمية لمجلات المنظمة'. وتتضمن هذه *بارتيسان ريفيو*، *سيواني ريفيو*، *بويتري*، *مجلة تاريخ الأفكار*، و*دايدالوس* (مجلة الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم)، والتي

تلقت أيضاً، تحت مظلة مجلس المجلات الأدبية، أموالاً من مؤسسة فارفيلد كي تُحسّن توزيعها في الخارج. بالإضافة إلى ذلك، انضمت المنظمة إلى مجلس المجلات الأدبية كي تمنح جائزة سنوية قدرها خمسة آلاف دولار لكاتب أمريكي. من هو الذي عُيّنَ كي يُشرف على الجائزة؟ إنه روبي ماكولي، الذي خلف جون كراو رانسوم كمحرر لمجلة *كينيون ريفيو* في تموز 1959. [16] وأثناء السنوات التي كانت فيها *ريفيو* مرتبطة بالمنظمة، كان ماكولي قادراً على زيادة التوزيع من ألفين إلى ستة آلاف نسخة. وتباهى بأنه 'عثر على طرق لجمع النقود لم يفكر بها السيد رانسوم مطلقاً'. [17] ولكن *كينيون ريفيو عانت بأشكال أخرى* حين كان يحررها ماكولي. فغيابه المتكرر، والطويل، الذي كان أمراً لا بد منه بسبب عمله في وكالة الاستخبارات المركزية، وطريقته المستبدة – ففي 1963 ألغى فجأة هيئة مستشاري التحرير – كان لهما تأثير سلبيٌّ قويٌّ على المجلة. وكانت فوائد المنظمة، بالمقارنة مع ذلك، مهمة. ومن خلال إضفاء طابع رسمي على علاقتها مع هذه المجلات الأمريكية ذات الهيبة، استطاعت المنظمة أن تتباهى بخليط من النشر لا يضاهيه مثيل في مداه وتأثيره، أشبه شيء بشركة *تايم – لايف* الرجل المفكر.

وشرح جون هنت: 'لم نكن نبيع اسم ماركة محدّدة، ولهذا لم نلح دوماً على استخدام رخصة المنظمة'. [18] ولهذا السبب لم يتم التعرف على كثير من مجلات المنظمة بشكل مباشر. وكان بينها مجلة *حوار*، مجلة المنظمة في اللغة العربية، التي ظهرتْ في تشرين الأول 1962، ونشر عددها الأول حواراً مع إليوت، وكلمة لسيلوني تدعو إلى استقلال الكاتب واستقلالية الفن. وكانت محاولات إخفاء ملكية المنظمة للمجلة غير ناجحة، وهوجمتْ باستمرار بأنها 'حصان طروادة'. وزعمت إحدى الصحف الإسلامية أن المنظمة كانت تحاول 'نشر النظريات الشريرة من خلال توزيع الأموال هنا وهناك، وتأسيس المجلات الجذابة ومن خلال القيام بحفلات استقبال كبيرة ومؤتمرات'، ودعت الصحيفة إلى 'فضح ومقاطعة' [19] المنظمة.

وكان بين المجلات الأخرى التي أصدرتها المنظمة في الستينات *ترانزيشن Transition* في أوغندا، التي جذبتْ كتاباً مثل بول ثيرو Paul Theroux وحققت انتشاراً محترماً وصل إلى اثني عشر ألف نسخة قبل أن تُقْتَحم مكاتبها ويُعْتَقل محرروها في 1968. وفي لندن، صدرتْ *سينسورشيب Censorship* في 1964 بإشراف مُري ميندلين، وهو شخصية اصطفائية ترجم رواية جويس *يوليسيز* إلى العبرية. وكان المحررون المستشارون دانييل بيل، وآرماند غاسبار من سويسرا، وأنطوني هارتلي، و ريتشارد هوغارت وإغنازيو سيلوني. وقد كلّفتْ المنظمة خمسة وثلاثين ألف دولار في العام، وأدتْ إلى خسارة كبيرة. وحين توقفت في شتاء 1976، أعلنتْ *ذ نيو ستيتسمان*: 'هذه أخبار سيئة للكتاب، والناشرين، والفنانين في كل مكان.'

إن جوسيلسون الذي لم ينسجم بتاتاً مع موري ميندلين، كان أقل ميلاً إلى ندبها. (قال إن 'سبب نجاحها النسبي يعود جزئياً إلى نشرها بين فينة وأخرى موضوعات عن الجنس'). وكانت *سينسورشيب* النموذج لمجلة *إنديكس أون سينسورشيب Index on Censorship*، التي أسسها ستيفن سبيندر في 1972، بإعانة قوية من مؤسسة فورد.

لكن من بين جميع المجلات المرتبطة بالمنظمة، كانت حالة *بارتيسان ريفيو* هي الأكثر تآمراً. 'إن اللغز الحقيقي لمجلة *بارتيسان ريفيو* بدا لي دوماً كأنه مسألة كيفية نجاح أداة ناطقة باسم مجموعة صغيرة وخاصة كهذه... في أن تصبح أكثر المجلات الجادة شهرة في أمريكا، وبالتأكيد، الأكثر قراءة في أوروبا من بين جميع المجلات الأمريكية'، هكذا تساءل ليسلي فيدلر في 1956. ويكمن جزء من جواب اللغز في تمويل المجلة، كما لَمَّحَ فيدلر بشكل مزعج حين قال إن 'دراسة تفصيلية لصعود وهبوط *بارتيسان ريفيو* الاقتصادي سوف يصنع مقالة كاملة'.[21] ومن 1937 إلى 1943، كان الفنان التجريدي جورج موريس هو الذي يُمَوِّل المجلة، وبعد 1948، كان المصدر الرئيسي لدعمها المالي هو آلن ب. دولنغ، الذي حتى 1951 دعمها على نحو فردي، وأصبح مذاك، الرئيس والمساهم الأساسي للمؤسسة التي تنشر حالياً المجلة.'[22] لم يذكر فيدلر هنري لوس، الذي أبقى تبرعه الكريم في 1952 سراً. ولكنه لاحظ، مع آخرين، أن *بارتيسان ريفيو* 'يُشار إليها بثقة تامة ضمن مجلات توزيعها جماهيري مثل *لايف* و *تايم*، بأنها تحرض على الاستجابات الملائمة لدى جمهورها الواسع'.[23]

من المؤكد، أن وكالة الاستخبارات المركزية، التي حيَّر تدخلها المزعوم في مجلات أمريكا الفكرية الأكثر تأثيراً منذ ذلك الوقت، المؤرخين. لم يجر ذكرها ومن المعروف أن *بارتيسان ريفيو* تلقت دولارات مؤسسة فارفيلد (عن طريق اللجنة الأمريكية) في أوائل 1953، وتم هذا بتحريض من كورد ميير. وتلقت أيضاً 'منحة للنفقات' من فارفيلد في أوائل الستينات.[24] غير أنه في حياة مجلة ضايقتها الأزمات المالية يكاد يُعْتَبَرُ هذا كثيراً. وفي 1957، أثير مرة أخرى وضع إعفاء *بارتيسان ريفيو* من الضرائب داخل مصلحة الضرائب وهذا لا يعني أن المجلة واجهت خسارة هذا الإعفاء فحسب، بل كان هناك كلامٌ أيضاً عن جعل كل الإسهامات في *بارتيسان ريفيو* أثناء ومنذ 1954 خاضعة للضريبة بشكل ارتجاعي. وكتب سي دي جاكسون إلى كورد ميير: 'إنني أعتبر هذا مثيراً للغضب بشكل مطلق'.[25]

انحاز سي دي وميير إلى قضية *بارتيسان ريفيو*. أولاً كتبا 'كلمة جيدة' للمجلة إلى فرع الإعفاء من الضريبة التابع لمصلحة الضرائب، وبعد ذلك، أخبر ويليم فيليبس سي دي أن الجواب الأول لمصلحة الضرائب شجَّعه. ثانياً، طلب سي دي مباشرة من آلن دلس أن يتدخل. ففي الثاني عشر من تشرين الثاني 1957، أرسل سي دي إلى دانييل بيل مذكرة سرية تنقل موقف وكالة الاستخبارات المركزية من المسألة:'ليس لهم أي اهتمام مالي أو عملياتي مباشر بـ *بارتيسان ريفيو*. على أي حال، إن المحرر الحالي متعاطف مع المنظمة من أجل الحرية الثقافية، وهو متعاون. يمكن أن تؤدي الصعوبات المالية في مجلة *بارتيسان ريفيو* إلى تغيير للإدارة قد يؤذي مصلحة (وكالة الاستخبارات المركزية). بالتالي، لها مصلحة غير مباشرة في الانتباه جيداً إلى هذا الطلب من أجل الإعفاء من الضرائب.'[26]

ونوقشت مشكلات *بارتيسان ريفيو* كذلك في اجتماع لهيئة تنسيق العمليات في نيسان 1956. وكانت النتيجة مذكرة إلى هيئة التخطيط والسياسة لوكالة المعلومات الأمريكية، دعت فيها هيئة تنسيق العمليات إلى العمل على تقديم اقتراح للمساعدة في تعزيز ريع *بارتيسان ريفيو*.

وبـدون تحديـد المؤلـف - مـن الجـائز أكثـر أن يكـون سيدني هـوك، عضـو هيئـة المنشـورات والاستشـارة في *بارتيسـان ريفيـو*، و'نـاطق رسـمي' للمجلـة، بحسـب فيدلـر - اقتبس ممثـل هيئـة تنسيق العمليات بشكل كامل أجزاء مـن الاقتراح، الـذي بـدأ علـى النحـو التـالي: 'كمـا تعرفـون، شـكوت لوقت طويل مـن حقيقـة أن مؤسسـة خاصـة ودعمـاً خارجيـاً غالبـاً مـا يتـم ترتيبهمـا للمجلات الجديدة، لكن مجلات مؤيدة مثل *نيو ليدر* و*بارتيسان ريفيو*، لا تحصل على المساعدة، أو لا تحصل عليها بالقدر الكافي.'[27] وتابع صاحب الاقتراح: وبعـد محادثـات مـع ويليم فيليبس، بـدا كـأن 'الموقف المثالي هـو احتمـال أن تكون اللجنـة مـن أجل الحريـة الثقافيـة الواسـطة التـي تُمَرِّر من خلالها الاشتراكات إلـى مجـلات مثـل *بارتيسـان ريفيـو*، كهدايـا إلـى المفكريـن الأجـانب الذين هم بحاجة إليها أكثر من غيرهم. وأنا لا أفكر فقط بأولئك الذين هـم إلـى جانبنـا بشـكل حازم... وإنما أيضاً بذلك الجيش الواسـع مـن المفكريـن الذيـن لـم تخدعهـم الشـيوعية، ولكنهـم ينظرون إلى أمريكا كبلاد إمبريالية، مادية وغير ثقافية وشبه بربرية على حد سواء'.[28] 'أعتقد أن هناك قيمة جوهرية في هذا النمط من الاقتراح، خاصة إذا كان اهتمام الحكومة الأمريكية ليس ظاهراً، في الوصول إلى الأهداف المشار إليها في المقاربة الإيديولوجية'[29]، واختتم التقريـر. وخـلال شـهر، كـانت *بارتيسـان ريفيـو* قـادرة علـى منـح إليزابيث بيشـوب مبلـغ ألفـين وسـبعمائة دولار. فقد جاءت النقـود مـن مؤسسـة روكفيلـر، ووصلـت إلـى أربعـة آلاف دولار في العـام طيلـة ثلاثة أعوام، لكي تُوَزَّع في منحات أدبية. ربما كان ذلك مصادفة، لكن من الغريب، رغم الطلبـات المتكررة من أجل المساعدة المالية، أن مؤسسـة روكفيلـر رفضـت جميـع الالتماسـات مـن محـرري المجلة في السنوات العشر الماضية.

وفي أوائل 1958، سافر ويليم فيليبس إلى باريس، حيث قابل مايكل جوسيلسـون كـي ينـاقشـا 'مستقبل *بارتيسـان ريفيـو*'. وفي الثامن والعشرين من آذار 1958، كتب فيليبس كـي يسـأل إن كـان جوسيلسـون قد فكـر أم لا ' بأنـه يمكن إنجاز بعض الأمـور التـي تحدثنـا عنهـا'.[30] وفي غضـون بضعة أشهر تم إحياء لجنة حرية الثقافة - الميتة منذ تعليقهـا الواقعـي المشـين في كـانون الثـاني 1957 - من أجل هدف واحد وهو الوقوف كناشر رسمي لمجلة *بارتيسان ريفيو*، وكان هـذا ترتيباً استمر في السنوات العشر التالية. وقد علق هوك على هذا التطور، قال هـوك لجوسيلسـون إنـه لم يكن هناك 'رغبة حقيقية في إبقاء اللجنة الأمريكية، إلا من أجل تكييف *بارتيسـان ريفيـو*... سـيذهب فيليبس إلـى أقصـى الحـدود ليحصـل علـى المسـاعدة لمجلة *بارتيسـان ريفيـو*'.[31] وتذكـر جوسيلسون فيما بعد أن 'اللجنة كانت ستختفي كليـة لـو لـم تقـرر في اللحظـة الأخيـرة أن تجعـل محـرري *بارتيسـان ريفيـو* يستفيدون مـن وضعهـا كمعفـاة مـن الضـرائب، منـذ ذلـك الوقـت كـان 'النشـاط' الوحيد للجنة هو الظهور كراعيـة لمجلـة *بارتيسـان ريفيـو*'.[32] وبحسـب هـذه القصـة، لـم تكن اللجنة الأمريكية تُموِّل *بارتيسان ريفيو* وإنما تزوِّدهـا بمهـرب مـن الضـرائب. ولكن بحسـب دانييل بيل، 'كانت *بارتيسان ريفيو* تتلقـى،لعدة سنوات، بعـض الدعـم المـالي، في شـكل اشـتراكات تُشترى للأفراد في ما وراء البحار الذين كانت تصلهم المجلة مجاناً. وبقدر ما أعـرف، جُعِل ذلـك التمويل سـرياً كذلـك'.[33] ورُبِطَتْ أمـوال *بارتيسـان ريفيـو* الآن بالمنظمـة، التـي منـذ 1960 رفعـت

أرقام مبيعات المجلة إلى حوالي ثلاثة آلاف نسخة في العام، كانت توزعها المنظمة خارج الولايات المتحدة. وفي الوقت نفسه، قدمت المنظمة مساعدة مشابهة لمجلات ثقافية أخرى عالية المستوى كانت مرتبطة بها: *كينيون ريفيو* (ألف وخمسمائة نسخة)، *هدسون ريفيو* (ألف وخمسمائة نسخة)، *سيواني ريفيو* (ألف نسخة)، *بويتري* (سبعمائة وخمسون نسخة)، *دايدالوس* (خمسمائة نسخة) و *مجلة تاريخ الأفكار* (خمسمائة). وكان شراء هذه النسخ يُكَلِّف عشرين ألف دولار سنوياً. ووصل التزام المنظمة المالي بالمجلات، والذي خطط له في البداية أن يستمر ثلاث سنوات، إلى ستين ألف دولار، مضافاً إليها خمسة آلاف دولار من أجل نفقات إدارية. وتم التعاقد مع فريدريك واربورغ كي يوزِّع *بارتيسان ريفيو* في إنكلترا.[34] ولقد عُرِضَت أولاً على واربورغ حقوق كتاب جمع مختارات من المقالات أعدته مجلة *بارتيسان ريفيو*، بعنوان *الأدب والحداثة* (حرر الكتاب فيليبس وفيليب راهف)، وكان المساهمون في الكتاب مرتبطين في وقت أو آخر بالمنظمة من أجل الحرية الثقافية (وبينهم كويستلر، وشياروموتني، وماري مكارثي وألفريد كازن).

استمرت القدرات المالية *لبارتيسان ريفيو* بالتحسن. وكتب كريستول إلى جوسيلسون في آذار 1960: 'رأيت ويل فيليبس في تلك الليلة، وقال بغموض إن مشكلات *بارتيسان ريفيو* حُلَّتْ بشكل كامل، رغم أنه لم يدخل في التفاصيل... حتى أنه تابع القول بأنهم يملكون من المال أكثر مما اعتقدوا أنهم يحتاجون!'[35] ولكن فيليبس احتاج إلى المزيد. وسأل بعد عام: 'لا أظن أن المنظمة تستطيع أن تدفع لسفري على أساس منحة معينة من أجل رحلة إلى أوروبا في حزيران الجاري للقيام بعمل ما ضروري؟'[36] وقدم فيليبس هذا الطلب من أجل المنحة رغم ما وصفه فيما بعد بميله إلى 'التشكيك بتركيبة المنظمة البيروقراطية وما كان بشكل واضح سيطرتها السرية من القمة'. وكتب في 1990 بفخر عن حقيقة أنه 'لا هو ولا راهف كان يُنْظر إليهما بأنه يمكن الاعتماد عليهما شخصياً أو سياسياً بما يكفي' كي تتم دعوتهما إلى تأسيس المنظمة في 1950، التي وصف رجالها بأنهم 'رجال منظمة هوائيون، بلا جذور، يعيشون بحرية، ومعادون للشيوعية بشكل كلبي'.[37] ووصف لاسكي فيما بعد، في رده على هذه الإهانات، فيليبس بأنه نوع من الأشخاص الذين يعيشون على هواهم. 'شق طريقه بالخداع عبر كل شيء. لماذا بحق الجحيم أرسل إلى باريس؟ كان يكفيه الجلوس في مقهى الدو ماغو فحسب.'[38]

وأكد ويليم فيليبس فيما بعد أنه ليس مديناً بأي شيء على الإطلاق للمنظمة. اعترف أنه كان 'لاعباً ثانوياً في لعبة الدعاية الكونية'، وكتب عن هذا كنتيجة واقعية لعضويته في الهيئة التنفيذية للجنة الأمريكية، التي قال إنه لم يكن مطلعاً على 'إجراءاتها وحساباتها وتمويلاتها الداخلية'. وزعم فيليبس أيضاً بأنه 'صدم - وربما شعر بالحسد - من مظهر الثراء الجديد للعملية كلها، من الشقق الفاخرة لموظفي المنظمة، من الأموال التي لا تنتهي على ما يبدو للسفر، النفقات العالية، وجميع المتزينين الآخرين الذين يرتبطون عادة بالشركات الضخمة. في النهاية، كانت *بارتيسان ريفيو* تحاول دوماً أن تجعل النهايات تلتقي، ولقد قادتني تجربتي إلى الاعتقاد بأن البؤس هو الوضع الطبيعي للهيئات السياسية الجادة والمجلات الأدبية. أما

بالنسبة للتمويل السري، فيبدو لي كأنه ينتهك طبيعة مشروع فكري حر بالذات، وخاصة حين يكون التمويل من ذراع منظمة حكومية ، لها برنامج عملها السياسي الخاص.'[39]

وبالطبع، هناك آخرون كانت لهم وجهات نظر مختلفة في التمويل السري. وتماماً كما بدأت *بارتيسان ريفيو* تستفيد من الصفقة مع اللجنة الأمريكية من أجل الحرية الثقافية، تلقت مجلة *نيو ليدر* مبلغاً جديداً متسماً بالسخاء من داعميها السريين. وفي شباط 1956 كتب سي دي جاكسون إلى آلن دلس مقترحاً تأمين النقود لمجلة سول ليفيتاس. كانت شركة تايم تُمَوِّل *نيو ليدر* بحدود خمسة آلاف دولار في العام منذ 1935، مقابل 'معلومات عن تكتيكات وشخصيات شيوعية في أنحاء العالم، مع إشارة خاصة إلى النشاطات الشيوعية داخل حركة العمل'.[40] ولكن هذا كان جزءاً من النقود التي كانت هناك حاجة إليها من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي للمجلة. ومن خلال حساب قام به سي دي جاكسون، فإنه لا شيء عدا خمسين ألف دولار سيجعلها قادرة على إيفاء ديونها. قال لدلس: 'إذا استطاع المشروع الرأسمالي أن يتحلى بالحكمة فسيفهم أن نبرة الصوت الخاصة التي يتحدث بها ليفيتاس مع مجموعة محددة من الأشخاص هنا وفي الخارج هي فريدة ومهمة بشكل كبير، وهو يرغب بأن يدعم تلك الكتلة ببضعة آلاف من الدولارات، آمل أنك ستكون قادراً على الانسجام مع الاقتراح الحالي. يبدو لي بأن هذه هي الصيغة الأفضل المناسبة لنا جميعاً كي نملك ليفيتاس الخاص بنا ونجعله يأكل، أيضاً'.[41] وتم إقناع دلس بسهولة، كما حدث في المناسبات السابقة، بأن منحة الوكالة لمجلة *نيو ليدر* 'بررت بشكل جيد إمكانية الدفع العالية'. وفي صيف 1956 أمَّن الشعور بضرورة 'إنقاذ *نيو ليدر*' للمجلة مبلغ الخمسين ألف دولار الذي كانت تحتاجه. تعهدت وكالة معلومات الولايات المتحدة بمبلغ عشرة آلاف دولار، كما فعلت مؤسسة فورد، والسيد هـ. ج. هاينز، وشركة تايم. أما العشرة آلاف دولار الباقية فقد جاءت في شكل تبرع بقيمة خمسة آلاف دولار من ناشر *واشنطن بوست* فيليب غراهام، وخمسة آلاف دولار سُجِّلتْ ببساطة 'كغيث لا يمكن التنبؤ به'.[42]

وكما يحدث دائماً، دخلت المنظمة من أجل الحرية الثقافية في الترتيبات الجديدة لكل من *بارتيسان ريفيو ونيو ليدر*. وقدم التعاون مع المنظمة للمجلتين فوائد مادية إضافية في صيغة نشرات مشتركة، واتفاقات بيع شكلية، وتبادل للمعرفة. أما النشاط الغزير للمنظمة في تلك الأعوام فقد جعلها مظهراً ملحاً من مظاهر الحياة الثقافية الغربية. وفوق منصات مؤتمراتها وندواتها، ومن خلال مقالاتها الموثّقة، اكتسب المفكرون، والفنانون، والكتاب، والشعراء والمؤرخون جمهوراً لوجهات نظرهم لم تستطع أية منظمة أخرى - عدا الكومنفورم - إيصالها. كان مكتب باريس خميرة تجتذب الجمهور من جميع أنحاء العالم، وفي 1962، انفجرت قنبلة في المدخل (كان حدثاً مدحه أحد الأعضاء بأنه 'عظيم ومجيد ومتوقَّع منذ فترة طويلة. إنه بالفعل شرف يُستَحَقُّ بجدارة، وتاريخ قابل للتذكر في حوليات المنظمة')43 وبالنسبة للجيل الثاني والثالث من الهمنغوايين، كانت المنظمة مستودع جميع تلك الأساطير الرومانسية عن باريس الأدبية، وقد جاؤوا إليها في حشد.[44]

وسبَّب المظهر الرفيع للمنظمة أيضاً بعض التدقيق غير المرحب به. ففي 1962، كانت المنظمة موضوع محاكاة ساخرة - لاذعة بشكل رائع أعدها كينيث تينان وفريقه في هيئة الإذاعة البريطانية. وبدأ المشهد الهزلي: 'والآن، وميضٌ حار من الحرب الباردة. هذا الرسم التخطيطي هو الكتلة الثقافية السوفياتية. تُمثِّل كل نقطة على الخريطة موضعاً ثقافياً استراتيجياً - قواعد المسرح، مراكز إنتاج الأفلام، شركات الراقصين تحرك صواريخ باليه عابرة للقارات، دور نشر تصدر طبعات ضخمة من الأعمال الكلاسيكية لملايين من القراء المستعبدين. كيفما نظرت حولك يتم إنجاز موقع ثقافي. ولكن ماذا عنا في الغرب؟ هل نمتلك قدرة على الرد الفعال في حال نشوب حرب ثقافية شاملة؟' وتابع المشهد: نعم هناك المنظمة من أجل الحرية الثقافية القديمة والجيدة التي تأسست، 'مدعومة بالأموال الأمريكية، وأقامت عدداً من القواعد المتقدمة في أوروبا كي تعمل كقوى متقدمة في الرد الثقافي. وهذه القواعد متنكرة كمجلات وتحمل أسماء حركية مثل *إنكاونتر*، والتي هي اختصار لكلمة 'إنكاونتر فورس ستراتيجي - استراتيجية قوة الصدام -' وأُدْخِلَ 'ناطقٌ باسم المنظمة'، تباهى بمجموعة من المجلات التي كانت 'نوعاً من الناتو الثقافي، وكان هدفها 'الاحتواء الثقافي، أو كما يحب بعض الفتيان القول: تطويق الراديكاليين المعتدلين. وفي الحقيقة، فإنني لن أقول كان لنا هدف. سأقول كانت لدينا مهمة تاريخية. قراء العالم... ولكن مهما حدث، نحن في المنظمة نشعر بأن من واجبنا أن نبقي قواعدنا على مدار الساعة متيقظة تُحَذِّر من الحمر، وتراقب ما الذي يفعله الشخص الآخر، بدلاً من تضييع الوقت الثمين على تفحُّص أنفسنا.'[45]

كانت الأهجوَّة لاذعة ومدروسة بشكل يخلو من الأخطاء. وبينما شجب الناطق باسم المنظمة مادية وزير الثقافة السوفياتي، جعله تينيان يكشف، دون أي تلميح بالسخرية، من هم الذين كانوا رعاة المنظمة المتنورين:صندوق مقاطعة ميامي، سينسيناتي، مؤسسة هوبليتزيل، تكساس، واللجنة السويسرية لمساعدة الوطنيين الهنغاريين.

إن إشارات كهذه إلى ممولي المنظمة، رغم أنها أخطأت الهدف الأساسي، سببتْ لجوسيلسون ليالي من الأرق، وأكدتْ خوفه من أن كعب أخيل الحقيقي في المنظمة هو وكالة الاستخبارات المركزية. وكانت التوتر بين جوسيلسون ورؤسائه في الوكالة يتصاعد منذ انهيار اللجنة الأمريكية في أوائل 1957. إن جوسيلسون، غير القادر مزاجياً على لعب دور القرد لعازف أرغن لأي شخص، وجد نفسه الآن،و بشكل متزايد، على تناقض مع كورد مير، الذي رفض أن يرخي قبضته. لم يشف مير بتاتاً من معالجته الكافكاوية على أيدي المكارثيين في 1953. ويُضَاف إلى ذلك كان هناك خيط من المآسي الشخصية زاد من كآبته وعناده. وتصف 'أمواج الظلام'، قصة مير القصيرة المكتوبة في 1946 عن تجربته في الحرب وإصابته الخطيرة على شواطئ غوام، تصف أيضاً العاطفة المأساوية لحياته المستقبلية. ففي 1956، قتلت سيارة مسرعة ابنه مايكل الذي كان يبلغ من العمر عشر سنوات. وبعد ذلك بأقل من عام، انفصل كورد عن زوجته ماري بينشوت مير.[46]

وبسبب ازدياد عناده وبعده عن العقل، أصبح ميير نصيراً لا يلين ولا يُقْهَر لأفكاره الخاصة، التي جعلته يشعر بجنون العظمة ويفقد الثقة بأي شخص لا يوافقه في الرأي. كانت نبرته في أفضل الأحوال جدلية، وفي أسوأها متكلفة وميالة إلى القتال. يقول توم برادن: 'دخل كورد إلى الوكالة كرجل مثالي طازج وغادرها أداة ذاوية لأنغلتون. كان أنغلتون سيد الفنون السوداء. تجسس على كل شيء في المدينة، وبينهم أنا. وأي شيء يفكر به أنغلتون يفكر به ميير'.[47] ووجد آرثر شليسنغر، الصديق القديم لميير، نفسه الآن ضحية هذا المثالي الذي تحول إلى دركي فكري غاضب: 'أصبح متصلباً جداً، ومتحفظاً. أتذكر مرة أنه اتصل بي واقترح أن نلتقي ونتناول الشراب. فدعوته، وجلسنا في الطابق العلوي وتحدثنا. بعد سنوات سألت عن ملفي في وكالة الاستخبارات المركزية، وكان آخر سجل في الملف تقريراً عني كتبه كورد ميير! في منزلي، ونحن نتناول الشراب، لقد كتب تقريراً عني. لم أستطع تصديق ذلك.'[48] وتماماً مثل شخصية جيمس ستيوارت في فيلم هيتشكوك *النافذة الخلفية*، انتهى ميير وأنغلتون إلى تجسيد الانحراف الذي حاولا ضبطه.

وفي تشرين الأول 1960، قابل جوسيلسون كورد ميير ومجموعة من رجال قسم المنظمات الدولية في غرفة بفندق في واشنطن. وحدث جدال حام، بحسب أحد الشهود. كان جوسيلسون قد خُدِعَ من قبل أصدقائه. فجوسيلسون الذي امتلك ما وصفته ديانا بذلك 'الشيء الذهني – الجسدي، شعر بأن ضغط دمه يرتفع و بأن صدغيه ينتفخان قبل أن يسقط على الأرض. قال جون تومسون: 'كان صريحاً في عواطفه. يدخل في المجادلات ويغمى عليه ويصاب بأزمات قلبية. كان أوروبياً جداً'.[49] كانت النوبة القلبية حقيقية بما يكفي. في الثانية بالتوقيت الصباحي المحلي، أيقظ لو لاثام، رئيس محطة باريس (الذي كان في واشنطن حين حدثت الأزمة) ديانا ليقول لها إن مايكل أسعف إلى المستشفى بعد أن انهار. غادرت ديانا باريس في أول طائرة في ذلك الصباح، مع جينيفر التي كانت بعمر أربع سنوات. وبعد أن توقفت ديانا لوقت قصير لترك جنيفر مع أمها، ذهبت بعد ذلك إلى مستشفى جامعة جورج واشنطن. هناك وجدت مايكل يستلقي في مظلة أكسجين. وفي الأسابيع القليلة التالية، تابعت المراقبة المستمرة إلى جانبه. ببطء، بدأ يتجاوز مرحلة الخطر. وفي هذه الحالة التي كان فيها، استيقظ مرة أخرى على إلحاح مهمته. 'طوال الوقت الذي كان فيه في المستشفى، كان 'يوجز' لي، وكنت أُسَجِّل الملاحظات' – تتذكر ديانا. 'ثم كنت أذهب إلى باب غرفته وأقدم موجزاً للي ويليامز ولأشخاص آخرين كانوا يظهرون. كان تسليمهم الجداول مسلياً'.[50]

وبينما كان جوسيلسون لا يزال في قناع أكسجين، استدار بيل دوركي، نائب ميير في رئاسة القسم، إلى لي ويليامز، بينما كان يسيران صعوداً في شارع بواشنطن وقال: 'الآن وضعناه حيث نريد'.[51] من خلال تأملها هذه الأعوام فيما بعد، اختتمت ديانا أنه بينما كانت الوكالة تُقَدِّر مايكل على العمل الذي كان يقوم به، 'لا بد أنه كان في الوقت نفسه شوكة في خاصرتهم، يسلك طريقه الخاص، ويقاومهم في كل مكان يحاولون فيه تأكيد سيطرتهم. حاول مايكل أن يبقيهم سعداء من خلال إخبارهم ماذا يُطَبخ على الموائد المختلفة، ومنعهم بقوة شخصيته من أن يعوا

عدم أهميتهم. كان صديقاً لهم، تحدث معهم عن أسرهم وأعمالهم، واعتقدت – ترتجف الآن – أنهم أعجبوا به. أذكر أنه كان يتحدث مع مجموعة منهم. لا بد أنهم كانوا مشتبهين جداً بأولئك المفكرين، الأجانب، وعانوا من امتلاكهم لكل النقود والسلطة الأمريكية، ولم يحصلوا على أي رصيد حقيقي منها...بالإضافة إلى ذلك، لم يكن مايكل رجلاً من ييل، كان روسياً ويهودياً، وكان هو الذي يعاشر المشاهير وليس هم'.[52]

مع ذلك، كان واضحاً أن صحة جوسيلسون لن تسمح له بأن يصرف الكثير من الطاقة على المنظمة بعد الآن. واتفق على أن ينتقل إلى جنيف بشكل نهائي، حيث سيتابع العمل للمنظمة ولكن من مسافة. وسيتولى جون هنت مسؤولية إدارة مكتب باريس، بما في ذلك التعامل مع الوكالة. وحين وصل هنت إلى المنظمة في 1956، أمضى العامين الأولين، كما قال، يتصرف مثل 'فتى تنظيف، لا يقول أي شيء مطلقاً، فقط يراقب ويتعلّم'. وبالتدريج، أصبح ما وصفه بـ 'مدير العمليات' للمدير التنفيذي' مايكل. وبشكل جوهري، بقيت هذه الأدوار دون تغيير في حياة المنظمة. لكن هنت سيطر إدارياً على مقر باريس لأن جوسيلسون كان يعمل من منزله في جنيف وبمساعدة سكرتيرة.

الفصل الواحد والعشرون

قيصر الأرجنتين

لم آمرك مطلقاً بالذهاب
إلى موسكو أو روما،
اشجب هذا العمل الحقير،
واستدع ربات الشعر إلى الديار.

دبليو. ب. ييتس، تلك الصور

تولى جون هنت إدارة مكتب باريس في وقت ملائم. وتلا 'إنفاق آيزنهاور السخي' على الفنون إعلان إدارة كينيدي بأنها ترغب بـ 'علاقة منتجة' مع الفنانين. وأثار كينيدي الموضوع حين دعا مائة وستة وخمسين من أكثر الفنانين شهرة كي يحضروا حفلات الافتتاح (وكان بينهم آرثر ميلر، أندرو ويث، إرنست همنغواي، مايس فان دير روهي، إيغور سترافينسكي، بيير مونتو، بول هنديميث، أرشيبالد ماكليش، روبرت لويل، وستيوارت ديفس). وكتبت إليزابيث بيشوب إلى لويل: 'يجب أن يكون الافتتاح مسلياً. أرى أجزاء منه مرة بعد أخرى في الشريط الإخباري. لكنني لا أحب عظمة الإمبراطورية الرومانية تلك: فعلى سبيل المثال يبدو الموقف الاستعراضي مكللاً بروح الظفر تماماً'.1 ولكن بالنسبة لكثير من محاربي الحرب الباردة، كان الجو الإمبراطوري ملهماً، وكما قال أحد المعجبين لكينيدي في أوائل 1961: 'كما في الأزمنة القديمة تماماً، أينما كان يذهب الروماني كان يعلن بفخر: أنا مواطن روماني، الآن مرة أخرى، وبشكل مشابه، أينما ذهبنا نستطيع أن نعلن برأس مرفوع وكبرياء: نحن مواطنون أمريكيون'.[2]

وفي الحادي عشر من أيار 1962، دعي روبرت لويل مرة أخرى إلى البيت الأبيض، وهذه المرة إلى عشاء على شرف أندريه مالرو، وزير الثقافة الفرنسي. ونكّتَ كينيدي على حفل الاستقبال قائلاً إن البيت الأبيض أصبح تقريباً 'مقهى للمفكرين'. لكن لويل كان شكاكاً، وكتب بعد عشاء البيت الأبيض: 'وفي الصباح التالي تقرأ أن الأسطول السابع قد أرسل إلى مكان ما في آسيا، ويعتريك شعور مضحك بأن الفنان عديم الأهمية، وأن هذا كان نوعاً من زخرفة الواجهات وأن الحكومة الحقيقية هي في مكان ما آخر، وأن هناك شيئاً ما أكثر قرباً إلى البنتاغون يدير البلاد... أشعر أننا نحن المفكرين نلعب دوراً فارغاً جداً وتافهاً. يجب أن نكون واجهات، وليس ما يُعْرَض فيها ويزّينها'.[3]

كان هناك ميل متنام بين المفكرين للنظر إلى إحسان الحكومة بريبة رغم أن ذلك نادراً ما تم التعبير عنه. لكن مسألة الفساد لم تقلق آنذاك وكالة الاستخبارات المركزية التي كان يتم تحت رعايتها توزيع الكثير من هذه الأموال. وقال دونالد جيمسون: 'هناك أوقات يمكن أن تتعرض للإغراء فيها أيضاً. أعتقد أن كل من كان يحتل موقعاً هاماً في المنظمة من أجل الحرية الثقافية كان واعياً إلى أن المال جاء، بطريقة ما أو أخرى، من مكان ما. وإذا نظرت حولك هناك كان يلوح فقط خيار منطقي واحد. لقد اتخذوا القرار. في الحقيقة إن الهم الأساسي لمعظم الباحثين والكتاب هو كيف تقبض مقابل ما تريد فعله. أعتقد، على العموم، أنهم سيأخذون الأموال من أي مصدر يستطيعون الحصول عليه. هكذا كانت المنظمة ومنظمات أخرى مشابهة – في كل من الشرق والغرب – نُظِرَ إليها كنوع من الحلمات الضخمة التي يستطيع أي شخص أن يأخذ منها جرعة إذا احتاج إليها ثم ينطلق ويقوم بعمله. ومن الأسباب الرئيسية، كما أعتقد، لنجاح المنظمة هي أنها جعلت من الممكن أن يكون المرء مفكراً حساساً ويأكل في الوقت نفسه. والأشخاص الآخرون الوحيدون الذين فعلوا ذلك هم الشيوعيون.'[4]

وسواء أحبوا ذلك أم لا، وسواء كانوا يعرفون ذلك أم لا، فقد صار عدد كبير من المفكرين الأوروبيين مقيداً إلى وكالة الاستخبارات المركزية بـ 'حبل سرة ذهبي'. وإذا استطاع كروسمان أن يكتب في مقدمته لكتاب *الإله الذي فشل* أن 'الراحة المادية هي غير هامة نسبياً بالنسبة للمفكر، وما يهتم به المفكر أكثر هو الحرية الروحية'، إلا أن كثيراً من المفكرين لم يكونوا قادرين على مقاومة الركوب في قطار المؤن. وكانت بعض مؤتمرات المنظمة ' استعراضاً مسرحياً في المقام الأول، وكان الحاضرون أحياناً يذكرون المرء بالمجموعة الذكية التي تتنقل بين سينت تروبيز في الصيف وسينت موريتز أو جستاد Gstaad في الشتاء'، كما قال المختص بالشؤون السوفياتية والتر لاكير Walter Laqueur الذي كان هو نفسه من الحضور المنتظمين في هذه المؤتمرات. 'كان هناك تنفجية، خاصة في لندن، مظهر خارجي للدماثة، والفطنة، والحنكة، ممتزج مع غياب الجوهر، وحديث الطاولة المرتفعة الجامعي، وثرثرة مقهى رويال'.[5] وقال جاسون إبشتاين: 'لا بد أن هذه النزهات المكلفة، والتي تتماشى مع الزي الحديث، كانت متعة كبيرة للأشخاص الذين قاموا بها على نفقة الحكومة. لكنها كانت أكثر من متعة، لأنهم كانوا يتذوقون السلطة. حين جاء المفكرون الزائرون إلى نيويورك، تمتْ دعوتهم إلى حفلات كبيرة. كان هناك طعام مرتفع الثمن في كل مكان، وخدم، ولا أحد يعرف ماذا أيضاً إلا الله، أكثر بكثير مما يستطيع هؤلاء المفكرون أنفسهم أن يحصلوا عليه. من لا يحب أن يكون في موقف كهذا حيث أنك مصيب على المستوى السياسي وفي الوقت نفسه يُقَدَّم لك تعويضٌ جيد من أجل الموقف الذي تتبناه؟ وكانت تلك هي الفرصة المناسبة من أجل الفساد الذي تبع ذلك.'[6]

أما أولئك الذين لم يكونوا يتلقون مصاريفهم اليومية في نيويورك فقد استطاعوا الاستفادة من فيلا سيربيلوني في بلاجيو، في شمال إيطاليا. ولقد ورَّثت الأميرة دي لا توري (بالولادة إيلا ووكر) هذه الفيلا الواقعة على مرتفع بين البحيرات الشمالية للاكو وكومو لمؤسسة روكفيلر. وجعلت المؤسسة الفيلا مفتوحة للمنظمة كمأوى غير رسمي لأعضائها البارزين، وكنوع من

المائدة المشتركة حيث يستطيع الذين يعملون على الخطوط الأولى في النزاع الثقافي أن يستعيدوا طاقتهم. وكان يستقبل الكتاب، والفنانين، والموسيقيين المقيمين هناك سائق في بذلة زرقاء بإشارة (في. إس) على طية صدر سترته. ولم يكن الضيوف يتلقون نقوداً، ولكن المبيت والطعام مجاني، وكذلك جميع نفقات السفر، والوجبات، واستخدام ساحة التينس وبركة السباحة. وكتبت حنا آرنت عن الفيلا إلى ماري مكارثي: 'تشعرين وكأنك سكنت فجأة في نوع من فرساي. في المكان خمسة وثلاثون خادماً، وبينهم الأشخاص الذين يعتنون بالحدائق... ويرأس هيئة الموظفين كبير خدم يعود إلى زمن الأميرة وله وجه وسلوك سيد عظيم من فلورنسا في القرن الخامس عشر'.[7] وردَّت مكارثي بأنها اكتشفت أن محيطاً مترفاً كهذا لا يساعد على العمل الشاق. كانت الفيلا أيضاً مسرحاً ملائماً لندوة المنظمة في حزيران 1965، حول 'أوضاع النظام العالمي'، التي عُقِدَتْ بالاشتراك مع مجلة *دايدالوس* وأكاديمية الفنون والعلوم الأمريكية.

وكان متاحاً هناك لقلة مختارة إمكانية الانضمام إلى هانزي لامبيرت (الصديقة المليونيرة للمنظمة التي لعبت دور المضيفة في منتجعها الشتوي في جستاد Gstaad) أو إلى جنكي فلايشمان للقيام برحلات في المتوسط على متن يختيهما. واستضاف الاثنان سبيندر وزوجته. وحين أخبر ستيفن إرنست روبرت كورتيوس عن رحلته من كورفو إلى إشيا Ischia في آب 1955، قال الألماني: كنت شيوعياً، وها أنت الآن تركب اليخوت في المتوسط، ها ها![8] أما بالنسبة لأولئك الذين كانوا يفضلون اليابسة فقد رتبت المنظمة الإقامة في أكثر الأماكن الأوروبية هيبة وفخامة. ففي لندن كانت هناك فندق الكونوت، وفي روما هناك الإنغلتيرا، والغراند في كاب فيرات. وفي باريس واصل إرفنغ براون الاستمتاع في الجناح الملكي لفندق بالتيمور بعيداً عن الوطن.

ورغم تحفظاته على قبول رعاية الحكومة، إلا أن روبرت لويل كبح هذه التحفظات لصالح بطاقة من الدرجة الأولى إلى أمريكا الجنوبية، قدمتها المنظمة من أجل الحرية الثقافية في أيار 1962. كانت تحثه، ولعدة أعوام، صديقته العظيمة إليزابيث بيشوب، التي كانت تعيش في ريو دي جانيرو، كي يأتي، والآن، حثه عرض المنظمة للتمويل على الفعل. كانت بيشوب مسرورة. وكتبت قائلة إن موظفي وزارة الخارجية في البرازيل 'يتصرفون بغباء ووقاحة'، و 'غالباً ما يرسلون روائيين وبروفيسورات بليدين وثانويين'.[9] ووعدتْ بأن تكون زيارة لويل أكثر إمتاعاً.

كانت المنظمة تحاول أن تزيد من نفوذها في أمريكا الجنوبية طيلة عدة سنوات. وكانت مجلتها هناك هي *كواديرنوس*، التي كان يحررها جوليان جوركين. أسس جوركين الحزب الشيوعي في فالنسيا في 1921، وعمل في شبكة سرية للكومنترن، متعلماً، من بين أمور أخرى، كيف يُزَوِّرُ جوازات السفر. وبعد انفصاله عن موسكو في 1929، زعم أن السوفيات حاولوا إقناعه بأن يصبح قاتلاً مأجوراً. وفي نهاية الحرب الأهلية الأسبانية هرب إلى المكسيك، التي كانت المأوى التقليدي للبلاشفة الهاربين، ونجا هناك من خمس محاولات اغتيال، فتحت واحدة منها ثقباً في جمجمته. وكمحرر لمجلة *كواديرنوس*، كان عمله يهدف إلى محاولة اختراق 'عدم الثقة الكبير' في أمريكا اللاتينية، حيث كانت الطريقة الوحيدة لإنجاز تأثير مهم، كما كان

يمزح، هي أن تهاجم الولايات المتحدة باستمرار وتمدح سارتر أو بابلو نيرودا .ولم يحصل جوركين على مساعدة من الانقلاب العسكري في غواتيمالا الذي دعمته وكالة الاستخبارات المركزية (1953) ومن الثورة الكوبية في 1958 . وفي أعقاب التدخل الأمريكي في هذه المناطق، كانت تلك فترة 'حماسة للشيوعيين الأمريكيين اللاتينيين وحلفائهم'[10]، ولكن جوركين صارع التحيُّز، مانحاً للمنظمة قاعدة مهمة في بيئة معادية .

وصل لويل إلى ريو دي جانيرو مع زوجته إليزابيث هاردويك وابنتهما، التي تبلغ من العمر خمس سنوات، في الأسبوع الأول من حزيران 1962 . وكان نابوكوف هناك كي يقابلهما في المطار، مع إليزابيث بيشوب. وسارت الأمور بشكل رائع إلى أن عادت عائلة لويل على ظهر السفينة إلى نيويورك في الأول من أيلول، وتُرِكَ كي يتابع الرحلة جنوباً إلى الباراغواي، والأرجنتين. كان يرافقه كيث بوتسفورد، 'الممثل الجوال دوماً' للمنظمة في أمريكا الجنوبية، والذي 'أدخله في الرحلة' جون هنت من أجل مراقبة الشاعر (في لغة السي آي إي، كان بوتسفورد رسن لويل). وفي بوينس آيرس بدأت المشاكل. رمى لويل الحبوب الموصوفة لتشنجه الانقباضي، تناول مجموعة من كؤوس المارتيني المضاعفة في حفل استقبال وأعلن أنه 'قيصر الأرجنتين'، وأن بوتسفورد هو ملازم أول عنده. وبعد أن ألقى خطبته الهتلرية، والتي مجَّد فيها الفوهرر وإيديولوجية السوبرمان،[11] تعرّى لويل وتسلق تمثال فارس في إحدى ساحات المدينة الرئيسية. وبعد مواصلة هذه الحالة عدة أيام، خضع لويل، بأوامر من بوتسفورد، وألبس بالقوة سترة مجنون، وأخذ إلى مستشفى بيت لحم، حيث تم تقييد يديه وساقيه بقطع من الجلد بينما حُقِنَ بجرعات كبيرة من الثورازين. واكتمل إذلال بوتسفورد حين أمره لويل، من موقعه كبروميثيوس مقيد، أن يغني 'يانكي دودل داندي' أو ' ترتيلة المعركة الخاصة بالجمهورية'.[12]

وفيما بعد في ذلك الشهر، اتصل نابوكوف بماري مكارثي. كان صوته مرتعشاً ومنهكاً حين أبلغها أن لويل 'في جناح الأمراض العقلية في بوينس آيرس، وأن مارلين مونرو انتحرت لأنها كانت على علاقة مع بوبي كينيدي وتدخل البيت الأبيض'.[13] وقالت ماري مكارثي مشاطرة نابوكوف قرفه: 'إن عصرنا بدأ يظهر كفيلم كريه وضخم عن آخر الأباطرة الرومانيين الموتى مع أتباعهم وحاشيتهم. وبركة سباحة بوبي كينيدي مثل حوض استحمام بحليب حمير'.[14]

كانت حادثة لويل كارثة. فلويل، الذي اختارته المنظمة 'كأمريكي بارز كي يجابه شيوعيين من أمثال بابلو نيرودا'،[15] تبين أنه مبعوث ليس من أجل أي شيء سوى المواصفات القوية للثورازين. لقد خيب الأمل بشكل سيئ (وبدوره خيَّب بوتسفورد أمله بشكل سيئ). وبشكل مدهش، لم يتخل هنت أو جوسيلسون عن بوتسفورد، وتابعا استخدام خدماته كـ 'ممثل' لهما في أمريكا اللاتينية. وبشكل أكثر إدهاشاً، وبعد أقل من سنة، فكرا حتى بإرسال لويل كي يمثل المنظمة في مؤتمر في المكسيك. لكن جوسيلسون توقف، خائفاً من أن لا يتبع لويل 'إرشادات طبيبه النفسي كما فعل سابقاً... ليس هناك ضمان من أي نوع بأنه لن يقوم ثانية بإلقاء خطب مجنونة في مديح هتلر'.[16] أما بوتسفورد، الذي لم تكن له رغبة بتكرار تجربته السابقة، فقد حذَّر من

إرسال لويل، واتفق على أن روبرت بن وارن ونورمان بودهوريتز يمكن الاعتماد عليهما أكثر كي يرسلا إلى ما وراء ستارة التورتيا .

ورغم أن جوسيلسون كان يمتلك شكوكاً حول بوتسفورد ('لستُ واثقاً حتى من أنه قادر على إخبارك بحقائق مباشرة')،[17] استمر محمسيٌّ هنت في الازدهار في المنظمة.[18] وأفاد هنت بأن المفكرين البرازيليين يعتبرون المنظمة 'واجهة يانكية'، واقترح أن تُصْبح المنظمة أكثر نباهة، ورزانة، و'خفاء'، وأن لا تدعم إلا المشاريع التي تحظى بدعم محلي قوي. لكن هنت رفض تلك المقاربة، وأخبره أنه يجب ألا تُهْمَل أية منطقة في العالم في المعركة ضد الشيوعية.[19] وبهذا المزاج، شن هنت وبوتسفورد حملة قوية لتدمير الشاعر بابلو نيرودا .

ففي أوائل 1963 تلقى هنت معلومات سرية بأن بابلو نيرودا مرشح للفوز بجائزة نوبل للآداب لعام 1964 . كان هذا النوع من المعلومات نادراً جداً، بما أن مشاورات لجنة نوبل من المفترض أن تتم في سرية تامة. مع ذلك، في كانون الأول 1963، شُنَّتْ حملة هامسة ضد نيرودا . حين سأل إرفنغ كريستول هنت إن كان صحيحاً أن المنظمة 'تنشر إشاعات' عن نيرودا، أجاب هنت بشكل مزعج،وحريصاً على إخفاء دور المنظمة، أنه كان من المحتوم أن يثير ترشيح الشاعر إلى جائزة نوبل الجدل .

وبالفعل، كان هنت ينظم الهجوم منذ شباط 1963 . وكان جوليان جوركين قد كتب مبكراً إلى 'صديق في ستوكهولم' عن نيرودا، وأخبر هنت أن 'هذا الرجل مستعد لإعداد كتاب صغير بالسويدية حول قضية نيرودا'.[2] ولكن هنت شكك بفائدة كتاب كهذا، وأخبر ناشط المنظمة رينيه تافيرنييه أنه يجب تحضير تقرير موثق، مكتوب بالإنكليزية والفرنسية من، أجل توزيعه لأشخاص معينين.[22] وشدد هنت أنه ليس هناك وقت للتضييع إذا كان يجب تجنب فضيحة فوز نيرودا بجائزة نوبل، وطلب من تافيرنييه بأن ينظم التقرير بالتعاون مع جوليان جوركين و'صديقه' السويدي.[23]

وركز تقرير تافيرنيير على مسألة التزام نيرودا السياسي، وقال إنه من 'المستحيل' فصل نيرودا الفنان عن نيرودا رجل الدعاية السياسية'.[24] واتهم التقرير نيرودا، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيلي، بأنه استخدم شعره 'كأداة' التزام سياسي و'ديكتاتوري وكلياني، إنه فنٌّ رجلٍ ستاليني مقاتل ومنظم'. واستخدمت على نحو واسع حقيقة أن نيرودا منح جائزة ستالين في 1953 من أجل قصيدته لستالين 'معلمه'، والتي سماها تافيرنييه 'الخنوع الشعري'.[25]

أرسل تافيرنييه بروفات المقالة إلى هنت في نهاية حزيران. وقرر هنت أنها تحتاج إلى لمسة من الحيوية والقوة وطلب من مؤلفها أن يركز على طبيعة التزام نيرودا السياسي، وعلى المفارقة التاريخية لموقفه الستاليني، الذي تجمعه علاقة قليلة مع المزاج الأكثر تسامحاً لروسيا المعاصرة. وأنهى هنت كلامه بنبرة بروفيسور، مخبراً تافيرنييه أنه يريد رؤية التقرير المنقَّح في غضون أيام.[26]

قالت ديانا جوسيلسون: 'كان من الواضح أنهم سيشنون حملة ضد نيرودا كي لا يحصل على جائزة نوبل. إن هذا مؤكد'.[27] وهكذا كتب جوسيلسون إلى سلفادور دي مادارياجا، الفيلسوف

والراعي الفخري للمنظمة، كي يتدخل. لكن دي مادارياجا كان متفائلاً، وقال: «كان لستوكهولم إجابة سهلة وممتازة، لقد سبق وتوجنا الشعر التشيلي بجائزة نوبل التي منحناها لغابرييل ميسترال وانتهى. ليس للسياسة مكان هنا»[28].

ومن المؤكد، أن الأمر كله كان متعلقاً بالسياسة.

لم يحصل نيرودا على جائزة نوبل للآداب في 1964. ولكن لم يكن هناك سبب للاحتفال في مكاتب المنظمة حين أعلن اسم الفائز. كان جان بول سارتر. الذي، كما كان معروفاً، رفض قبول الجائزة. وكان على نيرودا أن ينتظر حتى 1971 كي تكرمه اللجنة السويدية، وفي ذلك الوقت كان سفير تشيلي في فرنسا، ممثلاً لحكومة صديقه سلفادور ألليندي التي انتخبتْ ديموقراطياً. (والذي أطيح به آنذاك بشكل غير ديموقراطي وقتل في 1973 بمساعدة من وكالة الاستخبارات المركزية).

وفي 1962، بعد شهور فقط من بناء جدار برلين، دعا فيلي برانت، عمدة برلين الغربية، نيكولاس نابوكوف كي يصبح مستشاراً للشؤون الثقافية العالمية في مجلس شيوخ برلين. وقوى هذا التعيين صداقة قديمة، وأعاد نابوكوف إلى المدينة التي شعر أنه كان أكثر قرباً إليها. ويتذكر ستيوارت هامبشاير: 'انسجم برانت ونابوكوف بشكل جيد جداً. كان الأمريكيون يمولون برانت، وأيضاً برنامج برلين الغربية الثقافي. وكان برانت مرتاحاً بشكل كامل من هذا، ولم يزعجه على أقل تقدير. كان نيكي محنكاً جداً، ويعرف جميع الأشخاص المناسبين، وهكذا كان مهيئاً جداً لوظيفة تنظيم شؤون برلين الثقافية'.[29] بالنسبة لنابوكوف، فقدت برلين الغربية بعض 'سحرها الكوزموبوليتي'، وبدا كأن الوقت ناضج لاستثمارها المجدد في 'اللعبة الثقافية'. وبحسب جون هنت، 'لم يكن نابوكوف مستعداً بتاتاً كي يصارع العالم من أجل قناعاته'، وبدا الآن كأنه فقد الاهتمام بالنماذج القديمة المتعبة للحرب الباردة. ولم تحتو خططه ومقترحاته لبرلين، التي يفصلها الآن جدار إسمنتي، على أي شيء من البلاغة القديمة المعادية للشيوعية. 'كان واضحاً لي أن المرء يجب أن يحاول في لعبة كهذه أن يَكسَبَ دعم ومشاركة الباحثين والفنانين من الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية'.[30] كتب ذلك بمزاج مليء بدفء الانفراج. ومن أجل هذه الغاية، صادق السفير السوفياتي في برلين الشرقية بيوتر أندرييفيتش أبراسيموف. وقضى الاثنان ساعات في السفارة السوفياتية، وقد استجاب أبراسيموف في النهاية لطلبات نابوكوف العاطفية ووافق على دعوة فنانين سوفيات كممثلين في مهرجان برلين للفنون، الذي كان مديراً له أيضاً. بالنسبة لأبراسيموف، كان هذا قراراً جريئاً: كانت الاستخبارات السوفياتية تراقب عن كثب نابوكوف. وبوجود جاسوس لـ 'الكي جي بي' مزروع مع برانت كمستشار، كان الروس يعرفون كل شيء عن علاقات نابوكوف بالمنظمة المدعومة من وكالة الاستخبارات المركزية.

لم يكن جوسيلسون سعيداً بشكل كامل من تعيين نابوكوف الجديد، 'لكنه بلعها'، بحسب ديانا. وظهر بأن نابوكوف الذي يمضي المزيد من الوقت في برلين يتجول بعيداً عن المنظمة، ولكن ليس عن أجرها المرتفع. أما جوسيلسون الذي ألح دوماً على التحفظ، فلم يستطع أن

يفعل سوى القليل كي يحد من تبذير نابوكوف الفطري. 'كان يمتلك ذوقاً مكلفاً، وكان يجب أن يُدْفع له من أجل هذا'، قال ستيوارت هامبشاير. ولكن الصلة التي اتفق عليها بين المنظمة ومكتب برانت، قدمت للمنظمة فرصة كي تُمَثَّل في أسابيع احتفالات برلين Berlin Festwochen، وفي 1964 موَّلتْ ظهور غونتر غراس هناك، ودبليو. إتش. أودن، وكيث بوتسفورد، وكلينث بروكس، ولانغستون هيوز، وروبي ماكولي، وروبرت بن وارن، وجيمس ميرل، وجون تومسون، وتيد هيوز، وهربرت ريد، وبيتر رسل، وستيفن سبيندر، وروجر كايلوا، وبيير إيمانويل، وديريك والكوت، وخورخي لويس بورخس، وول سوينكا، وذهب جون هنت وفرانسوا بوندي أيضاً كمشرفين.

لكن جوسيلسون لم يستطع بلع استيائه مما رآه كهجر من نابوكوف. قال هامبشاير: 'كان غيوراً. اعتاد أن يشير إلى *مجموعتي* من المفكرين. وقد أطراهم وتوقع إخلاصهم. كان نيكي جزءاً من *مجموعته*، ثم أصبح مهتماً بشيء آخر. لقد غضب جوسيلسون وتألم.'[32] وفي نهاية 1964، نفد صبر جوسيلسون، وكتب رسالة لاذعة سائلاً نابوكوف لماذا وجد من الملائم أن يطالب بنفقات من المنظمة من أجل رحلة إلى لندن لها علاقة في الأصل بمصالح برلين. وبما أن نابوكوف يتلقى الآن راتباً ضخماً من المنظمة – سحب جوسيلسون من فارفيلد تقريباً ثلاثين ألف دولار كي يغطي نشاطاته هناك في فترة أربع سنوات، ووضع منها جانباً ستة وعشرين ألف دولار من أجل راتبه – سأله جوسيلسون لماذا لا يسحب نفقات كهذه من الخمسين ألف مارك التي يتلقاها من دافعي الضرائب في برلين الغربية؟ ولغضبه من أن نابوكوف لم يخبره شيئاً عن زياراته إلى أبراسيموف في الجزء الشرقي، أو عن زيارة أبراسيموف إلى منزل نابوكوف مع روستبروفيتش، أنهى جوسيلسون كلامه بغضب قائلاً لنابوكوف: 'لا أريد أن أعرف أي شيء عما تفعله... لنعلق علاقتنا الرسمية حتى أول أيار (حيث كان هناك موعد للقائهما) ولنترك أصابعنا متقاطعة بحيث أنك بأفعالك لن تؤذي صداقتنا على نحو غير ملائم.'[33] لم يكن جوسيلسون قادراً على مقاومة استخفاف نهائي، فتمنى أن تمنح عطلات عيد الميلاد نابوكوف 'فرصة للتأمل... وأن يؤلف بعض الموسيقى بدلاً من الاندفاع بجنون، من يدري، ربما نحو جرف'.[34]

كانت غيمة سوداء تتشكل فوق علاقة نابوكوف وجوسيلسون. وحين علم جوسيلسون أن نابوكوف يخطط للقيام برحلة إلى موسكو مع أبراسيموف كي يضمن مشاركة الفنانين السوفيات في مهرجان برلين، كتب إليه بلهجة ملحة بأن لا يقوم بالرحلة. أجهض نابوكوف الرحلة في اللحظة الأخيرة، ولكنه طلب شرحاً من جوسيلسون. كان هذا الشرح قادماً لكنه ملغز بشكل كبير: 'لم أقلق للحظة واحدة على أمنك ولم أهتم بأية عواقب ناجمة عن ارتباطك بالمنظمة. صدقني، كنت مهتماً فقط بك وبالموقف المريك جداً الذي يمكن أن تجد نفسك فيه، ليس فوراً، بل بعد سنة أو سنتين من الآن. لا أريد أن أكتب عن هذا، ولكن تأكد أن ما يدور في ذهني ليس شيئاً ما التقطته لتوي من الجو... وأيضاً، من فضلك ضع في ذهنك أن لديك الكثير من الأعداء في برلين ينتظرون فرصة كي يطعنوك فحسب، ومن أجل مصلحتك الخاصة، سوف

تتصرف جيداً إذا امتنعت عن منح أرضية لهؤلاء ولثرثرتهم الماكرة.'[35] كان هناك أكثر من الألم خلف اعتراض جوسيلسون على وظيفة صديقه الجديدة: أصبح نابوكوف مجازفة أمنية. وحذَّره الآن: 'يمكن أن تصبح دون دراية أداة للسياسة السوفياتية في ألمانيا. ولقد قمت سابقاً بخطوة أولى في هذا الاتجاه.'[36]

وبعد هذه الرسالة بوقت قصير، في آب 1964، نشأ موقف مقلق جداً. في مجرى تحقيق في الكونغرس حول وضع إعفاء المؤسسات الأمريكية الخاصة من الضرائب أجراه عضو في الكونغرس هو رايت باتمان، حصل تسرب معين ذكر عدداً من المؤسسات (ثماني من بين الكل، تعرف باسم ثماني باتمان) كواجهات للسي آي إي: مؤسسة غوثام، صندوق ميشيغان، صندوق إدسيل، صندوق أندرو هاملتون، تروست بوردن، صندوق بيكون، وصندوق كينتفيلد. ورَشَحَ بأن هذه المؤسسات كانت ' عناوين للاتصالات السرية' لا تتألف غالباً من أي شيء سوى عنوان، وقد تم تأسيسها كي تتلقى أموال السي آي إي التي يمكن أن تحوَّل بعد ذلك إلى مكان آخر بشرعية ظاهرية. وبعد تحويل النقود إلى عناوين الاتصالات السرية يحصل 'التمرير الثاني' أو 'العبور': تقدم المؤسسة الزائفة 'إسهاما' لمؤسسة بارزة معروفة عالمياً من أجل نشاطاتها الشرعية. وكانت هذه الإسهامات تُسَجَّل كأرصدة تتلقاها المؤسسات في استمارتها A-999، التي تُصَنَّف في مصلحة الريع الداخلي، والتي كانت جميع المنظمات المعفاة من الضرائب، وغير المخصصة للفائدة، مجبرة على تقديمها. وهنا، بالطبع، كان النظام معرضاً للخطر بشكل أكبر. قال دونالد جيمسون: 'ربما ليست هناك في الحقيقة أية طريقة أخرى للقيام بذلك، ولكن كان مطلوباً من هذه المؤسسات أن تصنف جميع أنواع سجلات الضريبة وأشياء أخرى، الأمر الذي استجابت له إلى حد ما. مما عنى أنه حي... بدأ البشر بفضحها، تستطيع الذهاب إلى سجلات الضرائب وتصل A مع B و C بشكل مباشر من خلال هذه الأمور، وكان هذا غير سار.'[37]

يتم 'العبور الثالث' حين ترسل المؤسسة الشرعية مبلغاً إلى المنظمة المتلقية التي صممتها وكالة الاستخبارات المركزية. وشرح ويليام هوبي، رئيس *بوستون بوست* ووصي مؤسسة هوبي كيف كان يقوم بذلك هذا: 'قيل لنا... بأننا سنتلقى أموالاً معيَّنة من السي آي إي. ثم سنتلقى رسالة، لنقل من المنظمة XYZ، تطلب الأموال. وكنا نمنح الأموال.' لم تُطرح أسئلة. 'كنا نؤمن أن السي آي إي تعرف ما تفعله'.[38]

أوضحت استمارات A-999 من أربع مؤسسات أخرى عملية العبور هذه:مؤسسة م. د. أندرسون في هيوستن، مؤسسة هوبليتزيل في دالاس، مؤسسة ديفد، جوزفين ووينفيلد بيرد في نيويورك، وصندوق ج. م. كابلان في نيويورك. كانت هذه المؤسسات أرصدة قسم المنظمات السرية. ومن 1958 إلى 1964 تلقت مؤسسة أندرسون ستمائة وخمسة وخمسين ألف دولار من نقود السي آي إي عبر مؤسسات مزيفة مثل تروست بوردن وصندوق بيكون. وكانت ترسل المبلغ نفسه إلى الصندوق الأمريكي لشركة رجال القانون الأحرار المدعومة من السي آي إي، وهي منظمة موجودة في نيويورك عرفتْ فيما بعد باسم المجلس الأمريكي للجنة الدولية لرجال القانون. وتلقت مؤسسة بيرد أربعمائة وستة وخمسين ألفاً وثمانمائة دولار بين 1961 و1964 في

عمليات 'عبور'، ثم ضخت الأموال إلى برامج السي آي إي في الشرق الأوسط وأفريقيا. ومنح صندوق كابلان- المعروف بشكل أفضل كمتبرع لموسم 'شكسبير في الحديقة' في نيويورك- تقريباً مليون دولار بين 1961 و1963 لمؤسسة أبحاث العمل الدولي في نيويورك. وركزت المؤسسة على مشاريع السي آي إي في أمريكا اللاتينية، وعلى تربة خصبة للقادة السياسيين الديموقراطيين تُدعى مؤسسة التربية الثقافية أدارها نورمان توماس وخوسيه فيغيريس في كوستا ريكا. وقد جاء التمويل من السي آي إي، وسُرِّبَ إلى صندوق كابلان عبر عمليات عبور مصممة: غوثام، صناديق مشيغيان، أندرو هاملتون، بوردن، برايس وكينتفيلد، وهي ست مؤسسات من ثماني باتمان. وكان رئيس وأمين صندوق مؤسسة كابلان هو جاكوب م. كابلان الذي سيُعرف بأنه قدم خدماته لآلن دلس في 1956. وتلقت مؤسسة هوبليتزل، بين 1959 و 1965، مبلغاً مشابهاً من السي آي إي. ومُرِّرَ المبلغ (أربعمائة وثلاثون ألفاً وسبعمائة دولار) مباشرة إلى المنظمة من أجل الحرية الثقافية.

إن فتح تسريب باتمان الباب، ولو لوقت قصير، على غرفة محرك التمويل السري للسي آي إي، بارتباطه مع المعلومات المتاحة مجاناً للتفتيش في مصلحة الريع الداخلي، مكن بعض الصحفيين، من ذوي الخيال الخصب، من ربط جزء من التعقيدات بعضه مع بعض. وفي أيلول 1964، سألت أسبوعية نيويورك اليسارية ذ *نيشن The Nation* : هل يجوز أن يُسْمَح للسي آي إي بتمويل مجلات في لندن - ونيويورك - مطروحة كـ 'مجلات رأي' وتتنافس مع مجلات الرأي المستقلة؟ هل من الملائم للمجلات التي تدعمها السي آي إي أن تقدم مبالغ ضخمة مقابل قصائد مفردة لشعراء أوروبيين شرقيين وروس يعتبرون رجالاً ذوي شخصيات يمكن أن يُشجَّعوا على الارتداد بسبب ما يمكن اعتباره، في ذلك السياق، رشوة؟ هل من الشرعي أن تُمَوِّل السي آي إي، بشكل غير مباشر، منظمات مختلفة، واجتماعات، وجمعيات ومؤتمرات مخصصة للحرية الثقافية ومتصلة بذلك؟'[39]

وتذكر كورد مبير بأن 'القصة نُشِرَتْ على الصفحة الخلفية لـ *نيويورك تايمز* وسببت بعض الإثارة في ذلك الوقت، رغم أنها جعلتنا نراجع بقلق أمن آليات تمويلنا ونحاول تحسينها في داخل الوكالة'.[40] وقال لي ويليامز: 'اعتدنا أن نقوم بتمارين في الوكالة حيث نسأل أنفسنا ما الذي سيحدث لو نزعنا ظهر المذياع وبدأنا ننظر إلى أين تقود كل تلك الأسلاك. ماذا لو ذهب شخص ما إلى مصلحة الضرائب واكتشف أن إحدى المؤسسات تقدم منحة وأن الأرقام لا تتطابق؟ كان هذا شيئاً أقلقنا بالفعل حين كانت الإشاعات تتجمع. تحدثنا عن الأمر، وحاولنا العثور على طريقة لحماية الأشخاص والمؤسسات التي كانت على وشك أن تُفْضَح'.[41] لكن هنت وجوسيلسون، اللذين كانا كلاهما في لندن حين انتشرت القصة - جوسيلسون في فندق ستافورد، وهنت في فندق ديوك - فُضِحا فجأة. وقال جوسيلسون لهنت على الهاتف بفظاظة: 'لقد وقعنا في ورطة'.

كان جوسيلسون متيقظاً للخطر بشكل جيد قبل فضائح باتمان. كان الناس قد بدأوا يثرثرون في حفلات الكوكتيل وقالت ديانا جوسيلسون: 'كانت نصف المشكلة أن الناس في واشنطن

لا يستطيعون إبقاء أفواههم مغلقة'. ولمّح بول جودمان غاضباً إلى الحقيقة في أوائل 1962، حين كتب في مجلة *ديسينت Dissent* بأن المنظمة من أجل 'الحرية الثقافية وإنكاونتر الأفكار هما أداتان للسي آي إي'. يمكن أن يكون هناك شك قليل بأن جوسيلسون قد حُذِّرَ مسبقاً من اكتشافات باتمان بعد سنتين، وهذا يفسر رسالته الغامضة إلى نابوكوف في حزيران 1964.

واستاء جوسيلسون فترة طويلة لأن غطاء المنظمة كان غير آمن، وفي 1961 أقنع كورد ميير أنهم يجب أن يجدوا سلكاً من 'الرعاة' الجدد. وتذكرت ديانا جوسيلسون: 'ورداً على مخاوف مايكل والسي آي إي، فكروا، بذكاء، بتنويع مصدر التمويل، وهذا ما فعلوه.'[42] ذهب نابوكوف إلى نيويورك في شباط 1961 كي يتحدث مع أوصياء المؤسسة. وبشكل لافت للنظر، لم توافق أي من المؤسسات التي تحدث معها. وبدا كأن رحلته كانت فقط ستاراً دخانياً، ومصممة لجعل الأمر يبدو وكأن المنظمة، تبحث علناً، وبنشاط، عن شركاء ماليين، بينما في الحقيقة كان قد تم مسبقاً الاتفاق على صفقات الغرفة الخلفية بين السي آي إي ومؤسسات أخرى. وفي 1963، أظهر بيان المنظمة عن الإيصالات مجموعة جديدة من المتبرعين. وكانت هذه المجموعة كولت، ومؤسسة فلورنس، ولوسيوس ن. ليتاوير،و تروست رونثيلم لأعمال البر، وشلتر روك (الذي كان متبرعه دونالد ستراليم، عضو مجلس إدارة في مؤسسة فارفيلد)، وسونين.

أما بالنسبة لمؤسسة فارفيلد، فقد ازدادت شهرتها كمؤسسة 'مستقلة'. قال لورنس دي نوفيل: 'كان الهدف منها أن تكون غطاء، ولكنها كانت شفافة بالفعل. ضحكنا جميعاً عليها، ودعوناها المؤسسة المتكلفة. كان الجميع يعرفون من يقف خلفها. كانت سخيفة'.[43] وبدت الخسة الشخصية الأسطورية لجنكي فلايشمان كأنها تؤكد الإشاعات التي انتشرت في جميع حفلات واشنطن ونيويورك بأنه لم يكن 'الملاك' الحقيقي للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. وقال نابوكوف فيما بعد لجوسيلسون: إن 'جنكي أبخل رجل غني عرفته في حياتي.'[44] وتذكرت ناتاشا سبيندر بشكل مشابه أن ' جنكي كان مشهوراً ببخله. ففي حفلة عشاء في مطعم في سينسيناتي مع جنكي وآخرين، اضطررت إلى أن أستدين منه عشرة سنتات كي أجري مكالمة هاتفية. حين كنا عائدين في التاكسي، قال لي ستيفن: يجب أن تعيدي السنتات العشرة في الصباح الباكر. واعتقدت أنه كان يمزح، لكنه لم يكن. وهكذا أعدت السنتات العشرة.'[45]

واستنتج أنه إذا كانت مؤسسة فارفيلد سَتُوزِّع أموالاً من أجل مشاريع أمريكية – ودولية أيضاً – فإن هذا سيجعل مصالح السي آي إي، التي أقحمتْ هكذا، أقل وضوحاً. وشرحتْ ديانا جوسيلسون: 'كانت فارفيلد منخرطة في نشاطات أخرى لأنها كانت تحتاج إلى غطاء في حال حقق أي شخص في نشاطاتها.'[46] ويُسَجِّل تقرير فارفيلد لفترة الأول من كانون الثاني 1960 إلى الواحد والثلاثين من كانون الأول 1963 بعض مئات الإعانات التي قُدِّمَتْ في تلك الفترة. وكان بين المتلقين المجلس الأمريكي للجمعيات التربوية، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، ورابطة اللغات الحديثة، ومشغل الراقصين، ومهرجان العالمين في سبوليتو، إيطاليا (مبالغ للنفقات العامة واشتراك الطلاب الأمريكيين، ونفقات الشاعر تيد هيوز)، ومؤسسة الدراسات المتقدمة في فنون المسرح، ومسرح نيويورك الحي، ومعهد الموسيقا في نيويورك،

ورابطة مجلات أمريكا الأدبية، ومجلة *بارتيسان ريفيو* (مبلغ للنفقات)، والمؤسسة الدولية في مدريد (منحة للحفاظ على مكتبات لوركا الشخصية، وأورتيغا وفرناندو ألمالغرو). ومن أجل 'السفر والدراسة'، قدمت فارفيلد منحات لكثير من الأفراد، بينهم ماري مكارثي (كي تحضر أنطلوجيا الكتابة الأوروبية الجديدة)، بالإضافة إلى الرسام التشيلي فيكتور سانشيز أوغات، والشاعر ديريك والكوت (للسفر داخل الولايات المتحدة)، وباتريسيا بليك،و مارغريتا بوبر - نيومان، وليونيل تريلينغ (من أجل رحلة إلى بولندا، وروما، وأثينا، وبرلين)، وألفرد شيرمان، المساهم في *سبيكتيتور The Spectator*، من أجل رحلة إلى كوبا.

وبشكل مثير للسخرية، كان حجم مؤسسة فارفيلد هو الذي جعلها عرضة للاكتشاف. ففي أعقاب كشف باتمان للمعلومات، لم يكن الأمر يحتاج إلى شخص مثل كونان دويل كي يستنتج من هو المُخطِّط الذي كان خلف المؤسسة. ومن المدهش أنه لم يفكر صحفي واحد بالتحقيق أكثر من ذلك. وقامت السي آي إي 'بفحص جاد لتقنية التمويل'، ولكن، مما أثار دهشة لجنة منتخبة للتحقيق في المسألة فيما بعد،أنها لم 'تعد النظر في لياقة وضع استقلال مؤسسات أمريكا موضع تشكيك من خلال استخدامها كقنوات لتمويل مشاريع العمل السري'،[47] - وهذا ما حثَّ باتمان على تسريب اكتشافاته في المقام الأول. 'إن الدرس الحقيقي لصفعة باتمان ليست هي أننا نحتاج إلى التوقف عن استخدام غطاء المؤسسة للتمويل، ولكن هو أننا نحتاج إلى أن نقوم به بشكل أكثر احترافاً وشمولاً'،[48] - هكذا قال رئيس هيئة برنامج العمل السري ومجموعة التقييم.

كان هذا التفكير خاطئاً بشكل فاضح، كما أظهرت الحوادث فيما بعد. ولم يؤيد جوسيلسون هذا بالتأكيد. كان يعرف أن آليات التمويل الحالية معرضة للكشف، وأنه كان يبحر في زورق مثقوب. قالت ديانا جوسيلسون: 'كانت البحار تزداد خشونة، والإبحار يصبح أكثر صعوبة، لكنهم، رغم ذلك، كانوا يبحرون، ولكن في حال من اليقظة المستمرة.'[49] ومنذ أواخر 1964، حاول جوسيلسون باهتياج شديد أن يوجه المنظمة من أجل الحرية الثقافية بعيداً عن الفضائح الوشيكة والأذى الذي ستسببه. وفكر بتغيير اسمها. ومرة أخرى درس قطع الصلة المالية مع السي آي إي، وبأن يحل محلّها تمويل من مؤسسة فورد. وقبل كل شيء، حاول توجيه المنظمة بعيداً عن منظور الحرب الباردة وتقليل مصداقية أي الإيحاء بأنها أداة للحكومة الأمريكية في هذه الحرب الباردة. وفي تشرين الأول، أخبر اللجنة التنفيذية في اجتماعها في لندن: 'أنا بصراحة لا أحب أن يكون مبرر وجود المنظمة هو الحرب الباردة، وبصراحة، لا أحب ذلك.'[50]

الفصل الثاني والعشرون

أصدقاء البي إي إن PEN*

...نوع جديد من البشر
جاء في أوج سعادته،
كي ينهي الحرب الباردة التي قادها
ضد نوعه.

آلن غينسبيرغ، "مع من تكون لطيفاً

كان عام 1964 عاماً سيئاً لمحاربي الحرب الباردة. فالأساطير التي اعتمدوا عليها كانت تنفجر بشكل منظم. أولاً نُشِرَ كتاب *الجاسوس الذي جاء من الأماكن الباردة* والذي ألفه في غضون خمسة أشهر شاب يعمل في السفارة البريطانية في بون مستخدماً الاسم المستعار جون لي كاري، وبيع مئتان وثلاثون ألف نسخة من الكتاب في أمريكا، ومليونا نسخة أخرى في طبعة ورقية الغلاف في 1965، حين أنتجت باراماونت فيلمها المأخوذ عنه. تتبَّع كاري أصول الرواية إلى 'مرارته الكبيرة والدائمة من ورطة الشرق - الغرب الإيديولوجية'. ولقد مقته ريتشارد هيلمز، الذي كان مسؤولاً عن عمليات السي آي إي السرية في ذلك الوقت. وصُنِّفَ لي كاري مع غراهام غرين - الذي أرعبت روايته *الأمريكي الهادئ*، *الصادرة* في 1955، جماعة أمريكا السرية - كمؤلفين تكرههما الوكالة. و قال فرانك ويزنر: 'إنهما مغفَّلان، من نمط حقود وحسود'.

وتبع هذا فيلم ستانلي كبريك *الدكتور سترينجلوف*، الذي سخر من جنون إيديولوجية الحرب الباردة. وفي رسالة نُشِرَتْ في *نيويورك تايمز*، دعاه لويس ممفورد 'الاستراحة الأولى من سبات الحرب الباردة التخشبي الذي أمسك بلادنا بقبضة متصلبة لفترة طويلة جداً... إن ما هو مريضٌ هو بلادنا التي من المفترض أنها أخلاقية، وديموقراطية، والتي سمحتْ لهذه السياسة بأن تُصاغ وتُطبَّق حتى دون تظاهر تقديمهل للمناقشة العلنية'.[1]

---

* International Association of Poets, Playwrights, Editors, Essayists and Novelists.
- الاتحاد الدولي للشعراء وكتاب المسرح والمحررين وكتاب المقالة والروائيين.

وبعد ذلك توفي في الثامن عشر من أيلول 1964 محارب الحرب الباردة الأمريكي الأكثر تأثيراً، سي دي جاكسون في مستشفى بنيويورك. قبل أيام، طار آيزنهاور من غيتيسبيرغ، بينسلفانيا، كي يشاهد سي المريض والذي كان في حالة خطيرة. وأقامت فرقة بوسطن السيمفونية، التي تدين بشهرتها العالمية لدعم سي دي، حفلاً تذكارياً له عزف فيه العازفان المنفردان فيتيا فرونسكي وفيكتور بيبين لموزارت. فيما بعد، أحدثتْ مدرسة الفرقة الصيفية، تانغلوود، جائزة باسمه. ورعى الجائزة كثير من خريجي مدرسة الحرب الباردة الخاصة التي ترأسها سي دي.

وفي 1964، أصبح أولئك الأشخاص مفارقات تاريخية متجولة، أعضاء طائفة تتجه إلى النهاية، والتي بدا موتها، على الرغم من أنه بأية حال كامل، كأنما تؤكده موجة المقت والاحتجاج ضد القيم التي مثلوها. كانوا مثل كثير من 'الطيور المراوغة'، الاسم الذي اخترعه أحد مفكري نيويورك لطائر خرافي 'يطير إلى الخلف في دوائر تقل باطراد إلى أن يدخل من فتحة شرجه وينقرض'.[2] ومع صعود اليسار الجديد والبيتس Beats دخل رجال الثقافة الخارجون عن القانون، والذين عاشوا على هوامش المجتمع الأمريكي، إلى التيار الرئيسي، محتقرين ما دعاه ويليم بوروز 'بالاستبداد المتباكي والمعسول اللسان للبيروقراطيين، والعمال الاجتماعيين، والأطباء النفسيين، ومسؤولي النقابات'.[3] وقال جوزيف هيلر في *Catch - 22* : إن ما اعتبرته أمريكا عقلاً كان في الحقيقة جنوناً. وندب آلن غينسبرغ، في أواخر 1956 في شكوى الأعوام المبدَّدة: 'رأيت الجنون يحطم أفضل العقول في جيلي'، واتجه إلى تأييد متع الشذوذ العلني، و 'تعاطي المخدرات، والهلوسات. ومن خلال مضغ حبوب الهلوسة ، وغناء كهرباء الجسد، وقراءة الشعر في حال العري، والإبحار في العالم عبر ضباب من البنزدرين والمخدرات، استعاد جيل البيتس وولت ويتمان من بين مضجرين مثل نورمان بيرسون هولمز، وقدسوه على أنه الهيبي الأصلي. كانوا متمردين فوضويين هدفوا إلى إحداث الفوضى في النظام، على عكس الهوس بالصيغة الذي ميَّز مجلات مثل *إنكاونتر*. وتعبيراً عن الغضب من هذه التطورات، كتب سيدني هوك إلى جوسيلسون في العشرين من نيسان 1964: 'في أوروبا يمتلكون مسرحاً للعبث، والوجودية كفلسفة للعبث. أما في الولايات المتحدة، فإن التطور الأخير بين المفكرين هو سياسة عبث شعاراتها هي: تسقط الولايات المتحدة! أمريكا منتنة! يعيش الجنس! الخ. في الحقيقة هذا مسل جداً بوجود ميلر، وبودهوريتز الخ. وهم يمتلكون حوارياً جديداً ومتحمساً هو السيد جاك تومسون الذي أخشى أن حكمته ليست أفضل من ذكائه'.[4] وكان تومسون يملك من الحكمة ما يكفي ليدرك أنها الجزء الأفضل من الشجاعة، وبقي مديراً تنفيذياً لفارفيلد.

وحدّد عام 1964 أيضاً عيد ميلاد *نيويورك ريفيو أوف بوكس*. وأشار نجاح ريفيو الفوري، الذي قاده جاسون إبشتاين وروبرت سيلفرز، بوضوح، إلى أنه لم يكن جميع المفكرين الأمريكيين سعداء في العمل كمناصرين للحرب الباردة ومتحلقين حول دولة الأمن القومي. وبينما كان الإجماع الحاكم يتشظى، أشار ريفيو إلى ظهور أنتلجنسيا نقدية جديدة، حرة في التحدث عن

تلك المسائل التي كانت مجلات مثل *إنكاونتر*، المقيدة، بنظام اجماعي، صامتة حيالها. وإذا كان الانطباع قد قُدِّمَ بأن جميع مفكري نيويورك، قد حولوا أنفسهم، من خلال نوع من الخيمياء المعكوسة، من راديكاليين متألقين إلى معدن خسيس فحسب للسي آي إي ولبقية مؤسسة الحرب الباردة، فهناك دليل يثبت العكس. وبعيداً عن كونهم مدافعين عن السلطة الأمريكية، تجمع هؤلاء المفكرون حول استعداد ريفيو لشجب الإمبريالية والشيوعية على حد سواء. ومما أرعب السي آي إي، أن ريفيو أصبح بارجة الأميرال للمعارضة الفكرية لحرب فيتنام. وقال لي ويليامز: 'لقد واجهنا مشكلة كبيرة مع ين ويانغ *نيويورك ريفيو*، وخاصة حين أصبحت مجموعة معارضة لحرب فيتنام ويسارية.'[5] لكنه لم يساعد في توضيح أية إجراءات اتخذتْ لمواجهة ريفيو، مكتفياً بقول: 'لم تكن ضربة، أو موقف ضربة مضادة.'[6]

لم يكن مايكل جوسيلسون منيعاً إزاء الروح الجديدة. ورغم أنه تحمل آلام إخفاء خيبة أمله من 'الفرضية الأمريكية'، إلا أنه أقر بشكل سري أنه رُوِّعَ من الشكل الذي اتخذته. بعد سنوات، كتب أن 'تجربة العمل من أجل الهيئة ومعها أصبحت صادمة في الحقيقة... في الخمسينات دُعِمَ الباعث الذي يحركنا بوعود أمريكا التاريخية... في النصف الثاني من الستينات أنهى قيمنا ومثلنا الفردية تدخلنا في فيتنام وسياسات أمريكية أخرى غير عقلانية.'[7] الفجوة الصاروخية المزعومة، طلعات U-2 الجوية المشؤومة، خليج الخنازير، أزمة الصواريخ الكوبية، جميع هذه الأخطاء الفاضحة دمرتْ إيمان جوسيلسون بالقرن الأمريكي، وبوكالات الحكومة التي اتهمت بارتكابها. حتى هاري ترومان، الذي أسستْ إدارته السي آي إي في 1947، قال إنه رأى 'شيئاً ما في الطريقة التي كانت تعمل بها السي آي إي يلقي ظلاً على المواقف التاريخية، وشعرت بأننا نحتاج إلى تصحيحها.'[8] وفي حقبة جديدة بدأت تعانق فكرة الانفراج، تطلع جوسيلسون إلى إبعاد المنظمة عن عادات سياسة التمييز العنصري للحرب الباردة، نحو حوار مع الشرق. ومن خلال علاقتها مع البي إي إن PEN الاتحاد الدولي للشعراء، والمسرحيين، والمحررين، وكتاب المقالة، والروائيين، حاولت المنظمة أن تفعل هذا بشكل مثالي فحسب.

في منتصف الستينات، امتلك البي إي إن ستة وسبعين مركزاً في خمس وخمسين دولة واعترفت به اليونيسكو رسمياً بأنه المنظمة الأكثر تمثيلاً لجميع كتاب العالم. وكانت مهمته، المثبتة بقانون، تتضمن وعداً بتجنب الانخراط 'في سياسة دولة أو حزب' في جميع الظروف. وكان رفضه للخضوع للتحيز أو التحيز المسبق، ودفاعه القوي عن حرية التعبير، هو الذي ضمن التوسع العالمي للبي إي إن أثناء سنوات الحرب الباردة. ولكن الحقيقة هي أن السي آي إي بذلت كل الجهود لتحول الاتحاد الدولي إلى أداة لمصالح الحكومة الأمريكية. وكانت الأداة المصممة هي المنظمة من أجل الحرية الثقافية.

أبدت المنظمة اهتماماً متواصلاً بالبي إي إن رغم خطبة آرثر كويستلر المنمَّقة والتي قال فيها بأنه يُدار من قبل بعض 'المغفلين' الذين أقلقهم أن الحملة من أجل الحرية الثقافية تعني 'تهوية الحرب الباردة'.[9] في البداية، بذلت المنظمة جهودها كي تجعل ممثلي الكتلة الشرقية خارج البي إي إن، خشية أن يحاول الشيوعيون اختراق المنظمة ويؤثروا في مناقشاتها. وكتب

نابوكوف في 1956 إلى ريتشارد كروسمان: 'نحن جاهزون للتحدث مع الكتاب الروس، والفنانين الروس، والعلماء الروس، ولكننا لا نريد أن نقابل بيروقراطيين أو مسؤولين ونتحدث معهم بدلاً منهم. لسوء الحظ... غالباً ما نقابل هذا النوع من البيروقراطي السوفياتي التابع وذي الذهن البوليسي – نظرة حجرية، وكتفان مربعان، وبذلة من نسيج صوفي متين، وبنطلون فضفاض – الذي نريد تجنبه'.[10] وارتبطت المنظمة، التي اهتمت بإخراج أولئك الدجالين، مع سكرتير البي إي إن ديفد كارفر بشكل ناجح. وحين وصلتْ الأنباء إلى جوسيلسون في 1956 بأن الشيوعيين خططوا 'ليقوموا بدفعة كبيرة' في مؤتمر البي إي إن في اليابان في العام التالي، أقنع كارفر بسهولة بأنه يجب إحضار 'الفصيلة العليا' للمنظمة (سيلوني، كويستلر، سبيندر، وميوش، الخ.) كي تعارض ذلك.

أما جون هنت، الذي هو نفسه عضو في البي إي إن الدولي – انضم إليها في 1956 بعد نشر روايته الأولى، *أجيال الرجال*– فقد جمعته 'علاقة صداقة' مع ديفد كارفر، الذي عمل كوكيل غير رسمي لمجلة *إنكاونتر*، ووزع نسخاً من المجلة في اجتماعات البي إي إن. وفي 1964، قرر هنت أن كارفر مشغول جداً ويحتاج إلى المساعدة. وهكذا، عرضت المنظمة تقديم المساعدة في شخص كيث بوتسفورد، الذي نشط فترة في أمريكا الجنوبية بعد فشل لويل، وقبل عودته إلى الولايات المتحدة ليصبح محرراً مشاركاً مع صول بيلو في المجلة الأدبية ذ *نوبل سافاج The Noble Savage* كان متأهباً مرة أخرى كي يساعد صديقه هنت، وظهر في الوقت المناسب في مكاتب البي إي إن في لندن في خريف 1964. وقال أحد ناشطي البي إي إن: 'لم يخطر لي مطلقاً التساؤل لماذا ظهر بوتسفورد بالطريقة التي ظهر بها، ولكنني أفكر بالأمر الآن. كان غريباً قليلاً'.[11]

وغضب القسم الفرنسي في البي إي إن حين علم بتعيين بوتسفورد، وكتب بغضب إلى كارفر طالباً شرحاً. ودافع كارفر عن التعيين، قائلاً إنه كان يعمل مع بوتسفورد لبعض الوقت 'في جو من الانسجام التام والتعاون الوثيق... وموقعه بسيط وغير معقد. لقد عيَّنته اللجنة التنفيذية الإنكليزية مساعداً ونائباً لي. وبما أنني أدمج مكاتب الأمانة العامة للمركز الإنكليزي والأمانة الدولية، فمن الطبيعي أن أتوقع منه مساعدتي في كل عملي'.[12] كان القسم الفرنسي يمتلك سبباً جيداً كي يقلق. وجعلته الشبهات بطبيعة علاقات بوتسفورد مع المنظمة من أجل الحرية الثقافية، وبارتباطات المنظمة مع الحكومة الأمريكية، يخاف من محاولة الأمريكيين احتلال البي إي إن. وكان على صواب.

كان كيث بوتسفورد هو الذي اتصل بآرثر ميلر في 1965 وقال إنه يريد أن يأتي لزيارته هو وديفد كارفر. أما ميلر، الذي كان في باريس في ذلك الوقت، فكان يعرف بوتسفورد بشكل غامض من مجلة ذ *نوبل سافاج*، التي نشر فيها قصتين قصيرتين. ويتذكر ميلر: 'قال شيئاً ما عن البي إي إن الذي لم أسمع عنه إلا النزر اليسير'. وفي اليوم التالي وصل بوتسفورد إلى باريس مع ديفد كارفر، الذي دعا ميلر كي يصبح الرئيس التالي للبي إي إن. وكتب ميلر فيما بعد: 'لقد وصلوا الآن إلى نهاية الخيط. إن سياسة الانفراج الأخيرة استدعتْ محاولات جديدة

للسماح بالخلافات بين الشرق والغرب، والتي لم يمتلك البي إي إن بعد التجربة للقيام بها. كانت هناك حاجة إلى بداية جديدة، وكانت أنا.'[13] وقال ميلر: ولكنني 'اشتبهت بأنهم يستخدمونني وتساءلتُ فجأة إن كانت وزارة خارجيتنا أو السي آي إي أو أيد بريطانية مشابهة تحرك هذه اليخنة الخاصة. وقررت التخلص منهما... وقف البي إي إن عالقاً في إسمنت ما علمتُ حالاً أنه مواقفه التقليدية في إطار الحرب الباردة والمعادية للسوفيات، ولكنها، مثل الحكومات الغربية في هذه النقطة، كان يحاول الانحناء والاعتراف بأوروبا الشرقية كمجموعة مستقرة من المجتمعات يمكن السماح لكتابها أن يقوموا باتصالات جديدة مع الغرب بشكل جيد.'وأخبر ميلر أحد المؤرخين 'أنه مر في ذهني احتمال أن الحكومة تريدني أن أصبح رئيس البي إي إن لأنها لا تستطيع اختراق الاتحاد السوفياتي بطريقة أخرى، واعتقدوا أنني يمكن أن أكون من أشخاصهم. لا أعتقد أنهم كانوا يتوقعون مني القيام بذلك. كان الشخص الأول الذي تحدث معي حول البي إي إن – لا أستطيع تذكر اسمه الآن – ولكن الناس سيقولون فيما بعد عنه: لماذا، كان ذلك الشخص عميلاً طوال الوقت؟ الآن لا أمتلك أي دليل على ذلك. كان ذلك ثرثرة.'[14]

أراد الأمريكيون رئيساً أمريكياً للبي إي إن، وكانوا على وشك العثور على واحد. وكان كارفر في الحقيقة 'يريد إحضار جون شتاينبك' (الفائز بجائزة نوبل للآداب في 1962)، لكن هذا لم يتحقق مطلقاً، وكان ميلر الخيار الثاني. أما بالنسبة للفرنسيين، فلم يكن أي من المرشحين مناسباً. أرادوا إخراج الأمريكيين مهما كانت الكلفة. وحين علم الفرنسيون بنوايا كارفر حول العثور على مرشح أمريكي، سارعوا في البي إي إن إلى تقديم أحد مرشحيهم وهو ميغيل أنخيل أستورياس، الروائي الأمريكي اللاتيني العظيم، وعضو المركز الفرنسي للبي إي إن. أشار جوسيلسون إليه بنبرة قرف قائلاً: 'ذلك النيكاراغوي العجوز، المتعاطف، حصان الحرب أستورياس'[15]، وكتب بنبرة ملحة إلى مانيس سبيربر، الذي كان يعيش آنذاك في باريس، حاثاً إياه على أن يطلب من أندريه مالرو، الذي عيَّنه ديغول وزيراً للثقافة، وصديق المنظمة لفترة طويلة، إعاقة ترشيح أستورياس. كان سبيربر متردداً، وكتبَ إليه قائلاً إن وزارة الثقافة لا علاقة لها بالبي إي إن، وإن المنظمة مستقلة. لكن جوسيلسون ألحَّ، قائلاً لسبيربر بأن لا شيء سوى الهيبة الفرنسية في خطر، وهكذا فإن الحكومة ستهتم بالتأكيد. وادعى جوسيلسون أنه إذا انتُخب أستورياس 'ستحدث مصيبة' كما سيشير انتخابه إلى 'نهاية صديقنا كارفر.'[16]

وتابع كارفر، بدعم كامل من أصدقائه الأمريكيين، البحث عن مرشحه الخاص، كاتباً رسالة مفتوحة مؤلفة من ثماني صفحات لأعضاء البي إي إن في نيسان 1965، متحدياً شرعية المرشح الفرنسي، متهماً المركز الفرنسي بتزييف الحقائق، ومتهماً أستورياس بأنه رجل يفتقر إلى جميع المواصفات التي تحتاجها وظيفة الرئاسة الدولية. وبعد أن تلقى نسخة من رسالة كارفر، حذر محارب الحرب الباردة القديم، وعضو الهيئة التنفيذية للفرع الأمريكي من البي إي إن، لويس غالانتييه، أصدقاءه المؤتمرين من أن 'الاعتداء الفرنسي... لا يهدف إلى إعاقة انتخاب

رئيس دولي أمريكي فحسب، وإنما إلى أسر الأمانة العامة الدولية في الوقت نفسه... أرى أن الحركة الفرنسية تمثل كبرياء متعجرفة هيمنت على طبقة الموظفين الفرنسية، ولا أستبعد أن هذا حصل على موافقة وزارة الخارجية الفرنسية.[17]

وكان بين أعضاء المجلس اللجنة التنفيذية للفرع الأمريكي عدد من أصدقاء المنظمة، عدا غالانتييه. ووقف عضو واحد بخاصة على رأس الورقة: روبي ماكولي. وبوجود ماكولي، امتلكت السي آي إي رجلاً يمتلك سلطة تنفيذية في الفرع الأمريكي من البي إي إن الأمريكية. وكان هذا يعني أنه حين قرر كورد مبير إرساله إلى لندن كضابط مهمة من قسم المنظمات الدولية من أجل البي إي إن، فسوف تظهر اهتماماته في نشاطاتها هناك طبيعية بشكل كامل. مع ذلك، ومما جعل غطاء ماكولي محكماً هو أنه كان خريجاً من ككينهايم، ثم خريجاً بمنحة فولبرايت للبحث في العامين اللذين قضاهما في إنكلترا. وبوجود بوتسفورد وماكولي في لندن، وكارفر كمتلق لتمويل المنظمة (وبشكل مباشر لأموال من فارفيلد)، حققتْ السي آي إي اختراقاً ممتازاً للبي إي إن.

وفي منتصف المعركة على الرئاسة، ابتكر كارفر وبوتسفورد خططاً لمؤتمر البي إي إن التالي، المخطط له كي يُعْقَد في بليد في يوغوسلافيا في الأسبوع الأول من تموز 1965. ووافق جون هنت على تمويل مجموعة من الكتاب كي يحضروا المؤتمر، وصدرتْ توجيهات لكينيث دونالدسون 'مراقب الحسابات والنفقات العام' للسي آي إي المقيم في لندن، كي ينظم الدفع للبي إي إن من حساب المنظمة. صنف جون هنت قائمة الممثلين المقترحين، بشرط صارم وهو أنه 'إذا كان أي شخص من هؤلاء الأفراد لا يستطيع الذهاب، يجب أن تحصل أمانة نادي البي إي إن على موافقة المنظمة في باريس كي تستخدم الأموال من أجل إرسال شخص آخر'. وتضمنت قائمة هنت ديفد روسيت، وهيلمت جايسريش (خليفة لاسكي كمحرر لمجلة *دير مونات*)، وماكس هيوارد، وسبيندر، وشيارومونتي، وسيلوني. وبمنحة منفصلة من مؤسسة فارفيلد، قُدِّمَتْ نفقات السفر لكل من كارلوس فوينتيس وول سوينكا.[19] وسوية مع الممثلين الآخرين، انتخبوا آرثر ميلر كرئيس جديد للبي إي إن.

وبعد أن حقق نصراً في مؤتمر بليد، بدأ جون هنت التحضير للاجتماع التالي للبي إي إن الذي كان سيتم في نيويورك في حزيران القادم. وهذه ستكون المرة الأولى خلال اثنين وأربعين عاماً التي سيلعب فيها المركز الأمريكي دور المضيف لمؤتمر دولي للبي إي إن. وبهذه المراهنات العالية، قررتْ السي آي إي أن تُحضر الفصيلة الكاملة لترسانتها السرِّية. كان على المنظمة من أجل الحرية الثقافية، أولاً، أن تلعب دوراً مهماً ولقد قدمت سابقاً ألف جنيه لكارفر في حزيران 1965 كي يبدأ تنظيم 'حملة' نيويورك، التي رُتِّبَتْ بشكل رائع مع هنت أثناء غداء في مطعم شانتيريلي في برومبتون رود. وقامت مؤسسة فارفيلد بتدخل في الوقت المناسب ومنحت البي إي إن الفرع الأمريكي من 'منحة قوية' مؤلفة من خمسة وسبعين ألف دولار في كانون الثاني 1966، ودفعت مؤسسة روكفيلر مبلغاً إضافياً مؤلفاً من خمسة وعشرين ألف دولار. ووجهت السي آي إي أيضاً الأموال إلى الفرع الأمريكي عبر المؤسسة الآسيوية ولجنة أوروبا الحرة.

وباستثمارات كهذه معرضة للخطر، كتب جون هنت إلى ديفد كارفر في التاسع من شباط 1966، وأخبره أن من الحكمة كما يعتقد أن يحاول ويحد من المسؤولية القانونية.[20]

وكان ضمان هنت المقترح هو تعيين مُنَظِّمةُ ندوة المنظمة من أجل الحرية الثقافية ماريون بيبر، إما في مكتب كارفر، أو في نيويورك لمدة ثلاثة أسابيع قبل وأثناء المؤتمر، على حساب المنظمة. وكانت بيبر، المتعددة اللغات، والتي عملت في مؤسسة التاريخ المعاصر في لندن، محاربة قديمة في حملات كهذه من خلال عملها في الخمسينات كنائبة أمين سر تنفيذي للمنظمة. وبوضع شخصية كهذه من 'أعلى طبقات السلطة' في قلب الفرع الإنكليزي أو الأمريكي للاتحاد الدولي، تأكد هنت أن مصالحه سوف تُحْمى.

وفي الوقت نفسه، كتب هنت إلى لويس غالانتييه، رئيس الفرع الأمريكي للاتحاد الدولي، كي يقوم بعرض مشابه. من هو الأفضل من روبي ماكولي، الذي عاد حديثاً إلى واشنطن، الذي كان يعني غطاؤه كمحرر لمجلة *كينيون ريفيو* ذات الهيبة أنه فوق الشبهات؟ ووُضِعَ ماكولي تبعاً لذلك تحت تصرف الفرع الأمريكي كمُسْتَخدَمٍ يؤدي مختلف المهام.[21] بالإضافة إلى ذلك، وافق هنت على دفع نفقات سفر لمفكرين غربيين بارزين (من اختياره) كي يحضروا المؤتمر.

وعقد المؤتمر الرابع والثلاثون للبي إي إن بين 12 و 18 حزيران 1966. وهنأ منظموه – العلنيون والسريون – أنفسهم لأنهم رأوا أن استضافة الحدث تعني 'إزالة لطخة من سجل الولايات المتحدة'. ووصف تقرير للمؤتمر بحماسة كيف 'أكدت حقيقة عقد المؤتمر في نيويورك، بانتصار، مكانة الولايات المتحدة كموجهة لطريقة سير الحضارة المعاصرة'. وكان تنظيم المؤتمر حول موضوع 'الكاتب كروح مستقلة'، والتركيز على دور الكاتب في المجتمع واهتماماته كفنان، شيئاً ما يُضاف إلى جدارة بلادنا'.[22]

ولكن لم يصل جميع المراقبين إلى الاستنتاج نفسه. ففي محاضرة ألقيت في جامعة نيويورك، مساء مؤتمر البي إي إن، هاجم كونور كروز أوبراين فكرة الاستقلالية الفكرية بحدة قائلاً: 'دكتور جيكل، موضوع المنظمة العام، 'الكاتب كروح مستقلة'، هو... معرَّض لخطر التحول إلى السيد هايد، 'الكاتب كشخصية عامة. 'وبينما كان يمكن اتهام الكتاب في الماضي بأنهم 'غرباء عن الأهواء السياسية'(جوليان بيندا)، إلا أنهم الآن 'عرضة لأن تضللهم هذه الأهواء أو تغويهم.'[23] وتابع أوبراين ملخصاً مقالة حديثة في مجلة *إنكاونتر*، مدح فيها دينيس بروغان المجلة من أجل صراعها ضد خيانة المثقفين، العبارة التي استخدمها بيندا كي يهاجم كتاباً موهوبين جعلوا أنفسهم ناطقين باسم القضايا السياسية ورجال دعاية لها. ورأى أوبراين أن أمراً كهذا مضلل في مجلة 'متساوقة مع بنى السلطة السائدة'. وبعيداً عن كونه مسالماً في السياسة، وجد أوبراين أن *إنكاونتر* اتبعت باستمرار خطاً سياسياً، كان العنصر الأساسي فيه 'غرس مواقف مفضلة متسقة في بريطانيا تجاه السياسات والممارسات الأمريكية'.[24]

نشرت *النيويورك تايمز* مزاعم أوبراين، التي تدلت فوق اجتماع البي إي إن، وأشارتْ إلى بداية نهاية المنظمة من أجل الحرية الثقافية.

الفصل الثالث والعشرون

خليج الخنازير الأدبي

تذكَّروا تشبيه ماركس – السياسيون البرجوازيون في الأربعينات بعد 1848 – الذين كانوا يتمسكون بالحاشية الخلفية لمعطف الذي في الأمام، ويحاولون رفس الذي يتمسك بحاشية معطفهم. حسناً، سوف يتمزق الكثير من الحواشي الخلفية للمعاطف في الأيام القادمة ... ولدي مخاوف جدية من أنه في عملية تمزيق حواشي المعاطف والرفس، يمكن أن تؤذى خصية أو اثنتان.

جيمس ت. فاريل

كان وقع تهمة كونور كروز أوبراين لمفكري الغرب بأنهم يخدمون 'بنية السلطة' قاسياً في وقت كان فيه الجنود الأمريكيون يموتون في فيتنام. كان هناك شيء ما مُتَعفِّنٌ في دولة الدانمارك، واكتشف الكثير من المعادين المحترفين للشيوعية، الذين تجمعوا حول المنظمة من أجل الحرية الثقافية، أنهم لا يستطيعون 'النجاة من المصيدة التي نصبتها لهم قناعاتهم القديمة.'[1] وكأوصياء للقرن الأمريكي، اعتقدوا، مثل كاتب العمود الصحفي المحافظ جوزيف آلسوب، أن حرب فيتنام هي 'الامتداد الطبيعي والمؤكد لرؤية أمريكا ومصيرها بعد الحرب'[2]. وزعم جاسون إبشتاين أن 'مجيء فيتنام، ومعاداتنا للستالينية اعتادتا أن تبررا اعتداءنا. إن هؤلاء الأشخاص يدخلون الآن في مأزق حقيقي. لقد عَلِقوا وبنطلوناتهم مُنَزَّلة: يجب عليهم أن يدافعوا عن فيتنام لأنهم اصطفوا في الخط المعادي للشيوعية طويلاً بحيث أنهم سيفقدون كل شيء بطريقة أخرى. ساعدوا في جعل مأساة فيتنام ممكنة، ساعدوا في جعل سياستنا العدائية مع الصين ممكنة، ساعدوا في جعل المعاداة الوحشية للستالينية المجسدة في أشخاص مثل مكارثي ممكنة، أسهموا في استنقاع الثقافة الفكرية في هذه البلاد'.[3]

وكتب روبرت ميري، كاتب سيرة الأخوين آلسوب، واصلاً إلى الخاتمة نفسها: 'بعد سنوات سيصبح من الشائع أن تنظر إلى الحرب كسياسة شذوذ، كمأساة قومية كان يمكن تجنبها لو أن القادة الأمريكيين شاهدوا ببساطة كافية فحسب كي يتجنبوا الالتزام بشكل كامل. لكن هذا يتجاهل الواقع المركزي للتورط الأمريكي في فيتنام: لقد كان ذلك امتداداً طبيعياً، ومحتوماً، للسياسة الأمريكية الكونية التي تأسست في فجر حقبة ما بعد الحرب.'[4]

وكتب السيناتور ويليم فولبرايت، الذي قام برحلة فائقة للعادة من إيديولوجي حرب باردة إلى منشق علني: 'هناك حرفياً جو خانق من الجنون في المدينة. أنا ضائع، لا أجد كلمات كي

أصف بلاهة ما نفعله'. [5] وبهجومه بعنف على السلم الأمريكي وغياب المنطق الذي يدعو إلى اليأس في السياسة الخارجية، قاد فولبرايت هجوم اليسار الجديد - الذي لم ينتم إليه بشكل ملائم مطلقاً - ضد ما رآه إذعاناً غير نقدي في الإمبراطورية الأمريكية: 'لم يكن يوجد في الفرع التنفيذي لحكومتنا، وفي الكونغرس أكثر من بضعة أصوات معزولة ارتفعت كي تقترح أنه من المحتمل أن ما يُحَفِّز السياسة السوفياتية في أوروبا هو مخاوف مرضية من أجل أمن الاتحاد السوفياتي وليس مخططاً لغزو العالم. وفي الحقيقة، لم يكن أحد في موقع سلطة يؤمن بفرضية أن الوحشية السوفياتية تعكس الضعف لا القوة، وتوترها ذكريات 1919، حين تدخلت القوى الغربية في محاولة - مهما كانت فاترة - كي تخنق الوحش البلشفي في مهده. لقد صيغت سياستنا الخاصة دون الاستفادة من حوادث عدائية بناءة.'[6]

وبإيمان مشابه، قال نورمان ميلر إن حرب أمريكا في فيتنام هي 'تتويج لتعاقب طويل من الأحداث التي بدأت بطريقة ما غير مسجلة في نهاية الحرب العالمية الثانية. متوسطو العمر الأكثر قوة ، والبروتستانت البيض الكبار في أمريكا: رجال دولة، مدراء شركات، جنرالات، أميرالات، محررو صحف، ومشرعون أجمعوا على التعهد بأمانة فكرية، أقسموا بإيمان جدير بالفرسان القروسطيين أن الشيوعية هي العدو المهلك للثقافة المسيحية. وإذا لم تتم مقاومتها في عالم ما بعد الحرب، فإن المسيحية بذاتها ستهلك.'[7]

وإزاء ستارة المسرح الخلفية للانشقاق النقدي هذا بدأت *نيويورك تايمز* تهتم بما يكمن مختبئاً في التجويفات المظلمة لخزانة السياسة الأمريكية. ففي نيسان 1966 فاجأت قراءها ببعض الفضائح عن السي آي إي. وقالت إحدى المقالات:'إن تشعبات وكالة الاستخبارات المركزية في الداخل والخارج تبدو بلا نهاية. ورغم أن الأقمار الصناعية، والأجهزة الإلكترونية، والأدوات تولت الكثير من أعمال التجسس، فقد بقي هناك تورط عميق للكائنات البشرية يقذف الوكالة في مواقف دبلوماسية حرجة، مثيراً الكثير من مسائل السياسة والأخلاق. وهذا هو سبب اقتناع كثير من الأشخاص بأنه خُلِقَ في السي آي إي وحش مثل وحش فرانكشتاين لا يستطيع أحد السيطرة عليه بشكل كامل... هل يعقل أن تعتمد حكومة أناس فخورين وشرفاء كثيراً على العمليات السوداء، والخدع القذرة، والأعمال القاسية وغير المشروعة في الأزقة السوداء للعالم؟ هل هناك نقطة ما تصبح عندها مواجهة النار بالنار، والقوة بالقوة، والتدمير بالتدمير، والجريمة بالجريمة، منتشرة هكذا بحيث يزول أي تمييز للشرف والكبرياء بين أعداء شرسين وحقودين؟ إن هذه الأسئلة ضرورية لشعب الولايات المتحدة'. [8]

وفي السابع والعشرين من نيسان 1966، كررتْ إحدى المقالات مزاعم أوبراين - التي صارت الآن معرفة عامة - بأن مجلة *إنكاونتر* تتلقى أموالاً من السي آي إي. وكان يمكن أن تستقر المسألة هناك لولا حركة لاسكي التالية المتهورة. نشر مقالة للكاتب جورونوي ريز، وهو رجل وُصِفَ فيما بعد بأنه 'سخيف وبالتالي صياد غير جدير في مياه الحرب الباردة'[9]، وبدلاً من أن ترد المقالة على تهم أوبراين ضد *إنكاونتر*، فقد هاجمته من خلال إثارة الأسئلة حول سلوكه حين كان ممثلاً للأمم المتحدة في الكونغو قبل بضع سنوات. وبغياب لاسكي (الذي قام برحلة

إلى أمريكا الجنوبية)، وبوجود سبيندر في أمريكا، تُركَ فرانك كيرمود، الذي خطا كمحرر مشترك لمجلة *إنكاونتر* (والذي لم يُعْرَض عليه عمود ريز قبل نشره) كي يواجه العواقب.

وفي أيار من العام السابق، كتب سبيندر إلى جوسيلسون وأخبره نبأ تعيينه كشاعر مستشاراً للشعر في مكتبة الكونغرس، المعادل الأمريكي لشاعر البلاط - أو الشاعر الأول في البلاد - وكان من السابقين فروست ولويل، لكن سبيندر كان الأول غير الأمريكي الذي سبق وعرض عليه هذا الشرف. في البداية، كان جوسيلسون غاضباً، وكتب إلى مكيريدج في حزيران أن سبيندر 'كان غير قادر على مقاومة دعوة السِّيرانة الأولى'.[10] وتم الاتفاق بأن يتخلى سبيندر عن راتبه من *إنكاونتر* في العام الذي سيكون فيه بعيداً. جوسيلسون الذي كان ذكياً بحيث أبقى نوعاً من السيطرة المالية على سبيندر، فقد اقترح أن فرانك كيرمود سيكون بديلاً مناسباً، على الأقل في الوقت الذي سيغيب فيه.

شعر لاسكي بالسرور من هذا التطور. وكانت علاقته مع ستيفن - أو ستي فين، كما اعتاد أن يناديه، كنوع من الاستخفاف بالشاعر بسبب عدم تهجئة اسمه، وهي الطريقة الأمريكية مع حرف v، كما قال كيرمود - كانت علاقته متوترة وقد وصلت الآن إلى نقطة الانفصال. وشكا إلى جوسيلسون:'كم كانت جيدة تلك السنوات السابقة، مليئة بالعمل وليس ببعض النجاح، وكان الجزء الأسوأ فيها ستيفن في المكتب المجاور. كم كنت أبتهج حين يغيب، وكم كانت الأمور هادئة آنذاك... وكنتُ دوماً في الماضي (العام الماضي، منذ خمسة أعوام) أزدري فكرة الحصول على بديل. ولكنني أنغمس أحياناً في تأمل مريع حول حياتي معه وكيف ستكون في الأعوام التالية... أشعر باليأس من اضطراري للعيش مع ذلك الإزعاج، الناجم عن ضميره المذنب المتضايق يومياً، وهو الذي يحصل على حد أعلى من المجد مقابل حد أدنى من العمل، ولا يشتغل في الحقيقة إلا على كتبه، ومسرحياته، ومختاراته، ومقالاته، ومراجعاته، ومواده الإذاعية.... لا يهمني القيام بالعمل كله لوحدي. في الحقيقة، أحبه. بل يزعجني أن يضايقني بإحساسه القلق بالخداع... هل يستحق الأمر كل هذا؟ أيجب أن نعيش دوماً تحت غيمة عدم إخلاصه وانعدام شخصيته؟'[12] وفي النهاية اقتنع جوسيلسون بوجهة نظر لاسكي، موافقاً على أنه 'كلما أمضى سبيندر المزيد من الوقت، ازدادت الفرص للاشتباكات ولانطلاقه إلى الخداع والثرثرة مع أصدقائه الخارجيين'.[13]

ولكن أولئك الذين كانوا أكثر قرباً إلى جوسيلسون كانت لهم شكوكهم حول كيرمود، أيضاً. ورغم أن أحداً لم يقترب من وصف فيليب لاركن الشائع له بأنه قوّاد مستعطٍ فقد سخر لاركن منه أيضاً في الشعر قائلاً: استدرت وأظهرت عجيزتي لكيرمود - إلا أنهم لعنوه بمديح باهت. ووصفه إدوارد شيلز بشكل عنيف بأنه 'بروفيسور عادي صغير'.[14] وقال روبي ماكولي لجوسيلسون إنه لم يحبه كشخص، رغم أنه استمتع بكتاباته. ورد جوسيلسون على ماكولي قائلاً:' أنا ممتن لك لملاحظاتك على كيرمود، فأنا أيضاً أحب كتاباته لكنني لم ألتق به. أستطيع الاستنتاج، مما تقوله عن شخصيته، أنه سيسبب لنا بالتأكيد متاعب في المستقبل... في الوقت نفسه، إذا برهن كيرمود أنه قوي بما يكفي، يستطيع أن يفعل الكثير للمجلة، لأن الجزء الأدبي

كله، ومعه قسم مراجعة الكتب، ضعيف جداً. '[15] وفي الرسالة نفسها، قدم جوسيلسون اعترافاً فائقاً للعادة: 'تواجهني مشكلاتي مع *إنكاونتر*. بدأت أضجر منها. لم أعترف بهذا لأي شخص آخر، عدا ديانا التي تشعر بالشعور نفسه. إنني أرى أن *نيويورك ريفيو أوف بوكس* أكثر إثارة بكثير وأشعر برضا كبير حتى من مجلة *كومينتري*. '[16]

ورغم تحفظات دائرة جوسيلسون الداخلية، دُعِيَ كيرمود بشكل رسمي كي يشارك في تحرير المجلة مع لاسكي في صيف 1965. أما كيرمود، الذي فهم أنه طُلب منه معالجة الجانب الأدبي، مع لاسكي كرئيس لا ينافس، فقد اعتقد أنه من الغريب أن لاسكي لم يختر أحداً ما مؤهلاً بشكل أفضل، شخصاً على الأقل يعيش في لندن، ذلك أن كيرمود كان يعيش في غلوسيسترشير، ويُدَرِّسُ في بريستول. وبالفعل، كان ابتعاد كيرمود عن الإدارة اليومية للمجلة هو الذي جعله مرشحاً تاماً. 'فما اعتقدت أنه عقبة كان في الحقيقة مؤهلي الرئيسي. وفي مكان ما من ذهني أو قلبي، ممتزج مع التفاهة فحسب، و...ترددي في نبذ الطريق الخاطئ، عرفت أنني خُدِعْتُ. '[17]

مع ذلك، قبل كيرمود العرض. واكتشف في الحال أن 'عملية *إنكاونتر* كلها' كانت 'غامضة'. لم يستطع اكتشاف توزيع المجلة، أو حقيقة تمويلها. لم يُقَل له إلا القليل جداً حول صناعة المجلة، واستنتج حالاً أنه 'لن يكون مهماً كثيراً لو أنه لم يحضر مطلقاً'. [18]

سمع كيرمود، مثل الجميع، إشاعات تربط مجلة *إنكاونتر* بالسي آي إي. وقال له سبيندر إنه كان قلقاً أيضاً من هذه الإشاعات، لكنه اطمأن لأن إنكاراً تلقاه من جوسيلسون ومؤسسة فارفيلد برهن العكس.[19]

وفي الحقيقة، كانت المنظمة من أجل الحرية الثقافية في الوقت الذي جاء فيه كيرمود، قد توقفت عن رعاية *إنكاونتر*، وكانت تنشرها مجموعة ديلي ميرور لسيسيل كينغ. حسناً، رسمياً على الأقل، هكذا ثبتت الأمور. ورُتِّبَتْ صفقة كينغ استجابة لدفعة من المقالات النقدية عن مجلة *إنكاونتر* تضمنت افتتاحية في 1963 في صحيفة *سندي تيليغراف* أشارت إلى إعانة مالية سرية منتظمة تُقَدَّم لمجلة *إنكاونتر* من 'وزارة الخارجية'. وهددتْ تقارير كهذه مصداقية *إنكاونتر*، ولهذا بدأ البحث عن ملائكة سريين في بداية 1964. وفي تموز من ذلك العام، كان المحررون قادرين على الإعلان في *إنكاونتر* أن جميع المسائل المالية والعملية سوف تتولاها في المستقبل شركة النشر الدولية لسيسيل كينغ. وكجزء من هذه الصفقة أنشئ تروست يتألف من فيكتور روتشيلد، ومايكل جوسيلسون، وآرثر شليسنغر. وتمَّ تعيين شليسنغر، رغم تحذير شيلز بأن هذا سوف يقلل الوقت الذي ستسافر فيه نسخة سبيندر المحرفة عن الأحداث إلى شليسنغر، ثم من شليسنغر إلى 'عصابة نيويورك'.[20] وتبنى جوسيلسون وجهة نظر أكثر كرماً مستنتجاً 'أن موت كينيدي المبكر كرئيس ترك آرثر في حالة عطالة... أعتقد أنها ستكون إيماءة ظريفة من قبلنا كي نضمن له على الأقل رحلة واحدة في العام إلى أوروبا، لا يستطيع هو أن يؤمنها. '[21]

وعن هذا الترتيب الجديد، كتب مالكولم مكيريدج باستخفاف إلى جوسيلسون: 'الآن أدرك، أنه في الحقيقة لن يُبَدِّل تولي كينغ للمسؤولية المالية أي شيء. فهو – أو بالأحرى مصلحة الريع

الداخلي - سيخسر في الصفقة، بدلاً من المنظمة. وإلا سيكون كل شيء كما كان... كنت مسؤولاً جزئياً عن بداية العمل بمجلة *إنكاونتر*، وحاولت، بالتالي، أن أساعدها بطريقة متقطعة... كانت ناجحة، ولكن هناك أخطاء معيّنة، بسبب الظروف التي تم تأسيسها فيها: الانهماك المتأخر في مرحلة من الحرب الباردة التي انتهت، ارتباط وثيق جداً وسري مع المنظمة التي، رغم أنها شرط لوجودها في المقام الأول، أصبحت الآن غير مناسبة وغير ضرورية. وكنت آمل أن التغير في المسؤولية المالية يمكن أن يقدم فرصة، إلى حد ما على أي حال، للتغلب على هذه الأخطار. وأرى الآن أنني كنتُ مخطئاً.'[22]

وكما كان مكيريدج يعرف جيداً، أبقتْ صفقة كينغ مجلة *إنكاونتر* كثيراً في حظيرة الاستخبارات. وعلى عكس الإشاعات العامة، لم تتخل المنظمة من أجل الحرية الثقافية في البداية بشكل كامل عن السيطرة التحريرية أو حتى المالية على المجلة، كما أوضح جوسيلسون فيما بعد في رسالة قال فيها إن 'أحد مظاهر المشكلة تضمنت القيام بترتيبات مع ناشرين أو مع بعض مجلاتنا، يعني أننا يجب أن نعثر على ناشرين يمكن الاعتماد عليهم لا ليعبثوا بالمحتويات أو بالخط العام للمجلات أو يستبدلوا المحررين الذين اخترناهم. نحن محظوظون في هذا المجال في العثور على سيسيل كينغ في إنكلترا، وفيشر فيرلاغ في ألمانيا – الذي تولى مسؤولية *دير مونات* – ولكن أشخاصاً أو ناشرين كهؤلاء نادرون.'[23] وفي الحقيقة، أقرت الصفقة مع كينغ بشكل محدد على أن 'رواتب المحررين المشتركين ومكافأة جزئية للمحرر المساعد' سوف تبقى من مسؤولية المنظمة. وقال جوسيلسون: 'لم تكن هذه في الماضي جزءاً من نفقات *إنكاونتر بشكل مباشر*، وسوف تتابع البقاء كنفقة منفصلة.'[24] أما بقية الإعانة المالية المنتظمة لمجلة *إنكاونتر* من المنظمة – خمسة عشر ألف جنيه سنوياً – فسوف يُعاد توجيهها، كما قال جوسيلسون، في شكل منحة كاملة إلى إنكاونتر بوك ليمتيد. واتخذت الصفقة مع فيشر فيرلاغ الصورة نفسها ظاهرياً، وتولت شركة المنشورات الدولية نشر *دير مونات*. وفي الحقيقة، كانت المنظمة لا تزال هي المالكة للمجلة بعد أن اشترت خمسة وستين بالمائة من الأسهم في هذه الشركة 'بمنحة خاصة من عشرة آلاف دولار'. وهذه الأسهم 'حفظت في رعاية – وسيط – للمنظمة'.[25] في كلتا الحالتين، بقيت المنظمة من أجل الحرية الثقافية الحكم التحريري، بينما كانت تخبئ تأثيرها والتزامها المالي.

فضلاً عن ذلك، وبوجود فيكتور روتشيلد، وسير ويليام هيتر، وفي 1966، أندرو شونفيلد في هيئة الأوصياء – وهو 'ثلاثي رهيب'، بحسب مكيريدج – وجدت *إنكاونتر* نفسها مرتبطة على نحو وثيق بالاستخبارات البريطانية كما كانت دوماً. وقبل أن يصبح هيتر قيِّماً لنيو كوليج، كان سفيراً في موسكو ونائب وكيل وزارة في وزارة الخارجية. وقبل ذلك، كان رئيس قسم خدمات الارتباط، ورئيس لجنة الاستخبارات المشتركة البريطانية. وبهذه الصفة جلس مع المخططين المشتركين في ظل رؤساء الأركان، يتعامل مع جميع مسائل الاستخبارات، ويزور مواقع استخبارات بريطانية مختلفة في ما وراء البحار. وكان مشروع اقتراح هيتر في كانون الأول 1948، الداعي إلى هيئة حرب نفسية 'لشّن الحرب الباردة'، هو الذي ساعد بشكل رئيسي، على

إقناع مجلس وزراء أتلي على تأسيس قسم بحث المعلومات، الذي انخرط فيه هيتر على نحو وثيق فيما بعد. وفي وينشستر، كان معاصراً لريتشارد كروسمان، وفي نيو كوليج ، لهيو غيتسكيل. ومثلهما، كان ديموقراطياً اشتراكياً، ومتعاطفاً بشكل كبير مع جناح حزب العمل الذي صقلته *إنكاونتر* على نحو مواظب بإشراف لاسكي. وكان أندرو شونفيلد، مدير المؤسسة الملكية للشؤون الدولية، معروفاً أيضاً بشكل جيد لجماعة الاستخبارات. وبالطبع كان هناك فيكتور روتشيلد القادر على أن يكون واجهة لوزارة الخارجية. وشعر جميع أعضاء هذه الشبكة أنهم مرتاحون مع سيسيل كينغ الذي، بحسب كتاب بيتر رايت *صائد الجواسيس*، كان هو نفسه صلة وصل طويلة الأجل' مع الإم آي فايف M15، وهي مؤسسة كانت ستتخلص منه لأنه متعاطف مع عمليات السي الآي إي الثقافية السرية.

ولكن محاولات جوسيلسون لإبعاد أرصدة المنظمة عن المزاعم المؤذية كان محكوماً عليها بالفشل. كان هناك ثقوب أكثر مما كان هناك زورق. وإذا كانت الشائعات قد انتشرت في دوائر الحفلات في لندن، وباريس، ونيويورك لسنوات، إلا أنها الآن بدأت تتجسد في حقيقة. وأخبرت ماري مكارثي فيما بعد كاتبة سيرتها كارول برايتمان، أن جوسيلسون عارض رسالة أعدتها لـ *نيويورك تايمز* حوالي 1964 تؤكد استقلال مجلات المنظمة، 'لأنه كان يعرف أنها لن تكون صحيحة. قال: 'فقط توقفي عن ذلك، يا عزيزتي. انسي الأمر'. لماذا لم تطو السي آي إي خيمتها وتغادر المنظمة، التي كانت قادرة بشكل كامل على الاعتناء بنفسها، بأدواتها الخاصة؟ أي نوع من الغرور أو التفاهة ذلك الذي ألهم القرار المشؤوم للتعلق بالمنظمة حين كان جوسيلسون نفسه يتوسل من أجل استقلاليتها؟ وقالت ديانا جوسيلسون: 'أعتقد أنهم استمروا لأنها كانت واحدة من نجاحاتهم القليلة. ولكن كان يجب أن يذهبوا لو كانوا حريصين على سلامة المنظمة.'[26] لكن العمل السري يملك زخماً بيروقراطياً من الصعب تحطيمه. فطيلة عقدين، كان مسؤولو السي آي إي مشروطين بنظام مبني على مشروع يشجِّع على النمو بدلاً من الضمور. وبسبب إضفاء أهمية ليست في وقتها على الحجم الضخم 'لبناها التحتية' السرية في أنحاء العالم، فشلت السي آي إي في ملاحظة أن مجازفة الفضح كانت تزداد بوضوح. وعلّق توم برادن فيما بعد: 'هذه هي البلاد الوحيدة في العالم التي لا تعترف بحقيقة أن بعض الأمور تكون أجمل إذا كانت صغيرة'.[27]

وقال جاسون إبشتاين: 'بالطبع لم يكن من المفترض أن يعرف أحد من الذي كان يُمَوِّل المنظمة من أجل الحرية الثقافية. ولكن بحلول منتصف الستينات كان الشخص الذي لم يعرف ذلك أحمق. لقد كان الجميع يعرفون. كان مدير مؤسسة فارفيلد جاك تومسون في ذلك الوقت صديقاً جيداً جداً لي وكنت أواجهه بهذا وأقول: آه، هيا يا جاك، ما أهمية التظاهر؟ وكان يقول: آه، لا، لا، لا. هذا ليس صحيحاً، هذا ليس صحيحاً على الإطلاق. نحن مؤسسة مستقلة، ولا علاقة لنا بالسي آي إي'.[28] وفي أحد الأيام، وبينما كان يتناول الغداء مع سبيندر، قال إبشتاين: 'ستيفن، أعتقد أن كل هذه المؤسسة تدفع لها وكالة الاستخبارات المركزية، ولم يخبرك أحد وسوف تكتشف الآن تماماً ما الذي يحدث.' فأجاب سبيندر: 'سوف أفعل،

سأتحدث مع جاك تومسون وأكتشف الآن إذا كان ما تقوله لي صحيحاً'. وفيما بعد،بعد برهة، اتصل ستيفن بإبشتاين وقال: 'حسناً، واجهت جاك وقال لي إن هذا ليس صحيحاً، ولهذا أعتقد أن هذا ليس صحيحاً. ' وقال إبشتاين فيما بعد: 'وهكذا سار الأمر. لم يرد أحد أن يقر من كان الراعي الحقيقي. لكنني أعتقد أن الجميع كانوا يعرفون ولم يرد أحد القول.'[29]

كان سبيندر يحقق في الشائعة منذ 1964، على الأقل. وكان البرهان على ذلك رسالة من جون تومسون إلى سبيندر بتاريخ الخامس والعشرين من أيار 1964 – قبل ثلاثة أشهر من كشف باتمان للمعلومات – أنكر فيها تومسون الزعم بأن مؤسسة فارفيلد هي واجهة للحكومة الأمريكية [30]، واصفاً إياه بالسخف. وبعد سنتين كتب سبيندر إلى جنكي فلايشمان، مثيراً التساؤل نفسه حول التمويل. وأرسل عميل السي آي إي، ومدير فارفيلد، فرانك بلات رسالة سبيندر إلى جوسيلسون بملاحظة على الغلاف تقول: 'آسف لأن هذه الرسالة إلى جنكي استغرقت وقتاً طويلاً كي تصل إليك، لكنها قامت بالدورة'. وبعد أن رأت السي آي إي رسالة سبيندر، أضاف فلايشمان إنكاره العنيف، كاتباً إلى سبيندر أننا ' لم نقبل مطلقاً، في فارفيلد، أية أموال من أية وكالة حكومية. '[31] كان هذا، بالطبع، خداعاً فاضحاً.

وبحسب قصة روتها ماري مكارثي، كان سبيندر مرة موضوع اعتراف فائقاً للعادة قام به نيكولاس نابوكوف. زعمت مكارثي أن سبيندر أخبرها أنه في إحدى المناسبات حين كان في سيارة مع نابوكوف التفت نابوكوف فجأة إليه وكشف المعلومات بشكل طائش، ثم قفز من السيارة تماماً في اللحظة نفسها. وقالت كارول برايتمان، كاتبة سيرة مكارثي: 'هذه قصة مألوفة، نقلتها إلى ماري. لكن تستطيعين تخيل أنها تحدث. تستطيعين تخيُّل أن حوادث كهذه حدثت كثيراً، مرة بعد أخرى. ولا بد أنها كانت مزحة ما. '[32] وقالت ناتاشا سبيندر فيما بعد: 'أعتقد أن نابوكوف خدع ستيفن من البداية'.[33] وبالتأكيد، كان سبيندر مدركاً للشائعات منذ 1964، وقبل ذلك، كما كشفت قصة ويلهايم.

مع ذلك، أضاف سبيندر توقيعه إلى توقيع كريستول ولاسكي في رسالة إلى *نيويورك تايمز*، بتاريخ العاشر من أيار 1966، تقول: 'لا نعرف عن أية تبرعات غير مباشرة... نحن أسياد أنفسنا ولسنا جزءاً من دعاية أحد'. ودافعت الرسالة عن 'السجل المستقل للمنظمة من أجل الحرية الثقافية في دفاعها عن الكتاب والفنانين في الشرق الغرب ضد جُنح جميع الحكومات وبينها حكومة الولايات المتحدة'.[34] وبشكل غير رسمي، لم يكن سبيندر متأكداً على الإطلاق أن هذه كانت الحقيقة كلها. واضطر جوسيلسون فيما بعد إلى أن يكتب: 'تضايقني جميع الأصداء التي أسمعها من جميع جهات أحاديثك في جميع أنحاء العالم. إن *نيويورك تايمز* تبدو موضوعك المفضل هذه الأيام وتبدو كأنك تطرحه مع جميع من تتحدث معهم، والأكثر من ذلك أنك تقدم طوعاً اتفاقك مع مزاعم *نيويورك تايمز* بخصوص دعم السي آي إي لمجلة *إنكاونتر* دون أية ذرة من دليل. '[35]

وقبل أسبوع من نشر رسالة كريستول ولاسكي وسبيندر، طار جون هنت من باريس إلى نيويورك، حيث اجتمع مع روبرت أوبنهايمر كي يناقش مزاعم *نيويورك تايمز* وكي يسأل إن

كانت هناك أية طريقة كي يوافق هو وآخرون معيّنون على توقيع رسالة تشهد على استقلالية المنظمة. كان أوبنهايمر سعيداً بالالتزام. وتذكر ستيورات هامبشاير، الذي كان في برينستون في ذلك الوقت، بأن ' أوبنهايمر فوجئ من أنني فوجئت، ومن أنني تضايقت مما نشرته *نيويورك تايمز*. لكنني كنت متضايقاً. كان هناك أشخاص وضعوا في موقف مريع. لم يفاجئ أوبنهايمر لأنه كان يعرف جزئياً. كان يعرف بشكل جيد. كان جزءاً من الجهاز. لا أعتقد أن هذا أزعجه على المستوى الأخلاقي. فإذا كان ذهنك إمبراطورياً، وهكذا كان الأمريكيون في ذلك الوقت، لا تفكر كثيراً إن كان هذا خطأ أم لا. إنه مثل الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر. تقوم بالأمر فحسب'.[36]

ذهبت الرسالة إلى *نيويورك تايمز* في الرابع من أيار، ونشرت في التاسع من أيار، تماماً قبل يوم من رسالة سبيندر ولاسكي وكريستول. وقالت الرسالة التي وقعها كل من كينيث غالبريث، وجورج كينان، وروبرت أوبنهايمر، وآرثر شليسنغر إن 'المنظمة... هيئة مستقلة بشكل كامل، لا تستجيب إلا لأمنيات أعضائها والمتعاونين معها ولقرارات لجنتها التنفيذية'.[37] لكنها لم تنكر بشكل علني علاقتها بالسي آي إي، مما قاد دوايت ماكدونالد إلى التعليق بأنها 'كانت مراوغة، ليست كذبة، ولكنها لا تعالج المسألة كذلك'.[38] وزعم شليسنغر فيما بعد أن الرسالة كانت فكرته، وأنه اتصل بأوبنهايمر والآخرين كي يطلب تعاونهم. على أي حال، بسبب التسلسل الزمني بدا كأن هنت وافق على نص الرسالة قبل أن يغادر أوبنهايمر.

واكتشف بضعة أشخاص الخدعة. وعلّق أنغوس كاميرون، محرر هوارد فاست في ليتل براون، الذي استقال محتجاً حين رفضت الشركة نشر رواية *سبارتاكوس* في 1949: 'أفكر بالليبراليين، بشكل عام، كأشخاص يدعمون المؤسسة كونهم نقاداً جانبيين تافهين يمكن الاعتماد عليهم دوماً كي يدعموا المؤسسة حين تصل المسائل إلى نقطة القرار. والمثال الكلاسيكي على هذا هو آرثر شليسنغر جي. آر'.[39] وتشهد الأوراق التي في أرشيف شليسنغر الخاص على ذلك. كان مصدراً، مستشاراً – ولو لم يُدْفَع له – وصديقاً وزميلاً جديراً بالثقة لفرانك ويزنر، وآلن دلس، وكورد ميير. تراسل معهم جميعاً، لأكثر من عقدين، حول موضوعات تنتقل بالتسلسل من اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة، إلى *إنكاونتر*، وتلقى رواية *الدكتور جيفاكو* لباسترناك. وكان يساعد السي آي إي في الحصول على تغطية لموضوعات أرادت بثها، موافقاً في إحدى المناسبات على اقتراح كورد ميير بأن يقوم هو، شليسنغر، 'بالاقتراح على محرر مجلة إيطالية بأن ينشر سلسلة من المقالات حول مشكلة الحريات المدنية داخل النظام السوفياتي كمقالات مرافقة للمقالات التي تتحدث عن وضع الحريات المدنية داخل الولايات المتحدة'.[40] ومن الذي سيشك بأمانة شليسنغر، العضو في مجموعة مستشاري كينيدي غير الرسميين؟

وفي وسط جميع هذه المناورات، كان على فرانك كيرمود أن يشاهد مستشاراً كبيراً من لندن كي يأخذ نصيحة حول دعوى أوبراين ضد *إنكاونتر* بتهمة التشهير. واقترح المحامي أن يُفَنِّدَ الدعوى على أساس دفاع قانوني ملغز يُدْعى 'الحصانة المشروطة'. وألح صديق لكل من كيرمود وأبراين على كيرمود كي لا يُفنِّد الدعوى. ثم، دعي إلى غداء في الجاريك Garrick مع

جوسيلسون، وقيل له إنه ليس هناك حقيقة من أي نوع في مزاعم أوبراين. قال جوسيلسون: 'أنا عجوز بما يكفي كي أكون والدك، ولن أكذب عليك بعد الآن إلا إذا كذبت على ولدي'. كان جوسيلسون يكذب بالطبع. وقالت ديانا جوسيلسون: 'كان مايكل مصمماً على حماية المنظمة من الفضح المؤذي، وهكذا كنت أنا. لم تكن لدي أية مشكلة في الكذب حول ذلك. عملنا نوعاً معاً عملاً مزدوجاً'.[41] وكتب توم برادن فيما بعد: 'لقد حُفِظَتْ الحقيقة في الداخل. وتعلم رجال السي آي أن يكذبوا على الخارج، أن يكذبوا بوعي وبتدبير دون أدنى أثر من الخطيئة التي يشعر بها معظم الرجال حين يكذبون كذبة مدبرة'.[42]

وما الذي فعله مايكل جوسيلسون غير أخذ كيرمود إلى الغداء؟ إن محاكمة تطال *إنكاونتر* سوف ينتج عنها فضح الدليل الذي يتعلق بترتيبات تمويلها ونشرها شبه التقليدية، وهذا دليل سيكون مزعجاً بشكل خاص في ضوء الإنكار الرسمي المتكرر. ومع ذلك، وبشكل لافت للنظر، فشل جوسيلسون في ضمان حل المشكلة خارج المحكمة،وبدلاً من ذلك سمح لكيرمود أن يستمر. و عرض أوبراين إسقاط الدعوى إذا نُشر اعتذار. وبالتأكيد كان جوسيلسون يمتلك القوة كي يوقف المسألة كلها. لكنه لم يفعل.

في غضون ذلك اختار كروز أوبراين أن يقدم الأمر القضائي للدعوى في محكمة في دبلن. ودبَّ الهلعُ في كيرمود حينَ علم أن الدفاع عن الحصانة المشروطة لا يُعترف به في إيرلندة. ونُصِحَ مستشارو *إنكاونتر* القانونيون بأن يتجاهلوا الأمر القضائي بما أن المجلة لا تملك مصادر قوة في إيرلندة. ولكن قبل أن يمتلك كيرمود الوقت كي يفكر بنصيحته، باغتته الأحداث التي جعلت الدفاع عن *إنكاونتر* فائضاً عن الحاجة.

الفصل الرابع والعشرون

وجهة نظر من رامبارتس

في نورفولك، فيرجينيا، قاضت فتاة رجلاً اتهمته باغتصابها. سألها القاضي: متى حصل هذا الاغتصاب فأجابت: متى حدث، أيها القاضي؟ لماذا، بحق الجحيم، كان اغتصاباً، اغتصاباً، اغتصاباً طوال الصيف.

مايكل جوسيلسون

علمت وكالة الاستخبارات المركزية في أوائل 1966 أن مجلة *رامبارتس Ramparts* التي تصدر في كاليفورنيا تبحث عن أدلة حول شبكة منظمات الواجهة التابعة للوكالة. فعيّن ريتشارد هولمز، نائب مدير الخطط، على الفور مساعداً خاصاً كي يتعاونا سوية في جمع 'معلومات عن *رامبارتس*، وبينها أي دليل حول نشاطها التخريبي، ومن أجل استنباط الاقتراحات من أجل عمل السي الآي إي المضاد'.[1] وفي أيار 1966، كان هيلمز يغذي البيت الأبيض بـ'جرعة' حول *رامبارتس* كجزء من حملة لتشويه المجلة، ومحرريها، والمساهمين فيها. وتم جمع معظم المعلومات التي قدمها هيلمز نتيجة اصطياد عبر سجلات الوكالة، بالإضافة إلى قذارة إضافية قدمها مكتب التحقيقات الفيدرالي.[2]

إن هولمز، الذي كان مقتنعاً أن *رامبارتس* استخدمها السوفيات كأداة، أمر بتحقيق كامل حول تمويلها، لكنه فشل في إظهار أي دليل حول التورط الأجنبي. وبعد أن قلب ملف *رامبارتس*، كتب المساعد الرئاسي بيتر جيسوب مذكرة بكلمات جديرة بالذكر هي 'صليب يميني على المعبد اليساري': نظراً لمحاولة *رامبارتس* في تشويه الإدارة وللخلفية الغامضة لرعايتها، يمكن أن يعتقد المرء أن وكالة ما تابعة للحكومة سوف تلاحق الخيوط المتضمنة هناك'. بعد أسبوع نشرت مجلة *هيومان إفينتس Human Events* مقالة تشويهية بعنوان 'القصة الداخلية لمجلة *رامبارتس*' اعتبرت صحفييها متطفلين، وغريبي الأطوار، ومتكلمين من بطونهم، ويساريين ملتحين، لديهم 'ولوع مرضي بالدعوة إلى الخروج من فيتنام'. وحملت هذه المقالة التي وُقِّعت باسم م. م. مورتون، 'الاسم المستعار لخبير في شؤون الأمن الداخلي، جميع سمات خداع السي آي إي. و فعلت الشيء نفسه مقالة في *نيوز ويكلي News Weekly*، في الأسبوع نفسه بعنوان 'من يدير *رامبارتس في الحقيقة*؟، وأعلنت مقالة في *واشنطن ستار Washington Star* شكوكاً جدية حول أمانة مجلة *رامبارتس*، التي وصفت بأنها ' ليست باحثة عن فضائح فحسب وإنما باحثة عن فضائح بباعث حاقد في الوقت نفسه.'

ولأكثر من سنة فعلت السي آي إي كل شيء كي تقضي على *رامبارتس*. واعترف نائب المفتش العام إدجار آبلوايت فيما بعد: ' قمت بجميع الخدع القذرة كي ألحق الأذى بتوزيعهم وتمويلهم. كان الأشخاص الذين يديرون *رامبارتس* عرضة للابتزاز. كانت هناك أشياء كريهة في أذهاننا وقد نُفِّذَ بعضها... ولم تكبحنا حقيقة أن السي آي إي لا ينبغي أن يكون لها دور أمني داخلي في الولايات المتحدة.'[4]

وبشكل مدهش، ورغم نوايا السي آي إي الشريرة، عاشت *رامبارتس* كي تروي الحكاية. وتماماً كما خشيت السي آي إي، استمرت *رامبارتس* ونشرت تحقيقها حول عمليات السي آي إي السرية. واكتشافات المجلة، التي نُشِرَتْ في 1967، التقطتها بسرعة الصحف العالمية، وتبع ذلك 'طقس من الفضائح'، قاد أحد المعلقين إلى الاستنتاج بأنه 'قبل وقت ليس بطويل سوف نكتشف أن جميع الجمعيات السياسية، والتروستات الخيرية، وأخويات الكلية، وفرق البيسبول في أمريكا، واجهات لوكالة الاستخبارات المركزية.'[5] ولم تكن الواجهات المحلية هي الوحيدة التي فُضِحَتْ، بالطبع. وحين ظهرت تفاصيل رعاية السي آي إي للمنظمة من أجل الحرية الثقافية ومجلاتها، تبين أن كل ما قاله أوبراين عن *إنكاونتر صحيح*. ودخل سبيندر، الذي كان في الولايات المتحدة حين انتشرت القصة، في دوار فوري. وناشد كل من جوسيلسون ولاسكي، اللذين يئسا من محاولة احتوائه، إشعيا برلين، الذي كان معروفاً عنه بأنه يمتلك 'تأثيراً تعديلياً في مزاج ستيفن'، والذي كان يُعَلِّم في جامعة سيتي في نيويورك في ذلك الوقت. وكتب جوسيلسون في الثامن من نيسان: 'عزيزي إشعيا ميندليفيتش، ما أردت مناقشته معك لا يُمْكن أن يتم بشكل جيد جداً من خلال الهاتف. أنا في غاية القلق على ستيفن و*إنكاونتر* من أن ينتهيا ضحيتين حقيقيتين للخطأ الحالي، إذا تابع ستيفن (مثل ناتاشا في لندن) سكب النفط على ألسنة اللهب. أنا في الحقيقة مولع بالاثنين، وهذا سبب قلقي، وأعرف أيضاً أنه إذا كان هناك أي شخص يؤثر بستيفن فهو أنت. فالموقف خطير في الحقيقة، ولكن بالتأكيد لا يمكن أن تُحل مشكلة مستقبل *إنكاونتر* من خلال القيام بحركات متطرفة تحت الضغط'.[6]

ورد برلين قائلاً: 'هناك مشكلة في الحقيقة حيال ستيفن و*إنكاونتر*، ثم إن آرثر شليسنغر، الذي أعلم لاسكي لتوه أن المسألة ميتة هنا ولا حاجة لعقد اجتماع حول كل هذا في لندن، متفائل نوعاً ما، كما أعتقد. مهما كانت ردود الفعل هنا... من المحبذ أن يشتد أوار المسألة في لندن بسبب الضيق الذي سيصيب ستيفن وكيرمود. يبدو لي أنه مهما كان مستقبل *إنكاونتر*.. سيكون هناك معنى ما في نشر بيان من نوع ما يقول للقراء إن محرري *إنكاونتر* لم يكونوا واعين لمصادر أموال المنظمة (كذا) من أجل الحرية الثقافية، والأمر صحيح بالنسبة لمعظمهم على أي حال. كم يعرف لاسكي أو لا يعرف، بالطبع، ليس لدي وسائل لأقول ذلك... أعتقد أنك يجب أن تنصح بأن يُعقد اجتماع للأطراف الذين على صلة في لندن من أجل هدف حل هذه المسألة. إن الاتصالات الهاتفية عبر المحيط مع ستيفن في شيكاغو، ومع الآخرين في لندن، ومع آرثر في نيويورك، ومعك أنت في جنيف، الخ، الخ، لن تكون كافية. لن ترى بتاتاً الموقف كله إلا

إذا تم اجتماع من نوع ما من أجل ترتيب المستقبل الأخلاقي، والفكري، والتنظيمي لمجلة *إنكاونتر*.'[7]

في غضون ذلك، فشل دفاع كيرمود في لندن ضد دعوى التشهير بشكل نهائي. فضلاً عن ذلك، اقتنع أنه رغم أن رعاية سيسيل كينغ الجديدة لمجلة *إنكاونتر* ' مشروعة بشكل كامل'، إلا أن المجلة لا تزال تحت سيطرة السي آي إي، وبطرق منحرفة، مهما كانت الدقة التي تم بها الأمر. وكتب كيرمود إلى لاسكي كي يزوده بتفاصيل شكاواه وكي يخبره 'أنه في غياب شرح مقنع جداً لا أستطيع الاستمرار في العمل معه. لم يرد على الرسالة لكنه جاء إلى غلوسيسترشير كي يناقشها. وبينما كنا نسير، ساعة بعد أخرى، حول الحديقة والحقل المعشوشب، روى لي القصة الكاملة التي يمكن توقعها من علاقته بالمنظمة وتاريخ *إنكاونتر*.'[8] كانت هذه لحظة اعتراف لاسكي المزعوم: أقر لكيرمود أنه كان يعرف عن دعم السي آي إي منذ بضع سنوات لكنه لم يستطع قول ذلك علناً.

بعد ذلك حالاً – وبإلحاح من إشعيا برلين – عقد اجتماع طارئ لأوصياء *إنكاونتر*، حضره لاسكي، وكيرمود، وسبيندر – الذي عاد من الولايات المتحدة – وإدوارد شيلز، وأندرو شونفيلد، وويليام هيتر. اجتمعوا في غرفة خاصة في مطعم سكوت في هيماركيت، على بعد بضع ياردات فحسب من مكتب *إنكاونتر*. دافع شيلز وشونفيلد عن أفعال السي آي إي، لكن كيرمود وسبيندر أعلنا عن نواياهما بالاستقالة. رفض لاسكي أن يستقيل، وهاجم سبيندر بعنف، وسماه منافقاً. ثم أعلن عن مفاجأة مذهلة: يجب أن يترجل سبيندر عن حصانه العالي حيال تمويل السي آي إي ويعرف أن راتبه غُطِّي طيلة سنوات بإعانة مالية من وزارة الخارجية البريطانية. ويتذكر كيرمود: 'صار سبيندر مهتاجاً جداً وقال إنه ذاهب لينظر إلى لوحة ما في الصالة الوطنية كي يهدئ نفسه'.[9]

وفي الوقت الذي رجع فيه ستيفن إلى المنزل في غابة سينت جون، كان، كما قالت ناتاشا، 'مصدوماً وغاضباً'. من الواضح أن ميلفن أخبر ستيفن شيئاً ما عن راتبه قال ستيفن إنه لا يُفهَم البتة!'[10] قرر سبيندر أن يوضح المسألة مرة واحدة وإلى الأبد بالتحدث مع مكيريدج. كان مالكوم هو الذي وظَّف ستيفن طوال ذلك الوقت. وكما حدث، فقد تحدث مع كيتي، التي قالت إن مالكولم لا يستطيع التحدث معه لأنه في اسكتلندا. في تلك اللحظة نفسها، كان مالكولم ينام منبطحاً على وجهه على مذبح أبرشية اسكتلندية بندكتية كي يُصَوَّرَ من أجل برنامج تلفزيوني للبي بي سي يُدْعى *فراش قاس لا يمكن الاستلقاء عليه*. على أي حال، بعد ساعة، اتصل مالكولم. وفي هذا الوقت كان ستيفن يستشيط غضباً. كنت على الهاتف الآخر، وهكذا استطعت سماع ما قاله. قال ستيفن: مالكولم، لقد قلت لي دوماً إن راتبي يأتي من *الديلي تيليغراف* وأليكساندر كوردا. وقال مالكولم:هذا ما فعلته، أيها الفتى العزيز، لكنك لا تستطيع أن تكون واثقاً من أين يأتي بالفعل. تعرفين ذلك المشهد في *الدرجات التسع وثلاثين*، حيث يتم البحث عن الرجل ذي الإصبع المفقودة؟ وتمر لحظة رهيبة حين يُعرف من هو هذا الرجل. هذا هو الشعور الذي انتابنا حين أقر مكيريدج في النهاية بالأمر.'[11] وفيما بعد أخبر إيريك بينتلي

سبيندر بأن لاسكي، أيضاً، يعمل هناك في مهمة سرية:'أخبرني ميل أن الإشاعات التي سمعتها طوال سنوات غير صحيحة. حين بدأت الأمور تطن منذ عام، طلبت أن يجيب بلا صريحة على رسالة مكتوبة بوضوح... صمت. وعند هذه النقطة كان موقفي هو أن ميل يستطيع أن يحتفظ بحربه الباردة.'[12] وبعد انفجاره المسرف ضد سبيندر وخطأه الكبير في كشف مصدر راتبه، كان لاسكي في موقف محفوف بالمخاطر.

بعد أن ضمن لاسكي الدعم الكامل لسيسيل كينغ، الذي رفض الدعوات إلى استقالته، قائلاً:سيكون من الحماقة بالنسبة إلينا أن نفقد الطفل مع مياه الحمام[13]، التفت لاسكي إلى إشعيا برلين، وكتب إليه رسالة متملقة في الثالث عشر من نيسان قال فيها: لا أريد أن أثقل عليك لكنك 'كنت دائماً جزءاً من تاريخنا - أفراحنا وأتراحنا - بحيث أشعر أنه ينبغي أن تصلك المعلومات بشكل كامل.'[14] قال لا سكي إنه تم الاتفاق ' على أن ننهي القصة بإصدار تصريح محترم، وعلى أن ننهي أيضاً مسألة أوبراين... ببساطة وسرعة، إذا كان هذا ممكناً، على أساس دفع التكلفة لأوبراين ونشر الاعتذار الذي يريده. لماذا لا؟ يمكن أن تتمرد العواطف، لكن العقل يملي. ' وأنهى لاسكي طالباً من الفيلسوف العظيم: 'أرسل إلي كلمة عن أفكارك ونصيحتك. وكما تعرف، إنها تعني الكثير، وبشكل عميق، لي!'[15]

كانت هذه الكلمات الباعثة على الغثيان موجهة إلى رجل يحترمه الكثيرون ويسمونه 'الرسول'، لكن لاسكي كان يحتقره بشكل سري لأنه 'مستقل' و'حيادي'.[16] وقال لاسكي إن المشكلة مع برلين هي 'إنه لم يكن مشاركاً في الحملة. هناك بعض المشاركين الحساسين في الحملة الذين يقولون: ليأخذ الشيطان برلين. وهناك أولئك الذين هم حذرون. وفي أوج الحملة تشعر بالإحباط وتود أن تقول مثل هنري الرابع: أين كنتم ؟'[17] لكن برلين، الرجل الحكيم الذي كانت تلجأ إليه نخبة واشنطن في كل تلك السنوات السابقة حين جاءت أولاً بفكرة احتضان اليسار غير الشيوعي، كان هناك. هل استطاع أن يرتب جهله بتورط السي آي إي في هذا الأمر؟ يوحي دليل الحكايات أنه كان يعرف، رغم أنه في الحقيقة لم يرغب بأن يلعب دوراً فعالاً. وتتذكر ستيوارت هامبشاير أن جماعة الاستخبارات تحدثت مع برلين بشكل متكرر: 'كانوا يقدمون دوماً عروضاً لبرلين كي يكون أكثر تورطاً. أذكر أنهم فاتحوه مرة في آسبن، كولورادو - كانت هذه كلها سي آي إي، كانوا يديرونها - لأنهم اعتقدوا أنه كان الليبرالي المثالي المطلوب كي يرأس منظمة ما أو أخرى. وقال إنه ليس مهتماً، لكنه اقترح شخصاً آخر'.[18] وتروي قصة أخرى أن 'واحدة من أضخم المؤسسات الأمريكية أرادت أن تظهر ذات أهمية في حقل الفلسفة، سألت برلين: ماذا نستطيع فعله كي نساعدك؟ قامت البراغماتية بإسهام كبير، لكنها الآن عتيقة الزي، ماذا عن الوجودية؟ كان برلين يمتلك رؤية خاطفة عن مقاه في باريس تموِّلها السي آي إي، لكنه أجاب أن الأشياء الوحيدة التي يريدها هي الأوراق، وقلم، والمناقشة بين فترة وأخرى.'[19]

في رسالته إلى برلين، ضمّن لاسكي نص بيان هيئة التحرير الذي أعده الأوصياء، والذي كان سيُنشر في العدد التالي من مجلة *إنكاونتر*. 'نظراً لتقارير الصحف الأخيرة بخصوص

توظيف أموال للسي آي إي من خلال مؤسسات أمريكية من أجل دعم منظمات ثقافية وتربوية، نرغب بأن نقدم البيان التالي': ' أزعجتنا أنباء تفيد أن كثيراً من أعمال البر الأمريكية التي تقوم بها المؤسسات الأمريكية يستند إلى إعانات مالية حكومية سرية وغير مباشرة. كانت هذه الممارسة غير حكيمة، وغير صحيحة، وباعثة على الأسى. ونجد أنه من المؤلم أن نعلم أن بعض المساعدات، التي جاءت إلينا في الماضي من المنظمة من أجل الحرية الثقافية في باريس، والتي قبلناها بإيمان قوي، جاءت من أموال كهذه، وكانت مصادرها الحقيقية غامضة جداً. إن الكتاب والباحثين البارزين الذي كانوا مرتبطين بشكل مسؤول بالمنظمة في باريس أوضحوا أنه لم يكن هناك بتاتاً أي تدخل في سياساتهم أو نشاطاتهم من قبل أي متبرع، معروف أو مجهول. وكانت *إنكاونتر* بدورها، من البداية، مستقلة وحرة بشكل كامل من أي شكل من أشكال التدخل. وكان المحررون وحدهم دائماً مسؤولين عما نشروه، ولم تتدخل المنظمة مطلقاً في السياسة التحريرية بأية طريقة وفي أية مناسبة... إن *إنكاونتر* تتابع ممارسة حريتها في نشر ما يسرها.'[20] لكن البيان لم يُنْشَر مطلقاً.

إن برلين، الذي لم يكن يعرف في هذه النقطة عن تواطؤ لاسكي في السر الذي خلف *إنكاونتر*، كما اعترف قبل أيام لكيرمود، أجاب على رسالة لاسكي في الثامن عشر من نيسان. ووافق على قرار حل المسألة مع أوبراين خارج المحكمة، ثم، ببراغماتية كبيرة، وحتى بمتعة ماكرة، حدد طريقة للخروج من الشبكة المعقدة: 'تستطيع أن تقول إنكم ذهبتم مثل المنظمات الأخرى التي تحتاج إلى المساعدة المالية إلى المنظمة من أجل الحرية الثقافية، وإلى مؤسسات أخرى من نوع محترم ظاهرياً، والهيئات المتلقية ليس من عادتها فحص مصادر دخل الهيئات المحترمة ظاهرياً التي تدعمها، ولكن منذ أن نشرت تلك المعلومات كان هناك استياء طبيعي وتردد حيال قبول مبالغ كهذه. هذا ما قالته تقريباً مؤسسة آسيا – واجهة سي آي إي أخرى – وتبدو لي هذه الصيغة صحيحة... فالدور المناسب لمجلة *إنكاونتر* هو أنها فعلت ما فعلته دون معرفة... وبما أن حقيقة أنكم تلقيتم مساعدات بشكل غير مباشر من السي آي إي قد جعل الآن مجلتكم شريفة فحسب فإن هذا يضعكم في حال من المساواة مع كثير من المنظمات الأخرى، التي لم يكن من الممكن أن تتوقع معرفة المصادر الأساسية لأموالها أو من أي نوع كانت. إن رجال العقل الجيد والإرادة الطيبة سوف يفهمون ذلك، أما أولئك الذين يفتقرون إلى ذلك فسوف يتابعون القنص على أي حال.'[22] ولو شعر برلين بأي اشمئزاز من الخداع المعقَّد الذي كان يصفه هنا، لما أظهره. لقد استعار بالأحرى من بلاغة المجتمع المفتوح كي يدافع عما كان في الواقع محاولة لإدارة ذلك المجتمع داخل حانوت مغلق.

وعلى أي حال تبنى برلين على الفور موقفاً علنياً مغايراً. فحين كشفت قصة علاقة مجلة *إنكاونتر* بالسي آي إي، رفس المجلة، وهاجم جوسيلسون ولاسكي لأنهما 'عرضا للشبهة بشراً محترمين'. ويؤكد كاتب سيرته مايكل إغناتييف أن برلين صُدِمَ مثل أي شخص آخر من هذه العلاقة السرية، وأنه 'لم تجمعه، بالتأكيد، علاقة رسمية أو غير رسمية مع الاستخبارات البريطانية أو السي آي إي'.[23] ساخراً من هذا الزعم، كتب كريستوفر هيتشينز في مراجعته

لكتاب إغناتييف أن 'التنصل من *إنكاونتر*، إذا أُخِذَ حرفياً، يعني أن برلين كان غير مبال بشكل فاضح، أو كان أكثر بلادة مما خُيِّل إلينا، أو أنه بدَّد وقته في واشنطن'. لقد انبعث موقف برلين المزدوج من المسألة كلها من تحالفه 'مع التفاهم الأنجلو – أمريكي المتخطي للحدود القومية، والذي جعل هيتشينز يقول عنه: غالباً ما حمل برلين ختم السياسة الواقعية والحساب الجيد.'[24]

وبما أن اجتماع الأوصياء في مطعم سكوت لم يحل أي شيء، تمت الدعوة إلى اجتماع طارئ آخر في نهاية الأسبوع في الواحد والعشرين من نيسان، سافر من أجله آرثر شليسنغر على متن الطائرة. وبحسب ناتاشا سبيندر ، تقرر في ذلك الاجتماع أن على لاسكي أن يستقيل، ولقد وافق على فعل ذلك. وهذا سيتم إعلانه في بيان للأوصياء، يُنْشَر في *إنكاونتر*. وتتذكر ناتاشا قائلة إن لاسكي افتتح الاجتماع 'بهجوم شخصي مريع على ستيفن، قائلاً إنه كان يجب أن يعرف ما يجري. وأخبر جميع الأوصياء الآخرين لاسكي أن هذا الهجوم غير صالح بشكل كامل ويجب حذفه من السجل'.[25] وقال إدوارد شيلز إنه سيجد منصباً للاسكي في شيكاغو، وفي الأسبوع التالي عاد شيلز في الطائرة واضعاً هذا الهدف نصب عينيه. ولكن في اليوم الذي تلا الاجتماع، غيَّر لاسكي رأيه قائلاً إنه لا ينوي الاستقالة، وأنه لن يوافق على البيان مطلقاً.

وقبل هذا الاجتماع ببضعة أيام، تلقت ناتاشا مكالمة هاتفية من مايكل جوسيلسون في جنيف: 'قال لي أن لا أهز القارب، وتابع الكلام حول كيف كان يحاول أن يحمي ستيفن. وأعتقد أنني قلتُ: قارب من؟ لا أعتقد أن ستيفن وفرانك هما في القارب نفسه مثل ميلفن لاسكي'.[26]

وبعد أن فشل في تهدئة ناتاشا أو ستيفن من خلال الهاتف، لجأ جوسيلسون إلى تكتيك مختلف. وفي محاولة لإزالة كليهما من النزاع لمّح لجنكي فلايشمان بأنه من المحتمل أن سبيندر وزوجته يحتاجان إلى عطلة. لكن هذا فشل أيضاً. واستشاطت ناتاشا سبيندر غضباً وقالت: 'كنت غاضبة بشكل هائل من جنكي، ففي ذروة ما يجري أرسل برقية يسألنا إن كنا نرغب بقضاء أسبوع على يخته. رددنا عليه رداً قاسياً، وهذا ما حدث. لم نره مطلقاً مرة أخرى'.[27]

لم يؤد اقتراح جنكي إلى نتيجة، وهكذا كتب جوسيلسون إلى ستيفن بشكل مباشر. قال أولاً، إن تعليقات لاسكي في اجتماع الأوصياء حول الإعانة المالية من وزارة الخارجية تم تأويلها بشكل سيئ، نتيجة للفوضى، وأنه كان يشير فحسب إلى إشاعة أزعجته بشكل عميق. أخشى أن ميلفن إذا أُغضِبَ بما يكفي فإنه سيفعل ما فعله في النهاية في اجتماع الأوصياء. ولقد حاولت قدر استطاعتي أن أوقف هذا، وهذا هو السبب الذي جعلني أطلب منك ومن ناتاشا ألا تهزا القارب كثيراً وتأكيدي بأنني كنت فقط أحاول حماية الجميع. لقد ذعرت خاصة بعد أن سمعت من بريجيت لاسكي أن ناتاشا وبَّختها مؤخراً في حفلة.' وتابع جوسيلسون كي يقول إن ناتاشا سبيندر كانت تنتقد لاسكي علناً وبقسوة. وكتب جوسيلسون: 'إنني أسامح ناتاشا على كل

شيء نظراً لما تمر به. لكن هذه المحادثة معها أقنعتني أن المسألة ليست هي عدم إعجابها بميل بل إنها تكرهه – اعذرني على الكلمة القاسية –بشكل مرضي.'[28] وتابع جوسيسلون كي يعتذر من انفجار لاسكي ضد سبيندر: 'أخبرني ميلفن إنه نادم جداً على تجاوزه للحدود '. وتوسَّل إلى سبيندر كي لا يستقيل. 'لا أزال أعتقد أن مجلة *إنكاونتر* إنجاز رائع وأكره أن أراها تهلك، وتنتهي بشكل مخزٍ، إذا كان ثلاثتكم – لأن ميلفن سيستقيل – لا تستطيعون النظر إلى ما يحدث بشكل بعيد عن العاطفة، وبشكل فلسفي أكثر.'[29] وعرض جوسيلسون مُسَكِّناً: لَمَّح بشكل واضح إلى أن لاسكي سوف ينتقل إلى عمل جديد– 'أعتقد أنه يجب أن يبحث عن موقع في العالم الأكاديمي' – وأن الذكرى العاشرة لتحريره لمجلة *إنكاونتر*، التي في 1968، 'ستكون وقتاً جيداً له على المستوى النفسي' كي يغادر. وكشف جوسيلسون أيضاً أنه جرَّب 'لحظات يأس متكررة' حيال المسألة كلها، ولكن ما منح منظوراً لهذا هو 'مشكلة أكبر بكثير... وهي البقاء مواطناً أمريكياً يعارض تلك الحرب في فيتنام'. أخيراً، قال إنه لم يكن يمتلك أية بواعث خَفيَّة من أجل إبقاء التمويل سرياً: 'كنت في موقع كي أساعد مئات الأشخاص في جميع أنحاء العالم كي يفعلوا ما أرادوا هم بأنفسهم فعله، سواء كان تأليف الكتب، أو رسم اللوحات، متابعة دراسات مُعَيَّنة، أو السفر متى وإلى أين يشاؤون، أو تحرير المجلات... استمتعت بالقيام بكل هذا، وإذا كنت تعتقد أن السي آي إي حصلت على أي شيء منه، صدِّقني، فقد كان الحذاء في القدم الأخرى!'[30]

وفي الثامن من أيار 1967 نشرت *نيويورك تايمز* قصة على الصفحة الأمامية تحت عنوان 'ستيفن سبيندر يترك مجلة *إنكاونتر*'. وتم اقتباس كلام سبيندر الذي قال إنه سمع إشاعات لعدة سنوات بأن المجلة تُدْعَم بأموال من وكالة الاستخبارات المركزية، 'لكنني لم أكن قادراً مطلقاً على إثبات أي شيء إلى ما قبل شهر. ونظراً لكشف المعلومات الذي تم وللآراء التي لا تزال تُطْرَح حول المصادر السابقة لأموال *إنكاونتر*، أشعر أن أي محرر كان متورطاً، بدراية أو دون دراية، في تلقي هذه الأموال يجب أن يستقيل. ولقد فعلت أنا ذلك.'[31] وهكذا فعل كيرمود، مما جعل لاسكي في موقع سيطرة. وتعلَّق، رغم الدعوات إلى الاستقالة، وذعر جوسيلسون، الذي عرف أن اللعبة انتهت. وفيما بعد، في ذلك الأصيل، صدر تصريح من سيسيل كينغ: 'نعتبر أن مجلة *إنكاونتر*، بدون السيد لاسكي، ستكون ممتعة مثل *هاملت* بدون الأمير.'

وتذكر ستيوارت هامبشاير: 'حين حدثت جميع الأمور كنتُ في بورتوفينو مع إشعيا وأصدقاء آخرين. أذكر أن ستة منا أرسلوا برقيات دفاعاً عن ستيفن في لندن، لكن ماري مكارثي رفضت أن تُوَقِّعَ قائلة: آه، أنتم فقط تهاجمون فتانا الصغير الذي من نيويورك.' كان ستيفن متضايقاً جداً، وبخاصة من لاسكي، وكانت ناتاشا مستاءة أكثر منه. ولكن لماذا كانا مندهشين من سلوكه؟ هل توقعا في الحقيقة أنه سيستقيل؟ أعني، ليس هذا ما كان سيفعله. بالطبع لا.'[32] وكتب مكيريدج إلى سبيندر بعد بضعة أيام قائلاً إنه وجد 'من غير المعقول بقاء ميلفن على الكرسي رغم كل شيء'.[33]

وبعد بضعة أيام من استقالة سبيندر، ذهبت ناتاشا برفقة صديق كي تجمع مقتنياته من مكتب *إنكاونتر*. وشعرت بالرعب حين شاهدت أن خزانة ستيفن قد سرقت، وقالت سكرتيرة لاسكي: 'آه، حسناً، حصلت سرقة هنا الأسبوع الماضي'.[34]

أما ستيورات هامبشاير الذي توسل إلى ستيفن 'أن يحتفظ بسجل لكل شيء، وأن يحفظ أرشيفاً شخصياً'، فلم يكن مندهشاً حين عرف هذا فيما بعد. قال إن هذا كان 'واضحاً'.

الفصل الخامس والعشرون

الشعور الناجم عن الخوف

تظنون أنكم
تقومون بالدفع،
لكنكم أنتم
الذي يُدْفَعون.

ميفيلتوفيليس، في فاوست لغوته

في الثالث عشر من أيار، بعد أن استقال سبيندر وكيرمود بخمسة أيام، وجد مايكل جوسيلسون وجون هنت نفسيهما يجلسان في مكتب جوسيلسون في الطابق الثاني لجادة هاوسمان. وصل جوسيلسون، الذي كانت ترافقه ديانا وجنيفير، إلى باريس من جنيف، حيث كان يقاتل بشراسة من شقته الجميلة في بلاتو دو شامبيل في الأسابيع الماضية كي يرمم الوضع. وفي الشوارع التي في أسفل جادة هاوسمان، كانت المقاهي تفتح كي ترحب بمتسوقي يوم السبت بينما كانوا يتدفقون إلى ضوء شمس الربيع. في مكان ما بينهم، كانت ديانا تأخذ جنيفير كي تشتري زياً لحفلة الباليه الخاصة بها في نهاية الفصل. لكنها ضلَّتْ، وتحركت عبر الحشد نحو صالة لافاييت شاعرة بالانفصال على نحو غريب.

وفي غرفة مجاورة للمكتب الذي كان يجلس فيه جوسيلسون وهنت، كان المجلس العام للمنظمة من أجل الحرية الثقافية يعقد مؤتمراً مغلقاً. وكان في الاجتماع الذي ترأسه مينو ماساني، قائد حزب معارضة في الهند، ريمون آرون، ودانييل بيل، وبيار إمانويل، ولويس فيشر، وأنطوني هارتلي، وك. إي. ب. ونز كوارتيري، إزيكييل مافاهليلي، نيوكولاس نابوكوف، هانز أوبريشت، مايكل بولانيي، دينيس دو روجمو، يوشيهيكو سيكي، إدوارد شيلز، إغنازيو سيلوني ومانيس سبيربر. جاؤوا بالطائرة من جميع زوايا الكوكب، وكانت مهمتهم التي لا يُحْسدون عليها هي الحكم على جوسيلسون وهنت، اللذين كانت رسالتا استقالتهما تستلقيان على الطاولة أمامهم، وكي يقرروا مصير المنظمة. جالسين كفلاسفة ملوك، كانوا يعرفون أن كلمتهم ستكون نهائية.

وتذكر جون هنت: 'جلست أنا ومايك في مكتبه معظم اليوم قرب غرفة الاجتماع. جلسنا هناك وحدنا. ما الذي تفعله في لحظة كهذه، بينما هيئة المحلفين في الجانب الآخر من

الصالة؟'[1] جلس مايكل صامتاً، بينما كانت أصابعه النحيلة ذات الأظافر المشذبة جيداً تنقر على المكتب. بدا متعباً – متعباً من الانتظار هنا هذا الصباح، متعباً من العقدين السابقين من العمل الذي لا يتوقف. كان شعره مفروقاً جانبياً وممشطاً عبر قبة رأسه، كاشفاً جبيناً مرتفعاً وعينين صغيرتين توضع في مركزهما بؤبؤان سوداوان ضخمان.

كان المحلفون، في غضون ذلك، يناقشون الدليل. لقد حافظ مايكل جوسيلسون على كذبة ضخمة لمدة عقدين، مع جون هنت كمذنب ثانوي، كونه تورط في الخداع نصف ذلك الوقت فقط. كان لخطورة هذا الإخفاء تأثير فوري على مئات من البشر. وأدى إلى مأزق أخلاقي لن يحل بسهولة مطلقاً. قدم الرجلان إفادات حول علاقتهما بالسي آي إي، وعلاقتها، بدورها، بالمنظمة. قبل جوسيلسون المسؤولية الكاملة لما كان لا يزال يصر على أنه كذبة ضرورية. كان العمل المخزي للمجلس العام مضموناً بأية حال. دافع سبيرير، وبولانيي، وسيلوني عن جوسيلسون وهنت، وألحوا على المجلس كي يتخذ 'موقفاً مقاتلاً'. قال سبيرير شيئاً مثل:'إلى الجحيم بكل هذا، لا نأبه بما تقول *نيويورك تايمز*! لقد ساعدنا في تأسيس هذا وإدارته طيلة خمسة عشر عاماً، وتعاملنا مع أمور أشد قسوة من هذا في حياتنا السياسية، ولهذا دعونا نتابع كما من قبل، إذا كان هناك دعم له.'[2] لكن لم يكن هناك دعم. وكان آرون وإمانويل ميالين إلى رؤية الأمور بشكل مختلف قليلاً. وكفرنسيين ينتميان إلى منظمة في باريس تلوثت بارتباطات بالاستخبارات الأمريكية، كانت سمعتهما مهددة. وقال هنت فيما بعد:'كان يواجههما خطر كبير في هذا'.[3] وفي الحقيقة كان آرون مستاء من المسألة التي أمامه بحيث انسحب بشكل عاصف من الاجتماع، صافقاً الباب حين غادر الغرفة.

وفي وقت الغداء، لم يكن قد تم التوصل إلى أي اتفاق، وباقتراح من ماساني أخذوا استراحة. واستمر الاجتماع الذي التأم من جديد بعد الظهر إلى أن ظهر في النهاية نابوكوف ودو روجمو في الساعة السادسة أمام جوسيلسون وهنت، وفي أيديهما مشروع بيان المجلس. 'قرآه لمايكل، ولي ولهنت'، تقول ديانا، التي تركت جنيفر مع صديقة كي تجرب أمامها تنورتها الجديدة الخاصة بالباليه، واتخذت موقفاً إلى جانب زوجها. 'كان البيان معيباً، لم يذكر إسهامات مايكل وجون. بدا الشحوب على مايكل وجون وهما يخرجان. قال نيكولاس ودينيس: ما رأيك؟ فقلت: أعتقد أن هذا مثير للقرف. أعتقد أنني كنت أبكي.'[4] وسألت ديانا وهي تذرف دموع المرارة: لماذا لم يذكر إخلاص مايكل للمنظمة، إخلاصه الذي لم ينحرف لقضية الحرية الثقافية؟ لماذا تجاهلوا حقيقة أنه بدون مايكل، وفي الحقيقة جون، لن يكون هناك منظمة مطلقاً؟ هل هكذا يُكَافِئ المفكرون الرجل الذين هم جميعاً مدينون له؟ يرفعون تنانيرهم ويهربون عند الإشارة الأولى للمشكلة؟ ألم يكن هناك أحد مستعد كي يقف ويقاتل؟

عند هذه النقطة، أمسك نابوكوف، الذي كان دوماً رجل إيماءات متوهجة، أمسك صدره وحصلت له – أو تظاهر – أزمة قلبية. ذهب أحد ما كي يحضر كأس ماء وقرص أسبرين. كان تشوشه في تلك اللحظة، إن لم نقل نوبة إغمائه، صادقاً. ما الذي كان بوسع مايكل توقعه؟ كان هؤلاء أصدقاءه، ولقد ضللهم طوال تلك الأعوام مخفياً حقيقة أنه موظف في السي آي إي، وأن

المنظمة من أجل الحرية الثقافية هي ابنة عملية سرية للسي آي إي. من أي معدن كان مصنوعاً، بحيث أنه أظهر الآن ذلك الألم الساخط؟ هل صدق نفسه في الحقيقة بأنه رجل ارتكبت بحقه الذنوب أكثر مما أذنب هو؟ فجأة، بدأ نابوكوف، الرجل الذي كانت ثروته مرتبطة بشكل عميق بجوسيلسون، يرى بشكل أكثر وضوحاً. كانت هذه حياة مايكل، إيمانه. كانت كل ما كان لديه. لم يكن هناك شيء آخر.

ووعد نابوكوف ودو روجمو، المرعوبان من أنهما تصرفا بشكل كريه، ديانا أنهما سيقنعان المجلس العام كي يعيد إعداد البيان. وبعد أن تم تسكين ديانا، خرجت للبحث عن مايكل وجون. وبعد برهة، أصغوا بينما كان البلاغ المنقّح يُقْرأ بصوت مرتفع.

'إن المجلس العام... يعبر عن أسفه العميق من أن المعلومات التي وصلت إليه تؤكد أنه تم استخدام أموال وكالة الاستخبارات المركزية... وأن المدير التنفيذي وجد من الضروري قبول مساعدة كهذه بدون معرفة أي من زملائه. ويعبّر المجلس عن اعتزازه بإنجازات المنظمة منذ تأسيسها في 1950. ويؤكد أن نشاطاتها حرة بشكل كامل من تأثير أو ضغط أي داعمين ماليين، ويؤكد استقلال وسلامة الذين تعاونوا مع عملها. إن المجلس يشجب بقوة الطريقة التي خدعت بها السي آي إي أولئك المعنيين وسببت التشكيك بجهودهم. إن تأثير فعل كهذا، يميل إلى تسميم آبار الحوار الفكري. ويشجب المجلس بشكل كامل توظيف طرق كهذه في عالم الأفكار... ولقد أعلم المجلس بالاستقالة المقدمة رسمياً من مايكل جوسيلسون وجون هنت. ويعبر عن امتنانه المتجدد لهما من أجل حقيقة أنه رغم الصعوبات المرافقة لنمط تمويل نشاطات المنظمة فقد حافظا على استقلال المنظمة ونظافتها الفكرية وبالتالي نطلب منهما أن يتابعا أداء واجبهما.'[5]

كانت طريقة كتابة البيان ماكرة. أولاً، قبل المجلس استقالة جوسيلسون. وهذا أكدته فيما بعد ديانا جوسيلسون وجون هنت، الذي قال: 'أتذكر بوضوح أنه قيل لمايك إنه لا يستطيع البقاء، مهما قال المدققون في التفاصيل. كنت في فئة مختلفة – في أذهانهم – وهكذا لم ينطبق عليَّ هذا.'[6] ثانياً – وبشكل أكثر أهمية – كان من غير الصحيح القول بأن جوسيلسون قبل مساعدة السي آي إي 'بدون معرفة أي من زملائه.' وكشف هنت فيما بعد: 'أستطيع أن أخبرك أن عدداً من أشخاص المنظمة الأكثر أهمية كانوا يعرفون الحقيقة لأن حكوماتهم أخبرتهم. لقد قيل لآرون. وكان مالرو يعرف بشكل واضح. وأيضاً مكيريدج وواربورغ، اللذان أخبرهما الإم آي سيكس بعد توصل الوكالتين إلى اتفاق بخصوص *إنكاونتر*.'[7]

وقال لورنس دي نوفيل: 'أحب أن أعرف من هو الذي لم يعرف؟ كان سراً مفتوحاً تماماً. فقائمة أولئك الذين عرفوا – أو اعتقدوا أنهم يعرفون – طويلة بما يكفي: ستيوارت هامبشاير، آرثر شليسنغر، إدوارد شيلز – الذي اعترف لناتاشا سبيندر أنه عرف منذ 1955 – دينيس دو روجمو، دانييل بيل، لويس فيشر، جورج كينان، آرثر كويستلر، جنكي فلايشمان، فرانسواز بوندي، جيمس برنهام، فيلي برانت، سيدني هوك، ميلفن لاسكي، جاسون إبشتاين، ماري مكارثي، بيار إمانويل، ديانا تريلينغ، سول ليفيتاس، روبرت أوبنهايمر، سول شتاين، دوايت

ماكدونالد. لم يكونوا جميعاً 'واعين لمعنى أنهم كانوا متلقين فاعلين في عملية الخداع. لكنهم كانوا جميعاً يعرفون، وعرفوا لبعض الوقت. وقال ناقدوهم إنهم إذا لم يعرفوا فهذا يعني أنهم جاهلون ويستحقون اللوم. وزعم هنت: 'حاول مايك أن يخبر بعض الأشخاص لكنهم قالوا إنهم لا يريدون أن يعرفوا. كانوا يعرفون، وعرفوا بقدر ما أرادوا أن يعرفوا، وإذا عرفوا مرة أخرى فسوف يضطرون للخروج، وهكذا رفضوا أن يعرفوا.'[9] وكان الشاعر الأسترالي جيمس ماكولي، المحرر المؤسس لمجلة *كوادرانت*، يحضر المجلس العام كمراقب. و نوّه أنه 'كان هناك تناقض بين رغبتهم في دعم مايكل بسبب الصداقة – بصدق لأنه لم يقم بخداعهم كثيراً – وبين اتخاذ وضعية علنية من البراءة المثارة.'[10]

أما زوجة هنت، شانتال، التي عملت في وزارة الثقافة الفرنسية، ولوقت قصير، في المنظمة، فقد رفضت هذا التشوش الأخلاقي زاعمة أن: 'الجميع في فرنسا، في دائرتي على الأقل، يعرفون الحقيقة حول من كان خلف المنظمة. تحدثوا جميعاً عن ذلك. كانوا يقولون: لماذا تريدين أن تذهبي وتعملي هناك؟ إنها السي آي إي. كان الجميع يعرفون ما عدا، على ما يبدو، أولئك الذين عملوا من أجلها. أليس هذا غريباً؟ لقد اعتقدت هذا دوماً؟'[11] وقالت ديانا جوسيلسون: 'أنكر معظمهم معرفة أي شيء حول ذلك، لكنهم جعلوا أنفسهم كاذبين رخيصين.'[12]

وماذا عن نيكولاس نابوكوف، الذي قام بجميع خطوات الرحلة من تلك الأيام الأولى في برلين إلى حل العقدة المؤلم هذا في باريس مع جوسيلسون؟ هل صدق فعلاً رده الغاضب على التهم التي وُجِّهَتْ إليه حول التورط مع السي آي إي،حين أنكر كل شيء. إن المنظمة من أجل الحرية الثقافية... لم تكن لها مطلقاً أية صلة، مباشرة أو غير مباشرة، مع السي آي إي... لقد رُتِّبَ الأمر كله على يد السوفيات'؟[13] هل يستطيع أحد أن يصدق بشكل جدي أن نابوكوف، في كل تلك الأعوام، لم يقل له أحد – أو يتصور لنفسه – أن 'خلف هذا وقفت المدافع الثقيلة لـ 'غابات فيرجينيا' (كلماته هو)؟ إن قصة ماري مكارثي، والتي كشف فيها نابوكوف على ما يبدو الحقيقة لسبيندر في تاكسي بلندن، توحي بعكس ذلك. كما يوحي تذكر شانتال هنت لنابوكوف حين قال لها 'في همس تآمري على الغداء في أحد الأيام' إنه كان يعرف. ونوّه ستيوارت هامبشاير فيما بعد، ببعض السخرية، أن كشف المعلومات لم يؤثر بنابوكوف'.[14] وحين وقف نابوكوف أمام جوسيلسون في ذلك اليوم البائس – الثالث عشر من أيار – وفي وجهه قرار، شجبه لأنه خدع زملاءه، لم يظهر أن كونه غير مناسب لإصدار الحكم قد آثار غضباً في ذهنه.

لعن نابوكوف في مذكراته 'العمل البذيء وغير الضروري لطريقة التفكير التي سبقتْ قرار تمرير النقود عبر السي آي إي إلى المنظمات الثقافية'.[15] أضاف إن هذا كان 'فاضحاً بخاصة حين يفكر المرء أن الحرب الباردة كانت الحرب الإيديولوجية الأكثر شدة وتعقيداً منذ أوائل القرن التاسع عشر، وأن هذا العمل البذيء حصل في بلاد اعتادت أن تملك تراثاً بعمر قرن مما دعاه كامي بالصيغ الأخلاقية للتفكير السياسي. ما يزال يؤلمني التفكير بكدمات الأخلاق

الفاسقة تلك، وحقيقة أن يُجَرَّ ذلك البناء المدهش الذي بناه، من خلال الحب والعناية، رجال ونساء أحرار، لا يمكن إفسادهم، ومخلصون، وأذكياء بشكل متألق، أن يُجَرَّ إلى الوحل ويُدَمَّر بسبب الوقاحة الأكثر قدماً وإلحاحاً: الفعل غير المبني على تفكير.'[16] وبشكل سري، رغم ذلك، لم يظهر نابوكوف أي شيء من هذا الاستياء الأخلاقي، إذ قال لأحد المراسلين: 'لا أشعر أن المرء يجب أن يكون مدافعاً حيال تمويل المنظمة من السي آي إي. يشتبه كثيرون منا بنوع كهذا من التمويل وكان حديث البلدة في كثير من عواصم أوروبا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية وأفريقيا. والمسألة ليست التمويل، وإنما ما فعلته المنظمة.'[17]

وشعر جوسيلسون أنه مثل أيوب معاصر – الرجل 'التام' و'الصالح' الذي ظُلِمَ بسبب فضيلته – فغادر باريس بعد أن شاهد أطباءه، ثم قابل مكجورج بندي، ربما لمناقشة ما تنطوي عليه الفضائح بالنسبة للسي آي إي بحسب *واشنطن بوست*. كان مكجورج بندي الرجل الذي أشرف على عمليات السي آي إي في فترتي كينيدي وجونسون. وحين عاد إلى جنيف لم يكد يمتلك الوقت كي يفتح حقائبه قبل أن ينفجر البركان. وفي أعقاب إقرار المجلس العام أن السي آي إي موَّلتْ المنظمة، مرت الصحف في العالم في يوم مشهود. انهار جوسيلسون، تاركاً ديانا ترد على وابل من المكالمات الهاتفية. وكتبت إلى سبيندر وزوجته قائلة: 'إن معركة جوسيلسون تتواصل ليلاً ونهاراً وهو في توتر مستمر، يحاول إنقاذ ما يستطيع إنقاذه من عمل المنظمة، تركتني هذه المعركة في حال من القلق الدائم...إن المأزق قائمٌ وهو مثل هيدرا.'[18] وبائسة بشكل كامل صَرَّحَتْ ديانا: 'أريد أن أخرج، أريد حياة جديدة، وأن لا يجمعني أي شيء مع هؤلاء الأشخاص بعد الآن، إلا على أساس الصداقة مع أولئك الذين هم أصدقاء.'[19]

لكن مسألة الصداقة نفسها أصبحت الآن مشوشة بشكل يدعو إلى اليأس. وكتبت ناتاشا سبيندر: 'عزيزي مايك، إن المظهر الإنساني هو الذي يبعث على الأسى. أستطيع أن أشاهد، إذا نظرت إلى الخلف في ضوء المعرفة الحالية، أن الجميع كانوا سجناء هذا الموقف بطرق ودرجات مختلفة. لا بد أنه كان من الكريه بالنسبة لك أن تخدع أصدقاءك الذين كنت معهم دوماً كريماً. لكنني متأكدة أنه كان خطأ من السي آي إي أن تتوقع هذا، ذلك لأن الآثار المضاعفة المؤثرة في العذاب الشخصي والعلاقات هي بلا نهاية، وعلى الأخص حين يهتم المرء بشكل كبير، كما يفعل المرء، عندئذ يتألم من الثقة التي يجري تحطيمها والتي لا يُمْكن إنقاذها... وهكذا يعود الأمر إلى حقيقة أنه إذا أخفى زميل المعلومات، فإنه يسرق حرية وشرف أصدقائه، وهذا بدوره يدمر ثقة أصدقائهم وفي النهاية عانى أشخاص كثيرون... وأعتقد أنكما أنتما أيضاً ترتاحان في الخروج من موقف زائف جردكما من الحق في أن تكونا صريحين مع أصدقائكما... ما كان خطأ في الصمت الذي فرضته عليكما السي آي إي هو (من وجهة نظرها) الطلب منكما أن تعاملا أصدقاءكما بهذه الطريقة، كان إجباركما على تبني الأخلاق نفسها مثل الشيوعيين وبالتالي جعلوا طرقهم في الغرب متكافئة نوعاً ما مع طرق الشرق في هذا المضمار.'[20]

واستمرت بقوة 'عاصفة البراز'، كما أشار إليها جوسيلسون فيما بعد. وكان توم برادن هو الذي دفعها الآن إلى انفجار جديد حين نشر مقالة في *ساتردي إيفنينغ بوست*. بعنوان 'أنا

سعيد لأن السي آي غير أخلاقية'. في طبعة 20 أيار، قال برادن: إنها كُتِبَتْ كي تصحح 'سلسلة الهراء التافه والجاهل' الذي يظهر في الصحف. ولكن برادن فعل أكثر من تصحيح الأخطاء: فقد قدم معلومات سرية لن تُكْشَف مطلقاً بوسائل أخرى، وهذا برهان قاطع ينهي كل أنواع الغموض (واحتمال المزيد من الإنكار). شارحاً أن أولئك اليساريين في أوروبا في الخمسينات 'كانوا الأشخاص الوحيدين الذين اهتموا بمقاتلة الشيوعية'[21]، قدم قصة تفصيلية حول كيفية بحث قسم المنظمات الدولية عن نقطة التقاء مع هؤلاء الأشخاص. ووصف علاقة هذا القسم مع مسؤولي العمل الأمريكيين، واتهم فيكتور رويثر بصرف أموال السي آي إي 'بأقل من حكمة كاملة'. أكد أن الأموال الخاصة 'بنشر مجلة *إنكاونتر*' قدمتها السي آي إي، ثم تابع كي يزعم أن 'عميلاً أصبح محرراً لمجلة *إنكاونتر*'. وأضاف أن عملاء السي آي الذين زرعوا بهذه الطريقة 'لم يستطيعوا اقتراح برامج معادية للشيوعية للقادة الرسميين لهذه المنظمات فحسب، بل اقترحوا طرقاً ووسائل لحل مشكلات الميزانية في الوقت نفسه. لماذا لا تتم محاولة الحصول على الأموال المطلوبة من 'مؤسسات أمريكية إن كان ذلك ممكناً'؟ وكما كان العملاء يعرفون، كانت المؤسسات الممولة من السي آي إي كريمة جداً حين يتعلق الأمر بالمصالح القومية'.[22] وقال برادن ذاكراً سرية الواجهات التي استخدمها قسم المنظمات الدولية: 'في 1953 كنا نعمل أو نؤثر بالمنظمات الدولية في كل ميدان'.[23] العمل؟ التأثير؟ بالطبع، لو كان يريد، لكان بوسعه أن يكتب 'الدعم'، 'نصيحة صداقة'. كان هذا، في النهاية، الخط الرسمي الذي تبنَّتْهُ الوكالة دوماً.

وكان تأثير مقالة برادن هو إضعاف ارتباط السي الآي إي السري مع اليسار غير الشيوعي بشكل نهائي. إذن، ما الذي حدا به أن يكتب؟ كان شرحه الخاص هو أن صديقه القديم ستيوارت آلسوب اتصل به في كاليفورنيا وطلب منه كتابة مقالة لـ '*ساتردي إيفنينغ بوست*' كي يوضح المسألة. قال برادن: 'اعتقدت أنني اعتبرتها نوعاً من اللحاق بالتاريخ. كنت في بداية الطريق، ولقد مر الآن عشرون عاماً، ولا تزال هناك أمور تجري، واعتقدت أن الأمر، أصبح سخيفاً، وحان الوقت لإيقاف عرض المهر هذا'.[24] وبدأ برادن إعداد المقالة في أوائل آذار. وفي فترة طويلة تتألف من ثلاثة أشهر تقريباً كان يمتلك الكثير من الوقت كي ينجزها بدهاء. وتناقش برادن هو وآلسوب عدة مرات من خلال الهاتف، وأرسل عدة مسودات، وكانت كل منها تصبح شيئاً فشيئاً أكثر كشفاً.

زعم برادن أنه أراد أن 'يصحح السجل، ويزيل الأكاذيب. ولكنه موَّه في مقالته بشكل مدبر الأسماء الحركية، مقدماً اسمه بأنه وارن ج. هاسكينز بينما كان هومر د. هوسكينز. لماذا اهتم برادن عبر كشفه المحرق بحماية الأسماء الحركية؟ هل كان يفكر باتفاق السرية الذي وقعه جميع أعضاء السي آي إي كجزء من عملية القسم؟ وحين سئل عن اتفاق القسم هذا، قدم برادن جواباً فائقاً للعادة: 'من الممكن أنهم ذكروني باتفاق السرية، ولكنني نسيت إن كنت قد وقعته. أقسم أنني – راسماً إشارة الصليب – لا أعرف إن كنت قد وقعت اتفاق سرية. لقد وقعته، لكنني لا أذكر هذا. لو تذكرت، لما كنت فعلت ذلك.'[25] وقال لورنس دي نوفيل: 'لو كان توم

يتصرف وفقاً للقواعد كمستقيل، لكان عليه الحصول على موافقة على ما كتبه. لا أعتقد أنه كان يتصرف وفقاً للقواعد.'[26]

هناك سيناريو آخر، وهو سيناريو وجد العديد من عملاء السي آي إي أنفسهم، وبينهم برادن نفسه، منجذبين إليه. قال جون هنت:'كان توم رجل شركة، وكان يعرف كل شيء عن اتفاق السرية. لقد تم استحضار هذا الاتفاق في الماضي، ولو كان برادن يعمل بشكل مستقل، لخاف من أمور كثيرة. أعتقد أنه كان أداة لأولئك الذين أرادوا التخلص من اليسار غير الشيوعي. لا تبحثوا عن قاتل مأجور متوحد، هذا جنون، تماماً كما هو الأمر مع اغتيال كينيدي. كان هناك الكثير من الأطراف المهتمة. إن برادن على دراية إلى درجة معينة. ربما اتصل به ريتشارد هيلمز وقال: 'حصلت لك على وظيفة'. أعتقد أنه كان هناك قرار عملياتي لإنهاء المنظمة وبرامج أخرى. ناقشت مقالة برادن مع مايك، وافترضنا أنها كانت جزءاً من عملية منسقة، ومرخصة من أجل إنهاء تحالف السي آي إي مع اليسار غير الشيوعي. لكننا لم نصل إلى قاع المسألة مطلقاً.'[27]

وكان تفكير جاك تومسون يندرج في هذا السياق: 'هناك حيلة قديمة إذا أردت إيقاف عملية فعليكَ أن تنسفها. لدي سيناريو متخيَّل: الرئيس جونسون يجلس إلى مكتبه في المكتب البيضوي، يقلب عبر بعض الأوراق ويعثر على نسخة من مجلة *إنكاونتر* فيسأل: ما هذا؟ يجيبه أحدهم: إنها مجلتك، سيدي الرئيس. فيقول: مجلتي؟ مجلتي! هؤلاء أشخاص يعتقدون أن حربي خاطئة، ويكتبون في مجلتي؟ وهذا هو الأمر.'[28]

إن سيناريو تومسون المتخيَّل يستحق النظر. كان ليندون بينز جونسون رجلاً من الثلاثينات، فتى تكساس الفقير الذي يطوف في عالم من المحتكين الشرقيين، ولم تجمعه صلة مع جميع أولئك المفكرين، ولم يمتلك إحساساً بالسحر مثل الذي أحاط بالفصل الإضافي الأثيني لجاك كينيدي. وكانت فكرة جونسون عن المهرجان الثقافي مقتصرة على شيء ما 'سيسر السيدات'. وقبل عامين من ظهور مقالة برادن، في الرابع عشر من حزيران 1965، حوَّل مفكرون أمريكيون مهرجاناً للفنون أقامه البيت الأبيض، وتحدَّث عنه مستشارو جونسون في البداية 'كأداة لتهدئة معارضة الحرب'، حولوه إلى منصة غاضبة حول فيتنام. رفض روبرت لويل الدعوة، وسُجِّلَ هذا في ملفه لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي، كما فعل إدموند ويلسون 'بفظاظة' أدهشت مُنَظِّم المهرجان، إريك غولدمان. أما دوايت ماكدونالد فقد حضر، لكنه وصل يحمل عريضة تدعم لويل وتشجب السياسة الأمريكية، وقعتها حنا آرنت، وليليان هيلمان، وألفريد كازن، ولاري ريفرز، وفيليب روث، ومارك روثكو، وويليام ستايرون، وماري مكارثي (بين غير المدعوين). وعلى العشاء، جمع ماكدونالد تسعة توقيعات إضافية، واشتبك تقريباً مع شارلتون هيستون، الذي اتهم ماكدونالد بأنه يفتقر 'لآداب السلوك الأولية' وسأله:'هل أنت حقاً معتاد على توقيع العرائض ضد مضيفك في منزله؟'[29] وشعر جونسون فيما بعد أن 'عصابة من الخونة' تحتل البيت الأبيض.[30]

كان الحدث كارثة غير قابلة للتخفيف، 'وأضاف رد فعل الرئيس جونسون إليها آجراً لبناء سور بدا غير قابل للعبور مثل الإسمنت المسيج بالأسلاك الشائكة بين برلين الشرقية والغربية.'[31] واقتبس كلام جونسون الذي قال إن هناك مؤامرة بين 'هؤلاء الأشخاص' كي يهينوه هو ومكتبه، وكي 'يؤذوا بلادهم في وقت أزمة'.[32] كانوا 'أبناء قحبة'، 'حمقى'، 'خونة' ضخّموا حدثاً ثانوياً 'إلى موقف يمكن أن يملك أي شيء عدا الأهمية الثانوية'. وأخبر الرئيس أيضاً اثنين من معاونيه هما ريتشارد غودوين وبيل مويرز، أنه 'لن يقوم بأي شيء بعد الآن يتعلق بالليبراليين. ولن يكون لديهم شيء يتعلق بي. إنهم يتبعون جميعاً الخط الشيوعي فحسب: ليبراليون، مفكرون، شيوعيون. إنهم جميعاً الشيء نفسه.'[33]

جيمس برنهام، الذي ساعد في تسخير المنظمة من أجل الحرية الثقافية لخدمة السي آي إي، والذي فعل ذلك من أجل مصالح سياسة واقعية من النوع المحافظ جداً، شاهد في الخرائب برهاناً على ما كان يُحَذِّر منه منذ زمن طويل بأنه 'خطأ جوهري' في تفكير وكالة الاستخبارات المركزية. كتب: 'لقد امتطت السي آي إي معظم هذه النشاطات من منظور 'اليسار غير الشيوعي'. وخمنت أن اليسار غير الشيوعي قوة معادية للشيوعية يمكن الاعتماد عليها، والتي إذا لم تكن مؤيدة للغرب وأمريكا أثناء العمل، فإنها في أي حال، لن تكون معادية للغرب وأمريكا. إن هذا التخمين السياسي خاطئ. لا يمكن الاعتماد على اليسار غير الشيوعي. ذلك أن اليسار غير الشيوعي تفكك تحت ضغط الأحداث الحرجة. إن قسماً كبيراً – في هذه البلاد كما في بلدان أخرى – تأرجح إلى موقف معاد لأمريكا، وخفف اليسار غير الشيوعي كله تقريباً موقفه من الشيوعية والأمم الشيوعية. وهكذا فإن الانهيار التنظيمي ناشئ عن الخطأ السياسي. والخطأ السياسي يكمن في عقيدة أن الصراع الكوني ضد الشيوعية يجب أن يستند إلى اليسار غير الشيوعي: وهي عقيدة ألصقها بالسي آي إي آلن دلس. ولقد وضعت كوبا، وجمهورية الدومينيكان، وفيتنام عقيدة اليسار غير الشيوعي وممارسته في اختبار حاسم. وحاول جزء كبير من المنظمات والأفراد، الذين غذَّتهم السي آي إي تحت وصفة اليسار غير الشيوعي، تدمير إرادة الأمة وإعاقة أو تخريب أمنها.'[34] وليس من الصعب تصور احتمال فكرة أن ليندون جونسون اهتم نتيجة لذلك بقطع علاقة السي آي إي مع اليسار غير الشيوعي.

ويكمن المفتاح الأكثر أهمية لشرح ما حدث في مسألة اتفاق برادن على السرية. في الثانية بعد الظهر، يوم الأربعاء، التاسع عشر من نيسان 1967، طبع والت روستو، مساعد جونسون الخاص 'مذكرة سرية' قدمها للرئيس ذكر فيها: 'أفترض أنكم تعرفون عن مقالة برادن حول السي آي إي في *ساتردي إيفننغ بوست*. هذه القصة يرويها ديك هيلمز'. ظهرت مقالة برادن في *بوست* في طبعة العشرين من أيار 1967، تماماً بعد شهر من تنويه روستو للرئيس حولها. وكان ريتشارد هيلمز، الذي كان آنذاك مديراً للسي آي إي، بحسب مذكرة روستو، على علم بالمقالة، وبشكل يمكن تصوره، بمحتوياتها كذلك. كانت السي آي إي تمتلك الوقت الكافي كي تنفذ اتفاقها الخاص بالسرية مع برادن وتمنعه من نشر المقالة.

لم تكن ذاكرة روستو حول المسألة مؤكدة. قال:'كنت أعرف برادن اجتماعياً فحسب كشخص لطيف أثناء الحديث. أعتقد أن هيلمز أخبرني، وأعتقد أنني أخبرت الرئيس. لكنها لم تكن مسألة كبيرة، لم تؤثر بي في ذلك الوقت.'[35] لماذا، إذاً، سيزعج روستو نفسه بكتابة مذكرة سرية للرئيس حول شيء لم يؤثر به؟ أجاب روستو، نوعاً ما بتناقض: 'أطلعه على أي شيء يخلق بنداً سياسياً يكون له أثر على الرئاسة '.[36]

وفي الحقيقة، كان روستو وهيلمز يمتلكان الكثير من الوقت لإطلاع الرئيس. باقتراح من روستو، دُعيَ ديك هيلمز كي يحضر غداء الثلاثاء، أي اجتماع الأمن الأكثر أهمية وعلوا في المستوى في سنوات جونسون، 'لأنني اعتقدت أن الرئيس يجب أن يكون لديه رجل استخبارات يستطيع أن يتبادل معه المشورة'.[37] وكان موضوع النقاش في جلسات الغداء الأسبوعية في 1967، تقريباً، وبشكل حصري، فيتنام.

مسألة أخرى: لماذا كانت السي آي إي مهتمة بقصص مجلة *رامبارتس* بحيث أنها قامت بعملية استخباراتية من الوزن الثقيل، ومع ذلك لم تقم بمحاولة مع برادن كي توقفه؟ واختتم برادن: 'أعتقد أنه من المرجح تماماً أنهم كانوا متلهفين للتخلص من كل تلك الأمور. من الممكن أن ستيوارت هامبشاير كان يعرف كل هذا. افترضتُ دوماً أنه في هذا الوقت سيكون هناك في الوكالة أشخاص يريدون التخلص من أمور كهذه بحيث يجري فضحها مسبقاً. كان الجميع يعرفون: الخبراء، وأشخاص مثل ستو يعرفون بالتأكيد أن هذه الأمور كانت كلها واجهات للسي آي إي. وظننتُ دوماً أنهم يريدون قتلها، لكنني لا أستطيع إثبات ذلك.'[38]

كان ستيورات آلسوب 'عميل سي آي إي' بحسب مسؤول رفيع المستوى في السي آي إي. قالت مصادر أخرى إن آلسوب كان مساعداً للوكالة في مناقشات مع مسؤولين من حكومات أجنبية يطرحون أسئلة كانت السي آي إي تبحثُ عن أجوبة لها، ويزرعون معلومات مضللة تفيد الولايات المتحدة، ويقيِّمون الفرص لتطويع عملاء للسي آي إي من الأجانب الذين في مواقع جيدة. ورفض جوزيف شقيق ستيورات زعم أن ستيوارت كان عميلاً ووصفه بأنه هراء مطلق، قائلاً: 'كنت أقرب إلى الوكالة من ستيورات، مع أن ستو كان قريباً جداً'.[39] لكنه تابع: 'أتجرأ وأقول بأنه أدى بعض المهمات. وفعل الشيء الصحيح كأمريكي... كان الآباء المؤسسون (للسي آي إي) أصدقاء حميمين لنا... كان هذا أمراً اجتماعياً. لم أتلق مطلقاً دولاراً واحداً،ولم أوقع اتفاق سرية بتاتاً ولم أضطر إلى ذلك... قمت بأمور تهمهم حين اعتقدت أنها الشيء الصحيح الذي يجب أن يُفْعَل معتبراً ذلك قياماً بواجبي كمواطن... لم تفتح السي آي إي أبوابها مطلقاً لأشخاص لم تثق بهم. كانوا يثقون بي أنا وستو، وأنا فخور بذلك.' أشار ستيوارت آلسوب إلى دلس وجماعته بأنهم ' الشرقيون الشجعان'، ووجد متعة بالغة في كونه جزءاً من تلك 'المنظمة المحكمة، الرابطة الأخوية'.[40]

لم تكن لمقالة برادن النتيجة المرجوة من ناحية مهمة. من المحتمل أن المقصود من زعمه بأن الوكالة زرعت عميلاً في *إنكاونتر* هو فضح العميل والتعجيل في استقالته فحسب. وأوضح برادن فيما بعد أن هذا الرجل 'كان أحد عملائنا، وهو رجل يتمتع بإنجاز فكري متميز، وقدرة على

الكتابة، ودفعنا راتبه'.[41] أما إرفنغ كريستول، الذي كان محرراً مشتركاً مع دانييل بيل في مجلة تُدّعى ذ *بليك إنتيريست* *The Public Interest* (والتي صدرتْ بمنحة مؤلفة من عشرة آلاف دولار من جوسيلسون)، فقد هبط تماماً في الحساء. قال فيما بعد: 'حين نشر توم برادن تلك المقالة، قائلاً إنه كان هناك عميل للسي آي إي في *إنكاونتر*، انتابني الغضب، لأنني كنت أعرف بشكل جيد أنني لست عميلاً للسي آي إي، وكنت أعرف بالتأكيد أن ستيفن سبيندر ليس عميل سي آي إي. لا أعرف قسماً بالله ماذا كان في ذهن السيد برادن حين كتب تلك المقالة.'[42] وسبيندر، الذي لم يكن داخل الإطار مطلقاً، قال: 'لا أستطيع أن أصدق أنه كان كريستول، في الحقيقة لا أستطيع. أعرف أنه لم يكن أنا.'[43]

وهذا جعل لاسكي بعد سنوات، وبشكل يمكن التنبؤ به، يزدري زعم برادن، داعياً إياه 'رجلاً عجوزاً مرتجفاً وأحمق'. ناكراً المسألة كلها كأنها تشبه كثيراً ميلودراما جيمس بوند، 'تزامن شبكة الجاسوس والعملاء السريين'، قال لاسكي:'لم أحرر مطلقاً مجلة للسي آي إي، ولن أحرر مطلقاً.'[44] من كان عميل السي آي إي؟ 'هل كان أنت؟ هل كان أنا؟' أجاب: 'اسمعي، فعلنا ما فعلناه. كلا، كلا، كلا، كان هذا فنتازيا، ويجب ألا يؤخذ بشكل جدي، بالتأكيد ليس من قبل المؤرخين.'[45] ولكن برادن، بعد ثلاثين عاماً، كان صريحاً: لم تكن هناك فنتازيا.

دمرت خيانة برادن جوسيلسون وزوجته. وكتبت ديانا: 'احتفظت دوماً بذكريات ظريفة عنك في سباق الدراجات الذي يستمر ستة أيام، الخ، إذا لم أذكر الاحترام العالي لأدائك المحترف، وهكذا فأنا حزينة من خيانتك التي بلا سبب لمايك وأصدقائه في مقالتك. إن إفادتك المزيفة بشكل كامل التي تورط إرفنغ كريستول، الذي نسيت على ما يبدو أنه لم يكن على دراية نهائياً... خلقت موقفاً من الفوضى والمعاناة الشخصية لا أعتقد أنك تستطيع تصوره، رغم أنه يمكن أن تدرك أنك وجهت ضربة قاضية إلى مجلة جيدة... وكما أعرف من التجربة المعاشة طوال جميع تلك الأعوام المتعبة جداً، وكما يجب أن تعرف في قلبك، أيضاً، يا توم: إذا حدث وكان هناك رجل هو عميل حر، وأجاب على إملاءات ضميره فقط، فهو مايك.'[46] وأنهت ديانا متوسلة كي يصدر برادن دفاعاً، ويسحب إفادته بأن جوسيلسون كان مزروعاً في المنظمة. لكنه لم يَرد على رسالتها مُطلقاً.

وبشكل لافت للنظر، رغم ما سَيُعْرَف تقنياً بأنه 'توتر' في الوكالة، كان هناك على ما يبدو 'اهتمام قليل بأن هذا لم يكن، بالضرورة، أفضل ما حدث'.[47] ونجا توم برادن بدون نقد أو شجب رسمي. فضلاً عن ذلك، لم تتأذ بأية طريقة وظيفة العميلين اللذين كانا متورطين بشكل مباشر في برنامج اليسار غير الشيوعي الذي تم فضحه. وانتقل كورد ميير وجميع أتباعه إلى أمور أكبر وأفضل. أصبح ميير رئيس محطة في لندن وتولى المسؤولية عن عملية السي آي إي كلها في أوروبا الغربية. أما أولئك الذين تم تطويعهم من اليسار غير الشيوعي نفسه فقط فقد اعتبروا غير ضروريين. وتم التخلص من جيمس ماكولي، وبحسب ديانا جوسيلسون 'في النهاية أخرجوه'. ترك الوكالة – و*كينيون ريفيو* – من أجل وظيفة كمحرر قصصي لمجلة *بليبوي*. وجون تومسون، الذي بدأ بمغازلة اليسار الجديد في منتصف الستينات، رمي أيضاً مما كان يحب أن

يدعوه بـ 'السفينة الجيدة لوليبوب'. وككاتب عن أمريكا في 1968، قال لجوسيلسون وزوجته: إن كل ما لم يكن فيتنام سوف يصبح عن الأمريكيين الأفارقة (رغم أن الكلمة التي استخدمها لوصفهم كانت استعمارية بشكل واضح).[48]

وقبل جوسيلسون بتسوية مذلة رغم حقيقة أنه استقال من السي آي إي قبل وقت من اجتماع المجلس العام في الثالث عشر من أيار،وغادر بشكل رئيسي كي يحمي المنظمة، بحيث إذا سُئِلَ يستطيع قول أنه لم يعد مع الوكالة، كما قالت ديانا. كان راتبه يبعث على السخرية، وبالتأكيد لا يعكس الإسهام الضخم الذي قام به. وفي 1965 'عينَّتْ مؤسسة فارفيلد جوسيلسون مديراً دولياً لها لفترة سنتين براتب مؤلف من واحد وعشرين ألف دولار يُدفع في اثني عشر قسطاً. الآن، مبدئياً على الأقل، لم تعد السي آي إي تمتلك التزامات مالية إزاء جوسيلسون. ولكن فرانك بلات وجون تومسون الواعيين أنه تم التخلي عنه، فقد رتبا خطة تقاعد نهائية لجوسيلسون بمبلغ ثلاثين ألف دولار في السنة، قابل للدفع من رأس مال فارفيلد الاحتياطي.[49] وبحسب تومسون، كان هذا الاحتياطي يبلغ مليون دولار. ولعدم قدرته، لسبب ما، على إعادة هذا المال إلى المتبرعين به، اقترح تومسون بأن يُصبح مُتاحاً على الفور.[50] وحصلت مصافحة جوسيلسون، التي هي نحاس أصفر أكثر مما هي ذهب، على جزء من 'التمويل النهائي' لفارفيلد. أما كيف وزع الباقي فهذا غير مُسَجَّل.

وحتى قبل أن تظهر فضائح *رامبارتس*، طلب السيناتور مايك مانسفيلد تحقيقاً كونغرسياً واسع المدى حول كل التمويل السري الذي قامت به السي آي إي. واختار الرئيس جونسون، بدلاً من ذلك، لجنة خاصة مؤلفة من ثلاثة رجال هم وكيل وزارة الخارجية نيكولاس كاتزنباخ، ووزير الصحة، والتربية، والرفاه جون غاردنر، ومدير السي آي إي ريتشارد هيلمز. واختتم تقرير لجنة كاتزنباخ النهائي الذي صدر في التاسع والعشرين من آذار 1967 أنه 'يجب أن تتبنى الحكومة الأمريكية سياسة تقضي بأن لا تقدم أية وكالة فيدرالية أية مساعدة مالية سرية أو دعماً، مباشراً أو غير مباشر، لأي من منظمات الأمة التربوية أو الخاصة الطوعية.'[51] وحدد التقرير الواحد والثلاثين من كانون الأول كموعد نهائي لإنهاء جميع عمليات التمويل السرية التي تقوم بها الوكالة. وكان القصد من هذا منح السي آي إي فرصة كي تقدِّمُ عدداً من المبالغ النهائية الضرورية – وهذه تقنية تُعْرَف باسم 'التمويل الطامي' – لكثير من عملياتها، وكان هذا كافياً لدعم إذاعة أوروبا الحرة لمدة عامين من العمل.

أشير بشكل واسع إلى تقرير كاتزنباخ بأنه الأداة التي أبعدتْ بها الحكومة السي آي إي في المستقبل عن هذا النمط من النشاط. لكن السي آي إي كان لها تأويل مختلف جداً لما تستطيع فعله في حقبة ما بعد تقرير كاتزنباخ. وبحسب تقرير اللجنة المختارة حول نشاطات استخبارات الحكومة في 1976، وزَّع نائب مدير الخطط ديزموند فيتزجيرالد الدليل التالي لجميع المكاتب الميدانية بعد أن نُشِرَ التقرير: أن علاقات سرية مع منظمات أمريكية تجارية، أكرر، غير ممنوعة. التمويل السري وراء البحار لمنظمات دولية أجنبية مسموح.'[52]

بكلمات أخرى، لم يتغير أي شيء في حقل العمليات الدولية السرية، على الإطلاق. وهكذا، حين قررت وكالة الاستخبارات المركزية متابعة تمويل منبر الأنباء العالمية – وهو من صناعة المنظمة من أجل الحرية الثقافية – بعد 1967، فعلت ذلك دون عائق. ذلك أنه رغم أن جونسون تبنى تقرير كاتزنباخ كسياسة حكومية رسمية، إلا أنه لم يصدر كأمر تنفيذي أو يُسَن كقانون. لم يمتلك وضعاً قانونياً قوياً. وقامت افتتاحية في مجلة ذ *نيشن The Nation* بقراءة ما بين السطور ولاحظت أنه ليس هناك نتيجة نهائية.وقالت الافتتاحية إن التقرير 'حيلة مزيفة'، و'مراوغة'، وإن 'شعار السيد جونسون الرنان، المجتمع العظيم، بدأ يظهر كواحدة من كلمات ملوك آل بوربون الأكثر كلبية.'[53]

بعد عشر سنوات، انتقد تحقيق حكومي حقيقة أن 'كثيراً من القيود التي طورتها السي آي إي استجابة لحوادث 1967 أظهرت بأنها إجراءات أمنية تهدف إلى منع فضائح علنية إضافية يمكن أن تعرض للخطر عمليات حساسة للسي آي إي. وهي لم تشكل إعادة تفكير هامة في أين ينبغي أن ترسم الحدود في مجتمع حر'.[54]

الفصل السادس والعشرون

صفقة سيئة

في هذا العالم الحقير، كل شيء حقيقي أو مزيّف وفقاً للون المنظار الذي تنظر من خلاله إليه.

كالديرون دي لا باركا

في بقية عام 1967، وحتى في 1968، وجد جوسيلون نفسه في حال من الإعياء الذهني والجسدي، يُذكر كل يوم بالفوضى والمرارة اللذين سببهما عمله. وكتب جايابراكاش نارايان، رئيس المنظمة الهندية من أجل الحرية الثقافية: 'لا أصدق أن أي شخص آمن بالحرية، بالمجتمع المفتوح، بالتواشج الروحي بين الوسائل والغايات، يمكن أن يفكر بقبول أموال من وكالة تجسس دولية. لم يكن كافياً تخمين أن المنظمة عملت دوماً باستقلال... كانت الوكالة تفعل فقط ما اعتبرته مفيداً لها.'[1] وقال ك. ك. سينها معلناً تركه للمكتب الهندي: 'لو كنت أمتلك أية فكرة بأن هناك قنبلة زمنية مزروعة في مقر القيادة في باريس لما اقتربت من المنظمة مطلقاً.'[2] وبالنسبة للبعض، كانت هناك متفجرات حقيقية يجب التعامل معها :ففي اليابان أحرق منزل أحد أعضاء المنظمة بالقنابل، وتوجب عليه أن يطلب حماية الشرطة. وفي أوغندا ما إن خمّن راجات نيوغي، محرر مجلة *ترانزيشن Transition*، أن الأذى الذي سيلحق بمجلته 'غير قابل للحساب' حتى اعتقل وسُجِنَ.

قالت ديانا جوسيلسون: 'كان هناك ضحايا حقيقيون، وشعر مايكل بالألم المُبَرِّح، والندم، أحياناً، وشكك بمحاكمته العقلية لأنه تماشى مع الأمور بأية حال. تذبذبنا فوق الخط الجزويتي للغايات التي تبرر الوسائل، ولكننا وافقنا في النهاية أنه كان الشيء الصحيح الذي فعلناه. لكن الأذى الحقيقي الذي لحق بسمعة الأشخاص سبب له ألماً مُبَرِّحاً.'[3] وقال جون هنت: 'كان هناك أشخاص في الهند، ولبنان، وآسيا، وأفريقيا، وجدوا أنفسهم عالقين في الإعصار، وهم رجال ونساء راهنوا على المنظمة وعلى قوة التمثيلات التي قمت بها أنا ومايك وآخرون. وأعرف أن كثيراً منهم عانوا بشكل عميق، ولن تحجب هذه الحقيقة أي كمية من التفسير الأخلاقي ذي الاستراتيجية العالية أو النقاش. لقد عرضوا شرفهم وحياتهم لخطر شديد ولن أنسى ذلك. لا يستطيع المرء اجتياز المأزق الأخلاقي باستخدام عبارات مثل 'سبب الوجود أو مبرره'، أو 'مكر التاريخ' أو أي شيء. لكنني سأقوم بالأمر مرة ثانية لو امتلكت الفرصة. يمكن أن يندم المرء ومع ذلك يقول إن الأمر كان يستحق العناء.'[4]

أما في أوروبا وأمريكا، بعيداً عن ما دعاه ك. ك. سينها 'ضجيج التهديد المتقدم'، فقد كانت ردود الفعل مختلطة. وجد مايكل بولانيي الجلبة حول فضائح السي آي إي 'جديرة بالاحتقار'، وقال: 'كنت سأخدم بمتعة وكالة الاستخبارات المركزية لو كنت أعرف بوجودها في السنوات التي تلت الحرب'. ووصفها كويستلر بأنها مجرد 'عاصفة في فنجان' سوف تخمد. وقدّر يهودي مينوحين السي آي إي أكثر لارتباطها مع 'أشخاص مثلنا'.[6] وأصدر جورج كينان، كما هو متوقع، دفاعاً رناناً، قائلاً إن 'الاهتياج حيال نقود السي آي إي لا مبرر له إطلاقاً، وسبّبَ من الألم المبرّح أكثر مما يجب. لم أشعر مُطلقاً بوخز الضمير حيال ذلك. لا تمتلك هذه البلاد وزارة للثقافة، وكانت السي آي إي ملزمة على فعل ما تستطيعه كي تردم الفجوة. ويجب أن تُمْدَح لأنها فعلت ذلك لا أن تُنتقد'.[7]

إن فكرة تورط السي آي إي في الحياة الثقافية للغرب يُمكن عقلنتها كشر ضروري من شرور ديموقراطية وجد باستمرار قلة من الداعمين. وكتب عن 'إحساس أكثر عمقاً بخيبة الأمل'، أندرو كوبكايند قائلاً: كانت 'المسافة بين بلاغة المجتمع المفتوح وواقع السيطرة أكبر مما ظن الجميع... فجميع من ذهبوا إلى الخارج من أجل منظمة أمريكية كانوا، بطريقة أو أخرى، شهوداً على نظرية أن العالم تمزّق بين الشيوعية والديموقراطية، وأي شيء بينهما هو خيانة. لقد تم الحفاظ على وهم الانشقاق: دعمت السي آي إي محاربي حرب باردة اشتراكيين، ومحاربي حرب باردة فاشيين، ومحاربي حرب باردة سوداً وبيضاً. لقد قدمت كونية ومرونة عمليات السي آي فوائد رئيسية. لكنها كانت تعددية زائفة، ومُفْسَدة بشكل كامل'.[8] وكان هذا الموقف، الذي كُرِّرَ كثيراً، جذاباً بسبب بساطته الأخلاقية. لكنه كان بسيطاً جداً. ولم تكن الفكرة الحقيقية أن احتمال الانشقاق قد تأذى بشكل نهائي - كانت حجج كوبكايند شاهداً على ذلك - أو أنه تم إكراه المفكرين أو إفسادهم رغم أنه من الممكن أن هذا حدث أيضاً، ولكن الإجراءات الطبيعية للبحث الفكري قد تم التدخل فيها. وكتب جاسون إبشتاين: 'ما أغاظنا أكثر هو أن الحكومة بدت كأنها تدير قطار مؤن سرياً لم تكن مقصورات الدرجة الأولى فيه يحتلها دوماً مسافرو درجة أولى: فالسي آي إي ومؤسسة فورد، بين وكالات أخرى، صنعتا وموّلتا جهازاً من المفكرين الذين اختيروا لمواقعهم الصحيحة في الحرب الباردة كبديل لما يمكن أن يدعوه المرء سوقاً فكرية حرة حيث يُفْتَرض أن الإيديولوجيا لا تتعلق إلا بالموهبة الفردية والإنجاز، وحيث الشكوك بالأرثوذكسيات الرسمية يُعْتَبر بداية كل تساؤل أو بحث... وتوضَّحَ في النهاية مدى سوء الصفقة التي قام بها المفكرون. إن خدمتهم لإرادة أية أمة، لم تكن مطلقاً لصالح الفن أو الأدب، والتأمل الجدي من أي نوع، أو حتى لصالح الإنسانية نفسها'.[9]

وسأل دوايت ماكدونالد بغضب مايكل جوسيلسون في آذار 1976: 'هل تعتقد أنني سأكون في جدول رواتب مجلة *إنكاونتر* في 1956 - 1957 لو أنني كنت أعرف أن هناك نقوداً سرية من الحكومة الأمريكية؟ إذا كنت تعتقد، فنحن في الحقيقة خارج الاتصال؟ إن المرء سيتردد في العمل حتى لمجلة تمولها الحكومة بشكل علني... أعتقد أنني خُدِعْتُ'.[10] مخدوعون أم منافقون؟ ورغم الهياج على وزراء أو مسؤولي 'Mitternichs' مكتب الواجهة حين منعوا مقالته في 1958،

لم يتردد ماكدونالد في الطلب من جوسيلسون في 1964 أن يوظف له ابنه، نيك، في فترة الصيف. وحدث هذا في الوقت الذي سمع فيه الجميع إشاعات تربط المنظمة بالسي آي إي. وماذا عن سبيندر، الذي في صيف 1967 انهار من البكاء في حفلة في إيفانستون، شيكاغو، حين استجاب الضيوف الزملاء إلى إعلانه عن براءته بشكل يخلو من الكرم؟ وتذكر أحد الضيوف الأقل شهرة: 'كانوا هناك، مثل كثير من الرسوم الكاريكاتيرية لديفد ليفين: دانييل بيل وزوجته بيرل كازين بيل، ريتشارد إيلمان، حنا آرنت، ستيفن سبيندر، توني تانر، صول بيلو، هارولد روزنبرغ، السيدة بولانيي. كانوا جميعاً متورطين مع المنظمة بطريقة أو أخرى. وبعد تناول المعكرونة انخرط الجميع بغضب في دعوة بعضهم بعضاً بـ'السذج' لأنهم لم يعرفوا من كان داعموهم في الحقيقة، وبسبب الامتناع عن تمرير المعلومات إلى البقية. 'لم أثق مطلقاً بإرفنغ'، قالت حنا آرنت. وقالت الشيء نفسه عن ميلفن لاسكي. ودافع دانييل بيل بقوة عن صديقيه كليهما. وأصبح الجدل أكثر قسوة. وبدأ سبيندر يبكي، لقد استُخْدِمَ، وضُلِّلَ، ولم يعرف شيئاً، أبداً. وسُمِعَ بعض الضيوف يقولون إن ستيفن كان 'ساذجاً'. وبدا كأن آخرين اعتقدوا فحسب أنه ساذج.'[11]

وقال ستيورات هامبشاير: 'كان ستيفن متضايقاً جداً. كان البشر وضيعين معه، وقالوا إنه كان يعرف. لا أعتقد أنه كان يعرف. ربما لم يحاول أن يكتشف، لكنه لم يكن يعرف في الحقيقة عن الحكومة والاستخبارات.'[12] وعلى أي حال تذكر لورنس دي نوفيل الأمور بشكل مختلف: 'أعرف أشخاصاً كانوا يعرفون أنه كان يعرف، لكن ليس بوسع المرء لومه على إنكار ذلك، لأن كل ما فعلناه كان يجب أن يُنكر بشكل قابل للتصديق ظاهرياً، وهكذا كان بوسعه إنكاره بشكل معقول ظاهرياً. كان جوسيلسون يعرف أنه تم إخبار سبيندر، ولقد أخبرني بذلك.'[13] وقال توم برادن: 'إن موقفي من سماع سبيندر وحساسياته المجروحة بعد أن فضح كل شيء - وربما لوَّن هذا إحساسي بالذنب - أنه كان يجب أن يعرف. وأعتقد أنه عرف.'[14] أما ناتاشا سبيندر التي أكدت دوماً براءة زوجها، فقد اختتمت بشكل محزن أن دوره كان دور الأمير ميشكين في رواية *الأبله*.

مخدوعون أم منافقون؟ حين تم إطلاع توم برادن على 'البيان المشهور' لمجلة *بارتيسان ريفيو* حول السي آي إي، والذي أعده ويليام فيليبس، ونُشِرَ في صيف 1967، ضحك بصوت مرتفع. قال البيان: 'نحب أن نجعل معارضتنا لتمويل السي آي إي السري للمنشورات والمنظمات الأدبية والفكرية علنية، ونؤمن أن التمويل المنتظم الذي قامت به السي آي إي يمكن فقط أن يشوه سمعة منظمات ومنشورات كهذه فكرياً وأخلاقياً. لا نملك ثقة بالمجلات التي يُزْعَم أن السي آي إي مولتها، ولا نعتقد أنها استجابت بشكل ملائم للمسائل التي أثارتها.'[15] وحين نظر برادن إلى أسماء الموقعين السبعة عشر، وبينهم حنا آرنت، بول غودمان، ستيوارت هامبشاير، دوايت ماكدونالد، ويليم فيليبس، ريتشارد بورييه، فيليب راهف، ويليام ستايرون، وأنغوس ويلسون، قال فقط: 'بالطبع كانوا يعرفون.'[16] ربما كان جيمس فاريل على صواب حين قال إن 'أشخاص *بارتيسان ريفيو* يخافون من الوضوح كما يخاف الشيطان من الماء المقدس.'[17]

ومن بلاتو دو شامبل في جنيف، الحي السكني الذي يُحَطِّم صمته مرة في الأسبوع حين يجيء سوق الخضار، كان بوسع جوسيلسون أن يراقب بمرارة المنظمة، التي سميت الرابطة الدولية لحرية الثقافة، وهي تتحرك دونه، وبإدارة مديرها الجديد شيبارد ستون. في العام الأول، استبقي جون هنت، بدعوة من شيبارد ستون، كي 'يساعد في الميزانية'. وفي البداية، كان جوسيلسون يتصل بـ 'ملازمه' كل يوم. 'سيقول له: لنقم بهذا، أو لنقم بذاك'، تذكر هنت. 'وسأقول: اسمع يا مايك، شيب هو المسؤول الآن.' كان هذا محزناً جداً. كان مايك يتابع وكأن شيئاً لم يحدث.'[18] وقال ستيفن سبيندر: 'كان جوسيلسون شخصية مأساوية بالأحرى، وأعتقد أنه كان في موقع سفير يبقى في بلد وقتاً طويلاً، وبدلاً من تمثيل البشر الذين أرسلوه إلى هناك فإنه يمثل البشر الذين تم إرساله إليهم، ولهذا السبب لا يُسْمَح أبداً للسفراء بالبقاء طويلاً في البلدان لأنهم يميلون إلى التحول بهذه الطريقة. وأعتقد أن هذا النوع من التحول حدث مع جوسيلسون. وإذا نظرت إلى الأمر كله كنوع من العملية، كان جوسيلسون العراب ولقد أحبنا في الحقيقة جميعاً، وكان أيضاً رجلاً مصقولاً يحرص بشكل كبير على الأدب والموسيقى وإلى ما هنالك، لكنه كان أيضاً شخصاً مستأسداً ومهيمناً، تولى مسؤولياته بشكل جدي مخيف ولم يكن تافهاً البتة في ذلك. لقد تحطم حقاً، كما أعتقد، حين فُضِحَ الأمر كله'.[19]

ورشح جوسيلسون كخليفة له شيبارد ستون، مدير مؤسسة فورد الذي كان وسيطاً لملايين الدولارات من التبرعات الخيرية للمنظمة. ولكن، بحسب ديانا، 'أدرك مايكل حالاً أن هذا كان خطأ. استبقي مايكل كمستشار، وكون المنظمة حياة مايكل، كتب كثيراً من المذكرات، ولكن لم يُرَد عليها. كان من الصعب على شيب، لأنه لم يكن يريد أن يكون فتى مايكل، ورئيسه الصوري. ولكن لم يجر هذا بطريقة ظريفة جداً. اختلف مايكل على أمور مثل التخلي عن البلدان والارتباطات الإقليمية التي لم تكن تهمه، بمعنى آخر، الهند، أستراليا، أي شيء لم يكن أوروبياً. لم يمتلك شيب شعوراً حيال ذلك مطلقاً. لم يكن هناك، وهكذا صرف أولئك الأشخاص فحسب. وكشف نقصاً عميقاً في فهم المفكرين. وحين كانت الطلبات تقدم إلى مؤسسة فورد عاماً بعد عام من أجل التمويل، كان شيب يطلب من مايكل القيام بها لأنه لم يكن قادراً على فعل ذلك بنفسه.'[20]

والآن، بعد أن صارت تُمَوَّلُ من مؤسسة فورد، أنجزت المنظمة على ما يبدو استقلالاً حيَّر جوسيلسون. مع ذلك، وبحسب جون هنت، كان هناك خلف الكواليس صراع مرير بين أجهزة الاستخبارات السرية الأمريكية، والفرنسية، والبريطانية من أجل ضمان قيادة المنظمة في ذلك الصيف من عام 1967. شرح قائلاً: 'كان هناك خوف دائماً من أن يحتل جهاز صديق إحدى من هذه المنظمات التي كان فيها من البداية تورط أمريكي. وكان التفكير هو أن الأمريكيين القليلي الخبرة والمغفلين، والمنعزلين سوف يقدمون المال، ونحن الأوروبيين سنقدم الأدمغة، وسوف نحصل على عملية مرتبة تامة، وسوف نديرها.'[21] في النهاية، حصل الجميع على شريحة. أدخل الأمريكيون مرشحهم كرئيس ومدير تنفيذي. إذ كان شيبارد ستون في جميع وظائفه – المفوضية العليا في ألمانيا،ومؤسسة فورد، والمنظمة – على صلة بالاستخبارات. وزعم كبير

الجواسيس الألمان الشرقيين ماركوس وولف في مذكراته أن ستون كان ضابط مهمة في السي آي إي. وأدخل الفرنسيون رجلهم ببيير إمانويل كمدير، وهو الذي تردد الكلام عن صلاته مع المكتب الثاني Deuxieme Bureau لفترة طويلة، وأدخل البريطانيون بعد برهة رجلهم كمشارك في الإدارة وهو آدم واتسون، الذي كان ضابط ارتباط جهاز الاستخبارات السري مع السي آي إي في واشنطن في أوائل الخمسينات، وخبير الحرب النفسية الذي نسّق علاقة مكتب بحث المعلومات السرية مع المنظمة من أجل الحرية الثقافية. تغيّر كلُّ شيء، ولكن في الحقيقة لم يتغيَّر أيُّ شيء عدا الخصومات والتوترات التي استطاع جوسيلسون أن يطري نفسه بشكل صحيح بأنه احتواها لسنوات طويلة. وهذه المنظمة، التي فقدت الحيوية والإحساس بالهدف، اللذين جعلاها بارزة في أوج الحرب الباردة، هيمن عليها الخداع وموت الحساسية اللذان انطوت عليهما جميع اللقاءات الفكرية. لم يستطع جوسيلسون فعل أي شيء من جنيف لمنع المنظمة، بعد أن أعيد تشكيلها، من الإبحار نحو النسيان. وكان نابوكوف يكتب بين فينة وأُخرى مرسلاً الأنباء، واصفاً أسياده الجدد بأنهم العرابون وازدرى إدوارد شيلز المنظمة بشكل مشابه، وانفصل عنها في 1970 قائلاً إنها غير جديرة بالثقة، وهي مجرد اجتماع ثرثرة لمفكرين راضين عن أنفسهم ومفرطي التغذية.[22] وفي رسالة أخرى إلى جوسيلسون قال إنه لا يملك أنباء عن المنظمة، رغم أنه تلقى دعوة كي يقابل 'وثنياً بارزاً'، وكان رد فعله رفضاً واضحاً.[23] وعبر سيدني هوك عن انطباع مشترك بأن ستون' حمار أخرق...وأحمق، يتمتع بمنصب وعلاوات لا يستحقها مطلقاً'.[24] وقال شيلز إن الشيء الوحيد الذي كان ستون يفهمه هو كيفية ترتيب حساب مرتفع. ولكن المسألة التي أزعجت شيلز أكثر من غيرها، والتي قال إنه لن يقدر بتاتاً على الإجابة عليها، هي كيف نجح الشيوعيون، رغم جميع أفعالهم الشريرة، في أن ينجزوا الأرضية الأخلاقية العالية ويحافظوا عليها.'[25]

ونتيجة لتوقف اهتمام قائمة الأسماء القديمة بنشاطات المنظمة، وبعد أن فقدت اهتمام داعميها، صوتت المنظمة من أجل الحرية الثقافية أخيراً كي تحل نفسها في كانون الثاني 1979.

في 1959 كتب جورج كينان إلى نابوكوف أنه لا يستطيع التفكير 'بأية جماعة من الأشخاص فعلت كي تحافظ على تماسك عالمنا في تلك السنوات العشر الأخيرة أكثر منك ومن زملائك. وفي هذه البلاد بخاصة، لن تفهم أبعاد وأهمية إنجازاتكم سوى قلة من البشر'.[26] وبقي كينان مقتنعاً، طيلة عقود، أن بنود الإيمان التي ساعد، على أساسها، في تصميم السلم الأمريكي، كانت هي البنود الصحيحة. ولكنه شجب في 1993 العقيدة الأحادية التي استقر عليها هذا، قائلاً: 'يجب أن أوضح أنني أرفض بشكل قاطع وجازم جميع المفاهيم اليسوعية - التخليصية - عن دور أمريكا في العالم، وأرفض صورة عن أنفسنا كمعلمين ومخلصين لبقية الإنسانية، وجميع الأوهام عن فضيلتنا الفريدة والمتفوقة، وأرفض أيضاً الثرثرة عن المصير الجلي أو القرن الأمريكي'.[27]

وكانت الفرضية التي بُنِيَتْ الأساطير المركزية للحرب الباردة عليها هي أن مصير أمريكا هو أن تتولى مسؤولية القرن بدلاً من أوروبا منهكة وغير جديرة. وكانت هذه الفرضية، في النهاية،

بناء مزيفاً. وكتب هارولد روزنبرغ في 1962: 'إن الحرب الباردة صراع خادع بين مصالح حقيقية. وكانت نكتة الحرب الباردة هي أن كلاً من الخصمين كان يدرك أن فكرة الآخر لا تُقاوم إذا طُبِّقَتْ بشكل كامل... فالغرب يريد الحرية منسجمة مع الملكية الخاصة ومع الفوائد، أما السوفيات فيريدون الاشتراكية متساوقة مع ديكتاتورية البيروقراطية الشيوعية... وفي الحقيقة فإن الثورات في القرن العشرين هي من أجل الحرية والاشتراكية ... هناك حاجة ماسة إلى سياسة واقعية، سياسة تستطيع التخلص من خداع الحرية إزاء الاشتراكية مرة واحدة وإلى الأبد'.[28] وبهذه الكلمات لعن روزنبرغ الثنائية المانوية التي حصر بها الجانبان نفسيهما في رقصة ثنائية تشنجية، بعد أن خضعا 'الاستبدادية الصيغة.'

في إحدى المرات هاجم ميلان كنديرا 'رجل الإيمان'، وسأل: 'ما هو الإيمان؟ إنه فكرة... تجمدت... لهذا السبب يجب على الروائي أن يفكك فكره منهجياً، ويرفس الحاجز الذي شيده بنفسه حول أفكاره'. قال كنديرا: بعد ذلك فحسب تبزغ 'حكمة اللايقين'. وكان ميراث فضائح 1967 نوعاً من اللايقين، لكنه يفتقر إلى حكمة كنديرا. كان لايقيناً صقل كي يُعَتِّم ما حدث، أو كي يقلل من تأثيره إلى أدنى حد. وباشمئزاز مما رآه غياباً للمسؤولية بين أولئك المفكرين الذين 'ساعدوا وحرضوا على 'التلاعب الثقافي' الذي مارسته السي آي إي، اكتشف الروائي ريتشارد إلمان 'موقفاً لامبالياً مزيفاً يجعل كل شيء يبدو متشابهاً أو، كما يتوقع المرء، نوعاً يقبل الرشوة والفساد، يتصور العالم نموذجاً للضجر... لا شيء يستحق التمييز، ولا أحد يمكن أن يكون شريفاً بشكل حقيقي'.[29] وعبَّرت رواية ريناتا آدلر، *الزورق البخاري السريع*، عن القذارة الأخلاقية: 'ينكر الأشخاص الأذكياء أي شيء يتورطون فيه. وحين يواجههم دليل يؤكد أن إنكارهم مزيف، يقولون إنهم قاموا بالأمر ولم يكذبوا حيال ذلك، أو أنهم لا يذكرون ذلك، ولكن حين يقومون بالأمر، أو يكذبون حوله، فإنهم يفعلون ذلك من أجل خدمة مصلحة أكبر مما يجعلهم يغيرون طبيعة الفعل والكذب سوية'.[30]

وقدم بريمو ليفي في *الغرقى والذين أنقذوا* كشفاً شبيهاً رغم أنه أكثر عمقاً على المستوى السيكولوجي قائلاً: 'هناك... أولئك الذين يكذبون بشكل واع، ويزيفون الواقع ببرودة، ولكن أولئك الذين يرفعون المرساة، ويتحركون، في أية لحظة أو إلى الأبد، من ذكريات حقيقية، وينسجون لأنفسهم واقعاً ملائماً هم أكثر عدداً... فالتحول الصامت من الزيف إلى الخداع البارع مفيد: إن أي شخص يكذب بإيمان جيد، هو شخص أفضل، ويؤدي دوره بشكل أفضل، ويتم تصديقه بسهولة أكبر بكثير'.[31]

لو آمن أولئك الذي لعبوا دوراً في الحرب الباردة الثقافية بما كانوا يفعلونه، إذن لما كان من الممكن القول بأنهم خدعوا أي شخص بشكل مدبر. وإذا كان الأمر كله خيالاً، أو واقعاً مفبركاً، فهو لم يكن أقل صحة من هذا. قال أحد ما مرة إنه إذا بال كلب في نوتردام، فهذا لا يعني أن هناك أي خطأ يتعلق بالكاتدرائية. ولكن هناك حكمة أخرى، كان نيكولاس نابوكوف مولعاً بترددها: 'لا تستطيع أن تقفز في البحيرة وتخرج دون بلل'. فالعملية الديموقراطية التي اندفع محاربو الحرب الباردة كي يضفوا عليها طابعاً شرعياً دمرها افتقارها إلى الصدق. وكانت

الحرية التي دعمتها عرضة للشبهة، 'غير حرة' بمعنى أنها رست في الضرورة المتناقضة لـ'الكذبة الضرورية'. إن سياق الحرب الباردة، كما رسمه المفكرون المقاتلون داخل المنظمة من أجل الحرية الثقافية، هو سياق يجري العمل فيه تحت علامة الولاء المطلق لمثال. فالغايات تبرر الوسائل، حتى ولو تضمنت كذب المرء - بشكل مباشر، أو من خلال الحذف - على زملائه. خضعت الأخلاق للسياسة. وشوشوا دورهم، ولاحقوا أهدافهم من خلال العمل على الحال الذهنية للبشر، واختاروا تشويه الأمور بطريقة بدلاً من أخرى، آملين إنجاز هدف ما معين. كان ينبغي أن تكون هذه وظيفة السياسيين. وكان يجب أن تكون مهمة المفكر هي أن يفضح، بالحقيقة، اقتصاد السياسي، وتوزيعه البخيل للحقيقة، ودفاعه عن الوضع القائم.

لاحقوا فكرة مطلقة عن الحرية، وانتهوا إلى تقديم إيديولوجية أخرى، 'حرية'، أو نرجسية حرية، رفعت العقيدة فوق التسامح مع وجهات النظر الهرطقية. قال ذلك أنطوني، في *كتاب بلا عينين في غزة*: 'وبالطبع إن الحرية الحقيقية هي في الحقيقة، اسم أفضل من حرية الجلسة السرية. فالحقيقة واحدة من الكلمات السحرية. امزجها بسحر الحرية وستكون النتيجة هائلة... إن الأشخاص الفضوليين لا يتحدثون عن الحقيقة الحقيقية. أعتقد أنها تبدو غريبة جداً. الحقيقة الحقيقية، الحقيقة الحقيقية... كلا، إنها لن تعمل بوضوح. إنها مثل داء البري بري، أو الواغا واغا.'[32]

خاتمة

إن أذهان بعض البشر تتجمد.

ديفد بروس

بعد صيف 1967 الكارثي، حصل نيكولاس نابوكوف على ترتيب مالي مريح تلقى بموجبة مبلغ أربعة وثلاثين ألف دولار من مؤسسة فارفيلد، وانتقل إلى نيويورك كي يحاضر حول 'الفنون والبيئة الاجتماعية' في جامعة سيتي بعد أن حصل على منحة تم تأمينها بمساعدة من آرثر شليسنغر. تبادل نابوكوف وستيفن سبيندر بعض الثرثرة حول زملائهما الأعضاء، ونكتا حول كتابة' قصة مسلية على نمط قصص غوغول حول رجل يكتشف أن السي آي إي تدفع له دوماً في أي عمل يقوم به وأياً كان مستخدمه'.[1] وفي 1972 حصلت بينهما مشاحنة ثانوية. ونصح إشعيا برلين نابوكوف بأن يسقط القضية. 'اتركه'، قال. وحذر برلين نابوكوف أيضاً من أن يمتنع عن نشر ذكرياته حول المنظمة، حين قال الموسيقي نصف مازح، ونصف مهدد، بأنه سيؤلف كتاباً يُدعى الأغنياء في زمن السي آي إي وحذره برلين قائلاً: 'أنصحك بشكل جدي بأن لا تفعل هذا. إن ذاكرة المرء ليست معصومة، والموضوع حساس ...لا أعتقد أنك تتمنى أن تصبح في بقية حياتك مركز معارك لا تنتهي.. أنصحك بقوة أن تترك حقل الألغام ذاك وحده'.[2]

اشترك كثيرون في تردد كهذا في فحص الماضي. أما سبيندر، الذي تجاوزت صداقته مع نابوكوف مشاحنة 1972، فقد دوَّن في يومياته أنه حضر في آذار 1976 احتفالاً في القنصلية الفرنسية في نيويورك مُنِحَ أثناءه نابوكوف وسام جوقة الشرف الفرنسي: 'وفي جو من الكوميديا ألقى القنصل كلمة، مستعرضاً حياة نابوكوف، محدداً فيها فرقاً بين ما دعاه بالإبداع والوظيفة. ورغم أن المهرجانات التي نظمها ذُكِرتْ إلا أنه تم تجنب المنظمة من أجل الحرية الثقافية بشكل بارع. إن فراغ البلاغة الفرنسية في مناسبات كهذه شفاف إلى درجة أنه يكتسب نوعاً من الصدق'.[3]

وفي الأعوام المتبقية، تابع نابوكوف التعليم والتأليف الموسيقي. وكان مشروعه الرئيسي الأخير هو وضع موسيقى *دون كيخوت* لـ'البالنشاين'، والذي أدته باليه نيويورك *سيتي*. وقال أندرو بورتر الذي كتب عن العمل لمجلة ذ *نيويوركر*: 'ليس هناك شيء، للأسف، يمكن فعله حيال موسيقى نابوكوف البائسة، التي قضت على الأمسية. إنها ذات نفس قصير، متكررة، ضعيفة في محاولاتها القليلة لإنجاز الحيوية من خلال لجوئها إلى لحن منفرد على البوق أو ضربة على

الجرس القرصي'.[4] وقال أحد الأصدقاء إن شعار نابوكوف، يمكن أن يكون 'تقدم، انجح'. وربما ورث هذا من والده. ويروي ضابط استخبارات شاب التقى مرة في حفلة ببرلين بعد الحرب مع والد نابوكوف الذي كان في التسعين من عمره: 'كان العجوز، مثل جميع آل نابوكوف، ليبرالياً في روسيا الإمبراطورية. رأيته يتجه إلى بعض السوفيات من الرتب العليا ويقول: تعرفون، كنت دوماً إلى جانب الشعب! ثم جر قدميه إلى مضيفه في الجانب الآخر من الغرفة بالابتسامة المداهنة نفسها، وقال: كنتُ أعرف جدك، سمو الإمبراطور، الدوق الكبير أليكسندر ميخايلوفيتش بشكل جيد جداً! وتساءلت كيف أن شخصاً في التسعين من عمره يشعر بضرورة نفاق كهذا!'[5]

توفي نابوكوف في 1978. وكانت جنازته، بحسب جون هنت، 'مشهداً حقيقياً. كانت زوجاته الخمس هناك. كانت باتريسيا بليك على العكازين بعد حادثة تزلج، ولقد قالت: أشعر وكأنني ما أزال متزوجة منه. احتلت ماري كلير المقعد الأول كله، وكانت لا تزال متزوجة منه. دومينيك، التي كانت زوجته حين مات، قالت إنها شعرت وكأنها لم توجد، كانت الوحيدة التي تخلفت عن الآخرين. وانحنت واحدة أخرى فوق تابوته وحاولت أن تقبله على فمه'.[6] كان هذا موتاً ملائماً لرجل عاش بإيماءات متوهجة.

ترك جون هنت الرابطة الدولية لحرية الثقافة، كما هو مُخطط، في نهاية 1968. وفي حفل سري على متن مَركب بيتي في نهر السين، مُنِحَ وسام السي آي إي من أجل خدماته التي قدمها. ثم ظهر في مؤسسة سالك في كاليفورنيا كنائب لرئيسها التنفيذي. واتخذ موقفاً معادياً لهوشي منه حيال فيتنام، وراقب بمرارة، أمريكا، كما يعرفها،وهي تبدأ بالتداعي. وأخبر جوسيلسون أنه يشعر كأنه غريب في بلاده.[7] وبعد أن ألهته فكرة العمل مع روبي ماكولي في مجلة *بلييوي*، أصبح هنت نائب الرئيس التنفيذي لجامعة بنسلفانيا. وفي 1976، كتب مسرحية عن آلجر هيس قُدِّمَتْ في مركز كينيدي. وفيما بعد تقاعد وذهب ليعيش في جنوب فرنسا.

أسس إرفنغ كريستول ذ *بابليك إنتيريست* مع دانييل بيل، وفي 1969 أصبح بروفيسور هنري ر. لوس للقيم المدينية في جامعة نيويورك. وفي ذلك الوقت، بدأ يدعو نفسه 'محافظاً جديداً'، عرَّفه بأنه 'ليبرالي خذله الواقع'. وربط نفسه بمؤسسة المشروع الأمريكي و *وول ستريت جورنال*، وألقى محاضرات لمجموعة شركات بأجور ضخمة، ومنح لقب 'القديس الراعي لليمين الجديد'. وأظهرت كتاباته مرة بعد أخرى كيف أن هذا الشخص الذي كان راديكالياً في شبابه ارتد إلى رجعي كئيب في نزاع مع العالم الذي حوله، بإباحته للجنس،وتعدده الثقافي، وأمهاته المرفهات، وطلابه المتمردين. أصبح مثل لاسكي، ومثل آخرين كثيرين، 'رجل آرثر كويستلر الخاص بالقرن العشرين' و 'سياسياً عصابياً يحمل ستارته الحديدية الخاصة داخل جمجمته'.[8] وفي 1981، كتب 'رسالة مفتوحة إلى البنتاغون' استنكر فيها حقيقة أن الجنود الأمريكيين لا يقفون بانتباه بشكل ملائم حين يُعزف النشيد الوطني. ودعا إلى إعادة البدء 'بعروض عسكرية ملائمة' لأنه 'ليس هناك شيء كالعرض ينتزع الاحترام للجيش من السكان'.[9] وحين تحدث عن تدخل السي آي إي في السياسة الثقافية، قال إنه 'بغض النظر عن حقيقة أن السي آي إي

كوكالة سرية تبدو كأنها مليئة، إلى درجة فائقة للعادة، بأفواه ثرثارة لا سبيل إلى إصلاحها، لا أملك سبباً إضافياً كي أحتقرها أكثر من مكتب البريد على سبيل المثال.'[10] واختتم كلامه قائلاً عن مجلة *إنكاونتر*: 'أعتقد أنه من الممتع أن السي آي إي كانت تمول المجلة البريطانية الوحيدة الجديرة بالقراءة ويجب أن يعبر البريطانيون عن امتنانهم'.[11]

بقي ميلفن لاسكي محرراً لمجلة *إنكاونتر* إلى أن توقفت في 1990. في ذلك الوقت، كان هناك قليلون مستعدون كي يقدموا لها عرفاناً بالجميل لائقاً. 'غالباً ما بدت *إنكاونتر* في سنواتها الأخيرة كأنها صورة ساخرة عن ذاتها السابقة، مخصصة بشكل روتيني، للاتجار بالحرب الباردة، وللتحذير الكثير والملح من مخاطر نزع الأسلحة النووية'.[12] وكتب المحرر المحافظ في *تايمز ليتراري سبليمنت*، فرديناند ماونت خطبة وداعية عن إنجازات *إنكاونتر*، معلناً أن ميلفن لاسكي 'نبي دون شرف، بشكل فريد، في وطنه المختار'.[13] ولكن هذا الثناء القليل لم يكن مهماً لأولئك الذين اعتقدوا أن لاسكي ربما كان يجب أن يبقى في وطنه.

وبعد توقف تمويل السي آي إي، تأرجحت *إنكاونتر* من أزمة مالية إلى أخرى، وأمضى لاسكي الكثير من وقته في تلك السنوات الأخيرة يبحث عن داعمين. وفي 1976 كتب فرانك بلات – الذي بقي في السي آي إي – إلى جوسيلسون عن 'صورة رائعة... لميل – تجعل العجوز هنت يبدو مثل كاس هول – وهو يتحدث منذ فترة مع اليميني العنيف رئيس إمبراطورية كورز للبيرة في دنفر. أراد أن يتولى العناية بالمجلة، ويجعلها ملكاً له. كان يرتدي قراب مسدس كولت 45 أثناء الاجتماع! لكنه لم يقل شكراً لك أيها المعلم كورز'.[14] وبينما كان لاسكي في 'المناطق الغابية والريفية يبحث عن المال'، حاول بلات أن يساعده وطلب المال من مؤسسة ويليام ويتني. فيما بعد، حين تمت مواجهته بدعم السي آي إي لمجلة *إنكاونتر* رد لاسكي فاتحاً النار قائلاً: حسناً، من الذي سيمنح النقود؟ السيدة العجوز الصغيرة التي تنتعل حذاء خفيفاً من ديديوك، آيوا؟ هل ستمنحك مليون دولار؟ حسناً، أعني، آمالاً كاذبة! من أين ستأتي النقود؟'[15]

استقال جميع المحررين الإنكليز المشتركين الذين عملوا مع لاسكي – سبيندر، كيرمود، نيجيل دينيس، د. ج. إنرايت – باستثناء المحرر الأخير، أنطوني هارتلي. وفعل لاسكي ما بوسعه كي يحافظ على ما بقي من العصابة القديمة، ونظم لقاءً أخيراً في برلين في 1992 احتفالاً بنهاية الحرب الباردة. ترأس اللقاء لاسكي، 'الذي كانت لحيته مدبَّبة بما يكفي كي تطعن أي رفيق طريق'.[16] واجتمع هناك المحاربون القدماء للصراع الثقافي: إرفنغ كريستول وزوجته، المؤرخة المحافظة جيرترود هيميلفارب، إدوارد شيلز، فرانسوا بوندي، روبرت كونكويست، ليو لابيدز، بيتر كولمان، رجال ونساء من إذاعة الحرية، وإذاعة أوروبا الحرة، كان بعضهم هزيلون، ولكن النار لا تزال تتوهج. وقال برنارد ليفن: هذا هو 'الجيش متعدد الألوان الذي قاتل،دون أن يطلق طلقة، ضد الأكاذيب من أجل الحقيقة، وضد السراب من أجل الواقع، وضد الاستسلام من أجل الصمود، وضد البربرية من أجل الحضارة، وضد الضربة الوحشية من أجل الكلمة المسالمة، ومن أجل الشجاعة التي يُصَفَّق لها ضد منح الأعذار للجبن. وبنحو معبِّر ببساطة أكبر: قاتل ضد الطغيان من أجل الديموقراطية. وكنا على صواب: كنا على صواب بشكل كامل،

وتام، وقابل للإثبات، وممتع،وحقيقي'.[17] ولقد أنقص الموت صفوف 'جيش الحقيقة هذا': هوك، كويستلر، آرون، مالرو، نابوكوف، سبيربر. ولكن لاسكي قلل عددهم أيضاً لأنه لم يوجّه دعوةً إلى أعضاء من هيئة *إنكاونتر خدموا طويلاً وبينهم* مارغوت والمسلي، أو ديانا جوسيلسون، أو سبيندر وزوجته. ولم يُذْكر اسم مايكل جوسيلسون مرة واحدة.

لم يذرف 'الجيش ذو الألوان المتعددة'، الذي تحدث عنه ليفن، الدموع حين انفجر النظام السوفياتي من الداخل. ومع ذلك، تحدث رجل الدعاية الإذاعي جورج أوربان باسمهم جميعاً حين قال إنه شعر 'بغصة ناجمة عن خسارة شريك معاد سقط على جانب الطريق كان قد خدمني بطرق ما. فالعدو الكامن وراء التلال،والقابل للرصد،الذي يسُمع في معظم الأحيان ولكن نادراً ما يشاهد، كان مصدر إعادة طمأنة. إن الحصول على عدو كبير وجيد يعادل الحصول على صديق كبير ويمكن أن يكون أفضل من ذلك حين يكون هناك استياء في صفوفنا. كان الصديق صديقاً، لكن العدو الجيد مهنة. أم هل أثر بي بشكل كامل، كما أتساءلُ أحياناً، انشغالي الطويل بالديالكتيك بحيث أنني لا أستطيع تخيل الحياة دون عدو؟'[18]

وبعد سقوط جدار برلين بوقت قصير، فاتح ضابط سابق في الكي جي بي جورج أوربان زاعماً أنه أدار مدرسة الكرملين للدعاية. 'وهل وجدت كتاباتنا في *إنكاونتر* مفيدة كمفتاح لما كان العدو يخطط له؟' سأله أوربان. 'مفيدة، مفيدة. وجدتها فاتنة بحيث أنت وزملاؤك فطمتموني عن قسمي وعن إيديولوجيتي وصرتُ منشقاً'، جاء الجواب. 'وكما ترين، كان مخطط *إنكاونتر* مقنعاً جداً. أنتجتّ الشك، ثم التمرد بين فترة وأخرى، وأخيراً سبَّبت الانشقاق في رأس جاسوس محترف!'[19] وروى أوربان الحادثة للاسكي، الذي شعر بالنشوة حين علم أن العدو درس *إنكاونتر*. 'أدهشني! يا له من إطراء أن الكي الجي بي تستخدم هذا الأمر! شعرنا في ذلك الوقت أن رأس الرمح الإيديولوجي هذا الذي ابتكرناه، نحن محاربي الحرب الباردة، يصيب الهدف، وظهر أننا على صواب.'[20] واختتمت ناتاشا سبيندر: 'إن أشخاصاً مثل لاسكي كانوا يفكرون تماماً كما يفكر الروس. كانت كلها لعبة استراتيجية بالنسبة لهم'.[21]

بقي فرانك بلات في مؤسسة فارفيلد، كمدير لها، حتى 1969 (حيث كانت أموالها لما قبل 1967 لا تزال تُوزع). وفي أيلول 1976، عمل بلات 'كدار مقاصَّة' و'موظف ارتباط' للجنة الكتاب المسجونين التابعة للبي إي إن في لندن. وأخبر جوسيلسون بعد شهرين قائلاً: 'طلب مني كورت (فونيغت)، وجاك ماك (مايكل سكاميل)، وآخرون أن أفكر بالإشراف على كتّاب البي إي إن المسجونين، وأتواصل مع سكاميل في لندن في *إنديكس أون سينسورشيب*، التي يشرف عليها لصالح البي إي إن. أي أن أعمل كمنسق. قلتُ: نعم، بالطبع. إنه عمل ممتع ومصاريف السفر متضمنة'.[22]

وفي الوقت نفسه، كان بلات يغذي جوسيلسون بشذرات منتظمة من الثرثرة حول السي آي إي، التي أحب أن يشير إليها بـ 'معمل الشوكولاتة'. وبعد أن فُضِحَ كولد مير بشكل علني كرئيس لمحطة لندن في 1975 – حين طلب أربعة وثلاثون عضواً في البرلمان من حزب العمل ترحيله – كتب بلات بشكل مزعج: 'في بلد العميان ربما شاهد الرجل ذو العين الواحدة الكتابة

على الجدار؟ من يعرف. كل ما أعرفه هو أن الوكالة في جحيم من الفوضى'.[23] وروى صحفي التقى بمبير فيما بعد في حفلة في جورج تاون أنه راقبه برعب وهو يضايق دبلوماسياً كندياً حول موضوع الانفصال الكندي. وكتب الصحفي، غير واع للرنين المخيف للمشهد، الذي تبع بعد أكثر من عقد ذلك المشهد الذي عانى فيه جوسيلسون من نوبة قلبية:'إن الدبلوماسي، الذي كان يعاني من مرض خطير في القلب، كان متضايقاً بشكل واضح، ولكن مير تابع إزعاجه، دون فكاهة، أو ذوق، أو رحمة'. وكما قال مراقب آخر:'إن جيل مير وطبقته، بعبارة كرومويل، لم يعتقدا مطلقاً أنهما يمكن أن يخطئا'.[24]

وفي الثالث والعشرين من 1983، تلقى جيمس برنهام الوسام الرئاسي للحرية من رونالد ريغان، الذي أطلق حملته سياسية تحت راية الحملة من أجل الحرية. وقالت الإشادة: 'منذ الثلاثينات صاغ السيد برنهام تفكير قادة العالم. غيَّرتْ ملاحظاته المجتمع وأصبحت كتاباته أضواء مرشدة في بحث الإنسانية عن الحقيقة. إن الحرية، والعقل، وآداب السلوك تمتلك قلة من الأبطال في هذا القرن أكثر عظمة من جيمس برنهام'.[25] بعد أسبوع، انتحر آرثر كويستلر بعد أن تناول جرعة مضاعفة من أقراص البربيتوريت المنوِّمة والكحول في شقته في لندن. وماتت معه زوجته الثالثة سينثيا جيفريز. كان في السابعة والسبعين، وكانت تصغره بعشرين عاماً. وفي 1988 أنزل كويستلر عن قاعدته – أزيلت عنه صفات الكمال – حين أزيل تمثاله النصفي من العرض العام في جامعة إدنبرة بعد أن كشف كاتب سيرته ديفد سيزاراني أنه كان مغتصباً عنيفاً للفتيات. وكتب أحد المراجعين بعد أن قرأ كتاب سيزاراني: 'انتهى ببساطة زمن كويستلر الذي وقع في شرك الصراعات القديمة، والإنتاج المفرط غير المهم، والسلوك السيئ طول حياته'.[26] ومات برنهام في 1978، لكن روحه عاشت في ويليم بكلي، الذي حرر له برنهام *ناشيونال ريفيو*. وفي 1990 صرَّح بكلي أن 'معارضة الولايات المتحدة المطولة للشيوعية هي واحدة من تجاربنا المشرفة الحقيقية'.[27]

وتابع توم برادن الاستمتاع بعمل ناجح كمحرر عمود صحفي لعدة صحف، ومضيف مشترك في برنامج حوار في السي إن إن يُدْعى النيران المتقاطعة. وفي 1975، بينما كانت لجنة حكومية تعد أكبر مراجعة حتى الآن للنشاطات الاستخباراتية الأمريكية، ألف برادن هجوماً عنيفاً على السي آي إي التي صنّفها في فئة القوة، والغرور، والهوس بالكذب. وكتب: إن ما حدث للسي آي إي معيب. كان يمكن أن تتألف من بضعة مئات من الباحثين لتحليل المعلومات، وبضعة مئات من الجواسيس في مناصب مهمة، وبضعة مئات من العاملين المستعدين للقيام بمهمات الأعمال الجريئة. وبدلاً من ذلك، أصبحت وحشاً هائلاً، له أملاك في جميع أنحاء العالم، يدير الطائرات والصحف والإذاعات والبنوك والجيوش والقوات البحرية، ويقدم الإغراء لوزراء خارجية متعاقبين، ويقدم لرئيس واحد على الأقل (نيكسون) فكرة متألقة: بما أن آلة الخداع موجودة، لماذا لا نستخدمها ؟'[28] واختتم برادن مؤيداً حل السي إي إي، ونقل وظائفها المتبقية (التي لا تزال مبررة) إلى وزارات أخرى. 'سوف أنقل المحاربين النفسيين ورجال الدعاية إلى صوت أمريكا. وعلى الأرجح لا ينتمي المحاربون النفسيون ورجال الدعاية

مطلقاً إلى وكالة سرية'.[29] وكتب أيضاً مسلسل *ثمانية يكفون*، وهو مسلسل فكاهي عن عائلة أمريكية بيضاء، تم إعداده للتلفزيون، وألهم فيما بعد The Brady Bunch. استقال في النهاية وذهب إلى ووبريدج، فيرجينيا، إلى منزل يحرسه ألزاسيان ضخمان لكنهما عاطفيان إلى حد مفرط.

ترك لورنس دي نوفيل السي آي إي بعد وقت قصير من انتفاضة هنغاريا في 1956. تولى وظائف مختلفة، قبل أن يصبح سمسار بورصة. بقي صديقاً مخلصاً لمايكل جوسيلسون الذي طوّعه دي نوفيل طوال كل تلك الأعوام الماضية في برلين. وحين أجريت معه هذه المقابلة في منزله في ويست هارتفورد، كونيكتيكت، سلّته فكرة أن سره سيُكْشف في النهاية. ومزح قائلاً: 'أعتقد أن الفتيان القدامى في بلدتي سوف يندهشون قليلاً'.[30] لكنه مات قبل أن يشهد ردود فعلهم.

وتابع ويليم كولبي إدارة برنامج فونيكس في فيتنام، والذي شمل تعذيب وقتل أكثر من عشرين ألفاً من الفيتكونغ. وكمدير للسي آي إي من 1973 إلى 1976 كان مسؤولاً عن تسريح جيمس جيسوس أنغلتون. وتحت إدارته، تعثرت الوكالة من فشل في العلاقات العامة إلى آخر. وبعد استقالته، تابع حصد فوائد عمله في التجسس من خلال بيع خدماته كمستشار لرؤساء أجهزة الاستخبارات الأوروبية الشرقية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. توفي في نيسان 1996، بعد أن سقط ورأسه إلى الأمام في المياه المدوِّمة لنهر بوتوماك.

وبعد أن استقال ستيفن سبيندر من مجلة *إنكاونتر* ربط نفسه باليسار الجديد، وأعاد اكتشاف حماسته الثورية. قابلته ماري مكارثي مرة في حزيران 1968 في اجتماع في السوربون أقامه الطلاب المتمردون. وقالت لحنا آرنت: 'كان ستيفن سبيندر جيداً جداً طول الوقت. رأيته كثيراً. أعتقد أنه كان يُكَفِّر عن تورطه مع السي آي إي'.[31] بالنسبة له، وعلى نحو مسل، ظهرت المشكلة الأخلاقية في منزله في بروفانس، أطلال تمّ شراؤها وأعيد بناؤها ببطء من العائدات، التي تم كسبها، بشكل محزن، من محاضراته الأمريكية. قرر في أيامه الأولى أنه لا يملك المنزل وأنه إذا أخذته الثورة لا مانع عنده. وكلما تحدث مع طالب غاضب، يقول له، ذهنياً: 'نعم، نعم، تستطيع أخذ منزلي! 'ولقد أخذ نقوداً إلى مجموعة من الأمريكيين المعارضين للخدمة الإلزامية وجدهم في عزلة كلية في أحد الأقسام، واعتقد أنهم يتضورون جوعاً'.[32] وفي 1972، أسس مجلة *إنديكس أون سينسورشيب* *Index on Censorship* بمنحة من مؤسسة فورد. وفي 1983 رُفِّعَ إلى رتبة فارس، إلى مواطن قديم وكبير في جمهورية الآداب. في السنوات التالية، أقر سبيندر أن الناس كانوا يقولون له إن مجلة *إنكاونتر* مرتبطة بالسي آي إي طوال سنوات، 'ولكن هذا كان مثل الأشخاص الذين يأتون كي يخبروك أن زوجتك غير مخلصة لك. ثم تسألها بنفسك، وإذا أنكرت تقتنع بذلك'.[33] لم يشترِ سبيندر أو يقرأ أي عدد آخر من *إنكاونتر*. وحين توفي في 1995 تحطمت الصلات الأخيرة مع الثلاثينات، ذلك الفجر الذي تحول إلى أكثر العصور سواداً. وتذكرت أرملته ناتاشا سبيندر بمرارة: 'إن جميع تلك الأعوام المبدَّدة، جميع الحجج، جميع المضايقات'، الناجمة عن علاقة ستيفن بالمنظمة من أجل الحرية الثقافية،

'أحدثت فيه تأثيراً رهيباً. كان متعباً، ومنهكاً من جميع المشاحنات، ولم يبد مطلقاً كأنه يملك الوقت لكتابة الشعر، الأمر الذي رغب به أكثر من أي شيء آخر'.[34]

توفي مايكل جوسيلسون في كانون الثاني 1978. ورغم الجهود الحثيثة للعثور على وظيفة، رفضه جميع المتعاونين معه في السابق. وفي 1972 رفضت له منحة من المجلس الأمريكي للجمعيات الثقافية. وكتب شيبارد ستون إلى السيناتور ويليم بينتون، مالك وناشر الموسوعة البريطانية، كي يزكي جوسيلسون، ولكن لم يكن هناك عمل في الأفق. حتى غيمبل - ساكس، شركة جوسيلسون القديمة، لم تستطع العثور له على أي شيء. وقالت له شركة تايم إنهم لم يستطيعوا العثور له على مكان، 'رغم جدارته الفائقة للعادة'. وفي آذار 1973 أُعلمَ أنه لم يُرَشَّح لمنحة ككينهايم. ورفضته أيضاً مؤسسة هوفر للحرب، والثورة والسلام.

وقبل ثماني سنوات من وفاته، وبالتعاون مع ديانا، جلس كي يكتب سيرة الجنرال باركلي دي تولي، الذي حل محله المشير كوتوزوف في قيادة الجيوش الروسية التي قاتلتْ نابليون في 1812. ولقد خدم السليل المباشر للجنرال الرائد نيكولاس دو تولي مع حكومة الولايات المتحدة العسكرية في برلين. ربما قابله جوسيلسون، وأثرت فيه حكاية قائد أستوني كبير أُذِلَّ بشكل غير عادل، والذي كتب عنه بوشكين:

عبثاً! حصد خصمك النصر المعد مسبقاً
في عقلك الرفيع، وأنت، منسياً، ومتحرراً من الوهم،
وراعياً للاحتفال، لفظت نفسك الأخير،
محتقراً لنا، ربما، في ساعة الموت.

كانت جنازة جوسيلسون في كانون الثاني 1978 هادئة. وقال لاسكي كاتباً إلى هوك: 'لو مات في تلك المناسبة حين أصلحوا قلبه من حوالي أربعة عشر عاماً، لكانت الجنازة مناسبة أوروبية غربية، لكان هناك ألف شخص لتوديعه'.[35] وقالت ديانا إن لاسكي 'ظهر في جنازة مايكل وسرق العرض'.[36] كان حاضراً أيضاً ممثل للسي آي إي اختار اللحظة كي يقدم لديانا وسام خدمة مايكل. 'كان هذا غير ملائم مطلقاً، كأنهم كانوا يقولون إنك فعلت ذلك من أجل الوسام، ولا شيء يمكن أن يكون أبعد من الحقيقة. لقد رفضت قبوله'.[37] وواصلت ديانا حياتها في شقة بلاتو دو شامبل، محاطة بتذكارات وصور تلك الأيام العنيفة حين بدت لها المنظمة من أجل الحرية الثقافية كأنها الثورة الفرنسية، أو حركة أكسفورد، أو الأيام المائة الأولى من إدارة كينيدي. وقالت إن مايكل 'عاش من أجل المنظمة، وفي النهاية مات من أجلها. ولكنها كانت أفضل شيء في حياتي. كانت سنوات رائعة'.[38]

وماذا عن الرابطة الأخوية، 'النادي الداخلي لرجال أقل تعرضاً للموت وأكثر وطنية'، الأقلية الصغيرة التي كانت تعرف ما ينبغي أن يعرفه الجميع لكنهم لم يعرفوه، التي قامت بأحكامها السرية باسم عصر جديد من التنوير. وقال أحد محاربي السي آي إي: ' أرادوا إتباع الطريقتين: أن يسيروا مع الشيطان سراً في الظلال، وأن يسيروا في الشمس'.[39] وبالنسبة

لكثيرين، كان التغير كبيراً. وكان مناصرو الحرب الباردة ضحاياه بالدرجة نفسها وفي الوقت نفسه، ودمرهم الغموض الأخلاقي للعبة الكبيرة.

في سنوات المنظمة الأخيرة، أصبح جاك تومسون، المحمي السابق لجون كراو رانسوم، موجهاً لدفة 'س. س. فارفيلد' – اسم سي آي إي حركي لمؤسسة فارفيلد – وصار 'مهووساً بإنقاذ الأفارقة من الروس، وسافر إلى هناك كثيراً'، بحسب جاسون إبشتاين. 'كان يقدم المنح للباحثين والمفكرين الأفارقة، وكانت حكوماتهم تسمح لهم بالذهاب شرط ألا يعودوا مطلقاً (كانوا سعداء في التخلص منهم). وما كان يفعله جاك، دون أن يدركه، هو أنه كان ينفيهم. بوسعك توقع الدخول في ورطة إذا أخذت مزاعم بـ لادك حرفاً'.[40] وانتحر فرانك ويزنر في 1965، دون أن يتماثل إلى الشفاء مطلقاً من الانهيار العصبي الذي ألم به بعد الثورة الفاشلة في هنغاريا. وكان بين منتحرين آخرين رويال تيلر، أحد أكثر المتعاونين مع آلن دلس نشاطاً، والذي انتحر في 1953، وجيمس فوريستال، وزير الدفاع بعد الحرب العالمية الثانية، أحد الرجال الذين ساعدوا في تصميم ذراع عمل أمريكا السرية، الذي انتحر في 1949. ووجه فيليب غراهام، ناشر *واشنطن بوست* بندقية إلى نفسه في 1963. 'وحقق أكثر أنواع النجاح تقليديةً. وأنجزه إلى درجة كبيرة. ثم نوعاً ما، تحول إلى غبار ورماد في فمه'،[41] – هكذا قال جوزيف آلسوب لإشعيا وهو ما يصلح أن يكون نقشاً على الضريح لهم جميعاً.

وخلف 'الحنين غير الخاضع للتدقيق إلى الأيام الذهبية للاستخبارات الأمريكية'، تكمن حقيقة مدمرة: إن الأشخاص أنفسهم الذين قرأوا دانتي وذهبوا إلى ييل وتربوا على الفضيلة المدنية قاموا بتطويع النازيين، وبالتلاعب بنتائج الانتخابات الديموقراطية، وقدموا مخدر هلوسة لأشخاص دون دراية منهم، فتحوا بريد آلاف المواطنين الأمريكيين، أطاحوا بالحكومات، ودعموا الديكتاتوريات، وخططوا للاغتيالات، وهندسوا كارثة خليج الخنازير. وسأل أحد النقاد: 'باسم ماذا؟ ليس باسم الفضيلة المدنية، وإنما باسم الإمبراطورية'.[42]

Notes and Sources

تم الرجوع إلى المجموعات الأرشيفية التالية:

AB/MoMA Alfred H. Barr Papers, Museum of Modern Art, New York
ACCF/NYU American Committee for Cultural Freedom Papers, Tamiment Library, New York University, NY
AWD/PU Allen Welsh Dulles Papers, Seeley Mudd Manuscript Library, Princeton University
BC/FO924/PRO British Council Record, Public Records Office, Kew, London
BCCB/FO924/PRO British Control Commission, Berlin, Public Rercords Office, Kew, London
CCF/CHI Congress for Cultural Freedom Papres, Joseph Regenstein Library of Chicago, Illinois
CDJ/DDE C.D. Jackson Papers and Records, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
CIA. HSC/RG263/NARA CIA History Source Collection, National Archives & Records Administration, Washington, DC
DM/STER Dwight Macdonald Papers, Sterling Memorial Library, Yale University
FA/COL Frank Altschul Papers, Butler Library, Columbia University, New York
GG/DDE Gordon Gray Papers, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
GoJUCL George Orwell Papers, University College, London
HLJCOL Herbert Lehman Papers, Butler Library, Columbia University, New York
IB/GMC Irving Brown Papers, American Federation of Labor-Congress of Industrial Relations, George Meany Center, Washington, DC
11101PRO Information Research Department, Public Records Office, Kew, London
Michael Josselson Papers, Harry Ransom Humanities Research Center, Austin, Texas
MS/COL Meyer Schapiro Papers, Butler Library, Columbia University, New York
Nicolas Nabokov Papers, Harry Ransom Humanities Research Center, Austin, Texas
NSF/LBJ National Security Files, Lyndon Baines Johnson Library, Austin, Texas
NSF/JFK National Security Files, John E Kennedy Library, Boston University
OCB/Cen/DDE Operations Coordinating Board, Central File Series, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
OMGUS/RG260/ Office of Military Government United States, National Archives & NARA Records Administration, Washington, DC
PEN/HRC International PEN Papers, Harry Ransom Humanities Research Center, Austin, Texas
SD.PPWIRG59/NARA State Department, Political and Psychological Warfare, National Archives & Records Administration, Washington, DC
PSB/DDE Psychological Strategy Board Records, Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas
Psychological Strategy Board Records, Harry S. Truman Library, Independence, Missouri
RH/COL Random House Papers, Butler Library, Columbia University, New York
SCHLES/JFK Arthur M. Schlesinger, Jr., Papers, John F. Kennedy Library, Boston
SD.CA/RG59/ State Department, Cultural Affairs Office,

	National Archives & Records NARA Administration, Washington, DC
ENC/S&W/RU	Encounter Papers, Secker & Warburg, NIS 1090, Reading University, Reading
WHO/DDE	White House Office, Office of the Staff Secretaries: Records I 952-196I/Cabinet Series, Dwight D. Eisenhower Library, Kansas
WHO-NSC/DDE	White House Office, National Security Council Staff Papers 1948-1961, Dwight D. Eisenhower Library, Kansas

أجرت المؤلفة جميع الحوارات عدا التي ذكرت بطريقة أخرى.

Introduction

1 Arthur Koestler, in Richard Crossman (ed.), The God That Failed: Six Studies in Communism, (London: Hamish Hamilton, 1950).
2 Saul Bellow, Humboldt's Gift (New York: Viking, 1975).
3 Arthur M. Schlesinger, Jr., A Thousand Days: John E Kennedy in the White House (London: Andr6 Deutsch, 1965).
4 Ibid.
5 National Security Council Directive, 10 July 1950, quoted in Final Report of the Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities (Washington: United States Government Printing Office, 1976).
6 Ibid. [My italics.]
7 Archibald Macl-eish, New York Times, 21 January 1967.
8 Tzvetan Todorov, 'The Communist Archives', Salmagundi, Summer 1997.

1 Exquisite Corpse

1 Willy Brandt, quoted in 'The Big Chill', Sunday Times, 5 January 1997.
2 Clarissa Churchill, 'Berlin Letter', Horizon, vol.13/75, March 1946.
3 Susan Mary Alsop, To Marietta from Paris 194S-1960 (New York:
Doubleday, 1975). See also Antony Beevor and Artemis Cooper, Paris After the Liberation, 1944-1949 (London: Hamish Hamilton, 1994).
4 Nicolas Nabokov, Old Friends and New Music (London: Hamish Hamilton, 1951).
5 James Burnham, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy:
The Congress for Cultural Freedom and the Struggle for the Mind of Postwar Europe (New York: The Free Press, 1989).
6 Michael josselson, 'The Prelude to My joining The "Outfit" (MJ/HRC).
7 Ibid.
8 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
9 Michael josselson, op.cit.
10 Nicolas Nabokov, Bagazh: Memoirs of a Russian Cosmopolitan (London: Secker & Warburg, 1975).
11 Benno D. Frank, Chief, Theater & Music Control, OMGUS Education & Cultural Relations Division, 30 June 1947, 'Cancellation of Registration for German Artists' (OMGUSIRG260/NARA).
12 Nicolas Nabokov, Old Friends and New Music.
13 Ibid.
14 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
15 Michael josselson, op.cit.
16 Nicolas Nabokov to Michael josselson, 28 October 1977 (MJ/HRC).

17- في اجتماع عقدته لجنة الاستفتاء في وزارة التربية لتقييم الموقف السياسي للفنانين، والمطربين، والموسيقيين، ومدراء الفرق والمنتجين الذي يؤدون بشكل مستقل أو الذين هناك نية لتوظيفهم في المسارح الفيدرالية، فيينا، 25 آذار 1946، تم الاتفاق على مايلي: النقص الصارخ في مدراء فرق من الدرجة الأولى يجعل من الملح أن ينشط كاراجان في الحياة الموسيقية النمساوية، وخاصة في مهرجان سالزبورغ لعام 1946، وذلك لأنه تم رفض أربع دعوات أرسلت الى مدراء فرق يمتلكون شهرة عالمية وهم توسكانيني، برونو والتر، لورد بيشام، واريك كليبر. لا شك أيضا أن كاراجان يجب أن يُصنَّف كمدير فرقة يتمتع بكفاءة أوروبية.

18 William Donovan, quoted in R. Harris Smith, OSS: The Secret History of America's First Central Intelligence Agency (Los Angeles: University of California Press, 1972).
19 Arthur Miller, Timebends: A Life (London: Methuen, 1987).
20 Gregory Bateson, Research & Analysis, OSS, to General Donovan, 18 August 1945 (CIA.HSC/RG263[NARA).
21 Richard Mayne, Postwar: The Dawn of Today's Europe (London: Thames & Hudson, 1983). Mayne's book is a vivid reconstruction of the physical and psychological conditions of post-Fascist Europe. I am indebted to his chapter on Berlin during the Allied occupation.
22 R. E. Colby, British Control Commission, Berlin, to Montague Pollock, 19 March 1947 (BCCB/F0924/PRO).
23 Alonzo Grace, Director, Education & Cultural Relations Division, 'Out of the. Rubble: An Address on the Reorientation of the German People', Berchtesgaden, undated (OMGUS/ RG2601NARA).
24 W G. Headrick, OMGUS Information Control Division, 'Facts About the US Information Centers in Germany', 19 August 1946 (OMGUS/RG260/NARA).
25 Amerika-Haus Review, July 1950 (OMGUSIRG260/NARA).
26 OMGUS Education & Cultural Relations Division, Theater & Music Section, 'Periodic Report', March 1947 (OMGUS/ RG260/NARA).
27 Lionel Royce, Theater & Music Section, OMGUS Education & Cultural Relations Division, to Hans Speier, Office of War Information, Washington, 12 May 1945 (OMGUS/RG260/ NARA).
28 Douglas Waples, Publications Section, OMGUS Information Control Division, 'Publications for Germany: Agenda for Pyschological Warfare Division and Office of War Information Conference', 14 April 1945 (OMGUSIRG260/NARA).
29 Ula Moeser, OMGUS Information Control Division, 'Political Education Program', undated (OMGUS/RG260/NARA).
30 Quoted in Amerika-Haus Review, July 1950 (OMGUS/RG260/ NARA).
31 Ibid.
32 Ralph Burns, Chief, OMGUS Cultural Affairs Branch, 'Review of Activities', July 1949 (OMGUS/RG260/NARA).
33 Ibid.
34 George C. Marshall, Harvard Commencement Address, 5 June 1947, printed in Foreign Relations of the United States, vol.3, 1947 (Washington: United States Government Printing Office, 1947).
35 John Crowe Ransom, 'Address to the Scholars of New England' (Harvard Phi Beta Kappa Poem), 23 June 1939, Selected Poems (New York: Knopf, 1964).
36 Harry S. Truman, Address to Congress, 12 March 1947, printed in Harry S. Truman, Memoirs: Year of Decisions (New York: Doubleday, 1955).
37 Dean Acheson, quoted in Joseph Jones, Fifteen Weeks (New York: Viking, 1955).
38 Joseph Jones, ibid.
39 Pravda,17 June 1947.
40 George Kerman, quoted in Walter L. Hixson, George E Kennan: Cold War Iconoclast (New York: Columbia University Press, 1989).
41 Walter L. Hixson, ibid.
42 Dennis Fitzgerald, quoted in ibid.
43 Richard Bissell, Reflections of a Cold Warrior: From Yalta to the Bay of Pigs (New Haven: Yale University Press, 1996).
44 Quoted in Americans for Intellectual Freedom, 'Joint Statement on the Cultural and Scientific Conference for World Peace', March 1949 (ACCF/NYU).
45 Andrei Zhdanov, 'Report on the International Situation', Politics and Ideology (Moscow: 1949).
46 Ibid.
47 MelvinLasky to Dwight Macdonald, 10 October 1947 (DMISTER).
48 Melvin Lasky, 'The Need for a New, Overt Publication', 7 December 1947 (OMGUS/RG260/NARA).
49 Ibid.
50 Ibid.
51 Melvin Lasky, 'Towards a Prospectus for the "American Review"', 9 December 1947 (OMGUS/RG260/NARA).
52 Jean Cocteau, quoted in Serge Guilbaut, 'Postwar Painting Games', Reconstructing Modernism (Cambridge: MIT Press, 1990).

2 Destiny's Elect

1 Final Report of the Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities (Washington: United States Government Printing Office, 1976). Hereafter, this report is referred to as 'Final Report of the Church Committee, 1976', after its chairman, Senator Frank Church.
2 Norman Mailer, Harlot's Ghost (London: Michael Joseph, 1991).
3 Quoted in New York Times, 25 April 1966.
4 William Colby, Honorable Men: My Life in the CIA (New York: Simon & Schuster, 1978).
5 Drew Pearson, quoted in R. Harris Smith, OSS.
6 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
7 Quoted in R. Harris Smith, op.cit.
8 ibid.
9 Ibid.
10 Nicolas Nabokov, Bagdzh.
11 George Kennan, quoted in Walter L. Hixson, George E Kennan.
12 George Kerman (writing as X), 'The Sources of Soviet Conduct', Foreign Affairs, vol.26, July 1947.
13 George Kerman, National War College Address, December 1947, quoted in International Herald Tribune, 28 May 1997.
14 Deborah Larson, The Origins of Containment: A Psychological Explanation (New Jersey: Princeton University Press, 1985).
15 National Security Council Directive 10/2, quoted in Final Report of the Church Committee, 1976.
16 Ibid.
17 Ibid.
18 Ibid.
19 Harry Rositzke, quoted in Evan Thomas, The Very Best Men: The Early Years of the CIA (New York: Touchstone, 1996).
20 Allen Dulles, quoted in Evan Thomas, ibid.
21 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
22 Harrison E. Salisbury, Without Fear or Favor: The New York Times and its Times (New York: Ballantine, 1980).
23 Edgar Applewhite, quoted in Evan Thomas, op.cit.

-24 التقرير النهائي للجنة تشيرش،١٩٧٦. كان الرابحون في مكتب ويزنر هم المدراء الذين استطاعوا أن ينتجوا معظم المشاريع. كان نموذجه شركة قانونية:كلما كثر الزبائن ازدادت القضايا وازدادت المكافأة. ايفان توماس، المصدر المقتبس منه سابقا.

25 William Colby, op.cit.
26 Michael Josselson, 'The Prelude to My joining The "Outfit"' (MJIHRC).
27 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
28 George Kennan to Nicolas Nabokov, 14 July 1948 (NN/HRC).

3 Marxists at the Waldorf

1 Arthur Miller, Timebends. For the Waldorf Astoria conference, see also Carol Brightman, Writing Dangerously: Mary McCarthy and Her World (New York: Lime Tree, 1993), and Nicolas Nabokov's colourful, though not entirely reliable, account in Bagdzh: Memoirs of a Russian Cosmopolitan.
2 Lionel Abel, quoted in Leonard Wallock (ed.), New York 1940-1965 (New York: Rizzoli, 1988).
3 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
4 Arthur Miller, op.cit.
5 Nicolas Nabokov, op.cit.
6 Arthur Miller, op.cit.
7 Dmitri Shostakovich, Testimony: The Memoirs of Dmitri Sbostakovich, Solomon Volkov (ed.) (New York: Harper & Row, 1979).

لا يزال هناك بعض الشك في أصالة مذكرات شوستاكوفيتش.يشتبه بأن هذه المذكرات التي نشرت قبل حقبة الغلاسنوست استخدمها السوفيات لأسباب دعائية.ولكن سواء خدم أهدافا دعائية أم لا إلا أنه يمكن النظر إلى شوستاكوفيتش بأنه يمثل مجموعة من فناني الكتلة الشرقية الذين استاؤوا من سطحية بعض الأمريكيين المعادين للشيوعية.

8 Norman Mailer, quoted in Carol Brightman, op.cit.

9 Arthur Miller, op.cit.

10- من غير المحتمل،رغم أن ليس من المستحيل،أن هوفر قرأ مخطوطة سبارتاكوس. ففي حملة الإف بي آي ضد الكتاب الأمريكيين كانت مسائل المحتوى تقريبا ثانوية بالنسبة لوضع المؤلف. وفي حالة هوارد فاست كان سجله كعضو في الحزب الشيوعي وظهوره في مؤتمر ولدورف كافيين لضمان غضب هوفر. انظر كتاب ناتالي روبنز،الحبر الغريب،حرب الإف بي آي على حرية التعبير، ويليم مورو، نيويورك ١٩٩٢.

11 Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
12 Nicolas Nabokov, op.cit.
13 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
14 Nicola Chiaromonte, quoted in Carol Brightman, op.cit.
15 Arthur Miller, op.cit.
16 Donald Jameson. interview, Washington, June 1994.

4 Democracy's Deminform

1 Carol Brightman, Writing Dangerously: Mary McCartby and Her World (New York: Lime Tree, 1993).
2 Ernest Bevin, 'Top Secret Cabinet Paper on Future Foreign Publicity Policy', 4 January 1948 (IRD/FO1 1 101PRO).
3 Robert Bruce Lockhart, The Diaries of Robert Bruce Lockhart, 1939-1965, Kenneth Young (ed.) (London: Macmillan, 1980).
4 Adam Watson, telephone interview, August 1998.
5 Sir Ralph Murray to Chief of Defence Staff. June 1948 (IRD/FO 111 O/PRO).
6 Adam Watson, telephone interview, August 1998.
7 Ernest Bevin, 'Top Secret Cabinet paper on Future Foreign Publicity', 4 January 1948 (IRD/FO 111 OfPRO).
8 Mamaine Koestler, Living with Koestler: Mamaine Koestler's Letters 1945-1951, Celia Goodman (ed.) (London: Weidenfeld & Nicolson, 1985).

9- مثل جورج بابيت،البطل الرمزي المضاد لرواية سنكلير لويس المتألقة التي صدرت في ١٩٢٢، الذي، وسط أزمة في منتصف العمر، تغريه فتنة الطرق البوهيمية والراديكالية السطحية كي يبتعد عن القيم الأمريكية الراسخة.

David Cesarani, Arthur Koestler: The Homeless Mind (London: William Heinemann, 1998). Cesarani's excellent biography gives a detailed account of Koestler's 1948 trip to the United States.
10 Arthur Koestler, quoted in lain Hamilton, Koestler: A Biography (London: Secker & Warburg, 1982).
11 jean-Paul Sartre, Les Temps modernes, October 1954.
12 Michael Warner, 'Origins of the Congress for Cultural Freedom', Studies in Intelligence vol.38/5, Summer 1995.

ولأن وارنر عمل كمؤرخ لهيئة السي آي إي،امتلك مدخلاً إلى مواد مصنفة غير متاحة لباحثين آخرين. ولهذا السبب هذه المقالة بلا قيمة. ولكنها تحتوي على عدة أخطاء وعمليات حذف، ويجب أن تقرأ وهذا في الذهن.

13 Arthur M. Schlesinger, Jr., The Vital Center: A Fighting Faith (Cambridge: Riverside Press, 1949).
14 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
15 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
16 Robert Bruce Lockhart, op.cit.
17 Ibid.
18 Richard Crossman to C. D. Jackson, 27 August 1948 (CDJ/DDE).
19 HICOG Frankfurt, 'Evaluation Report', 1950 (SD.CA/RG59/ NARA).
20 Richard Crossman (ed.), The God That Failed.
21 Ignazio Silone, Emergency Exit (London: Gollancz, 1969).
22 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
23 IRD, Top Secret Cypher, 24 March 1949 (IRD/FO1110/PRO).
24 Ibid.
25 Anthony Carew, 'The American Labor Movement in Fizzland: The Free Trade Union Committee and the CIN, Labor History, vol.39/1, February 1998.
26 Quoted in Michael Warner, op.cit.
27 Robert Bruce Lockhart, op.cit.
28 Sidney Hook, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
29 Sidney Hook, 'Report on the International Day of Resistance to Dictatorship and War', Partisan Review, vol.16/7, Fall 1949.

30 Ibid.
31 Michael Warner, op.cit.
32 Sidney Hook, 'Report on the International Day op. cit. [Hook's italics.]
33 Arthur Miller, Timebends.
34 Frank Wisner, quoted in Michael Warner, op.cit.
35 Ruth Fischer, quoted in Michael Warner, op.cit.
36 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
37 Michael Warner, op.cit.
38 Ibid.
39 Ibid.

5 Crusading's the Idea

1 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
2 Sidney Hook, Politics, Winter 1949.
3 Sidney Hook, 'The Berlin Congress for Cultural Freedom', Partisan Review, vol. 17/7, 1950.
4 Nicolas Nabokov, BagJzb.
5 Ignazio Silone, quoted in Celia Goodman (ed.), Living with Koestler.
6 Ignazio Silone, 3 April 1930, printed in La Stampa, 30 April 1996.
7 Ignazio Silone, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
8 Arthur Koestler, quoted in Peter Coleman, op.cit.
9 Ernst , quoted in Congress for Cultural Freedom brochure, undated (CCF/CHI).
10 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
11 MamaineKoestler, in Celia Goodman (ed.), op.cit.
12 James Burnham, 'Rhetoric and Peace', Partisan Review, vol.17/8, 1950.
13 Sidney Hook, op.cit.
14 James Burnham, op.cit.
15 Hugh Trevor-Roper, interview, London, July 1994.
16 Andre Philip, 'Summary of Proceedings', Berlin 1950 (CCF/CHI).
17 Melvin Lasky, interview, London, July 1994.
18 Hugh Trevor-Roper, interview, London, July 1994.
19 Sidney Hook, op.cit.
20 Arthur Koestler, quoted in Iain Hamilton, Koestler.
21 Edward Barrett, Truth is our Weapon (New York: Funk & Wagnalls, 1953

كان كثيرون آخرون يشاركون باريت في عواطفه.فمرة واجه صحفي أمريكي آرثر كويستلر وقال له: إن الشيوعيين السابقين يجب أن يخرسوا ويستقيلوا في أبرشية أو جزيرة صحراوية،بدلا من التجول وشرح الدروس للبشر الآخرين.إن إشارة باريت إلى فائدة الشيوعيين السابقين كمخبرين هي إشارة مهمة على أن الاستراتيجية السرية للحكومة الأمريكية في احتضان اليسار غير الشيوعي كانت سريعة في تأسيس نفسها .

22 Melvin Lasky, quoted in Boston Globe, 24 June 1950.
23 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
24 Hugh Trevor-Roper, interview, London, July 1994.
25 Tom Braden, interview, Virginia, June 1.994.
26 Mamaine Koestler, in Celia Goodman, op.cit.
27 Manifesto of the Congress for Cultural Freedom, July 1950 (CCF/CHI).
28 Ibid.
29 Quoted in Michael Warner, 'Origins of the Congress for Cultural Freedom', Studies in Intelligence vol.38/5, Summer 1995.

6 'Operation Congress'

1 Frank Wisner, 'Berlin Congress for Cultural Freedom: Activities of Melvin Lasky', in Michael Warner, 'Origins of the Congress for cultural Freedom', Studies in Intelligence vol.38/5, Summer 1995.

2 Michael Warner, op.cit. See also Evan Thomas, The Very Best Men: The Early Years of the CIA (New York: Touchstone, 1996), footnote on page 263.
3 Edward Shils, 'Remembering the Congress for Cultural Freedom', 1990 (unpublished proofs).
4 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.
5 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
6 'All CIA operations had cryptonyms preceded by a two-letter "diagraph" for signals security.' Evan Thomas. op.cit.
7 George Kerman to Robert Lovett, 30 June 1948 (SD.PPW/ RG591NARA).
8 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
9 E. Howard Hunt, Undercover: Memoirs of an American Secret Agent (California: Berkeley Publishing Corporation, 1974).
10 Miles Copeland, National Review, 11 September 1987.
11 C. D. Jackson to Abbott Washburn, 2 February 19S3 (CDJ/DDE).
12 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 11 September 1941 (MS/COL).
13 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
14 Arthur Koestler, 'Immediate Tasks for the Transition Period', 4 July 1950 (IB/GMC).
15 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
16 Manifesto of the Congress for Cultural Freedom, July 1950 (CCF/CHI).
17 Arthur Schlesinger to Irving Brown, 18 July 1950 (IB/GMC).
18 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
19 Ibid.
20 Peter Vansittart, In the Fifties (London: John Murray, 1995).
21 Robert Bruce Lockhart, The Diaries of Robert Bruce Lockhart, 1939-196S.
22 James Simmons, 'The Ballad of Bertrand Russell', Judy Garland and the Cold War (Belfast: Blackstaff Press, 1976).
23 Giles Scott-Smith, The Politics of Apolitical Culture: The Congress for Cultural Freedom and the Cultural Identity of Post-War American Hegemony 1945-1960 (unpublished Ph.D thesis, Lancaster University, 1998).
24 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
25 Nicolas Nabokov, Address to the Congress for Cultural Freedom, Berlin, July 1950 (CCF/CHI).
26 C. D. Jackson to Tyler Port, 8 March 1950 (CDJ/DDE).
27 Nicolas Nabokov to Irving Brown, 6 December 1950 (IB/GMC).

28- نيكولاس نابوكوف الى إرفنغ براون،٦ كانون الأول ١٩٥٠ .لا يزال مصدر الزيادة غير واضح.على أي حال،سجل راتب نابوكوف كمصروفات للمنظمة من أجل الحرية الثقافية،التي كانت تدعم بهبات من مؤسسة فارفيلد،التي هي واجهة للسي آي إي.

29 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', Saturday I Ivening Post, 20 May 1967.
30 William Colby, interview, Washington, June 1994.
31 Tom Braden, op.cit.
32 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
33 Ibid.
34 Ibid.
35 National Security Council Directive, March 1950, quoted in Scott Lucas, 'The Psychological Strategy Board', International History Review, vol.18/2, May 1996. See also, Trevor Barnes, 'The Secret Cold War: The CIA and American Foreign Policy in Europe 1946-56, part IF, The Historical journal, vol. 25/3, September 1982.

يكشف بارنز أن مجموعة من محللي السي آي أي نظرت الى خطة الكرملين المتقنة للسيطرة على العالم بريبة. استنتج مشروع جيكسو، وهو مراجعة سرية للغاية لشيوعية العالم،تمت في أواخر ١٩٤٩،أنه ليس هناك خطة كهذه، حتى ولو أن الكرملين تلاعب بالأحزاب الشيوعية لأمم أخرى. ربما كان جيكسو متأثراً بكينان،الذي كان يعيد التفكير بوجهات نظره في الاتحاد السوفياتي.لكن استنتاجاته كانت غير أرثوذكسية بحيث خُنِقَتْ حتى داخل الوكالة نفسها.

36 Edward Barrett, Trutb is our Weapon.
37 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.

استخدم برادن عبارة أخرى:'المعركة من أجل ذهن بيكاسو'. إذا أخذت حرفياً ستكون هذه بالطبع مهمة سيزيفية. حين سلك الفنان الأمريكي الشاب كليف جراي،الذي كان يخدم في الجيش الأمريكي، طريق الحج الى أستوديو بيكاسو بعد التحرير وصل في آخر الصباح ليجد بيكاسو في سرواله الداخلي وقد نهض لتوه من السرير.وقف بيكاسو الى جانب السرير يحمل نسخة من الصحيفة الشيوعية لومانيتيه بيد بينما كان يرفع الأخرى لخادمه جيمي سابارتيس كي يدخلها في كم قميص،ثم

نقل الصحيفة الى اليد الأخرى بينما كان سابارتيس يسحب الكم الآخر.كان بيكاسو على وشك الانضمام إلى الحزب الشيوعي وقال للعالم: إن المرء يذهب إلى الحزب الشيوعي كما يذهب إلى نبع ماء عذب.والمشهد موصوف في كتاب أنتوني بيفور وأرتيمس كوبر، *باريس بعد التحرير*،1944، 1967.

38 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', Saturday Evening Post, 20 May 1967.
39 Arthur Koestler to Bertrand Russell, 1950, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.

40-أعطيت المسؤولية لرؤساء فروع آخرين لمجموعة واجهات قسم المنظمات العالمية المتسارعة النمو والتي خلقها برادن ردا على المراوغة السوفياتية. رد على الرابطة الدولية للمحامين الديموقراطيين المدعومة من الشيوعيين بالمفوضية الدولية للمحلفين، ومن أجل مجلس السلم العالمي كان هناك اللجنة القومية لأوروبا الحرة،وتم تحدي الاتحاد الديموقراطي الدولي للنساء المدعوم من الكومنفورم باللجنة الدولية للنساء،وتم تحدي الاتحاد الدولي للطلبة باتحاد الطلاب القومي الذي اخترقته السي آي اي، وتم تحدي الاتحاد العالمي للشباب الديموقراطي بالمجلس العالمي للشباب، وتم تحدي المنظمة الدولية للصحفيين بالاتحاد الدولي للصحفيين الأحرار،وتم تحدي الاتحاد العالمي للنقابات التجارية بالاتحاد الدولي للنقابات التجارية الحرة.

41 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
42 Nicolas Nabokov, Bag?zh.
43 Nicolas Nabokov to James Burnham, 6 June 1951 (CCF/CHI).
44 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
45 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
46 Nicolas Nabokov to James Burnham, 27 June 1951 (CCF/CHI).
47 Peter Coleman, op.cit.
48 Franqois Bondy and Georges Altman to Michael Josselson, October 1950 (IB/GMC).
49 Nicolas Nabokov to Irving Brown, 3 September 1951 (IB/GMC).

50-كانت هناك أسباب قوية لمحاولة إسكات الصخب المضاد للكنيسة في إيطاليا في هذا الوقت،كان لورنس دي نوفيل منخرطاً في محادثات على درجة عالية من الحساسية مع الفاتيكان كجزء من مبادرة للسي آي أي لنشر نقابات تجارية كاثوليكية في أنحاء أوروبا كقوة مضادة لمجموعات العمل التي يهيمن عليها الشيوعيون.وكان استياء السي آي إي كبيرا من نقد أحد أرصدتها علنا للكنيسة.

51 Nicolas Nabokov to James Burnham, 6 June 1951 (CCF/CHI). 52 Ibid.

7 Candy

1 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
2 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
3 Richard Bissell, Reflections of a Cold Warrior.
4 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
5 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
6 Ibid.
7 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
8 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
9 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
10 Walter Laqueur, 'Anti-Communisin Abroad: A Memoir of the Congress for Cultural Freedom', Partisan Review, Spring 1996.

11-مقابلة مع سونينبرغ، نيويورك، شباط 1997. بعد أن عين سكرتيراً للجمعية البريطانية للحرية الفكرية في أواخر 1952،استدعي جاسبر ريدلي الى باريس كي يشرح سبب إخفائه لحقيقة انتمائه سابقاً إلى الحزب الشيوعي. وبحسب ديانا جوسيلسون كان ينبغي على زوجها أن يمنح موظفي المنظمة موافقة السي آي إي الأمنية، ولقد جعلته هذه المراقبة يبدو غبيا جداً في واشنطن. إن قصة ريدلي عن هذا الاستدعاء تسبب القشعريرة:كان نابوكوف يسألني،لكن جوسيلسون كان يقاطع أجوبتي وأسئلته وهو يسير في الغرفة وينبح بالأسئلة والملاحظات المقحمة... كان مثل ممثل يلعب دور موظف جهاز سوفياتي مهيمن ومتنمر'. جاسبرز ريدلي،مقابلة بالهاتف،آب 1997.

12 Michael Goodwin to Nicolas Nabokov, 15 January 1952 (CCF/CHI).

13 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997. 14 Nicolas Nabokov to Michael Goodwin, 19 December 1951 (CCF/CHI). 15 Michael Goodwin to Nicolas Nabokov. 31 December 1951 (CCF/CHI).
14 Nicolas Nabokov to Michael Goodwin, 19 December 1951 .CCF-CHI.
15 Michael Goodwin to Nicolas Nabokov,31 December 1951.

16- تذكر جاسبر ريدلي أن سبيندر كان قادراً على العداوة الصريحة. حين زاره في ذلك الوقت إلى منزله كي يناقش معه مسألة ما متعلقة بالجمعية البريطانية للحرية الثقافية وجد ستيفن في مزاج فولاذي، وزوجته ناتاشا أكثر عدائية. تابعت العزف على البيانو دون أن تسلم أو تستدير كي تنظر إلي'. جاسير ريدلي، محادثة على الهاتف،آب 1997.

17 John Clews to Nicolas Nabokov, 27 June 1952 (CCF/CHI).
18 jasper Ridley, telephone interview, August 1997.

8 Cette F&e Am6ricaine

1 Nicolas Nabokov to Irving Brown, undated, 1951 (IB/GMC).
2 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
3 Nicolas Nabokov to Irving Brown, undated, 1951 (CCF/CHI).
4 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
5 Thomas Jennings, Public Affairs Officer, American Consulate, Marseilles, to State Department, 'Report on concerts of Smith College Chamber Singers in southern France', 11 August 1952 (SD.CA/RG59/NARA).
6 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
7 Susan Sontag, 'Pilgrimage', The New Yorker, 21 December 1987.
8 Nicolas Nabokov to Irving Brown, undated, 1951 (IB/GMC).

9- ألبيرت دونيللي، جي آر، إلى جوليوس فلايشمان، 15 تشرين الثاني 1951 . كانت أمريكا ميالة إلى إرسال النوع المناسب من الأمريكيين الأفارقة الى الخارج، ولكن ليس أولئك الذين كان يهددون بإلحاق الضرر بالمصالح الأمريكية. حين أعلن السيد المبجل آدم كليتزن باول، عضو الكونغرس المحتفى به، ووزير هارلم السابق،أنه سيحضر مؤتمر باندونغ في 1955، حاول سي دي جاكسون إقناع نيلسون روكفيلر أن يعيق طلبه للحصول على الفيزا، على أساس 'أنه منذ زمن غير طويل كانت مغازلات باول للشيوعيين تسبب صدمة' .سي دي جاكسون إلى نيلسون روكفيلر في 28 آذار 1955.

1955 (CDJ/DDE).
10 James Johnson Sweeney, press release, 18 April 1952 (ACCF/NYU).
11 Quoted in American Embassy, Paris, report to State Department, 'Local Press Reaction to Congress for Cultural Freedom', 9 May 1952 (SD.CA/RG59/NARA).
12 Janet Flanner, 'Letter from Paris', The New Yorker, 20 May 1952.
13 Janet Flanner, 'Festival of Free World Arts', Freedom and Union, September 1952.
14 Guy Dumur, Combat, quoted in American Embassy, Paris, report to
State Department, 'Local Press Reaction to Congress for Cultural Freedom', 9 May 1952.
15 Combat, ibid.
16 Serge Lifar, ibid.
17 Franc-Tireur, ibid.
18 L'Humaniti, ibid.
19 C. D. Jackson to Klaus Dohrn, 16 August 1956 (CDJ/DDE).
20 Janet Flanner, 'Festival of Free World Arts', Freedom and Union, September 1952.
21 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
22 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
23 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
24 C. D. Jackson to Francis Hatch, 5 September 1952 (CDJ/DDE).
25 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
26 Farfield Foundation brochure (CCF/CHI).
27 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
28 Tom Braden, telephone interview, October 1997.
29 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
30 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
31 Ibid.
32 Nicolas Nabokov, Bagazh.
33 Graham Greene, The Quiet American (London: Bodley Head, 1955).

9 The Consortium

1 Certificate of Incorporation of Committee for Free Europe, Inc., 11 May 1949 (CJD/DDE).
2 Dean Acheson, quoted in G. J. A. O'Toole, Honorable Treachery: A History of U. S. Intelligence, Espionage, and Covert Action from the American Revolution to the CIA (New York: Atlantic Monthly Press, 1991).
3 Certificate of incorporation of Committee for Free Europe, Inc., op.cit.

بحسب تقرير اللجنة السري حول المحطات الصديقة، كان أحد أهدافها الرئيسية هو 'زيادة الضغوط النفسية التخريبية على مركز القوة السوفياتي' و'ابتكار أسلحة سيكولوجية جديدة من أجل حرب باردة هجومية'. قال التقرير أيضاً: إن 'الدعاية المنفصلة عن الفعل ترتد بشكل محتم على مستخدمها'، وهذا تحذير في حينه نظراً لما كان سيحدث في هنغاريا في ١٩٥٦.

4 Blanche Wiesen Cook, The Declassified Eisenhower: A Divided Legacy of Peace and Political Warfare (New York: Doubleday, 1981).
5 Harrison E. Salisbury, Without Fear or Favor.
6 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
7 National Committee for a Free Europe Inc., 'Report to Members', 5 Jan 1951 (CDJ/DDE).
8 Philip Barbour, Radio Free Europe Committee, to Frank Altschul, 'Report from Research Department, 23 March 1950 (FA/COL).
442 Notes and Sources
9 Henry Kissinger, The White House Years (London: Weidenfeld & Nicolson, 1979).

10- جين بارنز،اقتباس في كتاب إيفان توماس،*أفضل الرجال*.

قدمت وكالة الاستخبارات المركزية لإيفان توماس مدخلاً غير مسبوق إلى المعلومات وذلك من أجل كتابه، كما فعلت عائلات 'أفضل الرجال' كما في عنوانه. وهذا الكتاب الذي هو دراسة تاريخية وسيرة جماعية يعتبر من أفضل المراجع في موضوعه وأنا مدينة له كونه هكذا.

11 William Colby, interview, Washington, June 1994.
12 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
13 J. M. Kaplan to Allen Dulles, 10 August 1956 (CDJIDDE).
14 Final Report of the Cox Committee, 1952, quoted in Ren6 Wormser, Foundations: Their Power and Influence (New York: Devin-Adair, 1958).
15 Final Report of the Church Committee, 1976.
16 Ibid.
17 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
18 Cord Meyer, Facing Reality: From World Federalism to the CIA (Maryland: University Press of America, 1980).
19 Richard Bissell, Reflections of a Cold Warrior.
20 James Laughlin, quoted in Kathleen D. McCarthy, 'From Cold War to Cultural Development: The International Cultural Activities of the Ford Foundation 1950-1980', Daedalus, vol.116/1, Winter 1987.
21 Quoted in Kathleen D. McCarthy, ibid.
22 Irving Kristol to Stephen Spender, 25 March 1953 (CCF/CHI).
23 Kai Bird, interview, Washington, June 1994.
24 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
25 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
26 Neil Berry, 'Encounter', London Magazine, February-March 1995.

10 The Truth Campaign

1 Wait Rostow, telephone interview, July 1997.
2 C. D. Jackson, 'Notes of meeting', 28 April 1952 (CDJ/DDE).
3 Dwight D. Eisenhower, quoted in Blanche Wiesen Cook, The Declassified Eisenhower.
4 Charles Burton Marshall to Walter J. Stoessel, 18 May 1953 (CDJ/DDE).
5 Ibid.
6 Ibid.

7-دونالد جيمسون، مقابلة، حزيران ١٩٩٤.من وجهة نظر السي آي إي هذه الصورة هي في الحقيقة صورة الكلب الذي يُقاد برسن طويل جداً. وكان السبب الرئيسي لنجاحها مع المفكرين الذين قيل إنهم التزموا بالحرية والاستقلالية هو حساب الوكالة أن البعض، هذا إن لم يكن الجميع، يجب أن يبقوا دون دراية لأنهم كانوا على انسجام تام مع سياسة الوكالة، أو يمكن أن يكونوا أكثر تعاوناً إذا سمح لهم أن يتصرفوا وكأنهم لا يدرون. ريتشارد إيلمان، جماليات السي آي أي (مخطوط غير منشور).

8 Raymond Allen, quoted in Scott Lucas, 'The Psychological Strategy Board', International History Review, vol.18/2, May 1996.
9 Psychological Strategy Board, 'US Doctrinal Program', 29 June 1953 (pSB/DDE).
10 Scott Lucas, op.cit.
11 C. D. Jackson, Log Files (CDJ/DDE).
12 ibid.
13 C. D. Jackson to Henry Luce, 28 April 1958 (CDJ/DDE).
14 C. D. Jackson to Abbott Washburn, 2 February 1953 (CDJ/DDE).
15 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
16 Diana josselson, interview, Geneva, March 1997.
17 ibid.
18 ibid.

19-المصدر نفسه.كانت صلات إرفنغ براون كثيرة ومتنوعة.وبوجود هذه المبالغ النقدية الضخمة تحت تصرفه وجد نفسه يتعامل مع بعض الشخصيات الخطيرة.وتظهر وثائق مكتشفة حديثاً أن المكتب الفيدرالي لمكافحة المخدرات كان يتعقب براون في منتصف الستينات للاشتباه بتهريبه للمخدرات (أو القيام بعمليات لغسل الأموال من تهريب المخدرات).تربط الوثائق بين براون وزعماء عصابات إجرامية فرنسيين من ذوي السمعة السيئة،ومع نظرائهم في المافيا الإيطالية.مذكرات المكتب الفيدرالي لمكافحة المخدرات،تشرين الأول ١٩٦٥ .أنا ممتنة لتوني كارو لأنه أطلعني على هذه الوثائق.

20 Tom Braden, interview, Virginia, J1996.
21 Diana josselson, interview, Geneva, March 1997.

11 The New Consensus

1 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
2 Irving Kristol, interview, Washington, July 1996.
3 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.

4-أشير الى صلات سيدني هوك مع السي آي إي وهيئة الاستراتيجية النفسية في رسالة من جوردون جري في الرابع من تشرين الأول ١٩٥١ .وبحسب لورنس دي نوفيل،كان هوك مستشاراً منتظماً للسي آي إي حول مسائل المصالح المتبادلة. في ١٩٥٥ انخرط هوك بشكل مباشر في مفاوضات مع آلن دلس وكورد ميير في مقر السي آي إي لضمان التمويل للجنة الأمريكية من أجل حرية الثقافة المريضة.

5 Sidney Hook, 'To Counter the Big Lie - A Basic Strategy', New York Times Magazine, 11 March 1951.
6 Elliot Cohen, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
7 Norbert Muhlen, quoted in Peter Coleman, ibid.
8 'Our Country and Our Culture', Partisan Review, May-June 1952.
9 Norman PoAoretz, Making It (London: Jonathan Cape, 1968).
10 William Phillips, quoted in Leonard Wallock (ed.), New York.
11 Lionel Trilling, quoted in Leonard Wallock, ibid.
12 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
13 Quoted in Leonard Wallock, op.cit.
14 Dwight Macdonald, 'Politics Past', Encounter, March 1957.
15 Michael Wreszin, A Rebel in Defense of Tradition: The Life and Politics of Dwight Macdonald (New York: Basic Books, t994).
16 Philip Rahv, quoted in Hugh Wilford, 7be New York Intellectuals (Manchester: Manchester University Press, 1995).
17 Daniel Bell to John Leonard, editor, Sunday Times Book Review, 16 October 1972 (MJ/HRC).
18 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
19 Sidney Hook to Irving Brown, 31 October 1951 (IB/C;MC).

20 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
21 C. I). Jackson to Abbott Washburn, 2 February 1953 (CIDJ/DDE).
22 Richard Fletcher, 'How CIA Money Took the Teeth out of British Socialism', in Philip Agee and Louis Wolf, Dirty Work: The CIA in Wcstern.Europe (New York: Dorset Press, 1978).
23 Tom Braden, telephone interview, June 1998.

12 Magazine 'X'

-1جاسبر ريدلي، مقابلة هاتفية، آب ١٩٩٧.'أتفق بشكل كامل أن مجلة *نيو ستيتسمان* هدف مهم، ويجب أن يتم التعامل معها منهجياً'، هذا ما قاله مايكل جودوين لنيكولاس نابوكوف، ١٥ كانون الثاني ١٩٥٢. لم تكن جهود جودوين كافية لإرضاء رعاته السريين. فيما بعد تولت اللجنة الأمريكية من أجل حرية الثقافة اهتمام واشنطن بتدمير نفوذ *نيو ستيتسمان*.واحتقرت اللجنة روح المصالحة في المجلة مع الشيوعية والكسل الأخلاقي إزاءها، واقترحت بياناً مفصلاً حول *نيو ستيتسمان ونيشن* لفضح خط تسويتها مع التوتاليتارية، يوزع عالمياً لقراء اللغة الإنكليزية'. اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة، مذكرة، ١٦ كانون الثاني ١٩٥٥.
2 Malcolm Muggeridge, Like It Was (London: Collins, 1981).
3 Tosco Fyvel to Irving Brown, 4 August 1951 (IB/GMQ.
4 C. D. Jackson to William Griffin, 11 May 1953 (CDJ/DDE).
5 Kim Philby, My Silent War (New York: Grove Press, 1968).
6 Ibid.
7 Christopher Montague Woodhouse, Something Ventured (London: Granada, 1982).
8 Ibid.
– 9 ترك كيم روزفلت السي آي إي في ١٩٥٨، ثم أصبح شريكاً في شركة علاقات عامة في واشنطن تمثل، بين زبائن عالميين آخرين، حكومة إيران.
10 Stephen Spender, 'My Parents', in Collected Poems, 1928-1985 (London: Faber & Faber, 1985).
11 Stephen Spender, journals, 1939-1983 (London: Faber & Faber, 1985).
12 Anita Kermode, interview, Devon, July 1997.
13 Stephen Spender, 'We Can Win the Battle for the Mind of Europe', Neu, York Times Magazine, 25 April 1948.
14 Ibid.
15 Ravniond Aron, 'Does Europe Welcome American Leadership?', Saturday Review, 13 January 195 I.
16 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
17 Natasha Spender, telephone interview, August 1997.
18 Irving Kristol to Frederic Warburg, 26 February 1953 (ACCF/NYU).
19 Michael Josselson to Stephen Spender, 27 May 1953 (CCF/CHI).
20 Christopher Montague Woodhouse, telephone interview, July 1997.
21 Lawrence de NeUtVille, telephone interview, April 1997.
22 Malcolm Muggeridge, 'An Anatomy of Neutralism', Time, 2 November 1953.
23 Malcolm Muggeridge, Chronicles of Wasted Time: The Infernal Grove (London: Collins, 1973).
24 jasper Ridley, letter to the author, 3 1 October 1997.
25 Michael Josselson to Stephen Spender, 5 March 1953 (MJ/HRQ.
26 Stephen Spender to Irving Kristol, undated (ACCF/NYU).
27 Irving Kristol to Stephen Spender, 26 March 1953 (ACCFINYU).
28 Christopher Montague Woodhouse, telephone interview, July 1997.
29 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
30 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
31 Philip Larkin, in Selected Letters of Philip Larkin, 1940-1985 (London: Faber & Faber, 1992).
32 John Thompson, telephone interview, August 1996.
33 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.
34 Irving Kristol to Michael Josselson, 15 September 1953 (CCF/CHI).
35 Irving Kristol to Michael Josselson, 16 September 1953 (CCF/CHI).
36 judge Irving Kaufman, quoted in New York Times, 5 April 1951.
37 Jean-Paul Sartre, quoted in Stephen J. Whitfield, The Culture of the Cold War (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 199 1).
38 Ben Bradlee, A Good Life: Newspapering and Other Adventures (London: Simon & Schuster, 1995).
39 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
40 Douglas Dillon to State Department, 15 May 1953 (CJD/DDE).

41 Bowen Evans, Office of Intelligence Research, to Jesse MacKnight, Psychological Strategy Board, 14 January 1953 (PSB/DDE).
42 Douglas Dillon to State Department, 15 May 1953 (CJD/DDE).
43 Charles Taquey to C. E. Johnson, Psychological Strategy Board, 29 March 1953 (CJD/DDE).
44 C. D. Jackson to Herbert Brownell, 23 February 1953 (CJD/DDE).
45 C. D. Jackson, 'Memo for the file', 27 May 1953 (CJD/DDE).
46 Handwritten notes of the Cabinet meeting, 19 June 1953 (WHO/DDE).
47 Ibid.
48 Ibid.
49 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
50 American Committee for Cultural Freedom to President Eisenhower, 13 June 1953 (CCF/CHI).
51 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
52 Quoted in Hugh Wilford, The New York Intellectuals.
53 Leslie Fiedler, 'A Postscript to the Rosenberg Case', Encounter, October 1953.
-54 كان ألجر هيس دبلوماسياً ر دأ، اشتبه به في ١٩٤٩ بأنه جاسوس سوفياتي في وزارة الخارجية. أدانته هيئة المحلفين الكبرى الفيدرالية بالحنث باليمين وملأت قضيته الصحف واستهلكت الخطاب السياسي الأمريكي. في النهاية لم يحكم عليه بتهمة التجسس وإنما بتهمة الحنث باليمين وصدر بحقه حكم بالسجن لمدة خمس سنوات في كانون الثاني ١٩٥٠.
55 Leslie Fiedler, 'A Postscript to the Rosenberg Case', Encounter, October 1953.
56 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 4 September 1940 (MS/COL).
57 Sidney Hook, quoted in Irving Kristol to Michael Josselson, 4 August 1953 (CCF/CHI).
58 E. M. Forster, quoted in Stephen Spender to Michael Josselson, 22 October 1953 (MS/COL).
59 Stephen Spender to Michael Josselson, ibid.
60 Ibid.
61 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
-62 كريستوفر مونتاغ وودهاوس، مقابلة هاتفية، كانون الأول ١٩٩٧. لم يكن وودهاوس قادراً على تذكر أين حدث المشهد. ذلك أن وودهاوس كان يلتقي بسبيندر بين فترة وأخرى في لقاءات اجتماعية. كان أيضاً مساهماً في مجلة *إنكاونتر*، رغم أنه كان موسوساً حيال إخفاء علاقاته مع الإم آي سيكس عن محرريها، وبشكل طبيعي عن قرائها.

63 Stephen Spender to Michael Josselson, 22 October 1953 (CCF/CHI).
-64 أنطوني هارتلي، *ذ سبيكتيتور*،التاسع من تشرين الأول،١٩٥٣ .لو انتابت هارتلي شكوك في ذلك الوقت لأقنع نفسه أنه كان مخطئاً في ١٩٦٢، حين أصبح محرراً في الخارج لمجلة *ذ سبيكتيتور*، كانت *إنكاونتر* تدفع نصف راتبه. ثم أصبح محرراً مشاركاً فيها إلى جانب ميلفن لاسكي.كان هناك نموذج ما في هذا النوع من المحادثة.راقب جوسيلسون نقاد *إنكاونتر* أو المنظمة بشكل عام، وكرس طاقته لجلبهم إلى المكان الصحيح.وفي ١٩٥٥، وبعد شهور من قوله في *نيوستيتسمان* أن *إنكاونتر* 'ينظر إليها بريبة لأنها ممولة بشكل واضح والناس يريدون أن يعرفوا من مولها ووضع خطها'، برز ديفد ديتشز كمساهم في *إنكاونتر*،وهذا مكسب صغير لكنه يمتلك دلالة في ما يصفه نيل بيري بحملة *إنكاونتر* 'لتقويض هيمنة *نيوستيتسمان* الإيديولوجية' .نيل بيري، في مقالة بعنوان إنكاونتر نشرت في لندن ماغازين،شباط_آذار ١٩٥٥.
65 Graham Hough, text of a broadcast for the Third Program, BBC Radio, May 1954 (CCF/CHI).
66 A. J. P. Taylor, Listener, 8 October 1953.
67 Mary McCarthy to Hannah Arendt, in Carol Brightman (ed.), Between Friends: The Correspondence of Hannah Arendtand Mary McCarthy 1949-1975 (London: Secker & Warburg, 1995).
68 Richard Wollheim, telephone interview, December 1997.
69 Stephen Spender tIrving Kristol, 24 April 1954 (CCF/CHI).
70 Michael Josselson to Irving Kristol, 4 October 1954 (CCF/CHI). 71 Stephen Spender to Michael Josselson, 10 July 1955 (CCF/CHI).

13 The Holy Willies

1 Susan Mary Alsop, To Marietta from Paris.
2 Richard Rovere, quoted in Stephen Whitfield, The Culture of the Cold War.
3 Arthur Miller, Timebends.
4 William Colby, interview, Washington, June 1994.

5 Howard Fast, quoted in Natalie Robins, Alien Ink.
6 Quoted in Stephen Whitfield, op.cit.
7 Stephen Whitfield, op.cit.
8 Quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, Advancing American Art: Painting, Politics and Cultural Confrontation (Alabama: University of Alabama Press, 1989).
9 State Department and USIA cables, April-July 1953 (SD.CA/RG59/NARA).
10 American Embassy, Paris, to State Department, 20 April 1953 (SD.CA/RG59/NARA).

11- تذكر توم برادن أنه كان مذعوراً جداً من الأنباء التي قالت إن توماس مان كان يستعد للعودة إلى أوروبا، وبالفعل عاد إلى أوروبا في ١٩٥٢.

12 Stephen Whitfield, op.cit.
13 Natalie Robins, op.cit.
14 Ibid.
15 Arthur Miller, op.cit.
16 Murray Kempton, quoted in Natalie Robins, op.cit.
17 Handwritten notes of the Cabinet meeting, 10 July 1953 (WHO/DDE).
18 Robert W. Merry, Taking on the World: Joseph and Stewart Alsop, Guardians of the American Century (New York: Viking Penguin, 1996).
19 Lyrnan Kirkpatrick, The Real CIA (New York: Macmillan, 1968).
20 Ibid,
21 Roy Cohn, McCarthy (New York: New American Library, 1968).
22 Arthur Schlesinger, interview, New York, June 1994.
23 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
24 Kai Bird, interview, Washington, June 1994.
25 James T. Farrell, quoted in American Committee for Cultural Freedom, 'Minutes of Planning Conference', I March 1952 (IB/GMC).
26 Dwight Macdonald, ibid.
27 Bertram Wolfe, ibid.
28 Bm is Shub, ibid.
29 Richard Rovere, ibid.
30 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 14 March 1952, in Carol Brightman (ed.), Between Friends.
31 Ibid.
32 Ibid.
33 Max Eastman, 'Who Threatens Cultural Freedom in Arnerica?', 29 March 1952 (ACCF/NYU).
34 Ibid.
35 Richard Rovere, 'Communists in a Free Society', 29 March 1952 (ACCF/NYU).
36 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
37 Frank Wisner, Deputy Director CIA, to Deputy Assistant Director for Policy Coordination, in Michael Warner (ed.) Cold War Records: The CIA Under Harry Truman (Washington: Center for the Study of Intelligence, CIA, 1994).
38 Ibid.
39 Arthur Schlesinger to Nicolas Nabokov, 18 June 1951 (NN/HRC).

40- استناداً إلى التقرير النهائي للجنة الكنيسة،١٩٦٧، كان 'الدعم' مصطلح السي آي إي 'لتقديم التصديق والدعم الملائمين المتعلقين بترتيبات التغطية لعميل أو رصيد خشية التحقيقات أو أفعال أخرى يمكن أن تمس مصداقية غطاء العميل أو الرصيد."

41 Tom Braden, telephone interview, October 1997.
42 jasper Ridley, letter to the author, 31 October 1997.
43 T. R. Fyvel, 'The Broken Dialogue', Encounter, April 1954.
44 Leslie Fiedler, 'McCarthy', Encounter, August 1954.
45 Peregrine Worsthorne, 'America - Conscience or Shield?', Encounter, November 1954.

46- إن 'خط مكارثي كشخص وليس كظاهرة' يحاكي وجهة نظر السي آي إي حول كيفية مقاربة الموضوع.يبدو من المعقول الافتراض أن نابوكوف يكرر توجيه ويزنر الرسمي حول الموضوع، كما فعل ليسلي فيدلر في الحقيقة في مقالته في *إنكاونتر*، والتي ركزت على مكارثي كتمثال حي، 'رأسه المشلول يرتجف."

47 Nicolas Nabokov to Arthur Schlesinger, 21 April 1952 (ACCF/NYU).
48 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
49 John Steinbeck, quoted in Peter Vansittart, In the Fifties.
50 John Henry Faulk, quoted in Peter Vansittart, ibid.
51 Joseph and Stewart Alsop, 'Why Has Washington Gone Crazy?" Saturday Evening Post, 29 July 1950.
52 Ibid.
53 Sidney Hook, 'To Counter the Big Lie - A Basic Strategy', New York Times Magazine, 11 March 195 1.
54 Irving Kristol, letter to New York Times, 10 August 1952 (ACCF/NYU).
55 Stephen Spender to Czeslaw Milosz, 12 October 1953 (CCF/CHI).
56 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
57 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
58 Michael Josselson to Shepard Stone, 12 January 1968 (MJ/HRC).
59 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 2 December 1952, in Carol Brightman, (ed.) Between Friends.
60 ROY Cohn, op.cit.
61 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
62 R. Harris Smith, OSS.
63 Ibid.
64 Cord Meyer, Facing Reality.
65 ibid.
66 Dwight Macdonald, quoted in Michael Wreszin, A Rebel in Defense of Tradition.
67 Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, Advancing American Art.
68 William Fulbright, 'In Thrall to Fear', The New Yorker, 8 January 1972.
69 p ichard Bissell, Reflections of a Cold Warrior.
70 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA?' Saturday Review, 5 April 1975.

14 Music and Truth
ma non troppo

1- قرر جوسيلسون أن يغلق لجنة العلم والحرية في ١٩٦١. زعم كينكسلي مارتن أن هذا تم في نوبة حرب باردة غاضبة لأن لجنة العلم والحرية كانت تخطط لعقد ندوة علنية حول السياسة النووية. كان جوسيلسون مناصراً قوياً للقوة النووية، من المحتمل أنه كان متردداً حيال نوايا بولانيي. لكن بولانيي كان يظهر جميع علامات المرض الذهني في ذلك الوقت، وربما كان مصاباً بانهيار عصبي، ومن الصعب تأكيد ذلك. قرر جوسيلسون أن يرعى فصلية جديدة ومكرسة أكثر للبحث، وهي *منيرفا*، على أن يحررها إدوارد شيلز.

2 Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
3 Ibid.
4 Michael Josselson to Walter Laqueur, 1 April 1955 (CCF/CHI).
5 Peter Coleman, op.cit.

6- جيمس ماكولي، 'اقتراح من أجل مجلة أسترالية فصلية'، بدون تاريخ (آي بي/جي إم سي). كان خليفة ماكولي هو بيتر كولمان، الذي أصدر في ١٩٨٩ *المؤامرة الليبرالية*، الكتاب الذي أعلن أنه القصة الكاملة للمنظمة من أجل الحرية الثقافية. مع ذلك سلّم كولمان أنه فشل في 'الحصول على أية معلومات هامة من المصادر الرسمية عن مدى تورط السي آي إي'. وفي غياب معلومات كهذه، قرر أن 'الأسئلة التآمرية عن من دفع لمن، وكيف، ولماذا' هي أسئلة غير هامة بما يكفي بحيث يجب تجاهلها. وكونه ناشطاً سابقاً في المنظمة التي يكتب عنها، كولمان هو بالضرورة مشايع، وتخلو أوراق اعتماده كمؤرخ رسمي للمنظمة من الأخطاء،لكن كتاب المؤامرة الليبرالية مصدر بلا قيمة.

7 Peter Coleman, op.cit.
8 John Thompson, telephone interview, August 1996.
9 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
10 Melvin Lasky, 'Some Notes on Preuves, Encounter and Der Monat', April 19,56 (CCF/CHI).
11 Ibid.
12 Ibid.
13 Robert Silvers, quoted in Carol Brightman, Writing Dangerously.
14 Al Alvarez, New Statesman, 29 December 1961.
15 Conor Cruise O'Brien, New Statesman, 20 December 1962,
16 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.

17 Malcolm Muggeridge, New Statesman, 19 May 1967.
18 Malcolm Muggeridge, Esquire, January 1973.
19 Herbert Read, 'Masterpieces of the Twentieth Century' address, Paris, April 1952 (ACCF/NYU).
20 Nicolas Nabokov, New York Herald Tribune, 8 February 1953.
21 Nicolas Nabokov to Julius Fleischmann, 6 May 1953 (ACCF/NYU).
22 Musical America, May 1954.
23 Susan Sontag, 'Pilgrimage', The New Yorker, 21 December 1987.
24 Pierre Boulez to Nicolas Nabokov, undated, 1954 (CCF/CHI).
25 Nicolas Nabokov to Julius Fleischmann, 7 September 1954 (CCF/CHI).

-26 عبر يونيسكو عن رغبته بأن يدفن في وطنه رومانيا. ولكن بحسب ديانا جوسيلسون، حين توفي يونيسكو في أيار ١٩٥٥، قام نابوكوف وجوسيلسون بمحاولة مسعورة لمنع نقل جثته من فرنسا. نجحا في ذلك ودفن يونيسكو في باريس.

27 C. D. Jackson to Cecil Morgan, 26 March 1957 (CDJ/DDE).
28 C. D. Jackson to Theodore Streibert, Director, USIA, 28 July 1955 (CDJ/DDE).
29 C. D. Jackson to Allen Dulles, 20 May 1953 (CDJ/DDE).
30 Julius Fleischmann to C. D. Jackson, 17 February 19S3 (CDJ/DDE).
31 C. D. Jackson to George Sloan, 17 March 19S3 (CDJ/DDE).
32 American Committee for Cultural Freedom to Al Manuti, American Federation of Musicians, 21 February 19S1 (ACCF/NYU).
33 American Committee for Cultural Freedom, 'Statement of Principles', 1953 (IB/GMQ.
34 George E Kerman, 'International Exchange in the Arts', printed in Perspectives, Summer 1956.

-35 حين اكتشف لاسكي في ١٩٥٦ أن مساعده في البحث أثناء تأليف تقريره عن هنغاريا (الثورة الهنغارية) نازي ملعون كثيراً، كان رد فعله الأول براغماتياً: 'يا إلهي، سيهاجمون الكتاب بعنف، سوف يتلطخ من ارتباطه'. لكن لاسكي فكر أنه من الأفضل الامتناع عن القيام بأي شيء: 'ابتلعت قلقي وتركته يتابع عمله على المشروع'. ميلفن لاسكي، مقابلة، لندن، آب ١٩٩٧.

36 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
37 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 25 July 1942 (MS/COL).
38 Arthur Schlesinger to James I Farrell, 16 March 1955 (ACCF/NYU).
39 Clinton Rossiter to Sol Stein, 10 November 1955 (ACCFINYU).
40 Jason Epstein, interview, New York, August 1996.

-41 مرة وصفت حنا آرنت الشيوعيين السابقين بأنهم شيوعيون 'قلبوا رأساً على عقب'. وكانت الفكرة التي تريد إيضاحها هي وجورج أوربان هي أن الحرب الباردة كانت قضية عدوانية ولهذا ناسبت الصورة الراديكالية التي تبناها كثير من المفكرين: 'بقي قاموس المعارضة سليماً،وحفظ الإحساس بالنقد المقاتل، حتى ولو تحول هدفه من الرأسمالية إلى الشيوعية'. انظر روس، روس، أندرو، غياب الاحترام، المفكرون والثقافة الشعبية، لندن:١٩٦١.

42 George Urban, Radio Free Europe and the Pursuit of Democracy: My U/ar Within the Cold War (New York: Yale University Press, 1997).
43 Michael Josselson to Sidney Hook, 23 November 1955 (CCF/CHI).
44 so] Stein to Norman Thomas, 27 April 1955 (ACCF/NYU).
45 Nornian Thomas to Sol Stein, 28 April 1955 (ACCF/NYU).
46 Cord Meyer to Arthur Schlesinger, 16 May 1955 (SCHLES/BU).

رغم أن شليسنغر قال إن العلاقة التي جمعته مع أصدقائه في السي آي إي كانت اجتماعية في أثناء تلك الأعوام، إلا أن أوراقه المودعة في مكتبة جي إف كينيدي في بوسطن تشير إلى انخراط أكثر عمقاً يظهر شليسنغر على أنه خط لكورد ميير داخل اللجنة الأمريكية لحرية الثقافة، وكان يرسل إليه محاضر اجتماعاتها الإدارية، ويطلعه بشكل عام على التطورات الداخلية. من غير الواضح إن كان هذا الترتيب رسمياً، ولكن في مذكرة إلى الرئيس كينيدي أقر شليسنغر فيما بعد بأنه 'خدم كمستشار للسي آي إي في فترات منتظمة' في الأعوام التي تلت الحرب الباردة.

47 Michael Josselson to Irving Kristol, 7 April 1956 (CCF/CHI).

بالتأكيد لم يكن رسل مخرفاً،لكنه كان يظهر إشارات عن رغبته بأن 'أعيش حتى سن التسعين بحيث أستطيع التفوه بجميع الأمور الخاطئة'. وفي ذهن جوسيلسون لم يعد رسل يستطيع أن يقول أي شيء بشكل صحيح، وفي ١٩٦٣ كان يتساءل بأمل إن كان رسل 'سيقدم لنا خدمة ويموت'.

Michael josselson to Edward Shils, 10 April 1963 (MJ/HRC).

48 American Committee for Cultural Freedom, open letter to Bertrand Russell, New York Times, 6 April 1956 (ACCF[NYU).
49 Congress for Cultural Freedom Executive Committee to American Committee for Cultural Freedom, 24 April 1956 (IB/GMC).
50 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 5 August 1941 (MS/COL).
51 James T. Farrell, letter of resignation, to Norman Jacobs, 28 August 1956 (MS/COL).
52 Michael Josselson to Norman Thomas, 27 September 1956 (ACCF/NYU).

15 Ransom's Boys

1- استناداً إلى ميثولوجيا السي آي إي الاستقالة هي خطأ في التسمية. 'إذا كان الشخص مرة في السي آي إي فهو يظل رجل سي آي إي'، كما يقول العرف. والعملية التي يبقى، وفقاً لها، الناس مخلصين ومفيدين للسي آي إي بعد تركها كانت تعرف باسم 'عملية التطهير'. على أي حال سيزعم كثيرون فيما بعد أن برادن لم يناسب هذا النموذج، فقد كان في الحقيقة نافخ صفارة.

2 Final Report of the Church Committee, 1976.
3 Doolittle Study Group on Foreign Intelligencc. quoted in Stephen Whitfield, The Culture of the Cold War.
4 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
5 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
6 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
7 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
8 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
9 Lawrence cle Neufville, telephone interview, February 1997.
10 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
11 Cord Meyer, Facing Reality.
12 William Sloane Coffin, quoted in Jessica Mitford, The Trial of Dr Spock, the Rev. William Sloane Coffin, Jr., Michael Ferber, Mitchell Goodman and Marcus Raskin (London: Macdonald, 1969). Coffin later returned to his original calling, and became chaplain at Yale University.
13 William Corson, The Armies of Ignorance: The Rise of the American Intelligence Empire (New York: Dial Press, 1997).
14 Doug Henwood, 'Spooks in Blue', Grand Street, vol.7/3, Spring 1998.
15 Ibid.
16 Tom Mangold, Cold Warrior: James Jesus Angleton, The CIA's Master Spy Hunter (New York: Simon & Schuster, 1991).
17 Ibid.
18 Clare Booth Luce, quoted in Tom Mangold, ibid.
19 Ian Hamilton. Robert Lowell: A Biography (New York: Random House, 1982).
20 John Crowe Ransom to David McDowell, 11 August 1953 (RH/COL).

إن لامبالاة رانسوم حيال الأنباء عن عرض العمل الخاص به والمحمي من السي آي إي يوحي بأنه ربما كان خط اتصال كينون اللارسمي الرسمي في كينيون.

21 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
22 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
23 John Thompson, quoted in Richard Elman, The Aesthetics of the CIA (unpublished manuscript).
24 Timothy Foote to Michael Josselson, 5 March 1956 (CCEICHI).
25 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
26 Ibid.
27 Ibid.
28 Chief of Covert Action Staff, CIA, quoted in Final Report of the Church Committee, 1976.
29 Ibid.
30 New York Times, 25 December 1977.
31 E. Howard Hunt, Undercover: Memoirs of an American Secret Agent. The New Class was published in collaboration with the Congress for CUltÜral Freedom.
32 Eugene Fodor, quoted in New York Times, 25 December 1977.
33 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.

34- مقابلة مع ريتشارد إيلمان، نيويورك،حزيران 1994. اعتقد ريتشارد إيلمان أيضاً أن اهتمام السي آي إي بالأدب الروائي ومبدعيه وناشريه صوره البعض كعمل خيري مضلل، أو حتى دفاع عن القيم الغربية والحريات الإنسانية ضد

الذهن الكلياني، ولكن الهدف العميق منه هو أن يكون 'خدعة قذرة للوكالة'، وسيلة للتأثير بالوعي، محاولة للامتلاك، بلغة الوكالة. انظر *جماليات السي آي إي* لريتشارد إيلمان. وفي مقالة نشرت في نيويورك ريفيو أوف بوكس بعنوان السي آي إي والمفكرون في عشرين نيسان ١٩٦٧ يقول جاسون إبشتاين: إن ما حرك السي آي إي وحلفاءها ليس حباً للفكر يخلو من المصلحة أو معتقدات جمالية عميقة، وإنما كانوا مهتمين بحماية وتوسيع القوة الأمريكية.

35 Allen Ginsberg, 'T. S. Eliot Entered My Dreams', City Lights Journal, Spring 1978.

36 Irving Kristol, quoted in Peter Steinfels, The Neoconservatives: Tbc Men Who Are Changing American Politics (New York: Simon & Schuster, 1979).

وكما أشار كريستوفر لاش: إن نخبوية أولئك المفكرين الذين انجذبوا مرة إلى اللينينية لم تكن متناقضة بأية طريقة، 'فحتى بعد أن انفصلوا عن المحتوى المادي للينينية، تعلقوا بوجهة النظر المقبولة حول المفكرين كطليعة تاريخية.'

Christopher Lasch, 'The Cultural Cold War', The Nation, 11 September 1967.

37 Allen Tate, quoted in Marian Janssen, The Kenyon Review 1939-1970 (Mijrnegen: M. Janssen, 1987).

38 Dwight Macdonald, quoted in Andrew Ross, No Respect. Alexander Solzhenitsyn used a similar, if more graphic, metaphor when he described American popular culture as liquid manure seeping under the door.

39 Robert Lowell, Valedictory Address, Kenyon College, 1940, quoted in Ian Hamilton, op.cit.

40 Richard Elman, interview, New York, June 1994.

41 Bollingen judges, quoted in William Barrett, 'A Prize for Ezra Pound', Partisan Review, vol.16/4, 1949.

16 Yanqui Doodles

1 George Dondero, quoted in William Hauptman, 'The Suppression of Art in the McCarthy Decade', Artforum, October 1973.

في ١٩٥٧، تلقى جورج دونديرو وسام الشرف الذهبي من الرابطة المهنية للفنانين الأمريكيين 'من أجل فضحه في المؤتمرات للشيوعية في عالم الفن'. بحسب نشرة صحفية أصدرتها الرابطة في ٣٠ آذار ١٩٥٧.

2 Harold Harby, quoted in William Hauptman, op.cit.

3- سجلت لجنة الأنشطة غير الأمريكية الارتباطات الشيوعية لهؤلاء الفنانين بحرص،واقتبست ملفاتها في سجل الكونغرس لشهر أيار ١٩٤٧ .وتضم القائمة السوداء أربعين اسماً وبينها ويليم بازيوتيس،وستوارت ديفز،وآرثر دوف،وأدولف غوتلييب،وفيليب غستون،وجون مارين.سجل مجلس الكونغرس،١٣ أيار ١٩٤٧ .

4 Frederic Taubes, Encyclopaedia Britannica, 1946.

5 Budd Hopkins, quoted in Frances Stonor Saunders, Hidden Hands: A Different History of Modernism (London: Channel 4 Television, 1995).

6 Clement Greenberg, 'The Decline of Cubism', Partisan Review, March 1948.

7 Robert Hughes, American Visions: The Epic History of Art in America (New York: Knopf, 1997).

8 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.

9 Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, Advancing American Art.

فداخل سياق واسع للدبلوماسية الثقافية تم إبراز 'تحسين الفن الأمريكي كعنصر في تعريف عالمي لإعادة الطمأنة، والاستقرار، والتنوير الأمريكي.'

10 Alfred M. Frankfurter, quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, ibid.

11 Quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, ibid.

12 Senator Brown, House Congressional Record, 14 May 1947.

13 Jane De Hart Mathews, 'Art and Politics in Cold War America', American Historical Review, vol.81/4, October 1976.

14 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.

15 Clement Greenberg, 'Avant-Garde and Kirsch', Partisan Review, 1939.

16 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.

17 Ibid.

18 Philip Dodd, interview, London, July 1994.

19 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.

20 Ibid.

21 E. J. Kahn, 'Man of Means', The New Yorker, 11 August 1951.

22 David Wise and Thomas B. Ross, The Espionage Establishment (New York: Random House, 1967).

23 Russel i Lynes, Good Old Modern: An Intimate Portrait of the Museum of Modern Art (New York: Atheneum, 1973).

24 G. Hellman,'The Imperturbable Noble', The New Yorker, 7 May 1960.
25 Ibid.
26 Quoted in Carl Bernstein, 'The CIA and the Media', Rolling Stone, 20 October 1977.
27 Eva Cockroft, 'Abstract Expressionism: Weapon of the Cold War', Artiorum, vol.12/10, June 1974.
28 Ibid.
29 Lawrence cle Neufville, telephone interview, April 1997.
30 Michad Kimmelman, 'Revisiting the Revisionists: the Modern, its Critic, and the Cold War', Studies in Modern Art 4 (New York: Museuin of Modern Art, 1994).
31 MUSCHin of Modern Art, Report of the Trustees, 1945, in Alfred Barr, Paintml~ and Sculpture in the Museum of Modern Art 1929-1967: An Illustrated Catalogue and Chronicle (New York: Museum of Modern Art, 1977).
32 ibid. agazine, October 1948.
33 Lincoln Kirstein, Harper's M
34 Samuel Kootz, quoted in Lynn Zelevansky, 'Dorothy Miller's "Americans" 1942-1963, Studies in Modern Art 4 (New York: Museum of Modern Art, 1994).
35 Dwight Macdonald, 'Action on West 53rd Street', The New Yorker, 12 and 19 December 1953.
36. Lynn Zelevansky, op.cit.

37- حين كتب عن المعرض الإستعادي 'الرسم الرومانسي في أمريكا الذي تم في ١٩٤٢ وشمل أعمالاً لكل من برينهام، وبرشفيلد، وإيكنز، وهومر، وواتكن، هاجمه غرينبرغ قائلاً إنه يمثل 'فترة تم فيها اكساء العظام الجافة باللحم، وتم بعث الجثث وإحياء الأوهام من قبل فشل أعصابنا في جميع حقول المحاولة".

Clement Greenberg, 'Art', The Nation, 1 January 1944.
38 Alfred Barr to Henry Luce, 24 March 1949 (AB/MoMA).
39 Alfred Barr, introduction to The New American Painting catalogue, 1958. Fully illustrated, the catalogue was produced thanks to 'two generous donations - one from a British donor, who wishes to remain anonymous, and one from the USIX.
40 Russell Lynes, op.cit.
41 American Embassy, Paris, to State Department, 11 June 1953 (SD.CA/RG59/NARA).
42 Waldo Rasmussen, interview, New York, June 1994.
43 Ibid.
44 James Johnson Sweeney, press release, 18 April 1952 (ACCF[NYU).
45 Alfred Barr, 'Is Modern Art Communistic?', New York Times Magazinc, 14 December 1952.

46- كان الفنانون الإثنا عشر هم جاكسون بولوك،آرشيل غوركي، جون كين، ديفد سميث، بين شاهن،أليكسندر كالدر، جون مارن، موريس جريفز، ستيوارت ديفز، إدوارد هوبر، إيفان ألبرايت، وثيودور روزاك.

47 American Embassy, Paris, to State Department, 11 June 1953 (NA, RG59).

كان جان كاسو صلة أساسية بين مؤسسات الفن في نيويورك وباريس. وهذا الشاعر الثانوي، الذي عين كي يدير المتحف الوطني للفن الحديث كمكافأة له على نشاطاته في المقاومة، كان موظفاً متعجرفاً لا يعرف عن الفن بقدر ما يعرف كيفية ربط نفسه بالجماعات المهمة سياسياً، وبينها المنظمة من أجل الحرية الثقافية.

48 American Embassy, Paris, ibid.
49 Julius Fleischmann to Bob Thayer, 25 February 1960 (CCF/CHI).
50 Monroe Wheeler to Nicolas Nabokov, 9 April 1954 (CCF/CHI).

51- قدمت مجلات المنظمة قاعدة مفيدة للنقاد المفضلين للفن الجديد. وكان مايكل جوسيلسون يعي بشكل كامل الدلالة السياسية للتجريد، والذي اعتقد أنه جواب الديموقراطية على الواقعية الاشتراكية.وبعد جدل علني في أوائل ١٩٥٤ قيل إن ألبرتو مورافيا أيَّدَ فيه وجهة النظر الشيوعية بخصوص الواقعية الاشتراكية، كان جوسيلسون يستشيط غضباً.كتب على الفور إلى نيكولاس نابوكوف، وطلبَ منه أن ينظم لقاء لتشويه مقولات مورافيا وإظهار أنه منافق. مايكل جوسيلسون إلى نيكولاس نابوكوف، ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٤ (سي سي إف/ سي إتش آي). في العام التالي، وبعد قراءة مقالة كتبها ناقد *نيوستيتسمان* جون بيرغر،انتقد فيها معرضاً لفنانين إيطاليين في لندن لأنهم أقصوا فنانين واقعيين مثل ريناتو غوتوسو (الذي برهن عمله كما قال بيرغر أنه 'ليس من الضروري للفنان الأوروبي الغربي أن يقطع يده اليمنى ويرسم كأنه أكاديمي عجوز في موسكو،أو كي يقطع اليسرى ليشعر بأنه مرحب به في متحف الفن الحديث في نيويورك)،كتب ميلفن لاسكي إلى

جوسيلسون :إذا حدث وأنجز ذلك البروشور المدمر حول *نيوستيتسمان ونيشن* ، يجب أن يتضمن عقيدة ناقدها الفني والذي يعمل في خطها جون بيرغر، والمنشورة في الصفحة 118 من عدد شباط 1955 . انظر إليها – وانتف شعرك.
Melvin Lasky to Michael josselson, 7 February 1955 (CCF/CHI).

52 Michael Josselson to Porter McCray, 8 October 1956 (CCF/CHI).

53 Press clipping (source unidentifiable), summer 1955 (ACCF/ NYU).

54 Dwight D. Eisenhower, 'Freedom in the Arts', MoMA 25th Anniversary Address, 19 October 1954, in Museum of Modern Art Bulletin, 1954.

55 August Heckscher, MoMA 2Sth Anniversary Address, ibid. Heckscher worked at the New York Herald Tribune, a Whitney-owned publication which consistently championed the Abstract Expressionists.

56 George Kerman, 'International Exchange in the Arts', Address to the Council of MoMA, 1955, printed in Perspectives, summer 1956.

57 Ibid.

58 Ibid. [my italics.]

59 Ruby D'Arschot to Julius Fleischmann, 28 October 1959 (CCF/CHI).

60 Quoted in Clifford Ross, Abstract Expressionism: Creators and Critics (New York: Abrams, 1990).

61 Quoted in Clifford Ross, ibid.

62 Adam Gopnik, 'The Power Critic', The New Yorker, 16 March 1998.

63 John Canaday, New York Times, 8 August 1976.

64 Ibid.

65 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.

66 Dwight Macdonald, op.cit.

67 Paul Burlin, quoted in Serge Guilbaut, How New York Stole the Idea of Modern Art (Chicago: University of Chicago Press, 1983).

68 Alan Filreis, 'Beyond the Rhetorician's Touch: Stevens's Painterly Abstractions', American Literary History, spring 1992.

69 Barnett Newman, catalogue introduction to the First Exhibition of Modern American Artists, Riverside Museum, January 1943.

70 Willem de Kooning, quoted in Clifford Ross, op.cit.

71 Jackson Pollock, quoted in Clifford Ross, op.cit.

72 Robert Motherwell, quoted in Clifford Ross, op.cit.

73 Robert Motherwell to Patrick Heron, 2 September 1975. I am grateful to Patrick Heron for showing me this letter.

74 Ad Reinhardt, quoted in Annette Cox, Art-as-Politics: The Abstract Expressionist Avant-Garde and Society (UMI Research Press, 1982).

75 Giles Scott-Smith, The Politics of Apolitical Culture: The Congress for Cultural Freedom and the Cultural Identity of Post-War American 14egemony, 1945-1960 (unpublished Ph.D thesis, Lancaster University, 1998).

76 Philip Dodd, interview, London, July 1994.

77 Saul Bellow, Humboldt's Gift.

17 The Guardian Furies

1 Dwight D. Eisenhower, quoted in Stephen Whitfield, The Culture of the Cold War.

وبينما أحب رجال الدعاية في إدارة آيزنهاور أن يتحدثوا عن نشر أسلحة روحية، أطلقت وزارة الدفاع برنامج إنفاق على مخزون احتياطي من الأسلحة النووية وغير النووية وصل إلى 354 بليون دولار في أقل من ست سنوات.

2 Daniel Boorstin, quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, Advancing American Art.

3 Paul Nitze, quoted in Evan Thomas, The Very Best Men.

4 Eisenhower's ancestors had been Mennonites, but when they settled in Texas there was no Mennonite church, so they read from the Bible.

5 John Kobler, Henry Luce: His Time, Life and Fortune (London: Macdonald, 1968).

6 Ibid.

7 Ibid.

8 Sidney Hook, 'The New Failure of Nerve', Partisan Review, January 1953.

في كانون الأول 1951 طلب مدير مجلس إدارة الاستراتيجية النفسية من تريسي بارنز في السي آي إي أن يقترب من نيبور كمستشار محتمل لمجلس إدارة الاستراتيجية النفسية.
Gordon Gray to Tracy Barnes, 21 December 1951 (GG/DDE).

وهذا، بالإضافة إلى موقع نيبور كرئيس للجنة الاستشارية لهيئة تخطيط السياسة، يعني أن عالم اللاهوت وضع بشكل مثالي كي 'يجعل الله أداة للسياسة القومية'.

9 Whittaker Chambers, Witness (Chicago: Regnery, 1952).
10 Harry S. Truman, Address to Congress, 12 March 1947, printed in Harry S. Truman, Memoirs: Year of Decisions.
11 George Santayana, quoted in Gore Vidal, Palimpsest (London: Andr6 Deutsch, 1995).
12 Billy Graham, quoted in Stephen Whitfield, op.cit.
13 Norman Mailer, Armies of the Night (New York: New American Library ' 1968).
14 Arthur Miller, Timebends.
15 Ibid.
16 Leslie Fiedler. quoted in Taylor D. Littleton and Maltby Sykes, op.cit.
17 Sol Stein to Aware, Inc-, 28 January 19S5 (ACCF/NyU).
18 Ibid.
19 Ibid.
20 Aware, Inc. to Sol Stein, 26 February 1955 (ACCF/NYU).
21 Sol Stein to Whittaker Chambers, 20 December 1954 (AC(,F/NyU).
22 Whittaker Chambers, op.cit,
23 Andre Malraux, quoted in Stephen Whitfield, op.cit.
24 Arthur Miller' op. cit.
25 Joint Chiefs of Staff, 'Presentation of "Militant Liberty" to Chief of Naval Operations' 16 December 195S (PSB/HT)
26 Christopher Sinips.'n, interview, Washington Jun*e 1994.
27 Joint Chiefs of Staff, 'Report of Conference in California in Connection with Cornelius Vanderbilt Whitney's "American Filrn Series" and "Militant Liberty"', 5 July 1956 (PSB/HT).
28 Ibid.
29 Cornelius Vanderbilt Whitney, quoted in ibid.
30 Joint Chiefs of Staff, ibid.
31 Arthur Miller op.cit.
32 Gore Vidal o' it. I P.c
33 C_ D. Jackson to Henry Luce, 19 May 19S3 (CDJ/DDE).
34 Turner Shelton' Motion Picture Service, to Cecil B. DeMille, I I May 19,53 (CDJ/DDE)
35 Geoffrey Shurlock to Andrew Smith, Motion Picture Service, 28 Septem~cr 1954 WHO/NSC/DDE,
36 Ibid.
37 Carleton Alsop Hollywood Reports, 19S3 (CDJ/DDE).
38 Ibid.

رغم الموقف الذي تبنته الرابطة الوطنية لتحسين صورة الملونين ضد 'التمثيل النمطي في الأفلام للزنوج كشخصيات متلعثمة وكوميدية، لم تقم هوليود بأي تحسين إيجابي في معالجتها للأمريكيين الأفارقة على الشاشة. وبالفعل، بين 1945 و1957 انحدر عدد ممثلي أفلام السود من 500 إلى 125. وفي فيلم Skirts Ahoy 1953 منع الموسيقي الأسود بيلي إكشتاين من النظر إلى أي ممثلة بيضاء أثناء الأداء.

39 Ibid.
40 Walter L. Hixson, Parting the Curtain: Propaganda, Culture and the Cold War, 1945-1961 (New York-Macmillan, 1997).
41 C. D. Jackson to Abbott Washburn, 30january 1956 (CDJ/DDE).
42 C. D. Jackson to Nelson Rockefeller" 14 April 1955 (CDJ/DDF).

في الرسالة نفسها، حذر سي دي جاكسون أصدقاءه في السي آي إي من عدم الاستسلام لفكرة استخدام هؤلاء الفنانين كمصادر استخباراتية – لا أعتقد أن أولئك الأشخاص هم قادرون عاطفياً على لعب دور مزدوج – لكنه وافق على أنه 'بالطبع يمكن استجوابهم بطريقة ماهرة بعد عودتهم.

43 John Pauker, USIA ' to Sol Stein, 20 October 1955 (ACCF/NYU).
44 Sidney Hook, 'Report on the International Day Against Dictatorship.Notes and Sources 459 and War', Partisan Review, vol.16/7, Fall 1949.
45 T. S. Colahan to Sol Stein, October 1955 (ACCF/NYU).
46 Eric Johnston, quoted in Walter L. Hixson, op.cit.

كان رجال دعاية الحكومة الأمريكية مستائين جداً من شتاينبك ومن المدرسة الأدبية الأمريكية كلها التي تحمل معلومات اجتماعية غنية جداً في تموز 1955 حث خبير في الحرب النفسية على سحب رعاية الحكومة لمعرض الصور الضوئية في متحف الفن الحديث، عائلة الإنسان، لأنه صور المجتمع الأمريكي على طريقة عناقيد الغضب في إبراز طبقة ثرية أو عليا، وترك انطباعاً بأن جميع العمال الأمريكيين مداسون أو مستغلون، وهذا ما يحلم به رجل دعاية شيوعي. ولقد رصد أحد النقاد في كل هذا بحثاً عن التطهر قائماً على جنون الارتياب.

47 Carleton A, op.cit.

48 إشارة إلى أن صيغة السي الآي إي الخاصة بهوليود أعدت في مجلة سي دي التوثيقية. ورغم أنها خضعت لرقابة مكثفة من قبل خبراء الحكومة في التصنيف، إلا أن المدخل هو الدليل التوثيقي الوحيد على أن السي آي إي طورت استراتيجية رسمية لاختراق صناعة الفيلم. فبحسب اليوميات التقى سي دي في ذلك اليوم مع نائب تريسي بارنز جون بيكر (مطوع دي نوفيل) لمناقشة صيغة السي آي إي الخاصة بهوليود، والتي ظهرت على أنها تهم بيكر وبارنز وويزنر، مع آلسوب كعميل لهم في الشاطئ الغربي.

49 Carleton Alsop, op.cit.

50 Ibid.

51 Ibid.

52 E. Howard Hunt, Undercover: Memoirs of an American Secret Agent (California: Berkeley Publishing Corporation, 1974).

-53 لاقى دو روشومونت استحساناً كمخرج مستقل لفيلم *منزل في الشارع 92*، الذي صارع فيه عملاء الإف بي آي الشجعان الجواسيس الألمان. ومدح الفيلم بسبب إعادة تقديمه لقضية فعلية مأخوذة من ملفات ج.إدجار هوفر، ولقد قال عنه دو روشومونت: إنه غير روائي.وبحسب أحد المؤرخين كان دو روشومونت 'مهووساً بالجواسيس طوال فترة عمله' وهذه أوراق اعتماد مفيدة لشخص كان سيعمل مع عدة منهم. وتذكر دي نوفيل الذي التقى به في بريطانيا أثناء تصوير فيلم مزرعة الحيوان أن 'روشومونت كان مثاراً من ظهوره مع أشخاص من الوكالة،كأنه كان في أحد أفلامه'. مقابلة هاتفية مع لورنس دي نوفيل، نيسان 1997 .

54 Richard Hirsch, PSB, to Tracy Barnes, 'Comment on Animal Farm script', 23 January 1952 (PSB/HT).

-55 تضمن التمويل الرسمي لفيلم *1984* مبلغ مائة ألف دولار من وكالة المعلومات الأمريكية، وذلك من أجل صناعة ما وصفه رئيسها 'بأكثر الأفلام تدميراً ومعاداة للشيوعية في أي وقت."

Tony Shaw, The British Cinema, Consensus and the Cold War 1917-1967 (unpublished manuscript).

56 Alan Sinfield, Literature, Politics and Culture in Postwar Britain (London: Athlone Press, 1997).

57 Sol Stein to Peter Rathvon, 30 January 1955 (ACCF/NYU).

58 Ibid.

59 Ibid.

60 Ibid.

61 Ibid.

62 Sol Stein, memo to the American Committee for Cultural Freedom, I I January 1955 (ACCF/NYU).

63 Isaac Deutscher, 'The Mysticism of Cruelty', quoted in Alexander Cockburn, Corruptions of Empire (London: Verso, 1987).

64 Ibid.

65 George Orwell, in Peter Davison (ed.), The Complete Works of George Orwell (London: Seeker & Warburg, 1998).

66 Richard Rees, quoted in Michael Sheldon, Orwell. The Authorised Biography (London: Heinemann, 1991).

67 George Orwell, in Peter Davison, op.cit.

كان جورج أورويل معادياً للصهيونية بقوة، ولقد اعتقد أن 'اليهود الصهاينة في كل مكان يكرهوننا ويعتبرون بريطانيا عدواً، وحتى أكثر مما يعتبرون ألمانيا عدواً'. لهذا السبب نصح قسم بحث المعلومات قائلاً أن 'محاولة التملق لكسب رضا العدو هي سياسة خاطئة'، وحذره من ألا يظن أن معاداة السامية هي ورقة قوية يلعب بها في الدعاية المضادة للروس."

Gorge Orwell to Celia Kirwan, 6 April 1949 (IRD/FO 111 O/PRO).

68 Adam Watson, telephone interview, August 1998. [My italics.]

69 Bernard Crick, Evening Standard, 11 July 1996.
70 Peregrine Worsthorne, The Spectator, 29july 1996.
71 George Orwell, 'The Prevention of Literature', Polemic, no. 2, 1945.
72 George Orwell, 'The Freedom of the Press', 1944, printed in New Statesman, 18 August 1995.
73 Ibid.

18 When Shrimps Learn to Whistle

1 Manès Sperber, 11 November 1956, quoted in Michael josselson to Shepard Stone, undated (CCF/CHI).
2 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
3 Ibid.
4 Michael josselson to Shepard Stone, undated (CCF/CHI).
5 Evan Thomas, The Very Best Men.
6 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
7 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
8 Quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
9 jean-Paul Sartre, L'Express, 9 November 1956.
10 Michael josselson to Shepard Stone, undated (CCF/CHI).
11 Ibid.
12 Ibid.
13 C. D. Jackson, Log Files (CDJ/DDE).
14 C. D. Jackson to Frank Wisner, 27 February 1954 (CDJ/DDE).
15 Ibid.
16 Richard Crockatt, The Fifty Years War: The United States and the Soviet Union in World Politics 1941-1991 (London: Routledge, 1995).
17 Michael Josselson to Nicolas Nabokov, 23 January 1954 (CCF/CHI).
-18ومن اللافت للنظر أن آيزنهاور نفسه، الذي لاحظ فيما بعد أن 'الاقتراحات كانت ثورية' خصص متابعة ضئيلة لخطابه في ذلك الوقت. ولقد رفض السوفيات تلك الاقتراحات.
19 Michael josselson to Lawrence de Neufville, undated (CDJ/DDE).
20 C. D. Jackson to Tracy Barnes, 5 January 1954 (CDJ/DDE).

21 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
22 Michael Josselson to Irving Kristol, 1 December 1955 (CCEICHI).
23 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
24 Michael Josselson to Irving Kristol, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
25 Irving Kristol to Michael Josselson, quoted in Peter Coleman, ibid.
26 Stephen Spender to Michael Josselson, 10 July 1955 (CCF/CHI).
27 Ibid.
28 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
-29 ليس من المدهش أن مايكل جوسيلسون شهر بالهلع من تهديد هوك بفضح المنظمة. لكن جوسيلسون رفض الاستسلام ودافع عن قرار تعيين ماكدونالد مكان كريستول على أساس 'أنه يمتلك سبباً وجيهاً للسخط من إرفنغ بعد أن بذل جهوداً كبيرة لرعايته لأكثر من سنتين."

Josselson to Sidney Hook, 18 August 1955 (CCF/CHI).
30 Irving Kristol, interview, Washington, July 1996.
31 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
32 Arthur Schlesinger, interview, New York, February 1997.
33 Michael Josselson to Malcolm Muggeridge, 19 September 1955 (CCF/CHI).
34 Michael Josselson to Irving Kristol, 10 December 1955 (CCF/CHI).
35 Michael Josselson to Daniel Bell, 29 October 1955 (CCF/CHI). The expression was borrowed from Nikita Khrushchev, who once gloomily predicted that only when shrimps learned to whistle would the Cold War end.
36 Dwight Macdonald to Stephen Spender, 2 June 1955 (CCF/CHI).
37 Congress for Cultural Freedom brochure, undated (CCEICHI).
38 Ibid.
39 Melvin Lasky to Boris Shub, 6 Nove1957 (CCF/CHI).

19 Achilles' Heel

1 Final Report of the Church Committee, 1976.
2 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', Saturday Evening Post, 20 May 1967.
3 Richard Wollheim, telephone interview, December 1997.
4 Ibid.
5 Tom Braden, interview, Virginia, June 1994.
462 Notes and Sources
6 Dwight Macdonald, 'America! America!', Dissent, Fall 1958.
7 Irving Kristol, inter-view, Washington, June 1994.
8 Ibid.
9 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.

-10تعود هجمات ماكدونالد على القياديين العماليين الأمريكيين إلى الثلاثينات حين وصفهم بأنهم مضربون جالسون بعد أن تحولوا إلى برجوازيين براغماتيين،ممتصين بشكل كامل في النظام الرأسمالي وثقافته الاستهلاكية. وفي مجلته *بولتيكس* سخر من والتر رويثر قائلاً 'إنه فتى كشافة عمالي ودرويش."

11 Dwight Macdonald, 'America! America!', Dissent, Fall 195 8.
12 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
13 Dwight Macdonald to 'Stephenirvingnicholasmike', 16 April 1958 (DM/STER).
14 Stephen Spender, interview, London,-July 1994.
15 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
16 Michael Josselson to John Hunt, 27 May 1958 (1\4J/HRC).

-17رغم أن جوسيلسون أحب ماكدونالد كشخص إلا أنه كان قلقاً من ميوله المزعجة.فحين كشف سبيندر في ١٩٥٦ خططاً عن تكليف ماكدونالد بمقالة عن جماعة الفولاذ والفحم الأوروبية، حذر جوسيلسون سبيندر وطلب منه أن يفكر بالمسألة أكثر.'ستكون المسألة ممتازة إذا لم يكتب مقالة خطيرة ومدمرة'. بالتالي تخلى سبيندر عن الفكرة.

18 Richard Helms, quoted in Final Report of the Cburcb Committee, 1976.
19 Dwight Macdonald, 'America! America!', Dissent, Fall 1958.

-20عرف المسؤولون الأمريكيون منذ فترة طويلة عن سلوك الأسرى الأمريكيين، لكنهم عملوا على إخفاء الحقائق عن جمهور أعرض. وفي ٢٣ نيسان ١٩٥٣ نوه سي دي جاكسون في ملفه التسجيلي قائلاً: 'مشاحنات هاتفية قوية اليوم حول إعادة السجناء الكوريين الملقنين. حصلت على موافقة من دلس ووالتر بيديل سميث أنه يجب النصح أنه من الملح للبنتاغون أن تنظر في وضع جميع السجناء الملقنين في مكان واحد ونشر قصة عن هذا بدلاً من جعل هؤلاء المنكتين الملقنين يوجهون البندقية نحونا."

C. D. Jackson Log Files (CDJIDDE).
21 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.

من الواضح أن كريستول نسي رسالته إلى ماكدونالد التي كتب فيها :'أتمنى أن تعيد النظر في الحادثة الكورية."
Irving Kristol to Dwight Macdonald, 19 May 1958 (DM\STER).
22 Michael Josselson to Irving Kristol, 31 October 1958 (MJ/HRC).

-23 بعد ثلاثين عاماً،أقر كريستول أن الجنود الأمريكيين المتمركزين في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية سيتصرفون بشكل مروّع لولا قواعد القانون العسكري. وحين سئل إن كان سيعبر عن شكوك كهذه في ذلك الوقت، أجاب: 'كلا،بسبب الإخلاص،لن أفعل.فأنا أمريكي،ووطني."

24 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
25 William Colby, interview, Washington, June 1994.
Notes and Sources 463
26 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
27 Dwight Macdonald, quoted in Hugh Wilford, The New York Intellectuals.
28 Norman Birnbaum, open letter to the Congress for Cultural Freedom, 3 November 1958, printed in Universities and Left Review, December 1958 (MJIHRC).

29- المصدر نفسه. وجد برنباوم من الصعب تصديق أن 'الدفاع عن الغرب هو في أيد جيدة حين تتألف هذه الأيدي من اليهود النيويوركيين الذين لا يضاهي إخلاصهم لأمريكا إلا حاجتهم الجلية لجميع الفضائل الأمريكية، والذين يساعدهم ذلك القسم في الاستخبارات البريطانية – الذي أخشى أنه ضخم جداً – من المتطوعين من أولئك الفتيان الذين لم يكونوا جيدين في الركبي في المدارس الداخلية.

Quoted in Hugh Wilford, op.cit.
30 Michael Josselson to Dwight Macdonald, 28 April 1958 (DMISTER).
31 Dwight Macdonald, letter to the editor, Universities and Left Review, 16 December 1958 (DWSTER).
32 Dwight Macdonald, quoted in Michael Wreszin, A Rebel in Defense of Tradition.
33 Derwent May, The Times, 2 July 1996.
34 Peter Steinfels, The Neoconservatives.
35 Jason Epstein, 'The CIA and the Intellectuals', New York Review of Books, 20 April 1967.
36 Michael Josselson to Irving Kristol, 6 December 1954 (CCF/CHI).
37 Michael Josselson to Irving Kristol, 23 December 1954 (CCEICHI).
38 Michael Josselson to Irving Kristol, 9 August 1956 (CCEICHI).
39 Jason Epstein, 'The CIA and the Intellectuals', New York Review of Books, 20 April 1967.
40 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
41 Christopher Montague Woodhouse, telephone interview, December 1997.
42 Michael Josselson to Stephen Spender, 28 July 1954 (CCF/CHI).
43 Nicolas Nabokov to Irving Kristol and Stephen Spender, 30 July 1954 (CCF/CHI). [My italics.]
44 Ibid.
45 Warren D. Manshel to Irving Kristol, 19 August 1954 (CCF/CHI).
46 Conor Cruise O'Brien, 'Journal de Combat', New Statesman, 20 December 1963.

20 Cultural NATO

1 Fredric Warburg to Melvin Lasky, 8 October 1958 (ENC/S&W/RU).
2 The correspondence relating to the Rothschild 'donations' to Encounter runs from June 1958 to October 1960 (ENC/ S&W/RU).
3 C. D. Jackson to Nelson Rockefeller, 18 November 1954 (CDJ/DDE).
4 Herbert E Propps, American Embassy, London, 'Lack of Published Material on United Kingdom Willingness to Modify Sovereignty in the Interest of Collective Security', to State Department, 9 December 1952 (SD.CA/RG59/NARA).
5 Neil Berry, 'Encounter', London Magazine, February-March 1995.

6- كرئيس للقسم العلمي في حزب العمل في ١٩٤٨،ساعد دينيس هيلي في توزيع صحف قسم المعلومات.كان أيضاً يرسل تقارير منتظمة حول النشاطات الشيوعية في حركة نقابة التجارة الأوروبية إلى القسم.فيما بعد عمل كوسيط في تعريف المهاجرين الأوروبيين الشرقيين المفيدين على ضباط قسم بحث المعلومات.

(IRD/FO 111 O/PRO).
7 Melvin Lasky to John Hunt, 11 October 1960 (CCF/CHI).
8 Michael Josselson to Daniel Bell, 28 October 1964 (MJ/HRC).
9 Richard Wollheim, quoted in Neil Berry, op.cit.
10 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.

بشكل مشابه، وصف إشعيا برلين دور سبيندر في إنكاونتر 'بأنه يمنحها شهادة احترام الأنتلجنسيا البريطانية'.

11 Cass Canfield to Nicolas Nabokov, 23 December 1958 (CCF/CHI

تنازع السوفيات والأمريكيون على كثير من الشخصيات الثقافية المحترمة أثناء تلك الأعوام.مستجيبة لما دعته بـ'التخريب السوفياتي المتعمد' حين حاول السوفيات في ١٩٥٢ استغلال مذكرات فيكتور هوغو وليوناردو دافنشي وزعموا 'أنهما مناصران لطريقة الحياة السوفياتية'، زعمت اللجنة الأمريكية من أجل حرية الثقافة أن دافنشي وهوغو هما حواريا الثقافة الحرة اللذان سيكون النموذج السوفياتي بالنسبة لهما مقيتاً.

12 Nicolas Nabokov, Bagazh.
13 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 20 June 1960, quoted in Carol Brightman (ed.), Between Friends.
14 Ibid.
15 Congress for Cultural Freedom press release, I July 1959 (CCEICHI).

16- كان ماكولي في ذلك الوقت ضابط مهمة للمنظمة وغير قادر على تولي المسؤوليات في كينيون. حين قبل عرض رانسوم، كان قد تلقى لتوه منحة كينيون في الرواية وكان قد قام مسبقاً 'بترتيبات لقضاء ذلك العام في الخارج'. وفي خريف ١٩٥٩ ،لم يكن قد عاد إلى كينيون،وهذا جعل رانسوم يشعر 'بالتعب الشديد' ومجبراً على جعل 'نيران المنزل تشتعل سبعة أسابيع بعد انتظار استقالتي لروبي'؟

John Crowe Ransom, quoted in Marian Janssen, The Kenyon Review.
17 Robie Macauley, quoted in Marian Janssen, ibid.
18 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
19 Quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
20 Leslie Fiedler, 'Partisan Review: Phoenix or Dodo?', Perspectives, Spring 1956.
21 Ibid.
22 Ibid.
23 Ibid.
24 Farfield Foundation Annual Report 1962--1963 (CCF/CHI).
25 C. D. Jackson to Cord Meyer, 1 November t957 (CDJIDDE).
26 C. D. Jackson to Daniel Bell and Allen Grover, 12 November 1957 (CDJ/DDE).
27 Quoted in Edward Lilly, Operations Coordinating Board, to Arthur Vogel, United States Information Service, 9 April 1956 (WHO/NSC/DDE).
28 ibid.
29 ibid. h 1958 (CCEICHI).
30 William Phillips to Michael Josselson, 28 Marc
31 Sidney Hook to Michael Josselson, 8 December 1959 (MJ/HRC).
32 Michael Josselson to Shepard Stone, 12 January 1968 (MJ/HRC).
33 Daniel Bell to John Leonard, editor, Sunday Times Book Review, 16 October 1972 (MJIHRC).

34- بدا واربورغ كأنه أقل من فعال في دوره كموزع إنكليزي لمجلة *بارتيسان ريفيو* مما جعل مستشار المجلة روجر شتراوس يتساءل :'ما الذي تفعلونه بحق الجحيم بخصوص عمل التوزيع الذي ناقشته مع مؤتمريكم؟"

Roger Straus to Fredric Warburg, 30 June 1959 (ENC/S&W/RU).
35 Irving Kristol to Michael Josselson, 9 March 1960 (CCF/CHI).
36 William Phillips to Michael Josselson, 10 May 1961 (MJ/HRC).
37 William Phillips, 'The Liberal Conspiracy', Partisan Review, Winter 1990.
38 Melvin Lasky, interview, London, Augu1997.
39 William Phillips, 'The Liberal Conspiracy', Partisan Review, Winter 1990.
40 Time Inc.-New Leader contract, 14 May 1964 (CDJ/DDE). This contract followed the same template as the one drawn up in 1953.
41 C. D. Jackson to Allen Dulles, 21 February 1956 (CDJ/DDE).
42 William Furth to Henry Luce and C. D. Jackson, 'Confidential memo re. New Leader', 24 July 1956 (CDJ/DDE).

إن الذي أوفد لتنظيم الحملة كان المتطوع في الحرب الباردة فرانك ليندسي النائب السابق لرئيس مكتب السي آي إي لتنسيق السياسة، الذي أصبح مديراً لمؤسسة فورد ومستشاراً إدارياً في مكينسي وكمباني فيما بعد.

43 Herbert Luthy to Michael Josselson, 19 February 1962 (MJ/HRC).

44- كان الطريق في بعض الحالات من خلال *باريس ريفيو*، المجلة التي أسسها جورج بلمبتون وعميل السي آي إي بيتر ماتهيسن في ١٩٥٣. عمل نيلسون ألدريش كمساعد في التحرير قبل أن ينتقل إلى المنظمة. فرانسيز فيتزجيرالد، ابنة رئيس قسم السي آي إي المسؤول عن العمليات ضد كاسترو، عملت في *باريس ريفيو* في صيف ١٩٦٢، ثم بعد أن قضت عطلة مع ويزنر وزوجته في طنجة تدرجت إلى عمل في المنظمة. وأكد جورج بلمبتون فيما بعد أن *باريس ريفيو* لم تتلق مطلقاً أية مساعدة مالية من المنظمة أو أية وكالة أخرى من ذلك النوع ولم يكن هناك أي توظيف سياسي أو سوسيولوجي لأي شيء اختاره بيتر ماتهيسن كمحرر للمجلة بصراحة، يجب أن أقول إنني شخصياً كنت سأرحب بتمويل المنظمة لجعلنا نستمر. كانت *إنكاونتر، وبروف* ومجلات أخرى تدعمها المنظمة منشورات ممتازة ولم تكن هناك شروط تتعلق بما يُنشر. ومن المعيب في هذه الأيام أن كل شيء يرى بضوء دميم... وتلوث سمعة أشخاص بالارتباط بأقل شيء'. جورج بلمبتون، رسالة إلى المؤلفة،٢٧ آب ١٩٩٧ .

45 Kenneth Tynan, 'Congress for Cultural Freedom', That Was The Week That Was, 1962.

46- عثر على ماري بينشوت مير ميتة في ممر قناة في واشنطن في ١٩٦٤ وقد قتلت دون باعث. ولقد ربطت رومانسياً بجون ف.كينيدي وسجلت علاقتها في دفتر يوميات سرقه مخادع السي آي إي القذر جيمس جيسوس أنغلتون من شقتها بعد أن فتح القفل دون مفتاح في اليوم التالي لموتها .
47 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
48 Arthur Schlesinger, interview, New York, August 1996.
49 John Thompson, telephone interview, August 1996.
50 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
51 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
52 Diana Josselson, letter to the author, 4 April 1997.
53 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.

21 Caesar of Argentina

1 Elizabeth Bishop to Robert Lowell, I March 1961, quoted in Ian Hamilton, Robert Lowell: A Biography.
2 Frank Altschul to John F. Kennedy, 30 January 1961 (FA/COL).
3 Robert Lowell to Edmund Wilson, 31 May 1962, quoted in Ian Hamilton, op.cit.
4 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
5 Walter Laqueur, 'Anti-Communism Abroad: A Memoir of the Congress for Cultural Freedom', Partisan Review, Spring 1996.
6 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
7 Hannah Arendt to Mary McCarthy, 22 August 1972, in Carol Brightman (ed.), Between Friends,
8 Ernst Robert Curtius, quoted in Stephen Spender, journals.
شكا مايكل جوسيلسون مرة من أنه كان من الصعب الاجتماع بسبيندر الذي كان دوماً 'مبحراً أو يحاضر في مكان آخر ما' .
9 Elizabeth Bishop to Marianne Moore, 17 August 1954, quoted in Ian Hamilton, op.cit.
10 John Mander, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
11- كان لويل يمتلك اهتماماً هوسياً ومرضياً بهتلر. جوناثان ميلر، الذي سكن معه في نيويورك في أواخر الخمسينات تذكر أنه اكتشف بين الغلافين السميكين بشكل واضح لنسخة لويل من ديوان *أزهار الشر* نسخة مقروءة جيداً ومخبأة من كتاب *كفاحي*.
12 Ian Hamilton, op.cit.
13 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 28 September 1962, quoted in Carol Brightman, op.cit.
14 Ibid.
15 Keith Botsford, quoted in Ian Hamilton, op.cit.
16 Michael Josselson to John Thompson, 4 September 1963 (MJ/HRC).
17 Michael Josselson to John Thompson, 10 July 1964 (MJ/HRC).
18- شملت أعمال بوتسفورد المتنوعة للمنظمة مراقبة منظمة تدعى كولومبيانوم، وهي منظمة يديرها الجزويتيون وصقلت مفكرين يساريين في أمريكا اللاتينية، وكان يديرها كاهن يدعى بادري آربا، الذي وصفه جوسيلسون بأنه 'لوطي جزويتي شيوعي يرتدي ملابس من تصميم ديور."
19 John Hunt to Keith Botsford, 29 March 1963 (CCEICHI).
20 John Hunt to Irving Kristol, 23 December 1963 (CCF/CHI).
21 Ren6 Tavernier to John Hunt, 28 February 1963 (CCF/CHI).
22 John Hunt to Rene Tavernier, 1 July 1963 (CCEICHI).
23 Ibid.
24 Rene Tavernier, 'Pablo Neruda', June 1963 (CCEICHI).
25 Ibid.
26 John Hunt to Ren6 Tavernier, 1 July 1963 (CCF/CHI).
27- ديانا جوسيلسون، مقابلة، جنيف،آذار ١٩٩٧ .شهد عام ١٩٦٣ أيضاً صرف السي آي إي لمبلغ ثلاثة ملايين من الدولارات للتأثير على الانتخابات التشيلية العامة بمعدل دولار لكل صوت أكثر بمرتين مما منح لكل صوت من قبل جولدوتر وجونسون في الانتخابات الرئاسي الأمريكية في ١٩٦٤ .انظر إيفان توماس، أفضل الرجال.
28 Salvador de Madariaga to Michael Josselson, 1 January 1963 (MJ/HRC).
29 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
30 Nicolas Nabokov, Bagazh.

31 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
32 Ibid.
33 Michael Josselson to Nicolas Nabokov, 10 December 1964 (NN/HRC).
34 Ibid.
35 Michael Josselson to Nicolas Nabokov, 29 June 1964 (MJ/HRC).
36 Ibid.
37 Donald Jameson, interview, Washington, June 1994.
38 William Hobby, quoted in Newsweek, 6 March 1967.
39 Editorial, The Nation, 14 September 1964.
40 Cord Meyer, Facing Reality.
41 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
42 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
43 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
44 Nicolas Nabokov to Michael Josselson, 19 March 1977 (NN/HRC).
45 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
46 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
47 Final Report of the Church Committee, 1976.
48 Quoted in ibid.
49 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
50 Michael Josselson, quoted in Congress for Cultural Freedom, 'Minutes of the Executive Committee Meeting', London, October 1964 (CCF/CHI).

22 Pen Friends

1 Lewis Mumford, quoted in Stephen Whitfield, The Culture of the Cold War.
2 Gwynne Nettler, quoted in Michael Wresim, A Rebel in Defense 0/ Tradition.
3 William Burroughs, quoted in Taylor D. Littleton and Maltbv Svk,,, Advancing American Art.
4 Sidney Hook to Michael Josselson, 20 April 1964 (MJ/HRC).
كان هوك مخطئاً بالتأكيد بخصوص نورمان بودهوريتز، الذي وبخ تمرد Beat بأنه 'تمرد الفقراء روحياً والمشلولي الروح."
5 Lee Williams, interview, Washington, July 1996.
6 Ibid.
7 Michael Josselson' 'The Story Behind the Congress for Cultural Freedom', unpublished manuscript (MJ/HRC).
8 Harry S. Truman, 1963, quoted in New York Times, 25 April 1966,
9 Arthur Koestler to Michael Josselson, 24 July 1963 (MJ/HRC).
10 Nicolas Nabokov to Richard Crossman, November 19S6 (CCF/CHI).
11 Elizabeth Paterson, interview, London, July 1997.
12 David Carver to Jean de Beer, Secretary General, French PEN, 10 March 1965 (PEN/HRC).
13 Arthur Miller, Timebends.
14 Arthur Miller, quoted in Natalie Robins, Alien Ink.
عرف ميلر في 1986 حين حصل على وثائق الإف بي آي التي احتوت معلومات عنه أن سبب اختياره هو تماماً كما توقع:لقد اعتبر مقبولاً من الشرق والغرب،الرئيس المكتمل للبي إي إن في وقت كان فيه وجود المنظمة نفسه خاضعاً لتشكيك جدي.
15-كان أستورياس غواتيمالياً. وكان عدواً صريحاً للمنظمة، وبخاصة ليوتسفورد، الذي لم يوافق أستورياس على خططه في أمريكا الجنوبية.
16 Michael Josselson to Man6s Sperber, 24 November 1964 (MJ/HRC).
17 Lewis Galanti&re to Members of the Executive Board, American PEN, 26 April 1965 (PEN/HRC).
18 Tim Foote to Kenneth Donaldson, 28 April 196S (CCF/CHI).
19-بحسب تقرير البي إي إن عن مؤتمر بليد قدمت لجنة أوروبا الحرة التابعة للسي آي إي والتي كانت غالانتييه عضواً فيها،المال أيضاً ،من المحتمل أن آلن دلس هو الذي رتب الدفع. ورغم أن دلس استقال من السي آي إي إلا أنه واصل لعب دور فعال في آلية الحرب الباردة التي بناها .فضلاً عن ذلك، كان هو نفسه عضواً منتخباً حديثاً في البي إي إن.
20 John Hunt to David Carver, 9 February 1966 (CCF/CHI).
21 John Hunt to Lewis Galanti~re, 4 March 1966 (CCF/CHI).
22 PEN report, June 1966 (PEN/HRC).
23 Conor Cruise O'Brien, 'Politics and the Writer', 19 May 1966, printed in Donald H. Akenson (ed.), Conor: A Biography of Conor Cruise O'Brien (Montreal: McGill-Queen's University Press, 1994).

24 Ibid.

23 Literary Bay of Pigs

1 Robert W Merry, Taking on the World.
2 Ibid. . . nterview, New York, June 1994.
3 Jason Epstein, I
4 Robert W Merry, op.cit.
5 William Fulbright, 'In Thrall to Fear', The New Yorker, 8 January 1972.
6 Ibid.
7 Norman Mailer, Armies of the Night.
8New York Times, 27 and 29 April 1966.
9 Karl Miller, Dark Horses: An Experience of Literary journalism (London: Picador, 1998).
10 Michael Joto Malcolm Muggeridge, 25 June 1965 (MJIHRC).
11 Ibid. Natasha Spender was later perplexed by Josselson's reference to such fi ncial arrangements, which she said were never put in place.
12 Melvin Lasky to Michael Josselson, undated (MJ/HRC).
13 Michael Josselson, 'Memo for the Record: Talks with Muggeridge, London 25 and 28 February 1964', 3 March 1964 (MJ/HRC).
14 Edward Shils to Michael Josselson, 2 November 1967 (MJ/HRC).
15 Michael Josselson to Robie Macauley, 30 December 1965 (MJ/HRC).
16 Ibid.
17 Frank Kermode, Not Entitled: A Memoir (London: Harper Collins, 1996).
18 Ibid.
19- تذكر ريتشارد ولهايم أنه واجه كلاً من لاسكي وسبيندر بالشائعة سابقاً منذ عدة سنوات،حين طلب منه الانضمام إلى مجلس إدارة *إنكاونتر*. 'ناقشنا المسألة على العشاء في ناد ما وسألت كي أتأكد عن الشائعات الكثيرة التي كانت تتردد حول السي آي إي.فقال لاسكي:لا شيء أكثر سهولة تستطيع تفتيش الحسابات، وتتأكد بنفسك. أما ستيفن فقد بدا مرتاحاً جداً، وقال: انظر إنها ليست صحيحة. لكن لاسكي أضاف: بالطبع، لن نفعل ذلك، لأنه لماذا ينبغي أن نفتح الدفتر من أجل أي توم وديك وهاري تخدعه إشاعة مجنونة ما؟' عندئذ انخفض حنك ستيفن وصمت طوال بقية الوجبة. رفض ولهايم عرض الانضمام إلى مجلس الإدارة. ريتشارد ولهايم، مقابلة هاتفية، كانون الأول ١٩٩٧.
20 Edward Shils to Michael Josselson, 28 February 1964 (MJIHRC).
21 Michael Josselson to Malcolm Muggeridge, 27 April 1964 (MJ/HRC).
22 Malcolm Muggeridge to Michael Josselson, 9 June 1964 (MJ/HRC).
23 Michael Josselson to James Perkins, 20 July 1966 (MJ/HRC).
24 Michael Josselson to Cecil King, 10 May 1964 (MJ/HRC).
25 Michael Josselson to Ulrich Biel, 14 May 1964 (MJ/HRC).
26 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
27 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA?', Saturday Review, 5 April 1975.
28 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
29 Ibid.
30 John Thompson to Stephen Spender, 25 May 1964 (MJ/HRC).
470 Notes and Sources
31 Julius Fleischmarm to Stephen Spender, 16 September 1966 (MI/HRC),
32 Carol Brightman, interview, New York, June 1994.
33 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.
34 Melvin Lasky, Irving Kristol, Stephen Spender, letter to New York Times, 10 May 1966.
35 Michael Josselson to Stephen Spender, 2 October 1966 (MJ/HRC).
36 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
37 Kenneth Galbraith, George Kerman, Robert Oppenheimer, Arthur Schlesinger; Jr., letter to New York Times, 9 May 1966.
38 Dwight Macdonald to Michael Josselson, 30 March 1967 (MJ/HRC).
39 Angus Cameron, quoted in Natalie Robins, Alien Ink.
40 Cord Meyer to Arthur Schlesinger, 1 February 1954 (SCHLES/JFK).
41 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
42 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA? Saturday Review, 5 April 1975.

جسـد كـورد ميير هـذا الموقـف المتفـائل. كتـب في مذكراتـه:'بـدت المسـاعدة الأمريكيـة للأحـزاب والمؤسسـات السياسـية الديموقراطية ضرورية إذا كان يجب أن يبقى على قيد الحياة مجتمع حُر وتعددي في أوروبا الغربية. وحقيقة أنه كان من الضرورة إبقاء مساعدتنا سرية لم تزعجنا. إن القادة السياسيين والثقافيين الأوروبيين الذين طلبوا مساعدتنا في صراعهم غير المتكافئ مع الجهاز الممول من السوفيات وضعوا شرطاً بعدم إعلان ذلك، بما أن آلة الدعاية السوفياتية تستطيع استغلال أي دليل علني عن الدعم الأمريكي الرسمي كبرهان على أنهم دمى للإمبرياليين الأمريكيين. كانت اليقظة والسرية مطلوبتين إذا كان يجب ألا تكون مساعدتنا هازمة للذات'. كورد ميير،مواجهة الواقع.

24 View from the Ramparts

1 Final Report of the Church Committee, 1976.

2- إن *رامبارتس*، مثل كل الأدب التخريبي الآخر، عثرت على قرائها الأكثر شراهة في مقر الإف بي آي. ولقد حللت مذكرة للإف بي آي، مؤلفة من ٢٥ صفحة،'موضوعات وتيمات' المجلة، من المحتمل من أجل وضع خطط لمضايقتها. وقال تقرير للسي آي إي ربط بالمذكرة إن جميع الكتاب الذين وردت أسماؤهم في مسرد رامبارتس 'عبروا بشكل متكرر وقوي عن موضوعات شيوعية رئيسية في مقالاتهم المنشورة."

3 Peter Jessup to Walt Rostow, 4 April 1967 (NSF/LBJ).
4 Edgar Applewhite, quoted in Evan Thomas, The Very Best Men.
5 Andrew Kopkind, 'CIA: The Great Corrupter', New Statesman, 24 February 1967.
6 Michael Josselson to Isaiah Berlin, 8 April 1967 (MJIHRC).
7 Isaiah Berlin to Michael Josselson, 16 April 1967 (MJ/HRC).
8 Frank Kermode, Not Entitled.
9 Ibid.
10 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
11 Ibid.
12 Eric Bentley to Stephen Spender, undated. I am grateful to Natasha Spender for showing me this letter.
13 Cecil King to Michael Josselson, 28 April 1967 (CCF/CHI).
14 1,4elvin Lasky to Isaiah Berlin, 13 April 1967. I am grateful to Dr Henry Hardy for showing me this letter.
15 Ibid.
16 N4elvin Lasky, interview, London, August 1997.
17 Ibid.
18 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
19 Ben Whitaker, The Foundations: An Anatomy of Philanthropy and Society (London: Eyre & Methuen, 1974).

بحسب كريستوفر هيتشينز، 'ربما صمم إشعيا برلين، بسبب أصوله ومزاجه وتجربته في الحياة، أن يصبح أحد أولئك الخدم الذين يزينون ويرفعون نبرة الطبقة الأفضل في البلاط. لكن كان هناك شيء فيه عرف كطموح وضيع وغير كاف، وأجبره أنه يقاومه حيث تجرأ على ذلك'.
Christopher Hitchens, 'Moderation or Death', London Review of Books, 26 November 1998.
20 Melvin Lasky to Isaiah Berlin, 13 April 1967.

21- وكان هناك محله وفي الصفحة الخلفية لعدد *إنكاونتر* الصادر في تموز ١٩٦٧ إعلان عن تغييرات في هيئة تحرير المجلة. كان موقعاً من قبل الأوصياء ولم يكن هناك ذكر للسي آي إي.

22 Isaiah Berlin to Melvin Lasky, 18 April 1967 (MJ/HRC).
23 Michael Ignatieff, Isaiah Berlin: A Life (London: Chatto, 1998).
24 Christopher Hitchens, 'Moderation or Death', London Review of Books, 26 November 1998.

إن الطبيعة الدقيقة لعلاقة إشعيا برلين مع الاستخبارات البريطانية والإنكليزية لن تعرف مطلقاً على الأرجح.سجل الجاسوس البريطاني روبرت بروس لوكهارت عدة لقاءات أثناء الحرب مع برلين الشاب،حين يعمل للحكومة البريطانية في واشنطن. وكان لدى لوكهارت انطباع أن برلين كان يعمل لمدير الحرب النفسية،لكن شلة برلين فندت ذلك. وزعم أيضاً أن اسم برلين ظهر أثناء الحرب في القائمة السرية لجهاز الاستخبارات السري (إس آي إس)، السجل الخاص، مما يعني أنه قدم خدمات لجهاز الاستخبارات السري في الماضي ووافق على الانضمام إليه أثناء الحرب. وقيل أن فريا ستارك، وغراهام وهيو جرين، ومالكولم مكيريدج، كانوا أيضاً مذكورين في القائمة بالنسبة للاستخبارات الأمريكية،يمكن القول،على الأقل،أن

برلين تمتع بعلاقة غير رسمية مع السي آي إي، التي لم يخجل أعضاؤها من مفاتحة الفيلسوف من أجل طلب دعمه، كما تذكر ستيوارت هامبشاير، ولورنس دي نوفيل الذي قال إنه تم إخبار برلين عن تورط السي آي إي في المنظمة من أجل الحرية الثقافية. لا شيء من هذا يعني أن برلين تواطأ مع العملاء السريين، ولكنه يوحي بدرجة من القرب التي يمكن في ذاتها أن تقود إلى مزيد من البحث.

25 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
26 Ibid.
27 Natasha Spender, telephone interview, May 1997.
28 Michael Josselson to Stephen Spender, 26 April 1967 (MJ/HRC).
29 Ibid.
30 Ibid.
31 Stephen Spender, quoted in New York Times, 8 May 1967.
32 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
33 Malcolm Muggeridge to Stephen Spender, 22 May 1967 (MJ/HRC)
34 Natasha Spender, telephone interview, August 1997.
35 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.

25 That Sinking Feeling

1 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
2 Manes Sperber, quoted by John Hunt, ibid.
3 John Hunt, ibid.
4 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
5 General Assembly of the Congress for Cultural Freedom, Press Release, 13 May 1967 (CCF/CHI).
6 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
7 Ibid.
8 Lawrence de Neufville, telephone interview, Februar1997.
9 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
10 James McAuley, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
11 Chantal Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
12 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
13 Nicolas Nabokov, July 1966, unidentifiable clipping (CCF/CHI).
14 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
15 Nicolas Nabokov, Bagdzh.
16 Ibid.
17 Nicolas Nabokov to J. E. Slater, 11 August 1971 (MJ/HRC).
18 Diana Josselson to the Spenders, 18 May 1967 (MJ/HRC).
19 Diana Josselson to Stephen Spender, 26 May 1967 (MJ/HRC).
20 Natasha Spender to Michael Josselson, undated (MJ/HRC).
21 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', Saturday Evening Post, 20 May 1967.
22 Ibid.
23 Ibid.
24 Tom Braden, interview, Virginia, August 1996.
25 Tom Braden, teleinterview, October 1997.
26 Lawrence de Neufville, telephone interview, April 1997.
27 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
28 John Thompson, telephone interview, August 1996.
29 Charlton Heston, quoted in Ian Hamilton, Robert Lowell. A Biography.
30 Carol Brightman, Writing Dangerously.
31 Eric Goldman, quoted in Ian Hamilton, op.cit.
32 Ibid.
33 Lyndon B. Johnson, quoted in Stephen Whitfield, The Culture of the Cold War.
34 James Burnham, 'Notes on the CIA Shambles', National Review, 21 March 1967.
35 Walt Rosto-, telephone interview, July 1997.
36 Ibid.
37 Ibid.
38 Tom Braden, telephone interview, October 1997.

39 Joseph Alsop, quoted in Carl Bernstein, 'The CIA and the Media', Rolling Stone, 20 October 1977.
40 Joseph Alsop, quoted in Carl Bernstein, ibid.
41 Tom Braden, 'I'm Glad the CIA is "Immoral"', Saturday Evening Post,
20 May 1967.
42 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
43 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
44 Melvin Lasky, interview, London, July 1994.
45 Ibid.
46 Diana Josselson to Tom Braden, 5 May 1967 (MJ[HRC).
47 Lee Williams, interview, Washington, June 1994.
48 John Thompson to Michael Josselson, 7 July 1968 (MJ/HRC).
49 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
50 John Thompson to Michael Josselson, 28 October 1967 (MJ/HRC).
51 Final Report of the Katzenbacb Committee, quoted in White House press release, 29 March 1967 (NSF/LBJ).
52 Desmond FitzGerald, quoted in Final Report of the Cburcb Committee, 1976.
53 Editorial, The Nation, 10 April 1967.
54 Final Report of the Cburcb Committee, 1976.

26 A Bad Bargain

1 Jayaprakash Narayan to Raymond Aron, 22 June 1967 (CCF/CHI).
2 K. K. Sinha to John Hunt, 1 June 1967 (CCF/CHI).
3 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
4 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
5 Michael Polanyi, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
6 Yehudi Menuhin to Nicolas Nabokov, 14 May 1966 (CCF/CHI).
7 George Kerman to Shepard Stone, 9 November 1967 (CCF/CHI).
8 Andrew Kopkind, 'CIA: The Great Corrupter', New Statesman, 24 February 1967.
9 Jason Epstein, 'The CIA and the Intellectuals', New York Review of Books, 20 April 1967.

إن فكرة إبشتاين عن مسافري درجة ثانية يسافرون في الدرجة الأولى طرحها سابقاً كونور كروز أوبراين الذي قال إن نجاح عمليات مثل عملية مجلة إنكاونتر يكمن في جذب كتاب كبار كي يقدموا الغطاء لكتاب من ذوي المواهب العادية والطموح السوي، الذين كانوا، في النتيجة، حصان طراودة، منخرطاً في نشاط سياسي مدعم ومستمر يخدم مصالح... بنية السلطة في واشنطن."

Conor Cruise O'Brien, 'Politics and the Writer', 19 May 1966, printed in Donald H. Akenson (ed.), Conor: A Biograpby of Conor Cruise O'Brien.
10 D-ight Macdonald to Michael Josselson, 30 March 1967 (CCF/CHI). 474 Notes and Sources
11 Richard Elman, interview, New York, June 1994.
12 Stuart Hampshire, interview, Oxford, December 1997.
13 Lawrence de Neufville, telephone interview, February 1997.
14 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
15 'Statement on the CIA', Partisan Review, vol.34/3, Summer 1967.
16 Tom Braden, interview, Virginia, July 1996.
17 James T. Farrell to Meyer Schapiro, 27 July 1942 (MS/COL).
18 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
19 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
20 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
21 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
22 Edward Shils to Michael Josselson, 11 November 1975 (MJ/HRC).
23 Edward Shils to Michael Josselson, 11 December 1975 (MJ/HRC)
24 Sidney Hook to Michael Josselson, 23 September 1973 and 2 November 1972 (MJ/HRC).
25 Edward Shils to Michael Josselson, 10 February 1976 (MJ/HRC).
26 George Kennan to Nicolas Nabokov, 19 June 1959, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
27 George Kerman, Around the Cragged Hill: A Personal and Political Philosophy (New York: Norton, 1993).
28 Harold Rosenberg, 'The Cold War', in Discovering the Present: Three Decades in Art, Culture and Politics (Chicago: University of Chicago Press, 1973).
29 Richard Elman, The Aesthetics of the CIA (unpublished manuscript).

30 Ibid.
31 Primo Levi, The Drowned and the Saved (London: Michael Joseph, 1988).
32 Aldous Huxley, Eyeless in Gaza (London: Chatto & Windus, 1936).

Epilogue

1 Stephen Spender to Nicolas Nabokov, 26 August 1970 (NN/HRQ.
2 Isaiah Berlin to Nicolas Nabokov, 18 December 1972, 21 December 1976 (NN/HRQ.
3 Stephen Spender, journals.
4 Andrew Porter, The New Yorker, 17 February 1973.
5 David Chavchavadze, Crowns and Trenchcoats: A Russian Prince in the CIA (New York: Atlantic International, 1990).
6 John Hunt, interview, Uz6s, July 1997.
7 John Hunt to Michael Josselson, undated, 1969 (MJ/1-IRC).
8 Arthur Koestler, 'A Guide to Political Neuroses', Encounter, November 1953.
9 Irving Kristol, quoted in Hugh Wilford, The New York Intellectuals.
10 Irving Kristol, Neo- Conservatism: The Autobiography of an Idea, Selected Essays 1949-1995 (New York: The Free Press, 1995).
11 Irving Kristol, interview, Washington, June 1994.
12 Neil Berry, 'Encounter', London Magazine, February-March 1995.
13 Ferdinand Mount, quoted in ibid.
14 Frank Platt to Michael Jossetson, 13 October 1976 (MJIHRC).
15 N4elvin Lasky, interview, London, July 1994.
16 Bernard Levin, The Times, 15 October 1992.
17 ibid.
18 George Urban, Radio Free Europe.
19 ibid.
20 Melvin Lasky, interview, London, August 1997.
21 Natasha Spender, interview, Maussane, July 1997.
22 Frank Platt to Michael Josselson, I I November 1976 (MJ/HRC).
23 Frank Platt to Michael Josselson, 15 December 1977 (MJ/HRQ.
24 Godfrey Hodgson, 'Superspook', Sunday Times Magazine, 15 June 1975.
25 Unidentifiable clipping, 23 February 1983 (MJ/HRC).
26 Michael Hofmann, Guardian, 23 January 1998.
27 William Buckley, quoted in Gore Vidal, Palimpsest.
28 Tom Braden, 'What's Wrong with the CIA, Saturday Review, 5 April 1975.
29 Ibid.
30 Lawrence de Neufville, telephone inter-view, April 1997.
31- وصلت ماري مكارثي إلى خاتمة مشابهة حول نيكولا شيارومونتي. ففي ٢٢ أيار ١٩٦٩ كتبت: 'ربما كان خائفاً جداً أو مشلولاً، يا له من مسكين،من تجربة السي آي إي وأن أي شيء يكتبه أو يفكر به هو بطريقة ما تبرير لذلك، مرة بعد أخرى'. مات شيارومونتي في مصعد بعد تقديم مادة إذاعية في الإذاعة الإيطالية في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٢.
32 Mary McCarthy to Hannah Arendt, 18 June 1968, in Carol Brightman (ed.), Between Friends.
33 Stephen Spender, interview, London, July 1994.
34 Natasha Spender, telephone interview, Maussane, August 1997.
35 Melvin Lasky to Sidney Hook, quoted in Peter Coleman, The Liberal Conspiracy.
36 Diana Josselson, interview, Geneva, May 1996.
37 Ibid.
38 Diana Josselson, interview, Geneva, March 1997.
39 Edgar Applewhite, quoted by Richard Elman, interview, New York, June 1994.
40 Jason Epstein, interview, New York, June 1994.
41 Joseph Alsop to Isaiah Berlin, quoted in Robert Merry, Taking on the World.
42 Doug Henwood, 'Spooks in Blue', Grand Street, vol.7/3, Spring 1998.

المحتوى

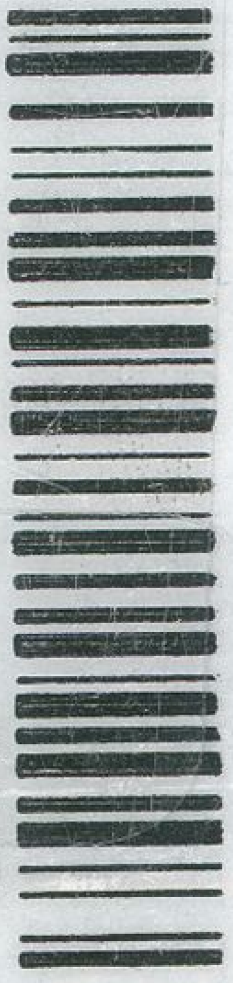
من الذي دفع الثمن؟

في هذا الكتاب، تقدم الباحثة البريطانية فرانسيس ستونور سوندرز، كشفاً لوثائق بالغة الخطورة تفضح اختراق الـ (CIA) للكتاب والمفكرين في أوروبا وأنحاء أخرى من العالم، وتسلط الضوء على تمويل هذا الجهاز للكتاب والمفكرين والمجلات الأدبية من خلال منظمة «من أجل الحرية الثقافية» التي كان مقرها في باريس.

يعتمد هذا الكتاب على وثائق لم يُكشف عنها من قبل، وعلى حوارات أجرتها المؤلفة مع شخصيات كانت متورطة أو على علاقة بتلك المرحلة، ويقدّم تحليلاً دقيقاً للحركات الثقافية والفنية، ولتوظيف الـ (CIA) لعملائها في هذه الحركات والتجمعات.

ويرى المفكر البارز إدوارد سعيد أن: «هذا الكتاب يُعَدُّ فتحاً في البحث التاريخي، وهو من الأبحاث الجديرة بالقراءة».

الناشر



دار الطليعة الجديدة

سورية - دمشق - ص.ب: 34494 تلفاكس: 8

E-mail: sakkalfa@scs-net.org

لوحة الغلاف للفنان مصطفى علي